المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الأدب والبلاغة
فرع البلاغة

الطالب أجرى التعديل فيما
كتب له سد ملحوظات في الدراسة
والتحصيل للعلوم ست
عضو المناقشة د/ محمد سعد الدبل

حدائق البيان في شرح كتاب التبيان

للشيخ علي بن عيسى
تلميذ الإمام شرف الدين الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ

تحقيق ودراسة

بحث مقدم للحصول على درجة العالمية العالية "الدكتوراة"
في البلاغة

إعداد الطالب
كامل بن محمد جمال بن يوسف جمال

إشراف فضيلة الأستاذ
الدكتور علي البدري حسين

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على رسوله الكتاب بلسان عربى مبين ، وجعله معجزته الكبرى الخالدة على مدى الدهور ، والأيام فتحدّى به العرب ، والناس جميعاً ، أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله ، فعجزوا ذلك كله والصلاة والسلام على البشير النذير ، والسراج المنير ، سيدنا محمد خير من نطق بالضاد ، امام أهل البلاغة والبيان القائل عن نفسه صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، وعلى آله وأصحابه الذين نشروا دين الله فى الآفاق بالحجة والاقناع ، وسلّم تسليماً كثيراً . . وبعد . .

فقد توجهت جهود كثير من الباحثين وطلاب العلم إلى احياء ونشر كتب التراث الاسلامى فى مختلف العلوم والفنون ، وذلك بتحقيقها ودراستها وتوثيق نصوصها ، وتخريجها وفق المنهج العلمي ، الصحيح المتبع فى هذا المجال ، حتى تخرج للقرّاء وطلاب العلم بصورة أقرب ماتكون لقصد المؤلف ، وبصورة يسهل الرجوع إليها ، حتى تجد طريقها إلى الانتشار الواسع ان شاء الله تعالى ،

وضمن هذه الجهود اخترت موضوعي في مرحلة الدكتوراه في مجال التحقيق والدراسة وبتوفيق الله تعالى وتسديده ، ثمّ بتوجيهات فضيلة الأستاذ المشرف وقع اختيارى على تحقيق ودراسة كتاب ((حدائق البيان فى شرح كتاب التبيان)) للشيخ على بن عيسى تلميذ الامام شرف الدين الطيبى المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة للهجرة ، وذلك لأهمية الكتاب ، وقيمته العلميّة ضمن المصنفات البلاغيّة

ويتجلى ذلك في عرض الكتاب لأصول علوم البلاغة ثم تركيز المصنف على الجوانب التطبيقيّة ، وتحليل الشواهد تحليلاً بلاغياً وذوقياً رائعاً ، وهى سمة غالبة فى هذا الكتاب يقلّ وجودها فى مصنفات أخرى بهذا الاستقصاء والكمال بالاضافة لمناقشة الشارح لكثير من المسائل البلاغية التى كانت موضع خلاف بين البلاغيين وإن كان ينتصر فى الغالب للسكاكى ، لأنّه من أصحاب مدرسته ، وقد يتحامل على الخطيب أحياناً ، وسيتبين تفصيل ذلك كله من خلال دراسة الكتاب إن شاء الله تعالى .

هذا وقد سرت فى بحثى وفق الخطة التاليـة :-

قسّمت بحثى إلى مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين ، وخاتمة ، وفهارس تحدثت فى المقدمة عن سبب اختيارى لموضوع البحث ، وبيّنت الخطّة التى سوف أسير عليها ، أمّا التمهيد فتحدثت فى جزء منه عن الامام شرف الدين الطيبى ، شيخ الشارح على بن عيسى رحمهما الله تعالى

فترجمت له ترجمة مفصلة بقدر ماوفرته كتب التراجم ، وقد تحدّثت فيه عن اسمه ونسبه وكنيته ، وشيوخه ، وتلامذته ، وسيرته ، ومكانته العلمية ، ومصنفاته ، ووفاته ، وفي الجزء الثاني من هذا التمهيد الذي خصصته للكلام عن كتابه التبيان تحدثت فيه عن تحقيق الكتاب بين أيدي الدارسين ، وبينت منهج الطيبي في الكتاب ، وقيمته البلاغية ، وذكرت أبرز جهوده في الكتاب ، وأهمّ مصادره التي اعتمد عليها ، أمّا الجزء الثالث من هذا التمهيد فحاولت فيه التعريف بالشارح الشيخ علي بن عيسى من خلال مقدمة شرحه ، فذكرت اتصاله بشيخه الطيبي ، وتتلمذه عليه ، والعناية الخاصة التي لقيها عنده ، كما تحدثت عن اخلاصه في طلب العلم ، وانقطاعه إليه ، وأشرت بوضوح إلى اخلاصه في طلب علوم البلاغة ، ومابذله من جهد في طلب هذا العلم كما تحدثت عن عقيدته وورعه وتقواه بالاضافة إلى ماذكرته عن حال المسلمين في عصره ، والحياة العلمية في هذا العصر ، أمّا القسم الأول من علي فجعلته لدراسة الكتاب، وقد قسّمت هذه الدراسة إلى سبعة أبواب تكلمت في الباب الأول عن غرض الشيخ علي بن عيسى من وضع هذا الشرح وعن المصادر التي اعتمد عليها فيه ، وعن منهجه في الشرح كما بيّنت مناقشاته للسكاكي ، والخطيب ، والطيبي رحمهم الله تعالى في بعض المسائل البلاغية كما تحدثت عن نظراته في النظم القرآني ، ودراسته الأحاديث النبوية ، ووضحت منهجه في دراسة الشواهد الشعرية ، وتكلمت أيضاً عن شرحه للأمثال ، والنصوص النثرية ، وتحدثت أيضاً عن دراسته للمسائل النحوية ، وتعريفه ببعض الأعلام .

وفي الباب الثاني تحدثت عن جهود الشارح في دراسة الفصاحة والبلاغة فتكلمت فيه على مفهومهما ، وقد جعلت هذا الباب في ثلاثة فصول تكلمت في الفصل الأول عن أوصاف اللفظة المفردة ، وفي الفصل الثاني عن أوصاف الألفاظ المركبة ، أمّا الفصل الثالث فتحدّثت فيه عن فن البلاغة مفهومها ، ومراتبها .

وفي الباب الثالث فصّلت القول عن جهود الشارح في دراسته علم المعاني فعرّفت هذا العلم وقد جعلت هذا الباب في ثمانية فصول ، ففي الفصل الأول تحدثت فيه عن الاسناد الخبري بين الحقيقة والمجاز ، وعن المجاز العقلي ، أمّا الفصل الثاني ، فتكلمت فيه على أحوال المسند إليه من جهة تركه وذكره ، وتعريفه ، وتنكيره ، وتقديمه ، وخروجه على خلاف مقتضى الظاهر ، وفي الفصل الثالث تحدّثت عن أحوال المسند من جهة تركه وذكره وكونه فعلاً ، وتعريفه ، وتنكيره ، وتقديمه وافراده وكونه جملة ، وتقييده بالمفاعيل الخمسة والشرط ، أمّا الفصل الرابع فتكلمت فيه على متعلقات الفعل ، تحدثت في هذا الفصل عن ترك المفعول ، وعن تقديمه ، وعن تقديم

بعض المعمولات على بعض ، وفى الفصل الخامس الذى خصصته للكلام على القصر تحدّثت فيه عن مقومات القصر وعن مناقشات الشارح لآراء العلماء حول القصر الحقيقى ، وحول قصر التعيين كما تحدثت فى هذا الفصل عن طرق القصر الأربعة بالتفصيل وهى طريق العطف ، وطريق النفى والاستثناء ، وطريق إنّما ، وطريق التقديم ، وبيّنت الفرق بين هذه الطرق ، كما تكلمت على هذا الفصل عن تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء ، أمّا الفصل السادس فتحدّثت فيه عن الفصل والوصل تكلّمت فيه عن الأصول الأربعة التى يقوم عليها العطف عند الطيبى ، وهى تقدم متبوع واف بما قصد ، ومشاركة المعطوف المعطوف عليه فى المعنى ، وأن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة ، واتفاق الجملتين فى الخبرية والطلبية ، كما تحدثت فى هذا الفصل عن صور الفصل بين الجمل ، وهى شبه كمال الانقطاع ، وإذا لم يقصد التشريك فى الحكم الاعرابى ، وشبه كمال الاتصال ، وكمال الاتصال وفقدان الجامع ، وكمال الانقطاع بلا ايهام كما تحدثت عن الوصل بين الجمل ، أمّا الفصل السابع ففصلت القول فيه حول الايجاز والاطناب والمساواة تكلمت فيه عن مفهوم كل واحد منها ، ومناقشة الشارح للسكاكى والخطيب حول مفهوم كل واحد منهما للايجاز والاطناب ، وأيضاً مناقشته لكلام الخطيب فى المساواة ، كما تكلمت فى هذا الفصل عن تقسيمات الايجاز ، فتحدثت عن الايجاز بحذف جزء جملة ، والايجاز بحذف عدة جمل، وعن ايجاز القصر ، وايجاز التقدير ، والايجاز الجامع ، كما تحدثت فى هذا الفصل عن صور الاطناب ، فتحدثت عن الاطناب بغير الجمل ، والاطناب فى الجمل ، والتكرير ، والتذييل ، والتكميل ، والايغال ، والتتميم ، والاعتراض ، وختمت هذا الفصل بالكلام عن الايجاز والاطناب بتقليل الحروف وتكثيرها .

أمّا الفصل الثامن فخصصته للكلام عن الانشاء الطلبى ، تحدّثت فيه عن الاستفهام ، وأدواته ، وعن الأمر ، والنهى ، والنداء ، وتكلمت فى هذا الفصل عن خروج الطلب فى معنى الخبر ، هذا فيما يتعلق بالباب الثالث .

أما الباب الرابع فخصصته للكلام عن علم البيان ، تحدثت فيه عن معناه ، وعن الدلالات وعلاقتها بعلم البيان ، وعن وجه المبالغة فى علم البيان ، وقد قسّمت هذا الباب إلى ستة فصول تحدّثت فى الفصل الأول منه عن التشبيه ، تكلّمت فيه عن طرفى التشبيه من جهة كونهما حسيين أو عقليين ، أو مختلفين ، وعن وجه الشبه إذا كان واحداً حقيقة ، أو فى حكم الواحد، ومنه التمثيل ، أو كان متعدداً كما تحدثت فى هذا الفصل عن أغراض التشبيه التى تعود للمشبّه ، والتى تعود للمشبّه به ، كما بيّنت أحوال التشبيه من جهة حسنه ، وقبحه وقبوله ، ورده وتحدّثت عن تحول التشبيه من القريب المبتذل إلى البعيد الغريب ، وختمت هذا الفصل بالكلام عن أدوات التشبيه

، أمّا الفصل الثانى فتحدثت فيه عن مفهوم الحقيقة اللغوية ، وأقسامها وعن مفهوم المجاز اللغوى ، وصوره ، وفى الفصل الثالث تحدّثت عن المجاز المرسل الخالى عن الفائدة ، أمّا الفصل الرابع فتكلمت عن المجاز المرسل المتضمن للفائدة وعلاقاته ، كاطلاق اسم السبب على المسبب ، واطلاق اسم المسبب على السبب ، وتسمية الشئ باسم مايؤول إليه ، وتسمية الشئ باعتبار ماكان عليه ، واطلاق الجزء وارادة الكل وغيرها ، أمّا الفصل الخامس فخصصته للكلام عن المجاز بالاستعارة بيّنت فيه أن الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى ، وتحدثت عن قرينة الاستعارة ، أمّا مايتعلّق بتقسيمات الاستعارة فتكلمت عن الاستعارة الأصلية ، والتبعية ، والتحقيقية ، والتخييلية ، والمكنية ، والتمثيلية ، وقد ختمت هذا الفصل بالحديث عن شرائط حسن الاستعارة ، وفى الفصل السادس تكلّمت عن الكناية وأقسامها ، فتحدثت عن الرمز والتلويح والايماء ، والتعريض ، وقد ختمت الباب الرابع المتعلق بعلم البيان بالكلام عن مراتب الصور البيانيّة .

وفى الباب الخامس تحدثت عن جهود الشارح فى دراسة علم البديع ، وقد جعلت هذا الباب فى ثلاثة فصول ، تكلمت فى الفصل الأول منها عن المحسّنات التى ترجع إلى المعنى تحدثت فيه عن التجريد، والتجاهل ، والأسلوب الحكيم ، والايهام ، والابداع ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، وفى الفصل الثانى تحدثت عن المحسنات التى ترجع إلى اللفظ والمعنى ، والرأى فيها ، تكلمت فيه عن المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ، ومراعاة النظير وغيرها ، أمّا الفصل الثالث فجعلته للمحسنات التى ترجع إلى اللفظ تحدثت فيه عن الجناس ، والعكس والتبديل ، ورد العجز على الصدر ، والتصريع ، والترصيع ، والسجع ، ولزوم مالا يلزم .

أمّا الباب السادس فتحدثت فيه عن السرقات الأدبية ، وشمل النسخ ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء والمواردة ، وألحقت به الكلام فى التضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل ، والتلميح

وفى الباب السابع تحدثت عن حسن ملاءمة الكلام تكلّمت فيه عن حسن المطلع ، وحسن المخلص وحسن المطلب ، وحسن الخاتمة .

هذا مايتعلق بالقسم الأول من عملى ، وهو الدراسة ، أمّا القسم الثانى من عملى ، وهو التحقيق فتحدثت فيه عن عملى فى تحقيق الكتاب ، فوثقت نسبته إلى الشارح الشيخ على بن عيسى رحمه الله تعالى ، ووصفت نسخ الكتاب والأصل الذى اعتمدته منها ، وسبب هذا الاعتماد ، كما بيّنت المنهج الذى اتبعته فى التحقيق ، ويتمثل فى المقابلة بين النسخ ، وتخريج النصوص سواء كانت قرآنية، أو نبوية، أو شعرية، أو أمثال كما قمت بتوثيق الأقوال ونسبتها إلى مصادرها ، ومناقشة

المسائل البلاغية التي اختلف العلماء فيها . أما الخاتمة فذكرت فيها أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلال هذه الدراسة .

ثم وضعت فهرسا لموضوعات هذه الدراسة ، وفي مجال تحقيق الكتاب وضعت فهرساً للفهارس وفهرسا للآيات القرآنية ، بحسب ترتيب سورها في القرآن الكريم ، وفهارس للأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، والأمثال ، والأعلام ، والمصادر ، والمراجع ، كل هذه الفهارس مرتبة حسب الترتيب الهجائي .

هذا ملخص موجز للخطة التي سرت عليها في هذا العمل ، وفي نهاية هذه الكلمة الموجزة لا يسعني إلا أن أتمثل بكلام الامام شرف الدين الطيبي رحمه الله تعالى في مقدمة التبيان ، فبعد أن ذكر ما بذله من جهد في كتابه قال : ((ومع هذا لا آمن فيما أوردته من سلق اللسان ، وسبقه ، وطغيان اليراع وخرقه ، وأن الفاضل من تعد سقطاته ، وتحصى غلطاته ، مع أني بالقصور في الصناعة معترف ، ومن مزجاة البضاعة مقترف .....

والله أسأل الارشاد إلى المراد ، والعصمة من الخلل في الاصدار والايراد ، إنه ولي التوفيق وبيده أزمة التحقيق)) .(١)

كما أتمثل بكلام الشيخ علي بن عيسى في مقدمة شرحه حيث قال : ((..... شرعت فيه [أي الحدائق] مستعينا بالله ومتوكلاً عليه معترفا بقصور الباعة ، وقلة البضاعة في الصناعة مقراً بأن شربي منها كان رشحا دون النهل ، ومكاني سفحاً دون القلل ، فهأنذا أبذل طاقتي .....

والله تعالى يضاعف التوفيق في احياء مراسم العلم واعلاء معالم الدين إنه خير موفق ومعين)) .(٢)

هذا هو شأن علمائنا الأجلاء رحمهم الله تعالى في مصنفاتهم تواضع جم ، وانكار للذات ، وبعد عن الغرور والخيلاء ، فإذا كانوا هم بهذه الصورة فماذا أقول أنا وأمثالي من طلاب العلم الذين يضعون أقدامهم بخطى حثيثة على بداية الطريق ، لكني أقول إن هذا جهد طالب علم ، فان كان فيه بعض الحسن والصواب فذلك من فضل الله تعالى وتوفيقه ، ثم بتوجيهات فضيلة الأستاذ المشرف جزاه الله عني كل خير ، وان كانت الأخرى فذلك من نفسي ،

---

(١) الحدائق ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣

(٢) الحدائق ص ٧

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ثم هو عمل بشرى من سماته النقصان ، ولا يمكن الوصول فيه إلى حدّ الكمال المطلق ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وفى الختام أدعو الله أن يجزى عنّى والدى كليهما خير الجزاء فى الدنيا والآخرة إذ لهما الفضل بعد الله فى تربيتى وتوجيهى إلى سلوك طريق العلم ، ونسأل الله أن يوفقنا للعمل بما علمنا إنه على مايشاء قدير ، كما أتقدم بالشكر الخالص ، والعرفان بالجميل لفضيلة الأستاذ الدكتور على البدرى حسين الشرف على هذه الأطروحة ، فقد كان له الفضل بعد الله فى توجيهى ، وتقويمى ، ومنحنى الكثير من وقته وعلمه كى يخرج هذا العمل بهذه الصورة التى أرجو لها أن تكون قريبة من الكمال ، فجزاه الله عنى ، وعن طلبته خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة فى الدنيا والآخرة ، كما أشكر كل من ساعدنى أو وقف معى لاتمام هذا العمل ، وأشكر عمادة كلية اللغة العربية وقسم البلاغة والأدب على رعايتهما الأمينة لأمثالى ، كما أشكر الجامعة الاسلامية التى يسرت لطلاب العلم والباحثين طريق التحصيل والبحث ..

اللهم لا علم لنا الا ماعلمتنا ..وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيرا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

٥

- التمهيـــــد -

- التبيان مؤلفـــــه وشارحـــــــه -

نريد أن نلم في هذا التمهيد جهد المستطاع بحياة كل من الشيخين الحسين بـــن عبدالله الطيبي صاحب التبيان وتلميذ الشارح علي بن عيسى بما تسمح به المعطيـــــات التي تضعها بين أيدينا مصادر البحث متعرفين ماكان لهما من السجايا والمزايـــا وأن نخص في هذا التمهيد كتاب التبيان المتن بحديث عن تحقيقه ونشره وما حوى مـــــن المادة البلاغية .

- ((أولا : الامام شرف الدين الطيبي في نظر العلماء)) -

لقد ترجم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ للطيبي ترجمة مفصلة لكنها لم تشمل كل النواحي المتعلقة بحياته من جهة مولده وشيوخه وتلاميذه مثـــــلا . فقد تحدث ابن حجر في هذه الترجمة عن اسم الطيبي ونسبه وبعض صفاته ، وعن حبـــــه للعلوم الشرعية وطلابها وختم هذه الترجمة بذكر تاريخ وفاته .

وقد اعتمد هذه الترجمة العلماء [٢] الذين جاءوا بعد ابن حجر ولم يزيدوا على ماذكـــره سوى تعريفهم ببعض مصنفات الطيبي التي اطلعوا عليها وسأشير الى ذلك في موضعه عنـــد الحديث عن مصنفاته .

اسمه ونسبه :

لقد ذكر الشيخ علي بن عيسى في مقدمة الحدائق اسم أستاذه ونسبه عند تعريفه بـــه فقال : - ((... حسين بن عبدالله بن محمد الطيبي .....)) . [٣]

---

(١) انظر الدرر الكامنة : ٢/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) من أولئك العلماء جلال الدين السيوطي في كتابه بغية الوعاة وطاشكبرى زاده في كتـــابه مفتاح السعادة وحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون وابن العماد الحنبلي في كتابـــــه شذرات الذهب والشوكاني في كتابه البدر الطالع والخوانساري في كتابه روضات الجنات.

(٣) الحدائق ، ص : ٣ .

أما ابن حجر فذكر نسبه بأنه هو حسين بن محمد بن عبد الله، وتبعه في هذا صاحب كشف الظنون [١] وصاحب شذرات الذهب [٢] وصاحب البدر الطالع [٣] من الذين ترجموا للطيبي ، أما السيوطي [٤] فذكر أن اسمه (حسن) واتفق مع ابن حجر في نسبه ، وقد تبع السيوطي في هذا صاحب مفتاح السعادة [٥] وصاحب روضات الجنات [٦] ، والذي يظهر لي أن الأرجح والأظهر هو ماذكره الشيخ على بن عيسى تلميذ الطيبي ، فانه أعرف بشيخه من غيره لقربه منه، وملازمته له ، كما سأبينه فيما بعد ، وقد اعتمد هذا محقق التبيان مستنداً على ماذكره الطيبي في مقدمة كتابه فتوح الغيب وخاتمة كتابه أسماء رجال المشكاة من أنه حسين بن عبد الله بن محمد، وأيّد المحقق هذا بكلام الشيخ الشارح على بن عيسى . [٧]

كما سار على هذا محقق كتاب الخلاصة في أصول الحديث وهو من كتب الطيبي معتمداً على الورقة الأولى من الكتاب نفسه وفيها أبو محمد الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، من هذا يتبين لنا أن الطيبي يكنى بأبي محمد . [٨]

ولقب الطيبي الذي اشتهر به هو شرف الدين يظهر ذلك من كلام صاحب كشف الظنون حيث قال :

((التبيان في المعاني والبيان للعلامة شرف الدين .....)) [٩]

وقال : ((حاشية على الكشاف للعلامة شرف الدين ....)) [١٠]

وقال : ((الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين ....)) [١١]

---

(١) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(٢) انظر شذرات الذهب : ٦/١٣٧

(٣) انظر الدر الطالع : ١/٢٢٩

(٤) انظر بغية الوعاة : ١/٥٢٢

(٥) انظر مفتاح السعادة : ٢/٩٠

(٦) انظر روضات الجنات : ص ٢٢٣.

(٧) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ١ ، ٢ .

(٨) انظر الخلاصة في أصول الحديث ص ٢٠ ، ٢٣

(٩) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(١٠) انظر كشف الظنون ص ١٧٠٠

(١١) انظر كشف الظنون ص ١٤٧٨

شيوخه :

لقد سكت العلماء الذين ترجموا للطيبي عن ناحية مهمة في حياته وهي الحديث عن شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم باستثناء ماذكره السيوطي معتمداً على حاشية الطيبي على الكشاف والذي ذكر فيه أنه أي الطيبي أخذ عن أبي حفص السهروردي [١] وقد حمل محقق التبيان هذا الأخذ على أنه بالواسطة على نمط الاجازة في رواية الحديث ، وهذا هو الأقرب إلى الواقع لأن أبا حفص توفي سنة ٦٣٢ هـ . والطيبي توفي سنة ٧٤٣ هـ مما يقتضي أن الطيبي عاش أكثر من مائة وعشرين سنة مما لا نعرفه في كتب التراجم .

وقد أشار محقق التبيان جزاه الله خيراً إلى شيخ آخر من شيوخ الطيبي وهو الامام فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي نزيل تبريز المتوفى سنة ٧٤٦ هـ معتمدا فيه على الدرر الكامنة [٢] وأيّا ماكان الأمر فقد كان الطيبي من أفراد الزمان علماً وخلقاً وتحصيلا .

تلامذته :

إن الذين ترجموا للطيبي لم يذكروا أحداً من تلامذته إلّا صاحب كشف الظنون [٤] هو الذي ذكر الشيخ علي بن عيسى من تلاميذ الطيبي، ويظهر أنّه اطلع على كتاب الحدائق كما ذكره محقق التبيان [٥] الذي ذكر شخصا آخر من تلامذة الطيبي وهو ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب بن محمد التبريزي العمري معتمداً على كشف الظنون [٦] .

ولعل الشيخ علي بن عيسى يعد من أكثر الطلاب ملازمة لشيخه الطيبي ، وأقربهم إليه بدليل اشارة الطيبي عليه بشرح كتابه التبيان فرحم الله الجميع رحمة واسعة .

مع الطيبي في سيرته :

كان الطيبي رحمه الله تعالى كريماً متواضعاً كما عرف عنه التقوى ، والورع ، وشدة الحب لله ورسوله ،

---

(١) انظر بغية الوعاة : ١/ ٥٢٣

(٢) انظر قسم الدراسة من التبيان : ص ٦ ، ٧

(٣) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٦

(٤) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(٥) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٧ ، ٨

(٦) انظر كشف الظنون ص ١٦٩٩

ورده على أهل البدع ،والأهواء ، والمتفلسفة ، وكان حريصاً على توجيه تلاميذه إلى دراسة العلوم الاسلامية ، محبّباً لمن لمس فيه تعظيم الشريعة ،بل كان يساعد ، ويعين من يحتاج الى مساعدة،وقد أنفق ثروته التي جمعها من التجارة في وجوه الخير ، كما كان لا يضن على طلبة العلم بالكتب النفيسة [١] ويشهد لحبه واعانته لطلاب العلم وبخاصة طلاب علوم الشريعة الاسلامية حديث على بن عيسى عن شيخه رحمهما الله تعالى ، وذلك في فترة تتلمذه عليه اذ يقول في مقدمة الحدائق :- ((وهو أدام الله أيامه كثير الاهتمام بحالي عظيم الامتنان ، كامل الرعاية ، وافر العناية منعم على بمزيد الارشاد والاسعاد ، وافاضة الخيرات والمبرات .....)) [٢]

انه الوفاء ولا عجب فمن أولى بالوفاء من العلماء رحم الله الجميع .

مكانته العلمية :

ان خير مايشهد للمكانة العلمية التي وصل إليها الطيبي رحمه الله تعالى المصنفات التي خلفها في علوم الشريعة الاسلامية والبلاغة، وماقاله عنه تلامذته الذين أخذوا عنه ، وعرفوا مكانته العلمية ،وماقاله عنه الذين ترجموا له ، فقد قال ابن حجر عند ترجمته للطيبي :- ((آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن شرح الكشاف شرحاً كبيراً وأجاب عمّا خالف مذهب السنة أحسن جواب يعرف فضله من طالعه)) [٣]

ويقول عنه تلميذه على بن عيسى في مقدمة الحدائق :- ((إلى أن ظفرت بكتاب التبيان للإمام المحقق ، والحبر المدقق مالك أزمّة الفضل قدوة أئمة الأدب برهان المفسرين تاج المحدّثين ....)) [٤] وقال عنه في موضع آخر في نهاية شرحه لحديث سعد بن عبادة رضى الله عنه في آخر الحدائق حيث قال :- ((ولعمرى أن من وقف على هذه الوجوه المستنبطة في الحديث شهد لجلالة دقة فهم مصنفه العلامة وذكاء قريحته الوقادة أنه ممنون بتوفيق الله ومنّه،ولا غرو أنه نسيج وحده في فنه فكم مثلها سحر البيان من عنده.....)) [٥]

---

(١) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٢) الحدائق ص ٣

(٣) الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٤) الحدائق ص ٣

(٥) الحدائق ص ١٧٣٦

كما قال عنه صاحب مفتاح السعادة عند ترجمته له :- ((الامام المشهور العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان)) [١]

فسقى الله جدثه بشآبيب الرحمات وأسكنه فسيح الجنات بما أسدى للعلم من آياد نافعات كريمات .

مصنفاته :

ذكر المترجمون للطيبي بعض مصنفاته وقد طبع بعضها وعثر على بعضها مخطوطاً بالمكتبات وتلك المصنفات هي :-

١ - كتاب التبيان في المعاني والبيان وقد حقق في جامعة الأزهر بالقاهرة ، وحقق أيضا في جامعة بغداد بالعراق لكنه نشر هذه المرة .

٢ - كتاب تفسير للقرآن الكريم ذكر ابن حجر أن الطيبي كان يشتغل فيه في أواخر عمره من بكرة إلى الظهر ومن ثم يتوجه لقراءة صحيح البخاري إلى العصر لكنه لم يسم هذا التفسير . [٢]

٣ - كتاب الخلاصة في أصول الحديث ، والكتاب مطبوع بتحقيق د . صبحي السامرائي بمطبعة الإرشاد ببغداد سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

٤ - كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، ذكره محقق التبيان على أنه مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٦٦ ضمن مجاميع والكتاب يقع في ٥٤ ورقة من ١٤٨ ورقة الى ٢٠٢ ورقة . [٣]

٥ - كتاب شرح التبيان أحال الطيبي إلى هذا الشرح عند كلامه عن رواية الحديث بالمعنى في كتابه الخلاصة فقال فيه :- ((فان السامع أحد رجلين اما أن لا يكون فقيها فيجب عليه أن لا يغيره لأنه غير عارف بالألفاظ المتشاكلة فيخطيء فيه أو يكون عارفا بها لكنه غير بليغ فربما يضع أحد المترادفين موضع الآخر ، ولا يقف على رعاية المناسبات بين لفظ ولفظ فإن المناسبة لها خواص ، ومعان لا يقف عليها إلا ذو دربة بأساليب النظم كما قررناه في شرح التبيان في قسم الفصاحة والله أعلم)) [٤]

كما ذكر علي بن عيسى هذا الشرح في مقدمة الحدائق عندما ذكر أهمية كتاب التبيان بالنسبة لفتوح الغيب فقال :- ((فلابد للطالب أن يقدم بين يدى الفتوح كتاب التبيان وشرحه)) . [٥]

---

(١) مفتاح السعادة : ٢/٩٠

(٢) انظر الدرر الكامنة : ٢/١٥٧

(٣) انظر قسم الدراسة في التبيان ص ٩

(٤) الخلاصة في أصول الحديث تحقيق صبحي السامرائي ص ١١٨

(٥) الحدائق ص ٥

وقد ذكر ابن حجر هذا الشرح عند ترجمته للطيبي [١] كما ذكره صاحب مفتاح السعادة [٢] عند حديثه عن مصنفات الطيبي وقد تبين أن في مكتبة جوزليلى على باشا باسلام بول بتركيا تحت رقم ٣٨٧ يوجد كتاب شرح التبيان في المعاني والبيان يقع في ٥٦٢ ورقة بخط عربي وناقص من الأول [٣] لكني لم أستطع الاطلاع على هذه النسخة .

٦ - كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، ويطلق عليه بعضهم شرح الكشاف أو حاشية على الكشاف .

وقد ذكر محقق التبيان أنه توجد من الكتاب المخطوط نسخة بدار الكتب المصرية [٤] ، وذكر هذا الكتاب منسوباً للطيبي ابن حجر [٥] والسيوطي [٦] وحاجي خليفة [٧] وابن العماد [٨] وطاش كبرى زاده [٩] والخوانساري [١٠] .

٧ - كتاب الكاشف عن حقائق السنن ويطلق عليه بعضهم شرح مشكاة المصابيح ذكر محقق التبيان أنه يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية في الحديث تحت رقم ٣٠ وتنقص عدة أوراق من المقدمة [١١] ، وقد ذكر هذا الكتاب منسوباً للطيبي ابن حجر [١٢] ، والسيوطي [١٣] ، وحاجي خليفة [١٤] ، وابن العماد [١٥] .

٨ - كتاب لطائف التبيان في المعاني والبيان ذكره محقق التبيان وذكر أنه يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦ بلاغة م . [١٦]

---

(١) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٢) انظر مفتاح السعادة : ٩٠/٢

(٣) انظر فهرس كتبخانة جوزليلى على باشا ص ٢٨

(٤) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٩

(٥) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٦) انظر بغية الوعاة : ٥٢٢/١

(٧) انظر كشف الظنون ص ١٤٧٨

(٨) انظر شذرات الذهب : ١٣٧/٦

(٩) انظر مفتاح السعادة : ٩٠/٢

(١٠) انظر روضات الجنات ص ٢٢٣

(١١) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٩

(١٢) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(١٣) انظر بغية الوعاة : ٥٢٢/١

(١٤) انظر كشف الظنون : ص ١٧٠٠

(١٥) انظر شذرات الذهب : ١٣٨/٦

(١٦) انظر قسم الدراسة في التبيان ص ٩

٩ - مقدمة في علم الحساب ذكرها عمر رضا كحالة عند ترجمته للطيبي .[١]

ولعل هذا يدل على أن حياة الطيبي رحمه الله تعالى كانت حافلة بالخصوبة والثراء في مجال التصنيف ، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه .

وفاته :

عرف عن الطيبي صلاحه ، وتقواه ، وملازمته للجماعة في الصلوات الخمس صيفا وشتاء وقد ضعف بصره في آخر عمره ، وقد توفي بمسجد عند بيته كان ينتظر فيه صلاة الفريضة بعد أن صلى النافلة في آخر يوم الثلاثاء بعد العصر بعد أن انتهى من درسه في التفسير من ثالث عشر شعبان سنة ٧٤٣ هـ[٢] رحمه الله رحمة واسعة بعد أن خلف لنا كثيراً من المصنفات المفيدة ولعل وفاته في المسجد وهو ينتظر صلاة العصر مما يشهد له بحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى فرحمه الله رحمة واسعة . . .

---

(١) انظر معجم المؤلفين : ٤/ ٥٣ ، طبعة دار احياء التراث ، بيروت .

(٢) انظر الدرر الكامنة : ٢/ ١٥٧

ثانياً : كتاب التبيان التحقيق والدراسة

الكتاب بين أيدى الدارسين :-

قام الدكتور عبد الستار حسين مبارك زموط بتحقيق ودراسة كتاب التبيان فى البيان للامام شرف الدين الطيبى وهى رسالة دكتوراة تقدم بها إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، كما قام الدكتور هادى عطيه مطر الهلالى المدرس بجامعة بغداد فى العراق بتحقيق الكتاب ، والتقديم له ، ونشر الكتاب فى طبعته الأولى بمطبعة عالم الكتب ببيروت - لبنان ، وذلك سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، وبالنظر إلى أن الشارح الشيخ على بن عيسى فى كتابه الحدائق لم يشرح كتاب التبيان كاملاً وإنما كان يأخذ عبارات من التبيان ، ويقوم بشرحها مما اضطرت معه فى التحقيق الى ذكر الكلام فى التبيان كاملاً فى أعلى الصحيفة ، ومن ضمنها العبارة التى شرحها الشيخ على بن عيسى ، وأضع تحتها خطاً لتميزها عن غيرها ، وقد اعتمدت فى كتابة التبيان فى أعلى الصحيفة على النسخة التى بتحقيق الدكتور عبد الستار زموط ، وبالاضافة الى هذه النسخة المحققة اعتمدت على نسخة مخطوطة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم [٢٦٩٩ / ١٤ / ٤١٦ بلاغة] فإنى وجدت بعض عبارات التبيان التى ذكرها الشارح وان كانت قليلة إلا أنها تختلف عما هو موجود فى النسخة المحققة ، وأجدها تتفق مع النسخة المخطوطة لكن المحقق لا يشير إلى هذا الاختلاف بين النسخ أحياناً مع أنه ذكر أنه اطلع على نسخة عارف حكمت ، وقابل بينها وبين غيرها من النسخ ، مما يضطرنى إلى ذكر العبارة فى النسخة المخطوطة ورقم الورقة التى فيها ، أما ما يتعلق بتحقيق الدكتور الهلالى ونشره للكتاب فإنى لم أطلع عليه إلا فى أوائل سنة ١٤٠٩ هـ ، وحينها كنت قد انتهيت تقريبا من التحقيق لهذا لم أتمكن من اعتماد النسخة المنشورة ، لكن لما جرت العادة أن دراسة الكتاب تتأخر عن تحقيقه تمكنت من الموازنة بين عمل الدكتور عبد الستار وبين عمل الدكتور الهلالى فى كتاب التبيان فظهرت لى بعض النتائج التى منها :-

أولا : ما يتعلق باسم الكتاب فان الدكتور عبد الستار سار على أن اسم الكتاب هو : [التبيان فى البيان] معتمداً على مقدمة الطيبى فى الكتاب حيث قال :- ((..... فجاء بحمد الله نوراً لحدقه التبيان ونوراً لحديقة البيان فوسمته بالتبيان فى البيان .....)) (١) .

---

(١) قسم الدراسة من التبيان ص ٢٨ .

أما الدكتور الهلالى فإنّه سار على أن اسم الكتاب هو :- التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان .

ثانياً : ما يختصّ بنسب الطيبى سار د .عبد الستار بأنّ نسبه هو حسين بن عبد الله بن محمد الطيبى[1] كما حققته سابقاً ، أمّا د .الهلالى فذكر أن نسب الطيبى هو حسين بن محمد بن عبد الله الطيبى ، ويرى أنّ هذا ما أجمعت عليه المصادر والمراجع[2] لكن التحقيق ما ذكره د .عبد الستار كما بينته سابقاً عند الكلام عن ترجمة الطيبى رحمه الله تعالى .

ثالثا : اعتمد د .عبد الستار فى تحقيق الكتاب على خمس نسخ وهى نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٥٣٥ هـ] تمّت كتابتها يوم الخميس ١٧ من ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ ، واعتمدها أصلاً لبقيّة النسخ ، ونسخة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية برقم [١٠ بلاغة] وهى نسخة مصورة عن مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وفرغ من كتابة هذه النسخة فى ٩ جمادى الآخرة سنة ٧٨١ هـ ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٥٢ بلاغة طلعت] وتمّت كتابة هذه النسخة سنة ١٠٣١ هـ ، ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٦٨ بلاغه] وتمّت كتابتها سنة ٩٣١ هـ ، ونسخة بمعهد المخطوطات تحت رقمى [٢٥ ، ٢٦] هذه النسخة مصورة على ميكروفيلم عن مكتبة ولى الدين جار الله باسلام بول تحت رقم [١٨٣٩] وفرغ من كتابة هذه النسخة يوم الأربعاء آخر ربيع الأول سنة ٧٤٣ هـ .[3]

أمّا د .الهلالى فاعتمد فى تحقيقه على ثلاث نسخ خطيّة وهى نسخة بمكتبة مدينة السليمانية بالعراق، وهى نسخة تمّت قراءتها على الطيبى فى عاشر جمادى الأولى سنة ٧٣٨ هـ ، وقد اعتمد د .الهلالى هذه النسخة أصلاً لقدمها وقراءتها على المصنف، ونسخة بمكتبة المتحف العراقى تحت رقم [١٤٥] وهى نسخة مقابلة على نسخة أخرى مكتوبة سنة ١١٤٤ هـ ، وهذه المقابلة تمّت فى شوال سنة ١٣٣٣هـ ، ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٥٣٥ هـ] وتمت كتابتها فى يوم الخميس ١٧ من ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ ، وهى النسخة التى اعتمدها د .عبد الستار أصلاً ، كما ذكر الهلالى نسخة مصورة بمعهد المخطوطات تحت رقم ٣٥ مصورة عن مكتبة طلت باسلام بول وتمّ كتابة هذه النسخة سنة ٧٤٣ هـ .[4]

---

(١) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ١ ، ٢

(٢) انظر التبيان تحقيق الهلالى ص ١١

(٣) انظر قسم الدراسة فى التبيان ص ٣٢ ، ٣٣

(٤) انظر التبيان تحقيق الهلالى ص ٢٣ - ٢٥

من خلال هذا يتبين لنا أنّ الأصل الذى اعتمده الهلالى فى تحقيق الكتاب أقدم اذ تم الفراغ منه سنة ٧٣٨ هـ وأيضا قرئ على الطيبى بينما الأصل الذى اعتمده عبد الستار تمّ الفراغ منه سنة ٧٤١ هـ ، ولم يذكر أنها قرئت على الطيبى مع أنه أى د.عبد الستار اعتمد على نسخ أكثر فى المقابلة فبناء عليه فتحقيق د.الهلالى يكتسب قيمة علمية أكبر كما هو معروف فى أصول التحقيق لقدم الأصل الذى اعتمده، ولكونه مقروءا على المصنّف ولو اطلعت عليه فى بداية تحقيقى للحدائق لما ترددت فى اعتماده لكن اطلاعى عليه كان متأخراً .

رابعاً : لم يهمل د.عبد الستار والدكتور الهلالى المقابلة بين النسخ والاشارة إلى الاختلاف بينها .

خامساً : يلتقي د.الهلالى مع د.عبد الستار فى تخريج الآيات القرآنية وبيان مواضعها من السور.

سادساً : فى تخريج الأحاديث النبوية يرجع د.عبد الستار[1] إلى كتب السنة المعتمدة فبين الباب والفصل الذى ورد فيه الحديث ويشير إلى اختلاف الروايات ، ويذكر الصحابى الذى روى الحديث كما هو متعارف عند المحققين بينما د.الهلالى لا يتقيّد بهذا وإنما يرجع فى تخريج الأحاديث إلى مصادر فى البلاغة، أو الأدب، أو غريب الحديث ، وإذا رجع إلى كتب السنة المعتمدة فلا يبين الباب والفصل الذى ورد فيه الحديث على التفصيل .[2]

سابعا : يلتقي د.الهلالى مع د.عبد الستار فى تخريج الأبيات الشعرية من مظانها فى دواوين الشعراء ، والموسوعات الأدبية ، والمصنفات البلاغية ، والنقدية لكن د.الهلالى[3] تمكن من نسبة بعض الأبيات التى لم ينسبها الطيبى وترك د.عبد الستار[4] نسبتها .

ثامناً : فيما يتعلق بتوثيق النصوص وعزو أقوال العلماء الى مصادرها فى كتبهم يتلاقى الدكتور الهلالى[5] مع الدكتور عبد الستار[6] وبالخصوص ماقاله سيبوية، والزمخشرى، والسكاكى .

تاسعا : التعليقات البلاغية على الكتاب بالهامش فى بعض المسائل لا نجدها عند الدكتور الهلالى ، أما الدكتور عبد الستار فإنّ معظم تعليقاته البلاغية بالهامش اعتمد فيها على كتاب الحدائق

---

(١) انظر التبيان ، تحقيق د.عبد الستار ص ٣٣ ، ٧٥ ، ١٣١ ، ٢٤٧ ، ٨٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤

(٢) " " " " الهلالى ص ٩١ ، ١٧٠ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤٢٤ ، ٤٧٩ ، ٥٢٥

(٣) " " " " " ص ٢٩٩ ، ٢٦٢

(٤) " " " " عبد الستار ص ١٦٨ ، ١٤٥

(٥) انظر التبيان تحقيق د.الهلالى ص ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٥٥ ، ٤٧٥ ، ٢٦٠.

(٦) انظر التبيان تحقيق الدكتور عبد الستار ص ٢١ ، ٢٦ ، ٧٢ ، ١٠٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣

أشار[١] إلى مصدره في قليل منها ، أمّا الكثير الغالب[٢] فلم يشر ، وهذا يدلّ على أنّ الدكتور الهلالي لم يطّلع على الحدائق وحديثه عنه في المقدمة اعتمد فيه على ماقاله حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن الكتاب .

عاشراً : عرّف الدكتور الهلالي ببعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في التبيان على نحو ما سلكه الدكتور عبدالستار وقد تركا التعريف ببعض الأعلام ما دفعني لاستقصاء التراجم لما تركوه .

حادي عشر : كلا المحققين وضع بعد انتهائه من تحقيق الكتاب فهارس مختلفة شملت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية والأمثال والحكم والأقوال المأثورة ، والأعلام ، والمصادر والمراجع والموضوعات .

ثاني عشر : فيما يخص الدراسة التي حول الكتاب ومؤلفه نجد د .عبدالستار ترجم للعلامة الطيبي ترجمة شبه متكاملة كما تحدث عن أحوال عصره ، وفي دراسته للكتاب تبين لي أنها جيدة في عمومه فقد تحدث فيها عن منهج الطيبي في كتابه ، وبيّن تأثره بالزمخشري ، والسكاكي وابن الأثير ، وبيّن أثره فيمن بعده كالبهاء السبكي ، وأبي جعفر الغرناطي وجلال الدين السيوطي وابن معصوم المدني ، وقد استغرقت دراسته للكتاب ومؤلفه أكثر من مائة[٣] وخمسين صفحة ، بينما الدكتور الهلالي اكتفى في تقديمه للكتاب بالحديث عن العلامة الطيبي ، وبيان منهجه في كتابه ، وبعض مصادره فيه وتأثيره في ابن معصوم ، والطريقة التي اتبعها في التحقيق تحدث الدكتور عن كل هذا في خمس عشرة[٤] صفحة وهو في هذا لم يتجاوز الصواب عندما أطلق عليها (تقديم) ولم يطلق عليها دراسة .

وبعد فالذي يبدو لي أنه بينما سبق د .عبدالستار إلى تحقيق الكتاب قبل الدكتور الهلالي بفترة تقرب من عشر سنوات ، وخدم الكتاب خدمة جيدة في تحقيقه ودراسته وهو جهد يحسب له لكن هذا لا يلغي ، أو يغضّ من عمل د .الهلالي ، فإنّ تحقيقه اكتسب قيمة علمية لأنه اعتمد في تحقيقه على نسخة أقدم من نسخة د .عبدالستار وقرئت على المصنف فبناء عليه فعمل د .الهلالي يعدّ عملاً جديداً كما هو متعارف عليه عند المحققين ، ولا يعدّ تكراراً وجهداً ضائعاً ، وإن لم يبلغ في دراسة الكتاب شأو الدكتور عبدالستار ، فتلك مسألة أخرى ، وعلى كلّ حال جزى الله الأستاذين خير الجزاء على مابذلا من جهد في خدمة هذا الكتاب .

---

(١) انظر التبيان تحقيق د .عبدالستار ص ٢٥ ، ٣٦ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٦١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٣١٨

(٢) " " " " ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣) انظر قسم الدراسة لكتاب التبيان للدكتور عبدالستار من ص ١ الى ص ١٥٥ .

(٤) انظر التبيان تحقيق د .الهلالي ص ١١ - ٢٥ .

موضوعات التبيان

بنى الطيبى كتابه على مقدمة وفنين وخاتمة تحدث في المقدمة عن أهمية البلاغة في ادراك أسرار النظم القرآني كما ذكر ماتميز به كتابه ، والجهد الذى بذله فيه ، ونص على بعض المصادر التي اعتمد عليها في كتابه ، أما الفن الأول فخصصه للحديث عن البلاغة ، فعرفها وذكر أعلى مراتبها وأدناها ، ثم فصل القول فيما يتعلق بعلومها الثلاثة : المعاني، والبيان ، والبديع ، ففيما يتعلق بعلم المعانى عرّفه ، وبيّن محترزات التعريف ، ثم في باب الإسناد تحدث عن أضربه الثلاثة المتعلقة بالمخاطب ، وهى الابتدائي والطلبى والانكارى ، ثم درس باب المسند إليه ، وجعله في خمسة أبحاث : البحث الأول : في كونه متروكا ، والبحث الثاني : في اثباته ، البحث الثالث : في تعريفه بالاضمار ، أو العلمية ، أو الموصولية ، أو الإشارة ، أو التعريف باللام ، أو الاضافة ، أو تخصيصه بالوصف ، أو التأكيد، أو البيان، أو البدل، أو العطف ، أما البحث الرابع فتحدث فيه عن تنكير المسند إليه ، والبحث الخامس : عن تقديمه ، وبعد أن انتهى من أبحاث المسند إليه شرع يتحدث عن أحوال المسند فعرضه فى اثنى عشر مبحثا تكلم في المبحث الأول عن كونه متروكاً ، وفى المبحث الثانى عن كونه مذكورا ، وفى المبحث الثالث فى كونه فعلّيا ، وفى المبحث الرابع عن كونه معّرفاً ، وفى المبحث الخامس عن كونه منكراً ، وفى المبحث السادس عن كونه مقدماً ، وفى المبحث السابع عن كونه مفرداً ، وفى المبحث الثامن فى كونه جملة ، وفى المبحث التاسع فى كونه مقيداً بما يتصل به ، وفى المبحث العاشر تحدث عن ترك الفعل ، وفي المبحث الحادى عشر عن ترك مفعوله ، والمبحث الثانى عشر عن اضمار فاعله ، ثم انتقل الطيبى إلى باب التقديم والتأخير وجعله فى مقدمة وفصول ، تحدّث فى المقدمة عن كيفية افادة التقديم للتخصيص غالباً من خلال الأمثلة ، ثم عرف قصر الافراد وقصر القلب، وفى الفصل الأول تحدث عن تقديم الفاعل المعنوى أو المسند اليه وناقش الخلاف فى هذه المسألة بين الخطيب والسكاكي ، وانتصر للثانى ، وفى الفصل الثانى تكلم عن تقديم المفعول ، وفى الفصل الثالث عن تقديم المجرور ، وجعل الفصل الرابع للتقديم الواقع بين المعمولات ، وفى الفصل الذى يليه تحدث عن اعتراض جملة بين جملة ، وبعد أن انتهى من الكلام فى هذا الفصل وبدون أن يفصل بعنوان يدل على استقلالية المبحث التالى دون أن يفصل شرع يتحدث عن القصر فتكلم عن وجه افادة النفى والاستثناء القصر ، ثم تحدث عن بقية طرق القصر ، والفرق بينها وشرع القول في باب الفصل والوصل بعنوان أساسى ، فذكر أن العطف يعتمد على معرفة أصول أربعة : الأول تقدم متبوع واف بما قصد بالقياس إلى التابع مغاير له ، الثانى مشاركتها في المعنى الذى دل عليه الاعراب ، الثالث أن يكون بينهما جهة جامعة ، الرابع الاتفاق بينهما فى الطلبية والخبرية ، وذكر شواهد شذت على هذه الأصول ، ثم تعمق فى أربعة مباحث من صميم بحوث الفصل والوصل المبحث الأول فى الفصل لفقدان التشريك فى الحكم الاعرابى ، المبحث الثانى

في الفصل لفقدان التغاير بين طرفي الجملتين ، المبحث الثالث الفصل لفقدان الجامع بين الجملتين المتعاطفتين ، المبحث الرابع في الفصل لفقدان الاتفاق في الخبرية أو في الانشائية ، ثم شرع في باب الايجاز والاطناب فعرّف كلاً منهما،وبين محترزات تعريفهما ، ووضح معظم ماقاله بالشواهد وقد قسم الطيبي الايجاز الى قسمين :-

القسم الأول : الايجاز بالحذف وهذا الحذف إما حذف جملة أو حذف غير جملة ، وحذف الجملة إما أن تكون الجملة مستقلة أو لا تكون كذلك ، وحذف غير الجملة منه حذف المضاف ، أو المضاف اليه أو الموصوف ، أو الجار والمجرور ، أو صلة الموصول ، أو الموصول ،أو المتعلق .

القسم الثاني : الايجاز بغير الحذف ، وجعله الطيبي على ثلاثة أضرب هي :-إيجاز قصر ، وإيجاز تقدير ، وإيجاز جامع .

وقد مثل لكلا القسمين مع تفريعاتهما بشواهد مختلفة ، ثم تحدث عن الاطناب فذكر أنه يكون تارة بغير جمل ،وأخرى بالجمل ، وقد عرض الشواهد لكلا الضربين ، أما عن الانشاء الطلبي ، فقد تحدث فيه عن وجه تفريع أبحاثه إلى تمن ، واستفهام ، وأمر ،ونهي ، ونداء ، ثم تكلم عن مبحث التمني ، وأدواته الأصلية ، والفرعية ، كما تحدث عن الاستفهام ،وأدواته ،وتفريعاتها من جهة التصور ، والتصديق كما ذكر بعض المعاني الفرعية التي تخرج إليها بعض الأدوات ، أما مايتعلق بمبحث الأمر فذكر معناه ، وأشار إلى بعض الأغراض الجانبية التي يخرج اليها ، وذكر أن النهي محذو به حذو الأمر في مثل تلك الأغراض ، كما ذكر أن المباحث الأربعة السابقة وهي : التمني ،والاستفهام ، والأمر ، والنهي ، تشترك في جواز تقدير الشرط ، ثم تكلم عن النداء ، وأدواته ، وعن بعض المعاني التي يخرج إليها النداء ، وقد ختم الطيبي باب الطلب بتتميم تكلم فيه عن مجيء الخبر في معنى الطلب ، وبالعكس مطبقاً قوله على الشواهد ، وعنده ينتهي كلام الطيبي في علم المعاني أما حديثه عن علم البيان فقد اشتمل على استيعاب بين ، فقد عرف هذا العلم ، وشرح هذا التعريف ، وبناه على ثلاثة أصول تحدث في الأصل الأول عن التشبيه ،وقسمه إلى خمسة فصول ، وبين وجه هذا التقسيم ،فخص الفصل الأول بتقسيم الطرفين المشبه والمشبه به من جهة الحسي ، أو العقلي ، أو الخيالي أو الوهمي موردا الشواهد الشعرية التي تخص كل قسم ، أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن وجه الشبه ، وتقسيمه من جهة كونه واحدا ،أو مافي حكمه ، أو متعدداً ومن جهة كونه حسّياً ، أو عقلياً أو وهمياً ، وأورد الشواهد التي تخص كل قسم وختم هذا الفصل بتتميم تكلم فيه عن أن من حق وجه الشبه أن يكون متحققا في الطرفين كما هو الشأن دائماً في التشبيه ، وأورد بعض الشواهد التي اتبعت بوصف خاص بالمشبه به ، وليس هذا هو الوجه لأن الوجه لابد من تحققه في الطرفين حتى يعد الأسلوب تشبيها كما أورد شواهد أخرى تحتاج إلى دقة نظر لتحقيق الوجه بين الطرفين ، وفي الفصل الثالث تكلم عن الغرض من التشبيه

فذكر أنّ منه مايعود إلى المشبه ، وهو الغالب كبيان حال المشبه ، وبيان مقداره ، وامكان وجوده ، وتقرير حاله ، وتزيينه ، وتشويهه ، وقصد استطرافه ، وقد يعود الغرض إلى المشبه به إذا قصد المبالغة في التشبيه ، وقد مثّل لكلّ من تلك الأغراض بشواهد قرآنية أو شعرية ، أما الفصل الرابع فخصّه للحديث عن أحوال التشبيه من جهة حسنه ، وقبحه ، وقبوله ، ورده ، فذكر أنّ أحوال الحسن على وجوه منها أن يكون التشبيه في أمور تفصيلية ، فإنّ النفس تستشرف الشيء بعد طلبه ، وبذل الجهد في تحصيله ، وهذا متحقق في الأمور التفصيلية بخلاف الأمور المجملة فإنّها تسبق إلى النفس أو يكون المشبّه به معقولاً ، أو موهوماً ، أو يكون نادر الحضور في الذهن أو يكون التشبيه بعيد المتناول لا يدرك في بدء الفكرة وهو ماعرف بمصطلح التشبيه البعيد الغريب ، أو يكون سليماً من الابتذال أو يتصرف في خلاف الحسن بما يخرجه إليه ، وقد استشهد الطيبي لكل تلك الأحوال بشواهد شعرية ، أمّا الفصل الخامس فتحدث فيه عن أدوات التشبيه ، وقد ختم الطيبي هذا الأصل أي التشبيه بخاتمة بيّن فيها مراتب التشبيه في الحسن ونحوها ، هذا وبعد أن انتهى من الأصل الأول الذي هو التشبيه تحدّث عن الأصل الثاني ، وهو المجاز وقبل الحديث عنه تكلّم عن الحقيقة فعرّفها ، وشرح التعريف وذكر أقسامها من لغويّة ، وشرعيّة ، واصطلاحيّة ، وعرفيّة ، وقد قسم المجاز إلى لغوي وعقلي فعرّف اللغوي وشرح التعريف وجعله على ضربين مجاز مرسل ومجاز بالاستعارة ، أمّا المجاز المرسل فعلى نوعين ، النوع الأول الخالي عن الفائدة ، النوع الثاني المتضمّن للفائدة ، وهذا النوع جعله على وجوه هي اطلاق اسم السبب على المسبب ، واسم المسبب على السبب ، وتسمية اللفظ باسم ما يؤول إليه وباعتبار ماكان ، والحال باسم محله والمحلّ باسم حالّه ، والشيء باسم آلته ، وتسميته بداعيه ، وباسم جهته ، وباسم حامله ، وباسم محموله ، وتسميته باسم مجاوره وباسم جزئه ، وباسم كله ، وتسميته باسم مايجمع بين معنيين مختلفين حقيقة ومجازاً مع وجود قرينة تعيّن أحدهما ، وقد ضرب الطيبي لكل من هذه الوجوه أمثلة من القرآن الكريم ، ثمّ انتقل إلى الضرب الثاني وهو المجاز وهو المجاز بالاستعارة فعرّفها وذكر وجه تسميتها ، ووجه امتناعها في الاعلام إلّا إذا تضمنت نوع وصفيّة كما بيّن أن الاستعارة مجاز لغوي لأن اللفظ المستعار فيها قد نقل عن أصل ماوضع له في اللغة ، وردّ على من زعم أنّها مجاز عقلي ، وتحدّث عن التشبيه البليغ الذي اكتفى فيه بذكر الطرفين فقط ، وانتهى إلى أنّه تشبيه وليس باستعارة ، هذا وقد قسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى قسمين : الأول أن يكون الجامع أمراً واحداً ، وهو مايطلق عليه الاستعارة في المفرد ، الثاني : أن يكون الجامع في حكم الواحد ، وهي الاستعارة التمثيلية ، وتتفرع الاستعارة في القسم الأول إلى أصليّة وتبعيّة ، والأصليّة إلى مصرّح بها ، ومكنى عنها ، والمصرّح بها إما تحقيقية ، أو تخييلية ، أمّا التبعيّة فلا تكون إلّا مصرحاً بها ، وبيّن وجه تسميتها بالتبعيّة ، ووجه جريانها في متعلقات معاني الحروف ، وقد تحدّث الطيبي عن كل

تلك التقسيمات ، والتفريعات من خلال الشواهد والأمثلة ثم انتقل إلى القسم الثانى وهى الاستعارة التمثيلية ، فعرّفها ،وذكر أن المستعار فيها إمّا أن يكون على سبيل المثل ، أو التمثيل وجعل كلّاً منهما على ضربين : الضرب الأول : أن يكون تحقيقاً ، الضرب الثانى : أن يكون تقديراً ، ومثّل لكلا الضربين بنصوص قرآنية ، وشواهد شعرية .

ثمّ بعد ذلك أورد تقسيماً آخر للاستعارة باعتبار الطرفين والجامع فقسمه إلى ستة أنواع : الأول : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، الثانى : استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى ، الثالث : استعارة معقول لمعقول بوجه عقلى ،الرابع : استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى ، الخامس: استعارة معقول لمحسوس بوجه عقلى ،السادس : استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسىّ وبعضه عقلى ، وقد مثل الطيبى لتلك الأنواع بشواهد قرآنية .

ثمّ تحدث عن شرائط حسن الاستعارة ، وذكر أنّها على وجوه : أحدها أن لا تكون مطلقة ، وثانيها أن لا يشمّ فيها من جانب اللفظ رائحة التشبيه ، وثالثها أن يكون التخييلية مؤكدة لمعنى المشاكلة ، ورابعها أن تكون بعيدة الغور لا تدرك في بدء الفكرة ، وخامسها أن تكون تفصيلية ، وسادسها أن يجتمع فى الكلام عدة استعارات ، وقد استشهد الطيبى لتلك الوجوه بشواهد شعرية ، ثم انتقل الطيبى إلى النوع الثانى وهو المجاز العقلى فعرّفه ، وشرح التعريف ثم تحدث عن ملابسات الفعل نقلاً عن الزمخشرى ، ثمّ قسّم الطيبى هذا المجاز إلى أربعة أقسام : باعتبار طرفيه أن يكونا حقيقتين وضعيّتين ، الثانى أن يكونا مجازيّين وضعيّين ، الثالث أن يكون المحكوم فيه حقيقة وضعيّة ، والمحكوم عليه مجازاً وضعيّاً ، الرابع أن يكون بالعكس ، وفى تذييل ملحق بهذا النوع من المجاز أيّد رأى السكاكي فى الحاق المجاز العقلى بالاستعارة بالكناية ، وبعد أن انتهى الطيبى من الأصل الثانى وهو المجاز انتقل إلى الأصل الثالث وهو الكناية التي يقوم عليها، وعلى التشبيه والمجاز علم البيان فعرفها، وقسّمها الى مطلقة وغير مطلقة ، وذكر أنّ غير المطلقة تتنوع إلى رمز ،وتلويح ، وإيماء ،وتعريض ، واشارة ،وعرّف كل نوع واستشهد لها بشواهد قرآنية وشعرية .

وفى تنبيه ملحق بالكناية تحدّث الطيبى عن نوع من الكناية استنبطها الزمخشرى ، وأورد اعتراض الفخر الرازى عليه ، وقد ختم الطيبى على البيان بالموازنة بين الأصول الثلاثة ،وهى التشبيه والمجاز والكناية من الناحية البلاغية ، فبعد أن انتهى من علم البيان انتقل إلى علم البديع فعرفه وجعله فى ثلاثة أبواب : الباب الأول خصه بالتحسين الراجع إلى المعنى وجعله على أنواع وهى :-

الالتفات عرفه ، وجعله على ستة أقسام :- أولها الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، ثانيها من الخطاب إلى الغيبة ، وثالثها من الحكاية إلى الغيبة ، ورابعها من الغيبة إلى الحكاية ، وخامسها

من الخطاب إلى الحكاية ، وسادسها من الحكاية إلى الخطاب ، وقد بيّن هذه الأقسام بالأمثلة والشواهد، والتجريد بيّن معناه، والصور، والوجوه التي يأتي لها من خلال الشواهد والخطاب العام ، والتغليب ، والتجاهل ، والأسلوب الحكيم ، والإيهام ، والتوجيه ، واللغز، والإبداع والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل ، والمراجعة ، والإغراق ، والكلام الجامع ، وايراد المثل ، وقد عرّف الطيبي هذه الأنواع، واستشهد لها بشواهد شعرية لكنّه بعد الابداع تحدّث في فصل مستقل عن بدائع النحويين ، هذا وبعد أن انتهى الطيبي من الباب الأول المختص بالمحسّنات الراجعة إلى المعنى انتقل إلى الباب الثاني للكلام عن المحسّنات الراجعة إلى اللفظ والمعنى ، وجعله على أنواع أيضاً وهي :- المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة، والمزاوجة ، ومراعاة النظير ، والتكرير ، والطرد والعكس ، والتشبيب والتذييل ، والتكميل ، والإيغال ، والتتميم ، والترقي ، والإعتراض ، والإستطراد ، والإستتباع ، والإدماج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والرجوع ، والتفويف ، والتطريز ، والإرصاد ، والتفسير الخفي ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والجمع مع التقسيم مع الجمع ، والتضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل، والتلميح .

وقد استشهد الطيبي لهذه الأنواع من المحسنات بشواهد قرآنية، أو شعرية، أو نثرية ، وقد توقف عند مراعاة النظير فذكر أنّه يأتي على أصناف : الأول : ائتلاف اللفظ والمعنى ، الثاني ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، الثالث ائتلاف المعنى مع المعنى كما توقف عند التكرير فقسّمه إلى قسمين : الأول أن يعاد اللفظ بعينه ، وجعله على وجوه : أ - أن يكرر ليناط به حكم آخر . ب - أن يعاد ليقرر المعنى ، جـ - أن يعاد ليقارن به تمام الفصل كيلا يجيء الكلام مبتوراً لطوله . د - أن ينوه بشأن المذكور . هـ - أن يلذ بذكره .

الثاني : أن يكرّر المعنى دون اللفظ ، وجعله نوعين ، النوع الأول أن يقع في غير جملة ، النوع الثاني أن يقع في الجمل وهذا النوع يأتي على وجوه ، أ - أن يؤتى بالخاص بعد العام . ب - أن يؤتى بالعام بعد الخاص . جـ - أن يؤتى بالمساوي في المعنى . د - أن يكرّر رعاية للفواصل الشعرية .

وقد اتبع الطيبي التكرير بملحق أو تتميم لما سبق ذكر فيه أن التكرير قد يجيء للإستيعاب .

كما قسم الطيبي الاستطراد إلى نوعين : الأول : مايكون التعلق بعيداً ، الثاني : مايكون التعلق قريبا .

وقسّم الإرصاد أيضاً على ضربين : الأول : ما دلالته لفظيّة ، الثاني : ما دلالته معنوية .

كما ذكر أنّ اللف والنشر يأتي على أقسام ، أ - مايجيء على الترتيب . ب - مايجيء من غير ترتيب جـ - مايجيء اللف تقديراً .

وقد ألحق بالجمع والتقسيم تذييلاً ذكر أنّه قد يطلق التقسيم على أمرين آخرين أحدهما أن يذكر

أحوال الشيء مضافا إلى كل حال مايليق بها ، ثانيهما استيفاء أقسام الشيء بالذكر وقد استشهد الطيبي لتلك التقسيمات ، والتفريعات بشواهد قرآنية وشعرية .

هذا وبعد أن انتهى الطيبي من كلامه عن المحسنات التي ترجع إلى اللفظ والمعنى أورد فصلاً مستقلاً ألحقه بها خصه للحديث عن اتفاق الكلامين قصداً أوغير قصد، وجعله في خمسة أقسام وهي النسخ ، والسلخ ،والمسخ ، والاحتذاء ، والمواردة .

ففيما يتعلق بالنسخ عرّفه ، وجعله على ضربين : الأول : أن يتّفقا في تمام الكلام ،ويسمّى المصالتة ، الثاني : أن يختلفا في يسير من اللفظ ، ويسمى الانتحال .

أمّا مايتعلّق بالسلخ فعرفه ، وذكر أنّه يكون في المعنى ،ويكون في اللفظ فالمقبول من الذي يتعلق بالمعنى يأتيعلى وجوه :- أ - مايزاد فيه معنى . ب - مايكون الفرع أبلغ . جـ - أن يراعى فيه من معنى البديع ، د - أن يكون أبين معنى وأجود سبكاً . هـ - أن ينقل المعنى المأخوذ إلى غير محله . و - أن ينقل إلى نقيضه .

ثمّعرّف كلاً من المسخ ، والاحتذاء ، والمواردة ، وجعل الأخير على نوعين أحدهما مايجتمع فيه اللفظ والمعنى برمّته ، وثانيهما ماينفرد فيه المعنى .

وقد ختم الطيبي هذا الفصل بتذييل ذكر فيه قصة أبيات عرضها يعلى الأريسي على تلميذه ابن رشيق القيرواني وقد نقده ابن رشيق فيها .

وقد مثل الطيبي لهذه المباحث الخمسة مع التذييل المتعلق بهذا الفصل بشواهد شعرية

ثم جعل خاتمة لعلم البديع تحدّث فيها عن حسن ملاءمة الكلام ، فذكر أنّه ينبغي للمتكلم أن يتأنّق في أربعة مواضع حتى يكون جيّد السبك ، عذب اللفظ ، بديع المعنى :-

أولها : المطلع ، وحسنه أن يضمن معنى ماسيق الكلام لأجله وأن يتجنب في المديح مايتطير منه .

ثانيها : المخلص وحسنه أن يخرج من معنى إلى معنى برابطة مناسبة .

ثالثها : المطلب وحسنه أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة .

رابعها : المقطع وحسنه أن يختم الكلام بما يعي السامع نيقاً والنفس تشويقا .

وقد استشهد لهذه المواضع الأربعة بشواهد قرآنية وشعرية .

بهذا يكون الطيبي انتهى من الفن الأول ، وهو البلاغة وقد أدرج الكلام حول المحسنات اللفظية في الفن الثاني وهو الفصاحة .

هذا وقد تحدث الطيبي في مقدمة كلامه عن الفصاحة أنّه أخذ خلاصة ماقاله ضياء الدين ابن الأثير حولها في كتابه المثل السائر ، وأن له زيادات مفيدة، وحسن تأليف ثم بيّن معنى الفصاحة والبلاغة

فى اللغة ، وفى الصناعة ومدى الترابط بينهما ، وجعل فن الفصاحة فى بابين :-

الباب الأول : فى أوصاف اللفظة المفردة وذكر لها ستة أوصاف يحقق فصاحتها :-

الأولى : أن يكون تركيبها من الحروف العذبة .

الثانية : أن يتجنب فى التركيب عن الزائد عن الحركتين المتواليتين وعن الحركة الثقيلة على بعض الحروف .

الثالثة : أن تكون متوسطة بين قلة الحروف وكثرتها .

الرابعة : أن لا تكون وحشيّة غير مألوفة .

الخامسة : أن لا تكون مبتذلة سواء كان الابتذال بما غيرته العامة من أصل الوضع ، أو كانت اللفظة سخيفة في أصل الوضع .

السادسة : أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما مكروه وجيء بها مطلقة عن الدلالة على أحدهما .

وقد شمل الطيبى هذه الصفات بالشرح والبيان مع الأمثلة ، وختم هذا الباب بتتميم تحدّث فيه عن أن بعض الألفاظ اذا نقلت من موضع إلى موضع آخر انتقلت من القبح إلى الحسن ، واستعان فى توضيحها بشواهد نبوية وشعرية .

أمّا الباب الثاني : فخصه للكلام عن أوصاف التراكيب وجعلها خمسة أوصاف :-

الصفة الأولى : ماتكون مصبوبة في قالب الصنعة البديعية مما يختص بحسن اللفظ ، وجعله على أنواع :-

النوع الأول : الجناس ، فقد عرفه ، وجعله على أقسام :-

أحدها التجنيس التام ، ثانيها الناقص ، ثالثها الزائد ، رابعها المضارع ، خامسها اللاحق ، سادسها المركب ، سابعها المزدوج أو المردّد ، ثامنها الخطى ، تاسعها المشوش ، عاشرها التجنيس بالاشارة ، حادى عاشرها الاشتقاقى وهو اما أن يجمعهما بترتيب أو يجمعهما من غير ترتيب ، ثانى عشرها القلبى وهو إما قلب الكل أو قلب البعض أو قلب المجنح أو قلب المستوى ، وقد ألحق بالقلب مبحث تكميلى تحدّث فيه عن نوع من القلب وهو أن يكون فى التركيب كقولهم عرضت الناقة على الحوض أو فى المعانى كقولهم قاتله الله ماأشجعه .

وقد تنوعت شواهده على الأقسام السابقة

النوع الثانى : العكس والتبديل بعد أن عرفه ذكر أنّه يأتى على وجوه هى :-

أ - مايقع بين طرفى جملة واحدة .

ب - مايقع بين متعلقي جملتين .

حـ - مايقع بين جملتين ومتعلقيهما .

النوع الثالث : رد العجز على الصدر ، ذكر أنه في النثر بجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما أحدهما في الفقرة الأولى والآخر في آخرها ، وفي الشعر أن يكون أحد اللفظين في عجز البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو في حشوه ، أو في عجزه ، أو في صدر الثاني وهما إما أن يتفقا صورة ومعنى أو صورة أو معنى .

النوع الرابع : التصريع بعد أن عرفه ذكر أنه يأتي على ثمانية مراتب :-

أ - الكامل وهو أن يكون المصراع مستقلا في فهم المعنى .

ب - أن يكون مستقلاً ولكن له رابطة بالثاني .

جـ - أن يكون غير مستقل وهو الناقص .

د - أن يكون معلقاً على صفة في أول الثاني .

هـ - أن يكون لكل منهما في التقديم معنى وهو في المرتبة الثانية في الحسن .

و - أن يكون لفظ العجز حقيقة وهو مذموم .

ز - أن يكون مجازاً .

ح - أن يتخالف لفظا العجز لكن يتوافقان بالموازنة وهي أقبح تلك الصور .

النوع الخامس : الترصيع عرفه ، وذكر متى يكون حسناً ومتى يكون أحسن .

النوع السادس : السجع عرفه وذكر أقسامه الثلاثة وهي

أ - المطرف . ب - المتوازي . جـ - المتوازن .

وفي تذييل ملحق بالسجع ذكر أن شرائط حسن السجع وجوه وهي :-

أ - أن تكون كل واحدة من الفقرتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وهو أشرف السجع للإعتدال .

ب - أن تختلف قرينتاه في المعنى .

حـ - أن يكون ساكن الأعجاز ، ثم شرح قول بعضهم إن السجع يجري في الكلام مجرى الخال في الوجه ، وبين وجه الانكار الذي ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم للسجع في قوله أسجعاً كسجع الكهان .

النوع السابع : لزوم مالا يلزم أو الاعنات ، فقد بين معناه ، وقد دعم الطيبي هذه الأنواع السبعة وتفريعاتها بشواهد قرآنية ، وشعرية ، ونصوص نثرية .

أما الصفة الثانية : من الأوصاف الخمسة التي للتراكيب هي عدم المعاظلة والمعاظلة إما لفظية ، أو معنوية واللفظية على خمسة أقسام :-

أ - أن ترد حروف متراكبة .

ب - أن ترد ألفاظ متكررة الحروف .

حـ - أن ترد أفعال شتى متتابعة .

د - أن ترد مضافات متوالية .

هـ - أن ترد صفات مترادفة .

أما المعاظلة المعنوية فذكر أنه يقدم في الكلام ما حقه التأخير لفظاً ومعنى .

الصفة الثالثة : عدم المنافرة وهي ذكر لفظ في التركيب ويكون غيره مما هو بمعناه أولى بالذكر ، وقد ذيل كلامه في هذه الصفة ببيان أن من الألفاظ المتنافرة مالو نقل من مكانه إلى آخر قرت ، وحسنت .

الصفة الرابعة : السهل الممتنع ، وهو أن يكون الكلام سبوكاً سبكاً سهلاً ، وعراً ، قريباً ، بعيداً .

الصفة الخامسة : المطابقة وهي أن يراعى مقصد الكلام ، فمن مقام يقتضي ألفاظاً جزلة متينة ، وأخرى رقيقة رشيقة ، وقد أورد الطيبي لهذه الصفات شواهد متنوعة .

بهذا انتهى كلامه في فن الفصاحة وانتقل إلى خاتمة الكتاب ، وفي هذه الخاتمة تحدث عما يتركه الكلام الذي وقع موقعه في فني الفصاحة والبلاغة في النفس ، والسمع ، والذهن ، وذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا ، وأورد بعض النصوص الشعرية على ماذكره ، ثم أورد حديث معاذ ابن جبل عندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار أورده كالتمرين لما سبق من المسائل النظرية ، فقد شرح الحديث شرحاً بلاغيا قل أن يوجد مثله فقد استخرج اللفتات البلاغية المتعلقة بعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع حسب تفريعات وتقسيمات هذه العلوم ، كما نظر إلى الحديث من جهة فصاحته ، فقد تميز بعذوبة ألفاظه وسلامتها من التعاظل والتنافر .

وذكر أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كله على هذا النهج في قمة البلاغة والفصاحة ، لكن لا يصل إلى أسرار كلامه ، ودقائق نظمه إلا المتمكن من ناحية البيان الدقيق الفهم للأسرار البلاغية .

هذا توضيح عام ، وموجز لما جاء بكتاب التبيان ظهر من خلاله شمول الكتاب ، واحتواؤه على جميع مباحث علوم البلاغة الثلاثة المعاني ، والبيان ، والبديع ، ومباحث الفصاحة .

التبيان المنهج والخصائص

لقد سلك الطيبي في منهجه في دراسته لعلمي المعاني والبيان من جهة التعريف والتقسيم والشواهد نهج منهج السكاكي في الغالب ،وقد نقل الطيبي عنه من كتابه المفتاح في عدّة مواضع نقلاً حرفياً ، وقد أشرت إلى ذلك في التحقيق كما أيّده في كثير من آرائه البلاغية التي اعترض عليه فيها الخطيب في بعض المسائل والتي منها تقديم المسند إليه متى يفيد التخصيص ، ومفهوم الإستعارة المكنية ، والإستعارة التخييليّة عند السكاكي ، وادراجه المجاز العقلي في الاستعارة بالكناية ، وقد فصلت القول في هذه المسائل وغيرها في قسم الدراسة لكن هذا لا يعني أن الطيبي في دراسته لعلمي المعاني والبيان لم يخرج عن الدائرة التي رسمها السكاكي لنفسه في المفتاح بل خرج الطيبي إلى مجال أرحب، وأوسع أبرزت شخصيّته ، وذلك من خلال ترتيب بعض الموضوعات، ودراستها وإيراده لكثير من الشواهد الشعرية التي لم يذكرها السكاكي مما يعدّ تجديدا في الشواهد بالإضافة إلى تحليله لبعض النصوص ، هذا مايتعلّق بدراسته لعلمي المعاني والبيان ، أمّا دراسته لعلم البديع فإنه وان لم يتفق مع الخطيب وضياء الدين ابن الأثير في المنهج لكنه يتلاقى معهما في تعريف بعض المصطلحات البلاغية ، وذكر بعض الشواهد أمّا مايتعلق بالفصاحة فقد بين الطيبي تأثره بابن الأثير في المنهج ، والموضوع حين قال :- ((اعلم أن للناس في الفصاحة أقوالاً ، ولم أجد من ذلك مايعول عليه سوى ما أودعه الإمام الفاضل صاحب المثل السائر في كتابه ، وقد بسط فيه إلى أن بلغ شطر الكتاب ،وأنا أورد خلاصة ذلك مع زيادات مفيدة وحسن تأليف)) .(١)

هذا ولعل منهج الطيبي في كتابه وان لم يكن جديداً لكنه منهج متميز عن غيره يستحق الدراسة والتأمل .

القيمة البلاغية للتبيان :

إنّ خير شاهد على أهمّية هذا الكتاب ماذكره تلميذ الطيبي الذي عاش مع الكتاب فترة طويلة قراءه خلالها قراءة متأنية ، استخرج منها كثيراً من المعاني ،والدقائق ، يقول الشيخ علي بن عيسى تلميذ العلامة الطيبي في مقدمة كتابه الحدائق :-

((... إلى أن ظفرت بكتاب التبيان .....

فوجدته بين كتب هذا الفن كالروح من الأبدان، وكالإنسان من العين، أو كالعين من الانسان محتويا على

---

(١) الحدائق ص ١٥٤٦

جميع مقاصد هذه الصناعة مشتملاً على كل مايحتاج إليه المتعلم المبتدئ، ويفتقر إليه البارع المنتهي معجزاً في العبارة كأنّ حلى المعاني أفرغت في قالب ألفاظه أو خلل اللفظ فصّلت على قامة معانيه)) .(١)

فالشارح ميز واختار كتاب أستاذه الذي عثر عليه بعد جهد المطالعة في الكتب المصنفة في هذا الفن ، واختاره على غيره لتميزه عنه من الناحية الموضوعية حيث اتّسم بالشمول ، والاستقصاء في موضوعاته ، ومن ناحية أسلوبه فيتّسم بالمتانة والإيجاز .

ولنستمع إلى الطيبي وهو يشيد بكتابه في المقدمة فيقول :-

((هذا وان كتابي إذا تركت المراء واتبعت الهدى قلت هو بديع في اغرابه ، واذا رمقت بعين الرضى ، وجانبت الهوى خلته مفرداً في بابه ...)) .(٢)

والذي يظهر لي أنه على الرغم من كل ماقيل في محاسن الكتاب لا يخلو من بعض المآخذ والهنات ، فعلى سبيل المثال من ناحية خطة الكتاب ، ومنهجه نجده لم يفرد موضوع القصر بباب مستقل ومن ناحية الأسلوب نجد أسلوبه في بعض المواضع يغلب عليه الغموض إذ لا يستطيع القارئ الوصول إلى المعنى الذي يريده المؤلف إلا بصعوبة وعسر وهو في هذا متأثر بأسلوب السكاكي ، ولعل مثل هذه الهنات لاتنقّص من قيمة الكتاب أو ينقص من شأنه ، فجزى الله الطيبي خير الجزاء لما قدم من خدمة في سبيل هذا العلم ولتصنيفه لهذا الكتاب القيم والذي حظي من قبل الدارسين بالشرح والدراسة .

من جهود الطيبي في كتابه :

إنّ الدارس لكتاب التبيان يظهر له مدى الجهد الذي بذله الطيبي فيه كما يتبيّن له ذلك من كلام تلميذه في اشادته بالكتاب والذي ذكرته سابقاً لكن هذا لا يمنع من ذكر كلام الطيبي في الجهد المتميز الذي بذله في الكتاب إذ يقول :-

((هذا وان كتابي اذا تركت المراء واتبعت الهدى قلت هو بديع في اغرابه ، واذا رمقت بعين الرضى وجانبت الهوى خلته مفرداً في بابه لما ضمّنته من مباحث المفتاح ماكان أصولها ، ومن مناقث الكشاف ما آض محصولها، ورشحته بما في المصباح ، والايضاح من النوادر ، ووشحته بزبدة النهاية ، والمثل

---

(١) الحدائق ص ٣

(٢) الحدائق ص ٣٨

السائر ، وعقلت ماشذ على بعضهم من الأوابد، فانقيد للأزمة تلك القواعد الشوارد ، ونظمت فيه من عيون فوائد النثر ، ودرره ، ومختار قلائد النظم . ومجتبره ، ولم آل جهداً في الترصيف، والتنقيح والتوفير من المباحث مع التوضيح، وأدرجت في تضاعيف ذلك مما هداني الله إليه من لطائف مالم تكن مبتدعة ومنحني منها مالم تجد فيها مودعة)) .[1]

فهذا نص صريح على لسان المؤلف يبيّن فيه مدى الجهد الذى بذله فى الكتاب ، وسيجد الدارس للكتاب أثر هذا الجهد فى تضاعيفه .

من مصادره فيه :

لقد نصّ الطيبى فى مقدمة كتابه على بعض المصادر التي اعتمد عليها حين قال :- ((...لما ضمّنته من مباحث المفتاح ماكان أصولها ومن منافث الكشاف ما آض محصولها ، ورشحته بما فى المصباح والإيضاح من النوادر ، ووشحته بزبدة النهاية ، والمثل السائر ....))[2] لكن الدارس لكتابه يجد أنه رجع إلى مصادر أخرى فى التفسير والنحو والبلاغة والأدب وغيرها، وقد ذكر الدكتور عبد الستار مجموعة من هذه المصادر خلال دراسته للكتاب فبعد أن نقل كلام الطيبى السابق قال :-

((.....اذ من مصادر الكتاب أيضاً :- تحرير التحبير لابن أبى الاصبع - الوشى المرقوم لابن الأثير، تفسير الرازى - اعراب القرآن للزجّاج - أمالى ابن الحاجب - كتب الراغب الأصفهانى - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى، الكتاب لسيبوية - مجمع الأمثال للميدانى - يتيمة الدهر للثعالبى)) .[3]

ولعل كثرة وتنوع مصادره تبيّن سعة اطلاعه وغزارة علمه مع تمكّنه، ورسوخ قدمه فى مختلف العلوم والفنون، وتشهد أيضاً على أمانته العلمية ومنهجيّته فى التأليف ، وهذا هو شأن علمائنا الأجلاء ، ومنهم الطيبى رحمهم الله تعالى ..

ثالثا : الشارح الشيخ على بن عيسى تلميذ الطيبى :-

من الشيخ على بن عيسى ؟ :

لقد سكتت كتب التراجم التى تيسّر لى الحصول عليها سكتت عن الترجمة للشيخ على بن عيسى ، أو التعريف به سواء منها تلك التى ترجمت لأستاذه الطيبى ، والتى ذكرتها فيما سبق ، أو غيرها من كتب

---

(١) الحدائق : ص ٣٨ - ٤٦

(٢) الحدائق : ص ٤٠ ، ٤٢

(٣) انظر قسم الدراسة من التبيان : ص ٣١

التراجم مثل كتاب طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، وكتاب طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ ، وكتاب فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، وكتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، وكتاب النجوم الزاهرة وكلاهما لأبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ، وقد أوردتها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لكن حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ عندما ذكر كتاب التبيان للطيبي ذكر أن تلميذه الشيخ على بن عيسى شرح التبيان في كتاب سماه حدائق البيان وأنه شرح بالقول ، ونقل حاجي خليفة بعض ماقاله على بن عيسى في مقدمة الحدائق ، وذكر أنه فرغ منه في أواخر شوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة للهجرة [1] ، كما ذكر الشيخ إسماعيل باشا البغدادي اسم الشيخ على بن عيسى في كتابه إيضاح المكنون عند سرده للكتب المصنفة المبدوءة بحرف الحاء ذكر الحدائق وقال :- ((حدائق البيان في شرح التبيان لعلي بن عيسى تلميذ صاحب المتن الطيبي)) [2]

يتبين من هذا أن الشيخ على بن عيسى من العلماء المغمورين الذين لم ينالوا حظهم من الاشادة بهم ، وذلك بالترجمة لهم وتتبع سيرهم كغيرهم من العلماء لكن هذا السكوت من قبل المترجمين لا يمنع من محاولة التعريف به ، وتسليط الضوء عليه في جوانب من حياته وذلك من خلال ماقاله في مقدمة الحدائق

مكانته عند أستاذه الطيبي :

لقد بلغ الشارح رحمه الله تعالى مرتبة رفيعة عند أستاذه رحمه الله تعالى بين تلامذته وحظي عنده بعناية ، وتوجيه خاصين .

وقد حكى الشارح هذه العناية في مقدمة الحدائق فقال :-

((.....فلما حضرت بين يديه ، وشاهدت أحواله ، وسمعت مقاله .....

.....

فأزمعت على الإناخة بفنائه ، وحط الرحل بساحته ، والإنخراط في سلك تلامذته ، والمشاركة في مباحثاتهم ، ومناظرتهم ، ووظائف استفادتهم .....

وهو أدام الله أيامه كثير الاهتمام بحالي ، عظيم الامتنان كامل الرعاية ، وافر العناية ، منعم علي بمزيد الارشاد والاسعاد وافاضة الخيرات والمبرات .....)) [3].

---

(١) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(٢) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل بن باشا البغدادي : ٣/ ٣٩٥ ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

(٣) حدائق البيان ص ٣ ، ٥

وهذا إنما يمثّل علاقة وثيجة بين تلميذ أخلص في طلب العلوم الاسلامية ، وبالخصوص علوم البلاغة ، وفارق الأهل والاخوان، وتحمّل المشاق في سبيل تحصيلها كما سأبينه فيما بعد ، وبين أستاذ وهب نفسه للعلم، وطلابه ، وبالخصوص العلوم الاسلامية ومنها علم البلاغة ، وذلك بوضع المصنفات فيها وتوجيه طلابها، وما يؤكد ويوثق كلام الشارح من عناية أستاذه به ، وتوجيهه له ماذكره ابن حجر عند ترجمته للطيبي من أنّه يعين طلبته ، ويجزيهم بدون مقابل يقول ابن حجر في هذا :-

((ملازما لاشغاله الطلبة في العلوم الاسلامية بغير طمع بل يجزيهم ، ويعينهم ، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده، وغيرهم من أهل البلدان من يعرف ، ومن لا يعرف محبّاً لمن عرف منه تعظيم الشريعة مقبلاً على نشر العلم)) .(١)

فهذا النص يؤكد لنا حديث الشارح السابق من عناية أستاذه به، وتكريمه له ، ويدلّ ضمناً على أن الشيخ علي بن عيسى باعتباره لقي تلك العناية أنه في فترة طلب العلم عند أستاذه كان من الطلاب الذين عرف عنهم تعظيم علوم الشريعة ، لذا نال حبّ وتقدير أستاذه ، فرحمهما الله تعالى . .

وفاء الشارح لشيخه :

إنّ النتيجة الطبيعية لتلك العلاقة المتميزة بين الطيبي وتلميذه ستكون وفاءً ، وعرفاناً بالجميل ، ودعاء من التلميذ لأستاذه ، وهذا ماكان من الشارح رحمه الله تعالى ، فقد قال في المقدمة :-

((ولو أنّ لي في كل منبت شعرة لساناً بيثّ الشكر كنت مقصّرا

نعم إذا عجز الانسان عن شكر نعمة، وقال جزاه الله خيرا ، فقد كفى ، أسأل الله أن يجزيه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة . . . .))(٢) ، وقال أيضاً :-

((. . . . . وسارعت إلى جناب مصنفه أسبغ ظلاله ، ولا أعدمنا أفضاله . . . .)) .(٣)

هكذا كانت العلاقة بين علمائنا الأجلاء وبين تلامذتهم رحمهم الله تعالى علاقة مثلى تقوم على أساس الاخلاص في طلب العلم والمحبّة ، والوفاء ، والتواضع ، والعرفان بالجميل .

اشادته به وبيان قدره العلمي :

إنّ إشادة التلميذ بأستاذه غير مستغرب وخاصّة من الشيخ علي بن عيسى الذي عرفنا ماعرفنا من شدة وفائه وحبه لأستاذه يقول في أستاذه :-

---

(١) الدرر الكامنة : ٢/١٥٦

(٢) الحدائق : ص ٥

(٣) الحدائق : ص ٣

((إلى أن ظفرت بكتاب التبيان للإمام المحقّق ، والحبر المدقق مالك أزمّة الفضل قدوة أئمة الأدب ، برهان المفسّرين ، تاج المحدّثين ذى النفس القدسيّة ، والملكات الملكيّة شرف الملة والدين حسين بن عبدالله بن محمد الطيبى زاد الله توفيقه وسهّل إلى نيل السعادة طريقه ...)) . (١)

كما قال فى موضع آخر فى - نهاية شرحه لحديث سعد بن عبادة شرحا بلاغيا :- ((ولعمرى إنّ من وقف على هذه الوجوه المستنبطة فى الحديث شهد لجلالة رقّة فهم مصنفه العلامة وذكاء قريحته الوقّادة أنه ممنون بتوفيق الله ومنّه ، ولا غرو أنه نسيج وحده فى فنّه فكم مثلها سحر البيان من عنده .....)) . (٢)

تواضع الشيخ على بن عيسى رحمه الله تعالى :

ان أبرز صفة يتحلى بها العالم فضلاً عن طالب العلم هى التواضع والبعد كل البعد عن الخيلاء الذى يكون سبباً فى حرمان العالم من محبة الناس ، وبعدهم عنه ، وقد يؤدى إلى حرمانه من فوائد علمية كثيرة توصّل إليها من هو أعلم منه لكنه بغروره يستنكف عن الأخذ عنه أو يحرم هو من التوفيق لاعتقاده أنّ ماوصل إليه هو الصحيح وليس غير ذلك فيبعده ذلك من التذكير فى المسألة مرة أخرى ، أمّا بالنسبة لطالب العلم فإنّ الخيلاء يعدّ أكبر عقبة فى طريق تحصيله العلمى ، فإنّه بسلوكه هذا المسلك يحرم نفسه من خير كثير يرد على لسان أساتذته ، وهذا السلوك قد يوقعه فى أخطاء علمية كان فى غنى عنها لو تواضع قليلا ، وسأل شيوخه ، هذا والمأثور عن علمائنا الأجلاء وتلامذتهم هو صورة مثلى للعالم منهم ، وطالب العلم من التواضع الجمّ مع العلم الغزير ، وأبرز شاهد على ذلك ماذكره الشارح رحمه الله تعالى فى مقدمة الحدائق فإنّه على الرغم من شرحه وتوضيحه وتفصيله للمسائل البلاغية التي أجملها أستاذه وإيراده لفوائد لم يعرض لها أستاذه ، وشرحه للشواهد شرحاً وافياً من جهة مفرداته ، ومعناه ، وموضع الشاهد فيه فعلى الرغم من كل ذلك نجده يقول :- ((.....معترفاً بقصور الباعة ، وقلّة البضاعة في الصناعة مقراً بأنّ شربى منها كان رشحاً دون النهل ومكانى منها سفحاً دون القلل .....)) . (٣)

---

(١) الحدائق : ص ٣

(٢) الحدائق : ص ١٧٣٦

(٣) الحدائق : ص ٧

هذا التواضع الجم من الشارح رحمه الله تعالى يقتدى فيه بأستاذه الطيبى فعلى الرغم من القيمة البلاغية التى نالها كتابه التبيان وقد بينت بعضها فيما سبق على الرغم من ذلك قال :- ((..... ومع هذا لا آمن فيما أوردته من سلق، وسبقه، وطغيان اليراع، وخرقه وأنّ الفاضل من تعدّ سقطاته وتحصى غلطاته مع أنّى بالقصور فى الصناعة معترف ومن مزجاة البضاعة مقترف ...)) (١).

هذه سورة مثلى ونموذجية فى التواضع من عالم جليل وطالب علم حريص لم تنقص من قدرهما شيئا بقدر ما رفعت من شأنهما ، فرحم الله الجميع ..

أمانته العلمية :

إنّ أبرز صفة تميّز العالم هى أمانته العلمية ، وإشارته الى المصادر التى أخذ عنها ، ونسبة الجهود إلى أصحابها ، وعدم نسبتها إلى نفسه إلّا إذا كان صاحبها ، وهذا ماكان من علمائنا الأجلاء ومنهم الشارح الذى ذكر بعض المصادر التى اعتمد عليها فى المقدمة حيث قال : ((..... مما استفدت من خدمته فى أثناء القراءة ، ومما أملى علىّ خالة الكتابة وفى غير تلك الحالة ومما كتبه على حواشى الكتاب بعد المراجعة ، والمراودة ، والمطالعة للكتب المعتبرة فى هذا الفن كشرحى المفتاح وغيرهما .....)) (٢)

هذا النص يدل على مدى دقة الشارح ، وحرصه الشديد على نسبة الجهود إلى أصحابها فإنّه لم يكتف بذكر المصادر المحررة بل ذكر المصادر الشفهيّة التي استفاد منها ، فهذه قمة الأمانة العلمية، وسأبين فيما بعد تنوع مصادره .

عقيدته رحمه الله تعالى :-

إنّ المتتبع لكتاب الحدائق يتبين له أنّ مذهب صاحبه الشيخ على بن عيسى من الناحية العقديّة هو مذهب أهل السنّة والجماعة ، ذكر ذلك صراحة لا مواربة فيها من خلال رده على الزمخشرى والسكاكي اللذين هما من المعتزلة .

فقد مثل الطيبى لحذف المسند إليه لأن الخبر لا يصلح إلّا له حقيقة بقوله خالق لما يشاء (٣) ، أما الشارح فإنّه وجه المثال بمقتضى مذهب المعتزلة الذين منهم السكاكي وبمقتضى مذهب أهل السنة وهو مذهب الشارح فقال :- ((قوله خالق لما يشاء استشهد به صاحب المفتاح وفيه اعتزال خفى لأنّ العبد

---

(١) الحدائق : ص ٤٧ ، ٤٩

(٢) الحدائق : ص ٧

(٣) انظر الحدائق : ص ١٥١

أيضاً خالق عندهم فلابدّ من قيد مايشاء ليخرج العبد ، وأمّا عند أهل السنة فالعبد إن لم يكن خالقا حقيقة فقد يكون على المجاز ، قال الشاعر:-

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب بسمر القنا والبيض عيناً وحاجبا

فاذن عم الاستشهاد به بقيد مايشاء حتى يخرج العبد عنده حقيقةوعندنا مجازا .[1]

كما ذكر الطيبى عند كلامه عن وجه الشبه فى قوله تعالى ((وأشرقت الأرض بنور ربها))[2] أنه تعالى نعت العدل بالنور[3] .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فبيّن توجيه الآية إذا حمل النور على المجاز أى العدل ، كما ذهب إليه الزمخشرى وتوجيهها إذا حمل على الحقيقة كما ذهب إليه الطيبى ، وهو مارجحه الشارح ، يقول الشارح فى كل ذلك :- ((قوله ((نعت العدل بالنور)) أى شبه باقامة الله الحق والعدل فى أرض القيامة للانتفاع بها ،وتزيين الأرض بسببهما بإشراق النيرين وجه الأرض،وبيّن مافيها ثمّ حذف المشبه ، وأقيم المشبه به مقامه وجعلت اضافة النور إلى الرب ثم اضافة الرب إلى الأرض قرينة هذا إذا أريد بالنور العدل كما ذكر في الكشاف وأمّا إذا أجرى على حقيقته كما ذكر فى فتوح الغيب وهو الأظهر فيخرج عن الاستشهاد به))[4]

هذا الأظهر هو الأسلم إن شاء الله تعالى .

كما يشهد على أن الشارح على بن عيسى سنى المذهب،وليس شيعيا اشادته بالشيخين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى كثير من المواضع فى كتابه .

رده على المتفلسفة وأتباع الفرق الضالة :

إنّ عداء الشارح رحمه الله تعالى للمتفلسفة ، وأصحاب الآراء الزائغة ينبع من مذهبه العقدى ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون فى أخذهم على الرواية الصحيحة ويقفون عند لفظ النصوص فى المتشابهات،وصفات الله تعالى فلا يدخلون فى هذه المسائل بعقولهم المجردة كما فعل غيرهم من المتفلسفة وأصحاب الفرق الضالة ممن وصلت بعض آرائهم إلى الكفر أعاذنا الله من ذلك ، لهذا لا نستغرب بغض الشارح لهم فقد استشهد الطيبى[5] لذكر المسند اليه بغرض الاستضفاء

---

(١) الحدائق : ص ١٥١

(٢) من الآية ٦٩ من سورة الزمر .

(٣) انظر الحدائق ص ٧٩٥

(٤) الحدائق ص ٧٩٥ ، ٧٩٧

(٥) انظر الحدائق ص ١٦٧

بسطاً للكلام لأنّ المقام يقتضيه استشهد بقوله تعالى :- ((هي عصاي)) [1] أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه بعد أن ذكر وجه اقتضاء المقام لذكر المسند إليه في الآية نقلاً عن السكاكي وحلّل كلامه ، وبعد أن نقل كلام الزمخشري عن المآرب الأخرى التي كان موسى عليه السلام يستعمل لها العصا ، قال بعد هذا :-

((..... ونحن إنّما أرخينا عنان القلم في هذا الباب لأنّه مقام البسط والاطناب لنريك أن الله تعالى حمى مشارع كلامه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من أن يكون موارد أهل البدع ، والأهواء ومشارب أصحاب الزيغ والأراء كالمتفلسفة ومن ضارعهم)) . [2]

ويشهد أيضاً لما قلت من ذم الشارح للمتفلسفة وطعنهم ماذكره عند شرحه لبيتي الصاحب بن عباد وهما :-

وطور بن سينا زمانا قد فرقت به ... ومادروا أنني ذو طور سيناء

قامت علىّ لدنيا زواخره ... من كوثر المصطفى طوبى لآء [3]

فقد قال الشارح :- ((..... ونعم ماقال من قال عليك أن تسدّ سمعك من أباطيل الفلاسفة لأنّه لو مزجت قطرة منها بالبحر لمزجته وأنّها لم تزل علوم مشئومة تورث في الدنيا الخزي والهوان وفي الآخرة الخيبة والخسران .....)) . [4]

من خلال هذا يظهر لنا أنّ الشارح إنّما يبغض المتفلسفة وأصحاب الآراء الزائفة لآرائهم الفاسدة البعيدة عن الكتاب والسنة .

وقفات مع الشارح :

من خلال دراسة أسلوب الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى يمكن الاستنتاج بأنه متأثر بالمتصوفة يتجلى ذلك من خلال أسلوبه في بعض المواضع التي غلبت عليها الروح الصوفية ، كما أنّه استعان ببعض عباراتهم التي تدور على ألسنتهم في العادة ، ومن الشواهد على ماقلت من خلال كلامه ماذكره في تفسير سورة الكوثر تفسيرا صوفيا فقال :- ((ويمكن أن ينزّل المعنى على لسان أهل العرفان فإنّ

---

(١) من الآية ١٨ من سورة طه

(٢) الحدائق ص ١٧٣

(٣) انظر الحدائق ص ١٥٨٧

(٤) الحدائق ص ١٥٨٩

قوله ((إنّا أعطيناك الكوثر))[١] كما دلّ على ذلك المعنى بعبارة النص يدلّ باشارته على سبيل الإدماج على العناية الأزليّة ، والجذبة الأوليّة ، ويدلّ قوله تعالى ((فصلّ لربّك))[٢] على السلوك بعد الجذبة والعروج إلى مدارج القدس ، ومخدع الأنس ، وكما دلّ ((وانحر))[٣] بالعبارة على ماشرحناه دل بافادته على نحر النفس الأمارة بالمجاهدة ، وقمع شهواتها بالرياضة وكذا قوله ((إنّ شانئك هو الأبتر))[٤] يدل باشارته على قطع نصيب الشيطان ، وتسويله من النفس الزكية الطاهرة النبوية كما قال ولكن الله أعانني عليه فأسلم))[٥] .

ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :-

وان قلت مالي الذنب قلت مجيبة حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

الذى استشهد به الطيبي[٦] مع بيتين آخرين معه على المراجعة وهي السؤال والجواب، أو المحاورة التي تجرى بين اثنين ويحكيه شخص ثالث ،فقد قال :- ((وقوله حياتك ذنب اشارة الى مقامات العارفين وفناء المحب في بقاء المحبوب، واضمحلال الرسوم للتهيء للوصول، والتخلية للتجلية))[٧] .

ومن الأمثلة أيضا ماذكره الشارح عند قول الطيبي[٨] :- ((من عرف الله طال لسانه)) والذى أورده عند شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، فقال الشارح رحمه الله تعالى :-

((قوله طال لسانه هذا اشارة إلى كون العارف مكمّلاً لغيره يدعوه إلى طريق السلوك وقوله كلّ لسانه اشارة إلى كمال حاله وفنائه عن أوصافه تلخيصه الأول يدل على الدعوة والثاني على الخلوة))[٩] .

والذى يظهر لدارس التاريخ الاسلامي أنّه عندما تنزل بالمسلمين الكوارث والمصائب كالحروب

---

(١) الآية ١ من سورة الكوثر .
(٢) (٣) من الآية ٢ من سورة الكوثر .
(٤) الآية ٣ من سورة الكوثر .
(٥) الحدائق ق ١٣
(٦) انظر الحدائق ص ١٢١٥
(٧) الحدائق ص ١٢١٥
(٨) انظر الحدائق ص ١٧٢١
(٩) الحدائق ص ١٧٢١

المدمرة مثلا وغيرها يعود الناس إلى حياض الدين عودا قوياً ، فبعضهم يسلك في عودته الطريق القويم الصحيح وهو الأخذ من المصدرين الأساسيين ، وهما الكتاب والسنة الصحيحة ، وهما ماعليه سلف هذه الأمة ، وبعضهم يتخبط في طريق عودته بسلوك طرق بعيدة عن المصدرين السابقين كبعض طرق الصوفية الذين يغرقون في الخرافات والمبالغات ، والغلو البعيدة كل البعد عن منهج الكتاب والسنة وفي عصر الشارح رحمه الله تعالىْ نجد أنه بعد أن ابتلى الناس بنكبة التتار ، وما جرى على أيدي هؤلاء من الفظائع ، والويلات عاد الناس إلى دينهم واختلفوا في سلوك طريق العودة فعلى رأس العلماء الذين ساروا على الطريق الصحيح في العودة إلى الدين بالاعتماد على الكتاب والسنة الامام ابن تيمية ومن تبعه رحمهم الله تعالى على أنّ هناك علماء آخرون سلكوا طرقاً أخرى من تصوف ، وغيره لهذا لا نستغرب انتشار التصوف في أنحاء العالم الاسلامي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ومن الأمور التي تؤخذ على الشارح رحمه الله تعالى اعتماده على روايات ضعيفة جدا نقدها كثير من العلماء في مسألة طلاق زيد بن حارثة رضي الله عنه لزينب بنت جحش رضي الله عنهما وزواج الرسول صلى الله عليه وسلم منها فيما بعد ذكر ذلك عند حديثه عن التلميح إلى قصة وقد ناقشت هذه المسألة في موضعها في التحقيق [1] ، ورددت عليها وبينت الصواب فيها من خلال أقوال العلماء فيها رحمهم الله تعالى .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٦٣ - ١٤٦٥

أبرز الملامح السياسية في عصره

ذكرت فيما سبق أن كتب التراجم سكتت عن ترجمة الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى حتى يتسنى لنا معرفة موطنه الأصلي ومحاولة ربطه بأحداث عصره لكن الأمر الثابت أنّه جاء إلى أستاذه الطبيبي من بلاد بعيدة وتحمّل مشاق السفر ، ذكر ذلك في مقدمة الحدائق حيث قال :-

((.....بحيث دعاني ذلك الطلب إلى تطواف البلاد ، ومهاجرة الأوطان ، ومباعدة الاخوان ، وتحمّل أخطار الأسفار ، وقطع المهامة والقفار .....

فلما حضرت بين يديه ، وشاهدت أحواله ، وسمعت مقاله أنشدت :-

وتستعظم الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

.....فأزمعت على الاناخة بفنائه ، وحطّ الرحل بساحته ، والانخراط في سلك تلامذته .....

ولما جرى الأمر على ماذكرت فكثيراً ماخطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب اعانة للطلاب ، وتقريرا لمرامهم مايتعلق بحل مشكلاته .....

لكن عاقني عوائق الزمان ، وطوارق الحدثان عن امضاء تلك العزيمة إلى أن أمرني الأستاذ المصنف أدام الله أفضاله ، وأشار وكان إشارته لي غنماً ، وطاعته على حتماً بمثل ماوقع في خاطري مراراً من تأليف تلك الفوائد ، ونظم تلك الفرائد ، ولمّا انضم أمره العالي إلى ذلك الخاطر فلا يمكنني التوقف ، والامهال ، والتمهّل والاهمال فصمم العزم على امتثال أمره ، وشمرت عن ساق الجد شرعت فيه مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه .....)) .(1)

والمعروف أن الشيخ علي بن عيسى انتهى من الحدائق في حياة أستاذه أواخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة للهجرة كما نصّ عليه في آخر الكتاب ، فمن خلال هذا الكلام الذي ذكره الشارح في المقدمة من أنه نزل عند أستاذه ، وتتلمذ عليه ، وقرأ عليه التبيان إلى أن خطر له شرح الكتاب لكنه لم يمض عزمه إلى أن أشار عليه أستاذه بذلك ، فامتثل أمره ، ومن خلال ذكره لتاريخ انتهائه من الكتاب يمكن الاستنتاج أنّه بقي عند أستاذه عدة سنوات ، وإن لم يتبيّن عددها بهذا ، وقد ذكر الدكتور عبدالستار محقق التبيان في قسم الدراسة أن الطيبي سواء كانت نسبته إلى مدينة طيب أشهر بلدة في اقليم أذربيجان بايران على اعتبار أنّها موطن

---

(1) الحدائق ص ٣ ، ٥ ، ٧ .

أسرته ، أو أنه عاش بمدينة تبريز بايران فعلى أى الاعتبارين فالطيبى من ايران التى كانت مركز سلطة المغول الايلخانيين حينذاك .(١)

هذا وقد ذكر الشارح كلمة موجزة للوضع العام فى مدينة تبريز سنة ست وثلاثين وسبعمائة اذ وافق شرحه لبيتى ابن عثين :-

وكنا نرجّى بعد عيسى محمداً ... ليكشف عنّا شدة الضرّ والبلوى

فأوقعنا فى التيه موسى فكلّنا ... حيارى ولا منّ هناك ولا سلوى (٢)

فقد قال الشارح :- ((ومن الاتفاقات العجيبة أنّ وافق شرح هذين البيتين شهور سنة ست وثلاثين وسبعمائة وفى ربيع الآخر منها توفى السلطان أبو سعيد خان وملك بعده أرپا خان وكان يتّهم بالتعصب للملّة العيسوية ، ثمّ فى أواسط رمضان منها ملك موسى خان ، وكان الناس يتوقّعون منه ، ومن اجتمع عليه صلاح دينهم ودنياهم فى عهدهم بما عهدوا قبل ذلك من تدينهم وحسن سيرتهم فشغلهم فى ذلك أمور حسبوها مصالح ، وكانت مفاسد وهى ميلهم الى الأغراض العاجلة ، وركونهم الى الخطام الدنيوى فوقع النهب فى بيوت الوزير ، وأصحابه فى مدينة تبريز وعمّ الخطب وتكدّرت القلوب بتشتيت الأحوال ، وانسدّت الطرق على التجّار من كل أوب ، وانقطعت السبل حتى بيع منّ السكر بخمسة دنانير ، وورقة من الكاغد بدرهم ، ثمّ فى أواسط ذى الحجة ملك محمد خان ، ثم انتهى ملكه فى آخر ذى الحجة لسنة ثمان وثلاثين منها (٣))) فمن خلال ما استنتجناه سابقاً من أن الشارح على بن عيسى رحمه الله تعالى بقى عند أستاذه الطيبى رحمه الله تعالى عدّة سنوات ، وأنّ الطيبى عاش فى مدينة تبريز ، ومن خلال ماذكره الشارح عن أحوال الناس فى مدينة تبريز التى تعدّ أشهر بلدة فى اقليم أذربيجان التابعة لدولة ايران فى ذلك الوقت فمن خلالها يمكن التعريف بالأوضاع السياسية فى ايران بصورة موجزة خلال الفترة التى صنّف فيها على بن عيسى شرحه ، فقد ذكر الدكتور عبد الستار أنّه فى أوائل القرن السابع الهجرى توحّدت القبائل المغوليّة عبر آسيا تحت قيادة جنكيز خان ، فاكتسح البلاد جنوباً وشرقاً ،وسيطر على الصين المتحضّرة فى ذلك الوقت ، ثمّ اتجه إلى الغرب فاكتسح الدولة الخوارزميّة ، واستمرّ الجيش المغولى فى تقدمه فاستولى على بخارى وسمرقند وبلخ وغيرها من المدن والحواضر الاسلامية ،

---

(١) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٣ ، ٤

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٤٤

(٣) الحدائق ص ١٤٤٤

وقد قتل فى هذا الغزو ملايين الناس من أهل إيران وغيرها من البلاد ، ثم رجع جنكيز خان إلى الشرق بعد أن تمّت له السيطرة على أغلب ايران ، وتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، فتوالت الأحداث إلى أن أرسل ملك التتار منكوقا آن حفيد جنكيز خان أخاه هولاكو سنة ٦٥١ هـ فأخضع أمراء إيران ، والقوقاز ، وفتح حصون الاسماعيلية ، وأسقط الخلافة فى بغداد فى صورة همجية وحشية ، وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس فى المحرم سنة ٦٥٦ هـ ، ثم توجه جنوب غرب يقصد الشام ومصر ، ولم يوقف زحفه الاجرامى المخرب إلا فى موقعة عين جالوت فى فلسطين سنة ٦٥٨هـ ، فارتدّ خطر التتار عن مصر والعالم كله ، ومالبث أن انحسر شرّهم عن الشام سريعاً لكن نفوذهم وسيطرتهم استمرا فى العراق ، واتصل ملكهم من بادية الشام إلى التركستان الشرقية فحكم هولاكو الأقطار التى استولى عليها فى هذا الغزو الذى أرسله أخوه ، وتمتدّ هذه الأقطار من نهر جيحون إلى البحر الأبيض المتوسط ، ومن جبال القوقاز إلى المحيط الهندى ، وأنشأ لنفسه فى هذه المناطق دولة جعل مركزها ايران ، واتخذ لنفسه لقب ايل خان[1] الذى انتقل إلى خلفائه من بعده ، وأكسب دولتهم هذا الاسم فصارت تسمى ((دولة الايلخانيّين فى ايران)) وتتابع على ملك هذه الدولة بعد هولاكو ذريته من بعده وكان آخر ملوكهم أبا سعيد الذى توفى سنة ٧٣٦ هـ ، ثمّ تنازع الملك بعده بضع سنوات بعض المطالبين بالعرش من الفروع البعيدة عن الشجرة المغوليّة ، واستمرت هذه الدولة من أواسط القرن السابع الهجرى إلى منتصف القرن الثامن الهجرى ، وبالتحديد سنة ٧٤٤ هـ ، وقد اتسعت أرجاء هذه الدولة حتى شملت مساحات شاسعة امتدت من نهر السند شرقا إلى حدود سورية ، وأملاك الدولة البيزنطية غرباً ، ومن بحر قزوين والقوقاز شمالا إلى بحر الهند جنوبا ، وشملت ولايات كثيرة ، ومدناً وحواضر هامّة من تلك الولايات خراسان ، وقوهستان ، وكرمان ، والعراق العجمى ، وفارس ، وخوزستان ، وأذربيجان ، والعراق العربى .

هذا وعلى الرغم من أن هجوم المغول واجتياحهم المدن والقرى أورثها الخراب والدمار وأهلكوا الحرث والنسل ، ونشروا القتل والرعب بين الناس لكن سرعان ما استجاب منهم الايلخانيون للحضارة المحيطة بهم ودخلوا فى الاسلام ، وشاركوا فى بناء الحضارة الاسلامية ، وعوّضوا العالم عن بعض ما أصابه على أيديهم من التدمير والتخريب ، لكنّ هؤلاء الايلخانيين اتسمت دولتهم بالثورات المتعددة ، والفتن ، والقلاقل ، والاضطرابات المتلاحقة اذ لم يخل عهد من عهود ملوكهم من قيام

---

(١) ومعناها أمير القبيلة أو الأمة ، أو الأمير العظيم ، أو الأمير القوى ، انظر قسم الدراسة للتبيان ص ١٤ .

فتن وثورات حتى فى عهد أقواهم وهو غازان ، ويعلّل المؤرخون قيام هذه الثورات وتدبير الفتن والمؤامرات فى عهد هذه الدولة الايلخانيّة أنّهم يعيشون فى مجتمع لا يحترم مبدأ الوراثة فى تولّى الملك بل كان القواد العسكريون لهم شأن عظيم ، وتأثير كبير ، وسيطرة واسعة فى مجريات الأحداث وخاصة بعد أيام هولاكو ، وأباقاخين اعتلى عرش الدولة ايلخانات ضعاف ، وقل اهتمام القواد بالحروب والغزو فصاروا يتدخلون فى شئون الدولة ، وشئون العرش ، ومن أسباب تلك الفتن أنّ من نظام الدولة تولية أكثر من وزير لمهمّة واحدة ، وقد أدى ذلك إلى التنافس الذى أدى إلى الحقد والضغينة وتدبير المؤامرات[1] ، ولعلّ هذه المآسى من أسباب ضعف هذه الدولة فيما بعد ، وسقوطها سريعاً ، إذ لم يصل عمرها إلى مائة عام .

هذه أبرز ملامح العصر من الناحية السياسية .

الحالة العلمية فى عصره :-

على الرغم من الأحداث التى دهمت إيران على أيدى المغول كما ذكرنا سابقاً ، وعلى الرغم مما أصاب الأقاليم من التخريب والتدمير وما اكتنف ذلك العصر من فتن ، وقلاقل ، وثورات ، على الرغم من هذا كله نجد العلوم والمعارف ظلّت مزدهرة فى هذا العصر بل كانت تلك الفترة من التاريخ غنيّة غنى هائلاً بالانتاج الأدبى وما ذلك الا بتقدير بعض ملوكهم للعلم والعلماء وتشجيعهم على البحث فى شتى فروع المعرفة حتى أولئك الملوك الذين عرفوا بقسوتهم وغلظتهم فى حروبهم ، فقد حكى عن جنكيز خان فى غزواته أنّ من الذين أسقط عنهم المؤنة والكلفة الفقهاء ، والأطباء ، وأرباب العلوم على اختلافهم وما قيل عن بعض ملوكهم ، فعلى الرغم من قسوته وغلظته فإنّه كان يحب تشييد الأبنية ، وتشجيع العلماء ، والحكماء على مواصلة البحث والدرس إذ كان يخصص لهم الرواتب ، ويغدق عليهم الهبات ، ويزين مجلسه بحضورهم ، كما كان يميل إلى علوم الحكمة ، والنجوم ، والكيمياء ، ويصرف بسخاء فى سبيل تقدم هذه العلوم ، وقد عهد إلى نصير الدين الطوسى العالم الرياضى الفلكى ببناء مرصد عظيم فى مدينة مراغة ، وقيل إنّه فى عهده وجد الألوف من العلماء ، ومن جملتهم القاضى البيضاوى ونصير الدين الطوسى ، ومن العلماء الذين وجدوا فى عهد الدولة الايلخانية العلّامة قطب الدين الشيرازى ، والعلّامة قطب الرازى ، والقاضى عضد الدين الأيجى ، والشيخ ولى الدين التبريزى ، صاحب مشكاة المصابيح

---

(١) انظر قسم الدراسة لكتاب التبيان بتحقيق د . عبد الستار ص ١٢ - ١٦ .

وشرف الدين الطيبى الذى شرح المشكاة ، وقد أكبّ الناس على دراسة مصنفات هؤلاء ، وغيرهم فى سائر الفنون ، كالمنطق ، والكلام ، والأصول ، والتفسير، والصرف ، والنحو ، والبيان ، والفقه ، وغيرها من الفنون ، أما ما يتعلّق بعلم البلاغة فى ظل تلك الدولة فى ايران فنجدها تدور فى فلك مدرسة السكاكى مابين شرح للمفتاح ، أو تلخيص له ، ومن المؤلفات التى سلكت هذا النهج شرح المفتاح للشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، والفوائد الغياثية لعضد الدين الأيجى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ .(١)

هذه نظرة عامة للعصر من الناحية العلمية . .

---

(١) انظر قسم الدراسة للتبيان للدكتور عبد الستار ص ١٧ - ٢٧ .

((القسم الأول : الدراسة))

((حدائق البيان الغرض والخصائص))

أهمية علم البلاغة في نظر الشارح :-

علم البلاغة يعدّ من أشرف العلوم ، وأعلاها درجة لأنها الطريق إلى تذوق بعض أسرار نظم القرآن الكريم ، والوقوف على وجه اعجازه في نظمه وبلاغته وهو الوجه الذي وقع به التحدي، هذا ما ذكره الشارح رحمه الله تعالى ، فهذا العلم يستمد شرفه ، ويستحقّ درجته الرفيعة من خلال غرضه ، وهدفه ، وهو الوقوف على أسرار كلام الله من جهة نظمه وبلاغته ، فشرف الوسيلة مستمدّ من شرف الغاية واستشهد لهذا بما ذكره الزمخشري في مقدمة تفسيره الكشاف نقلاً عن الجاحظ الذي ذكر أن كلاً من الفقيه والمتكلم وحافظ القصص والأخبار ،والواعظ ، والنحوي ،واللغوي كل واحد من هؤلاء مهما برع في صناعته فإنه لا يستطيع الوقوف على أسرار كلام الله ومعرفة حقائق ودقائق قرآنه الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلا بالبراعة والتعمق في علمي المعاني والبيان ، كما استشهد الشارح بقول السكاكي أنّ الويل كلّ الويل لمن يتعاطى تفسير كتاب الله وهو لم يتمكن ، ولم يتعمق ، ولم ترسخ قدمه في علمي المعاني والبيان .(١)

والذي ظهر لي أنّ كلام الشارح في بيان أهمّية دراسة علم البلاغة وقبل دخوله في كلام الجاحظ والسكاكي تأثر فيه بالامام عبد القاهر من ناحية الأسلوب ، يقول الشارح في هذا :- ((إن أشرف العلوم .....

وذلك علم المعاني والبيان وصناعة البديع التي لولاها لم تر لسانا يحرك الوشي، ويصوغ الحلي، وينشر الدر، وينفث السحر .....)).(٢)

ويقول الامام عبد القاهر في مقدمة دلائل الاعجاز :-

((..... ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأبسق فرعاً ، وأحلى جنى وأعذب ورداً ، وأكرم نتاجاً ، وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحرك الوشي ، ويصوغ الحلي ، ويلفظ الدرّ ، وينفث السحر، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولاستمر السرار بأهلتها ، واستولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الاحصاء ، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء))(٣)

---

(١) انظر الحدائق ص ٣
(٢) الحدائق ص ١
(٣) دلائل الاعجاز ص ٥ ، ٦

فأسلوب الالمام واسهاماته فى وضع هذا العلم لايكفى الحديث عنها والاشادة بها فى هـــــذه الكلمات ، ولكنى أقول إنه بكتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة يكون قد رسم للبلاغيين منهجـــا جديداً فى الدراسة البلاغية التى ميزها ، وصبغها بالروح الأدبية ، والاحتكام إلى الذوق عند الوقوف على أسرار نظم النصوص فتأثر الشارح رحمه الله تعالى به يدلّ على حسن اختياره فى أخذه عـــن العلماء السابقين رحمهم الله تعالى .

جهده فى تحصيل علم البلاغة :

تتجلى عنايته واهتمامه بتحصيل هذا العلم من خلال ماذكره عن أهمية هذا العلم فى معرفـــة وجه اعجاز القرآن الكريم الذى وقع به التحدى، وفى تفسيره إذ لا يستغنى عنه مفسر ، لهذا لانستغرب إذا فرغ الشارح رحمه الله تعالى جهده، ووقته، وتحمّل المشاق فى سبيل تحصيل هذا العلم من خـلال دراسة الكتب المصنفة فيه، وبالجلوس على مشايخ هذا الفن للإستفادة منهم ، ومناقشة طلاب هذا الفـن لترسيخ قواعده ، وتشقيق مسائله ، وقد ذكر الشارح هذا الجهد الذى بذله فى مقدمة شرحـــه فقال :-

((..... وإذا كان الأمر كذلك فالاشتغال بهذه الصناعة ، وصرف الهمة بتحصيلها من أهـــمّ المهمّات ، وقبيل الواجبات فلهذا كنت من العهد إلى العهد مهتما بهذا العلم ، شغوفاً بصحبة أهلـه وطلب من هو منسوب إليه ، ومشهور به من الأئمة المتقنين، والمهرة المفلقين بحيث دعانى ذلـــك الطلب إلى تطواف البلاد، ومهاجرة الأوطان ، ومباعدة الاخوان ، وتحمل أخطار الأسفار، وقطع المهامـه والقفار :-

وحيداً من الخلان فى كلّ بلـــدة إذا عظم المطلـوب قلّ المساعـــد

متصفّحاً للكتب المصنفة فيه ، وفى مقدماته ، ومتصاته مقتبساً من مشكاة أنوار مشايخ هذه الطريقـــة ، وعلماء هذا الفن مستفيداً من مؤلفاتهم ، ومطارحاتهم ، وكتبهم .....)) (١) .

فهذا النص يدلّ على أن عنايته الكبيرة بهذا العلم جعله يبذل فى سبيل تحصيله هذا الجهد ، والوقت ، فبرزت نتائج هذا فى شرحه الحدائق حيث اشتمل على خصائص وميزات فى دراسة القواعد ، وشرح الشواهد قلّ أن توجد فى غيره كما سيتضح ذلك فى دراسة الكتاب .

---

(١) حدائق البيان ص ٣

غرضه من وضع هذا الشرح :-

إن الباحث لا يحتاج إلى كبير عناء للوصول إلى غرض الشارح علي بن عيسى من وضعه لهذا الكتاب ، فقد لخص ذلك في نقطتين في مقدمة الكتاب حيث قال :-

((..... فكثيراً ماخطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب إعانةً للطلاب، وتقريراً لمرامهم مايتعلّق بحلّ مشكلاته ، وكشف معضلاته ، وتفصيل مجمله ، وتقييد مرسله ، ..... ومقصودي الذكر بعد رحلتي والمأمول من حسن شيم المولى المشار إليه ضاعف الله جلاله أن يلاحظه بعين الرضا ، والقبول، وينبه على مواقع الزلّ ، والفضول ، وأن يصلح مايعثر عليه من الخلل والفساد ويرشدني إلى نهج الصلاح والسداد فإنّه المقيض لأنواع الحقائق والمتعيّن لحلّ الرقائق)) (١)

فجعل غرضه في جزئه عاما لفائدة الطلاب وفي جزئه الآخر خاصاً وهو أن يلقى القبول عند أستاذه فجزاهما الله خير الجزاء .

ملابسات وضعه لهذا الشرح :-

يحكي الشارح رحمه الله تعالى قصة وضعه لهذا الكتاب ، فيذكر أنّه بعد أن استقرّ به المقام عند أستاذه من بعد السفر والترحال ، ولقي عنده العناية ، والاكرام توجه للأخذ عنه ، والتتلمذ عليه ، فقرأ عليه كتاب التبيان ، ودرسه ، وتعمق فيه ، كما قام بقراءة ودراسة كتاب فتوح الغيب وهو أيضاً من مصنفات أستاذه إلى أن تبين له أنّ كتاب التبيان بمثابة المفتاح لكتاب الفتوح ، فخطر له أن يضع شرحاً للتبيان اعانة للطلاب على فهمه ، لكن عاقه عن تحقيق ذلك عوائق الزمان ، وطوارق الحدثان إلى أن أشار عليه أستاذه بوضع شرح لكتابه التبيان فانضم هذا الأمر من أستاذه إلى ماكان في خاطره سابقاً من رغبة ملحة في هذا العمل فشمّر عن ساعد الجد مستعينا بالله ومتوكلاً عليه في وضع هذا الكتاب رحمه الله تعالى مع تواضعه البين الذي يلمح من هذه العبارة يقول ((..... معترفا بقصور الباعة وقلة البضاعة في الصناعة مقراً بأن شربي منها كان رشحا دون النهل ، ومكاني سفحاً دون القلل .....)) ، ورغبة في كمال هذا الشرح طلب أن يلاحظه أستاذه بعين الرضا ، والقبول وينبهه على مواضع الخلل فيه ويرشده إلى النهج الصحيح فتم له ذلك فجاء كتابه كما يقول بحمد الله شرحاً مستقصى كالتمرين للتبيان ، فسماه بحدائق البيان في شرح كتاب التبيان . (٢)

---

(١) الحدائق ص ٥ ، ٧

(٢) انظر الحدائق ص ٣ ، ٥ ، ٧

وهذا يدلّ على أن أستاذه اطلع على شرح تلميذه ، وأقره كما يدل على أن تسمية الشارح لكتابه جاء بعد انتهائه منه ، ويدلّ أيضاً على مدى عناية أستاذه به لصفات تميز بها على زملائه مما جعل أستاذه يثق في قدرته العلمية فيشير عليه بشرح كتابه ، والدارس لكتاب الحدائق يلمس صفات صاحبه في تحقيق المسائل ، وتوضيح الشواهد ، واستقلالية شخصيته في بعض المواضع .

دراسته للتبيان :

بعد أن تبين للشارح رحمه الله تعالى أهمية كتاب التبيان من الناحية البلاغية بين الكتب المصنفة ، وبعد لقائه بأستاذه وخلال تتلمذه عليه أكبّ على قراءة كتابه عليه ، وعكف على التعليق عليه ، واستخراج دقائقه ، وقد أمضى في هذا مدة من الزمان تبين له بعدها أن التبيان بمثابة المفتاح ، والوسيلة إلى فهم كتاب فتوح الغيب في شرح الكشاف وهو للطيبي أيضاً لأنه يكشف دقائقه ، ويحكم قواعده وقد اعتبر الشارح كتاب الفتوح كتاباً شاملاً لا يترك صغيرة ولا كبيرة فيما يتعلق بشرح الكشاف بالاضافة إلى أنه اشتمل على خلاصة آراء العلماء السابقين وعصارة أفكارهم ، فأهمية كتاب التبيان بالاضافة الى ماسبق يستمد أهميته من أهمية كتاب الفتوح ، وقد قال الشارح في هذا :-

((..... ابتدأت بقراءة ذلك الكتاب [يقصد التبيان] عليه وكتابته وإمعان النظر في ظواهر ألفاظه ، ومكنونات فحاويه ، والتزمت هذه الطريقة ، واكتحلت بالسهاد ، وحرّمت على عيني الرقاد ، وبذلت المجهود في تحصيل المراد منه ، ومن غيره من مصنفاته الشريفة ككتاب فتوح الغيب في شرح الكشاف ، ولعمري إنه كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا جليلة ، ولا حقيرة إلّا عدّلها وسوّاها فهو مختزن أسرار المتقدمين ، وحاصل أفكار المتأخرين ولله درّ القائل كتاب معانيه خلال سطوره جواهر في درج كواكب في برج وبقيت في قراءته ، وسماعه ، وتنقيره ، وتنقيحه ، وتشذيبه ، واستخراج لطائفه واتقان معانيه برهة من الدهر وأونة من الزمان فعثرت من ذلك على أنّ كتاب التبيان كالمفتاح للفتوح لأنّه يكشف عن حقائقه ويبين دقائقه ، ويحكم قواعده ، ويحلّ معاقده ، فلابد للطالب من أن يقدّم بين يدى الفتوح كتاب التبيان وشرحه)) .(1)

فهذا إنما يدلّ على أنّه أقدر شخص على شرح كتاب أستاذه بعد أن قرأه عليه ودرسه دراسة فاحصة ، فهذه المؤهلات وغيرها جعلت أستاذه يثق في مقدرته العلمية ، ويشير عليه بشرح كتابه التبيان .

---

(1) الحدائق ص ٥

مصادره في شرحه :

لقد ذكر الشارح رحمه الله تعالى بعض المصادر التي اعتمد عليها في تصنيف هذا الشرح ، وهذه المصادر بعضها شفهي كالفوائد التي أخذها عن أستاذه مشافهة وكاملاته عليه عند كتابته للتبيان وبعضها مصنفات نقل عنها مثل الحواشي التي كتبها أستاذه على التبيان ، كما ذكر أنه طالع الكتب المعتبرة في علم البلاغة منها شرح ناصر الدين الترمذي على المفتاح ، وشرح قطب الدين على المفتاح بقول الشيخ علي بن عيسى حول مصادره في مقدمة شرحه :- ((.....فكثيراً ما خطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب ..... مما استفدت من خدمته في أثناء القراءة ، ومما أملى على حالة الكتابة ، وفي غير تلك الحالة ، ومما كتبه على حواشي الكتاب بعد المراجعة ، والمراودة ، والمطالعة للكتب المعتبرة في هذا الفن كشرحي المفتاح وغيرهما)) .[1]

لكن من خلال دراستي لهذا الكتاب تبين لي أن الشارح رحمه الله تعالى لم يكتف في وضع شرحه بتلك المصادر التي ذكرها في مقدمة كتابه بل اعتمد على مصادر أخرى متنوعة بين كتب في التفسير وكتب في الحديث وكتب في اللغة وكتب في الأدب وكتب في البلاغة ، وإنما ذكر بعض مصادره في المقدمة كما يظهر إما لكثرة استفادته منها ، واما لقيمتها البلاغية عنده ، وقد ظهر لي من خلال تتبعي لمصادر الشارح رحمه الله تعالى في شرحه بعض الأمور والتي منها :-

أ - لم يميز الشارح أو ينص خلال شرحه على المواضع التي أخذها عن أستاذه مشافهة ، أو كتابه ، أو أملاها عليه أستاذه مفصله لكن ظهر لي بعض تلك المواضع وذلك مثلاً عندما يذكر ضمير المتكلمين ثم يحيل الى كتاب فتوح الغيب ، وهذا الكتاب من مصنفات الطيبي أن كلامه في ذلك الموضع من كلام أستاذه لكن لا يظهر لي بداية الكلام في ذلك الموضع ، ومن أمثلته ماذكره الشارح في مبحث تكميل لكون المسند إليه مضمرا ذكر قوله تعالى :- ((كلوا واشربوا من رزق الله))[2] فقد وضع الرزق موضع الماء ووضع الماء موضع الضمير حتى لا تجتمع ارادة الحقيقة والمجاز على لفظ الماء فإنه حقيقة في الشرب مجاز في الأكل والرزق قدر مشترك بين الأكل والشرب كما ذكر أنه يمكن حمل الآية على الجمع بعد التقسيم فان قوله ((من رزق الله)) جمع للآيتين السابقتين عليها الأولى قوله ((وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى))[3] الثانية قوله ((واذ استسقى موسى لقومه))[4] الآية

---

(١) الحدائق : ص ٥ ، ٧

(٢) من الآية ٦٠ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٥٧ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٦٠ من سورة البقرة .

وذكر أن الوجه الأول ضعيف ونص ما قاله هكذا :- ((والوجه الأول ضعيف ذكرنا ضعفه في فتوح الغيب))[1] وفتوح الغيب من كتب الطيبي كما سبق ذكره ، كما ذكر الطيبي قوله تعالى ((إنّ الله هو يقبل التوبة))[2] شاهداً على اقتضاء المسند اليه ضمير فصل ذكر الشارح أن الخبر فيه فعل مضارع لا يقبل دخول اللام وهو دالّ على الاستمرار ، لهذا جاز وقوع اسم الفاعل بهذا المعنى صفة للمعرفة في قوله تعالى ((مالك يوم الدين))[3] ، وقال الشارح ما نصّه :- ((وقد أسبغنا القول فيه في فتوح الغيب في الفاتحة والأنعام))[4] .

وقد ذكرت هذين الموضعين على سبيل التمثيل من عدة مواضع علقت عليها في موضعها من الكتاب .

وهذا لا يشكك في نسبة الكتاب إلى الشارح على بن عيسى وهو أمر غير مستغرب بعد أن عرفنا أن الشارح قد نصّ صراحة من أنه اعتمد ضمن ما اعتمد على املاءات أستاذه عليه عند شرحه للكتاب ، وقد ذكرت هذا الكلام عند الحديث عن توثيق نسبة الكتاب الى الشارح بل إنه - أي الشارح - جعل أستاذه يملي عليه خاتمة كتابه حيث قال :-

((واذ قد وفقنا الله تعالى من ألطافه الشاملة ، وأعطافه الكاملة اتمام الاملاء الموسوم بحدائق البيان في شرح التبيان فلنختمها بايراد حديث لما التزمنا من اتمام كل مصنف به كما اتفق في خاتمة المتن وفتوح الغيب))[5] .

فهذا يدلّ على أن الكتاب ضمنه صاحبه كثيرا من املاءات أستاذه بالاضافة إلى الخاتمة لكن لم يميز جهده عن جهد أستاذه سوى المواضع التي يحيل فيها الى فتوح الغيب مما يدل على أن هذا الموضع من املاءات أستاذه لأن فتوح الغيب من كتب الطيبي أو يحيل إلى متن التبيان نفسه مستعينا في كلا الموضعين بضمير المتكلمين ، وكما ذكرت فهذا غير مستغرب ولا يشكك في نسبة الكتاب إلى الشيخ على بن عيسى بعد أن نص صاحبه على أنّه ضمنه كثيراً من املاءات أستاذه من ناحية أخرى مامعنى ضمائر الغائب في ((قوله)) التي امتلأ بها الكتاب فاذا كان الكتاب للطيبي كان يقول قولي مثلا ، وأيضاً مخالفة على بن عيسى لأستاذه في بعض المواضع كما سأبينه فيما بعد ، فمن غير الممكن أن يخالف الطيبي نفسه اذا كان كتابه .

---

(١) الحدائق ص ١٩٤

(٢) من الآية ١٠٤ من سورة التوبة .

(٣) الآية ٣ من سورة الفاتحة .

(٤) الحدائق ص ٣٢١

(٥) الحدائق ص ١٧٣٩

ب - ظهر لى من خلال تتبع مصادر الشارح رحمه الله تعالى فى كتابه أنّه عندما ينقل من كتاب يذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه،وذلك فى بعض المواضع منها مانقله عن ابن جنى فى كتابه المحتسب أنّ نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ذكره الشارح عند كلامه عن تعريف المسند إليه باللام حيث قال :- ((قال ابن جنى فى كتاب المحتسب .....)) [1] كما نقل عنه الشارح عند كلامه عن الايجاز بحذف غير الجملة وذكر من أمثلته قولهم تروّحى أجدر أن تقيلى نقلاً عن ابن جنى حيث قال :- ((قال ابن جنى فـــــى المحتسب فى قوله تروحى أجدر .....)) [2]

ومن المواضع التى نص فيها الشارح على مصدره بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه ماذكره من أسبـــاب كون التشبيه بعيدا غريباً كونه بعيد المتناول لايدرك فى أول الخاطر ، وهذا لا يتأتى إلّا إذا تضمـــن تركيبا ثانيا على أول ثم قال :- ((قال الأستاذ أبوعبدالله محمد بن أحمد الأردستانـى فى كتابه المسمى باللمع فى صناعة الشعر .....)) [3]

ومن المواضع أيضاً قصة تحكيم النابغة الذبيانى بين الأعشى والخنساء وحسان ، وتفضيله الأعشـــى على الشعراء ثم تفضيله الخنساء ، ذكر الشارح هذه القصة بمناسبة ذكر بيت الخنساء :-

وإنّ صخرا لتأتم الهـــــداة به كأنّه علم فى رأســـــه نار

شاهداً على الايغال فقد نقل الشارح هذه القصة عن ابن الأفلح الكاتب فى كتابه مقدمة صناعـــة الشعر ، حيث قال :- ((قال ابن الأفلح الكاتب في مقدمة صناعة الشعر .....)) [4]

جـ - فى كثير من المواضع ينص الشارح على اسم الكتاب الذى نقل عنه وخاصة اذا أكثر النقل عنـــه فى مواضع كثيرة لشهرة الكتاب فيستغنى عن ذكر صاحبه وذلك ككتاب المفتاح للسكاكى وكتابى الكشاف ، والأساس للزمخشرى ، وكتاب النهاية فى غريب الحديث لمجد الدين ابن الأثير مثلاً .

وللتدليل على ماقلت على سبيل التمثيل لا الحصر ماذكره الشارح عند حديثه عن اعجاز سورة الاخلاص والكوثر أن الاعجاز لايدرك بالتحديد بل بالذوق ، وتبع السكاكى فى هذا حيث قال :-

((.....فاعلم أن الأصح أن الاعجاز لايدرك بالتحديد والتعريف .....
.....بل يحال الى الذوق كما ذهب اليه صاحب المفتاح وتبعناه)) [5]

---

(١) الحدائق ص ٢٥٨
(٢) الحدائق ص ٦٥١
(٣) الحدائق ص ٨٥٩
(٤) الحدائق ص ١٣٣٥
(٥) الحدائق ص ٨٠

وقد قال السكاكى :- ((ومدرك الاعجاز عندى هو الذوق وليس الا وطريق اكتساب الذوق طـــول خدمة هذين العلمين)) [1] يقصد علمى المعانى والبيان .

ومن أمثلة نقله عن الزمخشرى فى الكشاف ، واكتفائه بذكر اسم الكتاب مانقله الشارح عن الزمخشـــرى فى قوله تعالى ((فبدل الذين ظلموا قولا)) [2] ولفظه :- ((قال صاحب الكشاف .....)) [3] .

ومن أمثلة مانقله عن الزمخشرى فى الأساس فى معنى نيقه حيث قال :- ((قال فـــــــــى الأساس .....)) [4] .

ومن أمثلة مانقله عن سعد الدين ابن الأثير فى معنى المعروف فقال :- ((..... والمنكر ضد ذلك جميعة فى النهاية)) [5] .

هذه بعض الأمثلة على مانقله الشارح عن هذه المصادر التى أكثر النقل عنها لكنه لم يقتصر عليها .

د - يكتفى الشارح أحياناً بذكر اسم العالم الذى نقل عنه دون أن يذكر من أى كتبه أخذ ذلك الكلام ، من ذلك مثلا مانقله عن الفخر الرازى فى الفرق بين الكبرياء والعظمة اللذين وردا فى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ولكنه لم يشر من أى كتب الرازى أخذ ذلك . [6]

كما نقل الشارح عن ابن جنى فى أن مفاد معرفة الجنس مفاد نكرتها لكنّه لم يذكر من أى كتب ابن جنى كان نقله [7] ، وقد ذكرت هذين الموضعين على سبيل التمثيل .

هـ - فى مواضع كثيرة لا ينصّ الشارح على المصدر الذى نقل عنه من ذلك مثلاً ماينقله عن الجوهـــــرى فى شرح بعض المفردات من ذلك مثلا معنى رشح نقله عنه نصّاً فى الصحاح . [8]

ونقله عن الراغب معنى الهجير بالنص دون أن يشير إلى مصدره [9] ، ونقله معنى القصب عن مجـــد الدين ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث بالنص . [10] كما نقل معنى البلاغة اصطلاحاً عن الراغـــب

---

(١) المفتاح ص ١٧٦
(٢) من الآية ٥٩ من سورة البقرة
(٣) الحدائق ص ١٩١
(٤) الحدائق ص ١٥٤
(٥) الحدائق ص ١٨٢
(٦) انظر الحدائق ص ٢٤
(٧) انظر الحدائق ص ٥٧
(٨) انظر الحدائق ص ٤٢
(٩) انظر الحدائق ص ٢٦ ، ٢٧
(١٠) انظر الحدائق ص ٣٠

الأصفهاني بتصرف في المفردات دون أن يشير إلى مصدره [١] ، هذه بعض الأمثلة ، وقد ظهر لي من خلال دراستي للكتاب طريقة الشارح رحمه الله تعالى في ذكره لمصادره .

و - أحياناً ينصّ على مصدره ولكن الكلام الذي يورده ليس بالنّص بل ينقله بتصرف من ذلك مانقله عن ضياء الدين ابن الأثير في المثل السائر [٢] من أن النحو يؤخذ من الواضع بالتقليد لا من قضية العقل بخلاف البلاغة فإنّها تؤخذ بالنظر وقضية العقل، وليس على التوقيف نقله الشارح بتصرف لكن عبارته في الشرح :-

((ويؤيد ماذكرناه قول صاحب المثل السائر .....)) [٣]

ومن أمثلة هذا أيضاً مانقله الشارح عن السكاكي حول قصّة أبي اسحاق الكندي مع المبرد في الاختلاف بين قولهم عبد الله قائم، وقولهم إنّ عبد الله قائم ، وقولهم والله ان عبد الله قائم نقله عنه بتصرف [٤].

ومن أمثلته مانقله الشارح عن الزمخشري في الكشاف [٥] في وجه نداء الأرض والسماء في قوله تعالى :-
((وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي)) [٦] حيث قال :- ((قال صاحب الكشاف .....)) [٧]

لكن الكلام الذي نقله عن هذه الكتب ليس نصّاً بل تصرف في النقل عنها

منهجه في هذا الشرح :

لم يبين الشيخ علي بن عيسى في مقدمة كتابه المنهج الذي سيسلكه في شرح التبيان لكن الدارس للكتاب يظهر له أنه شرح بالقول بمعنى أنّه يجتزئ بعض العبارات من التبيان ويقوم بشرحه ، أمّا إذا كان المنقول جزءا من بيت فإنه يقوم بشرح البيت كاملاً فهو لم يتوقف عند كلّ ماقاله أستاذه في التبيان بالشرح والبيان ، وإنّما اختار من كلامه، وقام بشرحه ، وهذا لاينقص من قيمة هذا الشرح شيئاً فإنه على الرغم من وقفاته عند المسائل البلاغية بالتفصيل والبيان إلا أنّ جل اهتمامه ، ومعظم

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٣
(٢) انظر المثل السائر ص ١٤٧ ، ١٤٨
(٣) الحدائق ص ٦٠
(٤) انظر الحدائق ص ١١٧ ، ١١٩
(٥) انظر الكشاف : ٢/٢٧١
(٦) من الآية ٤٤ من سورة هود .
(٧) الحدائق ص ٧٤٠

تركيزه قد توجّه إلى شرح الشواهد ، وتحليلها تحليلاً بلاغيّاً ، وذلك في غالب الشواهد ، والدليل على ذلك احصاؤه للشواهد التي أوردها أستاذه في التبيان ، وبيان العلّة في ذلك فقال :-

((ولعمري إنّه جمع في هذا الكتاب زهاء ألف ومائة ونيّف وسبعين بيتا من المختارات قلّما يوجد في الدواوين ، والمجموعات مثلها ، فلا يختلج في بعض الخواطر أنا أكثرنا من إيراد الأبيات فأطلنا الكتاب فأورث الاملال لأن من مقدمات هذه الصناعة الإكثار من معرفة الدواوين ، والخطب ، والرسائل ليكون ذريعة إلى الشروع فيها وهاهو صاحب المثل السائر كم أتى بالرسائل والمكاتبات الطويلة في كتابه ، وصاحب المفتاح من الفصول والأسجاع كلّ ذلك للتمرن ، ولهذه أوثر لفظ التتبع في حدّ المعاني على المعرفة على أنا ما أردنا من إيراد تلك الأبيات إلّا دفع الملال ، ولا يملّ منها إلّا جامد عديم الحس)) [1]

فهذا يدل على مدى عناية الشارح بالشواهد ، واعتداده بالذوق والحس إذ اعتبر من يرغب عن تذوق الشواهد الجيدة جامداً عديم الحس .

مناقشته للمسائل البلاغية :

إنّ الدارس لهذا الكتاب يجد أن صاحبه قد توقف عند كثير من المسائل البلاغية التي تتعدد فيها الآراء فيجده لا يتعداها إلّا بتفصيل المسألة ومناقشة الخلاف حولها ، وأحياناً يرجّح ما يراه راجحا ، ومن أمثلة ذلك أنّ الطيبي ذكر لأحوال حسن التشبيه كونه نادر الحضور واستشهد له بقول أبي نواس :-

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه من ضمن ما أورده على الشاهد اعتراض ضياء الدين ابن الأثير من أنّ استعمال صغرى على وزن فعلى لا يجوز نزع اللام منها إلّا إذا كانت لا أفعل لها نحو حبلى ، ثم أورد ردّ ابن أبي الحديد في الفلك الدائر على ابن الأثير من أنه قد وردت عدة شواهد شعرية ذكرت فيها دنيا وجلّى وطوبى مجردة من اللام والإضافة ، وأجيب بأنّ لفظ الدنيا صارت كالعلم لهذه الدار وأن الجلّى يعبر به عن الأمر العظيم وطوبى بمعنى أصبت خيراً . [2]

وقال الشارح في آخر كلامه :- ((والحاصل أن هذه الألفاظ لكثرة استعمالها خرجت عن كونها صفات ، فصحّ استعمالها عارية عنهما)) [3] .

---

(١) الحدائق ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) انظر الحدائق ص ٨٥٦ ، ٨٥٩

(٣) الحدائق ص ٨٥٦

ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبي ذكر من شروط فصاحة التراكيب خلوّها من المنافرة ، وهو ذكر لفظ في التراكيب، ويكون غيره مما هو بمعناه أولى بالذكر لكن هناك من الألفاظ المتنافرة مالو نقل من مكانه إلى آخر قرت وحسنت، وذكر له عدّة شواهد .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فأورد حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ((إنّ العبد اذا وضع في قبره، وتولّى عنه أصحابه حتى إنّه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث)) .

وذكر كلام التوربشتي أنّ لفظ البراء بن عازب في حديث آخر ((فيجلسانه)) أولى من لفظ ((فيقعدانه)) في حديث أنس لأن الفصحاء يستعملون في مقابلة القيام القعود فيقولون القيام والقعود ، ولم يسمع عنهم مقابلة القيام بالجلوس فيقال قعد الرجل عن قيام ، وجلس عن ضجعة ، واستلقاء وأيضا ماحكي عن النضر بن شميل عند دخوله على المأمون قادماً من مرو ، فقال له اجلس ، فقال : يا أمير المؤمنين لست بمضطجع فأجلس ، قال : كيف أقول ، قال : قل أقعد ، فعلى هذا كان الأحق والأجدر ببلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يختار فيجلسانه ، لما فيها من دقيق المعنى وفصيح الكلام ، ولعلّ الراوي ظنّ أن اللفظين ينزلان في المعنى منزلة واحدة ، لهذا أنكر بعض السلف رواية الحديث بالمعنى خشية أن يزلّ في الألفاظ المشتركة فيذهب عن المعنى المراد جانباً[1].

هذا ملخص ما أورده الشارح من اعتراض التوربشتي على لفظ حديث أنس رضي الله عنه .

هذا وبعد أن عرض الشارح رأي التوربشتي ، رأى التوربشتي حول لفظ حديث أنس مع لفظ حديث أنس رضي الله عنهما ردّ عليه بما نصه :- ((وقلت لا ارتياب أن الجلوس والقعود مترادفان فإنّ استعمال القعود مع القيام ، والجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية ونحن نقول بموجبه إذا كانا مذكورين معاً كقوله تعالى : ((الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)) [2] وكقوله ((دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً)) [3] ، لكن لم قلت أذا كان أحدهما مذكورا كان كذلك ؟ ، ألا ترى إلى حديث جبريل عليه السلام حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله إذ طلع علينا)) ولا خفاء أنّه عليه السلام لم يكن مضطجعاً ، وكذلك لم يرد في هذا الحديث الاضطجاع ليوجب أن يذكر معه الجلوس وأما الترجيح بما رواه التوربشتي عن النضر ، وهو من رواة العربية على رواية الشيخين العلمين الثقتين ، فبعيد عن مثله ، وهو من مشاهير المحدثين)) [4].

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٨٥ ، ١٦٨٧

(٢) من الآية ١٩١ من سورة آل عمران

(٣) من الآية ١٢ من سورة يونس

(٤) الحدائق ص ١٦٨٧

يتبيّن لنا من خلال هذين المثالين كيف يعرض الشارح الرأي وما يخالفه ، وكيف يناقش مناقشة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعال ، والتجريح ، ويقول لمن يخالفه في الرأي رحمه الله تعالى ، وهذه السمات بارزة في كل مناقشاته ، ولكني أكتفي بهذين المثالين خشية التطويل .

مناقشته للسكاكي :

لقد اعتاد الشارح رحمه الله تعالى في كثير من المسائل البلاغية التي ذكرها أتباع رأي السكاكي لكنّه في مسائل قليلة ينقده إمّا لعدم ذكره أو تنبيهه لذلك الموضع من ذلك مثلا أنّ الطيبي ذكر بعض الأغراض الفرعية لتعريف المسند إليه بالاشارة منها الاشعار بأنّ ماقبله جدير بما بعده لما عددت من خصائل ، فقد قال الشارح :-

((. . . . . منبّهاً على أنّ هذا التفريع عظيم الجدوى وأن صاحب المفتاح لم ينبّه عليه . . . .)) (١)

وأحياناً يرجح رأي غيره عليه فقد ذكر الطيبي من باب الجمع قوله تعالى ((جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه)) (٢) ، وبيّن الشارح وجه الجمع أن يذروكم حكم واحد ولمعطتان الأولى : جعل الناس أزواجاً ، والثانية : جعل الأنعام أزواجاً ، وقد أعاد الضمير في قوله ((فيه)) على تغليب العقلاء من المخاطبين على غيرهم ، وقد قال الشارح :- ((. . . .فاذن ليس في يذروكم إلّا تغليب واحد نعم هو مقيد بقيد ، وهو تغليب العقلاء المخاطبين على الأنعام الغيب هذا هو الذي يقتضيه المقام ، وعليه كلام صاحب الكشاف لا أن فيه تغليبين كما يفهم من ظاهر كلام صاحب المفتاح على مامر في باب التغليب)) . (٣)

فالشارح رجح رأي الزمخشري في المسألة على رأي السكاكي ، كما نقد الشارح أسلوب السكاكي الذي اتّسم في بعض المواضع بالغموض ، فقد ذكر الطيبي أنّه يقبح هل رجل عرف ، وهل زيداً عرفت ، لدلالة التقديم على وقوع الفعل ، وقد اعتمد فيه على السكاكي ، أمّا الشارح فإنّه نقل اعتراض الخطيب على السكاكي في التزام عدم القبح في قوله هل رجل عرف ، لأنّ السكاكي صرح بجواز هل زيد منطلق ، وقد ردّ الشارح على اعتراض الخطيب بقوله :-((واعلم أنّ هذا من حيات المفتاح وعقاربه ، فان لفظ قبح بعد ذكر امتنع يقتضي جواز هذين التركيبين مع الاقرار بكونهما مرجوحين وكونهما من أمثلة تقديم المعمول على الفعل يقتضي عدم الجواز لما سبق من أن التقديم يقتضي حصول النسبة)) (٤)

---

(١) الحدائق ص ٢٤٨

(٢) من الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) الحدائق ص ١٣٩٤

(٤) الحدائق ص :

فالشارح عبّر عن غموض عبارة السكاكي بالحيّات والعقارب ، ولكن تلك الوقفات من الشارح مع السكاكي تعدُّ قليلة جدّاً إذا ماقيست باتباعه له في معظم مسائل علمي المعاني والبيان .

موازنته بين شيخه والسكاكي :

على الرغم من كون الطيبي تبع السكاكي في كثير من مسائل علمي المعاني والبيان ، وقد أشرت إلى ذلك عند كلامي عن التبيان لكن هذا لا يعني اختفاء شخصيّة الطيبي ، بل كانت له جهود كثيرة وجيّدة كما بيّنت سابقاً وفي اختياراته المتميّزة مما قاله السكاكي واستقلاليّة رأيه عن رأي السكاكي في بعض المواضع ، ولعلّ خير من أبرز شخصية الطيبي تلميذه ، فمن ذلك موازنته بين عبارة شيخه وبين عبارة السكاكي وتفضيله لما ذكره شيخه ، ومن أمثلة تلك الموازنات أنّ الطيبي ذكر من أغراض تقديم المسند قوله :- ((أو المراد تخصيص المسند إليه به نحو تميمي أنا ، قال تعالى ((لكم دينكم ولي دين)) [1]

وقد اعتبر الشارح رحمه الله تعالى أنّ هذا أولى مما ذكره السكاكي حيث قال :-

((قوله ((والمراد تخصيص المسند إليه به)) وهذا أولى مما ذهب إليه صاحب المفتاح حيث قال وأن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه فإنّ الأمثلة الآتية لا تساعد عليه لأن المراد من قوله تعالى ((لكم دينكم ولي دين)) [2] أنّ دينكم مختص بكم لا يتجاوز إلى الغير ، كما أنّ ديني مختص بي لا يتجاوز إليكم لأنّ الجملتين مقررتان لقوله ((لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد)) [3] ، ومن قوله تميمي أنا ، فإنّه نص عليه في موضعه أنه من قصر الموصوف على الصفة .....)) [4].

مثال آخر ، ذكر الطيبي في مقدمة كلامه عن التقديم والتأخير أنّ التقديم مفيد للتخصيص غالباً ، أمّا الشارح فذكر أنّ السكاكي أهمل هذا القيد وهو الغالبية فقال قوله ((التقديم مفيد للتخصيص غالبا)) ، وإنّما قيّد الشيخ بقوله غالباً احترازاً عن افادته مجرد الاهتمام أحياناً ، وبينهما عموم وخصوص ، فإنّ في كل اختصاص اهتماماً ولا ينعكس)) . [5]

---

(١) الآية ٦ من سورة الكافرون ، الحدائق ص ٣٨٣

(٢) الآية ٦ من سورة الكافرون .

(٣) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الكافرون .

(٤) الحدائق ص ٣٨٣

(٥) الحدائق ص ٤٨٢

ومن الأمثلة أيضاً ماذكره الطيبى من اعتباره التشبيه أصلاً قائماً برأسه فقال :- ((....فظهر من هذا البيان أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة فى اثبات المعنى للشئ ، وذلك إمّا على طريقة الإلحاق أو الإطلاق ، والثانى إمّا اطلاق الملزوم على اللازم ،أو عكسه ، ومايبحث فيه عن الأول التشبيه ، وعن الثانى المجاز ،وعن الثالث الكناية ،فرتبنا الكلام على ثلاثة أصول)) .(١)

أما الشارح رحمه الله فذكر أن هذا التقسيم أحسن مما فى المفتاح فقال :- ((وهذا التقسيم أحسن مما فى المفتاح لأنّ التشبيه على هذا أصل مستبدّ برأسه كالمجاز ، والكناية وانّه مشترك الدلالة مع المجاز والكناية فى المعنى الذى يعتبر فى هذا العلم من المبالغة بخلافه فى تقسيمه ، فإنّ ذكر التشبيه توطئه ، وتمهيداً لذكر المجاز لا كلّه بل بعضه وهو الاستعارة)) .(٢)

وقد ذكرت هذه الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر ويتبين من خلالهما دقّة ، واستيعاب الشارح رحمه الله تعالى فى فهمه لكتاب السكاكى ، وكتاب شيخه مما مكّنه من اجراء مثل هذه الموازنات الجيّدة .

مناقشاته للخطيب :

ان الدارس لكتاب الحدائق يجد أن الشارح يؤيد أستاذه فى ردوده على الخطيب فقد تكون تلك الردود على اعتراضات أوردها الخطيب على السكاكى ، وقال فيه نظر ، وقد عبر الشارح عن قوة تلك الردود على لسان أستاذه فى مقدمة الكتاب فقال :- ((يقول اشتمل كلام صاحب المفتاح على معان عويصة ، وألفاظ غامضة شذّ على بعض الأدباء مغزاها ، ومقصدها ومراده ببعض الأدباء الخطيب صاحب الايضاح فلذلك أورد عليها أسولة متكاثرة ، فلما كشف عن أستارها المحتجبة قناعها ، وحلّ عقدها ، وعرّاها ، ظهر أنّ تلك الأسولة مجراة من غير تبصّر ومرساة من غير تدبر .....)) .(٣)

ومن أمثلة هذه الردود ما اعترض به الخطيب على السكاكى فى اعتبار مثل قوله تعالى ((وما أنت علينا بعزيز)) (٤) من باب التخصيص مع أن الخبر ليس فعلاً أى أنه لا يشترط فى تقديم المسند إليه كون الخبر فعلاً ، وقد ردّ الطيبى عليه باجابات قويّة وأيّده فيها تلميذه على بن عيسى ، وقد فصّلت القول فيها فى موضعها فى قسم الدراسة ، ولكن لا بأس بذكر بعض ماقاله الشارح فى تأييده لردود أستاذه على

---

(١) الحدائق ص ٢٥٨

(٢) الحدائق ص ٢٥٨

(٣) الحدائق ص ٤٢

(٤) من الآية ٩١ من سورة هود .

الخطيب في هذه المسألة ((قوله ((على أنّ الذوق شاهد صدق)) تنزّل في الجواب أي ولئن سلّمنا أنّا لم نذكر أن مثل أنا عارف يفيد الاختصاص فما نحن بصدده من تقديم الفاعل المعنوي الذوق شاهد للتخصيص فيه كما صرح به صاحب المفتاح في فصل القصر لاسيما وقد أولى الضمير حرف النفي ، والحال أن جار الله قد نصّ عليه في هذه الآية))[1]

مقال آخر على تأييد الشارح لأستاذه في اعتراضه على الخطيب أنّ الطيبي ذكر أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث :- ((..... وهم يد على من سواهم)) أن الوجه فيه اعتباره مجازاً مرسلاً وعلاقته اطلاق اسم السبب على المسبب إذا استعملت اليد هنا بمعنى القدرة ، ويجوز حملها على التشبيه ثم قال :- ((.....والحمل على الاستعارة كما ذهب إليه خطأ))[2]

فالطيبي لم يورد اسم الخطيب لكن خطأ رأيه في حملها على الاستعارة ، أمّا الشارح فإنّه قال :- ((قوله ((كما ذهب إليه)) يعني صاحب التلخيص حيث قال يد استعارة ، ولا يجوز ذلك لأنّ المشبه المتروك إمّا الأشخاص وهو لفظة هم المذكورة في الحديث ، فهو تشبيه كما مرّ ، أو القوة والشدة وهما ليسا بمشبه بهما بل هما مسبّبان عن اليد وقد ذكرنا أن الاستعارة علاقتها التشبيه))[3].

أحياناً ينفرد الشارح بالاعتراض على الخطيب في بعض المسائل البلاغية دون أستاذه من ذلك ماذكره في اثبات القصر الحقيقي وقصر التعيين في رده على الخطيب الذي اعترض على السكاكي من أنه أهمل القصر الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين في قصر الافراد فيقول الشارح رحمه الله تعالى :- ((وقد علم في غير موضع من كتاب المفتاح وكتابنا التبيان ، أن لابدّ في باب القصر من كون الحكم عند المخاطب مشوباً بالخطأ والصواب فيتلقاه المتكلم بما يحقق صوابه ويردّ خطأه ، وهذا يقلع مابناه صاحب الإيضاح من اثبات القصر الحقيقي .....

ومن اثبات قصر التعيين .....

ويدفع ماشنع على صاحب المفتاح من أنّه أهمل القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر الافراد .....

ومن لم يقف على هذا التحقيق ليس له أن يشنّع على من هو علم من أعلام المحققين والله أعلم))[4].

---

(١) الحدائق ص ٤٩٠

(٢) الحدائق ص ٩٠٧

(٣) الحدائق ص ٩٠٧

(٤) الحدائق ص ٥٢٥ - ٥٢٨

وقد اكتفيت ببعض عبارات الشارح فى مناقشته للخطيب لأنى قد فصلت الخلاف حول المسألة فى موضعه فى باب القصر .

ومثال آخر فى انفراد الشارح فى ردّه على الخطيب فقد ذكر الشارح رحمه الله تعالى ردناصرالدين الترمذى على الخطيب الذى اعترض على السكاكى رحم الله الجميع فى اعتباره المقياس فى باب الايجاز والاطناب كلام الأوساط ثم ردّ الشارح من جهته على الخطيب فى اعتباره قوله تعالى ((ولا يحيق المكر السىء إلّا بأهله))[1] من باب المساواة ، وذكر أنّها من باب الايجاز فقد قال :- ((.....وقلت وأما تنظير صاحب الإيضاح المساواة بقوله ((ولا يحيق المكر السىء إلّا بأهله)) ففى غاية من البعد لأنّه حاوٍ لمعنى الإيجاز من أنحاء مختلفة .....))[2] .

ومثال آخر أيضاً على اعتراض الشارح على الخطيب ماذكر من أنّ الخطيب وضع مبحث المجاز العقلى في باب الإسناد الخبرى من أبواب علم المعانى على اعتبار التركيب ، بينما وضع أستاذه هذا المبحث ضمن مباحث علم البيان فيلزمه أى الخطيب على ذلك الاعتبار أن يلحق المفردات المجازيّة كالاستعارات وغيرها فى باب المسند إليه ، وفى باب المسند فيقول الشارح حول هذا الاعتراض ((اعلم أنّ صاحب التلخيص أورد مباحث الإسناد المجازى فى هذا الباب بناء على أنّها تتعلق بمطلق الإسناد فيلزمه أن يورد أحوال المفردات المجازية كالاستعارات ، وغيرها فى باب المسند إليه والمسند لأ نهما يتعلّق بهما لكونهما مفردين فان اعتذر عن ذلك بلزوم الخلط لأحد العلمين بالآخر ليلزمن عليه ذلك فى ايراد الاسناد المجازى فى باب الاسناد))[3]

وقد سرت مع الخطيب فى دراسة المجاز العقلى فى باب الاسناد فى قسم الدراسة وبيّنت أن رأيه أقوى من رأى الطيبى والشارح . هذه بعض الأمثلة على اعتراضات الشارح رحمه الله تعالى على الخطيب ، لكن على الرغم من اعتراضات الطيبى وتلميذه على الخطيب إلّا أنهما لم يغفلا استفادتهما منه ، فقد ذكر الطيبى استفادته من الخطيب صراحة فى مقدمة التبيان حيث قال :- ((.....ورشحته بما فى المصباح والإيضاح من النوادر .....))[4] .

أما ما يتعلق بالشارح رحمه الله تعالى فان استفادته من كتابى الايضاح والتلخيص يدخل ضمن الكتب المعتبرة فى هذا الفن التى ذكر أنه اعتمد عليها فى وضع شرحه .

---

(١) من الآية ٤٣ من سورة فاطر .

(٢) الحدائق ص ٦٣١

(٣) الحدائق ص ١١٥

(٤) الحدائق ص ٤٢

هذا وقد بينت فى كثير من المواضع عند التحقيق مدى ما استفاده الطيبي وتلميذه من الخطيب فى كتابه الإيضاح ، وهذا أمر غير مستغرب فى مصنفات العلماء فان العادة جرت أن اللاحق يأخذ عن السابق والخلف يأخذ عن السلف ، كل ذلك فى سبيل اثراء الفن الذى يكتبون فيه فرحمهم الله تعالى جزاء ماقدموا .

وجهته البلاغية هى وجهة شيخه غالباً :-

إنّ الشارح رحمه الله تعالى على الرغم من أنّه سار مع أستاذه فى الخطّة العامة للكتاب ، وكثير من مسائله الجزئية على اعتبار أنّ الشرح شرح بالقول إلّا أنه فى بعض المواضع يدلل على هذه الموافقة بتعليل مايقوم به أستاذه ، من ذلك على سبيل المثال أن الطيبى أورد مثالين فى باب تقديم الفاعل المعنوى حيث قال :- ((أنا سعيت فى حاجتك فى قصر الافراد إذا توهم الشركة فى السعى والقلب إذا أسنده إلى الغير ويؤكد الأول بوحدى ، والثانى بلا غيرى)) (١)

أما فى تقديم المفعول فذكر مثالاً واحداً فقال :- ((تقول زيدا عرفت افراداً وقلباً ويؤكد بلا غيره)) (٢) ، وقد علّل الشارح هذا العمل من أستاذه فقال :- ((فان قلت اكتفى فى التأكيد هنا ((أى فى تقديم المفعول)) بمثال واحد وهو لا غيره ، وفى باب تقديم الفاعل المعنوى جئ بمثالين أعنى وحدى ولا غير .

قلت : إنّما ذكرهما أولا للبيان ، والتوضيح ، وأكتفى هنا بمثال واحد تنبيها على جواز اقامته مقامهما تفنناً فى الكلام ، والأولى أن يقال إنّما لم يذكر أحد المثالين تعويلاً على ماتقدم لأن قوله وحده نصٌّ فى قطع الشركة مخصص بالوجه والافرادى ولا غيره قد يشترك فيه القسمان أعنى الافراد والقلب فاكتفى به لأن الكلام هنا ليس فى أحد القصرين المعينين بل فى القصر مطلقاً)) . (٣)

ومن الأمثلة أيضاً مابيّنه الشارح من وجه ارتباط مباحث النسخ والسلخ والمسخ والاحتذاء والموازنة بالمحسنات التى ترجع إلى اللفظ والمعنى ، مع أن أستاذه أفردها بفصل مستقل فقال :-

((إنما فصل بالفصل هذه الأنواع الخمسة لأنها مناسبة للخمسة الأول من التضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل ، والتلميح ، وهذه الخمسة مبنيّة أيضاً على كلام الغير)) . (٤)

---

(١) الحدائق ص ٤٨٦

(٢) الحدائق ص ٥٠٢

(٣) الحدائق ص ٥٠٢

(٤) الحدائق ص ١٤٧٣

ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبي أورد مبحثاً تكميلياً في نهاية كلامه عن الجناس تحدث فيه عن القلب فقال :-

((تكميل - وههنا قلب لا بأس أن نذكره مستطرداً وهو إمّا في التركيب كقولهم عرضت الناقة على الحوض .....)) (١).

وقد بين الشارح رحمه الله تعالى إيراد شيخه هذا المبحث هنا لا في فن البلاغة فقال :- ((قوله ((لا بأس أن نذكره مستطرداً)) يعني كأنه استشعر من نفسه حزازة في ذكره هنا لأنّ هذا القلب من وظيفة البلاغة لا الفصاحة ، لأنّ البحث فيها عن الألفاظ فحسب ، ومن ثم ذكره صاحب المفتاح في المعاني ، ولو ذكر في البيان لجاز إذ المنقول منه اما تشبيه ، أو استعارة أو كناية كما سنبين ، فلذلك قال مستطرداً لذكر أبحاث القلب)) (٢)

ومثال آخر أيضاً أن الطيبي ذكر من أوصاف التراكيب المطابقة وهو أن يراعى مقصد الكلام في مقام يقتضي ألفاظاً جزلة متينة ، وأخرى رقيقة رشيقة (٣) ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر أنّ هذا ليس بتكرير للقسم الأول من مراعاة النظير وهو ائتلاف اللفظ والمعنى فقال :-

((فان قلت أليس هذا بتكرير لما سبق في بحث مراعاة النظير في القسم الأول منه ، وهو قوله الأول ائتلاف اللفظ والمعنى قلتا لأنّ النظر هناك في الاستعمال ، والشهرة بحسب المتعارف عند الحضري والبدوي كما سبق في بيت زهير - يقصد قوله :-

أثافي سفعاً في معرّس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلّم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا أنعم صباحا أيها الربع وأسلم -

والنظر هنا من حيث اللفظ بحسب الشدّة ، والصلابة في مقام الحرب وبحسب الدلالة ، والرشاقة في مقام الرقّة ، والمقة ، ولا يتأتّى ذلك إلّا بواسطة مخارج الحروف فهذا المقام ينبو عن استعمال الألفاظ الوحشيّة المتنافرة بخلافه هناك .

وتلخيص الفرق بحسب المعنى هناك وبحسب اللفظ هنا)) (٤)

---

(١) الحدائق ص ١٦١٣

(٢) الحدائق ص ١٦١٣

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٩٣

(٤) الحدائق ص ١٦٩٣

هذه بعض المواضع أوردتها على سبيل التمثيل فى تأييد الشارح لأستاذه رحمهما الله تعالى يتبيّن من خلالها دقّة فهم الشارح لكلام أستاذه وسبر أغوار كتابه مما مكّنه من الوصول إلى كثير من دقائق التبيان مما لا يتيسر لغيره فى الغالب إذا ماقام بشرح الكتاب .

شخصيته العلمية :

إنّ حبّ الشارح لشيخه رحمهما الله تعالى، واشادته به ، وتأييده له فى كثير من المسائل البلاغية لم يمنعه من مخالفته له ، ونقده له فى بعض المواضع ليس ذلك منه لمجرد المخالفة ، والنقد ، ولكن لما تبين من نظره فى المسألة فمن ذلك مثلاً أنّ الطيبى ذكر قوله تعالى ((أولئك لهم عذاب من رجز أليم)) [1] شاهداً على التكرير الواقع فى غير الجملة ، وذكر أنّ الرجز هو العذاب، وجىء به لافادة المضاعفة [2] ، أمّا الشارح رحمه الله فرأى أن الأظهر اعتبار مجىء الرجز للبيان فقال :-

((قوله ((أى عذاب مضاعف)) هذا ماذكره ابن الأثير فى المثل السائر، والأظهر خلافه، لأن أصل الكلام بناء على الظاهر رجز من عذاب لأنّ من بيانيّه ومن حق البيان أن يكون أوضح من المبيّن ، فعكس ههنا لأنّ المراد بالعذاب نوع مبهم لا يعرفه كل أحد ، فبيّن بالرجز الموصوف بالألم على الاسناد المجازى مبالغة فظهر منه أن التكرير ليس لارادة المضاعفة بل للبيان)) [3]

ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبى استشهد للاعتراض القبيح بقول الشاعر :-

نظرتُ وشخصى مَطْلَعَ الشمس ظلّه إلى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل [4]

لكن تلميذه لم يوافقه فى استشهاده بهذا البيت فى هذا الموضع وقال فى نقده له :- ((اعلم أن فى هذا البيت تعقيداً قبيحا وحشى بما زاد قبحه واستشهاده فى هذا المكان أقبح لا يناسب هذا الكتاب ..)) [5] .

مثال آخر على مخالفة الشارح لأستاذه أن الطيبى وضع التفويف، والتظريز ضمن المحسنات التى تعود إلى اللفظ والمعنى لكن تلميذه ذكر أن الأحسن ادخالها فى فن الفصاحة عند الكلام

---

(١) من الآية ٥ من سورة سبأ .
(٢) انظر الحدائق ص ١٣١٠
(٣) الحدائق ص ١٣١٠
(٤) انظر الحدائق ص ١٣٦٠
(٥) الحدائق ص ١٣٦٠

عن الصفة الأولى من صفات التراكيب وهو مايكون مصبوباً فى قالب الصنعة البديعية فقال الشارح فى هذا :- ((وأعلم أن التفويف، والتطريز ليسا بقارّين فى مكانهما فإنّ مقرهما عند الترصيع ، والترديد فى الباب الثانى من بابى الفصاحة أحسن ، ويمكن أن يقال إن التفويف من حيث كون الجمل مستوية المقدار معتدلة النظام يقتضى كل كلمة ما يشاكلها ، وكل معنى ماينا سبه هو كالإرصاد فناسب أن يقترن بالإرصاد، ويطرّز بالتطريز)) .(١)

ومن الأمثلة أيضاً مما خطّأ فيه الشارح أستاذه أنّ الطيبى ذكر الصفة الرابعة من صفات فصاحة الكلمة أن لا تكون وحشيّة غير مألوفة واستشهد له بما روى عن عيسى النحوى من قوله عندما سقط عن دابته فاجتمع عليه الناس فقال لهم مالكم تكاكأتم علىّ كتكاكئكم على ذى جنّة افرنقعوا عنى)) .(٢)

لكن الشارح لم يوافق أستاذه فى نسبة هذا القول إلى عيسى النحوى، وذكر أنّه منسوب إلى أبى علقمة النحوى فقال :-

((قوله ((وروى عن عيسى النحوى)) والصحيح من كتاب المحتسب لابن جنى والكشاف أنه أبو علقمة النحوى))(٣)

يتبين لنا من خلال هذه المواضع التى أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر النظرة الموضوعية التى يتحلّى بها الشارح فى نقده لأستاذه ، والبعد عن التعصب الأعمى إذ لم يتعصب لأستاذه على الرغم من حبه الشديد وتقديره الكبير له بل نقده نقداً علمياً صحيحاً كما يبدو لى .

نظراته فى النظم القرآنى :-

إنّ الدارس والمتتبع لنظرات الشارح رحمه الله تعالى فى كتابه حول الآيات القرآنية الكريمة يجد أن له نظرات فيها من عدة وجوه منها نظراته حول قراءاتها وتوجيهها، وأيضاً استشهاده لبعض المعانى ببعض الآيات، ومن تلك الوجوه تأملاته حول أسرار النظم القرآنى، وفى كل ذلك وغيره كان له جهد جيّد كما ظهر لى .

أ - عنايته بتوجيه القراءات القرآنية :-

ان اهتمام الشارح رحمه الله تعالى بالقراءات ، وتوجيهها يظهر جلياً فى هذا الموضع فقد استشهد الطيبى لإيجاز القصر بقوله تعالى ((إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين))(٤) ،وقد بيّن الشارح رحمه الله تعالى وجه قراءة الكسر فى قوله ((إنّه)) فقال :-

---

(١) الحدائق ص ١٣٧٧
(٢) الحدائق ص ١٥٦٩
(٣) الحدائق ص ١٥٦٩
(٤) الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة النمل .

((فقوله ((إنّه من سليمان)) مبتدأ خبره محذوف أمّا على قراءة الفتح فظاهر، وعلى الكسر فعلى تأويل فيه هذا اللفظ كقوله تعالى ((كتب عليه أنّه من تولّاه)) [1] على قراءة الفتح والكسر فعلى هذا أنّ في قوله ((أن لا تعلوا)) مصدريّة أي فيه أن لا تعلوا، وإنّما ترك فيه العاطف للدلالة على أن الجملتين السّابقتين كالتمهيد للثالثة لأنّها المقصودة بالذات ولذلك عطف الأمر على النهي تأكيداً وتقريراً فظهر من هذا أنّ ما في كلام الله مختص بما في كتاب نبي الله وذكر ما هو أهمّ وأعنى)) [2].

هذا موضع أوردته على سبيل التمثيل فإنّ الشارح رحمه الله تعالى كانت له نظرات، وتوجيهات لقراءة بعض الآيات القرآنية، وهذا ليس بالأمر اليسير فإن معرفة القراءة ليس فيه كبير عناء غير الاطلاع على الروايات ومعرفة مدى صحّتها بخلاف توجيهها فإنّها تحتاج إلى تضلع في علمي التصريف والنحو وخوض الشارح فيهما يدلّ على تمكّنه منهما ورسوخ قدمه فيهما .

ب - استشهاده بالآيات الكريمة لبعض المعاني :-

لقد استعان الشارح رحمه الله تعالى في تأكيد بعض المعاني التي تتضمنها النصوص الشعرية بآيات قرآنية من ذلك بيان منزلة الصبر، وأنّها من الصفات المحمودة في قول الشاعر :-

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهب ... فكيف اذا مالم عنه مذهب

هو المهرب المنجي لمن أحدقت به ... مكاره دهر ليس عنهن مهرب [3]

وقد أكّد الشارح هذا المعنى فقال :- ((ولعمري إنّ الصبر محمود كله وعليه بنيت أركان الاسلام ، وأسست قواعد مكارم الأخلاق لأنه لما مدح عباده المخلصين بقوله ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا)) [4] إلى قوله ((واجعلنا للمتقين اماما)) [5] عقبه بقوله ((أولئك يجزون الغرفة بما صبروا)) [6] فوضع الصبر موضع تلك الأعمال الفاضلة ، والأخلاق المرضية لأنّه ملاكها ، وعليه يدور قطبها)) [7] ، فالشارح أكد معنى البيتين بتلك النصوص القرآنية التي بيّنت منزلة الصبر

---

(١) من الآية ٤ من سورة الحج .

(٢) الحدائق ص ٦٦٢ ، ٦٦٤

(٣) انظر الحدائق ص ١٨٤

(٤) من الآية ٦٣ من سورة الفرقان .

(٥) من الآية ٧٤ من سورة الفرقان

(٦) من الآية ٧٥ من سورة الفرقان

(٧) الحدائق ص ١٨٤

جـ - عنايته بأسرار النظم القرآني :-

إنّ الدارس لكتاب الحدائق يجد أن لصاحبه نظرات وتأملات في استجلاء بعض الأسرار البلاغية للنظم القرآني المعجز من خلال الآيات التي بيّنها، ومن أبرز الشواهد على ذلك استخراجه لبعض الصور، والأساليب البلاغية في سورتي الاخلاص والكوثر باعتبارهما من أقصر السور، وقد أوردهما شاهداً على أنّ أعلى مراتب البلاغة ماوصل إلى حدّ الإعجاز، ومع أنّ القرآن كلّه معجز إلّا أن أقل ماوقع به التحدي هو سورة واحدة وسورتا الاخلاص والكوثر تعدان من أقصر السور.

يقول الشارح رحمه الله تعالى في سورة الاخلاص من جهة إعجازها البياني :- ((في تصدير السورة الكريمة بقل تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أنّ الموحى مما ينبغي أن يقال، ويلقى إليه البال، وتصدير المقول بضمير الشأن تنبيه لكل سامع على أنّ مايتلوه معنيٌّ به جدّاً، وفي تقديم الاسم الجامع على الجملة المبينة للضمير تنبيه للعارف على أنّ مايرد بعده من الوصف عظيم الخطر ينبغي أن يتلقاه بشراشره، ويتوجه إليه بكلّيته، ويضمحل فيه وسمه، ورسمه، ثم في إعادة اسم الله في الجملة الآتية، وبناء الخبر عليه إنذار باستقلالها في التنبيه، ولا تظنن أنّ تكرير اسم الذات الجامع لصفات الجلال والجمال لشيء من التطويل أو التطريز كلّا بل الأول وارد لتأسيس قاعدة الفردانية، وتشييدها، والثاني لترصيص معنى الصمدانية، وترصيفها، ثم اعلم أن صفات الله تعالى إمّا ذاتيّة، أو اضافية، وكل منهما اما تنزيهيّة، أو تمجيدية، فالأحد وصف لله تعالى بأنه قائم بذاته، والصمد وصف له بأنه مقوم لغيره لأنّ الصمد هو السيد الذي يقصد إليه بالحوائج، فالأحد ينفي الاثنينيّة لأن لاثنين واحد بعد واحد، فالواحد الأول مفتتح الثاني، والثاني مختتم به، فجيء بقوله ((لم يلد ولم يولد)) بياناً لهذا المعنى فقوله ((لم يلد)) إشارة إلى المعنى الأول ((ولم يولد)) إلى الثاني وقوله ((ولم يكن له كفواً أحد)) تنزيه مبني على قوله ((الله الصمد)) لما عرفت أنّ الخبر إذا كان معرّفاً باللام يفيد الحصر، فيفيد أن الله وحده هو الذي يصمد إليه بالأمور، وهو غير مفتقر إلى قرين ومعين، فإن قلت هب أنّ تعريف الخبر في الجملة الثانية دلّ على الحصر فكيف تصنع بالتنكير في الجملة الأولى ؟ .

قلت : لا خفاء أن التنكير فيه للتفخيم والتهويل، ومستقرّ أن الموصوف إذا كان على السلطان، والوصف عظيم الشأن يفيد التخصيص كقوله تعالى :((الله نزّل أحسن الحديث)) [1] ثم اخراج التركيب على نهج التوالد ردّ على المشركين وقولهم إنّ الملائكة بنات الله، وأن الأصنام تماثيل لها وهياكل

---

(١) من الآية ٢٣ من سورة الزمر .

وانضمام الكفو إلى ذلك ردّ على النصارى والقول بالأقانيم الثلاثة الأب ، والابن ، وروح القدس كما قال تعالى ((ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرلكم إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد))[1] وفي إعادة أحد منكر تنكير تقليل في سياق النفي ، والنفي مسلّط على الكون المقيّد به الكفو ، وقد علمت أنّ نفي كون الكفو أبلغ من نفي الكفو مطلقا على ماتقرر في قوله تعالى ((فلم يك ينفعهم))[2] وفي ذلك ادماج للرد على من يثبت القادرين المستقلين كالمجوس ومن يضاهيهم ، وزجر على المرائين الذين يشركون بعبادة ربهم غيره ، ثم انظر كم التفاوت بين التنكيرين في أحد ، وأحد لتقف على سرّ عجيب في معنى التوحيد ، فإنّ الأول دل على أنه تعالى واحد في ذاته على الإطلاق ، والثاني على أنه واحد لا ضدّ له ، ولا ندّ ، ولا نظير له ، ولا شبيه ، ثم تأمّل كيف وسم تقديم الظرف اللغو المفيد للإختصاص على صفحات كلّ موجود سواه بسمة الحدوث ، والإفتقار إلى الكفو كما قال تعالى ((ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون ففروا إلى الله))[3] أي ففروا من التفرقة إلى الجمع الأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، لتغوصوا على بحر لا ساحل له ثم حظّ العارف من قوله ((الله أحد)) أن لا يعبد سواه ومن قوله ((الله الصمد)) أن لا يستعين إلّا به كما ينبيء عنه التقديم في قوله إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ولأهل العرفان فيه مجال واسع يعجز عن بيانه لسان الطوى))[4] .

فالشارح رحمه الله تعالى ذكر بعض الأسرار البلاغية لهذه السورة من جهة الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وهي مباحث تتعلق بعلم المعاني .

أما مايتعلق بنظراته البلاغية حول سورة الكوثر فإنّه ذكر أنّ الفخر الرازي ألّف رسالة ذكر فيها واحداً وعشرين وجهاً نقلاً عن الزمخشري في الكشاف ولكنه سيذكر نبذا من خصائص نظم هذه السورة المعجز من غير ماذكره الرازي[5] فقال :-

((وحين وقفت على بيان سورة الاخلاص فلنثن عنان القلم إلى بيان اعجاز سورة الكوثر لأنهما توأمان في كونهما أقصر سور التنزيل ، ولأنهما تضمنتا معنى كلمتي الشهادة فنقول إنّها اشتملت على فنون البلاغة والفصاحة وحسن النظم المونق ، والأسلوب الغريب ، والتأليف العجيب ، والإخبار عن

---

(١) من الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة غافر .

(٣) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الذاريات .

(٤) الحدائق ص ٦٨ ، ٧٠

(٥) انظر الحدائق ص ٧٢

الغيوب وقد ذكر صاحب الكشاف فيه من الفوائد واحداً وعشرين وجهاً في رسالة نظمها الامام في نهاية الإيجاز، ونحن نذكر بعون الله وتأييده ما فتح الله علينا نبذاً من غير ما ذكره في تأليف النظم المعجز ، وهو أنّ السورة الكريمة مثلثة من وجه من حيث اللفظ والمعنى ، ومنصّفة من وجه آخر ، أمّا التثليث من حيث اللفظ فهي ثلاث آيات ، ومن حيث المعنى فإنّه بين الآية الأولى والأخيرة مطابقة معنوية ، والوسطى مشتركة بينهما وبيان ذلك أن الكوثر كما دل على الفلاح ، والفوز ، والنجاح بالمطالب في الدارين ، وحسن عاقبة حال حبيب الله على ما فسره حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما بالخير الكثير دل الأبتر على الخيبة والخسار ، وسوء خاتمة عدو الله الشاني وقطع دابره في الداريين لأنّ الكوثر هو الفضل والكمال، والبتر هو الشين والنقصان .....

نسب اعطاء الخير الى الله .....

ولم يضف قطع الدابر إليه تعالى .....

تأديبا ،وتعليماً ، ولمّا أكد الجملة الأولى بإن وبنى الخبر على اسمها وأتى بالفعل الماضي المحقق ليقوّى الحكم، ويصدّق الوعد قوبلت الثانية بإن، وتعميم الشاني ، وتوسيط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرّف ليفيد الاختصاص ، والدوام فيكون تعريضاً بالشاني وبقوله إنّ محمداً لا عقب له وسيموت، وينقطع أثره يعني من يكون موطأ العقب للأمة إلى انقراض العالم كيف يكون أبتر ؟ ، بل الأبتر هو الشاني الذي لا أثر بعده ، وكما دلّ الشاني أي المبغض أنّ الله مبغضهم دلّ ((إنّا أعطيناك)) على محبة الله لحبيبه كما سنبيّنه ، وأما قوله ((فصلّ لربّك)) فاشارة إلى تلقّي تلك النعمة السنيّة بالشكر الموجب لمزيد النعمة ، وقوله ((وانحر)) موجب لمزيد النعمة من الشكر لقوله ((إن شانئك هو الأبتر)) لأنّ كلا منهما تلميح إلى آية وقصة ، أمّا الأول فان تخصيص ذكر الصلاة دون سائر العبادات ترمز إلى قوله تعالى ((ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا))[1] .....

، وأمّا الثاني فإنّ تخصيص ذكر النحر فتلميح إلى قصّة حجة الوداع روينا عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج .....

الحديث .....

وما أحسن ذكر الأبتر بعد ذكر النحر فإن كليهما من حديث الابل فسبيل قوله تعالى ((إنّ شانئك هو الأبتر)) مع قوله ((وانحر)) سبيل الاستئناف فكأنّه قيل لم أنحر ، قيل إن شانئك هو

---

(١) من الآية ٧٩ من سورة الاسراء .

الأبتر .....

وأما بيان التنصيف فإنّ كلمة (لربك) متوسطة متعلّقة بفصّل، وقرينة لتقدير مثلها لـ ((وانحر)) وأمّا اشتمال السورة الكريمة على المغيبات فإنّه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم باعلاء كلمة الله والفتح ، والنصر على أعداء الله، فكان كما وعد، وأمره بالنحر حمدا لذلك فصدق وعده بتمكينه منه في حجة الوداع .....

وقد ذكرنا أنّ الآية الثالثة دلّت على الدوام ، والثبات لكونها جملة اسمية مؤكدة مؤذنة بسوء عاقبة شانئه .....

.....

هذا ما أردنا ايراده في هذا المقام مع قصور الباع وقلة البضاعة فكيف بالعلماء النحارير .....

فانظر أيّها المتأمل في هذه الرموز الخفية، والأسرار الغامضة التي تضمنت هذه السورة الكريمة ليظهر لك أنّها لاتشبه كلام البشر بل هو كلام خالق القوى والقدر فإذا تقرر هذا فاعلم أنّ الأصح أن الاعجاز لا يدرك بالتحديد ، والتعريف كما قيل الاعجاز هو اتيان التركيب البليغ الفصيح الذي يفيد معنى يمتنع أن يوجد ماهو أبلغ منه ، وأفصح ، أو مثله من غيره في افادة المعنى بل يحال إلى الذوق كما ذهب إليه صاحب المفتاح وتبعناه ألا ترى إلى أفصحهم نطقا ، وأدهاهم نكرا الوليد حيث قال لقومه والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً .....

فما زاد على ماأدركه من الذوق، فالذوق حالة وجدانيّة يدرك بها الشيء ، ولا يمكن التعبير عنه))[1].

لقد ذكرت هذين الموضعين مع طولهما على سبيل التمثيل لا الحصر لأنّ تأملات الشارح رحمه الله تعالى في استجلاء بعض الأسرار البلاغية للنظم القرآني المعجز سواء كانت الأسرار متعلقة بأساليبه وميدانها علم المعاني أو متعلقة بصوره ومدارها وقطب رحاها علم البيان أو تعلقت تلك الأسرار بوجوه التحسين وحلبتها علم البديع أو تعلقت بالفصاحة ومدارها فن الفصاحة، وقد تبين من خلال ماقاله في السورتين السابقتين أسلوبه في استخراجه لتلك الأسرار والنظرات البلاغية منهما فقد تميز بالحسن والجودة كما يتبين اهتمامه بالذوق وعنايته به في ادراك أسرار النظم القرآني المعجز .

---

(١) الحدائق ص ٧٢ - ٨٠

دراسته للأحاديث النبوية :-

لقد سار الشارح رحمه الله تعالى في شرحه للأحاديث النبوية وفق طريقة معيّنة ، ومنهج واضح إذ يقوم بتخريج الحديث، وشرح مفرداته ، وبيان معناه ، وموضع الاستشهاد فيه واستخراج بعض اللفتات البلاغية التي اشتمل عليها الحديث ، لقد سلك هذا المنهج في كثير من الأحاديث التي توقّف عندها ومن أبرز الأمثلة شرحه لحديث أم زرع كاملاً بتلك الطريقة ، فقد ذكر الطيبي جزءا من هذا الحديث شاهداً على التلويح ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر الحديث كاملاً وشرح مفرداته وبيّن معناه وما اشتمل عليه من صور الكناية فقال ضمن ماقال :- ((قوله ((في حديث أم زرع)) الحديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن ، وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً قالت الأولى زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا يسهل فيرتقى ، ولا سمين ، فينتقل ، وفي رواية البخاري فينتقى غث أي مهزول الوعر ضدّ السهل أراد الهزال هذا اللحم لا ينقله الناس إلى منازلهم بل يتركونه رغبة عنه وقد جاء فينتقى أي ليس له نقى ، وهو المخ ، وقلّته دليل على الهزال تصف زوجها بقلّة خيره ، وبعده عن الخير كالشيء الردئ في قنّة الجبل لا ينال إلّا بالمشقّة قالت الثانية .....)) .(1)

هكذا ذكر قول كلّ واحد وبيّنه إلى أن انتهى من الحديث وقال :- ((..... وإنّما أرخينا عنان القلم، وأطنبنا الكلام لأنّ الحديث جامع لأنواع الكنايات بأسرها ، وحاوٍ للأقسام كلّها مريداً للإرشاد ، والتمرّن)) .(2)

ومن الأمثلة أيضا أنّ الطيبي رحمه الله تعالى ذكر أن من شرائط حسن الاستعارة أن لا يشمّ فيها من جانب اللفظ رائحة التشبيه لذا يوصى في الاستعارة التصريحيّة أن يكون الجامع فيه جليّاً واضحاً وإلّا خرج إلى التعمية والإلغاز كما في قولك رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة وأريد الناس (3) ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر الحديث الذي اقتبس منه المثال المذكور، وخرّجه ، وشرح بعض مفرداته ، وبيّن الصورة البيانية التي اشتملت عليه فقال :-

((قوله ((رأيت إبلاً مائة)) مائة صفة إبلاً كقولك مررت بنسوة أربع ، وهو مقتبس مما روينا عن البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ، قال الأزهري الراحلة هي البعير القوي على الأسفار والأحمال التامّ الخلق تقع على الذكر والأنثى فالهاء فيه للمبالغة ، قال صاحب النهاية أي المرضي المنتجب من الناس كالنجيب من

---

(1) الحدائق ص ١٠٥٩

(2) الحدائق ص ١٠٦٨

(3) انظر الحدائق ص ١٠١٤

الإبل القوى على الأحمال الذى يوجد في كثير من الابل وقلت التشبيه مركب تمثيلى لأنّ المشبه به ، وهو الإبل موصوف بصفتين مبينتين لكمّية وكيفيّة لينتزع للمشبه الذى هو الناس مثل ذلك شبّه الجماعة من الناس الذين لا منتجب منهم بمائة من الابل لم يوجد فيها نجيب ، ووجه التشبيه حصول متعدد لا مختار فيه فهذا المعنى غير معروف من اطلاق لفظ الإبل، وتخصيصه بالعدد فإذا حذف المشبه، وأريد بالمشبه به المشبه دخل فى حدّ الإلغاز)) .[1]

ومن الأمثلة التى تدل على عناية الشارح رحمه الله تعالى بتخريج الحديث وذكر رواياته إذا كان فيه عدة روايات ماذكره فى حديث المؤمنون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم))[2] الذى استشهد به الطيبى على المجاز المرسل الذى علاقته السببية يقول الشارح حول تخريج هذا الحديث ((أخرجه النسائى من رواية أبى جحيفة وأبو داود عن عمرو بن شعيب مع زيادات))[3]

ومن الأمثلة أيضاً تخريجه لحديث إنّك لعريض القفا الذى استشهد به الطيبى[4] على الرمز فقد قال الشارح في تخريجه لهذا الحديث ورواياته :- ((الحديث من رواية البخارى، ومسلم وأبى داود، والترمذى، وعن عدى بن حاتم، وفى رواية البخارى قال إنّ وسادتك اذن لعريض وفى رواية أخرى أنه قال إنك اذن لعريض القفا))[5] يظهر لنا من خلال تلك الأمثلة وغيرها دقّة الشارح وقدرته على تحليل الأحاديث النبوية، واستجلاء الصور والأساليب البلاغية التي تضمنتها ، وهذا مايهمنا فى دراستنا البلاغية كما تدلّ تلك الأمثلة، وغيرها على سعة علم الشارح رحمه الله تعالى وتمكّنه من علم الحديث، وروايته، وهذا يؤكد الارتباط الشديد، والعلاقة الوثيقة بين العلوم العربيّة، وبين العلوم الاسلامية لأن العلوم العربية هى الوسيلة لفهم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لهذا لا نجد فصلاً بينهما عند علمائنا الأجلاء فنجد الواحد منهم يجيد عدة فنون فتجده مثلاً راسخ القدم فى النحو ، والحديث والبلاغة ، والفقه ، وغيرها حتى إذا سمعته قلت لا يجيد غيره وهكذا كان الشارح رحمه الله تعالى كما يبدو .

---

(١) الحدائق ص ١٠١٤

(٢) انظر الحدائق ص ٩٠٢

(٣) الحدائق ص ٩٠٢

(٤) انظر الحدائق ص ١٠٥٢

(٥) الحدائق ص ١٠٥٢

إشادته بالذوق :-

لقد كان للذوق عناية كبيرة عند الشارح رحمه الله تعالى تجلّى ذلك من خلال ماذكره على لسان شيخه والذى عدّل اكثاره من الشواهد الشعرية بقوله ((فلا يختلج فى بعض الخواطر أنّا أكثرنا من ايراد الأبيات فأطلنا الكتاب ، فأورث الإملال لأنّ من مقدمات هذه الصناعة الإكثار من معرفة الدواوين والخطب والرسائل .....
على أنا ما أردنا من ايراد تلك الأبيات إلّا دفع الملال، ولا يمل منها إلا جامد عديم الحس)) .(١)

ويظهر أيضاً من اختياراته الشعريه وتحليله لها بوضع يده على مواطن الجمال فيها كذلك من خلال موازناته أيضاً كما يتجلى ذلك أيضاً من تعريفه للذوق ، وبيان أهميته عند شرحه لكلام ضياء الدين ابن الأثير الذى ذكره شيخه فى أول كلامه فى فنّ الفصاحة حيث قال :- ((والذى استفدته من معرفة الذوق أكثر مما استفدته من ذوق المعرفة)) علّق الشارح رحمه الله على هذا بقوله :- ((والذوق حالة وجدانية يدرك بها الشىء، ولا يمكن التعبير عنها .....
يريد أنّ مبنى هذا الفن على الطبع المستقيم ، والذوق السليم، وأن المعرفة تابعة للذوق، وهو حاكم عليها لا العكس، وإليه أشار صاحب المفتاح بقوله فلا على الدخيل فى صناعة علم المعانى أن يقلّد صاحبها فى بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك إلى أن يتكامل له على سهل موجبات ذلك الذوق . .)).(٢)

من خلال كل هذا يتأكد لنا مدى اعتماد الشارح رحمه الله تعالى على الذوق وعنايته به وهو فى هذا لم يسلك طريقاً جديداً لم يطرقه العلماء السابقون، أو استدرك عليهم، وإنما اقتدى فى هذا بأستاذه السكاكى وابن الأثير وله فضل التركيز وزيادة الاهتمام به .

اختياراته الشعرية والرأى فيها :-

ذكرت فيما سبق عند الكلام عن منهج الشارح فى الكتاب أن من منهجه الذى قام عليه فى هذا الكتاب الاكثار من الأبيات الشعرية لأنّ من مقدمات هذه الصناعة الاكثار من معرفة الدواوين والخطب للارتقاء بذوق القارىء ودفع الملل عنه .(٣)

والمتتبع للأبيات التى أوردها الشارح رحمه الله تعالى يجدها فى الغالب من عيون الشعر معنى ،

---

(١) الحدائق ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) الحدائق ص ١٥٤٦

(٣) انظر الحدائق ص ٤٥ ، ٤٦

ونظماً من ذلك مثلا أن الطيبى ذكر من شواهد حسن التعليل قول كثيّر عزّة :-

وحقك إن الجزع أضحى ترابه ... عبيراً وكافوراً وعيدانه رندا

وما ذاك إلا أن مشت بجنابه ... أميمة فى سرب وجسوت به بردا

أما الشارح فذكر أبياتا فى معنى قول كثير فقال :-

((وهذا طريق سلكه الأوائل وسبيل احتذاه الأواخر ولله درّ الشيخ شهاب الدين النوربشتى رحمه الله حيث قال :-

ألا من لصبّ رنحته رويحة ... حجازية تستجلب العبرات

أقارة مسك أم شمامة عنبر ... تراوح بين الطّلح والسمرات

أم استبضعت من بطن مكة نفحة ... تفوح من الجدران والسترات

تهيّج من قلب الصفا طرب الهوى ... وتنفخ روح القدس فى الصخرات

أنفاس عيسى استودعت بل أمدها ... زمانا خليل الله بالزفرات

ففيها لأرباب القلوب معاهد ... تذوب عليها النفس بالحسرات

ظللت بها أبغى فؤداً ضللته ... وأنشرت بين الخيف والجمرات

تضرع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينب فى نسوة عطرات

وهذه كلّها تخييلات، وتصورات اعتقدها قائلها وأنّ حقيقتها من خواص سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه على ماروينا عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا فيتبعه أحد إلا عرف أنّه صلى الله عليه وسلم قد سلكه من طيب عرفه ، أو قال من ريح عرقه رواه الدارمى فى سننه ، ومحى السنة فى المصابيح نعم سبيل الشيخ سبيل وجدانى، ولعمرى إن من القوم من يتعرف من آثار مروره على ديار عرف رجال الله تعالى)) [1] فعلى الرغم من أن الأبيات جاءت فى التغزل برائحة المحبوبة وأنّه يعرف مرورها بالمكان من أثر رائحتها الطيبة لكن الشارح وجه هذا إلى أن هذا من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يلبث أن وجهها توجيهاً صوفيّاً حين ذكر أن من الصالحين من يعرف مروره بالمكان من أثر رائحته الزكية التى تبقى بعده، والذى يظهر لى أنّ الأبيات على الرغم من جودتها نظما ومعنى وما اشتملت عليها من رقة وجمال فهذا من خيالات الشعراء ومبالغاتهم عند تطرقهم لمختلف المعانى، وهذه أمور اعتادوها، وغير مستغربة منهم ، وأما أنّ معناها متحقق فى الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا ثابت حقاً بالحديث الذى أورده الشارح ، أما ادعاء الشارح

---

(١) الحدائق ص ١٢٠٨

تحققها فى الصالحين من عباد الله تعالى فهذه دعوى تحتاج منه إلى أدلة وأمثلة لاثباتها ثم أليس الصحابة أعرف بالله ، وأفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم فلم يعرف عنهم أنّ المكان الذى يمرون عليه يعرف مرورهم به من طيب ريحهم الذى يخلفونه فيبدو لى أن هذا مبالغة من الشارح رحمه الله تعالى لكن يبقى الجانب الفنى فى الأبيات ، وتذوقها تذوقا جماليا فى غاية الروعة ، ويشهد لذوق الشارح الرفيع فى الإختيار ،أنه أحيانا يورد بعض الأبيات ويبيّن السمات الجمالية التي تميزت بها فى النظم والمعنى وذلك من خلال أقوال بعض العلماء فعند حديث الطيبى (١) عن التصريع وأنّ قليله يحسن دون كثيره لما فيه من أمارات الكلفة ذكر الشارح قول بعض العلماء فى الصنعة البديعية ، وأن شرط قبول النفس لها تلاؤمها مع الكلام لفظاً ومعنى وذكر عدة أبيات لبعض الشعراء جاءت متلائمة مع قلة الصنعة البديعية فيها كما ذكر قول بعض العلماء فى أبيات لجرير جاءت فى أحسن صور التلاؤم ، ولم تشتمل على محسن بديعى يقول الشارح فى كل ذلك :-

((قال أبو الحسن الهروى صاحب دلائل النبوة واعلم أن التلاؤم يكون بتلاؤم الحروف ،وتلاؤم الحركات ، والسكنات ،وتلاؤم المعنى ، فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية فى العذوبة ، وفى حصول بعض دون بعض انحطاط درجة العذوبة عن الغاية ، وسائر أقسام الفصاحة مع عدم التلاؤم يعدّ تكلفاً ، وكلّما ظهرت الصنعة أكثر كان الكلام أقرب إلى التعسف ،وإذا حصل التلاؤم عظم معه يسر الصنعة ، وشرف تأليف الكلام ، ووضعه ألا ترى إلى قول الشاعر :-

تمتّع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشيّة من عرار

ألا ياحبذا نفحات نجد ... وريّا روضة بعد القطار

شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار

كما حصل له التلاؤم حصل فى النفس القبول التام مع قلة الصنعة فيه ، وقال صاحب اللمع ضع يدك على أبيات جرير التى منها :-

- طرقتك صائدة القلوب -

فتأمل قوله :-

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

هل ترى فى هذا البيت لفظاً غريباً ، أو شيئاً من ضروب الصنعة التى يسمونها بديعاً ، وإنّما تسمع كلاماً مرسلاً شرّفه حسن النظم، وجذب بضبعه خلوص السبك ، فلطفت مجاريه ، وتناصفت ألفاظه

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٣٢

معانيه ، وحلاه الصوغ أحسن حلاه ، وأعطاه من القبول كيف شاء سناه ، وجعلت حلاوته تملك مجامع القلب ، وتأخذ مذاهب اللب ، وتملأ منافذ السمع فرحة ، وتوسع معاطف النفس بهجة ، فإذا طرق سمعك ماينبو عنه سمعك تخيّل إليك وقت أنيق سلبته ، وزمان بهيج حرمته ، وقدّرت أنك المعنى به، والمرمى بسهمه ، ووجدت في نفسك حزناً يثور ، ووجدا يجيش، ويفور ، لا تعلم لهما سببا غير خاصية لهذا القول ، ومزية في وضع هذا النظم ، ولهذا شبه الكلام الجيد بالسحر لأنه يصنع ضيعه ويدبّ دبيبه ، فقيل قول ينزل العصم سهل الأباطح ، ويخرج الحية من مقرّها ، وأنت ترى في الشعر ذكر اللوى كثيرا فما بال موقعه في هذا البيت أشرف ، وأرقع في السمع، وألطف، وقلما يقع أولئك موقعا أعلى من هذا وأحلى ، وأمّا قوله :-

طرقتك صائدة القلوب فليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

فان الأصمعي ذكر أنّ خيالها طرقه في أسفاره، وفي غير حال استقراره وانما أثر أن يلمّ به حال التفرغ للهوى، والتشاغل للصبى ، وانما يقرب فإنّه متى رد طروقها من غير هذه العلة كان مستهينا بحبّها ، والأولى أن يقال إنّه أشفق عليها من معاناة أهوال السفر، وتحمل الأذى فيه ، والخطر وان كان مخالفاً لعادات الشعراء في استزارة الطيف، والخيال، والتلطف لاستجلائه ، والاحتيال ، ولكنه جاء إلى الخاتمة العجيبة فطبع بها بيته ، وقطع عليها ماقبله، وهي فارجعي بسلام وكأن هذه الكلمة على أنها متداولة مألوفة لم تخلق إلا لهذا الموضع، ولم تلق إلا بقافية هذا البيت)) .(1)

يظهر لنا من خلال هذا الكلام دقة اختياره للأبيات الشعرية، وماقيل في الاشادة بها، وهذا مما يشهد له بالذوق الرفيع، ورهافة الحس ، وقد قيل قديماً إختيار الرجل قطعة من عقله ، ولا أدل على قريحته الصافية ، وذهنه المتّقد من ذكره لمثل تلك الإختيارات فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

منهجه في شرح الشواهد الشعرية :-

لقد سلك الشارح رحمه الله تعالى طريقة منهجيّة في كثير من الأبيات التي شرحها فإنّه يبدأ بشرح المفردات الغريبة ، أو تلك التي يرى أنّها تحتاج إلى شرح ثمّ يذكر إعراب بعض التراكيب في البيت ، وروايات ان كان البيت ورد بأكثر من رواية ، وبعد ذلك يبيّن المعنى العام للأبيات ، وموضع الشاهد فيها ، كما يذكر بعض الصور والأساليب البلاغية التي تضمّنها من غير موضع الشاهد وفي بعض المواضع ينقد الأبيات من خلال الموازنات بينها وبين غيرها ونادراً ما ينسب

---

(١) الحدائق ص ١٦٣٢ - ١٦٣٥

الأبيات ، أو يذكر مناسبتها ، وقد اتبع الشارح هذه الطريقة فى كثير من الشواهد الشعرية لكنه يكتفى ببعض تلك الأمور فقد يستغنى عن شرح المفردات الغريبة للبيت على اعتبار أنها واضحة جلية وقد لا يذكر موضع الشاهد فى البيت ، أو يبين معناه لكونهما ظاهرين لا يحتاجان إلى ذكر كما أنه أحياناً لا يشير إلى بعض الصور والأساليب البلاغية التى تضمنها الشاهد ، وأحياناً لا يذكر الروايات الأخرى للبيت إما لأنه لا يوجد ، أو لم يطلع على تلك الروايات ، فبناءً على كل ماسبق فصلت جهده فى شرحه للشواهد والأمثلة على النحو التالي :-

أ - شرحه للمفردات الغريبة :-

لقد اعتمد الشارح رحمه الله تعالى فى شرحه لكثير من المفردات التى اشتملت عليها الأبيات اعتمد على الصحاح للجوهرى ، أو النهاية فى غريب الحديث لمجد الدين ابن الأثير ، وأساس البلاغة للزمخشرى أو المفردات للراغب ، فمن ذلك مثلاً بيانه لمعنى الألفاظ التالية وهى أضاءت ، أحسابهم ووجوههم ، دجى ، الجزع ، انقض فى قول الشاعر :-

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكب[1]

فقد أوردهما الطيبى شاهداً على غرض تطهير المسند إليه عن اللسان من أغراض ترك المسند إليه يقول الشارح فى شرح تلك الألفاظ :-

((يقال ضاءت النار تضوء ضوءا ، وأضاءت ، وأضاءها ، غيرها يتعدى ، ولا يتعدى ، الأحساب جمع حسب بمعنى محسوب ، وهو مايعده الإنسان من مفاخره ، الدجى جمع دجية ، وهى الظلمة ، قال الأصمعى يقال دجى الإسلام إنما هو ألبس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، والجزع بالفتح الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض انقض الحائط سقط ، وانقض الطائر هوى فى طيرانه ، ومنه انقضاض الكواكب))[2] وقد اعتمد الشارح فى بيانه لكلمة الحسب ، والدجى ، والجزع على الجوهرى فى كتابه الصحاح ، وإن لم ينص على ذلك ، مثال آخر أن الطيبى ذكر عدة أبيات لكثير عزة شاهداً على التشبيه الذى طرفاه حسيان ، وقد جمع فى هذا الحس مايشم ، ومايذاق والأبيات هى :-

وماروضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٨

(٢) الحدائق ص ١٤٨

كأنّ على أنيابها بعد هجعة إذا ما نجوم الليل حان انحدارها
مجاجة نحل صفّقت بمدامة معطّرة صهباء طال اعتصارها (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر فى شرحه للمفردات الغريبة التى اشتملت عليها الأبيات فقال :-

((الحزن ماغلظ من الأرض ضدّ السهل ، الثرى التراب، الندى البلل، الجثجاث نبت ، وهو أمرار الشجر ، والعرار نبت طيب الرائحة، ويقال لها بهار البر الواحدة عرارة قال :-

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

الوهن نحو من نصف الليل والموهن مثله ، قال الأصمعى، وهو حين يدبر الليل، والأردان جمع ردن بالضم وهو أصل الكم والمندل عطر ينسب إلى المندل، وهو من بلاد الهند ، صفقت أى خلطت أصله من صفقه البيع ، والبيعة إذا ضرب يده على يده ، أديف أى بلّ يقال دفت الدواء أى بللته بماء أو بغيره فهو مدوف، ومسك مدوف أى مبلول اللطيمة العير التي تحمل الطيب ، وربّما قيل لسوق العطارين الدّارى العطّار منسوب إلى دارين فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل إليها مسك من ناحية الصين)) (٢) ، وقد نقل الشارح هذه المعانى عن الجوهرى فى الصحاح ، ومن الأمثلة أيضاً على عناية الشارح بشرح المفردات الغريبة فى الشواهد الشعرية شرحه للفظتى أتغزل وأمنحك فى قول الأحوص :-

يابيت عاتكة الذى أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكّل
إنى لأمنحك الصدود وإننى قسماً إليك مع الصدود لأميل

فقد ذكر الطيبي (٣) البيت الأول ضمن شواهده على التلميح يقول الشارح فى شرحه للمفردين السابقين :-

((..... يقال غزله ،واغتزله ، وتغزّله بمعنى والاسم الغزلة أمنحك ، وأعطيك ، والمنحة العطيّة ، والأصل فيه أن يعطيه ناقة ، أو شاة ،ينتفع بلبنها ، ويعيدها ، وكذلك ينتفع بوبرها ، وصوفها زماناً ثم يردّها .....)) (٤).

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٧٠
(٢) الحدائق ص ٧٧٠ ، ٧٧١
(٣) انظر الحدائق ص ١٤٦٧
(٤) الحدائق ص ١٤٦٧

هذه بعض المواضع أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر تبرز جهد الشارح رحمه الله تعالى فى بيان وتوضيح المفردات التى تحتاج إلى شرح فى النصوص الشعرية .

ب- توقفه عند روايات البيت :-

لقد توقف الشارح رحمه الله تعالى عند بعض الأبيات بذكر الرواية الثانية للبيت أو الروايات إن كان فيه عدّة روايات، وتخريجها، وأحياناً يرجح مايراه راجحاً منها من ذلك مثلا قول الشاعر :-

كأنّ قتود رحلى حين ضمّت حوالب غرّزاً ومعاً جياعا

على وحشيّة خذلت خلوج وكان لها طفل فضاعا (١)

فذكر أن رواية حوالب بالنصب أظهر من رواية الرفع فقال :-

((.....حوالب خبر كأن .....

والأظهر أن حوالب مفعول ضمّت بفتح الضاد .....

وهذه الرواية أصح معنى وإعراباً ، أمّا من حيث المعنى فلأن غرض الشاعر تشبيه ناقته بالوحشية فى نفورها ، وضمورها لا تشبيه القتود بالحوالب وأمّا من حيث الاعراب فلأن حوالب ومعاً نكرتان فلا يصح وقوع الحال منهما موخراً)) (٢).

فالشارح رحمه الله تعالى لم يكتف بذكر الرواية الأخرى ، بل رجّح ماتبين له أنه هو الأظهر ، والصحيح وهذا جهد جيد من الشارح فى هذا المجال ،ومثال آخر أنّ الشارح ذكر أنّ رواية تقطّعت أظهر من رواية قطعت وأنّه يروى وافى الذوائب بدل مرخى الذوائب وذلك فى قول أبى تمام :-

إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد تقطع مابينى وبين النوائب

هنالك تلقى الجود فى حيث قطعت تمائمه والمجد مرخى الذوائب (٣)

فقد قال الشارح :- ((..... قطّعت هذه رواية المثل السائر ، وفى ديوان أبى تمام حيث تقطعت ، وهذه الرواية أظهر ، قال المرزوقى :-

((ويروى وافى الذوائب بدل مرخى الذوائب أى وتلقى المجد كثيراً وهذا مثل يقول تلقى الجود قد أحبّ هذا الموضع ، وتربّى فيه فما يحبّ أن يفارقه والمجد ، والشرف مع هذا الجود جليل كثير

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٠٠

(٢) الحدائق ص ٢٠٠

(٣) انظر الحدائق ص ١٠٧٥

ومن روى مرخى الذوائب أراد أن المجد كالأمن فيهم من أن يتحوّل إلى غيرهم، ويكون أيضاً أنه قد أحاط به الشرف من كل جانب ويفهم أن وافى الذوائب، ومرخى الذوائب على الروايتين منصوبان على الحال من المفعول وهو المجد والسكون للوزن)) .(١)

ومن الأمثلة أيضاً على عناية الشارح برواية الأبيات ماذكره من أن ترصد أصح فى قول الأعشى :-

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد لما كان أرصدا(٢)

قال الشارح رحمه الله تعالى :- ((والرواية الصحيحة لم تُرصِد بضم التاء وكسر الصاد للتطابق يقال أرصدت له أى أعددت له ، وفى حديث حسن بن على رضى الله عنهما، وذكر أباه، وقال ما خلّف من دنياكم إلّا ثلثمائة درهم أرصدها لشراء خادم) .(٣)

هذه بعض الأمثلة يتبين من خلالها جهد الشارح ليس فى ذكر الرواية، أو الروايات الأخرى للبيت فقط بل الترجيح بينها مع بيان وجه الترجيح، وهو جهد جيد من الشارح فى هذا المجال رحمه الله تعالى .

د - إعرابه لبعض تراكيبه :-

ان كثيرا من الشواهد الشعرية التى توقف عندها الشارح ذكر اعراب بعض التراكيب فيها فعلى سبيل المثال أعرب الشارح رحمه الله تعالى بعض التراكيب فى قول الشاعر :-

أضاءت لهم . . . . . البيتين وقد سبقا ، فقد قال الشارح :-

((وقوله نجوم سماء خبر مبتدأ محذوف، وهو تشبيه بليغ لأنّ المقدر كالملفوظ ، وعند بعضهم استعارة ، وكلّما نصب على الظرف ، والعامل فيه الجزاء وهو بدا، وما مصدرية، والوقت مقدر أى كلّ وقت انقضاضه، والضمير فى كواكبه راجع إلى كوكب، ويجوز أن يكون راجعاً إلى السماء وعلى تأويل تذكير اسمه وهو الرفيع، أو باعتبار المذكور، والجملة الشرطية استئنافية، أو صفة سماء على أن يقدر انقضّ كوكب منها هذا إذا كان الضمير فى كواكبه راجعاً إلى كوكب أمّا إذا كان راجعاً إلى السماء فلا يحتاج إلى تقدير الضمير)) .(٤)

---

(١) الحدائق ص ١٠٧٥

(٢) انظر الحدائق ص ١١٤٢

(٣) الحدائق ص ١١٤٢

(٤) الحدائق ص ١٤٦

مثال آخر اعراب الشارح رحمه الله تعالى لقول المتنبى :-

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر [1]

فقد قال :- ((فالذى خبر من، ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والفقر المعرّف تعريف الجنس خبر الذى ، وصلته فعل ، والضمير المستتر المرفوع فيه راجع إلى الموصول الأول المنصوب المحذوف إلى الثانى)) [2]

أحياناً يرجع الشارح بين الوجوه الإعرابية ليبين أيّها أقضى لحق البلاغة من ذلك ماذكره فى إعراب كلمة العيمان فى قول الزبرقان :-

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلّص عن برد الشراب مشافره

قال :- ((العيمة بالعين المهملة شهوة اللبن ..... والعيمان يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لقروا يعنى لمّا جفوت ضيفك فقدم أعوانك اللبن إليه، وعرضوا عليه ثم منعوه عنه حتى شرب الماء البارد صرفاً فتقلّص شفتاه ..... وأن يكون وصفا لجارك ، والمفعول الثانى محذوف أى قروا ضيفك المشتهى للبن الماء حتّى أورثه التقلص، والأول أبلغ في الذم، وأقضى لحقّ البلاغة لأنّ فى قوله قروا جارك العيمان تتميما لمعنى الذم أى ما اكتفى بالضياع ، بل لوّحوا إليه اللبن حتى أورثوه اشتهاء ، ثمّ منعوه عنه والضمير فى مشافره راجع إلى جارك وهو مفرد وجمع المشافر مبالغة فى التقلص فكأن كل جزء حصل فيه التقلّص كقوله معاً جياعا وقلص على الوجهين معطوف على محذوف هو مسبب عن الأول أى قروا جارك اشتهاء اللبن فشرب ماء وقلص عن الثانى التقدير فشربه وقلص، ويجوز على الأول أن يكون حالا من المفعول الأول، وقد مقدرة أو من الضمير المنصوب فى جفوته)) . [3]

هذه بعض الشواهد أوردتها على سبيل التمثيل يظهر من خلالها تمكن الشارح رحمه الله تعالى من علم النحو ، وقدرته على توجيه معانى الأبيات حسبما يصح فى تراكيبها من وجوه اعرابية، والترجيح بينها .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٥٣

(٢) الحدائق ص ١٤٥٣

(٣) الحدائق ص ٨٩٨

د - عنايته بمعاني الأبيات :-

منهج الشارح رحمه الله تعالى أنه يقوم ببيان معنى البيت أو الأبيات التي يقوم بشرحها وهذا مافعله في كثير من الشواهد فمثلا قال في معنى البيتين السابقين :

أضاءت لهم ..... البيتين .

((.....يصف قوماً شرفاء كرماء ذوى أحساب وأنساب حيث شبههم بنجوم السماء في الرفعة ، والاهتداء ، والاقتداء حتى لو مات منهم واحد لقام واحد في موضعه يأوى إليه جميعهم مطيعين منقادين أى لكل منهم صلاحية أن يكون مقتدى به .....)) .(١)

ومن الأمثلة أيضاً ماقاله في معنى بيتي الأرجاني :-

أخلاقه نكت في المجد أيسرها ... لطف يؤلف بين الماء والنار

لو زرته رأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والأرض في دار(٢)

قال الشارح رحمه الله تعالى في معناهما :-

((نظر في الفقرات إلى الغايات لأن غاية الناس الانسانية واكتساب مكارم الأخلاق ، والاحتساب عن رذائلها ، وغاية الدهر الرفاهية فيه ، وحصول العيش الهنى ، والحياة المرى ، وغاية الأرض حصول جمع الشمل في المأمن ، والثبات ، والاستقرار على الأمن ، فلما كان حاوياً لجميع الخصال الحميدة وجامعاً لتلك المناقب المرضية كان من زاره نال كل الأماني ، والمآرب ، ووصل إلى كل المقاصد والمطالب))(٣)

ومن الأمثلة أيضاً ماذكره في معنى قول المتنبي

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذى فعل الفقر

قال الشارح في معناه :- ((يقول من ضيع عمره الذى هو رأس كل فوز وسعادة في طلب أخس الأشياء الذى هو حطام الدنيا مخافة الفقر فإنى أنبهك على أنه خسر خسرانا لا خسار فوقه ، وأن مافعله هو نفس الفقر وحقيقته لا غير) .(٤)

هذه بعض الأمثلة تبين مدى حرص الشارح رحمه الله تعالى على اتباع المنهج الصحيح في الشرح والتحليل كما تدل على تمكنه من فهم النصوص .

---

(١) الحدائق ص ١٤٨

(٢) انظر الحدائق ص ٧٩٠

(٣) الحدائق ص ٧٩٢

(٤) الحدائق ص ١٤٥٣

هـ - اهتمامه بموضع الشاهد فيها :-

إنّ موضع الشاهد في النص هو الغرض الذى اقتضى إيراد الشاهد من أجله ، وقد لقى هذا الجانب العناية الخاصة عند الشارح رحمه الله تعالى خلال شرحه للأبيات الشعرية من ذلك مثلاً أنّ الطيبى ذكر بيتى أبى العلاء :-

أردنا أن نصيد بها مهـــــــاة ... فقطّعت الحبائل والحبـــــــالا

ونمّ بطيفها السارى جـــــــواد ... فجنّبنا الزيارة والوصـــــــالا

شاهداً على ترشيح الاستعارة ، وقال في تعليقه على البيتين :- ((الحبائل والحبالا ترشيـــح لاستعارة المهاة للحبيبة ثمّ قوله ونمّ بطيفها تجريد لها)) .(١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه بين موضع الشاهد أحسن بيان فقال :- ((شبّه الشاعر تناومـــه لطيف المحبوبة بشبكة الصياد والحبيبة بالمهاة ، وحصول طيفها بوقوع المهاة فى الشبكة ، وصهيـــل الجواد بالواشى الفرق بين الأحباب هذا إذا كانت الاستعارة مفرقة ، أو تمثيلية ، وأمّا إذا جعلـــت الاستعارة فى المهاة فحسب تكون الحبائل ترشيحاً لها لأنّها صفة ملائمة للمهاة الواقعة فى الشبكـــة ويكون نمّ بطيفها جواد تجريداً لكون النمّام والطيف يستعملان فى حال الحبيبة)) .(٢)

ومن الأمثلة على عناية الشارح بموضع الشاهد فى البيت ماذكره فى بيتى الاربلى شاهداً علـــى الجمع مع التفريق والبيتان هما :-

تشابه دمعانا غداة فراقنـــــا ... مشابهة فى قصة دون قصـــــة

فوجنتها تكسو المدامع حمـــــرة ... ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتـــى(٣)

قال الشارح حول موضع الشاهد فى البيتين

((أدخل الدمعين فى معنى التشابه ثمّ فرق بين جهتي الإدخال بقوله مشابهة في قصـــة دون قصة مجملاً وفصّله بالبيت الثاني بأنّ بيّن بأن حمرة وجهه من انصباغة بالدم الجارى من العين ، وقـــد أبدع فيه كل الابداع)) .(٤)

هذه بعض الأمثلة التي تدل على تمكن الشارح من توضيح موضع الإستشهاد فى الأبيات الشعرية .

---

(١) (٢) الحدائق ص ١٠٠٦

(٣) انظر الحدائق ص ١٣٩٩

(٤) الحدائق ص ١٣٩٩

و - استخراجه لبعض الأساليب والصور البلاغية منها :-

ان أبرز مايميز الشارح في تحليله للنصوص الشعرية توقفه عند كثير من تلك النصوص ببيان بعض اللفتات البلاغية من غير موضع الشاهد ، وهذا إنما يدلّ على مدى تمكنه من ناصية البيان ، وقدرته على التطبيق مع دقة الفهم ،والذوق الرفيع، ومن أبرز الأمثلة على ماذكرت أن الطيبي ذكر ضمن شواهده على التضمين قول بهاء الدين الجويني إلى ابنه عطاملك وفي أربعةأبيات منها :-

عطا ملك فديتك إنّ شوقي ... إليك يسوقني الأشجان سوقا

مطايا طاقتي قد صرت عجفى ... وأضحت ناقة البرحاء كوما (١)

وقد بين الشارح رحمه الله تعالى الاستعارة التي تضمّنها البيتالثاني فقال :- ((...ناقة كوماء عظيمة السنام ، وهي ترشيح والاستعارة ناقة البرحاء كما أنّ عجفى ترشيح لاستعارة مطايا طاقتي، وفي القرينتين طباق معنوي لأنّهما كنايتان عن شدة ضعفه ، ونفاذ طاقته وعن قوة كربه وغاية غرامه .....)) (٢).

ومن الأمثلة أيضاً توقفه عند الاستعارتين في بيتي المعرى اللذين أوردهما الطيبي شاهداً على العقد وهما :-

وجند سليمان رأى السيف حولها ... فحاذر نمل دبّ فيه من الحطم

يرى السيف دون القرن من حلقاتها ... على دقها مادون يأجوج من ردم (٣)

وقد بين الشارح رحمه الله تعالى الصورة البيانية التي تضمنها البيت الثاني فقال :- ((شبّه الدرع المزرودة ، وحلقاتها المتراكبة المتراكمة بجند سليمان من الجن والانس فيكثرتها وازدحامها وشبّه مافي السيف من فرنده ، وجوهره بالنمل في صغره ، وتموّجه،ثم أخرج التشبيهين مخرج الاستعارتين)) (٤)

ومن الأمثلة ما استشهد به الطيبي على حسن المخلص من قول ابن بابك :-

لقد نشر النيروز وشياً على الربى ... من النور لم يظفر به كفّ راقم

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٢٥

(٢) الحدائق ص ١٤٢٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٤١

(٤) الحدائق ص ١٤٤١

كأن ابن عباد سقى المزن بشـــــره فجاء برشاش من الوبل ساجـــــم[1]

وقد بيّن الشارح التشبيه الذى اشتمل عليه البيتان فقال :-

((شبه اخضرار النبات مع اختلاف ألوان الأزهار من الإصفرار والإحمرار والإبيضاض المنبسطـــة على الربى والهضاب بثوب منشور مرقوم موشّى منقّش بألوان النقوش في حسن المنظر ونزاهة البهجـــة ثم أخرجه مخرج الاستعارة التمثيلية .....))[2]

هذه بعض المواضع أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر يتبين من خلالها دقّة وعمق الشارح رحمه الله تعالى فى فهمه للنصوص الشعريّة لأنّ استخراج مثل هذه الصور البلاغية التي تلقى ظلالاً علـــى مواطن الجمال فى النصّ الأدبى لاتتأتّى إلّا بعد مرحلة فهم النص ومعرفة موضع الشاهد فيه ، كمـــا تدلّ على رهافة الحس ، وارتقاء الذوق ممن يقوم بهذا العمل ، وهذا ماثبت للشارح رحمه اللـــه تعالى من خلال تلك الأمثلة وغيرها .

ز- دقّة نقده للشواهد الشعرية :-

إن الدارس لكتاب الحدائق يجد صاحبه الشيخ على بن عيسى له نظرات نقدية وإن لم تكن رأيـــا مستقلّاً له بل تبع فيه علماء آخرين وإنّما كان له فضل حسن الأخذ عنهم والتطبيق على بعض الأبيـات الشعرية بالإضافة إلى حسن اختياره وانتقائه مما قالوه فقد ذكر الطيبى[3] المحاورة التي جرت بيـــن أبى الطيب وبين سيف الدولة فى قول الأول :-

وقفت ومافى الموت شكّ لواقـــف كأنك فى جفن الرّدى وهو نائـــم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمـــة ووجهك وضاح وثغرك باســـم

قال له سيف الدولة انتقدنا عليك البيتين. توقف الشارح عند هذه العبارة فبين معنى النقـــد وما يشتقّ منها لغة نقلاً عن الزمخشرى في الأساس كما بيّن معنى النقد وأهميته والشروط التى يجـــب توافرها في الناقد عند الأدباء ، وذلك نقلاً عن صاحـــب اللمع فى صناعة الشعر كما ذكر ماقالـــه ابن الأفلح الكاتب فى كتابه المقدّمة فى صنعة الشعر فى تشبيهه صناعة النقد بصناعة الثوب، والناقـــد بالحائك ، ثم ذكر محاورة أوردها السكاكى فى المفتاح جرت بين سكينة بنت الحسين، وبين عـــدد من رواة الشعر يتمثل فيها ماقاله العلماء السابقون يقول الشارح فى كل ذلك :-

((يقال نقدت الدراهم لزيد وعلى زيد كما يقال شهد له ، وعليه قال فى أساس البلاغة نقد النقّاد

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٣٠

(٢) الحدائق ص ١٥٣٢

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٨٦ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠

الدراهم ميّز جيّدها من رديئها ، ومن المجاز هو من نقدة الشعر ، ونقّادة وانتقد الشعر على قائله ، وهو ينقد بعينه الى الشيء أى يديم النظر إليه باختلاس حتى لا يفطن له كأنّما شبّه بنظر الناقد الى ماينقده ، قال صاحب اللمع : واعلم أن النقد والعيار غامضان ، وهما صناعتان برأسهما غير الغلم بغريب الشعر ،ولغاته ، ومعانيه ، واعرابه ، وقوافيه ، وأوزانه ، وهى مستنعة إلّا على أهلها الذين صحّت طباعهم ، وصفت قرائحهم ، واتّقدت أذهانهم ،وأفنوا أعمارهم فى خدمتها ، وفرّغوا أنفسهم لتحصيلها ، فحصلت لهم الرواية ، وراضوا الكلام ، ومارسوا أقوال البلغاء ، وخدموا غايته ولزموا أهله ، ودفعوا إلى مضايقه ، وكشفوا عن حقايقه ، ولا قوافيه فرسانه وقال أيضاً خبرني هل تميز بين الكلام المطبوع ، والمصنوع ، وهل تفرّق بين المبتدئ وبين من استحكم قوله ، واستمرّ نظمه ، وهل تقف على مايختص به كل فصيح من أفانين القول فيجود فيه ويتسنم أعلى مراقيه ، ويقصر فيما عداه وتخلّى فيما سواه ، وهل تعرف الكلمة تقلق في البيت ، والبيت يقلق فى القصيدة وهل تفطن لما هو بعيد الغور ، رفيع السمك ، وهل تفصل بين ما يكتسب الرشاقة بألفاظه ، وبين ما يكتسبها بمعانيه ، وأغراضه هيهات إنّ العلم منيع الحمى ، أبيّ المطلع ، والمرتقى لاينال بالمنى ، ولا يدرك بالهوينا ، وهذا الصنف لمّا غمضت مسالكه ، وشعابه قلّ المتحققون به ،وعدم طلّابه فاقتصر مدّعوه منه على لمع أخذوها من بطون الكتب ، وحصلوا عليها من متون الصحف ، ولم يتدرّجوا إليه بطول صحبته ، ولا بتقديم رياضته .

وذكر ابن الأفلح الكاتب في المقدمة أنّ مروان بن أبى حفصة قال : قرض الشعر أشدّ من قضم الحجارة ، ونقده أصعب من قرضه وقيل إنّ ناظم الشعر كحائك الثوب يعلم مقدار مادخل الثوب من غزل فى سداه ، ولحمته ، ومايلزمه عليه من غرامة ويعرف طوله ، وعرضه ، ومدّة عمله ، وناقد الشعر كالبزّاز الذى يبيع الثوب ويستعمله فهو لكثرة ملابسته الثياب ، ومقايسة بعضها إلى بعض يعرف منها الرفيع من الدون ، والرقيق من الغليظ ، وكم من فارس للشعر حاذق فى نظمه يأتى فيه بالدرّة والبعرة لا يستطيع التمييز بينهما لقلة معرفته بالنقد ، وصعوبته عليه ، ومازال الفحول من الشعراء من المخضرمين أى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، والاسلاميين ينتقد الفضلاء أشعارهم البديعة التى تروق ألفاظها ، وتبتدع معانيها فيظهرون فيها تصور اللفظ عن المعنى ، ونقصان المعنى من الكمال مالوسمعه الشاعر كشف فى النفوس بعد الايفاء ، وخجل لما جاء به بعد الخيلاء فأوّل من انتقد عليه الشعراء أمرؤ القيس ، وهو فيه الأمير الذى إليه ينتهى ،وبه يقتدى ، وروى صاحب المفتاح أنه قد اجتمع راوية جرير ، راوية كثير ، ورواية جميل راوية نصيب ، راوية الأحوص ، فأخذ يتعصب كلّ واحد لصاحبه ،ويجمع له فى البلاغة قصب الرهان ، فحكّموا سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما لما يعرفون من عقلها ،وبصيرتها بالشعر فذكروا لها ماكان من أمرهم ،فقالت لراوية جرير أليس

صاحبك القائل :-

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام ؟

وأيّ ساعة أحلى من الزيارة فى الطروق ؟ قبّح الله صاحبك ، وقبّح شعره ، ألا قال أدخلي بسلام ؟ ، ثمّ قالت لراوية كثير : أليس صاحبك الذى يقول :-

يقر بعيني مايقر بعينها وأحسن شيء مابه العين قرت ؟

وليس شيء أقرّ لعيونهن من النكاح ، فتحب صاحبك أن ينكح ؟ ، قبّح الله صاحبك ، وقبّح شعره ، ثمّ قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :-

فلو تركت عقلى معى ماطلبتها وان طلا بها لما فات من عقلى ؟

فما أرى لصاحبك من هوى إنّما طلب عقله قبّح الله صاحبك ، وقبّح شعره ، ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :-

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فياويح نفسى من يهيم بها بعدى ؟

فماله همّ إلا من يتعشّقها بعده ، قبّح الله صاحبه ، وقبّح شعره ألا قال :-

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول :-

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلاً إذا نجم الثريا حلّقا

باتا بأنعم ليلة وألذّها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم ، قالت : قبّح الله صاحبه ، وقبّح شعره ، ألا قال : تعانقا ، وفى الحكايات كثرة والمقصود مجرّد التنبيه)) .(1)

وفى المحاورة التى جرت بين إسحاق الموصلى وبين الأصمعى عند انشاد الأول بيتين له على أنهما لشاعر قديم وهما :-

هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشفى العليل

إنّما قل منك يكثر عندى وكثير من الخليل قليل

فقال له الأصمعى : هذا والله الديباج الخسروانى ، فقال له إسحاق :- هو ابن ليلته ، فقال الأصمعى : لا جرم أثر التوليد فيه ، فقال الموصلى : لا جرم أثر الحسد فيك ، أورد الطيبى(2) هذين البيتين شاهداً على لزوم مالا يلزم ، وقد توقف الشارح عند قوله : أثر التوليد فيه ، فتحدث عن بعض مراحل الصناعة البديعية التي مرت بها نقلاً عن صاحب اللمع ، فقال الشارح فى ذلك :- ((قال

---

(1) الحدائق ص ١٢٨٦ - ١٢٨٩

(2) انظر الحدائق ص ١٦٦٠

صاحب اللمع : اعلم أنّ العرب كانت تتعمد تنقيح الشعر ، وتتعمّل لتحسين ألفاظه ، وتشذيبها ، وترصيف معانيه ، وتهذيبها ، ويدلّ على ذلك افتخارهم في أسفارهم بالتجريد ، ووصفهم لمصابرة القول ، ومكابدة السهر ، والتحبير منه ، والصبر على عرضه ، وعمله حولاً حتى قالوا خير الشعر الحولّي المنقّح ، يروى ذلك عن الحطيئة ، وقالوا حوليّات زهير ، وقد ذكرت الشعراء في مفاخرتهم فقال سويد بن كراع يذكر تقويمه شعره ، وطول مصاداته له :-

أتيت بأبواب القوافي كأنّها ... أصادي بها سرباً من الوحش نزّعا

أكالئها حتّى أعرس بعدما ... يكون سحير أو بعيد فأهجعا

إذا خفت أن تروى عليّ رددتها ... وطأ التراقي خشية أن تطلّعا

وقال عدي بن الرقاع :-

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها ... حتى أقوّم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها

فلمّا أفضى الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة ، واللطف تكلّفوا الاحتذاء عليها وسمّوها البديع فمن محسن ومسيء ، ومفرط ومقتصد))[1]

يتبين لنا من خلال ما أورده الشارح من أقوال العلماء في نظراتهم النقديّة عنايته الشديدة بالذوق فهي المرتكز الأساسي عنده إلى جانب القاعدة عند ممارسة الناقد لعمله كذلك الأديب عند إيراده لبعض المحسّنات البديعيّة ، فإنّه يجعل من ذوقه هادياً يرشده إلى المواطن التي تتألّق فيها تلك المحسنات مع حسن نظم الكلام، فيتتبعها ، ويميزها عن المواطن التي تكون فيها متكلفة ممجوجة فيتجنبها ، والذوق الرفيع لا يتأتى الا بالمداومة على القراءة في النصوص الجيدة ، وهذا لا يعني اهمال القواعد في النقد ، وإنّما القاعدة تسير مع الذوق جنباً إلى جنب ، هذا ولقد سلك الشارح رحمه الله تعالى في نقده للنصوص الشعرية هذا المنهج حيث اعتمد فيه على الموضوعية والذوق أي أنه يعلل الأحكام التي يصدرها على النص من جهة الجودة والرداءة ويبتعد عن التعميم في الحكم مع اعتماده على حسّه المرهف في بعض المواضع لتلمس مواطن الجمال فيه، وتذوق عذوبته في نظمه، وسيتبين ذلك جليّاً من خلال بعض الشواهد ،فقد ذكر الطيبي بيتي البحتري شاهداً على قرائن الاستعارة المتضمّنة لعدة معان مرتبط بعضها ببعض وهما :-

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أروس الأقران خمس سحائب

يكاد الندى منها يفيض على العدى ... مع السيف في ثنى قناً وقواضب[2]

---

(١) الحدائق ص ١٦٦٠

(٢) انظر الحدائق ص ٩٤٠

قال الشارح رحمه الله تعالى في نقده للبيت :-

((..... والانكفاء الرجوع من كفأت القوم كفاءً إذا صرفتهم عن مقصدهم إلى غيره ... وقيل لو أخذ من قولهم كفأت الاناء كببته وقلبته ..... لكان أحسن في التشبيه وأبلغ لأنّه من قلب الحقائق كأنّه انقلب اليائس إلى النائل والتفويت إلى الحياة ، القرن بكسر القاف كفؤك في الشجاعة على المحاربة، وفاعل تنكفي خمس سحائب أي أنامل ، فوضع السحائب موضع الأصابع تنبيهاً على التكميل ، وانضمام الجود مع الشجاعة ، اذ لو أتى بدل السحائب بالأصابع لاقتصر على الشجاعة لأنّه حينئذ لم يتجاوز عن حديث الشجاعة إلى حديث السخاوة إذ السحائب إنّما تستعار للجود والسخاوة والبيت الثاني بيان للبيت الأول)) (١).

فالشارح رحمه الله تعالى حمل معنى بعض الألفاظ على الوجه الأبلغ، والذي يتناسب مع غرض الكلام وهو التشبيه كما بين ماتميّز به الشاهد من المبالغة في المدح وذلك في ايراده لفظ السحائب ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبي استشهد للجمع بقول أبي العتاهية :-

إنّ الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة (٢)

وقد نقده الشارح رحمه الله تعالى من ناحية المعنى فقال :-

((هذا كلام ليس بجامع لأن من جمع الثلاثة ، وفقد الصحّة كيف يكون طاغياً ، وكم رأينا شيوخاً وكهولاً أطغى من الشبان ، وكم من شباب زاده البسطة في المال تواضعاً على تواضع بل الكلام الجامع قوله تعالى ((إنّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى)) (٣) أطلق استغنى ولم يقيد أنه بم استغنى؟ ، وعما استغنى؟ ، وقيّده بالرؤية ليفيد أن طغيانه إنّما وجد لأنه رأى استغناءه، وعدم افتقاره، والحكم بالعكس إذا لم يره)) (٤).

نعم ماقال الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ما اكتفى بنقد أبي العتاهية في بيته ،وتعليل هذا النقد حتى اتبعه بآية تعدّ قمة الاعجاز في الايجاز حيث حوت المعاني الكثيرة تحت ألفاظ قليلة ، وقد أشار إلى ذلك .

---

(١) الحدائق ص ٩٤٠ - ٩٤٢

(٢) انظر الحدائق ص ١٣٩٢

(٣) من الآية ٦ والآية ٧ من سورة العلق .

(٤) الحدائق ص ١٣٩٢

ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبي ذكر أن من القلب المردود وهو الذى لم يتضمّن لطيفة قول القطامي :

فلمّا أن جرى سمن عليها كما طيّنت بالفدن السياعا [1]

وقد بين الشارح بعض مفرداته ومعناه وذكر أنّه من التشبيهات المبتذلة فقال :- ((التطيّن جعل الطين على الشيء والفدن القصر العالي ، والسياع الطين مع التبن يصف جفنة فيها ثريد كثير يعلوه سمن مفرط شبههما بالقصر الذى قد طيّن بالسياع ، وهذا التشبيه من أرذل التشبيهات لا يذهب إليه إلّا الأجلاف ، كما أن قلبه من أفحش القلوب)) . [2]

هذه بعض الصور يتبين فيها تنوّع نقد الشارح رحمه الله تعالى بين نقد في المعنى وبين نقد في الألفاظ ، وهو في كل ذلك ينقد بذوق رفيع إلى جانب التعليل والتوجيه ، وهذا إنّما يدلّ على تضلعه ودقة فهمه للنصوص لأنّ النقد مرحلة تأتي بعد فهم النص ، وتذوقه .

حـ - موازناته بين الأبيات :-

إنّ الموازنات الشعرية بين شاعرين أو عدة شعراء في معنى من المعاني أو في أبيات معينة تدور حول معنى واحد لمعرفة المتميز منهما ، أو منهم حتى يحكم له بالجودة والحسن ، وتعرف مرتبته بين غيره الذين جرت الموازنة بينهم ، إنّ القيام بمثل هذا الأمر ليس بالسهل اليسير لأنّه يحتاج من صاحبه أن ينظر بعين الناقد البصير ، والمتذوق المتأمل في وقت واحد مع الاستيعاب والشمول فلا ينظر إلى أحد الشاعرين أو الشعراء ، ويهمل الآخر أو يتغاضى عنه والإستيعاب والشمول يشملان محاولة رصد وتتبع حسنات وسيئات كل طرف وهذا يحتاج إلى دقة نظر لاستجلاء الملامح الجمالية بين النصّين ، وذلك إذا كانت الموازنة بين شاعرين في نصين معيّنين في معنى واحد والكشف عن ثغرات الضعف التي يمكن أن يوجه إليها النقد ، إن تلك الصفات نجدها متوافرة عند الشارح رحمه الله تعالى في موازناته الشعرية بالإضافة إلى تمتعه بالذوق الرفيع ، والحس المرهف اللذين تميز بهما ، وسيظهر ذلك جليّاً من خلال تتبع بعض الشواهد والأمثلة ، ذكر الطيبي أنّه قد يكون الايجاز والاطناب بتقليل الحروف ، وتكثيرها كما في الشطر الأول من بيت أبي تمام :-

يصدّ عن الدنيا إذا عنّ سوءدد ولو برزت في زيّ عذراء ناهد

وتمام البيت في قول الآخر :-

ولست بنظّار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر [3]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦١٦

(٢) الحدائق ص ١٦١٦

(٣) انظر الحدائق ص ٦٨٩

أما الشارح رحمه الله تعالى فقد أن بيّن التتميم والتكميل اللذين تضمنهما البيت الأول ذكر أنه يمكن اعتبار البيت الثاني أبلغ وبيّن وجه ذلك فقال :- ((وقوله ولو برزت في زي عذراء ناهد تتميم للمعنى لأنّ الدنيا وصفت بعجوزة شوهاء وناهد تكميل للعذراء لأنّ الناهد هي التي استعدّت للاستمتاع بها ، والاستلذاذ بمعاشرتها ، ويمكن أن يقال إن البيت الثاني أبلغ من الأول فإن تقييده بالغنى مشعر بالتتميم والتكميل اللذين أفادهما البيت الأول لأنّ معنى الغنى في الدنيا إنما يتمّ إذا ضم معه مايتصل به من الحسن ، والبهاء ، والتزيين ، إذ مجرد ذكرها يشعر بنقصانها كما قال أبو العلاء :- وقد غرضت من الدنيا البيت ، ونحوه وأيضاً ليس فيه معنى المقابلة الذي يعطيه الفقر من التجنب والصدّ ، ثم قوله ولست بنظّار أبلغ من يصدّ لافادته عدم الالتفات كأنه اقتبس المعنى من قوله تعالى ((لا تمدنّ عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم)) [1] فإن قلت لو قيل لست بناظر كان أبلغ من قوله بنظّار ، قلت هذا البناء يجيء تارة للمبالغة في شيء واحد وأخرى في التكثير كما في قوله تعالى ((وما ربّك بظلّام للعبيد)) [2]

يقال فلاناً ظلّام لعبده إذا بالغ في تعذيبه ، وظلّام لعبيده وما نحن بصدده من الثاني فيجعل التعريف في الغنى لاستغراق الجنس أي لست بنظّار إلى فرد فرد من أفراد الغنى وفي إقحام لفظ جانب تتميم لمعنى عدم الالتفات المعنى إنّي ما التفت إلى الدنيا وفواتها فأختار العلى عليها ، وإن لزم منها الفقر)) . [3]

فالشارح رحمه الله تعالى لم يطلق الحكم وهو اعتبار البيت الثاني أبلغ هكذا على عواهنه بل علّله ، ووجهه ، وبيّن ماتميز به في الوقت الذي ذكر ماتميز به بيت أبي تمام من التتميم والتكميل .

وقد ذكر ضياء الدين ابن الأثير والخطيب هذين البيتين شاهداً على أنّ بيت أبي تمام أوجز حيث أدّى المعنى بنصف بيت وأنّ صاحب البيت الآخر أطنب فأدّى المعنى في بيت كامل لكن لا نجد عندهما مثل هذه الموازنة أو مايشير إليها فلهذا قد وفق الشارح في هذا الجهد الذي بذله في هذه الموازنة بين البيتين .

ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبي استشهد للانتحال وهو الضرب الثاني من النسخ بقول المتنبي :-

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا

---

(١) من الآية ٨٨ من سورة الحجر .

(٢) من الآية ٤٦ من سورة فصلت .

(٣) الحدائق ص ٦٨٩ ، ٦٩١

وقول الصاحب بن عبّاد :-

لبسن برود الوشى لا لتجمّل ولكن لصون الحسن بين برود

وقول الحماسى :-

ولمّا تنازعن الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعا

وقول الرستمى :-

بدور زهتهن الملاحة أن ترى لهن نقاب والوجوه سوافر (١)

لكنّ الطيبى لم يعلق على الأبيات بشىء ، أما الشارح فإنّه ذكر ماتميّز به بيت الرستمى ، وبيت الحماسى ، وبيت المتنبى ،فقال :-

((وقال المرزوقى أى أشرقت وجوه تلوّلوء ونورا استخفّ أربابها الحسن الحائل فى جوانبها ، ومنعها من أن يسترها بقناع عجباً بها والتذاذاً بخواص عيون الناس فى محاسنها .

وأمّا المعنى الذى ذهب إليه الرستمى فهو أن الحسن منعها تكبراً من أن يسترها بقناع تقنّعاً به ، واكتفاءً بستره كما تمنع الشمس بأشعّتها عيون الناظرين أن يتّصل بها تضمن الزهو معنى المنع فعدّى بمن ، ثمّ حذفت اختصاراً أى منعها الحسن من التستر زهواً منه ، واعجاباً بنفسه فيكون من باب الإسناد المجازى ، والفرق بين قول الرستمى وأبى الطيب أنّ أبا الطيب جعل القناع الصائن حسّياً ، والحماسى والرستمى معنوّياً .

والفرق بين قول الحماسى والرستمى أنّ الرستمى جمع بين الضدين وأغرب ، وقوله لهن نقاب استئناف على سبيل البيان)) . (٢)

فالشارح رحمه الله تعالى أبرز ماتميز به كل بيت فى هذه الموازنة ،ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبى استشهد لضرب من أضرب السلخ وهو مازيد على أحد الكلامين شيء من البديع استشهد بقول أبى تمام:

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحالى

وقول البحترى :-

وقد زادها افراط حسن جوارها لأخلاق أصفار من المجد خيّب

وحسن دراري الكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيهب (٣)

إلّا أنّ الطيبى لم يبين وجه تفضيله لبيتى البحترى على بيتأبى تمام ، أما الشيخ على بن عيسى فإنّه بعد أن شرح المفردات الغريبة لكلا الشاهدين وبيّن معناهما وازن بينهما ووجه تفضيله

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٧٥

(٢) الحدائق ص ١٤٧٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٩٣

قول البحتري على قول أبي تمام فقال :- ((وإنما كان بيت البحتري أربى من بيت أبي تمام لعذوبة اللفظ ، وفصاحته ، وجودة السبك ، وسهولته ولأن أبا تمام ماذهب إلى بيان معنى الحسن ، والجمال ، وزيادتها بواسطة انضمام أمر آخر بل إلى حصول الكآبة ومزيدها بحسن كونهن عاطلات أو محليات[1]))

هذه نماذج من موازنات الشارح رحمه الله تعالى توضح مكانته الرفيعة ، ورسوخ قدمه ليس في تحليل النصوص فحسب بل الموازنة بينها وابرازه لمواطن الجمال ، وكشفه عن مواطن النقد والضعف فيها .

ط - توثيقه للأشعار :-

ذكرت عند الكلام عن طريقة الشيخ علي بن عيسى رحمه الله تعالى في شرحه للشواهد الشعرية أنه نادراً ماينسب الأبيات التي يقوم بشرحها ويظهر أنه اعتبر أن نسبة الأبيات أمر ليس ذا شأن كبير في الشرح والتحليل .

ومن تلك المواضع القليلة ، والنادرة التي نسب فيها الأبيات غير المنسوبة أنه عزى هذين البيتين

أضاءت لهم أحسابهم . . . البيتين

وقد سبقا نسبهما لأبي الطمحان القيني [2] وهو في ذلك تبع أبا تمام ، أما ابن قتيبة فنسبهما للقيط بن زرارة ، واعتبرهما من جيد شعره .

ومن الأمثلة أيضاً نسبته قول الشاعر :-

الله أنجح ماطلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل

نسب هذا البيت لامرئ القيس . [3]

فالشارح رحمه الله تعالى لم يتوقف عند مسألة نسبة الأبيات طويلاً ولم تحظ هذه المسألة بعناية واهتمام كبيرين كما حظي الشرح والتحليل للنصوص بذلك الاهتمام الذي رأيناه .

---

(١) الحدائق ص ١٤٩٥

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٨

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٥

ى - ذكره لمناسباتها :-

إن المواضع التي ذكر فيها الشارح رحمه الله تعالى مناسبات الأبيات قليلة جداً لا تكاد تذكر فإنّ تركيزه على تحليل النصوص جعله لا يلتفت كثيراً إلى مسألة ذكر مناسبات الأبيات فمن تلك المواضع النادرة التي ذكر فيها المناسبة ماذكره في قول الفرزدق :-

أتحبسني بين المدينة والتي إليها رقاب الناس يهوى منبيها

ذكر مناسبة القصيدة التي منها البيت أن هشام بن عبد الملك تجاهل معرفته بعلي بن حسين الذي أفسح له الناس عند طوافه بالبيت العتيق ولم يفعل الناس ذلك مع هشام فتجاهله لئلا يرغب فيه أهل الشام فأجاب الفرزدق بأنه يعرفه وقال قصيدته التي مطلعها :-

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

فغضب هشام وأمر بحبسه بعسفان موضع بين مكة والمدينة ، فقال فيه الفرزدق القصيدة التي منها بيت الشاهد وبعده :-

تقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعينين حولاوين باد عيوبها (١)

فهذا من المواضع القليلة والنادرة التي ذكر فيها الشارح مناسبة القصيدة ، وهذا لا يعني أنّه لا يلتفت إليها ، بل هي مهمّة في القاء بعض الظلال لفهم النص ، وتلمّس بعض المعاني الخفية التي لم يصرّح بها النّص ، ويبدو أن الشارح رحمه الله تعالى على اعتبار أنّ كتابه في البلاغة كان نظره في الشاهد من جهة شرح مفرداته وبيان معناه ، وتوضيح موضع الاستشهاد فيه فتركيزه على هذه الجوانب كان بقدر مايعين على فهم النص ويساعد على توضيحه ، أمّا ذكره لمناسبات الأبيات ، أو القصيدة وإن اشتمل عليها كتابه كالمثال السابق فإنّ هذا الجانب لم ينل الاهتمام ، والعناية الذي نالته الجوانب الأخرى لكونها ليست ذا أهمية كبيرة في فهم النص ، كما يظهر ، ولكن الذي يبدو لي أنها من العوامل المساعدة على فهم النص كما ذكرت سابقاً والله أعلم . .

شرحه للأمثال :-

معظم الأمثال التي عرض لها الشارح يبيّن معناها ، ومضربها ، ومواردها ، فقد قال الشارح في قولهم رمية من غير رام الذي ذكره أستاذه شاهداً على حذف المسند إليه لأن الإستعمال وارد عليه ، قال الشارح في تعليقه على المثل :- ((أي ربّ رمية من رام منحط المثل قول الحكم بن عبد يغوث يضرب لكلّ من أصاب في شيء ولم يكن أهلاً له)) (٢) ، وأحياناً يذكر الشارح قصة المثل نقلاً عن

---

(١) انظر الحدائق ص ٢١١ ، ٢١٢

(٢) الحدائق ص ١٥٧

الميداني كما فعل في قولهم (الصيف ضيّعت اللبن)) ذكر أنّه قول عمر بن عمرو بن عدس كان شيخاً كبيراً ففركته زوجته دختنوشن بنت لقيط فتزوجها فتى جميل فأجدبت فأرسلت إليه تطلب حلوبه فردّ عليها بقوله الصيف ضيّعت اللبن فأرسلت مع الرسول قولها هذا ومذقه خير فذهبت كلتاهما مثلاً ، يضرب الأول لمن طلب شيئاً وقد فوته على نفسه ، ويضرب الثاني لمن قنع باليسير إذا لم يجد الخطير [1] ، فهذا يدل على مدى عنايته واهتمامه بالأمثال في شرحه وتوضيحه لها .

دراسته للنصوص النثرية :-

إنّ النصوص النثرية سواء منها تلك التي استشهد بها الطيبي ، أو ذكرها الشارح رحمهما الله تعالى قليلة جداً إذا ماقيست بالشواهد الشعرية التي أوردها ، فعلى الرغم من قلة تلك النصوص إلّا أن الشارح رحمه الله تعالى قام بشرح مفرداتها وبيان معناها ، ووجه الشاهد فيها غالباً ، فمن ذلك مثلاً شرحه لقول بعض المغاربة ((لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذي يعتاده)) الذي ذكره الطيبي ضمن شواهده على الحلّ ، قال الشيخ علي بن عيسى في شرحه لهذا الكلام :-

((أي لما ساءت أفعاله ، وصارت نخلاته حنظلا أي زالت دولته لم يزل يقوده ، ويجرّه سوء الظن وهو ينقاد له ، ويطيعه ويصدّق التوهم الذي صار عادة له ، وتحريره أن من زالت دولته لم يزل يصوّب أخطاره الفاسدة ، ويصدق آراءه الزائغة)) [2] .

ومن الأمثلة أيضاً ذكر الطيبي من شواهد الطباق أن رجلاً شهد عند شريح فقال له : انك لسبط الشهادة فقال : انها لم تجعد عني . [3]

أمّا الشارح فقد بين الاستعارة التي تضمنها قوله لسبط ، وقوله تجعد فقال :-((قوله لسبط الشهادة)) استعارة لخلو الكلام من التعقيد وسهولة تأتيه كما أنّ الجعد مستعار للتعقيد فيه ، وصعوبة مسلكه ، وضمّن تجعد معنى تقبّض فعدّى تعديته أي ماتقبض عني ، ولا اشمأز ، ولا انزوى ، قال الجوهري تقبض عنه اشمأز ، وتقبضت الجلدة في النار : انزوت)) [4] ، فلعله من خلال هذين المثالين يبرز جهد الشارح في شرح النصوص النثرية على قلتها في الكتاب .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٣٠
(٢) الحدائق ص ١٤٥٥
(٣) انظر الحدائق ص ١٢٥٠
(٤) الحدائق ص ١٢٥٠

مناقشته للمسائل النحوية :-

لقد توقف الشارح عند بعض المسائل النحوية ذاكراً الخلاف حولها ، وإن كان ذكره لمثل تلك المسائل قليلاً ، فقد استشهد الطيبي للإستعارة التبعيّة الواقعة في الحروف بقوله تعالى ((ربما يودّ الذين كفروا))[1] ، حيث استعار ربّما للتكثير بعد تشبيه التكثير بالتقليل تهكماً وتلميحاً ، أمّا إذا اعتبرت اسماً على رأي الأخفش فتكون الاستعارة فيها أصليّة ، هذا ما ذكره الطيبي[2] ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى ، فإنّه ذكر الخلاف حول افادة رب التقليل أو التكثير نقلاً عن المالكي في شواهد التوضيح الذي ذكر أن الصحيح والغالب فيها للتكثير معتمداً على ما ذكره سيبويه في كتابه من أنّها مثل كم الخبرية في المعنى إلّا أن هذه اسم وتلك ليست باسم ، واستشهد أيضاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم يارب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ، إذ ليس المقصود بأن ذلك قليل بل المراد أنّ الصنف المتّصف بهذه الصفة من النساء كثير .

كما ذكر المالكي أن من القليل الذي جاء على معنى التقليل قول الشاعر :-

ألا ربّ مولود وليس له أب ٥ وذي ولد لم يلده أبوان

والمقصود بهما عيسى وآدم عليهما السلام ، ثمّ ذكر الشارح إلى أنّ بعضهم ذهب إلى أنهما مشتركة بين التقليل والتكثير ، لكن المختار عند الأصوليين إذا تعارض الاشتراك والمجاز فالمجاز ولا يمنع عليه الاستعمال حمله على المجاز لأنّهم كثيراً ما يحملون النقيض على النقيض .

ثمّ تحدّث الشارح عن مدخول ربّ فذكر نقلاً عن الدار الحديثي من أنّ الفعل المتعلّق به رب ماضي ليفيد التحقق وتعدّ هذه الجملة الفعلية صفة لمدخول ربّ .

كما ذكر أن المالكي يرى أنّه يصح أن يكون هذا الفعل مستقبلاً أو حالا وأنّ ابن الحاجب يرى أنّ هذا الفعل يعدّ من متعلقات مدخول ربّ ، وليس صفة له .

كما ذكر الشارح أن اليمني يوجب كون الفعل بعدها ماضياً لفظاً ومعنى ، وقيل ان المستقبل في قوله ((ربّما يود)) لمّا كان خبراً من الله تعالى فهو مقطوع بوقوعه ، وقيل أيضاً أنّ ما في ربما اسم وجملة يودّ صفته في محل جرّ ، وقد أغنت هذه الصفة عن ذكر فعل ربّ وسدّت سدّه ودلّت عليه .[3]

---

(١) من الآية ٢ من سورة الحجر .

(٢) انظر الحدائق ص ٩٦٩ ، ٩٧١

(٣) انظر الحدائق ص ٩٦٩

ثمّ ذكر الشارح الخلاف الذى أشار إليه أستاذه دون أن يخوض فيه بين الكوفيّين والبصريّين حول رب هل هى اسم × حرف فإنّ البصريّين يرون أنّها حرف لأنّها لا تدلّ على معنى فى نفسها بل على العدد الواقع بعدها ، ولأنّها لا يدخل عليها حرف الجر كما يدخل على كم الخبريّة ، ولأنّها تدخل على ما فتكفّها عن العمل ، أما الكوفيّون ومنهم الأخفش فيرون أنها اسم وعليه الاستعارة فيه تكون أصلية ، واستشهدوا بقول الشاعر :-

- وربّ قتل عار -

فعار خبر ربّ ، ولا يخبر إلّا عن الأسماء ، وأيضاً تتصرّف فيقال رُبّ وربّت والتصرّف ليس إلّا فى الأسماء ، وأنّها تدلّ على معنى فى نفسها ، وهو التقليل كدلالة كم الخبرية على التكثير ، وأنّ لها صدر الكلام ، وحرف الجر ليس كذلك .

وقد أجاب البصريون عن قول الشاعر بأنه شاذ وأنّ عار خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير وربّ قتل هو عار وجملة هو عار صفة لقتل .(١)

والذى ظهر لى أنّ الشارح وإن لم تبرز شخصيته بالترجيح بين الأقوال فى مسألة ربّ لكنّه استطاع تفصيل الخلاف حولها من جهة معناها ، ومدخولها ، ونوعها .

مثال آخر : ماذكره فى طالما وقلّما نقلاً عن المطرّزى من أن مافيهما كافّه فتوصل بهما كما فى ربما وإنّما وأخواتهما بدليل عدم اقتضائهما فاعلاً بعدهما ، وأنّهما يهيئان لوقوع الفعل بعدهما .

أما ابن درستويه فيرى أنّه لا يجوز وصل شئ من الأفعال بهما سوى نعم وبئس ، والقول من أنّه يوصل بهما جميع أنواع الأفعال إذا كانت كافّه ، أمّا إذا كانت مافيهما مصدريّة فليس إلّا فصلهما عنهما .(٢)

فنلاحظ فى هذه المسألة أنّ الشارح لم يكتف بذكر الآراء فيها ، بل رجح الرأى الأول على الرأى الثانى ، مما يبرز شخصيته جليّاً واضحاً .

وقد اكتفيت بهذين الموضعين على سبيل التمثيل ليظهر من خلالهما مدى تمكن الشارح من مناقشة المسائل النحوية ، ودقة فهمه لها .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٦٩ ، ٩٧١

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٦٦ .

تعريفه بالأعـــــلام :-

نادراً مايترجم ، أو يعرف الشارح رحمه الله تعالى بالأعلام الذين يذكرهم فى كتابه وهو فى تراجمه النادرة أحياناً يحيل إلى المصادر التي أخذ عنها ، من ذلك على سبيل المثال ترجمته لليزيـــدى ، فقد نقل ترجمته عن نزهة الألباء لابن الأنبارى يقول الشارح فيه :- ((قال ابن الأنبارى فـــى النزهة هو أبو محمد يحى بن المغيرة المقرى صاحب أبى عمرو بن العلاء البصرى ، وإنّما قيل لـــه اليزيدى لأنّه صحب يزيد بن منصور خال المهدى مؤدب ولده فنسب إليه ، ثمّ اتصل بالرشيـــد فجعله مؤدب المأمون ، وكان الكسائي مؤدب أخيه الأمين ، ويحكى أنّه تكلم اليزيدى مع الكسائـــى بين يدى الرشيد ، فظهر كلامه على الكسائي فرمى بقلنسوته فرحاً بالغلبة ، فقال الرشيد لأدب الكسائى مع انقطاعه أحبّ إلينا من غلبتك مع سوء أدبك)) .[1]

ومن الأمثلة أيضا تعريفه بشريح الحضرمى رضى الله عنه نقلاً عن جامع الأصول ، فقد قال الشارح ((..... أى شريح الحضرمي ، قال صاحب الجامع كان من أفاضل الصحابة عداده فى أهل الحجاز))[2]

كما نقل عن جامع الأصول ترجمة عبد الله بن سعد بن أبى السرح رضى الله عنه ، وهى ترجمة مفصّلـــة فقد قال :- ((قال صاحب الجامع هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح بفتح السين والراء المهملتيـــن القرشى أخو عثمان بن عفان رضى الله عنه من الرضاعة أسلم قبل الفتح ، وهاجر ، وكان يكتب الوحـــى ثمّ ارتدّ مشركاً ، وعاد إلى قريش بمكة ، فلمّا كان يوم الفتح أهدر النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمن لـــه عثمان بن عفان رضى الله عنه فأمّنه بعد أن صمت ليقوم اليه من يقتله ، وأسلم يومئذ)وحسن اسلامه ، وولاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين من الهجرة ، وعلى يده كان فتح افريقية وهى من بلاد المغرب))[3].

أحياناً يعرف الشارح بالعلم دون أن يشير إلى مصدره ، كما عرف بالصاحب بن عباد فقد قـــال :- ((الصاحب مطلقا هو ابن عباد الوزير بالرى وكان فاضلاً متأدباً عدلياً))[4] ، كما ترجم الشـــــارح لجعفر بن يحى البرمكى فقال فيه :- ((هو جعفر بن يحى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيـــــد بلغ في مراتب الوزارة مالم يبلغها أحد من الوزراء سلفاً ولا خلفاً))[5] ، كما عرف بابن الأفلح فقال :-

---

(١) الحدائق ص ٦٧٦ ، ٦٧٨

(٢) الحدائق ص

(٣) الحدائق ص ١٣٨١

(٤) الحدائق ص ١٢١٥

(٥) الحدائق ص ١٢٢٩

((كان أديباً فاضلاً عالماً مصنف المقدمة في معرفة الشعر ، والكتابة ،وغيرها)) .[1]

هذه بعض الأمثلة التي تدل على أنّ الشارح رحمه الله تعالى لم يغفل في كتابه جانبا وإن لم يكن ذا أهمية كبيرة ،وهو التعريف بالأعلام ،وهو جانب قليل في ثنايا كتابه ، لكنّه نال قسطاً من العناية وهذه من الفوائد التي اشتمل عليها الحدائق ، فرحم الله الشارح رحمة واسعة لكلّ جهوده التي بذلها في خدمة هذا الكتاب والفوائد التي أوردها فيه .

---

(١) الحدائق ص ١٣٨٣

((الباب الثانى الفصاحـــــة والبلاغـــــة))

اعتبر الطيبى رحمه الله تعالى الفصاحة هى الفن الثانى من الفنين اللذين بنى كتابه عليهمـــا فبعد أن انتهى من كلامه فى فن البلاغة بعلومها الثلاثة المعانى والبيان والبديع ومباحثهـــــا المتفرعة انتقل إلى الفن الثانى وهو فن الفصاحة ، وقد أورد فيه خلاصة ماذكره ابن الأثيـــر فى كتابـــه المثل السائر مع زيادات مفيدة ، وحسن تأليف لأنّه لم يجد مايعوّل عليه فى هذا الباب سوى ماذكره ابن الأثير يقول الطيبى فى هذا :- ((إعلم أن للناس فى معنى الفصاحة أقوالاً ولم أجد مايعوّل عليه ســـوى ما أودعه الإمام صاحب المثل السائر فى كتابه ، وقد بسط فيه إلى أن بلغ شطر الكتاب وأنا أورد خلاصة ذلك مع زيادات مفيدة وحسن تأليف))[1]

وقد تبع الطيبى فى تأخير فن الفصاحة عن فن البلاغة تلميذه الشيخ على بن عيسى الشارح فى كتابه الحدائق لأنّه رأى الالتزام بالأصل الذى يشرحه لكنّى آثرت فى هذه الدراسة تقديم الكلام عن الفصاحة تبعـــاً للخطيب فقد ارتضى رأيه الكثير من المصنفين الذين يرون أن الفصاحة شرط فى البلاغة، وهو مايفهم مـــن تعريف الخطيب لها حيث قال :- البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[2] ، لهذا رأيـــت فى كتابيه التلخيص والإيضاح قد تحدث عن الفصاحة أولاً كمقدمة للشروع فى فن البلاغة وقد سار على هذا أصحاب المصنفات البلاغية فالرابطة وثيقة بين الفصاحة والبلاغة عند الخطيب بخلاف الطيبى الـــذى أعتبر كلّ واحد منهما مستقلاً بذاته لا علاقة له بالآخر - وان كان يرى أنّه ينبغى للبليغ مراعـــــاة فصاحة الكلمة والكلام - لكنّه فى تعريفه للبلاغة لايفهم منه أنّه يرى الفصاحة شرطاً فيها ، فقد قـــال فى تعريفه لها ((هى توفية خواصّ التراكيب فى إفادتها ، وإيراد معنى واحد فى طرق مختلفـــــة بدلالتها، وتحسينها من جهة المعنى))[3] لهذا آثرت على منهج الخطيب فقدمت الكلام عـــــن الفصاحة .

مفهوم الفصاحـــة :-

جمع الطيبى فى تعريفه للفصاحة وصف اللفظ فى حالتى الإفراد، والتركيب فقال :- ((... وفـــى الصناعة هى كون اللفظ بينا حسنا فى حالتى إفراده وتركيبه))[4] .

---

(١) الحدائق ص ١٥٤٦

(٢) انظر الايضاح ص ٩

(٣) الحدائق ص ٥٥ ، ٥٨

(٤) الحدائق ص ١٥٤٨

أما اعتبار الفصاحة وصفاً للمتكلم فيقول فيه :-

((هي صفة راسخة يقتدر بها المتكلم على التعبير عن المقصود بلفظ بيّن حسن في حالتي الافراد والتركيب)) .(١)

أما الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن الطيبي جمع بين حالتي الإفراد والتركيب لأنّ اللفظ قد يكون فصيحاً في مفرداته ولكنّه يتعقد في التركيب كما في قول الفرزدق :-

وما مثله في الناس إلّا مملكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

وقد يكون اللفظ سليم التركيب من التعقيد لكن مفرداته قد تكون وحشية، أو مولدة، أو ركيكة في أصلها أو غير ذلك .(٢)

---

(١) الحدائق ص ١٥٤٨

(٢) انظر الحدائق ص ١٥٤٨

الفصل الأول : أوصاف اللفظة المفردة :-

ذكر الطيبي رحمه الله تعالى ستة أوصاف للفظة المفردة الأولى مايكون تركيبها من الحروف اللذيذة الغذبة لأنّها أصوات ولها مخارج تشبه المزامير ، ولكلّ ثقبة منها صوت يخصّها .

الثانية أن تجتنب في التركيب عن الزائد على الحركتين المتواليتين ، وعن الحركة الثقيلة على بعض الحروف .

الثالثة أن تكون متوسطة بين قلة الحروف ، وكثرتها .

الرابعة أن لا تكون وحشية غير مألوفة لأنّها تخالف الظهور والبيان .

الخامسة أن لا تكون مبتذلة والابتذال نوعان

أحدهما : ماغيرته العامّة من أصل الوضع .

وثانيهما : ماتكون سخيفة في أصل الوضع .

السادسة أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما مكروه وجيء بها مطلقة [1]

والطيبي في هذا يبتعد عما ذهب إليه الخطيب الذي يرى أنّ شروط فصاحة الكلمة ثلاثة هي :-

الأول خلوها من تنافر الحروف ، الثاني خلوها من الغرابة ، الثالث خلوها من مخالفة القياس اللغوي [2]

ففيما يتعلق بالصفة الأولى ذكر الطيبي عند الحديث عنها أنه يجتنب أيضاً عند تأليف الحروف لتكوين كلمة ماقرب مخارجها ، واستشهد له بقول امرئ القيس :-

غدائره مستشزرات إلى العلا تضلّ المدارى في مثنى ومرسل

ففي كلمة مستشزرات توسطت الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة وبين الزاي وهي من حروف الصفير مما أدّى إلى التنافر ولو قيل مستشرفات لأدّى المعنى ولزال الثقل [3].

أما الشارح رحمه الله تعالى فإنّه شرح المفردات الغريبة للبيت ، وبيّن روايته ومعناه فذكر أنّ الغدائر هي الذوائب واحدتها غديرة ، ومستشزرات مرفوعات ، والعقاص ماجمع من الشعر كهيئة الكبة ، ويروى تضلّ المدارى وهي جمع المدرى وهو مثل الشوكة يصلح شعر المرأة ويروى مستشزرات بكسر الزاي بمعنى مرتفعات ، وقد قيل في معناه إنّ الغدائر تلفّ بالخيوط من أسفل إلى أعلى وأيضاً هذه الغدائر

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٥٧ - ١٥٧٣

(٢) انظر الإيضاح ص ٢ ، ٣

(٣) انظر الحدائق ص ١٥٦٢ ، ١٥٦٣

منها ماثنى، ومنها مالم يثن . كما ذكر الشارح إعراب بعض التراكيب فى البيت فذكر أنّ غدائرها مبتدأ ومستشزرات خبر والى العلا متعلق بمستشزرات وفى مثنى متعلق بتضل .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح رحمه الله تعالى حول بيت امرئ القيس ،فهو قد اكتفى بشرح المفردات الغريبة فيه، وروايته وبيان معناه ، واعراب بعض تراكيبه ولم يعرض لموضع الشاهد لعله اكتفى بما ذكره أستاذه فيه ، وهذا جهد حسن من الشارح لكن الذى تبين لى أنّ الطيبى فى اعتباره قرب مخارج الحروف الذى يؤدى إلى التنافر فى اللفظة المفردة قد تبع فيه رأى ابن سنان الخفاجى الذى اشترط فى فصاحة اللفظة المفردة ثمانية شروط أولها أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج .(٢)

لكن ابن الأثير ذكر رأى ابن سنان وردّ عليه بأن معظم ألفاظ اللغة العربية تدور على بعد المخارج ، وقال أيضاً :-

((على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الألفاظ وهل هى متباعدة ، أو متقاربة لطال الخطب فى ذلك وعسر، ولما كان الشاعر ينظم قصيداً ولا الكاتب ينشىء كتاباً إلا فى مدة طويلة تمضى عليها أيام وليال ذوات عدد كثير ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك فإنّ حاسة السمع هى الحاكمة فى هذا المقام بحسن مايحسن ، وقبح مايقبح .....)) .(٣)

فابن الأثير يرى أن الحاكم فى التنافر هو حاسة السمع والذوق السليم فى هذا المقام لكنّه لم يورد بيت امرئ القيس فواضح أنه لم يغفل الذوق .

كما تبين لى أنّ السعد فى المطول أورد بيت امرئ القيس شاهداً على التنافر ، وردّ على هذه النظرة أنّ قرب المخارج فى مستشزرات أدّى إلى التنافر، والذى سبق، وأن ذكرته يقول السعد رحمه الله :-

((وزعم بعضهم أنّ منشأ الثقل فى مستشزرات هو توسط الشين المعجمة التى هى من المهموسة الرخوة التى هى من المهموسة الشديدة، والزاى المعجمة التى هى من المجهورة ، ولو قال مستشرف لزال ذلك الثقل، وهو سهو لأن الراء المهملة أيضاً من المجهورة فيجب أن يكون مستشرف أيضاً متنافراً بل منشأ الثقل هو اجتماع هذه الحروف المخصوصة .....)) .(٤)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٦٢ ، ١٥٦٣

(٢) انظر سر الفصاحة ص ٥٤

(٣) المثل السائر : ١/٢٥٨ ، ٢٥٩

(٤) المطول ص ١٧

ثمّ ذكر بعض ردود ابن الأثير على ابن سنان الخفاجي فيما ذهب إليه من أن قرب مخارج الحروف يؤدي إلى التنافر وإن لم يورد اسم ابن سنان .(١)

كما بين السعد وجه اكتفاء الخطيب بايراد بيت امرئ القيس دون توجيهه فقال :- ((ولهذا اكتفى المصنف بالتمثيل ولم يتعرض لتحقيقه ، وبيان سببه لتعذر ضبطه فالأولى أن يحال إلى سلامة الذوق)) .(٢)

وما يجدر توضيحه أنّ السعد قد شرح المفردات الغريبة للبيت وبين معناه فلا بأس بذكرها ليظهر جهد الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى يقول السعد :- ((غدائره أي ذوائبه جمع غديرة والضمير عائد إلى الفرع في البيت السابق ستشزرات مرتفعات إن روي بالكسر على لفظ اسم الفاعل ، أو مرفوعات إن روي بالفتح على لفظ اسم المفعول من استشزره أي رفعه ، واستشزر أي ارتفع يعدى ، ولا يعدى (الى العلى تضل العقاص في مثنى ومرسل)

تضل أي تغيب ، والعقاص جمع عقيصة ، وهي الخصلة المجموعة من الشعر والمثنى المفتول والمرسل خلاف المثنى يعني أن ذوائبه مشدودة على الرأس بمخيوط ، وأن شعره منقسم إلى عقاص ومثنى ومرسل والأول يغيب في الأخيرين والغرض بيان كثرة شعرها)) .(٣)

من هذا يتبين لنا أنّ كلام السعد وكلام علي بن عيسى رحمهما الله تعالى متقاربان لكن ما ذكره الشارح تميز بذكر رواية البيت وإعراب بعض تراكيبه ، كما استشهد الطيبي للصفة الخامسة وهي عدم الابتذال ، وللضرب الثاني منه وهو كون اللفظة سخيفة في أصل الوضع كلفظ الآجر في قول النابغة الذبياني :-

أو دمية في مرمر مرفوعة بنيت بآجر يشاد بقرمد

لهذا عدل عنه في التنزيل في قوله تعالى : ((فأوقد لي ياهامان على الطين))(٤) ومن القرمد للغرابة .(٥)

وقد تأثر الطيبي فيما ذكره بقول ضياء الدين ابن الأثير الذي قال في تعليقه على البيت والآية :- ((..... فلفظة آجر مبتذلة جداً وإن شئت أن تعلم شيئاً من سرّ الفصاحة التي تضمنها القرآن

---

(١) انظر المطول ص ١٧ ، ١٨

(٢) المطول ص ١٧

(٣) المطول ص ١٧

(٤) من الآية ٣٨ من سورة القصص .

(٥) انظر الحدائق ص ١٥٧٢

فانظر إلى هذا الموضع فإنّه لمّا جيء فيه بذكر الآجر لم يذكر بلفظه ولا بلفظ القرمد أيضاً ، ولا بلفظ الطوب الذى هو لغة أهل مصر فإنّ هذه الأسماء مبتذلة لكن ذكر فى القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى ((وقال فرعون يأيها الملأ ماعلمت لكم من إلهغيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً))[1] فعبر عن الآجر بالوقود على الطين))[2].

فتأثر الطيبى بابن الأثير ظاهر بيّن والملاحظ أنهما لم يعلّقا بشيء فيما يتعلق بشرح مفردات البيت ، وبيان معناه ، وهنا يتجلّى جهد الشارح على بن عيسى رحمه الله تعالى إذ قام بهذا الأمر خير قيام فشرح المفردات الغريبة للبيت وبيّن معناه فذكر أن المراد بالرمية هنا القصر اطلاقاً للجزء على الكل، ويطلق فى الأصل على الصور المنقوشة على البناء، والقرمد نوع من الحجارة يوقد عليها حتى تنضج، ثم تطلى بها البرك .

فالآية عدل بها عن لفظ الآجر للإبتذال، وعن لفظ القرمد للغرابة، والشاعر قصد فى هذا البيت أن هذا القصر أسس وشيّد بالآجر على خلاف ما اعتاده الناس من التأسيس بالآجر والتشييد باللبن.[3]

فقد برز جهد الشارح بهذا التوضيح للبيت الذى سكت عن بيانه ابن الأثير والطيبى .

كما ذكر الطيبى فى مبحث ملحق بكلامه فى صفات اللفظ المفرد، وجعل له عنوانا تتميم تحدّث عن أن من الألفاظ مالو غيّر انقلب قبحه حسنا من ذلك لفظة اللبّ تكون حسنة إذا كانت مجموعة كما فى قوله تعالى ((وليتذكر أولو الألباب))[4] أو مضافة كما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :-

((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن)) .

أو مضافاً إليها كما فى قول جرير :-

إنّ العيون التي فى طرفها حور ... قتلننا ثمّ لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا[5]

وقد تأثر الطيبى فى هذا المبحث مع الشواهد المذكورة بما ذكره ابن الأثير الذى قال بعدما ذكر الآية، والبيتين، والحديث قال :- ((فان كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الاضافة فإنّها لا تأتى حسنة ، ولا تجد دليلاً على ذلك إلّا مجرد الذوق الصحيح))[6].

---

(١) من الآية ٣٨ من سورة القصص .
(٢) المثل السائر : ١/ ٢٩٤ ، ٢٩٥
(٣) انظر الحدائق ص ١٥٧٢
(٤) من الآية ٢٩ من سورة ص .
(٥) انظر الحدائق ص ١٥٧٧ ، ١٥٧٩
(٦) المثل السائر : ١/ ٤٢٢

فالطيبي تبعاً لابن الأثير لم يعلق بشيء على الحديث من جهة ما اشتمل عليه من معنى غريب ولا على البيتين، وبيان معناهما ، لكننا نجد أنّ الشارح علي بن عيسى رحمه الله الجميع كان له جهد جيّد في هذا المجال فإنه ذكر الحديث كاملاً ، وخرّجه ، وشرح مفرداته الغريبة ، فذكر أنّ العشير معناه الزوج ، واللب العقل الخالص من الشوائب ، ثمّ بين ما اشتمل عليه الحديث من معنى غريب، فذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل الرجل الحازم المتيقظ منقاداً لهن يتصرفن به كما يردن مع نقصان عقلهن، ودينهن فهو من أسلوب الرجوع فبعد أن وصفهن باكثار اللعن وكفران العشير رجع لوصفهن بأنّهن يسلبن عقل الرجل العاقل الحازم بجمالهن ، ونعومتهن ، ويجوز اعتباره من أسلوب الاستتباع بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصفهن بتلك الرذيلتين وهما اكثار اللعن ، وكفران العشير استتبع ذلك وصفهن برذيلة ثالثة وهي سلب لبّ الرجل الحازم ، كما اشتمل الحديث على نوع من الاغراق حيث أثبت اللب مع الحزم للرجل، وجعل العقل وهو دون اللب مع نقصانه للمرأة ومع ذلك فهن غالبات عليه .

أمّا ما يتعلق ببيتي جرير فانه ذكر أن الطرف يجوز أن يكون مصدراً ، ويجوز أن يكون اسماً ،فعلى الثاني تكون العيون استعارة عن المحبوبات التي في عيونهن حور أي سواد ، أمّا إذا اعتبرت مصدراً فإنّها من وضع المظهر موضع المضمر والعيون تكون على حقيقتها، والحور بمعنى النقصان ، والضمير في هن أضعف خلق الله يعود إمّا على المحبوبات إذا اعتبرت العيون استعارة ، أو إلى العيون على حقيقتها والمقصود بضعف الأركان فتور العين ، وقد قابل بين الضعف وبين القوة التي عبر عنها بذا اللب . (١)

فهذه مجمل النظرات والتأملات التي ذكرها الشارح رحمه الله تعالى في الحديث والبيتين وهي من جهوده التي تفرّد بها دون ابن الأثير والطيبي رحمهم الله جميعا .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٧٧ ، ١٥٧٩

الفصل الثاني : أوصاف الألفاظ المركبة :-

ذكر الطيبي رحمه الله تعالى خمسة أوصاف للألفاظ المركبة الفصيحة وهي :-

الصفة الأولى ماتكون الألفاظ مصبوبة في قالب الصنعة البديعية مما يختص بحسن اللفظ ، وهي المحسنات اللفظية التي أشار إليها في أول كلامه في علم البديع عندما قسّم المحسنات البديعية إلى ثلاثة أقسام : فالقسم الأول راجع إلى المعنى ، والقسم الثاني راجع إلى اللفظ ، والقسم الثالث راجع إلى المعنى واللفظ وقد اعتبر القسم الأول والثالث من وظيفة البلاغة ، أمّا القسم الثاني فمن وظيفة الفصاحة ، لأنّه يرى أن البلاغة مختصة بالمعنى ، أمّا الفصاحة فمختصة باللفظ ، وقد قسّم الطيبي المحسنات اللفظية إلى سبعة أنواع وهي :-

النوع الأول الجناس ، النوع الثاني العكس والتبديل ، النوع الثالث رد العجز على الصدر ، النوع الرابع التصريع ، النوع الخامس الترصيع ، النوع السادس السجع ، النوع السابع لزوم مالا يلزم .

وكما ذكرت فقد فصّل الطيبي القول في هذه الأنواع بتفريعاتها وشواهدها في فن الفصاحة ، واعتبر إيراد الكلام في قالب الصنعة البديعيّة الصفة الأولى من أوصاف فصاحة الألفاظ المركبة لكني آثرت اتباع الخطيب وكثير من المصنفين الذين درسوا المحسّنات اللفظية في علم البديع ، لذا أجّلت دراسة تلك الأنواع السبعة بالتفصيل عند دراستي لمباحث علم البديع .

الصفة الثانية : اجتناب المعاظلة في الألفاظ ، وهي تعقيد الكلام وتراكبه وهي لفظيّة ، ومعنوية فاللفظية على خمسة أقسام :-

الأول : أن ترد حروف متراكبة ، الثاني أن ترد ألفاظ متكررة الحروف ، الثالث أن ترد أفعال شتّى متتابعة ، الرابع أن ترد مضافات متوالية ، الخامس أن ترد صفات مترادفة .

أمّا المعاظلة المعنوية فهو أن يقدّم في الكلام ماحقّه التأخير لفظاً ومعنى دون الإشارة إلى سرّ بلاغي .

الصفة الثالثة : خلو التركيب من المنافرة وهو أن يذكر لفظ في التركيب ويكون غيره مما هو في معناه أولى بالذكر .

الصفة الرابعة السهل الممتنع هو أن يكون التركيب مسبوكاً سهلاً وعراً قريباً بعيداً .

الصفة الخامسة : المطابقة ، وهو أن يراعى مقصد الكلام فمن مقام يقتضي ألفاظاً جزلة متينة وأخرى رقيقة رشيقة .(١)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٨١ ، ١٦٦٣ ، ١٦٧٦ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٣

والطيبي في ذكره لهذه الصفات الخمس للتراكيب يبتعد فيها كثيراً عن منهج الخطيب الذى يرى أن شروط فصاحة الكلام ثلاثة أولها خلو الكلام من تنافر الكلمات ، ثانيها ابتعادها عن ضعف التأليف ثالثها اجتنابها للتعقيد اللفظى والمعنوى .(١)

هذا وقد استشهد الطيبى للقسم الأول من المعاظلة اللفظية، وهى ماوردت فيها حروف متراكبة مما جعلها قبيحة استشهد له بقول المتنبي :-

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد (٢)

لكنه لم يعلّق على البيت بشيء ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فانه أعرب بعض التركيب فى البيت ، وبيّن معناه، وأورد بيتين لابن دريد فى معنى بيت المتنبي شارحاً مفرداتهما ومبيّناً معناهما فذكر فيما يتعلق باعراب بيت المتنبي أنّ ((شواهد)) يجوز أن تعرب فاعلاً للظرف ((لها)) أى مستقرة ويجوز أن تكون مبتدأ، والظرف كلها أخبار مترادفة ، ومعنى البيت يقول أستعين فى خوض المعارك والحروب بفرس سبوح كريمة ، ويشهد لكرم خصالها أمارات ودلائل تشهد لها كما قال ابن دريد :-

ومشرف الأقطار خاظ نحضه حانى القصيرى جرشع عرد النسا

قريب مابين القطاة والمطا بعيد مابين القذال والصلا

ومشرف الأقطار أى عالى الجوانب ، وحاظ نحضه أى مكتنز لحمه، وحانى القصيرى منحنى آخر الأضلاع جرشع غليظ عرو النسا أى صلب عرق الفخد فإنّه إذا صلب كان سريع العدو ، وإذا استرخى كان رديئاً ، القطاة موضع الرديف ، والمطا الظهر القذال معقد العذار منه والصلى ماعن يمينه وشماله ، وهما صلوان ، ويجوز أن يكون معناه أى بيت المتنبى أن دلائل كرم خصالها عدوها السريع ، وصولاتها ، وجولاتها الصادقة كما قال الآخر :-

لا يخيم اللقاء فارسه حتى يشقّ الصفوف من كرمه

لا يخيم أى لا يجبن (٣) ، هذا مجمل ماذكره الشارح فى اعراب البيت وما يحتمله من معنيين اللذين تركز جهده في بيانهما ، ولم يتطرّق إلى الشاهد البلاغى فيه ، وقد أورد الخطيب الشطر الثانى من البيت شاهداً لرأى من يرى أنّه بالاضافة إلى خلوّ الكلام من التنافر، وضعف التأليف والتعقيد اللفظى والمعنوى فى شروط فصاحة الكلام بالإضافة إلى ذلك يشترط سلامة الكلام من التكرار ، وتتابع الإضافات ، والبيت شاهد على التكرار لكنّه لم يسلم لهم هذا الشرط، وذكر أنّ التكرار وتتابع الاضافات إن

---

(١) انظر الايضاح ص ٤ - ٦

(٢) انظر الحدائق ص ١٦٦٤

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٦٤

أدى بالكلام إلى الثقل على اللسان فيحترز عنه بالتنافر ، وإذا لم ينقل على اللسان فلا يخل بالفصاحة[1] ، وقد تبع الخطيب في هذا الرأى السعد وطبق على البيت بقوله ((والغمرة ما يغمرك من الماء والمراد الشدة ، سيوح فعول بمعنى فاعل من السيح ، وهو شدة عدو الفرس يستوى فيه المذكر والمؤنث وأراد به فرساً حسنة الجرى لا تتعب راكبها كأنها تجرى في الماء لها صفة سيوح منها حال من شواهد ، وعليها متعلق بها شواهد ،فاعل الظرف أعنى لها لاعتماده على الموصوف ، والضمائر كلها لسيوح يعنى أن لها من نفسها علامات شاهدة على نجابتها))[2] .

من هذا يتبين لنا أن الشارح والسعد قد تلاقيا في تعليقهما على البيت من جهة العرابة وعدم التعرض لموضع الشاهد فيه لكن الشارح تميز تعليقه بايراد معنى آخر يحتمله البيت ، واستشهد لكلا المعنيين بشاهد شعرى وهذا جهد حسن منه رحمهما الله تعالى .

ذكر الطيبى أن من المعاظلة اللفظية ورود مضافات متوالية في الكلام كقول ابن بابك :-

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

لكن قول الرسول صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ليس منه[3] ، لكنه لم يعلق بشيء على هذا الحديث ، وكيف أن التكرار فيه ليس مخلاً بفصاحة الكلام .

أما الشارح رحمه الله تعالى فإنه بعد أن أورد الحديث كاملاً وخرجه ذكر أن الحديث ليس فيه اضافات متوالية لأن الابنين المجرورين صفتان للكريمين لا مضافين .

أما تكرير الكريم فإن المقام مقام اطناب واستلذاذ بالذكر والتلذذ بالنطق له شأن عظيم ، وأبرز مايدل عليه ورود لفظ الكريم مجملاً مبهماً ، ثم جاء التفصيل بقوله يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم لزيادة التفخيم والتعظيم ليدل على أن يوسف عليه السلام عريق النسب ، ووصف بالكريم لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورئاسة الدنيا ، فهو رابع أربعة في النبوة مع اتصال النسب .[4]

هذا مجمل ماذكره الشارح في بيانه وشرحه للحديث وقد وافق السعد[5] الخطيب[6] من أن الحديث اشتمل على تكرار وتتابع للإضافات لكنه غير مخل لأنه لم يورث ثقلاً على اللسان بسبب النطق بها .

---

(١) انظر الايضاح ص ٧ ، ٨
(٢) المطول ص ٢٣
(٣) انظر الحدائق ص ١٦٧٠
(٤) انظر الحدائق ص ١٦٧٠ ، ١٦٧٢
(٥) انظر المطول ص ٢٣ ، ٢٤
(٦) انظر الايضاح ص ٨

أمّا البهاء السبكى فيرى أنّه لا وجه لاستشهاد الخطيب بالحديث حيث قال :-((ثمّ قال فى الإيضاح ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الكريم ..... قلت هذا لا تعلّق له بالاضافات فإنّ قصد أن يستشهد به لعدم كراهية التكرار ففيه نظر لأنّ كل اسم لمعنى غير الآخر .....)) (١)

فالشارح يتلاقى مع ابن السبكى فى أنّ الحديث ليس فيه تتابع اضافات ، ويختلف معه فى أن فيه تكراراً جىء به لأن المقام مقام اطناب ، واستلذاذ الذكر .

ذكر الشارح رحمه الله تعالى عند كلامه عن المعاظلة المعنويّة ، وهى أن يقدم فى الكلام ماحقّه التأخير لفظاً ومعنى ذكر أن البحث عن الانتقال فى المجاز والكناية ، ومايجوز منه ، ومالا يجوز من الاستحسان وغيره ، والذى أطلق عليه الخطيب التعقيد المعنوى ومثّل له بقول الشاعر :-

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

واعتبر أن الشاعر كنى عن سروره بلقاء الأحبة بجمود العين لكن المعروف فى جمود العين كناية عن بخلها بالدموع فى مقام الحزن كما قيل :-

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط ... عليك بجارى دمعها الجمود

ذكر الشارح أن هذا الذى يراه الخطيب ليس من وظيفة الفصاحة ، وإنّما هو من وظيفة البيان ، وهو فى هذا قد خلط قسماً بقسم ، فإنّ قرائن الأحوال تختلف باختلاف المقاصد ، فالشاعر فى قوله ألا إنّ عيناً البيت ، كنى بنفى الجود عن عدم سكب الدموع قابله بالكناية عن البخل بالجمود ، ولولا ذكر الجود لم يفهم البخل كذلك فى قول العباس سأطلب ..... البيت . فإنّه قابل الجمود بسكب الدموع على الإطلاق ، لكن ينبغى أن يحملا على التصريح ، فإذا حمل سكب الدموع على الهجر يحمل الجمود على الهجر ، كذلك إذا حمل الأول على الحزن يحمل الثانى على السرور على وجه الإطلاق من غير ارادة البخل ، ومعنى البيت يقول إنّ أمر الزمان عجيب فعندما يراد البعد يأتى بالقرب ، وعندما يراد الحزن وهو لازم البكاء يأتى بالفرح ، والسرور ، فالشاعر كنى عن حزنه بسبب الفراق والبعد عن الأحبّة كنى عنه بانسكاب دموعه كقول الحماسى :-

أبكانى الدهر ويا ربّما ... أضحكنى الدهر بما يبكى

فالشاعر كنى عن فرحه وسروره وارضاء الدهر إياه بالضحك ، وهو لازم الفرح وكنى عن حزنه ، وأساءه لسخط الدهر إياه كنى عنه بالبكاء لكن لولا الكناية الثانية فى أضحكنى لم تتبين الكناية الأولى فى أبكانى .

---

(١) عروس الأفراح للبهاء السبكى ضمن شروح التلخيص : ١١٦/١

كما ردّ الشارح على الخطيب في اعتماده على ماقاله أهل اللغة سنة جماد أى لا مطر فيها ، وناقة جماد أى لا لبن فيها ، فالسنة والناقة لا توصفان بالجمود إلّا لكونهما قد بخلتا بالقطر واللبن في الوقت الذى كان يقتضى منهما الماء واللبن كذلك العين لا توصف بالجمود إلّا إذا بخلت ، وضنّت بالدمع فى مقام وحالة يقتضى منها أن تدرّ الدمع .

ردّ الشارح على الخطيب فى هذا أنه تحجير للواسع إذ المعتبر فى استعمال الكلمة مجازاً اعتبار نوع العلاقة ، وصحّة استعمال الكلمة فى موقعها ، ولا يشترط فيه السماع ، والتوقف على ماقاله العرب بخلاف الاستعمال الحقيقي للكلمة فإنّه يشترط ذلك فيه .(١)

فالشارح رحمه الله تعالى اعترض على الخطيب في جعله البيت فى مبحث فصاحة الكلام ، وكان عليه أن يضعه فى علم البيان واعترض عليه أيضاً فى توجيه البيت من أن فيها كناية معقّدة وبعيدة ، أمّا ما يتعلّق بتوجيه البيت فقد تأثّر الخطيب فيه بما ذكره الامام عبد القاهر فى دلائل الاعجاز ، وقد ذكر البيت عند كلامه عن دلالة المعانى على المعانى ومن شرط البلاغة فيه أن يكون بيّناً واضحاً لا يتعسّر في الوصول فيه الى المعنى والبيت قد ناقض هذا الشرط ، وسأذكر نصّ الإمام عبد القاهر ، ونصّ الخطيب لأبين مدى تأثر الثانى بالأول كما أبيّن ضعف اعتراض الشارح وقوّة توجيه الخطيب الذى تبع فيه الامام .

يقول الامام عبد القاهر حول البيت :- ((وإذا كان ذلك كذلك - أى أنّ من الصفات ماتجدها مجراة فى الظاهر على اللفظ لكنّها فى الحقيقة والواقع لمعناه - علم علم الضرورة أنّ مصرف ذلك إلى دلالات المعانى على المعانى ، وأنّهم أرادوا أنّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذى تجعله دليلاً على المعنى الثانى ووسيطاً بينك وبينه متمكناً فى دلالته ، مستقلاً بوساطته يسفر بينك وبينه أحسن سفارة ، ويشير لك إليه أبين إشارة حتّى يخيّل إليك أنّك فهمته من حاق اللفظ وذلك لقلة الكلفة فيه عليك ، وسرعة وصوله إليك فكان من الكناية مثل قوله :-

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

ومن الاستعارة مثل قوله :-

وصدر أراح الليل عازب همّه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب

ومن التمثيل مثل قوله :-

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المرّ من ثمره

وإن أردت أن تعرف ماحاله بالضد من هذا فكان منقوص القوّة فى تأدية ما أريد منه لأنّه يعترضه مايمنعه أن يقضى حقّ السفارة فيما بينك وبين معناك ، ويوضح تمام الإيضاح عن مغزاك ، فانظر إلى قول العباس بن الأحنف :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٧٣ ، ١٦٧٤

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

بدأ فدلّ بسكب الدموع على مايوجبه الفراق من الحزن والكمد فأحسن ، وأصاب لأنّ من شأن البكاء أبداً أن يكون أمارة للحزن وأن يجعل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم أبكانى ، وأضحكنى على معنى ساءنى وسرّنى ، وكما قال :-

أبكانى الدهر ويا ربّما أضحكني الدهر بما يرضيني

ثم ساق هذا القياس إلى نقيضه فالتمس أن يدلّ على مايوجبه دوام التلاقى من السرور بقوله لتجمدا ، وظن أن الجمود يبلغ له فى افادة المسرّة ، والسلامة من الحزن مابلغ سكب الدمع فى الدلالة على الكآبة والوقوع فى الحزن ، ونظر إلى أنّ الجمود خلوّ من البكاء ، وانتفاء الدموع عنها وأنّه قال لتجمدا ، فكأنه قال أحزن اليوم لئلا أحزن غداً ، وتبكى عيناى جهدهما لئلا تبكيا أبداً ، وغلط فيما ظنّ وذاك أنّ الجمود هو أن لا تبكى العين مع أنّ الحال حال بكاء ، ومع أن العين يراد منها أن تبكى ويستراب فى أن لاتبكى ولذلك لاترى أحداً يذكر عينه بالجمود إلّا وهو يشكوها ، ويذمّها ، وينسبها إلى البخل ، ويعدّ امتناعها من البكاء تركاً لمعونة صاحبها على مابه من الهمّ ، ألا ترى إلى قوله

ألا إنّ عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجارى دمعها لجمود

فأتى بالجمود تأكيدا لنفى الجود ، ومحال أن يجعلها لا تجود بالبكاء ، وليس هناك التماس بكاء لأنّ الجود والبخل يقتضيان مطلوبا يبذل أو يمنع ، ولو كان الجمود يصلح لأن يراد به السلامة من البكاء ، ويصحّ أن يدلّ به على أن الحال حال مسرّة وحبور لجاز أن يدّعى به للرجل فيقال لا زالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك ، وذاك مما لا يشك فى بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة عين جمود لا ماء فيها وسنة جماد لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن فيها ، وكما لا تجعل السنة والناقة جماداً إلّا على معنى أنّ السنة بخيلة بالقطر ، والناقة لا تسخو بالدرّ ، كذلك حكم العين لا تجعل جموداً إلّا وهناك ما يقتضى ارادة البكاء منها بجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأن قد جادت ، وسخت إذا لم تبك مسيئة موصوفة بأن قد ضنت ، وبخلت .....

.....

وجملة الأمر أنا لا نعلم أحداً جعل جمود العين دليل سرور ، وأمارة غبطة وكناية عن أنّ الحال حال فرح فهذا مثال فيما هو بالضد مما شرطوا من أن لا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك لأنّك ترى اللفظ يصل إلى سمعك ، وتحتاج إلى أن تخب وتوضع فى طلب المعنى ...))[1].

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٦٨ - ٢٧١

هذا نصّ الامام عبد القاهر حول توجيه البيت، وسيتضح تأثر الخطيب به من خلال ماذكره في البيت ، فقد قال :-

((والثاني - أي من التعقيد - مايرجع إلى المعنى وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقول العباس ابن الأحنف :-

سأطلب .....°..... كني بسكب الدموع عمّا يوجبه الفراق من الحزن ، وأصاب لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم أبكاني وأضحكني أي أساءني وسرني كما قال الحماسي :-

أبكاني الدهر ويا ربّما أضحكني الدهر بما يرضيني

ثم طرد ذلك في نقيضه فأراد أن يكني عمّا يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنّه أن الجمود خلوّ العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ، وأخطأ لأن الجمود خلوّ العين من البكاء في حال ارادة البكاء منها ، فلا يكون كناية عن المسرّة ، وإنّما يكون كناية عن البخل ، كما قال الشاعر :-

ألا إنّ عينا لم تجد .....

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرّة لجاز أن يدّعى به للرجل فيقال لا زالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك، وذلك مما لا يشك في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة سنة جماد لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن لها ، فكما لا تجعل السنة والناقة جماداً إلّا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر ، والناقة لا تسخو بالدرّ لا تجعل العين جموداً إلّا وهناك ما يقتضي ارادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنّها قد جادت ، وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنّها قد ضنت ،فالكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ماكان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهراً حتى يخيل إلى السامع أنّه فهمه من حاق اللفظ كما سيأتي من الأمثلة المختارة للاستعارة والكناية)) .[1]

هذا نصّ توجيه الخطيب للبيت، وقد تبين لنا مدى تأثره بالإمام حتى في عباراته .

أمّا ما يتعلق باعتراض الشارح على الخطيب من أنّه كان عليه أن يورد البيت في علم البيان فهو اعتراض كما يبدو غير وجيه لأنّ البيت مرتبط ارتباطاً وثيقا بشروط فصاحة الكلام ، ومن المسلم أن المراد من الكلام الذي يتضمن معنى وليس الكلام الأجوف الخالي من المعنى فهو ليس كلاما فضلا من وصفه بالفصاحة أو عدمها ، فإذا كان المقصود من الكلام الذي يشتمل على معنى فشرط فصاحة

---

(١) الايضاح ص ٦ ، ٧

الكلام أن يكون المعنى الذى يتوصل إليه بطريق مجاز أو كناية أن يكون واضحاً بينا لا يشيك الفكر فى الوصول إلى معناه ، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون البيت له ارتباط وعلاقة بعلم البيان، وقد أشار إلى ذلك الخطيب في آخر كلامه لكن بوضعه الذى يجب أن يكون فيه هو عند الكلام عن شروط فصاحة الكلام وأيضاً بناء على اعتراض الشارح على الخطيب يلزمه أن يعترض على أستاذه الذى جعل المعاظلة المعنوية وهو أن يقدم فى الكلام ماحقه التأخير جعله فى فن الفصاحة مع أن له تعلقاً وثيقا بباب التقديم والتأخير فى علم المعانى لكنه لم يعترض على أستاذه فى هذا فكيف يعترض على الخطيب ؟ .

أما فيما يتعلق بتوجيه الشاهد فإن الشارح اعترض على الخطيب وهو بالتالي ينعكس على الامام عبدالقاهر وذلك فى قول أهل اللغة سنة جماد لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن فيها إذ يلزمه أن يعتمد فى استعمال المجاز على ماسمع ، وهذا اعتراض غير قوى لأن الخطيب متبعاً لشيخ البلاغيين قد أورد في شواهد المجاز المرسل والإستعارة كثيراً من الشواهد أبياتاً لشعراء متأخرين كثيراً عن عصر الاحتجاج اللغوى، وقد اشتملت على صور بيانية لم يألفها السابقون ، وبهذا يصبح هذا الاعتراض ضعيفاً، ويسلم للخطيب استشهاده بالبيت، ويكفيه أنه قد اقتفى أثر امام البلاغيين صاحب الذوق الرفيع فى تحليل النصوص الإمام عبدالقاهر فرحم الله الجميع على جهودهم كما ذكر الطيبى في مبحث ملحق بالمنافرة وهى أن يذكر لفظ فى التركيب ، ويكون غيره مما هو فى معناه أولى بالذكر وهى الصفة الثالثة من أوصاف التراكيب فذكر فى تذييل ملحق به أن من الألفاظ المتنافرة مالو نقل من مكانه إلى آخر قرّت وحسنت ، وأورد لها عدة شواهد منها لفظتى البطن والجوف ، فإن اللفظتين مع كونهما متفقتين فى الوزن والمعنى لكن القرآن استعمل فى كل موضع مايخصه من اللفظ فقال فى سورة آل عمران ((رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا)) [1] ، وقال فى سورة الأحزاب ((ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه)) [2] فلو غيرت الألفاظ عن موضعها فى غير القرآن لما كان لها هذا الحسن [3] ، لكن الطيبى لم يبين وجه حسن كل موضع .

أما الشارح فبين وجه حسن كل لفظة فى موضعها فى الآيتين فذكر أن قولها ((مافى بطنى)) كناية عن الجنين ، وذكر البطن فيه أنسب لأن فيه نوع خفاء بخلاف الجوف ، فإنها جاءت فى الآية

---

(١) من الآية ٣٥ من سورة آل عمران

(٢) من الآية ٤ من سورة الأحزاب .

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٨٢

الثانية لتقرير ، وتأكيد لما يراد من الصنوبرى الذى هو فى التجاويف على منوال قوله تعالى ((ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)) [١]

فلو قيل ما جعل الله لرجل من قلبين فى بطنه مكان فى جوفه لم يستقم لكن متعارف الأوساط لا يفرقون فى المعنى بين البطن والجوف [٢] ، وهذا جهد حسن من الشارح رحمه الله تعالى .

كما ذكر الطيبى من صفات التراكيب المطابقة، وذلك بأن يراعى مقصد الكلام فإذا كان المقام مثلاً مقام وصف الحرب ، وقوارع التهديد، والوعيد يستخدم له الألفاظ الجزلة المتينة ، وإذا كان المقام مقام وصف ماينبغى من المؤمنين الراشدين ، والشرط على منوال قوله تعالى : ((وما بكم من نعمة فمن الله)) [٣] ، وذلك لمّا سألوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ ، قيل لهم هذا سؤال من لم يعرف الرب ، ولم يؤمن أنه أقرب إليه من حبل الوريد ولم يرشد إلى الصواب فسؤالهم ذلك كان سبباً لأن يخبروا ، وينبهوا بأنّه قريب ليستجيبوا له ، ويؤمنوا به ليرشدوا ، وفى جعل عبادى مقدمة، وتمهيداً لهذا الخطاب تعطف ، واستمالة لهم إذ لولاه لما قاموا لمولة العتاب كقوله تعالى ((عفا الله عنك لم أذنت لهم)) [٤] .

قال الراغب : العبد على ضربين : عبد الإيجاد ، والتسخير ،وذلك يطلق على كلّ أحد وإيّاه عنى بقوله ((إن كلّ من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً)) [٥] ، وعبد على طريق التخصيص، وذلك قوله ((إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان)) [٦] ، وقوله ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً)) [٧] ، فعلى هذا يصحّ أن يقال فلان فمقام الأشواق، والاستعطاف يؤتى له بألفاظ رقيقة رشيقة [٨] ، وقد أورد ضمن ما أورد من شواهد إذا كان المقام يقتضى إيراد ألفاظ رقيقة ذكر ضمن ماذكر قوله تعالى :-

((وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى)) [٩] ولم يزد فى تعليقه على الآية عن قوله :-((أنظر إلى هذه العبارات الرقيقة والكلمات الرشيقة كادت تسيل من سلاستها)) . [١٠]

---

(١) من الآية ٤٦ من سورة الحج .
(٢) انظر الحدائق ص ١٦٨٢
(٣) من الآية ٥٣ من سورة النحل
(٤) من الآية ٤٣ من سورة التوبة .
(٥) من الآية ٩٣ من سورة مريم
(٦) من الآية ٦٥ من سورة الاسراء .
(٧) من الآية ٦٣ من سورة الفرقان
(٨) انظر الحدائق ص ١٦٩٣
(٩) من الآية ١٨٦ من سورة البقرة .
(١٠) الحدائق ص ١٦٩٦

أما الشارح رحمه الله تعالى فإنّه بين المقام الذى اقتضى ورود الآية بهذه الألفاظ الرقيقة الرشيقة ذكر ذلك بأفصح عبارة وأبلغ بيان ، وشرح المقصود من العبد إذا أطلق فى القرآن الكريم نقلا عن الراغب يقول الشارح فى كل ذلك :- ((قوله :- ((وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب)) ، فى هذا الشرط والجزاء نوع عقاب ، وتنبيه على ارتكاب خلاف عبد الله وأنه عبد الهوى ، وعبد الشهوة ، ومنه الحديث تعس عبد الدينار ، وتعس عبد الدرهم ، وتعس عبد الخميصة ، وتخصيص اضافة العبد إلى الله فى كثير من المواضع تنبيه على مدحه فى كونه مطيعاً له ، ومتصرفاً عن أمره ، وأنه معرج على غيره ، وكذا فى وضع الداعى موضع المضمر تعطف مع العتاب لأنّ الأصل أجيب دعوتهم فعمّ الداعى ليدلّ على اجابة كلّ من دعاه سواء كان مؤمناً أو غيره فهم يدخلون فيه دخولاً أولياً وكذا فى الفاء في قوله ((فليستجيبوا لى)) أى إذا كان الأمر ماذكر فليستجيبوا إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أنى أجيبهم إذا دعونى لحوائجهم، وليؤمنوا بى لأرشدهم إلى مابه يحلون دار كرامتى ويحلّ عليهم رضوانى وكذا فى تكرير اللامين للأمرين، وفى تخصيص لفظة لعلّ التى هى رمزة إلى قطع الوعد، وانجازه على البت عرف هذا من رزق الذوق))[1] ، هذا نصّ ماقاله الشارح حول الآية ويتجلّى فيه أسلوبه المتميز، وذوقه الرفيع فى استجلاء بعض أسرار نظم الآية ، وبعد فهذه بعض جهود الشارح رحمه الله تعالى فى فن الفصاحة .

---

(١) الحدائق ص ١٦٩٦ ، ١٦٩٨

الفصل الثالث : مع فن البلاغة :-

مفهومهـــا :-

عرّف الطيبي البلاغة بقوله :- ((هي توفية خواصّ التراكيب في افادتها وإيراد معنى واحد في طرق مختلفة بدلالتها ، وتحسينها من جهة المعنى ، ونعني بها التراكيب من حيث هي هي لا الصـــادرة عن البليغ لفساد المعنى)) [١] ، وهذا التعريف يتلاقى الطيبي فيه كثيراً مع تعريف السكاكي الذي قال :- ((البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأديه المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقّها وإيـــراد أنواع التشبيه والمجاز ، والكناية على وجْهها)) . [٢]

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ البلاغة إذا اعتبرت وصفاً للكلام فيجب أن يجتمع فيه ثلاثـــة أوصاف :-

الأول : أن يكون صواباً في موضوع لغته ، الثاني : أن يكون طبقا للمعنى المقصود ، الثالث : أن يكون صدقاً في نفسه ، ومتى اختزم منه وصف من تلك الأوصاف كان ناقصاً في البلاغة . [٣]

وقد اعتمد الشارح فيه على الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن حيث نقله منه بتصرف .

والذي يظهر لي أنّ الوصف الأول وهو كونه صوابا في موضع لغته اعتبره البلاغيون فيما بعد مـــن شرائط فصاحة الكلمة والكلام على رأي الخطيب ، أمّا الوصف الثاني وهو كونه طبقاً للمعنى المقصـــود هو ما أطلق عليه البلاغيون المطابقة لمقتضى الحال ، والخطيب في تعريفه للبلاغة شمل هذين الوصفيـن حيث قال :-

((البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)) . [٤]

أمّا الوصف الثالث وهو كون الكلام صدقاً في نفسه فلا يسلّم له على الاطلاق ، لأنّ اعتبار هذا الوصف يجعلنا نخرج كثيراً من النصوص التي استكملت شرائط الفصاحة والبلاغة بحجة أنها ليست صدقاً في نفسها ، وهذا لم يقل به أحد نعم صدقه العاطفة لو توفرت يكون أحسن لكن ليس من الأسس التي يقوم عليها بناء النص الجيد لأنّه قد يقوم على الخيال ، وقد قيل قديماً أصدق الشعر أكذبه .

---

(١) الحدائق ص ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠

(٢) المفتاح ص ١٧٦ ، ١٧٧

(٣) انظر الحدائق ص ٥٣

(٤) الايضاح ص ٩

كما ذكر الشارح أن أستاذه وافق السكاكى فى تقديم مباحث فن البلاغة على مباحث فنّ الفصاحة إمّا لأن الاعتناء بالمعنى مقدم على الاعتناء باللفظ ، وإمّا لعموم فوائد البلاغة وجموم عوائدها مع أنّ الظاهر يقتضى تقديم الفصاحة لأنّها تلحق الألفاظ بحسب ذاتها على البلاغة التي تلحقها بحسب المعنى، وما بالذات مقدّم على مابالغير .

وقد بيّن أيضاً سبب مخالفة أستاذه للسكاكي حيث قدم تعريف البلاغة على مباحث علمى المعانى ، والبيان وحديهما بخلاف السكاكى الذى أخّر تعريف البلاغة إلى مابعد انتهائه من مباحث علمى المعانى والبيان ، وقد خالف الطيبى السكاكى فى هذا لأحد أمرين إمّا لأنّ البلاغة كالاجمال للمعانى والبيان ، والمجمل مقدّم على المفصل إذ معرفة العلم مجملاً ثم فى تفصيله يجعل الطالب على بصيرة، وثبوت فى نفسه ، وإمّا لأنها أى البلاغة لما كانت مشتملة على العلوم الثلاثة : المعانى والبيان والبديع جعلت كالفهرس لهذه العلوم لهذا قدّم (١)

والذى ظهر لى أنّ الطيبى فى مخالفته للسكاكى قد سار مع منهج الخطيب الذى قدم تعريف البلاغة على علوم المعانى والبيان والبديع مع ملاحظة الفرق بين تعريف الطيبى وبين تعريف الخطيب للبلاغة ، فإنّ تعريف الخطيب لها هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته فهولا يدخل فيه أى نوع من أنواع البديع لأنّها محسنات تأتى بعد المطابقة، وقد يستغنى عنها بخلاف تعريف الطيبى فإنّه يدخل بعض المحسنات التى ترجع إلى المعنى .

ذكر الشارح أنّ مسمى بليغ لا يتحقق إلّا للعارف بكل خواص التراكيب ، لهذا جىء بهما بصيغة الجمع فلا يسمّى بليغاً من عرف خاصّيّة لتركيب واحد كمجرد الإخبار فى قولك زيد منطلق مثلاً ، ولا من عرف خواصّ لتركيب واحد كتعظيم المضاف ، والمضاف إليه ، والتقوى ، وعدم القصر فى قول القائل مفتخراً عبدى حضر ، ولا من عرف خاصية لتراكيب متعدّدة كمجرد الاخبار فى قولك من زيد؟ أو قائم والمقصود بالمعنى جنس المعنى الواحد ، وليس المعنى مفرداً أى أن من أورد معنى مفرداً فى تراكيب مختلفة لا يعدّ بليغاً والمراد من التوفية فى تعريف السكاكى والطيبى اقتضاء المقام والإيراد فى تعريفهما تمام المراد ، وقد صرحا بهما فى حدى المعانى والبيان ، فالبليغ هو الذى يوفى حق الكلام بحسب اقتضاء المقام . (٢)

كما بين الشارح رحمه الله تعالى عبارة شيخه فى توضيحه للتراكيب بأنّها من حيث هى هى لا الصادرة عن البليغ لفساد المعنى ذكر الشارح أن الفساد يأتى من أحد وجهين إمّا لزوم الدور

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٥

(٢) انظر الحدائق ص ٥٥ ، ٥٧

أى أن يتوقف فى تصور تراكيب البليغ على البليغ المتوقف تصوره على البلاغة ، وإما تقليد البليغ بمعنى أن البليغ عند تكلمه ينظر إلى بليغ آخر يتكلم فى مثل هذا المقام ليقلده ، وهذا غير صحيح لأن البليغ ينظر إلى التراكيب من حيث هى فيوفى خواصها ، ويورد مايلزمها من صور بيانية ومحسنات معنوية كل ذلك بحسب المقام فهو لا ينظر إلى بليغ آخر ليقلده ، ولا إلى الواضع لأن هذه القضية تثبت بالنظر إلى العقل نعم التراكيب حاملة لخواصها فمثلاً خاصية دفع الشك أورد الإنكار حاملة الخبر الطلبى لكن مطابقة هذا للمقام قضية عقلية تعود إلى البليغ فلا يتبع فيها أحداً والطيبى ، وهو متأثر فى تعريفه للبلاغة بالسكاكى فحتى لا يرد عليه اعترض الخطيب عليه كما ورد على السكاكى من أنه لم يوضح التراكيب فى تعريفه للبلاغة أورد العبارة السابقة ، ونعنى بالتراكيب من حيث هى هى . . . لكن الشارح دافع عن السكاكى بأن تقييده للتراكيب فى تعريف المعانى دل اطلاقه لها فى تعريف البلاغة على المراد ، هذا إذا قيل إن السكاكى لم يبين التراكيب ، وإذا قيل إنه قصد تراكيب البلغاء فيلزم الدور لماذا لا يراد بالبلغاء المشهورون منهم كامرئ القيس وزهير وغيرهم وذكر أن بيان السابق للتراكيب جاء للتوضيح وليس فراراً من اعتراض الخطيب . (١)

والذى يظهر أن هذه شروح وتوضيحات جيدة من الشارح رحمه الله تعالى على تعريف أستاذه للبلاغة ودفاعه عن السكاكى ورد الخطيب دفاع حسن لكن الأشهر على ألسنة البلاغيين والأوجز فى العبارة تعريف الخطيب للبلاغة الذى يقول فيه :- ((هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)) (٢) فهو لا يدخل أى نوع من المحسنات البديعية ضمن التعريف ، ويعد الفصاحة شرطاً فى البلاغة إذ لا يعد الكلام بليغاً إذا لم يستوف شروط فصاحة الكلمة والكلام والله أعلم .

مراتبها :-

يرى الطيبى أن للبلاغة طرفين طرف أعلى وهو ماوصل إلى حد الإعجاز وحاكمه الذوق وحد أدنى وهو مايشبه بنعيق الحيوانات وبينهما مراتب لا تكاد تنحصر . (٣)

وقد تأثر الطيبى فى هذا بالسكاكى حتى فى عباراته فقد قال السكاكى بعد تعريفه للبلاغة :-

((. . . . . ولها أعنى البلاغة طرفان أعلى وأسفل متباينان لا يتراءى له ناراهما وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة فمن الأسفل تبتدئ البلاغة ، وهو القدر الذى إذا نقص منه شئ التحق ذلك الكلام بما شبهناه به فى صدر الكتاب من أصوات الحيوانات ثم تأخذ فى التزايد متصاعدة إلى أن تبلغ حد الإعجاز عجيب يدرك ، ولا يمكن وصفه . . . . . .

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٠ ، ٦١
(٢) الايضاح ص ٩
(٣) انظر الحدائق ص ٦٣ ، ٨٢ .

ومدرك الإعجاز عندى هو الذوق ليس إلّا .....)) .(١)

أما الشارح رحمه الله تعالى فإنّه فصّل القول فى وجه اعجاز القرآن ومذاهب العلماء فيه وبيّن سبب اختياره لأحد تلك الآراء فذكر أن الأمر المعجز هو الأمر الخارق للعادة الذى جاء على سبيل التحدى ، والتحدّى هو طلب المقابلة والمعارضة ، فحين تريد اظهار عجز شخص تتحداه وتقابله فيما يعرف .

ودليل كون القرآن الكريم معجزاً أن العرب الفصحاء البلغاء أصحاب اللسن ، والبيان طلب إليهم أن يعارضوا القرآن وتحدوا إلى ذلك لكنّهم لم يستطيعوا ، وعجزوا عن ذلك حيث استعدوا بالعدّة والعتاد ، وسلكوا طريق الحرب والقتال ، واقتحموا موارد الموت فى سبيل محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، واستئصال شأفتهم ((ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره)) فعلوا هذا مع أنّهم دُعوا إلى ماهو أهون وأخف منه بكثير ، وهذا أكبر دليل على عجزهم ، وقلّة حيلتهم فى معارضة ما تحدوا إليه ، وتتلخص مذاهب العلماء فى وجه اعجاز القرآن فى أربعة مذاهب :-

الأول الإعجاز بالصرفة وهو قول النظام الذى يرى أنّ القرآن كسائر الكتب السماوية ، وكان بمقدور العرب أن يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك .

وهذا قول باطل لأنّه لو كان الاعجاز بالصرفة لم يحتج إلى هذه البدائع التى اختصّ بها القرآن من نظمه المعجز ، وأسلوبة الغريب ، وتميزه عن كلام البشر بل كان يكفى فى تبليغ المعانى أسلوب دون ذلك .

المذهب الثانى اعجازه فى أخباره عن الغيوب ، وهذا قول بعضهم وهو فاسد لأنّ أقلّ ماوقع به التحدى هى سورة واحدة ، وليس فى كل سورة اخبار عن الغيب بالاضافة إلى أنّ كثيرا مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر فى زمنه .

المذهب الثالث أن المعجزة هى عين الكلام القديم ، وهو قول بعضهم ، وقد ردّ هذا بأنّه لا يصحّ إذ فيه مغالبة بما لا يطاق .

المذهب الرابع أن الإعجاز بالمجموع من اخباره عن الغيب ، وكون الذى نزل عليه أمّياً ، ولم يشتغل برواية الأقاصيص ، والأخبار ، وقد أتى بعظيمات الأمور ، ومهمات القصص ، وأنّه بديع النظم عجيب التأليف بلغ النهاية فى البلاغة ، وزاد بعضهم أنّه يزداد بكثرة تكراره حلاوة فى القلوب ، وطلاوة فى العقول .

والصحيح أنّ إعجاز القرآن لبلاغته ، وفصاحته ، وهيئة نظمه ، وهو المذهب المختار عند أبى الحسن الهروى الذى يرى أنّ تعلق اعجاز القرآن فى النظم فقط أو الفصاحة فقط لا يصحّ بل الصحيح تعلقهما بالنظم والفصاحة معاً ، لأنّ نظم القرآن تميز عن سائر الكتب ، وأساليب الكلام المنثور كأسلوب الخطبه

---

(١) المفتاح ص ١٧٦

والرسائل والسّجع ، والمحاورات ليس أكثر من تميز بعض تلك الأساليب على بعض، ومعروف أن من فاق ، وبرز فى بعض تلك الأساليب لا يعجز عن بقيّتها ، فإنّه يستطيع أن يورد كلاماً في بقيّتها ، ولو كان فى الطبقة الدنيا ، أو جاء بصورة رديئة كذلك أسلوب القرآن فإنّه يستطيع أن يورد كلاماً فى مثل أسلوب القرآن ، ولو كان فى الطبقة الدنيا لكنّه يعجز أن يورد مثل القرآن فى نظمه ، وفصاحته لذا يجب الجمع بين القيدين .

كما يرى الهروى أنّ الدليل على كون القرآن معجزاً أنّ الله تعالى تحدّى العرب على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم فى أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله مع أن فيهم الخطباء ، والشعراء، وكانوا أهل بلاغة، وبيان بل بلغوا إلى أقصى غايات هذا الفن يعرفون ضروب الكلام، وأساليبه ، وأجناسه ويتفاخرون بالبلاغة والفصاحة ولهم خبرة بطرق المعارضات ومزايا المخاطبات مع حميّتهم ، وأنفتهم ، وحرصهم الشديد على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وإبطال دعواه وبذلوا فى سبيل ذلك النفس، والنفيس، ومع كلّ هذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستمرّ فى دعوته لهم إلى الله تعالى ، وذمّ آلهتهم ، ومايعبدون من دون الله ، وسار على ذلك زمن لم يستطيعوا معارضته فيما تحدّاهم إليه من الاتيان بمثل القرآن ، أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله بل قابلوا ذلك بالعناد والعصيان والاستعداد للحرب ، والقتال ، فسلوكهم لهذا الطريق الصعب يدلّ على غاية عجزهم ، وضعفهم ، فإذا تعذرت المعارضة على مثل هؤلاء الذين كانوا بتلك المنزلة من البلاغة والبيان فتعذرها على غيرهم من باب أولى .

وكونهم لم يعارضوا القرآن أمر ضرورى لا جدال فيه لأنّهم لو عارضوه لاشتهر ذلك عنهم بالرواية ، وما أثر عن بعضهم من كلام قاله فى معارضة القرآن فإنّه قد وصل فى ركاكة المعنى وسخافة النظم يغنى عن بيانه أنّه لم يصلح للمعارضة والمحادثة .[1]

هذا مجمل ما أورده الشارح رحمه الله تعالى حول اعجاز القرآن والمذاهب فيه ، والرأى الذى اختاره ، وأيّده .

والذى ظهر لى أنّ النظام ليس أول من قال بالصرفة فقد سبقه إليه عيسى بن صبيح المزدار ناشر مذهب الاعتزال ببغداد، وقد تبع النظام فى مذهبه الجاحظ فى أحد قوليه، والشريف المرتضى ، والقاضى أبو اسحاق الاسفرائينى، وابن سنان الخفاجى، وابن حزم الظاهرى .[2]

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧

(٢) انظر حقائق وأباطيل ص ١٣٩ ، ١٤١

وماذهب إليه النظام هو أحد شطرين من رأيه ، أمّا الشطر الآخر فهو الإعجاز إنّما كان من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية . (١)

واستكمالاً لما ردّ به الشارح رحمه الله تعالى على النظام في قوله بالصرفة اكتفى بما قاله الرافعي في ردّه عليه حيث قال :-

((..... حتى جاء رأيه أي النظام الذي علمت في مذهب الصرفة دون قدره بل دون علمه بل دون لسانه ، وهو عندنا رأي لو قال به صبية المكاتب وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه لكان ذلك مذهباً من تخاليطهم في بعض مايحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليوهموا أنّهم قد عرفوا ..)) (٢)

أمّا فيما يتعلق بالرأي الذي سار عليه أبو الحسن الهروي وتبعه الشارح من أن وجه اعجاز القرآن يعود لفصاحته مع أسلوبه ، وهيئة نظمه مجتمعاً وأنّه يمكن الاتيان بمثل أسلوب القرآن دون الفصاحة ولو في الطبقة الدنيا أحسب أن هذا غير وجيه ، ويظهر لي أن أسلوب القرآن في مباينته لما تعارفه العرب من ضروب القول وأجناس الكلام يعدّ وجهاً من وجوه اعجاز القرآن وهو الذي ذكره الباقلاني حيث قال :-

((ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك - أي في وجوه اعجاز القرآن - ثلاثة أوجه من الاعجاز أحدها يتضمن الإخبار عن الغيوب .....

والوجه الثاني أنّه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان أمّياً لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ .

..... والوجه الثالث أنّه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه ، والذي أطلقه هو على هذه الجملة فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه منها مايرجع إلى الجملة ، وذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه ، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختصّ به ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد .....

فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم ، وأساليب خطابهم ، أنّه خارج عن العادة ، وأنّه معجز ، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتميز خاصل في جمعه)) . (٣)

فأسلوب القرآن معجز أيضاً لأنّه جاء بخلاف ما اعتاد عليه العرب من فنون القول ، وأجناس الكلام. كما أنّه معجز في نظمه ، وبلاغته .

---

(١) انظر اعجاز القرآن للرافعي ص ١٤١

(٢) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٤١

(٣) اعجاز القرآن للرافعي ص ٣٣ - ٣٥ .

وقد كانت للشارح رحمه الله تعالى بعض الوقفات مع شيخه في بيان مراتب البلاغة أوردها على سبيل الشرح ، والتوضيح فقد ذكر الطيبي أنّ أدنى مراتب البلاغة ماشبّه بنعيق الحيوانات ، وقد بين الشارح هذا بأنّ الكلام الذى يصل إلى هذه الدرجة الدنيا من البلاغة يطلق عليه فى علم النحو أصل المعنى أمّا الكلام الذى يبحث فيه صاحب المعانى يرتفع عن تلك المرحلة الدنيا فإنّه لمّا كان الناس فى حاجة للتعبير عن أغراضهم إلى الكلام كانوا فيه على طبقتين طبقة لا تحتاج إلى أكثر من الدلالات الوضعيّة سواء كانت عربية أو غير عربية بليغة أو غير بليغة ، وطبقة تحتاج إلى أكثر من هذا ، ومثار الخطأ والتفاوت فى أهل هذه الطبقة فإنّ البليغ لكى يوفى خواص التراكيب يحتاج إلى علم المعانى ، وإذا كان المقام يقتضى المبالغة يحتاج إلى علم البيان ، وعلى هذا القول فى البديع ، فالبليغ يحتاج إلى هذه العلوم ليحترز بها عن الخطأ فيها . (١)

من وقفات الشارح ماذكره فى تفاوت مراتب البلاغة أنّ توفيه الخواص ، وإيراد التراكيب فى طرق مختلفة ورعاية محاسنها هذه بحسب طاقة البليغ ، لذا تفاوتت مراتب البلغاء ، ولا يقال إنّ المتكلم إذا كان عنده ملكة التوفية ، والإيراد ، والرعاية لا يتصوّر أن يكون من هو أبلغ منه لأنّه ليس هناك مرتبة فوق التوفية . (٢)

هذه بعض نظرات الشارح حول إعجاز القرآن ومراتب البلاغة ويبدو جهد الشارح واضحاً فيها . .

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٢

(٢) انظر الحدائق ص ٨٢

((الباب الثالث علـــــم المعانـــــى))

مفهومـــــه :-

علم المعاني أحد العلوم الثلاثة التى يقوم عليها فن البلاغة ، وقد عرّفه الطيبى بقوله :- ((هو تتبع خواص التراكيب فى الإفادة تفادياً عن الخطأ فى التطبيق)) [1] ، والمقصود بالتراكيب الصادرة عـــن البليغ ، وبالخواص مايسبق منه إلى الفهم كنفى الشك أو رد الإنكار أو مجرد الاخبار وغيرها ، والفهم فهـــم البليغ أما إذا لم يكن بليغا فلا اعتداد به كما سئل على رضى الله عنه من المتوفى ؟ ، بالكســـــر فأجاب : الله تعالى لأنّ السائل لم يكن بليغاً ، والمراد بالتطبيـــق إيراد الكلام وفق مايقتضيـــه المقام والخاصية جارية مجرى اللازم إما بالنظر إلى البليغ ، أو بالنظر إلى نفس التركيب والبحـــث فى التراكيب من حيث خواصها أى عوارضها الذاتيّة [2] ، هذا مجمل شروح الطيبى على تعريفـــه لعلم المعانى ، وقد ظهر لى أنّ الطيبى فى تعريفه ، وتوضيحاته قد تأثر تأثراً كبيراً بالسكاكي فـــى المفتاح فقد قال :- ((إعلم أنّ علم المعانى هو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة ، ومايتّصـــل بهـــا من الاستحسان ، وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على مايقتضـــى الحـــال ذكره ، وأعنى بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ، ومعرفة ، وهى تراكيب البلغـــاء لا الصادرة عمّن سواهم لنزولها فى صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحســـب مايتفق ، وأعنى بخاصية التركيب مايسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جارياً مجـــرى اللازم له لكونه صادراً عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو أو لازماً له لما هو هـــو حينـــئذ ، وأعني بالفهم فهم ذى الفطرة السليمة مثل مايسبق إلى فهمك من تركيب إنّ زيداً منطلق إذا سمعتـــه عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به نفى الشك أو رد الإنكار ، أو من تركيب زيد منطلـــق من أنّه يلزم مجرد القصد إلى الاخبار ، أو من نحو منطلق بترك المسند إليه من أنه يلزم أن يكـــون المطلوب به وجه الاختصار مع افادة لطيفة مما يلوح بها مقامها ، وكذا إذا لفظ بالمسند إليه ، وهكـــذا إذا عرف أو نكر أو قيّد أو أطلق أو قدّم أو أخر)) . [3]

هذا نصّ السكاكى فى تعريف علم المعانى والنظرات حوله ونجد التأثر به واضحاً حتى فى كثيـــر من عباراته .....

أما الخطيب فيختلف فى تعريفه لعلم المعاني عن تعريف السكاكى والطيبى ، فقد قال الخطيـــب

---

(١) الحدائق ص ٨٤ ، ٨٧

(٢) انظر الحدائق ص ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨

(٣) المفتاح ص ٧٠

في تعريفه :-

((هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال)) لكن هذا الاختلاف ليس اختلافاً جوهرياً وإنما هو اختلاف لفظي كما يبدو لي، والدليل أنّ الخطيب لم يعترض على السكاكي في كلامه السابق إلا في موضعين الأول أنّه أي السكاكي ذكر في تعريفه لفظ التتبع والتتبع ليس بعلم ، ولا صادق عليه ، فلا يصحّ تعريف العلوم به الموضع الثاني أنه أي السكاكي بيّن التراكيب بأنّها تراكيب البلغاء، وهذا يلزم عليه الدور وأيضاً في كلمة الاستحسان، وغيره كلمة غير فيهما ابهام .(١)

فهذه اعتراضات لفظيّة ، ولا تمسّ جوهر التعريف، ومعناه، فإنّ كليهما أي السكاكي والخطيب أوردا خواص التركيب ، أو أحوال اللفظ العربي، وهي المباحث التي يدور عليها علم المعاني فيه على أنّ تعريف الخطيب تميّز بالايجاز والدقّة ، وقد أجاب الشارح رحمه الله تعالى عن اعتراضات الخطيب السابقة على السكاكي، وسأشير إليها فيما بعد .

أما مايتعلّق بنظرات الشارح رحمه الله تعالى حول تعريف شيخه لعلم المعاني وتوضيحاته له فإنّه يرى أنّ إيراد لفظ التتبع في تعريف شيخه لعلم المعاني أولى من لفظ المعرفة ، لأنّ لفظ التتبع جاء مجازاً عن المعرفة لأنّ المجاز دعوى الشيء ببيّنه ، وأيضاً لا يرتكب المجاز في التعريفات التي هي الحدود التامّة ، وعلم المعاني مسائله منتشرة لا تكاد تنحصر كذلك المقامات التي يقتضيها خاصية التركيب فإنّها غير منحصرة أيضاً ، أما علم البيان فإنّه مبني على الدلالات العقلية وهي مع عسرها منضبطة ، لذا استعمل في تعريفه لفظ المعرفة بالإضافة إلى أنّ منع المجاز في التعريفات إذا أخلّ بالفهم أما إذا وجدت قرينة تبعد بالاخلال فلا يمنع .

وأيضاً لا يسمّى علم المعاني المعرفة الحاصلة من غير التتبع كما يسلكه العرب الخلص، أو من قرأ بعض مسائل هذا الفن ولم يتمرّس فيه فإنّه لا يسمى بصاحب علم المعاني .

كما نصّ السكاكي من أن هذا الفن لا يسهل ، ولا يتيسّر لمن قرأ صوراً منه بل عليه الممارسات الطويلة ، والمراجعات الكثيرة مع فضل إلهي، وذوق سليم .(٢)

كأن الشارح قصد بهذا البيان الرد على اعتراض الخطيب على السكاكي في أنّه أورد لفظ التتبع في التعريف ، وقد سبق ذكره والذي يظهر لي أنّه لا يسلم للشارح اعتباره أن مسائل علم المعاني

---

(١) انظر الايضاح ص ١٢

(٢) انظر الحدائق ص ٨٤

غير منضبطة فإنّ المشهور عند البلاغيين أنّ تعريف علم المعاني من الحدود التامة ، فقد ضبطت في أصولها ، وأسسها الثمانية المعروفة لكن قد يأتي البليغ ببعض أغراض فرعيّة جديدة لبعض مسائله إلا أنّ قواعد العلم ، وأسسه قد انحصرت وضبطت .

كما ذكر الشارح أنّ المقصود من الإفادة في التعريف إمّا فائدة الخبر ، وهو افادتك المخاطب الخالي الذهن بفائدة الخبر كقولك مثلاً زيد منطلق وإمّا لازم فائدة الخبر وهو إفادتك المخاطب العارف بالخبر أنك عالم به كقولك زيد منطلق للعارف بانطلاقه ، ولكنك أردت اعلامه معرفتك بالخبر أيضاً .[1]

كما ذكر أنّ الذي يسبق إلى فهم البليغ من الخواص عند سماع التركيب الخاصّيّة التي يقتضيها الحال ، أو المقام فإذا قلت إنّ زيداً قائم أول مايسبق إلى فهم البليغ من الخواص نفي الشك ، أو ردّ الإنكار ، فإذا علم أنّ المخاطب ليس شاكّاً ، ولا منكراً توجه إهتمامه إلى خاصّيّة أخرى مثل كمال العناية بشأن النسبة أو غيرها على حسب مايقتضيه المقام ، فالخاصّيّة أو الخواص التي تسبق إلى فهم البليغ بحسب المقام لا يتخلّف منها شيء ، والمقصود بالخواص التي ينفرد بها البليغ مثل افادة الثبوت والدوام ، والاختصاص ، وغيرها هي الخاصية أمّا مايشترك فيه البليغ ، وغيره مثل كون الجملة اسميه ، والخبر مقدم نكره ، والمبتدأ مؤخر معرفة ، وغيرها فلاتعدّ خاصية بلاغية للتركيب تهمّ البليغ .[2]

كما ذكر الشارح أنّ أغراض الخبر بحسب ذاته تنحصر في قسمين فائدة الخبر ، ولازم فائدته لكن قد يخرج إلى أغراض أخرى على حسب مايقتضيه المقام ، وقرائن الأحوال من ذلك اظهار التضوع كما في قوله تعالى ((ربنا إننا آمنا فاغفر لنا))[3] وإبداء التحسر كما في قوله تعالى ((ربي إنّي وضعتها أنثى))[4] أو التنبيه على الإمتنان كما في قوله تعالى ((إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم))[5] .

هذه بعض الأغراض التي يخرج اليها الخبر .[6]

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٤ ، ٨٦

(٢) انظر الحدائق ص ٨٩

(٣) من الآية ١٦ من سورة آل عمران

(٤) من الآية ٣٦ من سورة آل عمران

(٥) من الآية ١٤ من سورة الأنفال

(٦) انظر الحدائق ص ٩٠

كما ذكر الشارح خواص أخرى للتركيب على سبيل التمثيل من غير ما ذكره أستاذه من ذلك ارادة مزيد التقرير نحو قوله تعالى ((وراودته التى هو فى بيتها)) [١] أو التشويق نحو ((والذى حارت البريـــة فيه))، أو التعظيم نحو ((ذلك الكتاب)) [٢] أو التجاهل نحو قوله تعالى ((هل ندلكم على رجـل)) [٣] وغيرها من خواص التركيب . [٤]

وقد وضح الشارح كيف تكون خواص التراكيب لازمة له ، إما بالنظر إلى البليغ ، أو بالنظـــر إلى نفس التركيب ، فذكر أن خواص التراكيب لازمة لها لاتنفك عنها البتة لكن إذا لم يسبق إلى بعـــض الأفهام فذلك إما من قصور فهم القائل ، أو السامع فمثلاً قولك إن زيداً قائم أول مايسبق من خاصية هذا التركيب نفى الشك ، أورد الإنكار لكن يتصور لهذا التركيب مقاماً يقتضى ايراده على هذا الوجـه فان لم يظهر حال قائله للســامع توقف ، ولم يحكم بشىء وإذا تبين للسامع حال قائله فإذا لـــم يكن بليغاً لم يعتد به ، وإذا كان بليغاً يحاسب ، وينظر هل أورد التركيب مطابقاً للمقام الـــذى يقتضيه فإن فعل ذلك استحسن منه ، وإن لم يفعل خطىء أن الخواص لازمة للتراكيب لما توقف ، أو خطىء ، أو صوب القائل فصاحب المعانى مقلد بخلاف البليغ فإنه ليس بمقلد لهذا أوثر لفـــظ التتبع فى تعريف علم المعاني . [٥]

هذه بعض نظرات وشروح الشيخ على بن عيسى حول تعريف شيخه الطيبى رحمهما الله تعالـــى لعلم المعانى، وتعد جهودا طيبة منه فإنه لم يكتف بالشرح والتوضيح وانما أورد فوائـــد جيـــدة من خلال شرحه .

مسائل فى الخبر :-

ذكر الطيبى رحمه الله تعالى أن التراكيب خبرية وطلبية [٦] ، أما الشارح فإنه ذكر أن الـــذى اقتضى بموجبه التعرض للخبر، والطلب أن علم المعانى يقوم على معرفة خواص التراكيب ، ولا يمكن معرفـة خاصية الشىء قبل معرفة الشىء نفسه ، ووجه حصر التراكيب في الخبر والطلب أنها إذا كانت تحتمل الصدق والكـذب فهو الخبر ، وإن لم تحتمل ذلك فهو الإنشاء أو يقال فى وجه الحصر إن حكم فيها بنسبة لها خـــارج تطابق تلك النسبة أو لا تطابقه فهو الخبر ، وإن حكم فيه بنسبة لا خارج لها فهو الانشاء ووجـــه تقديم مبحث الخبر على الانشاء أن الخبر يصور بصور كثيرة تظهر فيه الدقائق العجيبة أما الإنشـــاء

(١) من الآية ٢٣ من سورة يوسف .
(٢) من الآية ٢ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ٧ من سورة سبأ
(٤) انظر الحدائق ص ٩٠
(٥) انظر الحدائق ص ٩٦ ، ٩٧
(٦) انظر الحدائق ص ١٠٠

فإنّه وإن كان يشاركه في كثير من تلك لكنه ليس كالخبر في جميعها أيضاً حصول المطالب التصديقيّة تتوقف على الحجج والبراهين المتألفة من الخبر دون مجرد الإنشاء فإنّ الخبر يعدّ أصلاً فيها بالإضافة إلى أنّ الحاجة للخبر أكثر في وضع الألفاظ لتفهيم المعاني المفتقرة إليها [١].

ذكر الطيبي أن الخبر الصادق ماطابق الواقع والكاذب ماخالفه ولا معول القول من قال إنّ صدق الخبر مطابقته للإعتقاد معتمداً في ذلك على أن من قال قولاً كاذباً ، فاعتذر بأن هذا مايعتقده يعذره الناس يردّ هذا أن اليهودي يكذب في قوله الاسلام باطل ويصدق في قوله الاسلام حق وفي احتجاجه بقوله تعالى ((قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون)) [٢].

فالله كذّب المنافقين في قولهم لأنّه مخالف لاعتقادهم مع أنّه مطابق للواقع ، أجيب عن هذه الحجّة بأن التكذيب موجه إلى ادعائهم الشهادة وهي لاتكون إلّا عن صميم قلب وهم لم يكونوا كذلك فكلامهم لا يتطابق مع واقع حالهم في ادعائهم الشهادة . [٣]

هذا مجمل ماذكره الطيبي ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر أنّ الجمهور يرون انحصار الخبر في الصدق والكذب ، فما طابق الواقع فالخبر صادق ،وما خالفه فالخبر كاذب ،وقد خالف الجاحظ الجمهور في هذا فإنّه يرى أن الخبر لا ينحصر فيهما بل الخبر صادق ، وكاذب ، ومالين بصادق ، ولا كاذب ، فالخبر الصادق ماطابق الواقع والاعتقاد ، والخبر الكاذب ماخالفهما وماسوى ذلك ليس بصادق ولا كاذب ، وحجّته قوله تعالى ((أفترى على الله كذباً أم به جنّة)) [٤] فإنّ المشركين حصروا دعوى النبي صلى اللهعليه وسلم الرسالة في الافتراء ، وهو ليس بصدق لأنه لا يطابق اعتقادهم ، وفي الاخبار حال الجنون ، وهو ليس بكذب لأنه جاء في مقابلته ، وقد ردّ الجمهور عليه بأنّ الكذب على نوعين كذب عن عمد وهو الافتراء ، وكذب عن غير عمد وهو الإخبار حال الجنون وهو جواب حسن لطيف ، لكن احتجاج الجاحظ بالآية مدخول عليه من وجهين :-

الوجه الأول : أن الآية واردة في الحشر والنشر لا في دعوى الرسالة بدليل الآية التي قبلها ((هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كلّ ممزق إنكم لفي خلق جديد)) [٥] ، وبدليل بقية الآية المستشهد بها ((بل الذين لا يؤمنون بالآخرة)) . [٦]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٠
(٢) من الآية ١ من سورة المنافقون
(٣) انظر الحدائق ص ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٣
(٤) من الآية ٨ من سورة سبأ .
(٥) من الآية ٧ من سورة سبأ .
(٦) من الآية ٨ من سورة سبأ .

الوجه الثاني : أنّ أم في الآية التي احتج بها الجاحظ منقطعة لفظاً ، لاختلاف مدخولي الهمزة وأم ، ومعنى فانّ الكفّار لمّا خرجوا قولهم ((هل ندلكم على رجل ينبئكم)) مخرج الظن والسخرية متجاهلين برسول الله صلى الله عليه وسلم في اثباته الحشر والنشر عقبوا ذلك برميه صلى الله عليه وسلم بالافتراء ، والكذب على الله حين قالوا ((افترى على الله كذباً)) ثم أضربوا عن ذلك إلى ماهو أشدّ ، فذكروا أنّ كلامه في الحشر والنشر ضرب من الجنون ، ثمّ جاء اضراب الله تعالى عن قولهم ، وأنّهم في العذاب والضلال البعيد ، فهؤلاء الكافرون القائلون بذلك القول أشدّ جنوناً إذ ينكرون حكمة الله في وعده ووعيده فقوله ((في العذاب والضلال البعيد)) سبّب عن الجنون الذي بهم فهو من وضع المسبب موضع السبب .(١)

هذا مجمل ماردّ به الشارح على الجاحظ .

وقد تبيّن لي أنّ الجواب الحسن اللطيف الذي أورده الشارح في ردّه على الجاحظ في احتجاجه بالآية ، والمتمثل في أنّ الكذب نوعان : كذب عن عمد وكذب عن غير عمد ، نقله عن الخطيب بتصرّف ، فقد قال الخطيب :- ((وأجيب عنه بأنّ الافتراء هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذبا أيضاً لجواز أن يكون نوعاً آخر من الكذب وهو الكذب لا عن عمد فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقاً والمعنى أفترى أم لم يفتر ، وعبّر عن الثاني بقوله أم به جنة لأنّ المجنون لا افتراء له))(٢) ، لكن الشارح رحمه الله مع تحسينه لهذا الجواب لم يكتف به بل ردّ على الجاحظ من وجهين آخرين ، وهذا جهد جيّد من الشارح ، كما وافق الشارح شيخه رحمهما الله تعالى في ردّه على النظام من أنّ صدق الخبر مطابقته للاعتقاد وكذبه مخالفته له ، وفي احتجاجه بقوله تعالى ((قالوا نشهد انك لرسول الله))(٣) فذكر أن الله كذبهم في دعواهم مواطأة قلوبهم ألسنتهم ، وهذا مخالف للواقع .(٤)

وقد تبين لي أنّ الشارح رحمه الله تعالى وإن وافق الجمهور حول مفهوم الصدق والكذب في الخبر لكنّه يرى أنّ الأظهر التفصيل كما ذهب إليه بعض المحدثين ، فإنّ الخبر إذا كان ضروري الوجود ، أو ضروري الامتناع لا يرد عليه احتمال الصدق والكذب ، أمّا إذا كان الخبر ممكن الوجود ، أو الامتناع فيرد احتمال الصدق والكذب ، فإذا لم يعلم صدق المخبر من كذبه يقينا لكن صدقه أكثر من كذبه ، فيرجح جانب الصدق في الخبر على الكذب أو لم يعلم صدق المخبر من كذبه يقيناً لكن كثر كذبه على صدقه فحينئذ يرجح جانب الكذب في الخبر على الصدق .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٦ - ١٠٩

(٢) الايضاح ص ١٥

(٣) من الآية ١ من سورة المنافقون .

(٤) انظر الحدائق ص ١٠٩ - ١١٣

أما إذا لم يكثر في المخبر صدقه أو كذبه يتساوى في خبره احتمال الصدق والكذب على التساوي .(١)

والذي يظهر لي أن ماذكره الشارح يمكن اعتباره توضيحا وشرحا لمذهب الجمهور ، وليس رأياً مخالفاً لهم ، وهو تفصيل جيد من الشارح رحمه الله لم أعثر عليه عند السكاكي أو الخطيب أو السعد، أو البهاء السبكي .

هذه بعض نظرات الشارح رحمه الله تعالى في مسائل الخبر ، فهو لم يخالف شيخه لكنه قد وفق في شروحه، وتفصيلاته لكلام شيخه فرحمهما الله تعالى على جهودهما .

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٤

الفصل الأول : الإسناد الخبرى بين الحقيقة والمجاز :-

يرى الشارح رحمه الله تعالى أنّه لمّا كان القصد من الألفاظ هى افادة المخاطب فائدةً يعتدّ بها ، وهو الغرض من الكلام ، وذلك لا يتمّ إلّا عن طريق التراكيب ، وقدم مبحث الإسناد على المسند والمسند إليه على أنه نقل قول الترمذى الذى يرى أنّ الخبر لمّا كان مرجعه الحكم بمفهوم لمفهوم أى أنه يقوم على أمور ثلاثة الحكم ، والمسند إليه ، والمسند به وجب الحديث عن كلّ واحد منها .

ونقل قول شارح التلخيص فى وجه تقديم مبحث الإسناد على المسند والمسند إليه أن الشىء لا يصير مسنداً ومسنداً إليه إلّا بعد تحقق الإسناد فلمّا تقدم طبعاً قدّم وضعاً .[1]

وقد تبين لى أنّ السعد من شراح التلخيص له كلام فى هذا المعنى فقد قال :- ((ثمّ قدم بحث أحوال الإسناد على أحوال المسند إليه والمسند مع أنّ النسبة متأخرة عن الطرفين لأنّ علم المعانى إنّما يبحث عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسنداً إليه ومسنداً ، وهذا الوصف إنّما يتحقق بعد تحقق الإسناد لأنّه مالم يسند أحد الطرفين إلى الآخر لم يصر أحدهما مسنداً إليه والآخر مسنداً ، والمتقدم على النسبة إنّما هو ذات الطرفين ولا بحث لنا عنها)) .[2]

والذى يظهر لى أنّه لا تعارض بين تلك العلل فى وجه تقديم مبحث الإسناد على المسند والمسند إليه ، وإنّما تتكامل مع بعضها على أنّ هذا الموضوع ليس على جانب كبير من الأهمية .

ذكر الشارح أنّ الإسناد كما ينظر إليه من جهة المخاطب فيقسّم إلى ابتدائي، وطلبي، وانكارى ينظر إليه من جهة المتكلم، ومن جهة غيرهما والنظر إليه من غير جهة المخاطب والمتكلم التعريض، وأمّا النظر إلى الاسناد من جهة المتكلم ، فإنّه قد يؤكد الكلام ابتداء إمّا للدلالة على كمال العناية ، والكرامة كقوله تعالى ((يس والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين))[3] ، أو لاظهار كمال الغضب والسخط كقوله تعالى ((ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق))[4] ، هذا إذا كان المتكلم الله سبحانه وتعالى ، أمّا إذا كان العبد فمن الأغراض التي تعود إليه إظهار التضرع والإبتهال كقوله تعالى ((ربنا إننا آمنا فاغفر لنا))[5] ، أو اظهار نهاية الوجل والخوف كقوله تعالى ((ربنا إنّك من تدخل النار فقد أخزيته))[6] ، هذا إذا كان خطاب العبد مع الله تعالى .

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٥ .
(٢) المطول ص ٤٣
(٣) الآيات ١ - ٣ من سورة يسن
(٤) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
(٥) من الآية ١٦ من سورة آل عمران
(٦) من الآية ١٩٢ من سورة آل عمران .

أمّا إذا كان مع الغير فمن أغراضه إمّا إبداء وفور النشاط كقول المنافقين لشياطينهم ((إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون)) [١] أو للإشعار بكمال الخوف والوجل كما في قول ابراهيم عليه السلام لضيفانه : ((إنّكم قوم منكرون)) [٢] أو الاشعار بكمال الحذر والتوقي كما في قوله أيضاً ((إنّا منكم وجلون)) [٣] وفي الأمثلة السابقة غنية وكفاية فتأمّل فيها . [٤]

ويظهر لي أنّ الشارح قد أحسن فيما أورده من تلك الأغراض التي تعود إلى المتكلم مع شواهدها على أنّ بعض علماء البلاغة يلحق مثل تلك الشواهد بالأغراض الفرعيّة التي يخرج إليها الخبر لأنّ الغرض الحقيقي للخبر فائدة الخبر أو لازم فائدته من أولئك البلغاء سعد الدين التفتازاني . [٥]

كما ذكر الطيبي أنّ الإسناد بالنظر إلى المخاطب على ثلاثة أضرب :- الأول الإبتدائي هو ما خوطب به خالي الذهن فلا يؤكد بنحو إنّ واللام ، الثاني الطلبي وهو ما نفى به شك العالم بالطرفين فيؤكد ، وقد ينزل غير الطالب منزلته إذا قدّم له ما يتنبّه به ومن شواهده قوله تعالى ((ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرقون)) الثالث الانكاري ، وهو ما ورد به حكم المخالف فيؤكد للمخاطب فيه على قدر انكاره ، وقد ينزل غير المنكر منزلته إذا فعل ما يلابس الإنكار كقول الشاعر :-

جاء شقيق عارضاً رمحه ... إنّ بني عمك فيهم رماح

وقد ينزّل المنكر منزلة خالي الذهن بحيث إذا تأمّل ارتدع كقوله تعالى ((لا ريب فيه)) وكم من مرتاب . [٦]

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ وجه انحصار الاسناد بالنظر إلى المخاطب في الثلاثة أضرب أنّ المخاطب الذي يستفيد فائدة الخبر المتعيّن فيه أن لا يكون عالماً بنسبة المسند إلى المسند إليه وإلّا لم يحصل له فائدة فحينئذ إمّا أن يكون عنده الطرف المخالف للحكم ، فالخبر في هذه الحالة انكاري ، وإمّا أن يكون عنده طرفا الحكم لكنّه متردد فيه ، فهذا هو الطلبي أو لا يكون متردداً فيه فهذا هو الابتدائي [٧] ، هذا توجيه جيّد من الشارح رحمه الله تعالى فاني لم أعثر على مثل هذا التوجيه عند الخطيب [٨] والسعد [٩] عند حديثهما عن أضرب الخبر .

---

(١) من الآية ١٤ من سورة البقرة .
(٢) من الآية ٦٢ من سورة الحجر .
(٣) من الآية ٥٢ من سورة الحجر .
(٤) انظر الحدائق ص ١١٥ ، ١١٧
(٥) انظر المطول ص ٤٣
(٦) انظر الحدائق ص ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢
(٧) انظر الحدائق ص ١١٩ ، ١٢٠
(٨) انظر الايضاح ص ١٩
(٩) انظر المطول ص ٤٧

وفيما يتعلق بقوله تعالى ((ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرقون)) [1] شاهداً على تنزيل غير الطالب منزلته ، ذكر الشارح أن الذى يدلّ على أنّهم معذبون قوله ((الذين ظلموا)) والذى يشير على أن عذابهم سيكون بالاغراق عطف قوله ((ولا تخاطبني على قوله ((واصنع الفلك)) كأنّه قيل لم أمتثل الأمر فى قولك ((واصنع)) ولم أنتهى عن النهى فى قولك ((ولا تخاطبنى)) جاء الجواب ((إنّهم مغرقون)) والذى اقتضى تنزيل المخاطب فى الآية منزلة الطالب المتردد على الرغم من تأكيد الأمر في قوله ((واصنع)) بالنهى فى قوله ((ولا تخاطبنى)) فهذا دالّ على أن لا يشفّع فى اغراقهم ، وأيضاً التعليل بوضع المظهر موضع المضمر فى قوله ((الذين ظلموا)) فهذا كله يقتضى من المخاطب أن لا يكون شاكا فى اغراقهم لكن نزل المخاطب منزلة السائل لأنّه قد يحمل الكلام على مجرد التهديد فحينئذ يكون شاكّاً على طريقة قوله تعالى ((إن تستغفر لهم سبعين مرة)) [2] ،قول الرسول صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين ، أمّا قوله تعالى يأيّها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم)) [3] الذى ذكره السكاكى [4] فإنّه جاء تأكيد زلزلة الساعة ولم يسبق عليه دليل لكن سبقته إشارات منها استخدام يا التي لنداء البعيد لكنّها استعملت للقريب لتدلّ على أنّ مايليها أمر له شأن وعناية خاصّة ، ولا سيما اقترانها بأى وهاء التنبيه، وبيانها بلفظة ((الناس)) واللام فيها للاستغراق .

وأيضاً ورود كلمة ((ربكم)) مما يوذن بأنّهم كفروا نعم الله مالكهم، ومربيهم فليحذروا بأسه ، ونقمته ، وأيضاً مجيء الساعة وأشراطها، فما أحسن تخصيص ذكر الساعة فى هذا المقام ، وهذا فى غاية اللطف [5] هذا بيان حسن من الشارح رحمه الله تعالى حول قوله تعالى ((إنهم مغرقون)) ونظيرتها قوله تعالى ((إن زلزلة الساعة شيء عظيم)) فقد ذكر السعد الآيتين ضمن شواهده على تنزيل غير السائل منزلة السائل، وعلّق على الآية الأولى لكنّه سكت عن التعليق على الآية الثانية فقد قال :-((. . . . . نحو ((ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا)) أى لا تدعنى يانوح فى شأن قومك ، واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك فهذا كلام يلوّح بالخبر مع ماسبق من قوله تعالى ((واصنع الفلك بأعيننا)) فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب فى أنّهم هل صاروا محكوماً عليهم بالإغراق أم لا، ويطلبه فنزّل منزلة الطالب وقيل ((إنّهم مغرقون)) مؤكداً أى محكوماً عليهم بالإغراق ، والمراد أن الكلام المقدّم يشير اشارة ما إلى جنس الخبر حتى إنّ النفس اليقظى ، والفهم المتسارع يكاد يتردّد فيه ، ويطلبه لا أنه يشير إلى حقيقة الخبر ، وخصوصيّته ومثله . . . . . ((يأيّها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم)) ، وغير ذلك مما يأتى بعد الأوامر والنواهى ، وهو كثير فى التنزيل جدّاً)) [6] وهكذا يتبين

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة هود .
(٢) من الآية ٨٠ من سورة هود .
(٣) الآية ١ من سورة الحج
(٤) انظر المفتاح ص ٧٥
(٥) انوار الحدائق ص ١٢٨ ، ١٣٠
(٦) المطول ص ٤٩ ، ٥٠

لنا مدى ونوع توجيه الشارح للآية الأولى بخلاف توجيه السعد فإنّ فيه اجمالاً ، وأيضاً ما تميّز من توجيه للآية الثانية التي سكت السعد عن التعليق عليها ، وهذه الشروح والنظرات تبرز جهد الشارح بروزاً بيّناً .

المجاز العقلي :-

اعتبر الشارح المجاز العقلي النوع الثاني من تقسيم المجاز فألحقه بعلم البيان تبعاً لشيخه الطيبي ، وردّ على الخطيب الذي ألحق المجاز العقلي بباب الإسناد على اعتبار أنّها تتعلق بمطلق الاسناد فيلزمه على ذلك الحاقه المجاز في المفردات كالاستعارة والمجاز المرسل بباب المسند إليه والمسند لتعلقهما بهما لكونهما مفردين فإن اعتذر عن ذلك بأنّه يلزم منه خلط علم البيان بالمعاني فسيلزمه هذا في الحاقه المجاز العقلي بعلم المعاني .(١)

ولكني سرت مع الخطيب وكثير من البلاغيين من أنّ المجاز العقلي مرتبط بالاسناد ، والإسناد من مباحث علم المعاني، ويمكن الردّ على الشارح بأنّ المعروف عند البلاغيين دراسة المفردات المجازية كالمجاز المرسل والاستعارة ضمن مباحث علم البيان، ولم يرد عنهم دراستها ضمن مبحث المسند أو المسند إليه وقد نصّ الخطيب على اختياره في نهاية كلامه عن المجاز العقلي حيث قال :-((تنبيه إنّما لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي، ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان))(٢) وهذا ما سار عليه كثير من المصنفين لهذا قدمت الكلام عن المجاز العقلي في هذا الموضع تبعاً لهم . هذا وقد عرف الطيبي المجاز العقلي، وشرح التعريف من خلال الشواهد فقال :- ((المجاز العقلي وهو الكلام المحكوم فيه بخلاف ماعند المتكلم بالتأول كقول الموحد أنبت الربيع البقل لما أنه رأى دوران الانبات مع الربيع وجوداً ، وعدماً دوران الفعل مع اختيار القادر حكم أنه من الربيع مبالغة .....

ولابدّ لهذا المجاز من نوع تعلق وشبه للمسند إليه المذكور بالمتروك، كما مرّ آنفاً فقولنا ماعند المتكلم احتراز من أن يتفوّه الدهري المخذول بأنبت الربيع البقل لأنّه لم يقصد خلاف ماعنده .....

وقولنا بالتأول احتراز عن الكذب وإنّما سمّي هذا النوع مجازاً لتعدّي الحكم فيه عن مكانه الأصلي فالحكم في أنبت الربيع البقل مكانه الأصلي أنبت الله البقل وقت الربيع .....

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٥

(٢) الإيضاح ص ٣١

وسمّى عقليّاً لرجوعه إلى العقل دون الوضع أى الواضع ما قيّد الفعل بأن يستعمل فى القادر المختار حتّى إذا استعمل فى غيره كان مجازاً بل أطلق .....)) .(١)

وقد تأثر الطيبى فيما ذكره بالسكاكى تأثراً كبيراً ، فقد قال السكاكى فى تعريفه للمجاز العقلى ((هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل افادة للخلاف لا بوساطة))(٢) .

لكن الطيبى تجنّب قوله ((افادة للخلاف لا بوساطة)) فلم يدخله فى التعريف حتى لا يرد عليه اعتراض الخطيب الذى قال :-

((فقوله افادةً للخلاف لا بوساطة لا حاجة إليه وان ذكر فينبغي أن لا يذكر إلّا بعد ذكر الحد))(٣) .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ التأويل فى قولك أنبت الربيع البقل بدل قولك أنبت الله البقل وقت الربيع أنك جعلت الفرع كالأصل فى الاسناد ارادة للمبالغة تقول هذا وأنت موحّد ، كما ذكر الشارح أنّ الزمخشرى سمّى المجاز العقلى استعارة أيضاً والفرق بين الإستعارة فى المفرد والإستعارة هنا أنّ الإستعارة هناك واقعة فى الموضع اللغوى ، واللفظ مفرد بسبب علاقة التشبيه أمّا الإستعارة هنا فواقعة فى الإسناد ، والنسبة بسبب دليل عقلى أى تشبيه النسبة المجازية بالنسبة الحقيقية ، ففي قولنا مثلا أنبت الربيع البقل استعرنا اسناد الانبات من الفاعل الحقيقى وهو الله عز وجل للفاعل المجازى ، وهو الربيع بسبب دوران الإنبات معه .(٤)

والذى يظهر لى أنّ ما ذكره الشارح اشتمل على تجاوزات فى العبارات لا تتفق مع العقيدة الصحيحة كلفظة تشبيه الفاعل الحقيقى بالفاعل المجازى ، أو استعارة اسناد الانبات من الفاعل الحقيقى وهو الله عز وجل للفاعل المجازى وهو الربيع ، وذلك فى قولك أنبت الربيع البقل .

كما ذكر الطيبى للفعل ملابسات شتّى منها ملابسته للفاعل ، والمفعول ، والصدر ، والزمان ، والمكان ومن الشواهد على ملابسة الفعل للمصدر قول الحماسي :-

إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر (٥)

ولم يعلّق الطيبى على البيت بشرح أو بيان ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ المراد

---

(١) الحدائق ص ١٠٢٨ ، ١٠٣٠

(٢) المفتاح ص ١٦٦

(٣) الايضاح ص ٢٥

(٤) انظر الحدائق ص ١٠٢٨ ، ١٠٣٠

(٥) انظر الحدائق ص ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٦

إذا ترك الحيلة عند اشتداد الأمر به، وعظم الكرب عليه ضيّع أمره ، ولم يفلح ، ولكنّ العاقل الحازم إذا اشتدّ عليه الأمر ، وسدّ عليه باب طرق أبواباً أخرى ، وسلك طرقاً أخرى حتى تنقشع عنه الظلمة ، وتنفرج عنه الكربة مع نظره في عواقب أمره ، وتحريه للصالح من شأنه [1] هذا الشرح والبيان لمعنى البيت حسن من الشارح رحمه الله تعالى .

هذا وقد قسّم الطيبي المجاز العقلي باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام الأول أن يكون الطرفان حقيقتين وضعيّتين نحو أنبت الربيع البقل .

الثاني أن يكونا مجازيين وضعيّين نحو أحيا الأرض شباب الزمان .

الثالث أن يكون المحكوم فيه حقيقة وضعيّة، والمحكوم عليه مجازاً وضعيّاً نحو أنبت البقل شباب الزمان .

الرابع أن يكون المحكوم فيه مجازاً وضعيّاً والمحكوم عليه حقيقة وضعيّة نحو أحيا الأرض الربيع .[2]

وقد تأثّر الطيبي في هذا التقسيم بالسكاكي [3] ، كما تأثر به الخطيب [4] إلّا أنّ الخطيب لم يتقيد بالسكاكي في أمثلته بل أورد شواهد شعريّة ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن الذي اقتضى هذا التقسيم أن الإسناد يقتضي مسنداً ومسنداً إليه واحتمال كل منها للحقيقة والمجاز الوضعيّين .[5]

وقد أيّد الطيبي رأي السكاكي الذي سلك المجاز العقلي في سلك الإستعارة بالكناية تأييداً قويّاً ، واعتبر مذهبه هو الحق، والسكاكي في رأيه هذا قصد تقليل الأقسام ، والإعتبارات فيما يتعلق بالمجاز ، وقد عبّر السكاكي عن رأيه بعد انتهائه من الكلام من تعريف المجاز العقلي وملابساته ، وتقسيماته فقال :-

((هذا كلّه تقرير للكلام في هذا الفصل بحسب رأي الأصحاب في تقسيم المجاز إلى لغوي وعقلي ، وإلّا فالذي عندي هو نظام هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع

استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغة في التشبيه على ماعليه مبنى الاستعارة كما عرفت ، وجعل نسبة الانبات إليه قرينة للإستعارة، ويجعل الأمير المدبّر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للإستعارة، وإنني بناء على قولي هذا ههنا، وقولي ذلك في فصل الاستعارة التبعية وقولي في المجاز الراجع عند الأصحاب إلى حكم

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٣٦
(٢) انظر الحدائق ص ١٠٣٧
(٣) انظر المفتاح ص ١٦٧ ، ١٦٨
(٤) انظر الايضاح ص ٢٦ ، ٢٧
(٥) انظر الحدائق ص ١٠٣٧

للكلمة على ما سبق أجعل المجاز كلّه لغويّاً ، وينقسم عندى هكذا إلى مفيد وغير مفيد والمفيد إلى استعارة ، وغير استعارة ، والإستعارة إلى مصرّح بها ، ومكنّى عنها والمصرّح بها إلى تحقيقيّة ، وتخييلية والمكنى عنها إلى ماقرينتها أمر مقدّر وهى كالأنياب فى قولك أنياب المنية ، وكما قالت فى قولك نطقت الحال بكذا أو أمر محقق كالانبات فى قولك انبت الربيع البقل وكالهزم فى قولك هزم الأمير الجند والتحقيقيّة والتخييليّة كلتاهما إلى قطعيّة ، واحتماليّة للتحقيق ، والتخييل بتحصيل أقسام ثلاثة من ذلك تحقيقيّة بالقطع ، تخييلية بالقطع ، تحقيقيّة أو تخييليّة بالاحتمال)) [1] هذا نص عبارة السكاكى .

وقد اعترض الخطيب عليه لكن الطيبى دافع عن السكاكى ، وأجاب عن تلك الاعتراضات ، واعتبر مذهبه هو الحق .

اعترض الخطيب على السكاكى بناء على مذهبه أى السكاكى فى الاستعارة بالكناية فى قولهم وإذا المنية أنشبت أظفارها أنّ المنية غير الموت ويقصد به السبع المتخيل يلزمه على هذا أن لا تكون العيشة بمعناها المعروف ولكن يقصد بها صاحب العيشة وذلك فى قوله تعالى ((عيشة راضية)) مما يقتضى ادخال صاحب العيشة فى الانسان وهو المستعار منه وهذا لا يصحّ ، وأيضاً بناء على مذهبه السابق فى الاستعارة المكنية يلزمه فى قوله زيد نهاره صائم وليله قائم ، يلزمه فى نهاره وليله اضافة الشىء إلى نفسه . [2]

أجاب الطيبى عن هذا الاعتراض بأنه يجوز أن يستعار النهار والليل من الفاعل الحقيقى ، وهو كل من قام بهما أو زيد المتخيل فلا يلزم اضافة الشىء إلى نفسه ، والأوجه أن يقال إن النهار هو المستعار له ، وأورد الضمير لا يراد لفظ المستعار له وهو النهار المخصوص لا النهار مطلقاً ويظهر لى أن هذا الجواب فيه تكلف ، كما اعترض الخطيب على السكاكى أى جواز هذا التركيب أنبت الربيع البقل وسرتنى رؤيتك متوقفه على الاذن الشرعى لأنّ أسماء الله توقيفيّة . [3]

أجاب الطيبى عن هذا الاعتراض بأن أسماء الله الأمر فيها على التوقيف ، أمّا التركيب فى ذاته أنبت الربيع البقل لا يحتاج إلى اذن على أن المعتزلة لا ترى أن أسماء الله توقيفية . [4]

---

(١) المفتاح ص ١٦٩

(٢) انظر الايضاح ص ٣٠ ، ٣١

(٣) انظر الايضاح ص ٣١

(٤) انظر الحدائق ص ١٠٤١

كما اعترض الخطيب على السكاكى من أنّه يمتنع حمل نحو قولك فلان نهاره صائم على الاستعارة بالكناية لذكر الطرفين [١] ويوجب حمله على التشبيه أجاب الطيبى عن هذا الاعتراض بأن المشبّه هو النهار المخصوص لا النهار مطلقاً . [٢]

والذى يظهر لى أن التكلف في اجابات الطيبي ظاهر ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فقد كانت له بعض النظرات التى أوردها على سبيل الشرح والتوضيح لما ذكره أستاذه فقد ذكر الشارح رحمه الله تعالى أن أسماء الله وصفاته توقيفية أى متوقفة على السماع لا قياسيّة وهو مذهب الامام أبى الحسن الأشعرى ومن تابعه بخلاف المعتزلة والكرامية ، فإنّهم يرون أنهما قياسيّتان على اعتبار أنّ العقل إذا قرر اثبات معنى أى لفظ لله تعالى فيصح إطلاقه عليه ، أمّا اختيار الغزالى وبعض العلماء فيرون أنّ التوقيف فى الأسماء أمّا الصفات فلا .

والحقّ الذى سار عليه الشارح وأيّده بالكتاب والسنة أن كل ما أذن به الشارع فى أن يدعى به الله تعالى سواء كان مشتقّاً أو غير مشتق فهو اسم ، ويتوقف فيه على اذن الشارع ، وأيضاً كل ما اعتبر وصفاً سواء كان مأولاً أو لم يكن كذلك فيتوقف فيه على الاذن لقوله تعالى ((ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون)) . [٣]

فالتعريف فى الأسماء للعهد ولا بدّ من المعهود لأنّ الأمر جاء بها فى قوله ((فأدعوه بها)) فيلزم وجود المأمور ونهى عن الدعاء بغيرها واعتبره الحاداً وللحديث إنّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلّا واحداً فقوله ((مائة إلّا واحداً تأكيد ، وتقرير للسابق لئلا يزاد عليها .

ولاتفاق أئمة أهل السنة كالبغوى ، والقشيرى ، والزجاج والفخر الرازى كلّهم أتفق على أنه لا يجوز دعاء الله تعالى أو وصفه بشىء لم يثبت فى كتاب أو سنة أو اجماع .

أمّا قول الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابى الذى طلب منه أن يعالج مايظهره لأنه طبيب فقال له ، أنت رفيق والله طبيب فجاء على سبيل المشاكلة ، واطباقاً للجواب على السؤال . [٤]

---

(١) انظر الايضاح ص ٣١

(٢) انظر الحدائق ص ١٠٣٩

(٣) الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٤) انظر الحدائق ص ١٠٤١ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥

لقد وفق الشارح فيما ذكره تمام التوفيق من خلال ايراده للأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء من أهل السنة ، وهذا يؤكد ماذكرته سابقاً عند الكلام عن مذهبه العقدى أنّ مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة

الفصل الثاني : أحوال المسند إليه :-

تركـــه :-

يرى الشارح أنّ السبب في تقديم جانب السطى في هذه الأحوال على جانب الذكر مع أنّ الذكر هو الأصل يعود سبب ذلك أنّ فيه مخالفة للأصل، ويطلق عليه البلاغيون خلاف مقتضى الظاهر الذي يعدّ المجال الذي يتسابق فيه البلغاء، ويتبارى فيه الفصحاء ليعلم أيّهم أظهر على غيره [١] وهذا تعليل بلاغي بخلاف ماذكره السعد فإنه أورد سبباً منطقياً لتقديم الترك على الذكر حيث ذكر أنّ الترك عدم والذكر وجود، والعدم مقدّم على الوجود [٢]

ويظهر لي أن تعليل الشارح أقرب لروح البلاغة ويدعمه ماذكره الإمام عبد القاهر في اشادته بمبحث الحذف في الدراسة البلاغية حيث قال :- ((هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة ،وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق وأتمّ ماتكون بيانا إذا لم تبن)) . [٣]

وذكر الطيبي من أغراض ترك المسند إليه ضيق المقام، واستشهد له بقول الشاعر :-

قال لي كيف أنت قلت عليـــل سهر دائم وليـــل طويـــل [٤]

وقد برز جهد الشارح رحمه الله تعالى في بيان وجه الاستشهاد بالبيت، والحالة التي اقتضت الشاعر أن يوجز في الشطر الأول، ويطنب في الشطر الثاني ، فذكر أنّ الشاعر اكتفى بقوله ((عليل)) لما كان عليه من حالة الحزن ، والكآبة التي اقتضته ذلك لكنّه أحسّ أن مخاطبه وهو المحبوب في الظاهر سوف يسأله عن سبب علّته فأطنب لما أحسّه من ذلك السؤال ، ولأنّ المقام مقام مباثّة الشكوى ، وحديث مع المحبوب ، فأوجز في الشطر الأول بحذف المسند إليه لما أحسّ من الحزن، والكآبة والملل ، وأطنب في الشطر الثاني عندما شعر بسؤال المحبوب إذ يريد أن يعرف حاله مفصّلاً فأطنب [٥] هذا بيان، وتوضيح جيّد من الشارح للبيت، فقد استشهد بهذا البيت السكاكي [٦] والخطيب [٧] والبهاء السبكي [٨] والسعد [٩] ، وسواء اعتبروه شاهداً للاحتراز عن العبث ، أوله مع ضيق المقام إلا أنني لم أجد

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٤
(٢) انظر مختصر المعاني لسعد الدين ضمن شروح التلخيص : ١/ ٢٧٣
(٣) دلائل الاعجاز ص ١٤٦
(٤) انظر الحدائق ص ١٤٤
(٥) انظر الحدائق ص ١٤٤
(٦) انظر المفتاح ص ٧٦
(٧) انظر الإيضاح ص ٣٢
(٨) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/ ٢٧٢
(٩) انظر المطول : ص ٦٨

عندهم توضيحاً مثل توضيح الشارح ، أو مايقرب منه ، وهذا يبرز جهد الشارح كما ذكرت بروزاً واضحاً . كما ذكر الطيبي من أغراض ترك المسند إليه تكثير الفائدة واستشهد له بقوله تعالى ((فصبر جميل [1])) أى أمرى ، وقوله ((طاعة معروفة)) [2] أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة فعلاً أو أمركم طاعة معروفة قولاً بحسب تفسير المعروفة . [3]

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ الآية الأولى يمكن أن يقدّر فيها أيّاً من المبتدأ أو الخبر محذوفاً ، أمّا الآية الثانية فالمحذوف هُو المبتدأ لكن يحتمل أن يكون المبتدأ هذا أو ذاك .

وردّ أيضاً على الزمخشرى والسكاكى فى تقديرهما الخبر المحذوف فى الآية الثانية أجمل ، أو أمثل لأنّ هذا يقتضى أنّ إقسامهم جميل أو مماثل على اعتبار أن أفعل التفضيل تقتضى الإشتراك فى الصفة [4] وهذا الاعتراض يرد على الخطيب أيضاً لأنّه أجاز أن يقدّر المحذوف أمثل ، وأولى بكم . [5]

كما ردّ على من أجاز أن يكون التقدير فى الآية الأولى أمركم صبر جميل ردّ عليه بأن هذا لا يرضى به من له أدنى مسكة من عقل إذ كيف يعقل أن يضرب يعقوب عليه السلام عمّا زوره أبناؤه من القول وذلك فى قوله ((بل سولت لكم أنفسكم أمراً)) [6] ثمّ يقول لهم ارتكبتم أمراً عظيماً فشأنكم صبر جميل وأيضاً لا يتناسب مع قوله ((والله المستعان على ماتصفون)) [7] لأنّه طلب اعانة لنفسه من الله على ماوصفوه به . [8]

كما ردّ على من جعل تقديراً واحدا فأمرى صبر جميل فى الآية الأولى والتقديرات الثلاثة الأخرى وهى أمركم ، أو الذى يطلب منكم ، أو طاعتكم تعود للآية الثانية ، وذلك فى تقديرات صاحب المفتاح رد عليه بأنه يذهب ببهاء الكلام ، وطلاوته لأنه فى صدر بيان تكثير الفائدة فلا يكفيه تقدير واحد إذ يجعل تقديراً واحدا للآية الأولى ، وثلاث تقديرات للآية الثانية [9] ، وردّ أيضاً على من زعم أنّ التقدير أمرى ، وشأنى ، ودينى ، وعادتى ..... الى آخره

---

(١) من الآية ١٨ من سورة يوسف .
(٢) من الآية ٥٣ من سورة النور .
(٣) انظر الحدائق ص ١٥٣ ، ١٥٧
(٤) انظر الايضاح ص ٨٣
(٥) انظر الحدائق ص ١٥٣ ، ١٥٥
(٦) (٧) من الآية ١٨ من سورة يوسف .
(٨) (٩) انظر الحدائق ص ١٥٣ ، ١٥٥

رد بأن هذا لا يكثر الفائدة لأنّ كلّها راجعة لمعنى واحد . [١]

كما ذكر الشارح أنّه كما كثر التقدير فى الآية الثانية لتعدد معانى المعروف كثر التقدير فى الآية الأولى لتعدد معانى الصبر فى الشرع ، والعقل فيقال الذى أمرت به صبر جميل ، أو صبرى صبر جميل ، أو أمرى صبر جميل . [٢]

كما اعترض الشارح على الترمذى أحد شرّاح المفتاح الذى قدّر المحذوف فى الآية الأولى أمركم ، والذى يطلب منكم طاعة معروفة نظير قوله تعالى ((والله ورسوله أحقّ أن يرضوه)) . [٣]

اعترض عليه بأنّه كيف يلتقى أمركم طاعة معروفة قولاً ، والذى يطلب منكم طاعة معروفة فعلاً والواقع خبراً إمّا الطاعة قولا أو فعلاً ، ولا يصح أن يجتمعا بخلاف قوله تعالى ((والله ورسوله أحقّ أن يرضوه)) فإنّ رضى الرسول هو رضى الله وذكر أنّه يمكن الاجابة عن هذا الاعتراض بأنّ طاعة معروفة مطلق فيصحّ أن يقيّد الخبر المذكور بالفعل ، أو يقيد الخبر المحذوف بالقول فيرجع كلّ إلى ما يناسبه كلّ مافى الأمر أنه استشهد بالآية وهو غير مناسب بل المناسب قول الشاعر :-

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف [٤]

فكل هذه الاعتراضات التى أوردها ليسلم له ماذكره سابقاً من أنّ قوله تعالى ((فصبر جميل)) يصح أن يقدّر المحذوف مبتدأ أو خبر ، وقوله تعالى ((طاعة معروفة)) لا يصحّ أن يقدّر المحذوف إلّا مبتدأ إمّا أن يكون الذى يطلب منكم طاعة معروفة فعلاً ، أو أمركم طاعة معروفة قولا فالشارح قد وفق فيما أورده من اعتراضات ، ومناقشات حول تقدير المحذوف فى الآيتين وتعدّد من جهوده التى تحسب له فإننا لا نجدها عند الخطيب [٥] أو السعد . [٦]

ذكره :-

ذكر الطيبى عدة أغراض لذكر المسند إليه منها :- أن يكون فى ذكره تعظيماً له ، واستشهد له بقول مروان بن أبى حفصة :-

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ١٥٥

(٣) من الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٤) انظر الحدائق ص ١٥٥ ، ١٥٧

(٥) انظر الإيضاح ص ٨٣

(٦) انظر المطول ص ١٤٢ ، ١٤٣

بنو مطر يوم اللقاء كأنّهـــــــم أسود لها فى غيل خفان أشبـــل
هم المانعون الجار حتى كأنمـــا لجارهم فوق السماكين منـــــزل
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعـوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلـــوا (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن الغيل هو الشجر الملتفّ وخفّان مأسدة ، والجار من استجار بهم ، وقوله فوق السماكين منزل مثل لعدم استباحة من حموه ، والأبيات اشتملت على تتميمات ، وتكميلات ، ففى قوله لها فى غيل خفّان أشبل تتميم لتشبيههم بالأسود فى الشجاعة ، والأسد المشبل يكون أحرص على طلب الفريسة ، وفى قوله حتى كأنّما لجارهم ..... تتميم لوصفهم بالعزّة ، والمنعة فى قوله هم المانعون ، وفى قوله وأجزلوا تتميم لوصفهم بالجود والكرم فى قوله وإن أعطوا أطابوا ، أمّا التكميلات فقد وصفهم فى البيت الأول بأنّهم فى قمّة الشجاعة ، وشدّة البأس ، وهذا يقتضى أن يكونوا رؤساء قومهم ومقدميهم ، وهم فى عزة ، ومنعة ، فكمّل هذا بالبيت الثانى بأنّهم يمنعون من استجار بهم هم المانعون الجار وأيضاً فى قوله وإن قالوا أصابوا يدل على جودة رأيهم ،وهو تكميل لوصفهم بالشجاعة وشدّة البأس إذ قد يتوهم أنّ شجاعتهم مصحوبة بتهور ورعونة ،وهما صفتا نقص فأزاله بقوله وان قالوا أصابوا ، وأيضاً فى قوله وإن دعوا أجابوا كأنّه كرر معنى الشجاعة ليعلّق عليه قوله وان أعطوا أطابوا . (٢)

وقد تبيّن لى أنّ الخطيب (٣) والسعد (٤) لم يستشهدا بأى شاهد لغرض تعظيم المسند إليه بذكره، وقد أحسن الطيبي فى استشهاده بالأبيات كما تميّز جهد الشارح بشرحه للمفردات الغريبة، وبتأملاته البلاغية ،وذلك باستخراجه للتتميمات ،والتكميلات التى تضمّنتها كما ذكر الطيبى من أغراض ذكر المسند إليه بسط الكلام للاستصغاء ،والمقام يقتضيه ، واستشهد له بقوله تعالى : ((هى عصاى)) . (٥)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ النّص على اقتضاء المقام فى هذا الموضع من ذكر المسند إليه مع أنه شرط ذلك فى كل المواضع هو زيادة الاهتمام فإنّ البلغاء يكررون الشئ بعد طول ذكر ليكون السامع على ذكر منه فلا ينساه والمقام الذى اقتضى ذكر المسند إليه ((هى)) هو مقام وصل

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٥
(٢) انظر الحدائق ص ١٦٥
(٣) انظر الإيضاح ص ٣٣
(٤) انظر المطول ص ٦٩
(٥) من الآية ١٨ من سورة طه .

المحب بالمحبوب وهي من المقامات الجديرة بالإطناب فموسى عليه السلام أطنب في قوله ((هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي)) ثم أجمل ثانياً ((ولي فيها مآرب أخرى)) .ليسأل عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه فهو أطنب في بداية الجواب لكي يبسط استصفاءه ، وفي نهايته موجزاً لكي يصغي إلى سؤال آخر استلذاذا .(١)

ذكر السكاكي أن موسى عليه السلام كان يكفيه في الجواب أن يقول عصا لكنه قال ((هي عصاي أتوكأ عليها)) فذكر المسند إليه ، وزاد لأنّ اصغاء السامع مطلوب فيبسط افتراناً .(٢)

وقد اعترض على هذا بأنّ موسى لم يأت بالجواب فضلاً من أن يكون قد زاد عليه لأنه سئل عن ماهيّة هذه العصا لأنّ لها روحانيّة خاصّة تميزها عن غيرها من العصي لكن موسى عليه السلام أورد الصفات التي تشترك فيها مع غيرها من العصي ، ولم يجب بتمام الماهية .

وقد أجاب الشارح عن هذا الاعتراض بأنّ موسى عليه السلام لم يسأل عن مميزات هذه العصا إذ من مميزات الشيء أن يكون معلوماً ،وهو لم يكن عالماً بتلك الروحانيّة التي تميزت بها العصا ولو سلم أنه سئل عن روحانيتها ، وتميزها عن سائر العصي من أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر ، وتكون شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه ، وغير ذلك ، ولو سلّم أنه سئل عن ذلك كان يكفيه في الجواب أن يقول ((ولي فيها مآرب أخرى)) ومما لاشكّ فيه أنّ فائدة السؤال في الآية ليست راجعة إلى الله تعالى بل إلى موسى عليه السلام إمّا لتنبيهه على آية باهرة ، ومعجزة عظمى وراء مايعلمه وإمّا ليبسط فيجتري على الكلام إذناً ، ويبسط فيه بحسب المقام هذا مايفهم من كلام الزمخشري ، ويدلّ على التنبيه النداء ((يا موسى)) ويدلّ على البسط أنّ السؤال من عالم السرّ والخفيّات والمقام مقام مكالمة المحبّ مع المحبوب ، وأيضاً الزيادة في الجواب في قوله ((أتوكأ عليها .....)) .

وسواء حمل الاستفهام على التنبيه ، أو بسط الكلام ، فإن اجراء الأوصاف على العصا للتفصلة ، والتمييز بل لما اشتملت على المرافق ،والمنافع كالنعوت المادحة نداء على الجميل وابداء على الصنيع الذي يستزيد مواجب الشكر .

والأظهر أنّ السؤال من الله تعالى للتنبيه على النعمة الكبرى ، والمعجزة العظمى ، ويؤيده قوله

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٧ ، ١٦٩

(٢) انظر المفتاح ص ٧٧

((قال ألقها)) إلى قوله ((قد أوتيت سؤلك)) فقد اشتملت على نعم منن بها على موسى عليه السلام جاءت على سبيل الترقي ، ويعضده قوله ((ولقد منا عليك مرة أخرى)) هذا الذى يقتضيه النظم المعجز [١]

كما ذكر الشارح أن ((تلك)) اسم الاشارة فى قوله ((وما تلك بيمينك)) للبعيد ، والمشار إليه قريب، فيجوز أن يكون للتحقير كما ذهب إليه الزمخشرى ، ويجوز أن يكون للتعظيم ، وعلو مرتبة المشار إليه ، كما ذهب إليه السكاكى ، وهو الأظهر لما اشتملت عليه من المنافع الكثيرة كأنه قيل لعلى سبيل التنبيه عليها هل تدرى أى شيء اشتملت عليه يمينك ياموسى لهذا أطنب فى الجواب فقيل له أين أنت من الآية العظمى ، والمنفعة الكبرى فألقها ، حتى ترى ماترى ، وأيضاً جواب موسى يتناسب مع التعظيم فى المشار إليه . [٢]

كما ردّ الشارح على من زعم أنّ ذكر المسند إليه فى الآية لضعف التعويل على القرينة فإنّ فى الحذف يشتبه الخبر بالمبتدأ فلا يكون عصاى جواباً حينئذ ردّ عليه بأن أيّة قرينة أقوى من قوله ((وماتلك بيمينك)) والمعروف أيضاً أنّ قوله ((هى عصاى)) إذا كانت جملة مستقلة لا تصلح أن تكون جواباً والمقام فى الآية مقام اطناب ، فتركه يكون تقصيراً ، كما أنه إذا كان المقام مقام إيجاز يكون الذكر تطويلا . [٣]

وقد ختم الشارح تعليقه على الآية بقوله :- ((ونحن إنّما أرخينا عنان القلم فى هذا الباب لأنّه مقام البسط والإطناب لنريك أنّ الله تعالى حمى مشارع كلامه المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من أن يكون موارد أهل البدع والأهواء ومشارب أصحاب الزيغ ، والأراء ، كالمتفلسفة، ومن ضارعهم)) . [٤]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول الآية، وهو بيان شاف وإيضاح كاف حيث أجاب عن بعض الاعتراضات كما كانت له تأملات بلاغية فى الآية الكريمة كل هذه جهود تبرز شخصية الشارح رحمه الله تعالى بروزا واضحاً إذا ماعرفنا أنّ الخطيب [٥] والسعد [٦] وابن السبكى [٧] ذكروا الآية لنفس الغرض لكننا لا نجد عندهم مثل هذا البيان والشرح .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٩ ، ١٧١
(٢) انظر الحدائق ص ١٧١ ، ١٧٣
(٣) انظر الحدائق ص ١٧٣
(٤) الحدائق ص ١٧٣
(٥) انظر الايضاح ص ٣٣
(٦) انظر المطول ص ٦٩
(٧) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/ ٢٨٤ - ٢٨٦

تعريفه بالإضمـــار :-

استشهد الطيبي لتعريف المسند إليه بضمير المتكلم إذ المقام مقام حكاية يقول عمرو بن كلثوم :-

ونحن التاركون لما سخطنـــــا ونحن الآخذون لما رضينـــــــا

وكنا الأيمنين إذا التقينـــــا وكان الأيسرين بنو أبينـــــــا (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فبيّن الكناية التي اشتمل عليهـــا البيتان فذكر أنّ البيت الأول كناية عن كونهم ملوكاً غالبين غير مغلوبين ماعافوه تركوه لا أحد يقسرهم على أخذه، وما رغبوا فيـــــه آخذوه عن قوة وغلبة لا أحد يمنعهم عنه والبيت الثاني كناية عن شجاعتهم وأنّ اليمن والسعـــــد يسير في ركابهم على النقيض من حال أعدائهم من الهزيمة ، والشؤم ، وسوء الطالع، وهو تكميل للبيت الأول .

كما ذكر أنّ اليمين، واليسار يجوز أن يستعار للقوة والضعف أي نحن الغالبون، وأعداؤنـــــا المغلوبون ، ويجوز أن يراد بهما اليمن ، والشؤم أي لنا اليمن والسعد من النصرة ، والغلبة ، ولأعدائنا الشؤم والنحس من الهزيمة والقهر والتعبير ببني أبينا لأنّ أكثـــر ماتقع الحـــــروب والوقائع بين الأقارب والعشائر كما قال المقنع الكندي :-

وإنّ الذي بيني وبين بني أبـــي وبين بني عمي لمختلف جـــــدّا (٢)

لقد أحسن الشارح بهذه النظرات البيانية حول البيتين فقد استشهد السكاكي (٣) بالبيت الأول لنفس الغرض لكنه لم يعلق عليه بشيء .

كما استشهد الطيبي لكون المسند إليه ضمير غيبة، ومرجعه مذكور أو الذي نسب إليه ضمير الغيبـــة مذكور استشهد له بقول أبي تمام :-

بيمن أبي اسحاق طالت يد العلـــى وقامت قناة الدين واشتـــدّ كاهله

هو البحر من أي النواحي أتيتـــه فلجته المعروف والجود ساحلـــــه

تعوّد بسط الكفّ حتى لو أنـــــه ثناها لقبض لم تطعه أنامله

فلو لم يكن في كفّه غير روحـــه لجاد بها فليتّق الله سائلـــــه (٤)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٧٧

(٢) انظر الحدائق ص ١٧٧ ، ١٧٩

(٣) انظر المفتاح ص ٧٧

(٤) انظر الحدائق ص ١٨٢

أمّا الشارح رحمه الله فقد بيّن الصور البيانيّة التى اشتملت عليها الأبيات أحسن بيان ، وفصّلها خير تفصيل فذكر أنّ الأبيات اشتملت على ثلاث استعارات متناسقات ومؤتلفات مكنيّات ، فى قوله يد العلى كنى بها عن أنه ذو سلطان ، ورشّحها بقوله طالت وهى تناسب اليد الاستعارة الثانية ، والثالثة فى قوله :-

((قناة الدين)) ((كاهله)) كنى بهما عن كونه عمادا للدين ، وعوناً للاسلام والمسلمين ، ورشّح الأولى بقوله ((قامت)) ، والثانية ((واشتدّ)) فإنّ القيام يناسب القناة ، والاشتداد يناسب الكاهل فبعد أن مدحه بتدبيره لأمر الملك ، والدين كمّل بوصفه بالبذل والسخاء ، فشبّهه بالبحر ، وجعل المعروف ، وهو كل ماعرف من طاعة الله ، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس جعله لجة هذا البحر ، أى معظمه ، وخصّه به لعموم أثر المعروف ديناً ودنيا ، وخصّ الجود بالساحل لأنّ العفاة والطالبين الذين لا يستطيعون الوصول إلى اللجة ينالهم خيره ، وعطاؤه لهذا شبه الجود بالساحل ثمّ عكس التشبيه فشبّه المعروف باللجة وفى قوله بسط الكفّ كناية عن الجود حيث الظهر مقام المضمر من غير لفظة السابق ، وفى قوله ثناها لقبض لم تطعه أنامله تنافس للتصريح ، وتمكين للكناية ، وهذا يشبه الترشيح فى الاستعارة ، فالأبيات اشتملت على ذكر مايلائم الاستعارة ، والتشبيه والكناية .[1]

فالأبيات وإن أوردت على أنّها من شواهد تعريف المسند إليه بضمير الغيبة لكنها اشتملت على صور بلاغيّة رائعة إذ لا تزاحم بينا للفتات البلاغية فى الشاهد الواحد ، وقد أحسن الشارح شرحها وتفصيلها على الرغم من المبالغة فى المديح التى تضمنتها الأبيات مما قد يخرجها عن دائرة الاعتدال ، والقبول .

تعريفه بالعلميـــة :-

ذكر الطيبى من أغراض تعريف المسند اليه بالعلمية إحضاره ابتداء بما يخصه أو اهانة المسند إليه واستشهد لهما بقوله تعالى :- ((تبّت يدا أبى لهب))[2] أى جهنمى ، أمّا الشارح رحمه الله فذكر أنّه يمكن اعتبار الآية من باب المسند إليه على أحد وجهين أحدهما أن يراد بيدى أبى لهب جملته ، فيكون التقدير تب أبو لهب على سبيل الكناية على طريقة قوله تعالى ((بما كسبت يداك))[3] أى كسبته أنت ، ثانيهما التعميم فى الاستشهاد إذ المقصود الأسلوب

---

(١) انظر الحدائق ص ١٨٢

(٢) من الآية ١ من سورة المسد

(٣) من الآية ١٠ من سورة الحج .

لا تخصيص المثال، وعلى هذا الوجه أورد السكاكي كثيراً من الأساليب وهذا هو الوجه .[١]

أما الخطيب فإنه ذكر أن الآية فيها اهانة للعلم أبى لهب على سبيل الكناية لكن ليس من باب المسند إليه .[٢]

هذا وقد رد البهاء السبكي على من زعم أنه يمكن اعتبار الآية من شواهد المسند إليه على أن المقصود بيديه ذاته من باب اطلاق الجزء وارادة الكل ، رد عليه بأن ذاته لا تشعر بالإهانة الذي يشعر بها هذا الاسم وأيضاً المسند إليه على هذا التقدير ليس علماً بل مضافاً إلى العلم فبهذا يسلم القول بأن الآية ليست من باب المسند اليه لأن المسند إليه فيها قوله ((يدا)) لا العلم.[٣]

والذي يظهر لي أن محاولة الشارح اقحام الآية في باب المسند إليه تحسب له لكن جوابه فيها ضعيف، والرأي ماذكره الخطيب من أنها ليست من باب المسند اليه .

تعريفه بالموصولية :-

ذكر الطيبي من أغراض تعريف المسند إليه بالموصولية زيادة التقرير، واستشهد له بقوله تعالى ((وراودته التي هو في بيتها))[٤] عدل عن اسم زليخا زيادة لتقرير المراودة .[٥]

وقد بين الشارح وجه زيادة التقرير، ومعنى المراودة فذكر أن المرأة إذا دعت الرجل إلى نفسها في بيتها لا يكون ذلك إلا في خلوة حتى تتمكن من قضاء غرضها ، والمراودة أن تنازع غيرك في الارادة فتريد غير مايريد ، أو من راد يرود إذا جاء وذهب المعنى خادعته وحاولت معه كما يفعل المخادع بصاحبه .[٦]

وقد اختلف في الغرض الذي تحمل عليه الآية ، فقد حملها السكاكي[٧] والخطيب[٨] على غرض استهجان التصريح باسمها لأن اسمها زليخا، وقيل الغرض زيادة التقرير، فبعضهم حملها على زيادة تقرير المسند وآخرون حملوها على زيادة تقرير المسند إليه، ومنهم من حملها على تقرير الغرض المسوق إليه الكلام .[٩]

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٠٤
(٢) انظر الايضاح ص ٣٦
(٣) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/ ٣٠١
(٤) من الآية ٢٣ من سورة يوسف .
(٥) (٦) انظر الحدائق ص ٢٠٩
(٧) انظر المفتاح ص ٧٨
(٨) انظر الايضاح ص ٣٦
(٩) انظر المطول ص ٧٤

ولا مانع من صحة الجميع فكلٌّ ذكر الزاوية التي فتح الله بها عليه كما ذكر الطيبي من أغراض تعريف المسند إليه بالموصولية أن تومئ إلى وجه بناء الخبر الذى تبنيه عليه وذلك بأن تأتى بالصلة على وجه يعرف منه وجه بناء الخبر على سبيل الإرصاد كقوله تعالى ((إنّ الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)) [1] ، وذكر أنّه يتفرّع عليه اعتبارات منها ربّما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر ، واستشهد بقول الشاعر :-

ان التى ضربت بيتاً مهاجرة ... بكوفة الجند غالت وُدّها غول

وربّما جعل ذريعة إلى التنبيه على الخطأ ، واستشهد بقول الشاعر :-

إنّ الذين ترونهم اخوانكم ... يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

وربّما جعل ذريعة للتشويق إلى الخبر واستشهد بقول الشاعر :-

والذى حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

ويرى أنّ الاستشهاد بهذا البيت أوقع منه فى باب تقديم المسند إليه لأنّ التشويق المستحسن إحدى خواص الإخبار بالذى لأن فيه الإبهام الذى هو سبب للتشويق . [2]

وقد أحسن الطيبى بهذا فهم كلام السكاكى الذى قال :-

((.....أو أن تومئ إلى وجه بناء الخبر الذى تبنيه عليه ، فتقول الذين آمنوا لهم درجات النعيم ، والذين كفروا لهم دركات الجحيم ثم يتفرّع على هذا اعتبارات لطيفة .....

وربّما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر كقوله :-

إنّ التى ضربت بيتاً مهاجرة ... بكوفة الجند غالت وُدّها غول

وربّما جعل ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ كقوله :-

إنّ الذين ترونهم اخوانكم ... يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا)) [3]

وقد اعترض الخطيب على السكاكى بأنّه لا فرق بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر، وبين تحقيق الخبر فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثانى، وأيضاً فى قول الشاعر :-

إنّ الذين .....

ليس فيه ايماء إلى وجه بناء الخبر بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه . [4]

---

(١) من الآية ٦٠ من سورة غافر .

(٢) انظر الحدائق ص ٢١٨ - ٢٢٣

(٣) المفتاح ص ٧٩

(٤) انظر الايضاح ص ٣٨

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه أشاد بفهم أستاذه الدقيق لكلام السكاكى ، ونقل اعتراض الخطيب وردّ عليه بأنّه ينبغى اعتبار غرض الايماء إلى وجه بناء الخبر عامّاً وشاملاً يدخل تحته تعظيم شأن الخبر ، وتحقيق الخبر ، وتنبيه المخاطب على خطأ ، ويعتبر قوله تعالى ((إنّ الذين يستكبرون)) الآية لمجرد الإيماء إلى وجه بناء الخبر ، وقول الشاعر :-

إنّ التي ضربت ..... البيت .

لمجرّد معنى تحقيق الخبر من غير نظر إلى لازمه من الإيماء إلى وجه بناء الخبر ، وقول الشاعر إنّ الذين ترونهم البيت لمجرد التنبيه على الخطأ من غير نظر إلى لازمه من الايماء إلى وجه بناء الخبر أمّا ماذكره أى الخطيب من أنّ قول الشاعر إنّ الذين ترونهم البيت ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه ردّ عليه الشارح بأنّ هذا مدفوع والذى يدفعه أنّ الشاعر يخاطب جماعة عند ذكر قوم يعتقد هؤلاء الجماعة أنهم أحبّاء لهم مخلصون لهم يسدون سد الاخوان فى النائبات ، فإنّ قولك هذا قبل مجيء الخبر يومئ إلى أن هذا الاعتقاد خطأ منهم ، وأنّ الخبر الآتى أمر ينافى الأخوة ، والمودة ، فإنّ خير مايبرد قلوبهم هو هلاكهم ومصرعهم .[1]

كما اعترض الشارح تبعاً لأستاذه على الخطيب[2] الذى ذكر أنّ الأولى اعتبار قول الشاعر والذى حارت البرية فيه البيت من أغراض تقديم المسند إليه لتمكين الخبر فى ذهن السامع لأنّ فى المبتدأ تشويقاً إليه وهو أولى من جعله شاهداً لكون المسند إليه موصولاً كما ذهب إليه السكاكى .[3]

ردّ الشارح بأنّ أسباب التشويق إلى الموصولية فى البيت متآخذة بحيث لا يتمكن المانع أن يمنع بخلاف مالو استشهد بالبيت فى باب تقديم المسند إليه فقد يعترض معترض بأنّه لا يسلم أنّ تقديم المسند إليه فى البيت للتشويق أوجب لأن التقديم قد ينفكّ عن التشويق كقولك زيد صدوق ، وأمثاله ، فالتشويق يستفاد من كون المسند إليه موصولاً .[4]

ويظهر لى أنّ إجابات الشارح عن اعتراضات الخطيب قوية ، وموفقة يدلّ على ذلك أنّ السعد لم يوافق الخطيب فى اعتراضه السابق على السكاكى ، وردّ عليه وهو فى هذا الردّ قريب جدّاً مما ذكره الشارح يقول السعد :- ((..... إنّ الذين ترونهم .....

---

(١) انظر الحدائق ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩

(٢) انظر الايضاح ص ٥٣

(٣) انظر المفتاح ص ٧٩

(٤) انظر الحدائق ص ٢٢١ ، ٢٢٣

وجعل صاحب المفتاح هذا البيت مما جعل الإيماء إلى وجه بناء الخبر ذريعة إلى التنبيه على الخطأ ، وردّه المصنف ((أي الخطيب)) بأنّه ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى نقيضه عليه وجوابه أن العرف والذوق شاهد صدق على أنك إذا قلت عند ذكر جماعة يعتقدهم المخاطبون اخوانا خلصاً إنّ الذين تظنونهم اخوانكم كان فيه ايماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر ينافي الأخوة ويباين المحبة .....

وقد يجعل ذريعة إلى تحقيق الخبر نحو :-

إن التي ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت وُدّها غول

فان في ضرب البيت بكوفة المهاجرة إليها إيماء إلى أن طريق بناء الخبر ماينبيء عن زوال المحبّة ، وانقطاع المودّة ، ثم إنّه يحقق زوال المودة ويقرر حتّى كأنّه برهان عليه ، وهذا معنى تحقيق الخبر ، فظهر الفرق بينه وبين الإيماء ، وسقط اعتراض المصنف بأنّه لا يظهر فرق بينهما فكيف يجعل الإيماء ذريعة إليه ألا ترى أنّ قوله إنّ الذي سمك السماء البيت إنّ الذين ترونهم البيت فيه إيماء من غير تحقيق الخبر إذ ليس في رفع السماء تحقيق لبنائه لهم ، وقد يجعل ذريعة إلى التنبيه على الخطأ كما مرّ فأحسن التأمل في هذا المقام فإنه من مطارح الأنظار .....)) .(١)

كما ردّ البهاء السبكي على الخطيب في اعتراضه السابق من أنّه لا فرق بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وبين تحقيق الخبر فقال البهاء السبكي :- ((الفرق بينهما واضح فإنّ الإيماء إلى وجه الخبر أن تذكر ماينا سبه ، وتحقيق الخبر أن تذكر مايحقق وقوعه بأيّ نوع كان ، والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحققه واضح))(٢)

وردّ عليه أيضاً فيما ذكره من أن قول الشاعر إنّ الذين ترونهم .. البيت ، ليس فيه إيماء الى وجه بناء الخبر بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه ردّ عليه بقوله :- ((وهو اعتراض فاسد فإنّ السكاكي إنّما استشهد به على ماقصد فيه التنبيه على الخطأ ولم يجعل الأول ذريعة إلى الثاني بل هما كلامان متفاصلان .....)) .(٣)

من هذا يتبين لنا أن الشارح والسعد والبهاء السبكي رحمهم الله تعالى لم يوافقوا الخطيب في اعتراضه السابق على السكاكي ، وردودهم متقاربة ، وليست متباعدة لكن ردّ الشارح تميز بدقة فهمه لكلام

---

(١) المطول ص ٧٥ ، ٧٦

(٢) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/ ٣١١ ، ٣١٢

(٣) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/ ٣١٢ .

السكاكي ، وحسن تحريره لها حتى يزيل اعتراضه من أساسه فردود هؤلاء تدلّ على أنّ ليس كل ماقال الخطيب من كلام السكاكي فيه نظر يعدّ قويّاً إذ من الاعتراضات ماليس بقوى، ويسلم فيه كلام السكاكي كالاعتراض السابق .

تعريفه بالإشارة :-

ذكر الطيبي من أغراض تعريف المسند إليه بالإشارة واعتبرها من الأغراض الفرعيّة أن يقصد تمييز المسند إليه أكمل تمييز ، واستشهد له بقول الفرزدق :-

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتـه ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقي الطاهر العلم (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ السكاكي اعتبر أنّ غرض أكمل التمييز من الأغراض الأصليّة ، وكماله من الأغراض الفرعيّة وهذا أمر عجيب ، وفي قول الفرزدق نجد أنّ الصفات التى تميز بها الممدوح كانت معلومة لهشام ، ولم يقصد أن يعلمه بأنّه عارف بالخبر ، وإنّما كان قصد الفرزدق بهذا الإخبار أن يستشعر السامع منه التهويل فيعظم الممدوح لهذا كرر اسم الاشارة مراراً فى القصيدة ،ويجوز أن يستشهد بقول الفرزدق على اللفظ والمعنى فمن جهة اللفظ أنّ المشار إليه وإن كان محسوساً مشاهداً إلّا أنّ الفرزدق أراد الاشارة بمنزلة وضع اليد لكمال تمييزه، وعنايته، واثبات حكم نادر الثبوت كأنّه قال أنبهك أيّها المخاطب إنّ هذا الشخص اختصّ بحكم لا يتّصف به غيره وأمّا من جهة المعنى فالشاعر جعل الممدوح علماً فى الفضائل لا يشتبه أمره على أحد حتّى الجمادات عرفته . (٢)

من خلال هذا يظهر لنا تأييد الشارح لشيخه فى جعله غرضه تمييزه أكمل تمييز من المتفرعات ونقده للسكاكي الذى اعتبره من الأغراض الأصول وإن لم يكن التأييد والنقد صريحين لكنّه يفهم من خلال ماقاله ، وأيضاً تأملات الشارح لاستخراج موضع الشاهد من قول الفرزدق تعدّ حسنة وجهداً يحسب له وقد تبين لى أنّ الخطيب والسعد خالفا السكاكي فلم يفرقا بين الأغراض بجعل بعضها أصولاً وبعضها فروعاً ، وقد تبع السكاكي فيما ذهب إليه الطيبي، وتلميذه على بن عيسى فجعلا بعض الأغراض أصولاً، وبعضها فروعاً ،والخلاف بينهما ليس كبيراً لأن معظم الأغراض التى ذكرها الخطيب مع شواهدها تأثّر فيها بالسكاكي كما ذكر الطيبى من الأغراض الفرعيّة لتعريف المسند إليه بالإشارة الإشعار بأنّ ماقبله جدير بما بعده لما عددت من خصال ، قال حاتم :-

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٢٤

(٢) انظر الحدائق ص ٢٢٤

ولله صعلوك يساور همّه ... ويمضي على الأحداث والدهر مقدما

فعدّد له خصالاً فاضلة ثمّ عقّبها بقوله :-

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ... وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمّما (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر عدّة أبيات بعد بيت الشاهد وهي :-

فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ... ولا شبعة إن نالها عدّ مغنما

إذا مارأى يوماً مكارم أعرضت ... تيمّم كبراهن ثمّت صمّما

ترى رمحه ونبله وسنانه ... وذا شطب عضب الضريبة مخذما

وأحناء سرج فاتر ولجامه ... عتاد أخي هيجا وطرفاً مسوما

وشرح بعض المفردات الغريبة للأبيات ، وبيّن معناها العام فذكر أنّ كلمة ((لله درّ فلان)) تستعمل في معنى استجادة الشيء ، ومدحه الصعلوك الفقير ، وصعاليك العرب القوم الذين لا ملك لهم، ويساور يواثب همته ، وعزمه ، والخمص الجوع ، والترح ضد الفرح أعرضت ظهرت [٢] ، أمّا مايتعلق بمعنى الأبيات فيقول الشارح فيها :- ((لله درّ فقير يواثب همّته ويمضي مقدماً على الدهر ، والحال أنّه فتى طلبات تتجدّد طلبته كل ساعة لأنّ الدهر يسعف مطلوبه بجدّه ورشده كلّ لحظة ، ولا يرى الجوع شدّة ، ولا الشبع غنيمة لعلو همّته ، فمثل هذا الفقير إن يهلك فحسن ثناؤه بعده ، وان يعش لا يكون مذماً ضعيفاً بل يكون محموداً ممدوحاً)) . [٣]

وقد تبيّن لي أنّ الخطيب رحمه الله تعالى قد ذكر الأبيات شاهداً على الغرض المذكور في الإيضاح ، واكتفى في تعليقه عليها ببيان موضع الشاهد فيها ولا أستبعد تأثر الطيبي ، وتلميذه به فقد قال :-

((..... وإمّا للتنبيه إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور ، وعقّب بأوصاف على أن مايرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف كقول حاتم الطائي :- - وذكر الأبيات ثم قال :-

((فعدّد له كما ترى خصالاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً ، والصبر على ألم الجوع ، والأنفة من أن يعدّ الشبعة مغنماً وتيمّم كبرى المكرمات ، والتأهب للحرب بأدواتها ، ثمّ عقب ذلك بقوله ((فذلك)) فأفاد أنّه جدير باتصافه بما ذكر بعده)) . [٤]

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٤٨

(٢) انظر الحدائق ص ٢٤٨ ، ٢٥١

(٣) الحدائق ص ٢٥١

(٤) الايضاح ص ٤٠ ، ٤١

لكنّه أى الخطيب فى كتابه التلخيص لم يذكر الأبيات ، وإن كان قد ذكر الغرض واستشهد له بقوله تعالى ((الذين يؤمنون بالغيب)) [١] ، إلى قوله :- ((أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)) [٢] وبالتالى السعد [٣] لم يذكر الأبيات أو يشر إليها ، أمّا السكاكي فإنه لم يذكر ذلك الغرض ولم يشر إلى الأبيات لكن كلامه يدل على أنّه لا يمنع من ذكر مثل هذا الغرض فقد قال فى ختام كلامه عن الأغراض الفرعيّة لتعريف المسند إليه بالإشارة :- ((. . . . . أو خلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين أو ماسوى ذلك مما له انخراط فى هذا السلك ، ولطائف هذا الفصل لا تكاد تنضبط)) . [٤]

فالموازنة بين جهد الشارح وجهد الخطيب رحمهما الله تعالى تبيّن أنّه بينما اكتفى الخطيب فى تعليقه على الأبيات بالتركيز على موضع الشاهد فيها ، وهذه ناحية مهمة نجد الشارح قد تميّز جهده ببيان معنى المفردات الغريبة فى الأبيات ، وشرح معناها العام وهذا جهد جيد ، ويظهر لى أنّ جهد الشارح يتكامل مع جهد الخطيب فى استيفاء مايتطلبه الشاهد من شرح المفردات الغريبة ، وبيان المعنى العام ، وتوضيح موضع الشاهد .

تعريفه باللام :-

ذكر الطيبى أنّ اللام إمّا للإشارة إلى نفس الحقيقة من حيث هى هى نحو الرجل خير من المرأة ، وإمّا للإشارة إلى الحقيقة من حيث شمولها لجميع أفرادها كقوله تعالى ((إنّ الانسان لفى خسر إلّا الذين آمنوا)) [٥] وهذا الشمول إمّا حقيقى نحو ((عالم الغيب والشهادة)) [٦] أى كل غيب وشهادة أو عرفى نحو جمع الأمير الصاغية أى صاغة بلده ، والاستغراق فى المفرد أشمل من الاستغراق فى الجمع نحو ((ربى إنى وهن العظم منى)) [٧] دون العظام فإنّه يجوز أن يبقى بعض العظام على خلاف .

أو من حيث حصولها فى بعض الأفراد فعهد ذهني إن كان هذا البعض غير معين نحو قولك ابتداء دخلت السوق فى بلد كذا ، وهذا قريب من النكرات لذا اعتبرت جملة يسبّني صفة لا حالاً فى قول الشاعر :-

---

(١) من الآية ٣ من سورة البقرة .
(٢) من الآية ٥ من سورة البقرة .
(٣) انظر المطول ص ٧٨ ، ٧٩
(٤) المفتاح ص ٨٠
(٥) الآية ٢ ومن الآية ٣ من سورة العصر .
(٦) من الآية ٧٣ من سورة الأنعام .
(٧) الآية ٤ من سورة مريم .

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّنـــــي فمضيت ثمّت قلت لا يعنينـــــي

أمّا إذا كان هذا البعض معيناً فعهد خارجي ، وهو إمّا تحقيق كقوله تعالى ((ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة)) [1] ، ويطلق عليه بعض البلاغيين العهد الذكـــــري الصريح ، أو تقديري كقوله تعالى ((وليس الذكر كالأنثى)) [2] بعد قوله تعالى ((نذرت لك مافـــي بطني محررا)) [3] لاستلزام أن يكون المحرر ذكراً لأنّ من شروط سادن بيت المقدس عندهم أن يكون ذكراً ، ويطلق بعض البلاغيين على هذا النوع من العهد العهد الذكرى الكنائي . [4]

هذه هي الأصول التي يقوم عليها مبحث تعريف المسند إليه باللام عند الطيبي رحمه اللـــــه تعالى .

أمّا الشارح فذكر أنّه يمتنع حمل جملة يسبني على الحال في قول الشاعر :-

ولقد أمرّ على اللئيم يسبنـــــي فمضيت ثمّت قلت لا يعنينـــــي

لأنّ الشاعر يصف نفسه بالتؤدة ، والحلم ، والأناة ، ولا يتمّ له ذلك إلّا بمروره مراراً لا تحصـــى حتى تصبح صفة راسخة فيه ، أمّا المرور مرةً أو مرتين لا تجعل الصفة راسخة فيه ، ويدعم هذا أنّ الشاعر عطف ماضي على أمرّ وهو مضارع لأنه قصد إلى الاستمرار ، ولا يجوز حمل اللام في اللئيـــــم على الاستغراق لأنّ الشاعر لم يقصد في معنى البيت أنّه يمرّ على اللئام وقد اجتمعـــوا جميعاً فيسبّونـــه والتاء في ثمت للتوكيد . [5]

هذا توجيه حسن من الشارح للبيت ، وقد تبيّن لي أنّ الخايب [6] والسعد [7] ذكرا البيـــــت شاهداً على أنّ لام العهد الذهني يشبه النكرة لذا اعتبرت لفظة يسبّني صفة لا حالاً لكنهمـــــا لم يذكرا وجه عدم جواز حمله على الحال ، أمّا البهاء السبكي فذكر أن امتناع حمل قوله ((يسبنـــي)) على الحال ، وجعل اللئيم مشبّهاً للمعرفة أنّ الحال يدل على الانتقال وهذا غير مقصود ، هـــــذا من جهة امتناعه في المعنى ، ومن جهة اللفظ أنّ اللئيم في حكم النكرة . [8]

والذي يظهر لي أن توجيه الشارح أبين أوضح من توجيه البهاء السبكي .

---

(١) الآية ١٣ ومن الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

(٢) من الآية ٣٦ من سورة آل عمران .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة آل عمران .

(٤) انظر الحدائق ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢

(٥) انظر الحدائق ص ٢٥٨ ، ٢٥٦

(٦) انظر الايضاح ص ٤٢

(٧) انظر المطول ص ٨١

(٨) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣٢٧/١

تعريفه بالاضافة :-

ذكر الطيبي من أغراض تعريف المسند إليه بالاضافة أن يستغنى بها عن تفصيل متعذر واستشهد له بقول حسّان بن ثابت :-

لله درّ عصابة نادمتهم ... يوماً بجلّق فى الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإن لم يكتف ببيان موضع الشاهد فى البيتين وإن كان هذا مهمّاً بل أورد أربعة أبيات من نفس القصيدة التى منها الشاهد يربط بينها المعنى العام ، وشرح مفرداتها الغريبة ، وبيّن معنى بعض التراكيب فيها والأبيات بعد البيتين هى :-

اللاحقين فقيرهم بغنيّهم ... المنفقين على اليتيم الأرمل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأوّل

يغشون حتى ماتهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفّق بالرحيق السلسل

العصابة الجماعة من الناس ، يتراوح عددهم من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها ، جلّق موضع بالشام اللاحقين اسم فاعل بمعنى الملحقين أخذ الفاعل من ألحق على زنة الفاعل الأرامل المساكين من رجال ونساء ، وصفهم ببياض الوجوه لإشراق ألوانهم وتلؤلؤ غررهم فى الأنديه والمقامات حيث لم يلحقهم عار يغيّرون به فتتغير ألوانهم ، والوصف بالبياض أن الأبيض يكون خال من الدرن والوسخ وأولا شتهارهم بين الناس وصفوا بالبياض ، فإنّ الفرس الأغر مشهور فيما بين الخيل ، أو أنّهم وصفوا بذلك لصفاء ونقاء أنسابهم من جهة أمهاتهم إذ لم تلدهم إلّا حرائر والوصف بالبياض فى كلام العرب لا يخرج عن هذه المعانى يغشون يأتون إليهم بردى وادى دمشق والبريص نهر متشعب عنه ، وتصفيق الشراب تحوله من اناء إلى اناء أو مزجه ، والرحيق صفوة الخمر ، والسلسل السهل الدخول إلى الحلق ، وموضع الشاهد فى قوله ((أولاد جفنة)) إذ اكتفى بهذه الاضافة عن تفصيل ، وبيان تلك العصابة ، وهذا الاستغناء بالاضافة لأنّ التفصيل فيه متعذر ، وأولاد جفنة هم آل غسان ملوك اليمن وكبيرهم جبلة بن الأيهم ، وقد عاشوا بالشام كان حسّان يأتيهم أحياناً ينادمهم ويمدحهم ، وذلك فى الجاهلية ، وكبيرهم جبلة أسلم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكنه مالبث أن تنصر لأنّ عمر قضى للصحابى بأن يقتصّ لنفسه من لطمة لطمها إياه جبلة . (٢)

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٨١

(٢) انظر الحدائق ص ٢٨١ - ٢٨٤ .

يظهر لنا من هذا الشرح والبيان مدى مابذله الشيخ على بن عيسى من جهد فى شـــــــــرح الأبيات، وهو منهج سلكه فى معظم الشواهد الشعرية ، وقد ظهر لى أنّ السكاكى [1] من قبل قـــــد استشهد ببيت الشاهد لنفس الغرض لكنّه لم يعلق عليه بشئ .

كونه موصوفاً :-

ذكر الطيبى أنّ الصفة إمّا أن تكون كاشفة نحو قوله تعالى ((هدى للمتقين الذين يؤمنـــون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون)) [2] ، فالآية كشفت عن المتقى بأنّه الذى يفعل الواجبات ، ويجتنب المنهيات كأنّها حدّت المتقى ، وعرّفته لأنّ من شأن الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة ، والإنفاق مما رزق استجرار سائر الطاعات، وتحمل المتصف بها على اجتناب سائر المنهيات ، فقد قال تعالـــى ((إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر)) . [3]

وإمّا أن تكون مادحة نحو قوله تعالى ((هدى للمتقين)) فى وجه آخر وذلك أن يراد بالمتقيـــن الموصوفون بالتقوى ، وخصّت الصفات الواردة بالذكر لأنّها أفضل الطاعات ورؤوس تلك الصفات ، وإمّا أن تكون مخصصة نحو قوله تعالى ((هدى للمتقين)) فى وجه ثالث ويراد بالمتقين المجتنبون عن الشـــرك لاغير، ويراد بالصفة الدلالة على الطاعات ليس إلّا كما ذكر أنّ من حق الصفة أن تكون معلومة التحقـــق للمتكلّم والسامع لأنّها مميزة، ويمتنع أن يميز الشيء بما لا يعرف ومتحققة فى نفسها ، كذلك الموصـــوف يجب أن يكون متحققاً عند المتكلم ، والسامع وفى نفسه لذا امتنع مجيء الصفة انشائية ، وأمّا نحو قولـــه تعالى ((واتقوا فتنة لا تصيبنّ)) [4] وقول الشاعر :-

هل رأيت الذيـــب قط

فعلى تقدير مقول [5] ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن الصفة الكاشفة مثل الحدّ للمحـــدود فبهذا الاعتبار تعدّ نوعاً من أنواع الكناية ، وهى التى يطلب بالصفة فيها نفس الموصوف . [6]

وقد بيّن الخلاف حول المقصود من ((المتقين)) إذا حملت الصفات التالية لها على التخصيص ، وذلك فى قوله تعالى :-((هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهـــــم ينفقون)) ، فإنّ الطيبى يرى أنّ الصفات التالية فى الآية إذا حملت على التخصيص على وجـــــه

---

(١) انظر المفتاح ص ٨١

(٢) من الآية ٢ والآية ٣ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

(٤) من الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٥) انظر الحدائق ص ٢٨٦ - ٢٩٧

(٦) انظر الحدائق ص ٢٨٦

فالمقصود من المتقين الذين يجتنبون الشرك لا غير وتبعه تلميذه ، وردّ على الزمخشري والسكاكي اللذين يريان أنّ المقصود بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ، وقد ردّ عليهما الشارح أنّه لا يقال إن الذين يؤمنون بالغيب عين الذين يجتنبون المعاصي ، أمّا إذا أريد الذين يجتنبون عن الشرك جاز (١)

كما اعترض الشارح على فهم ابن الحاجب من أن بعضهم حمل قوله تعالى ((نفخة واحدة)) (٢) على التأكيد على طريقة قولك جاء زيد زيد وهي ليست كذلك إنّما الآية من باب الصفة اعترض الشارح عليه بأن الآية من باب التوكيد ليس على أنه من باب قولك زيد زيد إنّما الذي يفهم من نفخه شيئان النفخ والوحدة ، ولمّا كان القصد الأولى المرة أكدت بالوحدة على طريقة قوله تعالى ((إله واحد)) فإنّه يحتمل الجنسية والوحدة ، والغرض المسوق له الكلام هي الوحدة جاء التأكيد به ، هذا مايفهم من كلام السكاكي (٣) فيها . نعم لو كرر النفخة لأفاد ماقاله ابن الحاجب من التوكيد فيها على طريقة زيد زيد . (٤)

هذه لمحات من نظرات الشارح تدلّ على قدرته في استيعاب المسائل الخلافية ، وترجيح مايراه راجحاً ، مع دقة الفهم .

كونه مؤكداً :-

ذكر الطيبي من أغراض تأكيد المسند إليه أن لا يظن بالحكم التجوّز نحو عرفت أنا ، أو ليقصد به الشمول نحو عرفني الرجال كلهم وذكر أنّ منه كل انسان حيوان لأنّه في المعنى الانسان كلّه حيوان قدّم لينبّه على الشمول ابتداء . (٥)

وهو في هذا يتبع السكاكي الذي قال :- ((ومنه كلّ رجل عارف وكل انسان حيوان)) . (٦)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فقد أورد اعتراض الخطيب على قول السكاكي من أنّ كل تقع تأسيساً ، وذلك إذا أفادت الشمول من أصلها ، وتكون كذلك إذا كانت مضافة إلى نكرة كقوله تعالى ((كل حزب بما لديهم فرحون)) . (٧)

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٨٨ ، ٢٩٠
(٢) من الآية ١٣ من سورة الحاقة .
(٣) انظر المفتاح ص ٨١
(٤) انظر الحدائق ص ٢٩١
(٥) انظر الحدائق ص ٣٠٠
(٦) انظر المفتاح ص ٨٢
(٧) من الآية ٣٢ من سورة الروم .

وتقع تأكيداً كقوله تعالى ((فسجد الملائكة كلّهم أجمعون)) . (١)

فكلّ رجل عارف وكل انسان حيوان من التأسيس لا من التأكيد . (٢)

ردّ الشارح عليه فذكر أنّ في قول الطيبي لأنّه في المعنى الإنسان كلّه حيوان فيه اشارة إلى الجواب عن اعتراض الخطيب فمعنى هذا الكلام كأنك قلت الرجال كلّهم عارفون ، والأناس كلّهم حيوانات وسبب هذا التقدير ، والفائدة منه أنّ الأصل في كل وأمثالها من ألفاظ العموم أن تكون تابعة لا متبوعة ، فإذا أزيلت عن هذا الأصل متبوعة لا تابعة كانت لنكته ، وغرض ، وهو التنبيه على الشمول ابتداء كما أشار إليه الطيبي . (٣)

كما ذكر الشارح جواب ناصر الدين الترمذي أحد شرّاح المفتاح عن اعتراض الخطيب من أنّ السكاكي فصل المثالين الأخيرين موضع الاعتراض بقوله [ومنه] ليدلّ على أنّ التأكيد فيهما ليس صياغيّاً ، وإنّما التأكيد فيهما معنوي فإنّ لفظ كل لافادتها الشمول والاحاطة التأكيد فيها في قوة التأكيد الصياغي . (٤)

ويظهر لي أنّ جواب الشارح جواب حسن عن اعتراض الخطيب لكنّ السعد ذكر أنّ التأكيد في المثالين ليسا من التأكيد الاصطلاحي وإن اشتملا على التأكيد الذي جاء لدفع توهم عدم الشمول . (٥)

كونه مبيّناً :-

ذكر الطيبي أنّ من الأمثلة التي جاءت على سبيل البيان في وجه قوله تعالى ((وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه)) (٦) فإنّ قوله ((في الأرض)) وقوله ((يطير بجناحيه)) لبيان ارادة المتعارف من الدابة والطير ودفع توهم غير المتعارف من قوله ((إلّا أمم أمثالكم)) (٧) فهما قد جاءا تأكيدين على سبيل البيان فيتلاقى مع قول الزمخشري من أنهما جاءا زيادة للتعميم والاحاطة وهذا المقصود من قولنا في وجه . (٨)

---

(١) من الآية ٣٠ من سورة الحجر .

(٢) انظر الحدائق ص ٣٠٠ وانظر الايضاح ص ٥١

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٣٠٠

(٥) انظر المطول ص ٩٥

(٦) (٧) من الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٨) انظر الحدائق ص ٣٠٥ ، ٣٠٧

وقد تبين لي أنّ الطيبي تبع السكاكي [١] في توجيهه الآية ، أمّا الزمخشري فإنّه يرى أن ذكر [في الأرض] و [يطير بجناحيه] جاء لزيادة التعميم ، والإحاطة أي ما من دابة في جميع الأرضين السبع ، ولا طائر قط في جوّ السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلّا أمم أمثالكم [٢] ، وقد أشار الطيبي إلى توجيه الزمخشري .

أمّا الخطيب فإنّه ذكر الآية في ختام مبحث وصف المسند إليه وأورد توجيه الزمخشري والسكاكي دون ترجيح . [٣]

أمّا الشيخ علي بن عيسى رحم الله الجميع فإنّه سار مع شيخه، وكانت له بعض الشروح ، والنظرات ، فقد ذكر أن قوله تعالى :- ((وما من دابة)) وقوله ((ولا طائر)) تعما الدواب والطيور المتعارفين في عرف اللغة لكونهما نكرتين وقعتا في سياق النفي لكن لما عقّبا بقوله ((إلّا أمم أمثالكم)) أي أجرى عليهما صفات العقلاء توهم السامع ارادة غير المتعارف في الدابّة والطير فأزيل هذا التوهم بقيدي [في الأرض] و [يطير بجناحيه] لتثبيت ارادة الحقيقة في اللفظتين [دابة] و [طائر] هكذا ينبغي أن يتصوّر لا كما تصوّر بعضهم من أنّ لفظتي دابة و طائر متضمّنتين للجنسية والفردية فعقب بقوله [في الأرض] وقوله [يطير بجناحيه] ليدلّ على أن المقصود الجنسيّة لا سيّما إذا عرفنا أنّ اللفظتين نكرتين وجاءتا في سياق النفي ، ودخلت من الاستغراقية ، فهذا يمنع ارادة الفرديّة [٤] ، هذا القول الذي ردّه الشارح وجدت أنّ السعد يراه حيث قال :- ((..... حيث جعل في الأرض صفة لدابّة ويطير بجناحيه صفة لطائر ليدلّ على أنّ القصد إلى الجنس دون العدد)) [٥] كما بيّن الشارح أنّ الآية من باب التأكيد وهو مع ذلك متضمن لمعنى التبيين والتفسير ، فلا يعد من باب البيان من هذا الوجه ، لهذا قال أستاذه في وجه .

من هذا يتبيّن لنا جهد الطيبي وتلميذه، فإنّهما مع متابعتهما لتوجيه السكاكي الآية كان لهما فضل تدعيم رأيه بالشرح والتفصيل ودفع ما يراد من اعتراض ، وهذا جهد حسن بعد أن عرفنا أنّ الخطيب أورد توجيه الزمخشري والسكاكي لكنّه لم يرجح أحدهما على الآخر .

---

(١) انظر المفتاح ص ٨٢

(٢) انظر الكشاف : ١٧/٢

(٣) انظر الايضاح ص ٤٩ ، ٥٠

(٤) انظر الحدائق ص ٣٠٥

(٥) المطول ص ٩٨

كونه مبدلاً :-

ذكر الشارح رحمه الله تعالى أنّ البدل مع كونه لارادة تكرير الحكم اشتمل على أمر زائد على ذلك وهو إيضاح المسند إليه ففيه فائدتان إحداهما التأكيد برفع ماعسى أن يتوهم السامع من الاسناد ثانيتهما الإيضاح برفع الابهام عن نفس المسند إليه فاجتمع فيه رفع ابهامين ابهام فى الإسناد ، وابهام فى المسند إليه فالبدل يفيد مبالغة فى المطلوب إذ يجعل الشيء المبهم شخصاً معيّناً والفرق بين التأكيد ، والبدل ، وعطف البيان أنّ البدل يوضّح المتبوع كالبيان ، ويؤكد أمر المتبوع في النسبة كالتأكيد، وفيه أمر زائد عليهما هو أنّه يؤكد النسبة نفسها أيضاً لأنّه فى حكم تكرير العامل . (١)

هذا بيان حسن من الشارح رحمه الله تعالى وجهد يحسب له، وخاصة فى تفريقه بين هذه التوابع المتشابهة .

كونه معطوفاً :-

ذكر الطيبى أنّ العطف على المسند إليه ليستغنى به عن الاطناب نحو جاء زيد وعمرو ، أو فعمرو ، أو ثم عمرو . (٢)

أمّا الشارح فذكر أن حروف العطف يؤتى بها للإختصار إمّا معنى فان العطف بالواو مثلا فى قولك جاء زيد وعمرو وخالد فالمجيء فى الظاهر مسند إلى الكل بالانسحاب لأن الواو لمطلق الجمع ، وقد قيل الواو فى المختلفتين بمنزلة التثنية والجمع فى المتفقين ففي قولهم جاء زيد وعمرو وخالد بمنزلة جاء الزيدان والزيدون فحين لم يتمكّنوا من التثنية والجمع عدلوا إلى الواو .

وأما لفظاً فإنّ الواو مثل الفاء وثمّ فى التقدير لكن يفترق الحكم فى الترتيب بالتعقيب ، والتراخى فى الفاء وثمّ . (٣)

كما بيّن الشارح من أغراض العطف على المسند إليه أنّه إذا كان المراد تفصيل المسند إليه مع اختصار كقولك جاء زيد وعمرو وخالد، أو تفصيل المسند مع اختصار كقولك جاء زيد فعمرو فخالد

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٠٩

(٢) انظر الحدائق ص ٤٠٦

(٣) انظر الحدائق ص ٣١١

أو ثم عمرو ثم خالد، وهذا من الأغراض التي ذكرها السكاكي .[١] ونقلها الخطيب[٢] نصّاً دون شرح ، أو توضيح ، أمّا الشارح فقد بيّن هذا الغرض نقلاً عن الترمذي الذي ذكر أن الواو لمّا كانت لمطلق الجمع لم يكن العطف بها إلّا بتفصيل المسند إليه مع الإختصار ، أمّا التفصيل فظاهر أمّا الإختصار فلحذف الفعل بقرينة الواو ، ولمّا كانت الفاء وثمّ للترتيب كان العطف بها تفصيل المسند مع الاختصار ، أمّا الإختصار فظاهر وأمّا تفصيل المسند فلأنّك إذا قلت مثلاً جاء زيد فعمرو فخالد، أو جاء زيد ثمّ عمرو ثمّ خالد ، فقد فصّلت المجيء فجعلت بعضه سابقاً وبعضه لاحقاً متوسطاً ، وبعضه متأخراً .

وقد بيّن الشارح أنّ الترمذي ذكر قوله فلحذف الفعل بقرينة الواو والذي يشعر به كلام السكاكي وضع لفظة الانسحاب لايقاعه تفصيل المسند مقابلاً لتفصيل المسند إليه والإنسحاب ، هو أن ينصبّ عمل العامل على القبيلين انصبابة واحدة، والتقدير أن يقدّر للثاني عامل آخر مثاله قولك جاء غلام زيد وعمرو فإذا كان الغلام مشتركاً بينهما وجب الانسحاب ، وإن تعدد الغلام وجب التقدير .[٣]

هذا البيان والشرح لما ذكره السكاكي حسن ، وإن اعتمد فيه على ناصر الدين الترمذي لكنّه أخذ عنه بدقة فهم واختيار للعبارة كما ذكرت سابقاً ذاك الغرض الذي أورده الشارح أحد أغراض العطف على المسند إليه التي ذكرها السكاكي ، ولم يشر إليها الطيبي ، والتي منها ارادة ردّ السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب ، أو ارادة صرف حكمك عن محكوم له إلى آخر ، أو ارادة الشك ، أو التشكيك ، أو ارادة التفسير ، وقد ذكر السكاكي[٤] هذه الأغراض مع أمثلتها كما ذكرها الخطيب[٥] مع شواهدها نصّاً لكنه زاد في عدد الأغراض كإرادة الإبهام وإرادة الإباحة أو التخيير .

من هذا يظهر لنا جهد الشارح رحمه الله تعالى في توضيح بعض ماقاله السكاكي في تلك الأغراض وإن اعتمد في ذلك على ناصر الدين الترمذي أحد شرّاح المفتاح الآية اعتماد الناقد المتفحص دقيق الفهم متخيّر للعبارات .

---

(١) انظر المفتاح ص ٨٢

(٢) انظر الايضاح ص ٥٢

(٣) انظر الحدائق ص ٣١١ ، ٣١٣

(٤) انظر المفتاح ص ٨٢ ، ٨٣

(٥) انظر الايضاح ص ٥٢

في اقتضائه ضمير فصل :-

ذكر الطيبي أنّ المسند إليه يقتضي ضمير فصل إذا أريد تخصيص المسند بالمسند إليه أوعكسه ، واستشهد بقوله تعالى :- ((إن الله هو يقبل التوبة)) معناه من شأنه قبول توبة التائبين [١] ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ تخصيص المضارع دون الماضي والحال للدلالة على الدوام والاستمرار كالاسم لا سيّما استناده إلى الله تعالى ووجه دلالة قوله من شأنه قبول توبة التائبين على افادة تخصيص المسند بالمسند إليه في قوله تعالى ((إن الله هو يقبل التوبة عن عباده)) [٢] ، وإن لم يكن صراحة فهو دالّ بالمفهوم حيث قدّم الخبر على المبتدأ المعرّف كأنّه من شأنه قبول توبة التائبين لا من شأن غيره [٣] ، هذا شرح حسن لتوجيه أستاذه للآية .

تنكيره :-

من أغراض تنكير المسند إليه التي ذكرها الطيبي التحقير ومن شواهدها قوله تعالى ((ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولنّ ياويلنا)) [٤] ، فإنّ مقام المبالغة يقتضي الإستقصاء فيما أمكن من ارادة التحقير في نفس الكلمة والبناء والتنكير ومن ثم ضمّ إليها المس . [٥]

والطيبي في هذا يسير مع السكاكي [٦] الذي ذكر الآية شاهداً على تحقير المسند إليه لتنكيره .

وقد أورد الشارح اعتراض الخطيب [٧] على السكاكي في هذا التوجيه من أنّ التحقير في نفحه مستفاد من بناء المرّة ، ومن نفس الكلمة لأنّ النفحة إمّا من نفحت الريح إذا هبت أي هبة ، أو من قولهم نفح الطيب إذا فاح أي فوحة كما يقال شمّة ، واستعمال النفحة في الشر على سبيل الاستعارة ، وذكر أنّ الخطيب كأنه تبع الزمخشري الذي ذكر أنّ في المس والنفحة ثلاث مبالغات [٨] ، فظن أي الخطيب أن إحداها في المس ، وثانيتها في النفح لأنه في معنى القلّة والنزارة وثالثتها بناء المرة .

---

(١) انظر الحدائق ص ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣
(٢) من الآية ١٠٤ من سورة التوبة .
(٣) انظر الحدائق ص ٣٢١ ، ٣٢٣
(٤) من الآية ٤٦ من سورة الأنبياء .
(٥) انظر الحدائق ص ٣٢٦
(٦) انظر المفتاح ص ٨٣
(٧) انظر الايضاح ص ٤٧
(٨) انظر الكشاف : ٢/ ٥٧٤

ولاشك أن التنكير له مدخل في التحقير أيضاً فإنك إذا أدخلت حرف التعريف في غير القرآن لأفاد المرة دون التحقير ووصف النفحة بواحدة في آية أخرى لما كان المقصود منه الوحدة لا التحقير ،هذا يدل على أن بناء نفس الكلمة [نفحة] لا يستلزم التحقير بل يحتمله باقتضاء المقام كذلك التنكير ، فإنه لما اقتضى المقام المبالغة في التحقير أفاد التنكير التحقير ، فالتحقير مستفاد من نفس الكلمة ، ومن البناء ، ومن التنكير في نفحة بل يمكن أن تكون إحدى المبالغات في كلام الزمخشري مستفادة من التنكير، وله نظير من كلامه ، فقد ذكر في قوله تعالى ((أو كصيب من السماء)) [1] ، أن فيه مبالغة من جهة التركيب، والبناء، والتنكير . [2]

هذا جواب جيد من الشارح على الخطيب في اعتراضه على السكاكي من أن التحقير في قوله تعالى ((ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك)) مستفاد من بناء الكلمة، ومن نفس الكلمة [نفحة] لا من التنكير ، وقد أحسن الشارح عندما أحال ماذهب إليه الخطيب إلى الزمخشري كأنه أخذ منه ، وقد تبين لي أن السعد قد أجاب عن اعتراض الخطيب ، وجوابه قريب في معناه من جواب الشارح فقد قال السعد :- ((وجوابه أنه إن أراد لبناء المرة ونفس الكلمة مدخلاً في افادة التحقير فهذا لا ينافي كون التنكير للتحقير لأنه مما يقبل الشدة والضعف ، وإن أراد أن التحقير المستفاد من الآية مفهوم منهما بحيث لا مدخل للتنكير أصلاً فممنوع للفرق الظاهر بين التحقير في نفحة من عذب، وبينه في نفحة العذاب بالاضافة)) . [3]

لكن جواب الشارح كما رأينا تعرض فيه لما قاله الزمخشري في الآية باعتبار الخطيب كأنه أخذ عنه بخلاف السعد فإنه لم يعرض لذلك فالشارح عرض لبعض جزئيات في الجواب لم يذكرها السعد .

تقديمه :-

ذكر الطيبي عدة أغراض لتقديم المسند إليه، ومن ضمن تلك الأغراض أشار إلى إفادة التقديم للتخصص ، أو تقوى الحكم لكن تفصيل القول فيها، وبيان المواضع التي يفيد فيها التقديم

---

(١) من الآية ١٩ من سورة البقرة .

(٢) انظر الحدائق ص ٣٢٦

(٣) المطول ص ٨٩

التخصص ، والمواضع التي يفيد فيها التقديم تقوى الحكم قد تفرّق عنده في مبحث تقديم المسند إليه ، ومبحث كون المسند مفرداً ، ومبحث كونه جملة، ومبحث تقديم الفاعل المعنوى من باب التقديم والتأخير [1] وهو في هذا المنهج متأثر تأثراً كبيراً بمنهج السكاكي الذى تفرّق كلامه حول تلك المسائل فقد أحال في مبحث تقديم المسند إليه ومبحث تأخيره في تفصيل تلك المسائل إلى أواخر مباحث المسند عند الكلام عن تقديمه ، واستكمل الكلام في تلك المسائل في فصل متعلقات الفعل عند الكلام عن التقديم والتأخير الواقع بين الفعل وبين ماهو فاعل له في المعنى . [2]

أمّا الخطيب فقد فصل القول في افادة تقديم المسند إليه للتخصيص ، أو تقوى الحكم عند كلامه على تقديم المسند إليه [3] ، وقد آثرت اتباع الخطيب فجمعت كلام الطيبى حول افادة تقديم المسند إليه أو الفاعل المعنوى للتخصيص، أو التقوى، والذى تفرق كلامه فيها في مبحث كون المسند مفرداً ، ومبحث كونه جملة ، ومبحث تقديم الفاعل المعنوى آثرت جمع ذلك في مبحث تقديم المسند إليه لارتباطه الشديد وعلاقته الوثيقة بهذا المبحث فإنّ التخصيص أو تقوى الحكم غرض من أغراض تلك المباحث، ومن المعروف أن التقديم مفيد للتخصيص غالباً وحديثنا عن المسند إليه فالأقرب جعل مسائل التقديم والتقوى المتعلقة به متصلة بالحديث عن تقديم المسند إليه ، وليسهل على القارىء دراسة مسألة مهمّة وكبيرة من المسائل البلاغية في موضع واحد لهذا آثرت جمع تلك المباحث في مبحث تقديم المسند إليه أصلاً فالمسألة ترجع أولاً وآخراً إلى باب المسند إليه فالمناسب تفصيل الكلام فيها عند بابه ، ومسألة تقديم المسند إليه متى يفيد التخصيص، ومتى يفيد التقوى من المسائل الكبيرة في البحث البلاغي .

وقد سار الإمام عبد القاهر ، ومن تبعه كالخطيب مثلاً الذى استطاع أن يستخرج مذهب الامام في هذه المسألة من خلال كلامه في دلائل الإعجاز ، وتلخيص مذهبه كما ذكره الخطيب على النحو التالي يرى الإمام عبد القاهر أن تقديم المسند إليه موالياً لحرف النفى على خبره الفعلى وكان الفعل رافعاً لضميره في هذه الحالة يفيد التقديم التخصيصى نحو ما أنا قلت هذا فالمسند إليه المقدّم سواء كان مضمراً ، أو مظهراً ، معرفاً ، أو منكراً ، وإن كان الامام لم يمثّل إلّا للمضمر كذلك إذا لم يل المسند إليه المقدم المعرفة حرف النفى ، وكان للمخاطب

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٣١ - ٣٤١ ، ٣٨٩ - ٤١٠ ، ٤٨٦ - ٥٠٢

(٢) انظر المفتاح ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٤ - ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١

(٣) انظر الايضاح ص ٥٤ .

زعماً خلاف زعمك بأن نسب الفعل إلى الغير ، أو ادّعى مشاركة غيره له كقولك مثلاً أنا سعيت في حاجتك تقوله لمخاطبك الذى يعتقد أنّ غيرك سعى فى حاجته، أو اعتقد اشتراك غيرك معك فى قضاء حاجته ، فإنّ تقديمك فى هذه الحالة يفيد التخصيص ، أمّا إذا لم يكن لمخاطبك مثل هذا الاعتقاد ، ووافقك فى قولك فإنّ تقديمك للمسند إليه المعرفة الذى لم يل حرف النفى يفيد تقوى الحكم، وتقرره فى ذهن السامع ، وتمكنه كقولك هو يعطى الجزيل والتقوى يأتى من تكرر الإسناد ، فإنّ الضمير الذى فى الفعل ، والذى يرجع إلى المبتدأ أسندا إليه الفعل باعتباره أى الضمير فاعلاً له ، وجرى له اسناد آخر باعتباره مبتدأ ، والجملة الفعليّة خبراً عنه ، فتقوى الإسناد من اعتبار الضمير مرة فاعلاً ، ومرة أخرى مبتدأ .

هذا كله اذا كان المقدم معرفة ، أمّا إذا كان المقدّم نكرة، والحالة تلك فإنّه يفيد تخصيص الجنس، أو تخصيص العدد بالفعل حسب اعتقاد المخاطب كقولك رجل جاءنى يجوز أن تقوله لمخاطبك الذى يعتقد أنه جاءك واحدة من جنس النساء فتخصص له الجائى بأنّه من جنس الرجال، ويجوز أن تخاطب به من اعتقد أنّ الذى جاءك رجلان أو رجال فتخصص له العدد بأنّه رجل واحد ، هذا مجمل مذهب الإمام عبد القاهر الذى أورده الخطيب .[1]

أمّا السكاكى فإنّه يرى أنّ قولك مثلا أنا قمت يجوز أن يقدّر مقدماً ومؤخراً باعتبار أن لفظة أنا فاعل معنوى ، وهو توكيد للفاعل الحقيقي ، وهو التاء فى قمت والتقدير فى الأصل قمت أنا فإذا أريد بالمثال أن يفيد التقديم فيه للتخصيص فيجب أن يقدّر فيه التقديم والتأخير هذا شرط عنده سواء كان المسند إليه المقدّم مضمراً أم منكراً، وسواء كان الخبر جملة فعليّة كالمثال السابق أو لم يكن كذلك كقوله تعالى ((وما أنت علينا بعزيز)) فإنّها تفيد التخصيص ، وسواء كان المسند إليه المقدّم موالياً لحرف النفى ، أم لم يكن موالياً له أمّا إذا كان المسند إليه المقدم يجوز فيه التقديم والتأخير كالمثال السابق [أنا قمت] لكن لم يقصد تقدير ذلك فيه، أو كان المقدّم معرفة نحو زيد عرف فالتقديم فى هاتين الحالتين يفيد تقوى الحكم، ويقرب من هذا التقوى فى الحكم عنده قولك مثلاً زيد عارف هذا مجمل مذهب السكاكى فى المسألة كما أورده الخطيب[2] الذى اعترض عليه فيه وقد أيّد الطيبى، وتلميذه ماذهب إليه السكاكى تأييداً قوياً وأجابا عن اعتراضات الخطيب عليه، وسأبين ذلك من خلال كلامهما ومن خلال الشواهد، والأمثلة التى حظيت بالدراسة ، والتحليل من الطيبى وتلميذه فقد ذكر الطيبى

---

(١) انظر الايضاح ص ٥٤ - ٥٩

(٢) انظر الايضاح ص ٥٩ ، ٦٠

المثل أتعلمني بضب أنا حرشته شاهداً على تقديم الفاعل المعنوى أو المسند إليه الذى أفاد قصر الإفراد يدلّ على الافراد إنكار التعليم أى لا أحتاج إلى تعليمك/ومعاونتك [١] .

أما الشّارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ المثل يضرب فى أمر يعلم فيه الرجل صاحبه ماهو عالم به مستبدّ فى تولّيته ، وقد أوقع الانكار على ذات الضب ، وذاته لا تنكر فلابدّ من حذف مضاف ، وتقديره أى بحفظ ضبّ أو بصفة ضب ، فإذا كان التقدير الحفظ كان من قصر الافراد ، وذلك كأنّ الحارش لمّا ضم الضبّ إلى نفسه قال له القائل ناصحاً احفظه لئلا يفلت منك ، وهذا الكلام لايصح منه إلا إذا تصور أن الحارش غير متمكن من حفظه ، وأنّه يحتاج إلى معاونة الغير بالحفظ ، فالحارش ردّ عليه/وأنكر عليه هذا التوهم كيف يحتاج إلى من يعلمه كيفية حفظه ، وهو الذى انفرد بتحريشه فالحارش ردّ على القائل توهمه فيما يشمّ أنه ادعاء بالشركة رد عليه بتلك العبارة ، وهذا ماسار عليه الطيبى ، واعتبره أدقّ معنى ، وألطف مغزى ، ويدلّ عليه إنكار التحريم/ وتبعه تلميذه ، أمّا إذا قدر المحذوف الصفة أى أتعلمنى بصفة ضب أنا حرشته يكون من قصر القلب/وذلك أنه لا يصح أن ينكر على غيره أن يعلمه بصفات ذلك الضب إلّا إذا صاده وحده/ أوصاده هو لا غيره [٢] ، وهذا اعتمده السكاكى . [٣]

والذى تبيّن أن الإمام عبدالقاهر وتبعاً له الخطيب يفهم من كلامهما أنّهما يجيزان فى المثل حمله على قصر الإفراد ، أو قصر القلب دون ترجيح فقد قال الإمام :- ((واعلم أن الذى بان لك فى الاستفهام والنفى من المعنى فى التقديم ، قائم مثله فى الخبر المثبت فإذا عمدت إلى الذى أردت أن تحدّث عنه بفعل فقدمت ذكره ، ثم بنيت الفعل عليه فقلت زيد قد فعل ، وأنا فعلت ، وأنت فعلت اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلّا أنّ المعنى فى هذا القصد ينقسم قسمين أحدهما جلى لا يشكل وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد فتجعله له ، وتزعم أنّه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كلّ واحد ، ومثال ذلك أن تقول أنا كتبت فى معنى فلان وأنا شفعت فى بابه تريد أن تدّعى الإنفراد بذلك ، والإستبداد به ، وتزيل الاشتباه فيه ، وتردّ على من زعم أنّ ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت ، ومن البيّن فى ذلك قولهم فى المثل أتعلمنى بضب أنا حرشته .....)) . [٤]

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٨٦

(٢) انظر الحدائق ص ٤٨٦

(٣) انظر المفتاح ص ١٠٠

(٤) دلائل الاعجاز ص ١٢٨

كما ذكرت فإنّ الخطيب تبع الامام فى أنّ المثل يمكن حمله على قصر القلب أو الإفراد دون ترجيح ، هذا مايفهم من كلامه فقد قال :-

((..... هذا إذا ولى المسند إليه حرف النفى وإلّا فإن كان معرفة كقولك أنا فعلت كان القصد إلى الفاعل وينقسم قسمين : أحدهما : مايفيد تخصيصه بالمسند للردّ على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه كقولك أنا كتبت فى معنىّ فلان ، وأنا سعيت فى حاجته ، ولذلك اذا أردت التأكيد قلت للزاعم فى الوجه الأول أنا كتبت فى معنى فلان لا غيرى ، ونحو ذلك ، وفى الوجه الثانى أنا كتبت فى معنى فلان وحدى ونحو ذلك .....
ولو عكست أحلت ، ومن البيّن فى ذلك المثل أتعلمنى بضب أنا حرشة)) .[1]

وظهر لى أن هذا المثل أفاد التخصيص أو القصر بمقتضى مذهب الامام عبد القاهر[2] ، وتبعاً له الخطيب[3] أنّ المسند إليه [أنا] معرفة ولم يوال حرف النفى وللمخاطب زعم مخالف لهذا أفاد التقديم التخصيص ، أو القصر ، أمّا بمقتضى مذهب السكاكى[4] وتبعاً له الطيبى وتلميذه فإنّ المثل أفاد القصر أو التخصص لأنّ المسند إليه أو الفاعل المعنوى [أنا] قدّر فيه التقديم والتأخير وهو مضمر ومجمل القول فى المثل السابق أنّ الطيبى وتلميذه اعتباره من قصر الافراد بينما السكاكى بمقتضى كلامه اعتبره من قصر القلب أمّا الإمام عبد القاهر شيخ البلاغيّين والخطيب فبمقتضى كلامهما يمكن اعتبار المثل من قصر الإفراد أو من قصر القلب دون ترجيح ، ويظهر لى أنّه على الرغم مما ذكره الطيبى وتلميذه من أنّ حمل المثل على قصر الافراد يعدّ أدق معنى ، وألطف مغزى ، وترجيحهما له فإن رأى الإمام والخطيب فيه تكثير للإعتبار مع أنّ عبارة الطيبى وتلميذه تدلّ على أنّ حمله على قصر القلب فيه دقة فى المعنى ولطف فى المغزى ، لكن حمله على الافراد أدقّ ، وألطف ، وشل هذا الترجيح منهما يشهد ببروز شخصيتهما وجهدهما الواضح .

كما ذكر الطيبى فى افادة تقديم الفاعل المعنوى للتخصيص ، أو القصر قوله تعالى ((وما أنت علينا بعزيز))[5] أى العزيز رهطك لا أنت فلذا طابقه ((أرهطى أعزّ عليكم من الله))[6] أى من نبى الله ، ولو قالوا ماعززت لم يصحّ ، والطيبى فى هذا تبع السكاكى ، ورد على الخطيب فى اعتراضاته

---

(١) الايضاح ص ٥٥

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص ١٢٨

(٣) انظر الإيضاح ص ٥٥

(٤) انظر المفتاح ص ٩٦ ، ١٠٠

(٥) من الآية ٩١ من سورة هود .

(٦) من الآية ٩٢ من سورة هود .

على السكاكى ، فإنّ الخطيب بمقتضى مافهمه من كلام الإمام عبدالقاهر يرى أنّ تقديم المسند إليه [أنت] فى الآية ، وإن ولى حرف النفى لا يحمل على التخصيص لأنّ خبره ليس فعلياً فقد ذكر الطيبى أنّ الإعتراض بأنّ الخبر فى الآية ليس فعلياً لا يفيد التخصيص مثل قولك أنا عارف ، يجاب عنه بأنّ المشتقات تشبه الأفعال فى اجراء أحكامها عليها ، وأيضاً يشهد الذوق على أن التقديم فى الآية مفيد للتخصيص ، كما أنّ الزمخشرى ذكر أنّ إيلاء الضمير حرف النفى دلّ على أن الكلام فى الفاعل لا فى الفعل وأيضاً كلام الإمام عبدالقاهر مطلق فلم قيد المعترض الخبر بكونه فعلاً ، وجعله شرطاً ولم يشترط ، كونه فعلياً ؟ وبين الفعل والفعلى بون .(١)

أمّا اعتراض المعترض أى الخطيب بأنّ التمسك بمطابقة الجواب أى أن التقديم أفاد التخصص بسبب أنّ الجواب ((وما أنت علينا بعزيز)) طابق السؤال فى قوله ((أرهطى أعز عليكم من الله)) اعترض المعترض بأنّ هذا ليس بشىء لجواز أن يكون شعيب عليه السلام قد فهم أنّ رهطه أعز عليهم منه من قولهم ((ولولا رهطك لرجمناك)) يجاب عن هذا بأنّ التمسك بافادة التخصص على مطابقة الجواب لا عكسه ولأنّ قوله ((وما أنت علينا بعزيز)) تقرير للكلام السابق على الطرد والعكس ، فلابدّ من اعتبار دلالتى المنطوق والمفهوم فى كلا الكلامين ، واستقلاله فيهما ولا ينقض مطابقة الجواب أنّ صيغة أفعل فى قوله [أعز] تدلّ على اثبات العزّة له مع أنهم نفوها عنه رأساً فإنّ هذا الإيهام مدفوع لأنّ المقصود أنّ نسبة القرابة إلى القوم أعزّ عليكم من نسبتى إلى الله بالنبوّة لهذا قدّر أعزّ من نبى الله (٢) ، هذا مجمل ما أجاب به الطيبى عن اعتراضات الخطيب على السكاكى فى اعتباره الآية من باب التخصيص .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه سار مع شيخه لكن كانت له شروح وتوضيحات لإجابات أستاذه على اعتراضات الخطيب وزيادات قصد بها تقرير وتأكيد كلام شيخه ، وتقوية اجاباته ضدّ اعتراضات الخطيب ، فقد ذكر الشارح أنّ اعتبار السكاكى قولك أنا عارف ملحق بالباب ، فإنّه وان لم يتعرض لدلالته على الاختصاص صراحة لكن عدم التعرض لا يدلّ على أنّه لا يفيد التخصص فلعلّه اعتمد على أن المشتقات كالأفعال فى الأحكام ولو سلّم أن السكاكى لم ينصّ على أن مثل قولك أنا عارف مفيد للاختصاص لكن الذوق يشهد على أنّ تقديم الفاعل المعنوى فى الآية مفيد للتخصص كما صرّح به صاحب المفتاح ، ونصّ عليه الزمخشرى (٣) ، كما ذكر الشارح أنّ كلام الامام عبدالقاهر فى المسند إليه المقدم الموالى لحرف النفى يفيد التخصيص مطلقا ، وذلك من خلال الشواهد التى بيّنها ، فإذا كان الخطيب يعترض على السكاكى فى أنه قيّد كلام الإمام بالمسند اليه إذا كان ضميراً ، فإنّه يرد اعتراض مماثل على الخطيب من أنه قيّد الخبر بكونه فعلاً وبين الفعل والفعلى بون ، فإنّ قولك زيد ضارب

(١) انظر الحدائق ص ٤٨٨ ، ٤٩٠
(٢) انظر الحدائق ص ٤٩٢ ، ٤٩٧
(٣) انظر الحدائق ص ٤٩٠

فعلى،وزيد ضرب أبوه ، الخبر فعل ، وكلا المثالين لا يفيدان التخصيص وفى هذا تعريض بالخطيب الذى نصّ على أن يكون الخبر فعليّاً ولم يفرق بين الفعل والفعلى فان المراد بالفعلى ما يكون مفهوم المسند ثابتاً للمسند إليه أو منفيّاً عنه . (١)

لهذا يرى بعض البلاغيين تكميلاً لعبارة الخطيب فى تقديم المسند إليه ليفيد التخصيص أن تكون العبارة هكذا تقدم المسند إليه على خبره الفعلى موالياً لحرف النفى ، وأن يكون الفعل رافعاً لضميره حتى لا يرد اعتراض الشارح .

كما ردّ الشارح على ناصر الدين الترمذى أحد شرّاح المفتاح الذى تبع الخطيب فى أنّ قوله ((أرهطى أعزّ عليكم من الله)) يجوز أن يكون جواباً لقولهم ((ولولا رهطك لرجمناك)) لا قولهم ((وما أنت علينا بعزيز)) وأنّ إيلاء الضمير حرف النفى يدلّ على التخصيص إذا كان الخبر فعليّاً هذا مايفهم من كلام الزمخشرى ، ويظهر أنّ الخطيب تبعه،هذا مجمل اعتراض الترمذى على السكاكى ، وهو كما يظهر يتبع الخطيب ، وقد ردّ الشارح عليه بأنّه إذا عتبر الجواب المطابق ((أرهطى أعزّ عليكم من الله)) عن قوله ((ولولا رهطك لرجمناك)) بناء عليه يكون قوله((وما أنت علينا بعزيز)) بمعنى ما عززت جاءت فضلة فى الكلام ، ووقعت فى القرآن لا معنى لها البتّة ، لهذا قال الطيبى بل الإعتراض ليس بشيء ، فإنّ قوله ((وما أنت علينا بعزيز)) جاءت تقريراً للكلام السابق على الطرد والعكس وهو قوله ((ولولا رهطك لرجمناك)) فإنّ مفهوم هذه هو نفى العزّة عن شعيب عليه السلام يؤكد،ويقرّر هذا المفهوم منطوق قوله ((وما أنت علينا بعزيز)) ومفهوم هذه أنّ الأعزة علينا رهطك ، وهذا المفهوم يؤكد،ويقرّر منطوق قوله ((ولولا رهطك لرجمناك)) هذا معنى الطرد والعكس فى اللفظتين مع اعتبار أنّ المقام اقتضى مثل هذا التقرير ، والتأكيد لأنّهم معاندون . (٢)

كما ردّ الشارح على شمس الدين المعزى الذى اعترض على السكاكى بأنّ قوله تعالى ((وما أنت علينا بعزيز)) ليس من هذا الباب لأنّ هذا الفصل لمتعلقات الفعل،وقوله [بعزيز] من باب أنت عارف ، وذكر أن هذا لا يفيد التخصيص بل يفيد تقوى الحكم،وذكر أنّ الآية قصد بها نفى الفعل عن الذات بطريق إدخال حرف النفى على الذات فهذا له أثر فى التخصيص بالنفى والمعنى العزيز علينا رهطك لا أنت ، ويدلّ على التخصيص القرينة المتقدمة ((ولولا رهطك لرجمناك))

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٩٠ ، ٤٩٢

(٢) انظر الحدائق ص ٤٩٢ - ٤٩٥

ومطابقة جواب شعيب عليه السلام ((أرهطي أعزّ عليكم من الله)) وهذا التخصيص ليس لازماً في جميع الصور ، وليس من مقتضيات هذا التركيب .

هذا مجمل ماذكره المعزّى ويدلّ كلامه أنّه لايعتبر أنّ التخصيص الذي يفيده في الآية قاعدة ينطبق على كل تركيب بل ذلك مختصّ بهذه الآية ، وأنّ الأمور التي دعته إلى القول بأنّ التقديم في الآية يفيد التخصيص غير تلك الأمور التي دعت السكاكي والطيبي إلى القول بالتخصيص .

وقد ردّ الشارح على المعزى رحمهما الله تعالى من أن قول السكاكي :- ((ويقرب من قبيل أنا عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم زيد عارف)) لا يدلّ على أن زيد عارف لا يفيد التخصيص لأنّ تخصيص الشيء بالذكر لا يدلّ على نفي الحكم عما عداه .

أما قوله إنّ هذا الفصل لتعلقات الفعل وعزيز ليس بفعل فيجاب بأنّه وإن لم يكن فعلاً صريحاً لكنّه شبيه بالفعل على أنّ الزمخشري في توجيه للآية صرّح بلفظ الفعل .

وفي كلام المعزّى من جهة أخرى تأييد للزمخشري، والسكاكي اللذين يعتبران أنّ التقديم في الآية مفيد للتخصيص فإنّه عند ماذكر أنّ لنفي الفعل عن الذات بادخال حرف النفي على الذات أثراً في تخصيصه بالنفي دلّ على أنّ الكلام فيه عدول عن مقتضى الظاهر فمن المعروف أنّ ما لنفي الحال لا الذات أي يجب أن يكون مدخولها الفعل أو شبهه فلمّا جاءت الآية على خلاف هذا الأصل علم أنّه مزال عن مقرّه ، وهو معنى التقديم المفيد للإختصاص بقرائن الأحوال .[1]

هذا مجمل ماردّ به الشارح على المعزّى .

كما ذكر الشارح أنّ التقدير [أعزّ من نبي الله] ليس لتصحيح المعنى بل المراد منه لازم معناه لينبّه على أنّ نفي العزّة عنه يستلزم نفي العزّة عن الله تعالى لمكانته عنده، فقوله ((أرهطي أعزّ عليكم من الله)) كناية عن قوله أرهطي عزيز عليكم دوني فالكناية جاءت على سبيل الإنكار ، وتبكيت الخصم على مايعتقده فكأنّه يقول لهم إذا ثبت أنّ رهطي عزيز عليكم دوني يلزم أن يكون الرهط أعزّ عليكم من الله لأنّ عزتي من عزة الله لأني نبيّه ، فإذا نفيتم العزة عني فقد نفيتموها عنه وهذا خلاف معتقدهم ، وقد بالغ شعيب عليه السلام في انكاره ، والردّ عليهم لأنّهم بالغوا في نفي العزة عنه وإثباتها لرهطه .[2]

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٩٥ ، ٤٩٦

(٢) انظر الحدائق ص ٤٩٧

لقد ظهر لى من خلال ماقاله الشارح فى ردّه على الترمذى والمعرّى، وشروحه، وتوضيحاته لإجابات أستاذه مدى الجهد الذى بذله فى تدعيم رأى أستاذه الذى يسير مع السكاكى والزمخشرى من أنّ الآية تفيد التخصيص، والردّ على الخطيب، كما برزت شخصيّة الشارح رحمه الله تعالى فى اظهار اجابات أستاذه فى أحسن وجه كما رأينا فاجابات الطيبى عن اعتراضات الخطيب الذى اعتبر الآية من باب التقوى مدعومة بشرح تلميذه إجابات قوية لايمكن دفعها بسهولة وخاصة عندما احتكم إلى الذوق فى أنّ التقديم فى الآية يفيد التخصيص، لكن هذا لايعنى اغفال رأى الخطيب الذى استند على مافهم من كلام شيخ البلاغيّين الإمام عبدالقاهر فإنّه وإن لم يورد الآية لكن الشواهد والأمثلة التى ذكرها في افادة تقديم المسند إليه للتخصيص كلها الخبر فيها فعل.

كما ذكر الطيبى من شواهد تقديم الفاعل المعنوى ليفيد التخصيص أو القصر لكن على القلب قول المتنبي :-

وما أنا أسقمت جسمى بما به ولا أنا أضرمت فى القلب نارا

أى أنّ هذا السقم الموجود والضرم الثابت ما أنا جالب لهما فحسب فالقصد إلى نفى كونه فاعلاً لهما وحده لا إلى نفيهما.[1]

وقد تبين لى أنّ هذا التعليق نقله الطيبى نقلاً حرفيّاً عن الخطايب[2] الذى ذكر البيت شاهداً على تقديم المسند إليه موالياً لحرف النفى على خبره الفعلى لكنّه لم يبيّن إن كان القصر فيه قصر قلب أو قصر افراد.

أمّا الشارح رحمه الله فذكر أنّ القلب فى البيت يحتمل وجهين أحدهما أنّ الشاعر يرد على لائمه الذى اعتقد أنّ الشاعر الذى يسعى إلى إسقام جسمه بحبّ الحبيب واضرام نار الحبّ فى قلبه ردّ عليه بأنّه مافعل ذلك عن قصد ونيّة بل المحبوب هو الذى عرّض به وبلاه بحبّه، كما فعلت المرأة بهذا الشاعر الذى قال :-

تلك الفتاة التى علقتها عرضاً إنّ الحليم وذا الإسلام يختلب

وثانيهما أنّه عبّر بأسقام الجسم واضرام النار فى القلب عن العشق فكأنّ الشاعر تصوّر أنّ لائمه قال له أنت الذى جلبت ذلك العشق على نفسك، ولم يفعله غيرك فردّ عليه بأن ذلك العشق

---

(١) الحدائق ص ٤٩٧

(٢) انظر الايضاح ص ٥٤

الثابت لست الجالب له ، وإنّما هو سنّة العشاق ، وأنا سائر على طريقهم وهذا الوجه هو الظاهر فهو على هذا من قلب الافراد أى يرد المخاطب من توهم الافراد إلى اثبات الشركة فهذا أسلوب غريب . (١)

والأسلوب الذى ذكره لم أعلمه إلّا عند الشارح رحمه الله تعالى .

ويظهر لى أنّ توجيه الشارح للقلب فى البيت توجيه حسن لم أتبينه عند الخطيب (٢) أو البهاء السبكى (٣) اللذين ذكرا البيت .

كما ذكر الطيبى فى كون المسند مفرداً أنّ نحو قولك زيد ضرب أفاد التقوى، واستدعى كون المسند جملة وأمّا نحو قولك مثلاً رجل عرف مفيد للتخصيص ، وهو مفرد لأنّ ابرازه فى صورة الجملة لا يخرجه عن حقيقته لعروضه . (٤)

أمّا الشارح رحمه الله ، فذكر أنّ قولك أنا عرفت مثلاً فى الظاهر جملة سواء حملته على التخصيص أو التقوى ليست بمسند إليه ، كذلك قولك فى النكرة رجل عرف لأنّ الضمير المقدّم والنكرة ليسا بمبتدأ بل هما فاعلان معنويّان أبرزا فى صورة المبتدأ (٥) ، وقد ظهر لى أن الأمثلة السابقة لا يختلف فيها مذهب السكاكى وتبعا له الطيبى وتلميذه عن مذهب الامام عبد القاهر ، وتبعاً له الخطيب وغيره من جهة افادتها التخصيص أو التقوى بغضّ النظر عن دواعى ذلك ماعدا زيد ضرب فإنّه بمقتضى مذهب الامام يجوز حمله على التخصيص إذا كان لمخاطبك زعماً خلاف زعمك ، أمّا إذا لم يكن لمخاطبك ذلك الزعم فيحمل على تقوى الحكم ، أمّا مذهب السكاكى فإنّ المثال لا يحمل إلّا على التقوى لتعينه للابتدائية .

كما ذكر الطيبى من أغراض مجىء المسند جملة إذا قصد به تقوى الحكم نحو زيد عرف وهو عرف والسبب تكرير الإسناد فقولك مثلاً أنت لا تكذب فى قوة قولك لا يكذب زيد لا يكذب زيد، وذلك أقوى لنفى الكذب من قولك لا تكذب أنت لأنّه فى قوة قولك لا يكذب زيد زيد فإنّه يدفع توهم التجوز فاعلية زيد ، ويبقى احتمال التجوّز فى الكذب أمّا الأول فإنّه يدفع توهم التجوز فى الفاعل والفعل على حدّ سواء ، وقولك أنا عرفت محتمل للتقوى إذا لم يقدّر التقديم، وللتخصيص إذا قدّر عرفت أنا مؤكدا ثمّ قدم، ويلحق به نحو أنا عارف، والضابط الذى يفرّق به بين التخصيص والتقوى لما سبق أنّ

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٩٧ ، ٤٩٩

(٢) انظر الايضاح ص ٥٤

(٣) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/ ٤٠١

(٤) (٥) انظر الحدائق ص ٣٨٩

كل مبتدأ ليس بضمير بعده فعل أو شبهه فيه ضمير له فهو للتقوى نحو زيد عرف لتعيّنه للابتدائية ، وكل منكر كذا غير مخصص فهو للتخصيص نحو رجل عرف ، وماكان من ضمير بعده فعل كذا يصلح للتقوى والتخصيص نحو هو عرف وإنّما افترق الحكم بين الصور الثلاث وهى :- زيد عرف ، ورجل عـــرف ، وهو عرف ، لأنّ الأصل فى قولك هو عرف أصلها عرف هو فهو ليس فاعلاً فى الأصل ، وإنّما هو تأكيد لأنّ ضمير الفاعل لا ينفصل إلّا فى صور معيّنة فإذا لم يكن كذلك احتمل التقديم ، فإذا قيل هو عرف احتمل ذلك مع احتمال الابتداء لكونه جاء على شرط الابتداء وهو التعريف .

أمّا قولك عرف زيد لا يحتمل التقديم لقلّة نظائر قوله تعالى ((وأسرّوا النجوى الذين ظلموا)) [1] ، أمّا المنكر فى قولك رجل عرف لفوات شرط الابتداء ، وهو التعريف لا يحتمل التقديم ولا يقال إنّه لافرق بين الفاعل ، وتأكيده فى امتناع التقديم إذ الفرق ظاهر لأنّ تقديم الفاعل يوجب خلوّ الفعل عنه وذلك ممتنع بخلاف تقديم التأكيد وإن وجب خلوّ الكلام عنه لكنّه سائغ . [2]

هذا مجمل ماذكره الطيبى حول التفريق بين التخصيص والتقوى فى الأمثلة السابقة ووجوه ذلك التفريق وهو فى هذا تبع مذهب السكاكى الذى سبق ذكره فى أول هذا البحث بل إنّه اعتمد كثيراً من عباراته ، وهو فيها يخالف مذهب الامام عبد القاهر الذى سبق ذكره، ولا بأس بذكر بعض ماقاله السكاكى ليتبين من خلالها مدى تأثّر الطيبى به ، فقد قال السكاكى ((وأمّا نحو زيد عرف ، ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف فى احتمال الاعتبارين [التقوى والتخصيص] على السواء بل حقّ المعرّف حمله على وجه تقوى الحكم ، وحقّ المنكر حمله على وجه التخصيص ، وإنما افترق الحكم بين الصور الثلاث لأنّه إذا قلنا عرف هو لم يكن هو فاعلاً لما عرف فى علم النحو أن ضمير الفاعل لا ينفصل إلا اذا جرى الفعل على غير ماهو له فى موضع الالباس .....

واذا لم يكن هو فاعلاً احتمل التقديم على الفعل ، فإذا قلنا هو عرف كان له ذلك الاحتمال مع احتمال الابتداء لكونه فى موضعه وكونه مع ذلك على شرطه فى قوة الفائدة بالاخبار عنه وهو تعرفه ، وإذا قلنا عـــرف زيد كان زيد مرفوعاً بعرف لقلة نظائر ((وأسروا النجوى الذين ظلموا)) وحينئذ لا يكون لـــه احتمال التقدم على الفعل كما سبق فى علم النحو فلا يكون لقولنا زيد عرف غير احتمال الابتداء اللهم إلّا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب عند المعرف لكونه على شرط المبتدأ وإنما يرتكب عند المنكـــر لفوات الشرط إذ لم يمنع عن التخصيص مانع .....)) . [3]

---

(١) من الآية ٣ من سورة الأنبياء .

(٢) انظر الحدائق ص ٣٩٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩

(٣) المفتاح ص ٩٧

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فقد كانت له شروح وتوضيحات لما قاله أستاذه فقد بيّن سبب تكرير الإسناد إذا قصد تقوى الحكم حيث قال :- ((وذلك أنّ المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء فإذا جاء بعده مايصلح أن يسند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خالياً عن ضمير المبتدأ نحو زيد غلامك ،أو كان متضمّناً له نحو أنا عرفت،وأنت عرفت ، وزيد عرف ، ثمّ إذا كان متضمّناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً فيكتسي الحكم قوة ، هكذا ينبغي أن يقال إذا أريد به بيان تقوى الحكم في الأمثلة) .[1]

وقد نقل الشارح هذا الكلام في معنى تقوّى الحكم عن الخطيب نقلاً يكاد يكون حرفياً فقد قال الخطيب :- ((وسبب تقويه هو أن المبتدأ يستدعي أن يستند إليه شيء فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خالياً عن ضميره نحو زيد غلامك أو متضمناً نحو أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف أو زيد عرف ثمّ إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانياً فيكتسي الحكم قوة))[2]

كما ذكر الشارح أنّ اعتبار مثل قولك أنا عارف ملحق بالباب،وليس بالأصالة لأنّ اسناد اسم الفاعل إلى الضمير ليس كاسناد الفعل إليه لكن المشتقات لمّا كانت مشابهة للأفعال جاز اجراء أحكامها عليها ، ومما يدلّ على الاختصاص قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((ما أُعطيكم ولا أمنعكم أنا قاسم أضع حيث أمرت)) ، لأنّ المعنى معطيكم ومانعكم هو الله تعالى ، وإنّما أنا أقسم بينكم بأمر الله ، فما أنا إلّا قاسم يدلّ عليه قولهأضع حيث أمرت فإنّه بيان له،وهو بيان للسابق.[3]

لكن مثل هذا على مذهب الامام عبدالقاهر الذي سار عليه الخطيب ليس من باب التخصيص لأنّ الخبر فيه ليس فعليّاً ، كما ذكر الشارح أنّ من اعتراضات الخطيب على السكاكي أنّه يجيز تقديم التوكيد في قولك مثلاً أنا عرفت لأنّه في الأصل مؤخر،ويفيد التخصيص ، أمّا إذا لم يعتبر التأخير فيكون فاعلاً معنويّاً،ويفيد التقوى فكيف منع ذلك في الفاعل المعنوي تقدير التقديم فقط مع أنّه ممتنع في التوكيد أيضاً ، وقد أجاب الطيبي عن هذا كما رأينا بأنّ تقدير التقدير في الفاعل المعنوي يؤدي إلى خلو الفعل عن الفاعل بخلاف التوكيد فإنه تابع ، وقد بين الشارح هذا الجواب بأنّه عند ارادة التقديم إمّاأن يتصوّر في الفعل فاعل آخر ، أو لا يتصور فإذا لم يتصوّر فيه فاعل آخر يلزم خلوّه عن الفاعل ، وهذا خلف وإذا تصور فاعل آخر فهذا ماذهب في مثل هو عرف ، ورجل عرف[4]

---

(١) الحدائق ص ٣٩٥
(٢) الايضاح ص ٥٦
(٣) انظر الحدائق ص ٤٠٢ .
(٤) انظر الحدائق ص ٤٠٧ ، ٤٠٩

هذه بعض شروحات الشيخ علي بن عيسى رحمه الله على كلام أستاذه وهي شروح حسنة يظهر فيها تأييده ، وانتصاره لأستاذه والسكاكي ، والذي يظهر لي أن مذهب الامام عبد القاهر والذي أحسن بيانه الخطيب ، وقد ذكرته في مقدمة هذا المبحث أظهر وأوجه من مذهب السكاكي لقوة اعتراضات الخطيب عليه على الرغم من انتصار الطيبي وتلميذه له وحسن جوابهما عن تلك الاعتراضات مع جهدهما البارز في بيان مذهبه في هذه المسألة أحسن بيان .

خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر :-

ذكر الطيبي عدة مباحث منها وضع المضمر موضع المظهر ، وعكسه والأغراض المتعلقة بهما ، ووضع ضمير الجمع مكان ضمير الواحد ، والأغراض البلاغية له ، وذكر أن منه باب الالتفات وآخره إلى المحسنات المعنوية ، وعلل الشارح ذلك بأنه ((لما كان من محسنات الكلام ، وله اسم واحد ، وأنواع ، وكان ذكره في البديع على الأصالة ، وههنا على الاستطراد آثر تأخيره [1] ، وقد جعل الطيبي تلك المباحث تحت عنوان تكميل وتتميم الملحقين في تعريف المسند إليه بالاضمار باعتبار أنها من خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر في الضمائر أما الخطيب فإنه جعل تلك المباحث ، ومنها الإلتفات ، وفصل القول فيها في أواخر كلامه عن المسند إليه على اعتبار أنها جاءت على خلاف مقتضى الظاهر فقد قال :- ((هذا كله مقتضى الظاهر ، وقد يخرج المسند إليه على خلافه فيوضع المضمر موضع المظهر ..)) [2]

والخطيب في هذا يسير مع منهج السكاكي الذي ذكر تلك المباحث في آخر كلامه عن مباحث المسند إليه حيث قال :- ((واعلم أن جميع ذلك هو مقتضى الظاهر ، ثم قد يخرج المسند إليه لا على مقتضى الظاهر)) [3] ، وقد آثرت اتباعهما فيما سارا عليه ، ففصلت الكلام حول الالتفات في هذا الموضع لأني وجدت الطيبي يقر بأن الالتفات من مباحث المسند إليه وإن لم يكن ذلك على الأصالة ، ولخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر عدة صور منها :-

١ - وضع المضمر موضع المظهر :-

ذكر الطيبي من أمثلته نحو هو زيد عالم ، وهي هند مليحة ، فقد وضع الضمير مكان الشأن والقصة ليتمكن في الذهن إجمالاً وتفصيلاً . [4]

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٠٠
(٢) الايضاح ص ٦٨
(٣) المفتاح ص ٨٥
(٤) انظر الحدائق ص ١٨٦

أمّا الشارح فقد بيّن وجه تسميته بضمير الشأن ، والقصة أنّه فى الأصل اضمار للشأن المعهود فى الذهن والقصّة المعهودة فى الضمير ، فأضافوه إلى ماهو ضمير له ، والتزموا تفسيره بالجملة التى هى تلك القصة ، والشأن فلا يستقيم تفسيره إلّا بها ، ووضعوه لغرض التعظيم لأنّ ذكر الشىء مبهماً ، ثمّ مفصّلاً ، أوقع فى النفس ، ومن المعروف أنّ الشىء إذا جاء مجملا تاقت النفس إلى تفصيله ، وتعبت فى سبيله وكان له محل فى القلب أوقع مما لو حصل من غير تعب ، وجهد هذا بيان حسن من الشارح لضمير الشأن والقصة ، وقد ظهر لى أنّ الطيبى وتلميذه تأثرا بالسكاكى فى المعنى ، فقد قال :- ((..... ويوضع المضمر موضع المظهر .....

وقولهم هو زيد عالم ، وهى هند مليحة مكان الشأن زيد عالم ، والقصة هند مليحة ليتمكن فى ذهن السامع مايعقبة ، وذلك أنّ السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون ، فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن فى ذهنه ، وهو السرّ فى التزام تقديمه .....)) . (١)

أمّا الخطيب فإنه أخذ هذا الكلام أخذا يكاد يكون نصّاً حرفيّاً فقد قال :- ((.....فيوضع المضمر موضع المظهر .....

وقولهم هو زيد عالم ، وهى عمرو شجاع مكان الشأن زيد عالم ، والقصة عمرو شجاع ليتمكن فى ذهن السامع مايعقبة فإنّ السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون فيتمكن المسموع بعده فى ذهنه فضل تمكن ، وهو السرّ فى التزام تقديم ضمير الشأن ، أو القصة)) . (٢)

وقد ذكر السعد أنّه لمّا كان فى ضمير الشأن والقصّة من الابهام الذى يشوق السامع إلى التفصيل يشترطون أن يكون مضمون الجملة شيئاً عظيماً يعتنى به فلا يقال هو الذباب يطير . (٣)

٢ - وضع المظهر موضع المضمر :-

ذكر الطيبى من أغراضه زيادة التمكن ، واستشهد له بقول الشاعر :-

إن تسألوا الحقّ نعط الحق سائلـــه والدرع محقبة والسيف مقـــروب (٤)

---

(١) المفتاح ص ٨٥

(٢) الإيضاح ص ٦٨ ، ٦٩

(٣) انظر المطول ص ١٢٨

(٤) انظر الحدائق ص ١٨٦

وقد بين الشارح بعض المفردات الغريبة ،وموضع الشاهد فى البيت،ومعناه ، فذكر أن محقبه معناها مشدودة فى الحقائب ، ومقروب أى متروك فى قرابه ، وفى البيت وضع للمظهرين موضع المضمرين ، والتقدير نعطه إياكم ووضع نعط الحق بدل نعطه اشعار بأنهم لا يعدلون عن العدل والإنصاف البتّه ، ووضع سائله بدل إياكم اشعار بأنهم يؤتون الحق كل من سأل سواء كانوا مستعلين قاهرين ، أو عاجزين مقهورين ، ومعنى البيت أن رضيتم بما ثبت من حقكم خرجنا إليكم من غير امتناع ، ولا استعداد لحرب .(١)

ويظهر لى أن الشارح رحمه الله تعالى ، قد وفق فى شرح الشاهد تمام التوفيق من شرح غريبه ، وبيان معناه ، وموضع الشاهد فيه لكنّه لم يشر إلى أن البيت وان كان فيه شاهد على وضع المظهر موضع المضمر لكن فى غير المسند إليه ، كما ظهر لى أيضاً أن الطيبى فى استشهاده بالبيت لذلك الغرض لا يختلف عن الخطيب فى استشهاده بالبيت فى الإيضاح (٢) ، وهما قد تبعا السكاكى (٣) مع ملاحظة أن الجميع استشهدوا بالاضافة إلى البيت بقوله تعالى ((الله الصمد)) (٤) وهو من وضع المظهر موضع المضمر فى المسند إليه لتمكينه فى ذهن السامع ، والشارح قد توقف عند البيت فآثرت ذكره لابراز جهده .

كما ذكر الطيبى من أغراض وضع المظهر موضع المضمر أن يقصد به التوصل إلى الوصف كقوله تعالى ((فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى)) (٥) بعد قوله ((إنّى رسول الله)) (٦) للاستدراج (٦) أمّا الشارح رحمه الله تعالى فقد بيّن هذا الغرض فى الآية من خلال ماقاله الزمخشرى فيها بيّنه أحسن بيان فقد ذكر أنّه لما كان الضمير لا يوصف ، فإذا أريد اجراء الصفات عليه وضع المظهر موضعه ، وهذا نوع من التجريد ، ومن المعروف أنّ مدح الرجل نفسه غير مستحسن فحتّى يتجنّب هذا يجرّد من نفسه شخصاً آخر كأنه غيره ليتمكن من اجراء تلك الأوصاف .

وفى الآية عدل من المضمر إلى الاسم الظاهر ليجرى عليه الصفات التى أجريت عليه كأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهم آمنوا بى لأنّى متصف بصفة النبوة الحقة ليس لشخصى فأى شخص اتصف بتلك الصفات وجب عليكم أن تؤمنوا بى سواء كان ذلك الشخص أنا أو غيرى ،فهو قال

---

(١) انظر الحدائق ص ١٨٦ ، ١٨٧

(٢) انظر الايضاح ص ٧٠

(٣) انظر المفتاح ص ٨٥

(٤) الآية ٢ من سورة الاخلاص .

(٥) (٦) من الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٧) انظر الحدائق ص ١٨٨

ذلك اظهاراً للنصفه ولئلا يتّهم بالعصبيّة لنفسه ، وأيضاً ليستدرجهم للدخول فى الإيمان [١] .

هذا بيان جيد فى توجيه الآية من الشارح لكنه لم يشر الى أن الآية ليست من باب المسند إليه ، وان كانت من وضع الظاهر موضع المضمر ، هذا وقد تبين لى أنّ السكاكى [٢] ، والخطيب [٣] لم يشيرا إلى ذلك الغرض من أغراض وضع الظاهر موضع المضمر فضلاً عن ذكر الآية والطيبى قد انفرد دونهما بذكر ذلك .

كما ذكر الطيبى أنّه قد يوضع المظهر موضع المضمر من غير لفظه السابق ، واستشهد له بقول الشاعر :-

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد [٤]

وقد بيّن الشارح موضع الشاهد فى البيت ومعناه ، والصورة البيانيّة التى تضمّنها ، فذكر أنّ الشاعر أقام الغدر فى قوله [إلى الغدر] مقام الضمير وكان مقتضى الظاهر أن يقول إليه أى إلى كيسان فعدل إلى الغدر وهو من غير لفظه السابق ، والشاعر فى هذا البيت يصف قوماً إذا نادوا الغدر ، وقالوا ياغدر أسرع إليه كهولهم قبل شبانهم ، ونداؤهم الغدر على سبيل الإستعارة بالكناية مبالغة فى غدرهم ، ونقضهم المواثيق ، ويجوز أن يكون الدّاعى بعض القوم ، والمدعو بعضهم فعلى هذا يكون التقدير إليهم فوضع الغدر موضع ضمير الجمع فى المبالغة حينئذ فى جعلهم نفس الغدر كرجل عدل . [٥]

هذا توجيه جيّد للشاهد من الشارح رحمه الله تعالى يبرز دقّة فهمه فى توجيه معانى الأبيات ، وقد تبيّن لى أنّ السكاكى ، والخطيب لم يشيرا إلى هذه المسألة فضلاً عن ذكر البيت .

٣ - وضع ضمير الجمع مكان ضمير الواحد :-

ويأتى لعدّة أغراض التنزيه عمّا لا يليق بالمتكلم ، واستشهد له بقول الشاعر :-

إنّا بنى نهشل لاندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا [٦]

أمّا الشارح رحمه الله فذكر أنّ الشاعر يفخر بنفسه وبقبيلته فيقول أنا لا أنتسب إلى غير أبى فوضع ضمير الجمع مكان ضمير المفرد ، ويقول أيضاً أبى لا يبدلنى بغيرى من الأبناء ، فوضع ضمير الجمع موضع ضمير المفرد للتعظيم ، والتنزيه ، فالبيت اشتمل على ثلاثة أنواع من التعظيم أحدها

---

(١) انظر الحدائق ص ١٨٨ ، ١٩٠
(٢) انظر المفتاح ص ٨٥ ، ٨٦
(٣) انظر الايضاح ص ٦٩ ، ٧٠
(٤) انظر الحدائق ص ١٩١
(٥) انظر الحدائق ص ١٩١ ، ١٩٣
(٦) انظر الحدائق ص ١٩٦

تعظيم القبيلة ، وثانيها تعظيم الأب ، فإنّ الشاعر لا يعدل عنه إلى غيره لافتخاره به ، وثالثها تعظيم نفسه من جهات اثنتين منها فى قوله ((إنّا بنو نهشل)) حيث وضع الجمع موضع ضمير المفرد والثالثة أنّ أباه لم يبدله بغيره من الأبناء . (١)

هذا مجمل ماذكره الشارح رحمه الله تعالى حول البيت، ويدلّ على دقّة فهمه ، وعمق شرحه للنصوص الشعرية، وقد تبيّن لى أنّ السكاكى (٢) والخطيب (٣) لم يشيرا إلى هذه المسألة فضلاً عن ذكر البيت وشرحه .

٤ - الالتفات :-

اعتبر السكاكى (٤) هذا الفن أحد وجوه تحسين الكلام التى تعود إلى المعنى لكنّه قدّم الكلام عليه فى أواخر حديثه (٥) عن المسند إليه على اعتبار أنّه وجه من وجوه اخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر أمّا الخطيب (٦) فعلى الرغم من أنّه تحدث عن هذا الفن فى أواخر كلامه عن المسند إليه كما فعل السكاكى لكنّه لم يشر إلى أنه وجه من وجوه تحسين الكلام التى تعود إلى المعنى ، أمّا الطيبى فقد خالف السكاكى فأشار إلى أنّه من خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر لكنّه فصّل القول فيه باعتباره أحد المحسنات المعنوية ، وقد أثرت اتباع الخطيب على اعتبار أنّه خروج للمسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر وإن كان فيه تنبيه للسامع وتنشيط لذهنه فهو من هذا الوجه يعتبر من المحسّنات .

وقد عرّف الطيبى الإلتفات بقوله ((هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث أعنى الحكاية، والخطاب والغيبة إلى الأخرى منها لمفهوم واحد رعاية لنكتة . (٧)

وقد بيّن الشارح وجه كون المفهوم فيه واحداً بأنك إذا كنت تخاطب صديقك عن شخص ثالث بأنّ من حاله كيت، وكيت ثم عدلت عن خطابك إلى الثالث لتقول له يافلان عليك أن تفعل كذا ، وأن تترك كذا ، فمفهوم المتحدث عنه فى الحالتين واحد لكنّك التفتّ من الخطاب إلى الغيبة لتنبيه مخاطبك واستدعاء اصغائه . (٨)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٩٦ ، ١٩٨
(٢) انظر المفتاح ص ٨٥ ، ٨٦
(٣) انظر الايضاح ص ٦٨ - ٧١
(٤) انظر المفتاح ص ١٨١
(٥) انظر المفتاح ص ٨٦
(٦) انظر الإيضاح ص ٧١
(٧) الحدائق ص ١١١٧
(٨) انظر الحدائق ص ١١١٧

أمّا الخطيب فقد سار مع جمهور علماء البلاغة في تعريفه للالتفات فقال :- ((هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها)).(١)

ومفهوم السكاكي للإلتفات يختلف عن مفهومه عند الجمهور فبينما يرى الجمهور وجود تعبيرين جاء الثاني منهما على خلاف مقتضى الظاهر ، فإنّ السكاكي لا يشترط وجود تعبيرين بل إنّه إذا جاء تعبير واحد على خلاف مقتضى الظاهر يعتبر التفاتاً فقول علقمة بن عبدة :-

طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقوله طحا بك تعبير واحد ، وكان مقتضى الظاهر أنْ يقول طحا بي وإنّما أورده على خلاف مقتضى الظاهر بغرض الإلتفات ، وهو تعبير واحد ، وعلى هذا كثير من ابتداءات الشعراء في مخاطبتهم لأنفسهم، أو لأحد قائهم على التجريد يعدُّ التفاتاً عند السكاكي .(٢)

أما على رأي جمهور البلاغيين ، ومنهم الخطيب ، والطيبي ، وتلميذه فلا يعدّ التفاتاً لأنّه ليس فيه انتقال من تعبير إلى آخر، ومفهوم السكاكي للإلتفات يظهر من خلال قوله ((واعلم أنّ هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية ينقل كلّ واحد منها إلى الآخر ، ويسمّى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعاني ، قال علقمة بن عبدة :-

طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب))(٣)

كما قسّم الطيبي الإلتفات إلى ستةأقسام : الأول : الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، الثاني الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، الثالث الانتقال من الحكاية إلى الغيبة ، الرابع الانتقال من الغيبة إلى الحكاية ، الخامس الانتقال من الخطاب إلى الحكاية ، السادس الانتقال من الحكاية إلى الخطاب .

وقد أورد في القسم الخامس وهو الانتقال من الخطاب إلى الحكاية قول امرئ القيس :-

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود

واعتبر الخطاب تجريداً فإنّ نفسه لما لم تتصبّر جردها ، وخاطبها تأنيباً لها ثم رأى التحزن كان تحزن صدق جعله كالغائب ثمّ لما رأى أن الحزن مخصوص به لا يتعداه بناه على الظاهر.(٤)

---

(١) الايضاح ص ٧١

(٢) انظر بحوث المطابقة ص ٢٥٧ ، ٢٥٨

(٣) المفتاح ص ٨٦

(٤) انظر الحدائق ص ١١١٧ ، ١١١٩ ، ١١٢١ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٧

أما الشارح رحمه الله تعالى فإنّه أيد كلام أستاذه بأنّ قول امرىء القيس تطاول ليلك تجريد بما ذكره أبو علي الفارسي ، وابن جنى وابن الأثير أنّ قول الأعشى :-

- وهل تطيق وداعا أيّها الرجل -

تجريد ، وذكر أنّ حمل كلام امرىء القيس على التجريد هو الحق ،وخالف فى ذلك الزمخشرى والسكاكى اللذين ذكرا أنّه التفات .(١)

والذى ظهر لى أنّ الخطيب أيضاً لم يعتبر بيت امرىء القيس التفاتاً على المشهور، وإنْ لم ينص على كونه تجريداً وذكر توجيه الزمخشرى ، والسكاكى فى اعتبارهما البيت التفاتاً .(٢)

فهذا الموضع أحد المواضع التي خالف فيها الطيبى، وتلميذه رأى السكاكى ، وسارا مع رأى جمهور البلاغيين .

خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر :-

ذكر البلاغيّون أنّه يأتى على عدّة صور ذكروا منها :-

١ - الأسلوب الحكيم :-

هذا المبحث أورده السكاكى فى ختام كلامه فى علم المعانى باعتباره وجها من وجوه إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .(٣)

بينما الخطيب تحدّث عنه فى أواخر كلامه فى المسند إليه على اعتباره وجهاً من وجوه الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر (٤)

أما الطيبى فجعله ضمن المحسنات المعنويّة فى علم البديع وقد آثرت اتباع الخطيب فألحقت الأسلوب الحكيم بمباحث المسند إليه ، وقد عرّف الطيبى الأسلوب الحكيم بقوله :- ((هو تلقى المخاطب بغير مايترقّب تنبيهاً به على أنّه أولى بالقصد أو تلقيه بغير مايتطلب)) (٥) والفرق بين تلقى المخاطب بغير مايترقّب وتلقيه بغير مايتطلب كما ذكر الشارح رحمه الله تعالى أنّ الثانى

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٢٤ ، ١١٢٥

(٢) انظر الإيضاح ص ٧٣

(٣) انظر المفتاح ص ١٤٠

(٤) انظر الايضاح ص ٧٥

(٥) الحدائق ص ١١٥١ ، ١١٥٤

مبنى على السؤال والجواب بخلاف الأول .[١]

وقد ظهر لى أن تعريف الطيبى يقرب جداً من تعريف السكاكى والذى قال :-

((هو تلقى المخاطب بغير مايترقب .....

أو السائل بغير مايتطلب .....

ينزل سؤال السائل منزلة سؤاله لتوخى التنبيه له بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل عنه ،أو أهم له إذا تأمل)) .[٢]

بل إن الخطيب اعتمد هذا التعريف ، وذكر أن السكاكى هو الذى سمّى الأسلوب الحكيم بهذا الاسم ، أما الإمام عبد القاهر سماه المغالطة ، يقول الخطيب ((ومن خلاف المقتضى ماسماه السكاكى الأسلوب الحكيم ، وهو تلقى المخاطب بغير مايترقب بحمل كلامه .....

.....وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة .....)) .[٣]

وقد استشهد الطيبى لتلقى المخاطب بغير مايترقب تنبيها به على أنه أولى بالقصد يقول القبعثرى للحجاج عندما هدد بأنه سيحمله على الأدهم والأشهب وعنى به القيد ردّ عليه بأن مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، فأبرز وعيده فى معرض الوعد ، وذمّه فى معرض المدح بألطف وجه .[٤]

وقد تأثر الطيبى فى توجيه الشاهد بما ذكره السكاكى الذى تأثر به الخطيب أيضاً فقد قال السكاكى ((.....مبرزاً وعيده فى معرض الوعد متوصلاً أن يريه بألطف وجه أن امرأ مثله في مسند الاسرة المطاعة خليق بأن يصفد لا أن يصفد ، وأن يعد لا أن يوعد)) .[٥]

وقد قال الخطيب فى تعليقه على الشاهد :- ((فإنه أبرز وعيده فى معرض الوعد وأراه بألطف وجه أن من كان على صفته فى السلطان ، وبسطة اليد فجدير بأن يصفد لا أن يصفد)) .[٦]

أما الشارح رحمه الله فإنه نظر إلى جوانب أخرى فى الشاهد ، فذكر أن قوله لأحملنك إبهام لطيف ، فإذا نظر إلى مقام الوعيد كان الأدهم بمعنى القيد وإذا نظر إلى مقام الوعد كان

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٥٤

(٢) المفتاح ص ١٤٠

(٣) الايضاح ص ٧٥

(٤) انظر الحدائق ص ١١٥١

(٥) المفتاح ص ١٤٠

(٦) الايضاح ص ٧٥ ، ٧٦

الأدهم بمعنى الفرس ، كما ذكر أنّ الشاهد اشتمل على بعض الفنون البديعية الأخرى إذ فيه الايهام ، وفيه التجاهل ، وفيه الأسلوب الحكيم ، وفيه رائحة من معنى المشاكلة بين الأدهم والحمل عليه ، وفيه التوجيه فإذا أريد الوعد كان مدحاً وإذا أريد الوعيد كان ذمّاً ، وقصد بمثل الأمير من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة ولم يقصد أحدا يجعله مثل الأمير فإنّ فى ارادة النظير القصد الأولى الموصوف وتتبعه الصفة وفى ارادة الصفة القصد الأولى الصفة ، ويتبعها الموصوف ضمناً ، وهذا أعم من الأول . (١)

فالشارح لم يكتف ببيان موضع الشاهد فى المثال كما فعل السكاكى ، وتبعه الخطيب ، والطيبى كما رأينا ، وإنّما كانت لهنظرات فى جوانب أخرى من الشاهد .

أمّا السعد (٢) فإنّه لم يخرج عن بيان موضع الشاهد فى المثال أمّا تلك النظرات التى ذكرها الشارح فلم أعثر عليها عنده .

٢ - القلب :-

ألحق الطيبى هذا البحث بالجناس (٣) القلبي وهو من أقسام الجناس ، ويتبع فنّ الفصاحة عنده .

أمّا السكاكى فألحقه ببحث تنكير المسند ، ويتبع علم المعانى فقال :-

((وإنّ هذا النمط سمّى فيما بيننا بالقلب ، وهى شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ، ولها شيوع فى التركيب ، وهى ماتورث الكلام ملاحة ، ولا يشجّع عليها إلّا كمال البلاغة تأتى فى الكلام ، وفى الأشعار وفى التنزيل . . . . .)) . (٤)

بينما الخطيب (٥) جعل هذا البحث في أواخر مباحث المسند اليه عند كلامه عن الخروج على خلاف مقتضى الظاهر .

وقد تبعت الخطيب فى إلحاق هذا البحث بمباحث المسند إليه باعتباره وجها من وجوه الاخراج على خلاف مقتضى الظاهر ، ذكر الطيبى أنّ القلب ردّه بعضهم مطلقاً ، والحقّ أنه إذا تضمّن لطيفه قبل (٦) والطيبى فى هذا متأثر بما ذكره الخطيب (٧) من أن بعضهم قبل القلب مطلقاً منهم السكاكى

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٥١ ، ١١٥٣

(٢) انظر المطول ص ١٣٥ ، ١٣٦

(٣) انظر الحدائق ص ١٦١٣

(٤) انظر الايضاح ص ٧٧

(٥) المفتاح ص ٩١

(٦) انظر الحدائق ص ١٦١٣

(٧) انظر الايضاح ص ٧٧

وبعضهم ردّه مطلقاً ، والحقّ أنّه إذا تضمّن اعتباراً لطيفاً قبل وإلّا ردّ ، ذكر الشارح أن ممن ردّ القلب ابن الأثير ، كما ذكر الطيبي أن القلب يكون في التراكيب ، ويكون في المعاني [١].

وذكر الشارح أنّ القلب في التراكيب يكون في ألفاظ ظاهرها التقديم والتأخير فيجب التغيير فيها لصحة المعنى ، أمّا القلب في المعاني فلا يعتبر فيه التقديم والتأخير بل العقل يحكم بضدّ المفهوم فإنّ قوله قاتله الله مثلاً في الظاهر دعاء عليه والمعنى المراد الدعاء له [٢] ، وقد استشهد الطيبي للقلب في التراكيب بقول أبي تمام في القلم :-

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه ... وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أي لعابه لعاب الأفعى فعكس التشبيه . [٣]

أمّا الشارح رحمه الله فشرح المفردات الغريبة للبيت ، وموضع الشاهد فيه فذكر أنّ اللعاب ما يسيل من الفم ، الأرى العسل ، الجنى ما يجنى من الشجرة من الثمار ، اشتارته اجتنته العواسل الذي يأخذ العسل من بيت النحل .

كما ذكر أنّ قوله أرى الجنى يجوز أن يعطف على قوله لعاب الأفاعي عطف مفرد على مفرد ، والتقدير لعاب الأفاعي ، وأرى الجنى لعابه ، ويقدّر خبراً آخر ، ويجوز أن يكون من عطف الجمل والتقدير لعاب الأفاعي لعاب وأرى الجنى لعابه ، وقوله واشتارته حال من الضمير المستتر في الجنا لأنّه بمعنى المجنى لقد جرت العادة أن يشبّه مداد القلم الذي يكتب به في تهديد الأعداء ، وضررهم ، وما يجب أن يتّخذ في حقهم من القتل ، والنهب أن يشبّه ذلك بسمّ الأفاعي ، وأن يشبّه الذي يكتب به ما ينفع الأولياء من منح العطايا ، والجوائز ، والتعيين في المناصب أنّ يشبه ذلك بمجنى الشهد الذي لم تعمله سوى الأيدي العواسل ، لكن الشاعر قلب التشبيه فجعل مداد القلم أصلاً في الاعتبار ، ولعاب الأفاعي ، وأرى الجنى متفرّعاً عليه بقصد المبالغة ، وهذه هي النكتة التي جعل بها القلب في البيت مقبولاً . [٤]

لقد أحسن الشارح بهذا البيان والشرح المتكامل للبيت من جهة شرح مفرداته ، واعراب بعض تراكيبه ، وتوضيح موضع الشاهد فيه ، وهو جهد يحسب له ، فقد ذكر الخطيب البيت شاهداً على القلب المقبول لتضمّنه لنكتة . [٥]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦١٣ ، ١٦١٦

(٢) انظر الحدائق ص ١٦١٦

(٣) انظر الحدائق ص ١٦١٥

(٤) انظر الحدائق ص ١٦١٥ ، ١٦١٦

(٥) انظر الايضاح ص ٧٨

أمّا السعد [١] والبهاء السبكى [٢] فإنهما لم يذكرا البيت فضلاً عن أن يوردا شرحاً أو توجيهاً له .

٣ - وضع المستقبل موضع الماضى :-

أدرج الطيبى هذا المبحث ضمن مبحث كون المسند فعلاً ، ولكنى أثرت تقديمه ووضعه هنا على اعتبار أنه صورة من صور الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر .

ذكر الطيبى من أغراض وضع المستقبل موضع الماضى استحضار الصورة الماضية فى مشاهدة السامع كأنه ينظر إلى فاعلها حال وجود الفعل فيتعجب لها ، ومن الشواهد التى استشهد لها قول تأبّط شراً :-

بأنى قد لقيت الغول تهوى ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعاً لليدين وللجران

فإنّ الشاعر أراد أن يصوّر لهم الحال التى تشجّع فيها كأنّه يبصرهم إيّاها [٣] ، أمّا الشارح فذكر بيتاً قبلهما وهو :-

فمن ينكر وجود الغول إنى ... أخبّر عن يقين بل عيان

وشرح بعض المفردات الغريبة التى تضمنها البيتان السابقان ، وبين معناهما ، فذكر أنّ تهوى معناها تهبط ، وسهب فلاة واسعة ، والصحصحان المكان المستوى من الفلاة ، والجران مقدّم عنق البعير ، أو الفرس مابين المذبح والمنحر ، وقد عدل الشاعر من على إلى اللام فى قوله لليدين أى على اليدين ليفيد أنّه جعل اليد والجران للصرع ، واختصّ بهما لأنّ اللام للاختصاص اللغوى ومعنى البيتين يصف الشاعر جرأته ، وشجاعته ، وثباته عند الشدائد ويصوّر لقومه الحالة البديعية الشأن التى تمكن فيها من ضرب الغول ، ويبصّرهم تلك الحالة ، ويطلب منهم مشاهدتها ليتعجبوا من جرأته عند كل خطب ، وثباته عند كل هول ، وشدّة . [٤]

هذا وقد برز جهد الشارح فى شرح المفردات الغريبة للشاهد ، أمّا مايتعلق بالمعنى فقد بيّنت فى قسم [٥] التحقيق مدى تأثر الطيبى فى تعليقه السابق على الشاهد والشارح فى كلامه

---

(١) انظر المطول ص ١٣٧ - ١٣٩

(٢) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١/٤٨٦ - ٤٩٣

(٣) انظر الحدائق ص ٣٥٦

(٤) انظر الحدائق ص ٣٥٦

(٥) انظر الحدائق ص ٣٥٧

حول معنى الشاهد وأيضاً السكاكي ،والخطيب مدى تأثرهم جميعا بما قاله الزمخشري حول معنى الشاهد ونقلت فقرات من كلام كل واحد للتدليل على ماقلت ، كما استشهد الطيبي لوضع المستقبل موضع الماضي بقصد استمرار وجود الفعل فيما يجيء حالاً فحالاً بقوله تعالى :- ((الله يستهزئ بهم)) [1] بعد قولهم :-((إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون)) [2] ، فاستهزاء الله أبلغ من استهزائهم لافادته الاستمرار وهو مايقتضيه المقام فاستهزاء الله بهم صار أمراً معتاداً ومستمراً ، ولم يقصد الإخبار بأنّه سيستهزئ بهم مستقبلاً يدلّ عليه اخبار الله تعالى عن معاملة هؤلاء القوم في قوله :-((أولا يرون أنّهم يفتنون في كل عام مرّة أو مرتين)) . [3]

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن الأمر جاء على العكس في قوله تعالى ((وهو خادعهم)) [4] في مقابلة ((يخادعون الله)) [5] لأنّ المقام اقتضى هذا ، وهو مايجب على دارس فن البلاغة ملاحظته ، فإنّهم لمّا عبّروا عن خلاف مايسرّونه في قولهم ((ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله)) [6] أوقع يخادعون تفسيراً لما سبق فيخادعون جاء على ظاهره ليس مراداً به الاستمرار لهذا جاء ردّ الله تعالى عليهم أبلغ من قولهم حين قال :-((وهو خادعهم)) لأنّ الجملة الاسميّة تفيد الثبات والدوام ، فهذا ما اقتضاه المقام بخلاف قوله ((الله يستهزئ بهم)) فإنّه جاء جزاء لاستهزائهم وادعائهم أنهم بلغوا غاية الاستهزاء حينما جاءوا بأسلوب الحصر ، واسمية الجملة في قولهم ((إنّما نحن مستهزئون)) ، فكان ردّ الله عليهم أبلغ من دعواهم فإنّ تجدد الاستهزاء مع استمراره أشدّ من بقائه دائماً فإنّ العذاب إذا استمرّ دون تجدد صار طبيعة ، وعادة مألوفة بخلاف مالو استمرّ مع التجدد لهذا كان ردّ الله عليهم ((الله يستهزئ بهم)) أبلغ من قولهم ((إنّما نحن مستهزئون)) وهذا مايقتضيه المقام [7] .

ويظهر لي أنّ استخراج مثل هذه الأسرار البلاغية اللطيفة التي تميّز بها النظم القرآني تعدّ من أبرز جهود الشارح في كتابه، وسنجد مثل هذه التأملات في النظم القرآني كثيراً عنده مما يدلّ على قدرته على التطبيق وسبر أغوار النظم القرآني لاستخراج بعض أسراره البلاغيّة وسوراً من اعجازه الذي جاء في نظمه مما فتح الله به عليه .

---

(١) من الآية ١٥ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٤ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ١٢٦ من سورة التوبة أنظر الحدائق ص ٣٥٩ ، ٣٦٢

(٤) (٥) من الآية ١٤٢ من سورة النساء.

(٦) الآية ٨ ومن الآية ٩ من سورة البقرة .

(٧) انظر الحدائق ص ٣٥٩

كما استشهد الطيبي لوضع الحال موضع الماضي ليفيد العادة، والدأب بالحديث الذي أخرجه الامامان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى وفيه ((إنّ الرجل ليصدق حتى يكتب صدّيقا)) ، فإنّ حتى للتدرج .[1]

أمّا الشارح رحمه الله فذكر الحديث كاملاً فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :- ((إنّ الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي الى الجنة ، وإنّ الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا ، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابا)) .

وذكر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم رتّب على قوله ((ليصدق)) أموراً ثلاثة كلّ منها يستلزم الاستمرار ، الأول ورود لفظ حتى فإنّه لو لم يقصد بيصدق معنى الاستمرار أي يصدق حالاً فحالاً ، وطورا فطورا حتى يصير صديقا لما كان لوجوده معنى فإنّها تفيد التدرج في الغاية الثاني إيراد صيغة الكتب التي تفيد الإثبات والتقدير فإنّ الحاكم لا يثبت حكمه إلّا بعد استكمال القضية، والدعوى الثالث بناء الصدّيق فإنّه للكثرة، والمبالغة نحو قوله تعالى ((واذكر في الكتاب ابرهيم إنّه كان صدّيقاً نبيّا))[2] والمعنى أن الرجل يصدق حتى يصير الصدق عادة له، وصفة راسخة ، ويدخل في زمرة الصديقين .[3]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول الحديث وقد برز جهده في تركيزه على موضع الشاهد فيه، ويظهر لي أن ماذكره ينطبق أيضاً على قوله ((حتّى يكتب عند الله كذابا)) ويبدو أنّ الشارح اكتفى ببيان أحد الموضعين، وذلك للاختصار ، واعتماداً على ذهن الدارس وأنه سيقيس الموضع الثاني على الأول

٣ - وضع الماضي موضع المستقبل :-

تحدث الطيبي عن هذه المسألة ضمن كلامه في مبحث كون المسند فعلا لكنّي آثرت تقديم الكلام فيه إلى هذا الموضع باعتباره صورة من صور الخروج على خلاف مقتضى الظاهر واتباعاً لما سار عليه الخطيب[4] الذي اعتبره وجها من وجوه الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، وتحدّث عنه في ختام كلامه عن مباحث المسند إليه .

ذكر الطيبي من أغراض وضع الماضي موضع المستقبل ابراز غير الحاصل في معرض الحاصل ، إمّا لأن المخبر صادق في وعده، واستشهد له بقوله تعالى ((إنّا فتحنا لك فتحاً مبينا))[5] .

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٥٩

(٢) من الآية ٤١ من سورة مريم .

(٣) انظر الحدائق ص ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢

(٤) انظر الايضاح ص ٧٦ ، ٧٧

(٥) الآية ١ من سورة الفتح ، وانظر الحدائق ص ٣٦٢

أمّا الشارح رحمه الله فذكر أنّ مثل أسلوب قوله تعالى ((إنّا فتحنا)) لا يرتكبه إلّا من له قهر وسلطان ، وفي الأمور التي يعظم منالها ، ويعزّ الوصول إليها من ذلك أكثر ماجاء في القرآن في وصف أحوال القيامة ، ولاشك أنّ فتح مكة تعدّ من الأمور التي يعظم منالها لأنّها من أمهات الفتوح ، وبه دخل الناس في دين الله أفواجا ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار ، والاستعداد للمسير إلى دار القرار ، وقد نزلت سورة الفتح عام الحديبية قبل فتح مكة .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح يتبين من خلاله تمكنه من دراسة الأساليب القرآنية وما تميزت به .

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٦٢

الفصل الثالث : أحوال المسند :-

تركـه :-

ذكر الطيبي بالاضافة إلى مبحث تركه أي المسند مبحث ترك الفعل وجعله [١] مبحثاً مستقلاً ضمن مباحث المسند بينما السكاكي [٢] أورد مبحث ترك المسند ضمن مباحثه، وأورد مبحث ترك الفعل ضمن فصل متعلقات الفعل ، أما الخطيب [٣] فلا نجد عنده مبحثاً مستقلاً باسم الترك الفعل لكن الذي يظهر من خلال الشواهد التي ذكرها أنه أدخل مبحث ترك الفعل ضمن مبحث ترك المسند على اعتبار أن الفعل لا يكون إلا مسنداً لهذا آثرت اتباعه فقدمت مبحث ترك الفعل عند الطيبي ، وأدمجته في ترك المسند ، وقد ذكر الطيبي عدة أغراض لترك المسند منها ضيق المقام، واستشهد له بقول المتنبي :-

قالت وقد رأت اصفراري من بـــه ... وتنهدت فأجبتها المتنهـــد

وتقدير المحذوف المتنهد هو المطالب . [٤]

أما الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن السكاكي اختار أن يكون المطالب هو الخبر المحذوف ، ورجحه على أن يكون هو المبتدأ إذ المعنى يساعد عليه ، وقد قال السكاكي :- ((إذا حمل على تقدير المتنهد هو المطالب دون هو المتنهد ، وستعرف في الحالة المقتضية لكونه اسماً معرفاً أي التقديرين أولى)) [٥] ، كما اعتبر الخطيب البيت من باب ترك المسند فقال :- ((أي المتنهد هو المطالب دون المطالب به هو المتنهد إن فسر بمن المطالب به لأن مطلوب السائلة على هذا الحكم على شخص معين بأنه المطالب ليتعين عندها لا الحكم على المطالب به بالتعيين ، وقيل معناه من فعل به فيكون التقدير فعل به المتنهد)) [٦] .

كما ذكر الشارح أن ناصر الدين الترمذي أحد شراح المفتاح سار مع السكاكي في اعتبار البيت من باب ترك المسند ، وأورد اعتراضاً لكنه أجاب عنه فذكر أنه لم لا يجوز أن تكون محبوبته تعتقد

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٥٠ - ٤٥٨

(٢) انظر المفتاح ص ٩٧ ، ٩٨

(٣) انظر الإيضاح ص ٨٠ - ٨٦

(٤) انظر الحدائق ص ٣٤٢

(٥) المفتاح ص ٨٩

(٦) الإيضاح ص ٨١

مطالباً باصفرار الشاعر لا تعرفه على التعيين حقيقة أو ادعاء فطلبت الحكم على المطالب به بالتعيين .

ويمكن الاجابة عن هذا أنّ المتنهد معلوم لها متعين عندها لكن المطالب بالاصفرار غير معلوم عندها على التعيين فجعل المتنهد بالمبتدئيّة أولى لكونه أعرف. (١)

كما ذكر الشارح أنّ التردد فى تقدير المحذوف في البيت هل هو المبتدأ أو الخبر إنّما نشأ من احالة السكاكى فى ترجيح أحد الوجهين إلى مبحث تعريف المسند ، وذكر هناك مثالين أحدهما لبيان فائدة الخبر نحو قولك زيد أخوك وأخوك زيد ، والآخر لبيان لازم الفائدة نحو قولك الذى أثنى علىّ بالغيب أنت أو أنت الذى أثنى على بالغيب ، فبعضهم حمل البيت على المثال الأول أى على اعتبار أنّه من باب فائدة الخبر فلو حملوه على المثال الثانى أى من باب لازم فائدة الخبر لظهر وجه الرجحان ، فإنّ الأصل فى جواب الشاعر أن يقول أنت عن سؤالها من به؟ والتقدير المطالب أنت وهذا يقتضى أن السائلة تعرف أنك تعلم أنها المطالبة بثأرك لكنها استخبرت عن حالك هل تحكم على المطالب أنّه هى أم لا ، فأجابها الشاعر ، وقدّم لها ما طلبت الحكم عليه بتقدير المطالب أنت أو يكون التقدير أنت المطالب ، وهذا يقتضى أنّ السائلة تصورت تعدّد الفاعل من هو أهى أم غيرها فجاء جوابه المقدّر أنت المطالب على طريقة أنا الساعى فى حاجتك لا غيرى أى أنت المطالبة لا غيرك وإنّما عدل من ضمير الخطاب إلى المتنهد روماً للمشاكلة ، وليشير إلى أنّ المترحم هو الظالم هذا الذى يقتضيه المقام ، ويعضد هذا الوجه البيت الذى قبل بيت الشاهد :-

إنّ التى سفكت دمى بجفونها ... لم تدر أنّ دمى الذى تتقلد

والبيت الذى بعد بيت الشاهد :-

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها ... لونى كما صبغ اللجين العسجد

يعنى استحيت فاصفرّ لونها ، وقد اعترض بأنّ الحياء يحمّر اللون ، ولا يصفّره .

وأجاب الواحدى أحد شرّاح ديوان المتنبى أنّ الحياء كان مختلطاً بخوف الفضيحة أو الرقيب أو أن يطالب بدمه فاستشعارها ذلك غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فيرى أنّ غلبة الاصفرار على الإحمرار بسبب العشق ، فإنّ السائلة لما رأت أنّ الاصفرار والقتل اللذين لحقا بالشاعر كان بسبب حبها ، وتحقّقت من ذلك تنهدت ، وتنفّست الصعداء من الحبّ الذى خالط شغاف قلبها ، وظهر أثر ذلك على لونها ، فكما تأثّر باطنها بباطنه تأثر ظاهرها بواسطة ظاهره ، وهذه هى النكتة من جعل لونى المفعول الثانى لصبغ ، وهذا التخريج لاصفرار اللون بخلاف تخريج الواحدى من أن الصفرة بسبب الخوف . (٢)

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٤٢

(٢) انظر الحدائق ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت الشاهد يتجلّى فيه دقّة فهمه لكلام السكاكى ونظرته البلاغيّة فى توجيه الشاهد فإنّ اقتضاء المقام هو الحكم الفيصل فى ترجيح توجيه على آخر ، كما يتجلّى ذوقه الرفيع فى فهم البيت ، ونظرته المتكاملة فلم يكتف بدراسة بيت الشاهد منفرداً بل نظر إلى ماسبقه وماتبعه ويعرف الغرض الذى سيق له الكلام ، ومثل هذه الدراسة للشواهد البلاغية قلّ أن نجدها عند البلاغيين . ، وقد تبيّن لى أن السعد [١] وابن السبكى [٢] لم يذكرا بيت الشاهد عند كلامهما عن ترك المسند فضلاً عن أن يذكرا مثل توجيه الشارح ، أو نحوه لأنّ الخطيب لم يذكر بيت الشاهد فى التلخيص ضمن شواهد ترك المسند ، وذكره فى الإيضاح وقد نقلت تعليقه عليه سابقاً .

كما ذكر الطيبى أنّ ترك المسند يكون للتعويل على أقوى الدليلين ونحو قوله تعالى :- ((والله ورسوله أحقّ أن يرضوه)) [٣] ، والمقصود بالدلالتين دلالة اللفظ ودلالة العقل ، وأقواهما دلالة العقل [٤]

أمّا الشارح فقد بين أنّ الذى اقتضى التقدير فى هذه الآية أنّ الضمير فى يرضوه يقتضى مرجعاً ، ولا يجوز أن يرجع إلى الله ورسوله معاً فيكون المرجع أحدهما ، وتكون جملة أحق خبراً عنه ويقدّر للآخر مثله ، ورأى سيبويه الذى ذكره أبو البقاء أن أحق خبر لرسوله وخبر لفظ الجلالة محذوف ، وهذا أقوى مما لو قدر أحق خبر للفظ الجلالة ، وقدر خبر للمبتدأ الثانى إذ يلزم التفريق بين المبتدأ والخبر ، ويدعم هذا التقدير قول الشاعر :-

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأى مختلف

فهو صريح أن خبر الأول محذوف ، والتقدير راضون لأن الخبر المذكور أعطى للمبتدأ الثانى أنت [٥] .

فالشارح تبع توجيه سيبويه ، وتبعاً له العكبرى على اعتبار أنّه أقوى ، وهذا جهد حسن للشارح فى اختياره للرأى الأقوى وتعليله لهذا الإختيار أمّا الخطيب فانه ذكر الآية شاهداً على ترك المسند بغرض الاختصار دون ضيق المقام ، وذكر توجيهين للآية أحدهما منعه الشارح ، والآخر اعتبره غير قوى يقول الخطيب :-

((..... وإمّا بدون الضيق كقوله تعالى ((والله ورسوله أحق أن يرضوه)) على وجه أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون جملة واحدة وتوحيد الضمير لأنّه لا تفاوت بين رضا الله

---

(١) انظر المطول ص ١٣٩ - ١٤٥

(٢) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٢ / ٢ - ١٨ .

(٣) من الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٤) انظر الحدائق ص ٣٤٥

(٥) انظر الحدائق ص ٣٤٥

ورضا رسوله فكانا فى حكم مرضىّ واحد .....)) .[1] ، فهو لم يذكر التوجيه الأقوى، وهو توجيه سيبويه الذى ارتضاه الشارح كما ردّ البهاء السبكى التوجيه الثانى للخطيب، وهو أن يكون أحقّ خبرا عنهما ، وتوحيد الضمير لأنّه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ، ردّ البهاء السبكى هذا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أنكر على الخطيب قوله ((ومن عصاهما)) فإذا امتنع الجمع بين الله ورسوله بضمير التثنية فمع ضمير الافراد المنع يكون من باب أولى ، وقيل إنّما نهاه لأنّه وقف على ومن يعصهما ، وقيل لغير ذلك .[2]

من هذا يتبيّن لنا ظهور كلام الشارح فى اختياره للتوجيه الأقوى .

كما ذكر الطيبى فى ترك الفعل أنّه يترك إذا كان مفسّرا واستشهد له بقول الشاعر :-

إن ذو لوثة لأنا[3]

أمّا الشارح فذكر البيت كاملاً وهو :-

اذن لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لأنا

وشرح بعض المفردات فالحفيظة الغضب واللوثة بالضم الضعف وبالفتح القوة كما بيّن موضع الاستشهاد فى البيت بأنّ تقدير الفعل المحذوف فى البيت إن لان ذو لوثة ، وإنّما وجب تقدير الفعل لأنّ الشرط يدخل فيما فيه تردد، واحتمال فإذا جاء بعده الاسم وجب أن يقدر الفعل .

والمعنى يقول الشاعر لو كنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة ، ولو استباحوا إذن والله لانتصر لى معشر ذو شدّة ، وشوكة أشداء على أعدائهم عند ملاينة غيرهم بسبب الضعف وبقومى لوثة لهذا استبيحت إبلى .[4]

فالشارح قد أحسن ، وأجاد بهذا البيان الوافى فى شرح البيت من جهة مفرداته ، ووجه الاستشهاد به ، وبيان معناه بينما السكاكى[5] والطيبى ذكرا البيت دون أى تعليق مما يبرز أهمية ماقاله الشارح حول البيت .

---

(١) الايضاح ص ٨١

(٢) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٨/٢

(٣) انظر الحدائق ص ٤٥٠

(٤) انظر الحدائق ص ٤٥٠ ، ٤٥٢

(٥) انظر المفتاح ص ٩٧

ذكـــره :-

ذكر الطيبي من أغراض ذكر المسند إذا قصد التعجب من المسند إليه نحو زيد يقاوم الأســـــد مع دلالة قرائن الأحوال .[١]

وقد اعتمد الطيبي فيما ذكره السكاكي اعتماداً حرفياً فقد قال السكاكي :-((أو قصـد التعجيب من المسند إليه بذكره كما إذا قلت زيد يقاوم الأسد مع دلالة قرائن الأحوال)).[٢]

أمّا الشـــارح رحمه الله تعالى فذكر أنّ الخطيب اعترض على السكاكي أنّ التعجب يحصل بدون الذكر أيضاً إذا قامت قرينة .[٣]

وقد أجاب الترمذي عن هذا الاعتراض بأن حصول التعجب بدون الذكر ليس مثل مايحصـــل بالذكر .[٤]

كما ذكر الشارح في جوابه عن الاعتراض أنّ الكلام إذا كان مسوقاً لغرض جعل السياق له كأن ماعداه صار مرفوضاً ، فقولك زيد يقاوم الأسد أخبار لزيد ، ويلزم منه التعجيب من هذا الفعل فإذا قصد مجرّد الإخبار دون مايلزمه من التعجـــب فلا يقتضي ذكر المسند للاعتماد على القرائن ، أمّا إذا قصد التعجب فلابدّ من ذكره ليقف المستمع الذكي على الغرض المقصود ، وأيضاً ليصون البليـــغ كلامه عن العبث فإنّ التعجب المقصود إذا كان يتمّ بدون ذكر المسند في المثال فذكره له يعـــدّ عبثاً فعلى البليغ أن يتجنّب ذلك ، لهذا صرح السكاكي في هذا الغرض بذكر القصـــد[٥]

فجواب الشارح هذا عن اعتراض الخطيب جوابٌ قوي ، وردّه عليه كان ردّاً موفقاً يدلّ على تمكن الشارح من هذا الفن ، ودقّة فهمه لكلام السكاكي ، كما يدلّ على أنّه ليس كل ما اعترض به الخطيب على السكاكي وقال فيه نظر يسلّم له فيها فإنّ بعض تلك الاعتراضات يمكن الإجابة عنها لضعفها ، وعدم ثبوتهـــا عند المناقشة كالمثـــال السابق .

وقد تبين لي أنّ البهـــاء السبكي[٦] أورد اعتراض الخطيب دون أن يجيب عنه ، وهذا يبرز جهد الشارح في الاجابة .

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٥١
(٢) المفتاح ص ٩٠
(٣) انظر الايضاح ص ٨٦
(٤) انظر الحدائق ص ٣٥١
(٥) انظر الحدائق ص ٣٥١
(٦) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٢٠/٢ .

كونه فعـــلاً :-

ذكر الطيبى من أغراض مجيء المسند فعلاً إذا أريد تخصيصه بأحد الأزمنة اختصاراً ليفيد التجـدد كقوله تعالى ((ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)) [1] أى فريقا فرغتم عن تكذيبهم ، وفريقاً فرغتم عن قتلهم ، وها أنتم تبذلون جهدكم فى قتل محمد صلوات الله عليه . [2]

هذا وقد تأثّر الطيبى بما ذكره السكاكى ، والذى قال :- ((وأمّا الحالة المقتضية لكونه فعـــلاً فهى إذا كان المراد تخصيص المسند بأحد الأزمنة على أخصر مايمكن مع افادة التجدد ..... وقوله ((ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)) أى فريقاً كذبتموه على التمام ، وفرغتم عن تكذيبه مابقى منـــه غير مكذب ، وفريقاً تقتلون ماتيسّر لكم قتله على التمام ، وإنّما تبذلون جهدكم أن تتموا قبلـــــه فتحومون حول قتل محمد فأنتم بعد على القتل)) [3] ، كما تأثّر بالسكاكى الخطيب أيضاً حيث قال :-
((وأمّا كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر مايمكن مع افادة التجدد)) . [4]

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فأورد اعتراض ناصر الدين الترمذى أحد شرّاح المفتاح على السكاكـــى فى كلامه السابق ، وهو اعتراض يرد على الطيبى والخطيـــب لأنّهما اعتمدا ماذكره السكاكى ، ومضمون هذا الاعتراض أنّ تخصيص المسند بأحد الأزمنة على أخصر مايمكن لايشترط أن يضمّ إليه افادة التجـدد إذ قد يقتضى المقام أن يؤتى بالمسند فعلاً لمجرد الاختصار ، أو لمجرد التجدد لأنّ الاختصـــار لازم لايراد المسند فعلاً مخصّصاً بأحد الأزمنة ، وهذا من خصائص الفعل أيضاً افادة التجدد فـــى الفعل تعدّ من خصائصه ، فإذا أريد هاتان الخصيصتان ، أو إحداهما أتى بالمسند فعـــــلاً ضرورة فتقييد السكاكى الاختصار بالتجدد ، وتخصيص بغير دليل . [5]

وقد أجاب الشارح عن هذا الاعتراض أنّ الكلام إذا سيق لغرض معيّن ، وكان متضمّناً لمعانى أخرى ، فإذا قصد بعضها بحسب اقتضاء المقام فلابدّ من البيان ، ففى بحث اثبات المسند بكونـــــه فعلاً ليفيد التجدد ، والحدوث لم يذكر الاختصار لأنّه لم يكن مقصوداً وإن لزمه ، وفى بحث حـــذف المفعول فى قوله تعالى ((يسقون)) [6] وقوله ((تذودان)) [7] وقوله ((لا نسقى)) [8] فإنّ الحـــذف

---

(١) من الآية ٨٧ من سورة البقرة .
(٢) انظر الحدائق ص ٣٥٤
(٣) المفتاح ص ٩٠
(٤) الإيضاح ص ٨٧
(٥) انظر الحدائق ص ٣٥٤ ، ٣٥٦
(٦) (٧) (٨) من الآية ٢٣ من سورة القصص .

فيها لمجرد الاختصار، وفي هذا الموضع قصد التجدد مع الاختصار لأنّ القصد إليهما ، فالمقام قد يقتضي في ايراد المسند فعلاً بغرض إفادة التجدد مع الاختصار، أو الاختصار بدون تجدد ، وقد يقتضي الاطناب مع التجدد ، أو الاطناب بدون تجدد [١]

هذا مجمل ما أجاب به الشارح عن اعتراض الترمذي ، ويتجلّى من خلال هذا الجواب نظرته البلاغية الصحيحة حيث احتكم في كلّ ماذكر إلى اقتضاء المقام ، وأنّ الكلام إذا سيق لغرض معين اقتضاه المقام اعتبر ماعداه كأنّه مرفوض مطّرح بل إنّ جهد الشارح يتجلى أكثر في هذا الجواب إذا ماعرفنا أنّ الخطيب والطيبي والسعد [٢] لم يشيروا إلى اعتراض الترمذي فضلاً عن الجواب عليه .

تعريف المسند :-

ذكر الطيبي عند تعريف المسند فإنّه مع كونه معلوماً لكن السامع يستفيد إمّا الحكم نحو قولك أخوك زيد ، أو زيد أخوك ، أو يستفيد لازم الحكم نحو قولك الذي أثنى عليّ بالغيب أنت، أو أنت الذي أثنى عليّ بالغيب لمن فعله ، فالتقديم في تلك الأمثلة جاء لغرض بلاغي . [٣]

وقد بيّن الشارح أن قولك الذي أثنى عليّ بالغيب أنت يحتمل واحدة من صور ثلاث ، الصورة الأولى تصوّر المثنى كالمستخبر عن المثنى عليه هل يحكم على المثنى أنه هو أم لا ، وفي هذه الصورة لا يحتمل تعدّد المثنين ، الصورة الثانية تصوّر المثنى كالطالب للحكم على المثنى المعتدّ ثناؤه ، وفي هذه الصورة يحتمل تعدّد المثنين حقيقة ، وقد ذكر هاتين الصورتين السكاكي ، والطيبي ، الصورة الثالثة هي تصوّر المثنى كالمستخبر من حال المثنى عليه هل يعتدّ ثناؤه المنقول إلى المثنى عليه أم لا . [٤]

كما بيّن الشارح أنّ قولك أنت الذي أثنى عليّ بالغيب يحتمل إحدى ثلاث صور الصورة الأولى تصوّر المثنى كالطالب من المثنى عليه الحكم على المثنى أنّه هو أم لا ، وفي هذه الصورة احتمال تعدد المثنين وهمي ، وليس حقيقيا .

الصورة الثانية تصوّرك المثنى أنّه توهم أن المثنى ليس إيّاه بل غيره فتقلب عليه الأمر أنّه هو لا غيره

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٥٤ ، ٣٥٦

(٢) انظر المطول ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٣) انظر الحدائق ص ٣٦٨

(٤) انظر الحدائق ص ٣٦٨

فهو قصر قلب ، الصورة الثالثة إذا فعل صاحبك مايلابس المدح ، ويستلزمه ثم نقل بمحضره ، ومحضر غيره أنّ أحداً أثنى عليك فتصوّره كالطالب للحكم أنّ المثنى من هو فتقول أنت الذى أثنى على بالغيب . (١)

فالفيصل فى كل ماضى من التقديم والتأخير مبناه على تصوّر المتكلم المخاطب فإنّ تصوره يطلب الحكم على الاسم بشيء فإنّه يقدم الاسم لأنّه معلوم ويتبعه بالشيء الذى يريد اثبات حكمه مثل زيد أخوك فإنّ تصور المتكلم المخاطب يطلب الحكم على الشيء فيقدم الشيء على الاسم مثل أخوك زيد . (٢)

يظهر لنا من خلال هذا الكلام تمكن الشارح ، ومقدرته على تشقيق ، وتفريع المسائل ، كما يبيّن دقة فهمه فى تفريقه بين الأساليب من خلال النظرة البلاغية التى تعتمد على اقتضاء المقام هو المحك الذى يميز أسلوباً عن آخر ، ودرجته البلاغية .

كما ذكر الطيبى فى مبحث متم لتعريف المسند أنّ المبتدأ والخبر إذا عرفا فالمقدم المبتدأ كقولك المنطلق زيد ، فالمنطلق بمعنى الشخص المنطلق ، وزيد بمعنى صاحب اسم زيد . (٣)

أمّا الشارح فإنّه تبع أستاذه فيما سار عليه وذكر أن فى هذا اشارة إلى رد من زعم أن اسم الذات هو المبتدأ قدم أو أخر واسم المعنى هو الخبر قدم أو أخر (٤) ، وقد تبين لى أنّ الطيبى فيما ذهب إليه تبع رأى السكاكى الذى قال :- ((وإذا تأملت ماتلوته عليك أعثرك على معنى قول النحويين رحمهم الله لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا كانا معرفتين معاً بل أيّهما قدمت فهو المبتدأ ، وما قد يسبق إلى بعض الخواطر من أن المنطلق دالّ على معنى نسبى فهو فى نفسه متعين للخبريّة ، وإنّ زيداً دال على الذات فهو متعيّن للمبتدئية تقدم أم تأخر ، فلا معرج عليه فإنّ المنطلق لا يجعل مبتدأ إلّا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق ، وأنّه بهذا المعنى لا يجب كونه خبراً وإن زيد لا يوقع خبراً إلّا بمعنى صاحب اسم زيد ، ويكون المراد من قولنا المنطلق زيد الشخص الذى له الانطلاق صاحب اسم زيد)) . (٥)

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٦٨ ، ٣٦٩

(٢) انظر الحدائق ص ٣٧١

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٣٧٢

(٥) المفتاح ص ٩٢

فالسكاكي بعد أن قرّر المذهب الذي سار عليه ، وتبعه الطيبي، وتلميذه ردّ على من ذهب أنه في حال تعريف المبتدأ والخبر فاسم الذات مبتدأ تقدم أو تأخر ، واسم المعنى خبر تقدم أو تأخر وهو مذهب الفخر الرازي في كتابه نهاية الايجاز ذكر ذلك البهاء السبكي ضمن أقوال أخرى في المسألة فبعضهم يرى أنه إن اختلفت رتبة التعريف بين المبتدأ والخبر فالأعرف هو المبتدأ، وبعضهم يرى أنك بالخيار أيهما شئت جعلته مبتدأ، وهو ظاهر قول سيبويه وأبي علي الفارسي[1].

فالبهاء السبكي ذكر الخلاف في المسألة دون أن يخوض في المناقشة ، أمّا الشارح فإنه أشار إلى ردّ مذهب الفخر الرازي الذي اعتبره السكاكي مذهباً مطّرحاً .

كما ذكر الطيبي أنّ في تعريفك للمبتدأ والخبر قدّمت ، أو أخرت يفيد الانحصار تقول زيد المنطلق ، والمنطلق زيد، وهذا الانحصار إمّا حقيقة نحو الله الخالق أو مبالغة نحو حاتم الجواد .[2]

أمّا الشارح رحمه الله فذكر أنّ تمثيل الطيبي بقوله الله الخالق بدل الله العالم الذات الذي أورده السكاكي نكتة سرّية ولطيفة بهيّة فإنّه لروافقه لمذهب مذهب المعتزلة ولو اقتصر على الله العالم لم يفد الحصر عنده فأورد الطيبي مثالاً يوافق مذهب أهل السنة ، ويخالف مذهب المعتزلة ، وقد تبيّن من هذه المخالفة مسألتان من مسائل الأصول احداهما أن الله تعالى عالم بالعلم لا بالذات كما هو مذهب المعتزلة، وثانيتهما أن الله خالق كل شيء ليس خالقاً غير الله .[3]

فهذا نصّ صريح يبيّن أنّ مذهب الطيبي مذهب أهل السنة والجماعة، ويدلّ على مقدرة الشارح في الموازنة بين ماذكره السكاكي، وبين ماذكره أستاذه ويبيّن ثمرة الخلاف .

تنكيره :-

ذكر الطيبي في هذا البحث أنه ليس في كلام العرب كون المسند إليه نكرة والمسند معرفة ، وأمّا قول الشاعر :-

- يكون مزاجها عسل وماء -

فمن القلب .[4]

---

(١) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٢/١٠٠ ، ١٠١

(٢) انظر الحدائق ص ٣٧٤

(٣) انظر الحدائق ص ٣٧٤

(٤) انظر الحدائق ص ٣٨٠

ذكر الشارح أنّ هذا عجز بيت، وصدره :-

كأنّ سلافة من بيـــــــــت رأس

وذكر أنّ القلب وقع فى كلام العرب للضرورة إذا أمن اللبس ، والقلب في البيت قلب لفظـــــى إذ القياس كان رفع المعرفة [مزاجها] ونصب النكرة عسل لكن الشاعر رفع ما حقّه أن يكـــــون منصوباً ، ونصب ما حقّه أن يكون مرفوعاً ،وهذا قلب لفظى لا تأثير له على المعنى إذ المعنى صحيح ، وقيل إنّ البيت من ضرورات الشعر ، وقيل إنّ الإضافة فى مزاجها بنيّة الانفصال أى مزاجاً لهـــا أو مزاجها ظرف أى فى مزاجها فسدّ الظرف سدّ الخبر ، وعليه فليس فيه قلب .

وذكر الجوهرى في الصحاح رواية أخرى وهى :- كأنّ سبيئة والسلافة أول مايسيل من العنـــب والسبيئة الخمر، وبيت رأس قرية بالشام مشهورة بالخمر .

كما ذكر الشارح بالاضافة إلى القلب اللفظى القلب المعنوى نحو قول العرب عرضت الناقة علـــى الحوض إذ لا يلتبس على أحد أن العرض يكون للحوض على الناقة ، فالقلب فيه معنوى فلـــذا صحّ .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح يبرز فيه دقة فهمه رحمه الله تعالى للأبيات ، وعنايته بتوجيهاتها ، وتخريجاتها الاعرابيّة ، هذا وقد درست مبحث القلب بالتفصيل فيما سبق من خلال الأمثلة عند الحديث عن الخروج على خلاف مقتضى الظاهر ذكرت فيه رأى السكاكى الذى يقبل القلب مطلقاً، ورأى الخطيـــب وتبعه الطيبى، وتلميذه ، فإنّه يقبل القلب إذا اشتمل على نكتة لطيفة .

تقديمه :-

ذكر الطيبى من أغراض تقديم المسند ارادة تخصيص المسند إليه به نحو تميمى أنا ، وقوله تعالى ((لكم دينكم ولى دين)) (٢) ، ذكر الشارح أنّ عبارة أستاذه [تخصيص المسند إليه به] أى قصر الموصوف على الصفة أولى من عبارة السكاكى :- تخصيصه بالمسند إليه (٣) أى قصر الصفـــة على الموصوف لأنّ الأمثلة لا تساعد عليه فإنّ الآية السابقة معناها أن دينكم مختصّ بكم لايتجـــاوزكم إلى الغير، ودينى مختصّ بى لايتجاوزنى إليكم فهما مقرّرتان للآيتين السابقتين ((لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد)) .(٤)

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٨٠ ، ٣٨١

(٢) من الآية ٦ من سورة الكافرون . وانظر الحدائق ص ٣٨٣

(٣) المفتاح ص ٩٥

(٤) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الكافرون وانظر الحدائق ص ٣٨٣

وقد ذكر السكاكي في موضع آخر أن قولك تميمي أنا من قصر الموصوف على الصفة فمقتضى عبارة السكاكي التخصيص للمسند بالمسند إليه وبمقتضى عبارة السكاكي هنا عكس هذا المعنى ، والفرق بينهما واضح ، وهذه الموازنة التي ذكرها الشارح بين عبارة شيخه وعبارة السكاكي تؤكد ماذكره في مقدمة الكتاب أنه درس كتاب شيخه دراسة متأنية وفاحصة ، وراجعه مراجعة دقيقة ، وهذا يدل على أنه أقدر من غيره على شرح كتاب شيخه .

كما ذكر الطيبي من أغراض تقديم المسند التشويق إلى المسند إليه واستشهد له بقول الشاعر :-

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

وذكر أنه كلما طال الكلام المتقدم كان أدخل في التشويق . (١)

أما الشارح رحمه الله تعالى فذكر البيت الذي بعده :-

يحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر

وذكر أن في تنكير ثلاثة فيه ضرب من الابهام ، ويفيد نوعاً من التشويق إلى معرفة المعدود ماهو ، وكذا وصف الثلاثة بتشرق الدنيا ببهجتها فيه زيادة تشويق للاهتمام بذلك ، وأن المقصود ليتمكن في الذهن كل التمكن كما ذكر أن الاشراق في الشمس والقمر حقيقة ، وفي أبي اسحاق مجاز ، فيمكن على وجه حمل الاشراق على التزيين فتكون حقيقة في الجميع بقرينة بهجتها ، ويمكن في وجه آخر ادخال الممدوح في جنس النيرين ادعاء ، ثم يحكم لها بالاشراق مثل قوله تعالى ((يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)) (٢) ، فإنه أدعى ادخال المستثنى وهو الاتيان بقلب سليم في جنس المال والبنون ، ويؤيد الوجه الثاني قول الشاعر الآخر :-

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء (٣)

هذا مجمل ماذكره حول بيت الشاهد ، وقد أحسن فيه ببيان وجه التشويق ، كما لم يفته بمناسبة شرحه للبيت أن يبين الصورة البيانية التي تضمنها .

وقد تبين لي أن السكاكي (٤) والخطيب (٥) ذكرا البيت لكنهما لم يعلقا عليه بشيء ، وقد نقل

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٨٣

(٢) من الآية ٨٩ من سورة الشعراء .

(٣) انظر الحدائق ص ٣٨٧

(٤) انظر المفتاح ص ٩٥ ، ٩٦

(٥) انظر الايضاح ص ١٠٢

الخطيب [١] عبارة السكاكي في أن مثل هذا الاعتبار يحسن عند تطويل الكلام نصاً وأشار إلى ذلك ، ولم يعترض عليه وقد اعتبر البهاء السبكي أن التشويق حاصل من وصف المسند ((ثلاثة)) بتشرق لا من المسند نفسه ، كما أورد توجيهاً آخر للشاهد نسبه للجرجاني مضمونه أن ثلاثة مبتدأ وصح الابتداء بها إما للافادة ، أو التشويق والخبر شمس الضحى ، وأبو اسحاق [٢] ، وبناء على توجيه الجرجاني يخرج الشاهد من هذا المبحث ، أما السعد فإنه أورد توجيهاً آخر للبيت مضمونه أن المسند تشرق والمسند إليه الضمير المستتر العائد إلى ثلاثة ، والدنيا ظرف أو مفعول به على تضمين تشرق معنى فعل متعد لأنه من أشرق ، وقد رده بقوله وهو سهو . [٣]

بعد هذا أقول إن الشاهد من باب تقديم المسند بغرض التشويق كما قاله السكاكي وتبعه الخطيب والطيبي ، والسعد ، والشارح الذي أحسن في توضيح وجه الشاهد فيه وبيان الصورة البيانية التي تضمنه .

إفـــــراده :-

ذكر الطيبي أن المقصود بافراد المسند كونه فعلياً وهو ما يكون مفهومه محكوماً به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه إذا لم يقصد به التقوى نحو ضرب زيد ، وزيد ضارب ، أما نحو زيد ضارب أخوه فملحق بالمفرد ، وخرج السببي من الباب نحو زيد أخوه ضارب لأنه مثل التقوى يستدعي جملة فالفرق بين زيد ضارب أخوه وبين زيد أخوه ضارب . فإن الأول ملحق بالمفرد لأن اسم الفاعل مع فاعله مضمراً كان أو مظهراً ليس بجملة ، أما الثاني فإن المسند فيه سببي ولهذا كانت قراءة ((أصلها ثابت)) [٤] أبلغ في المعنى من قراءة ((ثابت أصلها)) . [٥]

أما الشارح رحمه الله فذكر أن قراءة ((أصلها ثابت)) أقوى لأن وصف الثبوت جرى لأصل الشجرة بخلاف قراءة ثابت أصلها فإن وصف الثبوت على الشجرة أولاً ثم جرها الأصل إلى نفسه ، وأيده بما ذكره ابن جني في المحتسب من أنك إذا قلت ثابت أصلها ، فقد أجريت ثابتا صفة على شجرة ، وليس الثبات لها ، وإنما هو للأصل .

---

(١) انظر الايضاح ص ١٠٢

(٢) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١١٦/٢

(٣) انظر المطول ص ١٨٥

(٤) من الآية ٢٤ من سورة ابراهيم .

(٥) انظر الحدائق ص ٣٨٩ ، ٣٩١

فالصفة إذا كانت فى المعنى لما هو من سبب الموصوف جرت عليه وإذا كانت للموصوف كانت أخصّ به فلمّا كان وصف الثبوت للأصل فالمعتمد هو الأصل فقدم للاهتمام ، والعناية مثل تقديم زيد فى قولك زيداً ضربته ، فانه أبلغ من قولك ضربت زيدا فإنّ الغرض ذكر المفعول وليس ذكر الفاعل فقدّم للعناية ، أو للتخصيص ، وكذلك قولك مررت برجل أبوه قائم أقوى من قولك مررت برجل قائم أبوه لأنّ المخبر عنه بالقيام هو الأب وهو فاعل القيام لا الرجل . (١)

ويظهر لى أن تعليل الشارح فى أبلغية إحدى القراءتين على الأخرى وأبلغيّة بعض الأساليب على بعض يظهر لى أنّ الشارح فى هذا يتتبع خطى الامام عبدالقاهر الذى كرر فى كتابه دلائل الاعجاز أنه لاقيمة للحكم على أسلوب بأنه أبلغ من أسلوب آخر إلّا ببيان من أين كان أبلغ ولم كان أبلغ .

فهذه هى روح الدراسة البلاغية ، فالآية السابقة لم يعرض لها السكاكى أو الخطيب أو البهاء السبكى أو السعد فضلاً عن بيان وجه أبلغية إحدى القراءتين على الأخرى بل إنّ الزمخشرى الذى يعدّ أبرز المفسرين للقرآن تفسيراً بلاغياً لم يشر إلى ذلك فالطيبى أحسن باشارته إلى أبلغية قراءة أصلها ثابت على قراءة ثابت أصلها والفضل للشارح الذى أحسن بيان ذلك وذكر من خلالها وجه أبلغية بعض الأمثلة على بعض .

كونه جملة :-

فى هذا المبحث ذكر الطيبى أنّ المسند قد يكون جملة إذا كان سببيّاً أى يكون المسند الثانى مستنداً إلى متعلق المبتدأ نحو زيد أبوه انطلق ، أو منطلق ، وعمرو ضرب أخوه (٢) .

أمّا الشارح فذكر وجه تسميته سببيّاً فذكر أن الانطلاق فى قولك زيد أبوه انطلق أو منطلق أسند إلى أبى زيد بسبب الضمير الراجع إلى زيد فى قولك ((أبوه)) ولولا هذا الضمير لم يصح الإسناد ، والفرق بين قولك أبو زيد منطلق وقولك زيد أبوه منطلق أنّ الكلام فى الأول سوق للأب ، وذكر زيد لبيان اختصاصه به ، فليس لزيد مدخل فى الانطلاق فلو عدل من أبى زيد إلى علمه ونحوه لصحّ ، أمّا الثانى فالكلام فيه سوق لزيد أصالة ، وانطلاق أبيه جارٍ بسببه إذ لو لم يذكر انطلاق أبيه ، فضمير زيد هو سبب وجود انطلاق أبيه ، ويتّضح الفرق أكثر بين قولك

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٩١

(٢) انظر الحدائق ص ٣٩٣ ، ٣٩٥

أبو زيد كريم، وزيد أبوه كريم فإنّ الثاني نصّ في التعريض فإذا كان المقام مقام مدح عرض المدح لأن كرم الآباء يسري إلى الأبناء وإذا كان ذمّاً عرض بزيد ، أمّا المثال الأول فإنه يحتمل التعريض وغيره .[1]

وقد تبين لي أنّ السكاكي [2] ، والطيبي ، والخطيب [3] ، والبهاء السبكي [4] ، والسعد [5] رحمهم الله كلهم قد تحدث عن كون المسند جملة إذا كان سببيا ، ومثلوا له لكنهم لم يشيروا إلى التفريق بين مثل تلك الأساليب ، وقد تميز جهد الشارح في التفريق بينهما مما يدل على دقة نظره في فهم الأساليب فكلامه يدور مع التطبيق منه يبتدئ والبه ينتهي ، وهذه هي الدراسة التطبيقية السليمة التي تمس الجانب النظري مسّاً خفيفاً ، وتركز على الجانب التطبيقي من خلال الأمثلة والشواهد كما فعل الشارح رحمه الله تعالى .

تقييد المسند بالمفاعيل الخمسة والشرط :-

ذكر الطيبي أنّ تقييد المسند من نحو المفاعيل الخمسة ، والشرط يزداد الحكم بعداً .[6]

أمّا الشارح فذكر أن أستاذه ذكر لفظة ((من نحو)) لتشمل المنصوبات أصالة ، وهي المفاعيل الخمسة ، والحاقاً كالحال، والتمييز ، والاستثناء وغيرها .[7]

وقد تبيّن لي أنّ السكاكي قد ضرب بعض الأمثلة لمثل هذه التقييدات فقد قال :- ((وأمّا الحالة المقتضية لتقييده فهي إذا كان المراد تربية الفائدة كما إذا قيّدته بشيء مما يتصل به من نحو المصدر كنحو ضربت ضرباً شديداً ، أو ظرف الزمان كنحو ضربت يوم الجمعة أو ظرف المكان كنحو ضربت أمامك ، والسبب الحامل كنحو ضربته تأديبا ، أو المفعول به بدون حرف كنحو ضربت زيداً ، أو بحرف كنحو ضربت بالسوط ، أو ما ضربت إلّا زيداً ، أو المفعول معه كنحو جلست والسارية أو الحال كنحو جاء زيد راكباً، أو التمييز كنحو طاب زيد نفساً ، أو الشرط كنحو يضرب زيد إن ضرب عمرو ، أو إن ضرب عمرو يضرب زيد أخرت ، أو قدمت ، فهذه كلها تقييدات للمسند، وتفاصيل يزداد الحكم بها بعداً)) .[8]

---

(١) انظر الحدائق ص ٣٩٣ ، ٣٩٥

(٢) انظر المفتاح ص ٩٤

(٣) انظر الايضاح ص ٦٩

(٤) (٥) انظر عروس الأفراح ومختصر المعاني ضمن شروح التلخيص : ١٠٤/٢

(٦) (٧) انظر الحدائق ص ٤١٣

(٨) المفتاح ص ٩٠ ، ٩١

هذا وقد اعتمد الخطيب بعض هذه الأمثلة عند حديثه عن تقييد الفعل فقد قال :-((وأمّا تقييد الفعل بمفعول ، ونحوه فلتربية الفائدة كقولك ضربت ضرباً شديداً ، وضربت زيداً ، وضربت يوم الجمعة ، وضربت أمامك ، وضربت تأديباً ، وضربت بالسوط ، وجلست والسارية ، وجاء زيد راكباً ، وطاب زيد نفساً ، وماضرب إلّا زيد ، وماضربت الا زيدا)) .[1]

كما ذكر الطيبي أنّ خبر كان ليس بقيد بل القيد نفس كان [2] ، وهو في هذا يسير مع السكاكي الذي قال :- ((ولم أذكر الخبر في نحو كان زيد منطلقاً لأن الخبر هناك هو نفس المسند لا تقييد للمسند إنّما تقييده هو كان)) [3] ، وهذا ماسار عليه الخطيب حين قال :- ((والمقيد في نحو كان زيد قائماً هو قائماً لا كان)) .[4]

وقد أيّد الشارح ما ذكره أستاذه بتعليق الزمخشري على قوله تعالى :- ((فلم يك ينفعهم إيمانهم)) [5] حيث قال : ((لم يصحّ ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم)) .[6]

كما ذكر تعليق بعض المغاربة على الآية السابقة من أنّ دخول كان هو المبالغة في نفي الفعل فالنفي فيه باعتبارين باعتبار العموم ، وذلك في نفي الكون وباعتبار الخصوص ، وذلك في نفي النفع فيه نفي مرتين ، ثم عقب على كلام الزمخشري في تعليقه على الآية السابقة أنّ الزمخشري أراد بعبارته لا يصح ، ولا يستقيم تسليط النفي على الكون المتضمن للفعل المنفي كأنّه قيل هذا الفعل من الشؤون التي عدمها راجح على الوجود وأنّها من قبيل المحال ، ونظير الآية السابقة قوله تعالى :- ((وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأ)) .[7] لذلك عقبه الله تعالى ((ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنم)) [8] ، فقوله ((ماكان لمؤمن)) أي لم يصح ، ولم يستقم أن يقتل المؤمن مؤمناً عمداً لأنّ هذا العمل ناف لحاله بل هذا من شأن الكافر المارق الذي جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيما ، وهذا من باب التغليظ [9] كقوله تعالى :- ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين)) .[10]

---

(١) الايضاح ص ٨٨
(٢) انظر الحدائق ص ٤١٥
(٣) المفتاح ص ٩١
(٤) الايضاح ص ٨٨
(٥) من الآية ٨٥ من سورة غافر .
(٦) الكشاف : ٤٤٠/٣
(٧) من الآية ٩٢ من سورة النساء
(٨) من الآية ٩٣ من سورة النساء .
(٩) انظر الحدائق ص ٤١٥
(١٠) من الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

كما أيّد الشارح ماقاله أستاذه بما ذكره ابن الحاجب في الأمالي حول الأفعال الناقصة بالتوضيح ، فقد ذكر أنّ الأفعال الناقصة لا يصحّ أن تتعلق بها نسبة محققة مستقلة فعندما تقول كان زيد قائماً لم تردأنّ زيداً ثبت بل أردت أن القيام المنسوب إلى زيد ثبت ، وهذا القيام المنسوب إلى زيد حاصل بدون كان ، وإنما أتى بها لتقييد الخبر ، وهو القيام معنى مع بقائه خبراً على ماكان عليه في الابتداء ، كما أورد الشارح ماذكره الراغب في كتابه المفردات حول استخدامات كان في القرآن الكريم ، فذكر أن كان الناقصة إذا كان اسمها لفظ الجلالة أنبأت عن الأزلية كقوله تعالى :- ((وكان الله بكلّ شيء عليما))[1] وقد تستعمل في جنس الشيء فالوصف الموجود فيه لازم له قليل الانفكاك عنه كقوله تعالى ((وكان الانسان كفورا))[2] وقد تستعمل فيما لم يكن باقياً على حاله فحينئذ لا فرق بين أن يكون الزمان للمستعمل فيه قد تقدّم تقدماً كثيراً كقوله تعالى :- ((كنتم خير أمة أخرجت للناس))[3] وبين أن يكون الزمان قد تقدم بأن واحد[4] كقوله تعالى ((قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيّا))[5] . ويبدو لي أنّ الشارح رحمه الله تعالى بهذا البيان ، والتأييد لما ذكره أستاذه قد أجاد وأفاد بل انه عاد بالمسألة إلى أصولها عند العلماء السابقين كالزمخشري ، والراغب ، وابن الحاجب فالشارح بهذا البيان ، وما أورده من فوائد قد تميز جهده على السكاكي ، والخطيب ، والسعد[6] الذين عرضوا لهذه المسألة لكن لا تجد عندهم مثل هذا الشرح والبيان للمسألة كما فعل الشارح رحم الله تعالى الجميع على كل ماقدموا .

كما ذكر الطيبي في تقييد المسند بالشرط أنّ الجملة الشرطيّة جملة خبرية مقيّدة بقيد مخصوص.[7]

وقد تأثر الطيبي بما ذكره السكاكي ، والذي قال :- ((ان الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص محتملة في نفسها للصدق والكذب))[8] .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أن هذا القيد يتمثل في جعل جواب الشرط مقيّداً بفعل الشرط لأنّ الجواب مسبب عن الشرط ومقيّد به فقولك أكرمتك إن جئتني ، وإذا جئتني أكرمتك مثل قولك في التعليل أكرمتك لمجيئك بخلاف التقييد بالظرف ، والحال فقولك جئتك حين الاكرام وجئتك مكرماً ، فإنّ الاكرام سبب المجيء فيهما ، وهو قيد في المجيء فالتقييد بهما بعكس التقييد بالشرط[9] .

---

(١) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب .
(٢) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .
(٣) من الآية ٢٩ من سورة مريم .
(٤) انظر المفردات في غريب القرآن ص ٤٤٤ ، ٤٤٥
(٥) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران ، وانظر الحدائق ص ٤١٥ ، ٤١٧
(٦) انظر المطول ص ١٥١ ، ١٥٢
(٧) انظر الحدائق ص ٤١٨
(٨) المفتاح ص ٩١
(٩) انظر الحدائق ص ٤١٨

يظهر لى أن هذا شرح حسن لكيفيّة تقييد المسند بالشرط ، والفرق بين هذا التقييد وبين التقييد بالظرف والحال ، وقد بيّن ذلك من خلال الأمثلة بخلاف الخطيب الذى لم يورد مثل هذا التوضيح ، أمّا السعد فإنّه شرح عبارة السكاكى السابقة من جهة احتمال الجملة الشرطية للخبر أو الانشاء فقد قال :-

((..... وفى هذا الكلام تنبيه على أن الشرط قيد للفعل مثل المفعول ، ونحوه فانّ قولك إن تكرمنى أكرمك بمنزلة قولك أكرمك وقت اكرامك إيّاى ولا يخرج الكلام بتقييده بهذا القيد عمّا كان عليه من الخبريّة والانشائيّة فالجزاء إن كان خبراً فالجملة خبريّة نحو إن جئتنى أكرمك بمعنى أكرمك وقت مجيئك ، وإن كان انشاء فالجملة انشائية نحو ان جاءك زيد فأكرمه أى أكرمه وقت مجيئه فقول صاحب المفتاح إنّ الجملة الشرطية جملة خبرية مقيّدة بقيد مخصوص محتملة فى نفسها للصدق والكذب بناء على أنه فى بحث تقييد المسند الخبرى ، وأمّا نفس الشرط بدون الجزاء فليس بخبر قطعاً لأنّ الحرف قد أخرجه إلى الانشائية كالاستفهام ولذا لا يتقدم عليه ما فى حيّزه ، ولا يصحّ عمراً إن تضرب اضربك)) .(١)

ويظهر لى أن هذا تفصيل جيد لمسألة احتمال الجملة الشرطية للخبر أو الانشاء من السعد رحمه الله تعالى لا نجدها عند الشارح رحمه الله ، هذا وقد رد الشارح على من زعم من بعض شراح المفتاح أن التقييد بالشرط يخرج الجملة الخبرية إلى الانشائية .

ردّ على بكلام السكاكى السابق فقولك زيد إن تعطه يشكرك تقديره زيد يشكرك معطى .

وبما قاله الزمخشرى فى قوله تعالى ((فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث))(٢) إنّ الجملة الشرطية فى موضع الحال والتقدير أى كمثل الكلب ذليلاً دائم الذل .

وبما قاله المرزوقى أنّ الحال قد يكون فيه معنى الشرط كقولك لأفعلنه كائناً ماكان أى إن كان هذا أو كان هذا ، وقد يكون الشرط فيه معنى الحال كقول الشاعر :-

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رُدّيت بردا

أى ليس الجمال بمئزر مردّى معه بردى .(٣)

هذا مجمل ما ردّ به الشارح رحمه الله تعالى ، وهو جواب حسن لكن التفصيل السابق الذى أورده السعد فاق به غيره ، وقد رد السعد فى نهاية ذلك التفصيل على بعض شراح المفتاح والذى زعم فى شرحه لكلام السكاكى السابق بأنّ الجزاء جملة خبرية فى ذاتها فإذا قيدت بالشرط خرجت من الخبريّة أى احتمال الصدق والكذب ، وقد قال السعد فى هذا الرأى والردّ عليه :- ((وأمّا ما ذكره الشارح العلامة من أنّ مراده أن الجزاء جملة خبريّة مقيدة بقيد مخصوص محتملة للصدق والكذب

---

(١) المطول ص ١٥٢

(٢) من الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .

(٣) انظر الحدائق ص ٥١٨

فى نفسها أى نظراً إلى ذاتها مجردة عن التقييد بالشرط لا مع التقييد به على ما ظن لأن التقييد بالشرط يخرجها عن الخبرية وعن احتمال الصدق والكذب ، ولهذه الدقيقة قيده بقوله فى نفسها فتعسف منه ، وتخليط لكلام أهل العربية بما ذهب إليه المنطقيون)) . [1] وذكر فى تفريقه فى مفهوم الشرط والجزاء عند أهل اللغة ، أو بينه عند أهل المنطق ذكر أن قولك إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ، فعند أهل العربية النهار محكوم عليه وموجود محكوم به ، والشرط قيد له أى الوجود يثبت للنهار على تقدير طلوع الشمس ، فاحتمال الصدق والكذب فى الجزاء باق على ما كان عليه فحكم ثبوت وجود النهار إن كان مطابقاً للواقع فالخبر صدق ، وان كان غير ذلك فالخبر كذب ، أما عند المنطقيين فالمحكوم عليه هو الشرط ، والمحكوم به هو الجزاء أى الحكم بلزوم الجزاء للشرط ، وصدقهما باعتبار مطابقة الحكم باللزوم وكذبها بعدمها فكل من الطرفين عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب [2] فرد السعد اتسم بالدقة ، والوضوح ، وذلك فى تفريقه بين اللغويين والمناطقة حول مفهوم الشرط والجزاء وان جنح فيه إلى بعض تعبيرات أهل الفلسفة والمنطق التى أدت فى الغالب إلى جفاف الدراسة البلاغية بوجه عام عند بعض المتأخرين وبُعدها عن منابعها الأصلية وهى الذوق الرفيع والدراسة الأدبية كما نراه عند الامام عبد القاهر امام البلاغيين ، لكن الذى يظهر أن المقام هو الذى اقتضى من السعد أن يورد تلك التعبيرات لأنه فى صدد التفريق بين اللغويين والمناطقة فكان عليه والمقام هذا أن يستخدم تعبيراتهم .

كما ذكر الطيبى أن من كلمات الشرط ان ، وهى تختص بالمضارع المشكوك وقوعه ، وقد تستعمل فى الجزم لا على مقتضى الظاهر ، ويأتى هذا لعدة أغراض منها التوبيخ نحو قوله تعالى ((يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث)) [3] أى مع المرتابين ، والمقام يقتضى قلع الريبة من أصلها ، فتفرض كما تفرض المحالات فالله وبخهم على ارتكاب الريب لأنه فى هذا المقام واجب الانتفاء . [4]

أما الشارح رحمه الله تعالى فبين كلام شيخه حول توجيه الآية بأحسن بيان حيث ذكر أن المقام اقتضى خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ليفيد التوبيخ إذ الدلائل متظاهرة على وقوع الحشر والذى يسقط دونها كل ريب ، فريبهم ، وشكهم فيه ليس له سوى أن يفرض كما يفرض المحالات ليبعثهم على التفكر والتأمل فى الكلام المنصف لتنتزع الريبة من أصلها من قلوبهم فلو قال إذا ارتبتم لم يفد سوى

---

(١) المطول ص ١٥٢

(٢) انظر المطول ص ١٥٢ ، ١٥٣

(٣) من الآية ٥ من سورة الحج .

(٤) انظر الحدائق ص ٤٢٠ ، ٤٢٢

الإرشاد إلى إزالة الريبة، ويكون الكلام على مقتضى الظاهر إذ التقدير إذا ارتبتم فى البعث فاعلموا أنّا خلقناكم فيكون كلاماً غير مطابق لمقتضى المقام ، وماقيل من أنّه لو قيل إذا كنتم فى ريب كان توبيخاً على كونهم جازمين فى الريبة لكن ليس فيه قلع أصل الريبة ، فيجوز أن يتوهم أنّه تجوز الريبة إذا لم يكن على الجزم ، ويرد عليه أنّ المراد قلع الريبة من أصلها لاقتضاء المقام كما سبق إذ استعمال ان فى موضع إذا لتنزيل المحقق الثابت منزلة مايفرض فرض المحال للدلائل المتظاهرة على تحقق البعث .(١)

هذا كلّ ماذكره الشارح فى توضيحه لتوجيه شيخه للآية الكريمة وظهر لى أنّ ماذكره الطيبى أحد توجيهين ذكرهما السكاكى حول الآية ويبدو أن الطيبى تصرّف فى نقله عنه فقد قال السكاكى :- ((وأمّا قوله - إن كنتم فى ريب من البعث - بلفظ إن مع المرتابين فإمّا لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على مايقلعها عن أصلها ، وتصوير أن المقام لا يصلح إلّا لمجرد الفرض للإرتياب كما قد تفرض المحالات متى تعلقت بفرضها أغراض ..... وإما لتغليب غير المرتابين ممن خوطبوا على مرتابيهم .....(٢)))

وقد نقل الخطيب(٣) هذين التوجيهين ، أمّا الطيبى فقد نقل عنه التوجيه الأول ، وقد أحسن الشارح توضيح ما اختاره شيخه .

كما ذكر الطيبى(٤) فى استعمال إن فى الماضى بغرض التعريض بغير المخاطب إمّا الموافق كقوله تعالى :- ((لئن اتبعت أهواءهم))(٥) أو المخالف نحو قوله تعالى :- ((لئن أشركت ليحبطنّ عملك))(٦) ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فذكر أنّه لو عبر بالمضارع بدل الماضى فى قوله تعالى ((لئن أشركت .....)) لأفاد التعريض بالمشركين لكنّ التعبير جاء بالماضى ليفيد التوبيخ إذ ليس نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الخطاب سوى الالتهاب والتهييج ، والمخاطب الحقيقى هو من مارس هذا الفعل حيث جاء على سبيل التوبيخ ، والتعقيب الشديد له حيث جعل محلاً للخطاب ، فإنّ التوبيخ لا يكون إلّا على فعل قد حصل أو قدّر حصوله لا فعل متوقع الحصول فإنّه حينئذ يكون وعيداً لا توبيخا فقولك مثلاً إن أكرمتني أكرمك بالرفع فإنّه شكاية ، وتوبيخ على طريقة قولك لو أحسنت

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٢٠ ، ٤٢٢

(٢) المفتاح ص ١٠٥

(٣) انظر الايضاح ص ٩١

(٤) انظر الحدائق ص ٤٢٥ ، ٤٣٠

(٥) من الآية ١٢٠ من سورة البقرة .

(٦) من الآية ٦٥ من سورة الزمر .

إلى لشكرت ، أما قولك إن تكرمني أكرمك فإنه جاء على سبيل التعليق والوعد وذكر الشارح أن هذه الرموز والارشادات لا يفطن لها ، ويدركها إلا من مارس علم المعانى ، (١)

هذا مجمل ماذكره الشارح وهو بيان جيد للتعريض فى الآية وقد ذكر السكاكى أن الآية للتعريض دون أن يشرح أو يبين وجه التعريض فيها حيث قال :- ((وأما للتعريض كما فى نحو قوله .....لئن أشركت .....)) (٢) ،هذا وقد اعتمد الخطيب (٣) فى ماذكره السكاكى مشيراً إليه ، أما السعد فذكر توجيهه للتعريض فى الآية حيث قال :-

((فالخطاب لمحمد عليه السلام وعدم اشراكه مقطوع به لكن جئ بلفظ الماضى ابرازا للاشراك فى معرض الحاصل على سبيل الفرض ، والتقدير تعريضاً لمن صدر عنهم الاشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم كما إذا شتمك أحد فتقول والله ان شتمنى الأمير لأضربنه ،ولا يخفى عليك أنه لا معنى للتعريض لمن لم يصدر عنهم الإشراك ، وإن ذكر المضارع لا يفيد التعريض لكونه على أصله ، ولما كان فى هذا الكلام نوع من الخفاء ، والضعف نسبه - أى الخطيب - إلى السكاكى وإلا فهو قد ذكر جميع ماتقدم)) . (٤)

ويظهر لى أن توجيه الشارح للتعريض الذى تضمنته الآية أقوى من توجيه السعد ، فقد اعتبر الشارح الخطاب فى الحقيقة لمن مارس هذا الفعل ، وليس نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم منه سوى الإلهاب والتهييج ، وهذا أليق بمقامه صلى الله عليه وسلم لأنه يدفع عنه مجرد أن يخطر فى الذهن أن الخطاب موجه إليه صلى الله عليه وسلم ، أما توجيه السعد فإنه اعتبر الخطاب فى الآية للرسول صلى اللهعليه وسلم ، وعدم اشراكه مقطوع به ، وأيضاً بين الشارح المعنى الذى خلف التعريض من افادة التوبيخ والتعقيب الشديد بخلاف السعد فإنه لم يبين ذلك ، ثم ماذكره السعد أنه لما كان ماذكره السكاكى من افادة الآية السابقة للتعريض فيه خفاء ، وضعف نسبه الخطيب إلى السكاكى مع أنه نقل عنه الكلام الذى سبق هذا ، ولم يعزه إليه أقول إن الخطيب اعتاد عندما ينقل نصاً للسكاكى ولا يوافقه عليه يقول فيه نظر وغالباً مايبين وجه اعتراضه عليه فما نقله من كلامه حول التعريض فى الآية السابقة ونظيراتها لم يصرح باعتراضه عليه مما يدل على موافقته على ماذكره السكاكى فكيف يقال إن تنصيص الخطيب على نقله عن السكاكى فى هذا الموضع يدل على أن فيه خفاء وضعف مما يشير

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٣٠

(٢) المفتاح ص ١٠٦

(٣) انظر الايضاح ص ٩٣ ، ٩٥

(٤) المطول ص ١٦٤

الى أنه لا يوافقه عليه ، كما ذكر الطيبي أنّ إذا تستعمل للمضارع المقطوع به ، وقد يعدل إلى الماضي نحو قوله تعالى ((فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى ومن معه))[1] . فالحسنة المطلقة مقطوع بها لكثرة وقوعها ، واتساعها لكن المقصود هنا حسنة معهودة ، فالتعريف فيها للعهد الذهني ، وهذا أقضى لحق البلاغة من اعتبار التعريف فيه للجنس الذي إذا أطلق على الشيء من حيث هو هو دل على أنّه نهاية الكمال في بابه ، وقد ذكر ابن جني أنّهم يوقعون على الشيء الذي يختصونه بالمدح اسم الجنس فقد سمّوا الكعبة بالبيت ، وكتاب سيبويه بالكتاب فبناء على قول ابن جني الجنس يرجع إلى النوع المحترز منه .

وأمّا تنكير السيئة في الآية فلندرتها بخلاف الحسنة فلكثرة وقوعها استعير لها المجيء ، أمّا استعارة الاذاقة للرحمة في قوله تعالى ((وإذا أذقنا الناس منا رحمة))[2] فلأنّ الاذاقة يستدعيه المقام ، وهو مقام النعى عليهم بالأشر .[3]

هذا مجمل ماذكره الطيبي حول الآية السابقة ، أمّا الشارح فإنّه فرّق بين المطلق والعام فقد ذكر أنّ الحسنة المطلقة مقطوع بها فرّق الشارح أنّ المطلق مايتناول الأفراد على سبيل البدل كرجل مثلاً ، أمّا العام مايتناول جميع الأفراد دفعة واحدة كقوله تعالى ((إنّ الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا))[4] .

كما بيّن المقصود من العهد الذهني بأنّه البعض غير المعين ، ويكون ضمن فرد من أفراد الجنس ، وبالنسبة للآية فالحسنة فيها تكون خصباً ، أو رفاهيةً ، أو صحةً ، وسلامةً ، وباليقين أنّ بعضها واقع البته لذلك قال لكثرة وقوعها واتساعها .[5]

وردّ على أحد شراح المفتاح الذي زعم أن التعريف في الحسنة للعهد الخارجي ردّ عليه بأنّ هذا يقتضي تقييد الحسنة وهذا لا يطابق عبارة السكاكي الحسنة المطلقة أمّا إذا حمل على العهد الذهني فيطابقه لأنّ الذهني البعض الذي هو غير معين .

كما رد على الخطيب[6] الذي اعتبر التعريف في الحسنة للجنس ، ومنع أن تكون للعهد ردّ عليه بما فهمه

---

(١) من الآية ١٣ من سورة الأعراف .
(٢) من الآية ٢١ من سورة يونس .
(٣) انظر الحدائق ص ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧
(٤) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة العصر .
(٥) انظر الحدائق ص ٤٣٢
(٦) انظر الايضاح ص ٨٩ .

من كلام الزمخشري حيث قال إنّ جنس الحسنة ، وقوعه كالواجب لكثرته، واتساعه .[1]

فالمراد بالجنس العهد الذهني الشائع ، وأيضاً مافهم من كلامه في قوله تعالى ((الحمد لله))[2] حيث قال :- ((التعريف فيه للجنس ، وأنّ المراد به الاشارة إلى مايعرفه كلّ أحد أنّ الحمد ماهو .[3]

فالذي يفهم من الحمد في الآية الفرد الذي هو حاصل ، والذي يتوقع حصوله هذا مايقتضيه المقام ، وهو المراد بالجنس لا الجنس من حيث هو هو فإنّ الحقيقة إذا أريد بها شيء بعينه مجازاً حمل على المبالغة والكمال فيها كما في قوله تعالى ((آلم ذلك الكتاب))[4] والمقام لا يقتضي ذلك .[5]

كما بيّن الشارح المقام الذي اقتضى أن يؤتى بالجسنة معرفة في قوله تعالى ((فإذا جاءتهم الحسنة))[6] ويؤتى بالرحمة منكرة في قوله ((وإذا أذقنا الناس منا رحمة))[7] فذكر أنّ الأولى لبيان كفرانهم نعم الله وإضافة الشرّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هادي البشرية الى خيري الدنيا والآخرة ، أمّا الثانية فاخبار عما هم عليه من حال أنفسهم، وجبلتهم كقوله تعالى : ((خلق الانسان من عجل))[8] .

ونظير الآية في كون متعلق فعل الشرط نكرة لبيان حال أنفسهم وجبلتهم وهو مايقتضيه المقام نظير تلك الآية قوله تعالى ((وإذا مس الناس ضرّ دعوا ربهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون))[9] .

هذا مجمل ماذكره الشارح[10] ويتبين من خلاله حسن شرحه لكلام شيخه، والاستدلال له ، والنظرات البلاغية التي استخرجها من خلال موازنته بين الآيات .

وقد تبين لي أنّ الطيبي فيما ذهب إليه في توجيه الآية تأثّر بأحد توجيهين ذكرهما السكاكي في الآية حيث قال :- ((بلفظ إذا في جانب الحسنة حيث أريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها ....لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعاً به كثرة وقوع ، واتساعاً ، ولذلك عرفت ذهاباً إلى كونها

---

(١) انظر الكشاف : ١٠٦/٢

(٢) من الآية ١ من سورة الفاتحة .

(٣) انظر الكشاف : ٤٩/١ ، ٥٠

(٤) من الآية ٢ من سورة البقرة .

(٥) انظر الحدائق ص ٤٣٢ ، ٤٣٤

(٦) من الآية ١٣١ من سورة الأعراف .

(٧) من الآية ٢١ من سورة يونس .

(٨) من الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .

(٩) من الآية ٣٣ من سورة الروم .

(١٠) انظر الحدائق ص ٤٣٧

معهودة أو تعريف جنس، والأول أقضى لحق البلاغة ، وبلفظ إن في جانب السيئة مع تنكير السيئة إذ لا تقع إلا في الندرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ولا يقع إلا شيء منها ، ولذلك قيل قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء)) .(١)

فبينما الطيبي وتلميذه تبعا السكاكي في توجيهه الأول ، والذي رجّحه من أن تعريف الحسنة في الآية للعهد سار الخطيب (٢) وفق التوجيه الثاني وهو أنّ التعريف الجنسة للجنس ، وذكر أنّ في تجويز السكاكي كونه للعهد فيه نظر لكنّه لم يبيّن هذا النظر ، وقد تبع الخطيب فيما سار عليه سعد الدين ورد على السكاكي بأنّه إن قصد بالعهد على مذهب الجمهور فغير صحيح لأنّه لم يتقدم ذكر الحسنة لا تحقيقاً ، ولا تقديراً لتكون اللام اشارة إليه ، وإن أراد العهد على مذهبه بناء على أن الحسنة المطلقة نزلت منزلة المعهود الحاضر في الذهن كأنّها نصب أعينهم لفرط الإحتياج إليها فهذا بعينه تعريف الجنس على مذهبه .(٣)

ويظهر لي أن تجويز السكاكي حمل التعريف في الحسنة للعهد ، أو الجنس ينبع من فهمه لكلام الزمخشري فقد قال :-

((فإن قلت كيف قيل ((فإذا جاءتهم الحسنة)) بإذا وتعريف الجسنة ((وإن تصبهم سيئة)) بإن وتنكير السيئة ؟ .

قلت لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته، واتساعه ، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ، ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء)) .(٤)

وقد اعتبر السكاكي كون التعريف فيها للعهد أقضى لحق البلاغة، ولم يبين من أي وجه كان أقضى لحق البلاغة فأشار إلى ذلك الطيبي كما سبق وأحسن الشارح بيانه والدفاع عنه كما رأينا سابقاً مما أبرز جهده خير بروز .

كما ذكر الطيبي في تقييد المسند بأداة الشرط ((لو)) وأنّها لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على القطع فالتعليق يوجب كونهما فعليتين، والقطع يوجب كونهما ماضويتين نحو لو جئتني لأكرمتك (٥) .

---

(١) المفتاح ص ١٠٥

(٢) انظر الايضاح ص ٨٩

(٣) انظر المطول ص ١٥٤ ، ١٥٥

(٤) الكشاف : ١٠٦/٢

(٥) انظر الحدائق ص ٤٣٨

أما الشارح فذكر أنّ أستاذه أفرد لو بالكلام دون أدوات الشرط الباقية لكونها غير عاملة ، ولكونها للمضى بخلاف بقيّة أدوات الشرط الأخرى فإنّها عاملة فى المضارع . (١)

كما أورد ماذكره الدار الحديثي أن لو تربط الشرط بالمشروط فى الماضى تقديراً وإن كان مدخولها مضارعاً نحو لو أكرمتنى أكرمتك ولو تكرمنى أكرمتك فهى مثل إن فى ربطها الجواب بالشرط كما ذكر أن ظاهر كلام النحويّين أنّ لو دالة على انتفاء الجواب لانتفاء الشرط لأنّهم يقاربون لو بلولا فإنّ الأولى تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، ولولا تدل على امتناع الشيء لوجود غيره فإذا كان الممتنع فى لولا هو الثانى باتفاق بينهم كان كذلك فى لو باتفاق بينهم . (٢)

كما ذكر أنّ ظاهر كلام ابن الحاجب يتفق مع ماقاله النحاة حيث يرى أن انتفاء الثانى فى لو يلزم منه انتفاء الأول لأنّ الثانى مسبب عن الأول فيلزم من انتفاء المسبب نفى السبب ولا يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب لجواز أن يكون للمسبب عدّة أسباب . (٣)

كما ذكر الشارح أنّه لما كانت لو لتعليق ما امتنع لامتناع غيره على سبيل القطع فقولك مثلاً لو جئتنى لأكرمتك فإنّك علّقت اكرامك لمخاطبك بمجيئه وقد امتنع الاكرام منك لامتناع المجيء فى الزمان الماضى فلم يتحقّقا على سبيل القطع لهذا امتنع كون جملتي الشرط والجزاء أو أحدهما اسمية لأنّ من لوازم الجملة الاسمية الثبوت والدوام ووجب كونهما فعليّتين ليتحقّق التعليق ، وكونهما ماضويتين ليتحقّق القطع . (٤)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول وجه افادة لو للشرط وقد تبيّن لى أنّ ماذكر الطيبى من كلامه السابق فى أداة الشرط ((لو)) اعتمد فيه اعتماداً يكاد يكون حرفيّاً على السكاكى الذى قال :-

((وأما كلمة لو فحين كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على سبيل القطع كما تقول لو جئتنى لأكرمتك معلقاً لامتناع اكرامك بما امتنع من مجيء مخاطبك امتنعت جملتاها عن الثبوت ، ولزم أن يكونا فعليّتين والفعل ماض)) . (٥)

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٣٨

(٢) (٣) انظر الحدائق ص ٤٣٨

(٤) انظر الحدائق ص ٤٣٨ ، ٤٤٠

(٥) المفتاح ص ١٠٧

هذا وقد تميز جهد الشارح فى تأييد ماقاله أستاذه الذى تبع السكاكى كما رأينا تأييده فيما ذهب إليه بما ذكره الدار الحديثي وابن الحاجب وقول النحويين فى مسألة ((لو)) وهو جهد حسن من الشارح رحمه الله تعالى .

كما أجمل الشارح ماذكره شيخه من أنّ القطع لما كان يوجب كون الشرط والجزاء فى ((لو)) ماضويتين فاذا جاء الفعل فيها بصيغة المضارع كان ذلك لأمور منها :-

تنزيل المستقبل منزلة الماضى المدخول عليه لو إذا كان الكلام صادراً عمن لا خلاف فى اخباره ككلام الله تعالى كقوله :-

((ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم))[1] ، أو لقصد الاستمرار كقوله تعالى ((لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم))[2] ، أى إنّما امتنع عنتكم بسبب استمرار امتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طاعتكم وقتاً فوقتاً .

أو لاستحضار تلك الحالة العجيبة نحو قوله تعالى ((ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم))[3] .

هذا ملخص ماذكره الشارح[4] لكلام شيخه وقد تبيّن لى أنّ الطيبى قد تأثر تأثراً كبيراً فى هذا بما ذكره السكاكى كما تأثر به الخطيب ، وقد أوردت عند كلام الطيبى[5] فى التحقيق نصّ كلام السكاكى[6] ، ونصّ ماذكره الخطيب[7] ووازنت بينها ليظهر مدى تأثرهما بالسكاكى .

كما ذكر الطيبى أنّ لو لمّا كانت لتعليق ما امتنع لامتناع غيره لزم فى قول عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لزم الحمل على أنّه إن فرض عدم الخوف لما كان العصيان فكيف وعنده الخوف ، كذلك قوله تعالى ((ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون))[8] أى إن فرض الاسماع المستلزم للخير لتولّوا فكيف والاسماع معدوم[9] .

أمّا الشارح رحمه الله فإنّه رجّح ماقاله أبو البقاء فى الحديث من أنّه يفيد المبالغة ، وذلك أنّه لو لم يخف الله لم يعصه فكيف يعصى الله ، وعنده خوف رجّحه على قول الفقهاء أنّ لو فى الحديث

---

(١) من الآية ١٢ من سورة السجدة
(٢) من الآية ٧ من سورة الحجرات .
(٣) من الآية ٣١ من سورة سبأ .
(٤) انظر الحدائق ص ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣
(٥) انظر الحدائق ص ٤٤١ ، ٤٤٢
(٦) انظر المفتاح ص ١٠٧
(٧) انظر الايضاح ص ٩٥ - ٩٧
(٨) الآية ٢٣ من سورة الأنفال .
(٩) انظر الحدائق ص ٤٤٤ ، ٤٤٦

والآية لمجرد الاستلزام لا لامتناع الشيء لامتناع غيره وقول الفقهاء هذا نقله الشارح عن الفخر الرازى ، وموجب الترجيح أنه عمل بالدليلين ، فإن لو فى الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره والتضمين السابقين صرفته عن هذا المعنى فوجب حملها على المجاز ، وذلك أن لو وأخواتها لما تضمنت معنى الشرطية ، وهو الاستلزام لم يبعد أن يتقارض لو معنى إن بجامع الاستلزام لأجل المبالغة ، ويشهد لتقارض لو معنى إن بجامع الاستلزام ماذكره الزمخشرى فى قوله تعالى :- ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))[1] ، أن لو بمعنى إن فى أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا فى الكلام غير الموجب .[2]

وذكر أى الشارح فى تعليقه على قوله تعالى ((ولو علم الله .....)) الآية ذكر أن لو فى الآية إذا حملت على معناها الأصلى حرف امتناع لامتناع لأدى إلى التناقض إذ يكون المعنى أن الله ماعلم فيهم خيراً وما أسمعهم ثم قال ولو أسمعهم أى ما أسمعهم سماع قبول ، وأنهم ماتولوا فأول الآية تفيد نفى الخير وآخره تقتضى حصول الخير لأن عدم التولى بعد الاستماع أى مجرد الاستماع هو الخير كله ، هذا هو التناقض لهذا وجب حمل لو الثانية على معنى إن فيفرض مدخوله فرضاً أى وإن فرض الاسماع المستلزم للخير لتولوا فكيف والاسماع معدوم .[3]

كما ذكر الشارح من شواهد لو التى تحمل فيها على الفرض والتقدير قوله تعالى :- ((قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا))[4] فإذا حملت لو على معناها الأصلى فى قوله ((لو كان البحر .....)) الآية لكان المعنى أن كلمات الله لم تنفذ لأن البحر لم يكن مدادا لها ، وهذا المعنى بعيد عن القصد ، والمرام فوجب المصير إلى الفرض والتقدير فإن الله نزل غير المتناهى وهى كلمات منزلة المتناهى ، وهو مداد البحر فرضاً وتقديراً تقريباً ، وتفهيماً ، إلى أذهان عباده فهو من التمثيل الذى يفرض الممثل به فرضاً حيث شبهت حالة الكلمات التامات فى سعتها ، وفرط كثرتها بحالة مالو فرض البحر مداداً له لنفد قبل نفاد الكلمات ، ثم أدخل المشبه فى جنس المشبه به وأجرى عليه حكم الاحصاء والنفاد والكتب تنزلاً والقرينة ترتيب النظم مع اقتضاء مقام عظمة كلمات الله تعالى وجلالة شأنها ، وحكم نفاد كلمات الله التامات ، هذا رأى أهل السنة ، أما المعتزلة فانهم لما فسروا الكلمات بالقرآن واعتقدوا حدوثه لم

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .

(٢) انظر الحدائق ص ٤٤٤ ، ٤٤٦

(٣) انظر الحدائق ص ٤٤٦

(٤) الآية ١٠٩ من سورة الكهف .

يضطروا الى مثل هذا التمثيل اضطرار أهل السنة . ، وأيضاً أوثر التمثيل وتنزيل غير المتناهى منزلة المتناهى لورود لفظة [قبل] فى الآية والا فى قوله تعالى :- ((ولو أنّ مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله)) [1] لم يضطر الى التمثيل وان وجب فيها اعتبار الفرض والتقدير ، ومعنى الآية الأولى أنّا لو فرضنا أن غير المتناهى وهى كلمات الله داخله تحت حكم المتناهى وهى فرض البحر مداداً ، وأنّه نوع من جنسه لنفد البحر قبل نفاد كلمات الله فكيف وأن الكلمات ليست من جنسه . وجمع كلمات جمع قلة يدلّ على أن هذا القدر القليل من الكلمات هذا حكمه فما بالك بالكمّ الهائل الذى لا يحصى ، واظهارها مرة أخرى مع أنّ حقّها الإضمار يدلّ على العلّية وأنّها حقيق بأن لا تكون متناهية وأمّا قوله ((ولو جئنا بمثله مددا)) تتميم كالتذييل لمجموع معنى ماسبق . [2]

هذا مجمل ماذكره الشارح فى توجيه الأثر والآية السابقين ويدلّ على تمكنه ، ودقّته فى فهم الأساليب العربية ، وقدرته على سبر أغوار النظم القرآنى لاستخراج بعض أسراره البلاغية ، ولطائفه العجيبة ، وهذا وجه من وجوه اعجازه .

°

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة سبأ .

(٢) انظر الحدائق ص ٤٤٦ ، ٤٤٨

الفصل الرابع : متعلقات الفعـــل :-

هذا العنوان لا نجده عند الطيبى لأنّه أدرج المباحث التى يتضمنه فى باب المسند، وباب التقديم والتأخير ، فمبحث ترك المفعول جعله ضمن مباحث المسند ، أمّا مبحث تقديم المفعول ، ومبحث تقديم المجرور ، ومبحث تقديم بعض المعمولات على بعض فقد أدرجها تحت باب التقديم والتأخيـــر ، وهذا الباب يعتبره ملحقاً بباب المسند من جهة كونه فعلاً والطيبى فى هذا المنهج يخالف السكاكى الذى جعل فصلاً [1] لمتعلقات الفعل تابعاً للفن الثالث وهو المسند أدرج فيه عدّة مباحـــــث منها ترك المفعول ، وتقديمه ، وتقديم المجرور ، وتقديم بعض المعمولات على بعض ، وأدرج ضمن هذا الفصل أيضاً ترك الفعل ، واثباته ، واضمار فاعله ، واظهاره، وتقديم الفاعـــل المعنـــوى ، وتقييد الفعل بالشرط .

أمّا الخطيب فإنّه جعل مبحث متعلقات الفعل باباً مستقلاً مثله مثل أى باب من الأبواب الثمانية التى يقوم عليها علم المعانى وهى الاسناد الخبرى، والمسند اليه، والمسند، ومتعلقات الفعل، والقصـــر والانشاء، والفصل والوصل، والايجاز والاطناب والمساواة .

وقد أدرج الخطيب تحت باب متعلقات [2] الفعل مبحث حذف المفعول بأنواعه ، ومبحث تقديمـــــه ، وغير ذلك ، ومبحث تقديم بعض المعمولات على بعض .

وقد آثرت اتباع الخطيب فأدرجت فى فصل متعلقات الفعل مبحث ترك المفعول ، ومبحـــــث تقديمه ، ومبحث تقديم بعض المعمولات على بعض ، والتى منها تقديم المجرور .

ترك المفعـــول :-

ذكر الطيبى أنّ من أغراض ترك المفعول القصد إلى نفس الفعل بجعله منزلاً منزلة اللازم نحو فـــلان يعطى، ويمنع بمعنى أنّه يوجد هما ويفعل حقيقتهما ايهاماً للمبالغة ، وقد يعدّى هذا النوع بواسطـــة حرف الجر كاللازم كقول الشاعر :-

وإن تعتذر بالمحل عن ذى ضروعهـــا ... إلى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلـــى

أى يوجد الجرح فى عراقيبها . [3]

---

(١) انظر المفتاح ص ٩٧ - ١٠٨

(٢) انظر الايضاح ص ١٠٢

(٣) انظر الحدائق ص ٤٥٩ ، ٤٦٢

أمّا الشارح فإنّه بين موضع الشاهد فى البيت أنّه قطع يجرّح عن مفعوله ليفيد ايجاد هذه الحقيقة ، وهى التجريح ثمّ عدّاه بفى دلالة على أن العراقيب مكان وظرف للجرح مبالغة كما شرح معنى البيت بأنّ الشاعر يصف نفسه بالكرم والسخاء فإذا ألم به ضيف ، وأراد أن يسقيه لبناً لكن امتنعت الناقة عن درّ اللبن بسبب المحل والسنة فإنّه ينحرها للضيف ويطعم لحمها بدل اللبن ، وأسلوب اعتذار الناقة جاء على التمثيل والتشبيه على طريقة قول الشاعر :-

إذا قالت الانساع للبطن الحقى [1]

لقد أحسن الشارح ببيان موضع الاستشهاد فى البيت ، وشرح معناه وقد تبيّن لى أنّ السكاكى والخطيب ، والبهاء السبكى ، والسعد لم يشيروا إلى حذف مفعول الفعل ليفيد ايجاد حقيقة هذا الفعل ثمّ تعديته بواسطة حرف الجر فضلاً عن أن يذكروا البيت .

كما ذكر الطيبى أنّ المفعول يترك لأنّ الفصاحة تقتضى أن لا يذكر ، وذلك فى أفعال المشيئة ، والارادة كقوله تعالى ((فلو شاء لهداكم)) [2] ويرى أنّ ذكر المفعول فى قول الشاعر :-

فلم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

للغرابة فالشاعر أراد أنه فنى ، ولم يبق من أوصافه سوى التفكر فلو أراد شيئاً يخالفه كان إيّاه فلو ترك المفعول لما أدّى مؤداه [3]

أمّا الشارح فقد أورد جزءً من توجيه الخطيب للبيت ، ونصّه كالتالى يقول الخطيب :-((فأمّا قول أبى الحسين على بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب بن عباد :-

فلم يبق ..... البيت.

فليس منه - أى ليس من ذكر مفعول المشيئة لأن تعلق الفعل به غرابة - لأنّه لم يرد أن يقول فلو شئت أن أبكى تفكرا بكيت تفكرا ، ولكنّه أراد أن يقول أفنانى النحول فلم يبق منى وفىّ غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فمريت جفونى ، وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجد ، ولخرج منها بدل الدمع التفكر ، فالمراد بالبكاء فى الأول الحقيقى ، وفى الثانى غير الحقيقى ، فالثانى لا يصح لأن يكون تفسيراً للأول)) . [4]

وقد ردّ الشارح تبعاً لأستاذه على الخطيب فى توجيهه السابق ، وذكر الشارح أنّ الذى اقتضى ذكر مفعول المشيئة فى البيت هو أن تعلقه به غرابة ، وليس كما ذكر الخطيب من أنّ البكاء

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٦٢

(٢) من الآية ١٤٩ من سورة الأنعام .

(٣) انظر الحدائق ص ٤٦٨ ، ٤٧١

(٤) الايضاح ص ١٠٦

الثانى في البيت لا يصحّ أن يقع تفسيراً للبكاء الأول وهذا ما أوجب ذكر مفعول المشيئة في البيت إذ يدفع هذا المصراع الأول من البيت والمصراع الثانى كالتتميم والمبالغة فيه ، وذلك يقتضى العموم، وذكر أن عبارة شيخه — فلو أردت شيئا يخالفه — يحتمل معنيين المعنى الأول إنّى لو أردت بكاء شيء يخالفه التفكّر بكيت التفكّر، وهذا أغرب من بكاء الدم ، المعنى الثانى أنى لو أردت شيئا غير ما أنا عليه كان ذلك الغير غير ما أنا عليه كما إذا أردت البكاء عاد البكاء تفكرا فوضع قوله أن أبكى موضع شيئاً يخالفه فلو ترك أن أبكى لكان يلزمه أن يقدّر بكاء التفكر بقرينة بكيت تفكرا، ومن هنا يفهم العموم ، والبيت مثل قوله :-

ولو شئت أن أبكى دماً لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقائل البيت موضع الكلام الحسن على بن أحمد الجوهرى ، أحد شعراء الصاحب بن عباد .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح تأييداً لشيخه فى توجيهه للبيت ، ورده على الخطيب ، وهو حسن من الشارح لكن الذى تبين لى أنّ الأقوى والأرجح هو توجيه الخطيب من أنّ الموجب لذكر مفعول المشيئة فى البيت أن جواب الشرط فيه ، وهو بكيت تفكر لا يصلح أن يكون تفسيراً للمفعول — أن أبكى — التقدير البكاء لذا ذكر المفعول ، فقد وجدته اعتمد فيما ذهب إليه على امام البلاغيين الامام عبد القاهر صاحب الذوق البلاغي المتميز فى اختياراته للشواهد ، ودراسته لها فيكفى الخطيب حجّة اعتماده عليه ، وتأثره به يقول الامام فى توجيهه للبيت :- ((فالبكاء الذى أراد إيقاع المشيئة عليه مطلق مبهم غير معدّى إلى التفكر البتّة ، والبكاء الثانى مقيّد معدّى إلى التفكر ، وإذا كان الأمر كذلك صار الثانى كأنّه شيء غير الأول ، وجرى مجرى أن تقول لو شئت أن تعطى درهماً أعطيت درهمين فى أن الثانى لا يصلح أن يكون تفسيراً للأول)) .[2]

أمّا السكاكى فإنّه لم يذكر بيت الشاهد مع أنّه تحدّث عن مسألة حذف مفعول المشيئة .[3]

أمّا السعد فإنّه أيّد ماسار عليه الخطيب بكلام الامام عبد القاهر فى الدلائل ، والذى ذكرته ، قبل قليل ، وذكر أنّ صدر الأفاضل فى كتابه ضرام السقط يرى أنّ الذى أوجب ذكر مفعول المشيئة أن أبكى فى البيت لأن فى تعلق فعله به غرابه إذ التقدير ولو شئت أن أبكى تفكراً بكيت تفكرا لأن تعلّق فعل المشيئة ببكاء التفكر غريب كتعلقها ببكاء الدم .[4]

---

(١) انظر الحدائق ص ٤٧١ ، ٤٧٣

(٢) دلائل الاعجاز : ص ١٦٧

(٣) انظر المفتاح ص ٩٩ ، ١٠٠

(٤) انظر المطول ص ١٩٤

وقد ظهر لى أن توجيه الطيبى يتلاقى مع توجيه صدر الأفاضل فكأن الخطيب بما ذكره قصد الرد عليهما ، وتبع الخطيب فى هذا كما ذكرت السعد ، وتوجيه الخطيب وتبعاً له السعد أرجح وأقوى من توجيه الطيبى وتبعاً له تلميذه ، وتوجيه صدر الأفاضل لاعتماد الخطيب واستناده إلى توجيه الامام عبدالقاهر رحم الله الجميع

كما ذكر الشارح أنّ من حذف المفعول قوله تعالى ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن))[1] ورد على الخطيب الذى يرى أنّ الدعاء هنا بمعنى التسمية الذى يتعدّى إلى مفعولين ، والتقدير سموه الله ،أو سموه الرحمن أيّا تسموه فله الأسماء الحسنى ، وليس الدعاء بمعنى النداء لأنّه يلزم عليه الاشراك على تقدير أنّ مسمى أحدهما غير مسمى الآخر ، أو يلزم عطف الشىء على نفسه إذا كان مسمّاهما واحدا .[2]

رد الشارح على الخطيب ، ولم يسلّم له هذا القول ، وذكر أنّ الأمر فيه تفصيل ، فإذا جعلت الآية ردّا على أبى جهل الذى سمع ابن عباس يدعو يا الله يارحمن فقال إنّه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الهاً آخر ففى هذه الحالة يجب حمل الدعاء فى الآية على معنى التسمية ،والمراد الاسم لا المسمى ، أمّا إذا جعلت الآية ردّاً على اليهود فى قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم إنّك لتقلّ الرحمن وقد كثر ذكره فى التوراة ففى هذه الحالة يكون الدعاء على حقيقته لأنّ الخلاف حينئذ فى الاسم لا فى المسمى ، ولا يلزم عطف الشىء على نفسه لأنّ الله تعالى خيّره أن يدعو بهذا ، أو بذاك .[3]

هذا بيان جيد فى توجيه الآية وفق فيه الشارح تمام التوفيق وقد اعتمد فى بيان سبب النزول فى الآية على الزمخشرى[4] .

وقد تبين لى أنّ السعد[5] قد أيّد الخطيب فى توجيهه السابق للآية ولم يشر الى مثل التفصيل الذى ذكره الشارح .

هذا والجدير بالملاحظة فى ختام هذا البحث كما تبين لى أن دراسة الطيبى لمبحث ترك المفعول يفتقر إلى الدقة والتقسيم فقد ذكر عدة أغراض لترك المفعول منها :- القصد إلى نفس الفعل بجعله منزلا منزلة اللازم نحو فلان يعطى ويمنع ، وقد يجعل كناية عن متعديه كقول البحترى :-

شجو حساده وغيظ عداه ... أن يرى مبصر ويسمع راع

---

(١) من الآية ١١٠ من سورة الاسراء .
(٢) انظر الايضاح ص ١٠٩
(٣) انظر الحدائق ص ٤٧٣
(٤) انظر الكشاف : ٢/٤٧٠
(٥) انظر المطول : ١٩٦ ، ١٩٧

أو جعل كناية عن أفعال شتى وكيفيات متعددة كقوله تعالى ((فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار)) [1] أو قصد إلى التعميم مع الاختصار كقولك فلان يعطى ويمنع، أو قصد إلى الاختصار نحو قوله تعالى ((فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)) [2] أو لأنّ الفصاحة على أن لا يذكر ، وذلك فى أفعال المشيئة، والارادة، أو مراعاة للفاصلة نحو قوله تعالى ((والضحى والليل إذا سجى)) [3] أو لأنّ الأدب على أن يترك نحو قول عائشة رضى الله عنها :- ((مارأيت منه ولا رأى منّى)) تعنى العورة . [4]

هذا مجمل ماذكره الطيبى فى هذا المبحث ، فهو لم يميّز بين حذف المفعول بصرف النظر عنه نهائيا وعدم تقدير مفعول له أصلاً وهو تنزيل المتعدى منزلة اللازم وبيّن حذفه والغرض افادة تعلقه بمفعول مخصوص فيجب أن يقدّر له بحسب القرائن ، ويحذف من اللفظ ، وكلام الخطيب فى هذا المبحث أدقّ وأضبط فقد جعل الفعل المتعدى الذى أسند إلى فاعله ، وحذف مفعوله على ضربين أساسيين :-

الضرب الأول : تنزيل المتعدى منزلة اللازم وذلك بأن يقصد اثبات معنى الفعل للفاعل على الاطلاق ، أو نفيه عنه كذلك ويتفرّع إلى قسمين : القسم الأول تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم حقيقة، وذلك بأن يقصد اثبات أصل معنى الفعل مطلقاً كقوله تعالى :- ((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) . [5]

القسم الثاني أن ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم حكماً، وذلك بأن يجعل الفعل مطلقاً كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص كقول البحترى :-

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واعى

الضرب الثانى : أن يكون الغرض افادة تعلقه بمفعول فيجب تقديره بحسب القرائن ، ثمّ حذفه من اللفظ ، وهذا الحذف يكون لعدّة أغراض وهى :- إمّا للبيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة اذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابه ، ويصح اعتبار جواب الشرط تفسيراً للمفعول المحذوف نحو قوله تعالى ((فلو شاء لهداكم أجمعين)) . [6]

---

(١) من الآية ٢٤ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة يونس .

(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة البقرة .

(٤) انظر الحدائق ص ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨

(٥) من الآية ٩ من سورة الزمر .

(٦) من الآية ١٤٩ من سورة الأنعام .

وإمّا لدفع أن يتوهم السامع فى أوّل الأمر ارادة شيء غير المراد نحو قول البحترى :-

وكم ذدت عنى من تحامل حـــادث وسورة أيام حززن إلى العظـــم

وإمّا لأنّه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمّن ايقاع الفعل على صريح لفظه اظهاراً لكمال العنايـــة بوقوعه عليه كقول البحترى :-

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ دد والمجد والمكارم مثـــــلا

وإمّا لرعاية الفاصلة كقوله تعالى ((والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى)) [1] وإمّا لاستهجان ذكره كقول عائشة رضى الله عنها : مارأيت منه ولا رأى منى)) تعنى العـــــورة وإمّا لمجرد الاختصار كقولك أصغيت إليه أى أذنى [2] .

هذا مجمل ماذكره الخطيب فى مبحث ترك المفعول ويتّضح لنا بعد هذا أنّ الطيبى لم يميّـــز بين هذين الضربين ، ولم يستكمل أغراض الضرب الثانى كما فعل الخطيب ، ولو أنّ الطيبى ذكـــر بعضها لهذا اعتبر كلام الخطيب فى هذا المبحث أدق وأضبط من كلام الطيبى ، وتبعاً له تلميذه لأنـــه لم يخالفه ، أو يعترض عليه فيما أورده .

تقديمـــه :-

ذكر الطيبى فى تقديم المفعول أنّك تقول زيداً عرفت على سبيل قصر الافراد أو القلب ، وتؤكـــده بلا غيره ، ولا يصحّ أن تقول مازيداً ضربت ولا أحداً من الناس ، ولا مازيداً ضربت ولكن أكرمتـــه إذ عليك أن تعقب النفى باثبات ضدّه لأنّ الكلام ليس فى الفعل فيردّ إلى آخر وإنما هو فـــى المفعول [3] ، أمّا الشارح فذكر أنّ التأكيد - بلاغيره - يصحّ أن يؤكد به فى قصر الافراد ، وفى قصـــر القلب بخلاف وحدى فإنّه لا يؤكد به إلّا قصر الإفراد فاكتفى بمثال يصلح لكليهما ، واعتماداً علـــى التفصيل الذى ذكره فى تقديم الفاعل المعنوى حيث قال :- ((تقول أنا سعيت فى حاجتك فى قصـــر الافراد إذا توهم الشركة فى السعى والقلب إذا أسنده إلى الغير ، ويؤكد الأول بوحدى ، والثانـــى بلاغيرى)) . [4] ، كما ذكر الشارح أنّ السبب فى عدم صحّة قولك مازيداً ضربت ولا أحداً من النـــاس أنّ تقديم المفعول يدلّ على أن الفعل واقع من المتكلم ، ويفيد حصوله ، ولكن يريد ردّ الخطأ فـــى المفعول وأنّه غير زيد فإذا قلت ولا أحداً من الناس تناقض الكلام السابق إذ يلزم عليه عدم حصـــول الفعل السابق . [5]

---

(١) الآيات ١ - ٣ من سورة الضحى .
(٢) انظر الايضاح ص ١٠٣ - ١٠٨ .
(٣) انظر الحدائق ص ٥٠٢
(٤) الحدائق ص ٤٨٦
(٥) انظر الحدائق ص ٥٠٢

أقول أيضاً فى قولك مازيداً ضربت مفهومه يدلّ على أنّك ضربت غيره فإذا قلت بعدها ولا أحداً من الناس دلّ على عدم وقوع الفعل لا على زيد، ولا على غيره فناقضت مفهوم الجملة السابقة ، كما بيّن الشارح السبب فى عدم صحة قولك مازيداً ضربت ولكن أكرمته أنّ لكن يؤتى بها ليتدارك بها الخلل الواقع فى الكلام السابق فإذا قلت مازيداً ضربت فالكلام فى المفعول أهو زيد أم عمرو مثلاً فإذا قلت ولكن عمرا مثلاً صحّ أما إذا قلت ولكن أكرمته يصير الكلام فى الفعل هل هو واقع أم لا ، وتقديم المفعول يفيد حصول الفعل، وأنّه واقع فحينئذ يناقض الكلام الثانى الكلام الأول مايوجب عدم صحّة الكلام. (١)

هذا مجمل ماذكره الشارح فى وجه عدم صحة المثالين السابقين، وهو بيان حسن .

وقد تبين لى أنّ أصل المسألة عند الامام عبدالقاهر حيث بيّن السبب فى عدم صحة المثالين السابقين حيث قال :-

((فإذا قلت ماضربت زيداً فقدمت لفعل كان المعنى أنّك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد ، ولم تعرض فى أمر غيره لنفى ولا اثبات ، وتركته مبهماً محتملاً ، وإذا قلت مازيداً ضربت فقدمت المفعول كان المعنى على أنّ ضرباً وقع منك على انسان وظنّ ذلك الانسان زيد فنفيت أن يكون إيّاه فلك أن تقول فى الوجه الأول ماضربت زيداً ولا حداً من الناس ، وليس لك ذلك فى الوجه الثانى فلو قلت مازيداً ضربت ولا أحداً من الناس كان فاسداً على ماضى فى الفاعل ، وما ينبغى أن تعلمه أنّه يصحّ لك أن تقول ماضربت زيداً، ولكني أكرمته فتعقب الفعل المنفى باثبات فعل هو ضدّه ، ولا يصح أن تقول مازيداً ضربت ولكنى أكرمته وذاك أنّك لم ترد أن تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك، ولكنك أردت أنّه لم يكن المفعول هذا ولكن ذاك فالواجب إذن أن تقول مازيدا ضربت ولكن عمراً)) . (٢)

وقد تأثر بالامام فى هذه المسألة السكاكى حيث قال :- ((..... ولذلك نهوا أن يقال مازيداً ضربت ولا أحداً من الناس نهيهم أن يقال ما أنا ضربت زيداً ولا أحد غيرى، والنهى الواقع مقصور على الحالة المذكورة .....

وكذلك منعوا أن يقال مازيداً ضربت ولكن أكرمته فتعقب الفعل المنفى باثبات فعل هو ضده، لأنّ مبنى الكلام ليس على أنّ الخطأ وقع فى الضرب فيردّ إلى الصواب فى الاكرام ، وإنّما مبناه

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٠٢

(٢) دلائل الاعجاز : ١٢٦ ، ١٢٧

على أن الخطأ وقع في المضروب حين اعتقده زيداً فتردده إلى الصواب أن تقول ولكن عمراً)) .[1]

والذى يظهر أنّ الطيبى قد تأثر بالسكاكى فيما أورده كما هو واضح من اعتماده بعض عباراته أيضاً ، كما تأثر بالامام فى كلامه السابق الخطيب حيث قال :- ((وأمّا تقديم مفعوله ونحوه عليه فلردّ الخطأ فى التعيين كقولك زيداً عرفت لمن اعتقد أنك عرفت انساناً ، وأنّه غير زيد ، وأصاب فى الأول دون الثانى ، وتقول لتأكيده وتقريره زيداً عرفت لا غيره ، ولذلك لا يصحّ أن يقال مازيداً ضربت ، ولا أحداً من الناس لتناقض دلالتى الأول والثانى ، ولا أن تعقب الفعل المنفى باثبات ضدّه كقولك مازيداً ضربت ولكن أكرمته لأنّ مبنى الكلام ليس على أنّ الخطأ فى الضرب فتردّه إلى الصواب فى الإكرام ، وإنّما هو على الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنّه زيد فردّه إلى الصواب أن تقول ولكن عمرا)) .[2]

من هذا يتبين لنا مدى تأثر الجميع بالامام عبد القاهر إمام البلاغيين فيما ذكره فالكل استقى من نبعه ونهل من بحره فرحم الله الجميع .

تقديم المعمولات الأخرى :-

فصل الطيبى بين مبحث تقديم المجرور على بعض المعمولات وبين مبحث تقديم بعض المعمولات على بعض ، وجعل كل واحد فى فصل مستقل من فصول باب التقديم والتأخير التابع لباب المسند لكنى آثرت ادراج تقديم المجرور ضمن مبحث تقديم بعض المعمولات على بعض واتبعت فى هذا ما سار عليه الخطيب إذ لم يفصل بين المجرور وبين باقى المعمولات غير المفعول به ، ذكر الطيبى فى تقديم المجرور قوله تعالى ((وأرسلناك للناس رسولاً))[3] وأنّ المراد به قصر القلب إذ جاء ردّاً على اليهود الذين زعموا أن بعثته صلى الله عليه وسلم كانت خاصة بالعرب ، والألف واللام فى الناس للاستغراق لكون الكل جاء فى مقابلة البعض فلا تحمل على العهد لئلا يختصّ بالعرب ، ولا على الجنس لئلا يخرج الجن .[4]

---

(١) المفتاح ص ١٠١

(٢) الايضاح ص ١١٠ ، ١١١

(٣) من الآية ٧٩ من سورة النساء .

(٤) انظر الحدائق ص ٥٠٥

أما الشارح فذكر أنّ القصر فى الآية اعتبر قصر قلب لأنّ الألف واللام فى الناس لمّا حملت على الاستغراق إى أن بعثته صلى اللهعليه وسلم كانت لكل الناس عربهم وعجمهم أنسهم وجنّهم ردت على اليهود زعمهم أنّه صلى الله عليه وسلم مبعوث لبعض الناس فاثبات الكل قلب عليهم حكمهم باثبات البعض فهذا وجه اعتبار القصر فى الآية قصر قلب ، واعتبرت الآية فى اليهود لأنّ الآية التى قبلها ((وإن تصبهم حسنة .....))[1] الآية نزلت فى اليهود عندما تشاءموا لعنهم الله بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقالوا منذ دخلت المدينة نقصت ثمارها فردّ الله عليهم فلمّا كان هذا الأمر يتعلق بالشؤون الدنيويّة عقّبه بما يتعلّق بالأمور الدينيّة استطراداً ردّ عليهم زعمهم بأنّه بعث إلى العرب خاصة ردّ عليهم زعمهم بأنّه بعث إلى الناس كافّة ، لهذا لا يصحّ حمل الألف واللام فى الناس على العهد إذ بموجبه تقتصر بعثته على بعض الناس وهم العرب دون غيرهم كما أنّه لا يصحّ حملها على الجنسية إذ بمقتضاه تقتصر بعثته على الانس دون الجن ، والثابت أنّه مبعوث إلى الجن أيضاً كما رجّح الشارح اعراب [رسولاً] حالاً على اعرابها مصدراً مؤكداً لأنّ الحال يعمل فيما قبله فيصحّ تعلّق ((للناس)) به وهذا مايقتضيه المقام لأنّ الكلام مع اليهود أمّا إذا أعرب مصدرا مؤكداً فللناس يكون متعلقا بأرسلناك ، وقد رجّح الشارح الوجه الأول فى اعراب الآية على الوجه الثانى بعد أن ذكر أنّ العكبرى[2] يجيز الوجهين من الاعراب أى اعتبارها حالاً أو مصدراً مؤكداً ، ولم يرجح أحد الوجهين على الآخر[3] وهذا يبرز شخصيّة الشارح وإن كانت فى مثل هذه المسائل الصغيرة التى لا تعدو ترجيح وجهاعرابى على وجه آخر و قد تبيّن لى أنّ الطيبى فى كلامه حول الآية تأثر بما ذكره السكاكى الذى قال :- ((وتراهم فى قوله تعالى ((وأرسلناك للناس رسولا)) يحملون تعريف الناس على الاستغراق ، ويقولون المعنى لجميع الناس رسولاً وهم العرب ، والعجم لا للعرب وحدهم دون أن يحملوه على تعريف العهد ، أو تعريف الجنس لئلا يلزم من الأول اختصاصه ببعض الانس لوقوعه فى مقابلة كلهم ومن الثانى اختصاصه بالانس دون الجن))[4] .

وقد تأثر السكاكى فى هذا الكلام بما ذكره الزمخشرى عند تفسيره للآية السابقة حيثقال :-

((وأرسلناك للناس رسولا)) أى رسولاً للناس جميعاً لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله ((وما أرسلناك إلّا كافة للناس)) ((قل يايّها الناس إنّى رسول الله إليكم جميعا))[5] .

---

(١) من الآية ٧٨ من سورة النساء .
(٢) انظر التبيان فى اعراب القرآن : ١ / ٣٧٥
(٣) انظر الحدائق ص ٥٠٥ ، ٥٠٧
(٤) المفتاح ص ١٠١
(٥) الكشاف : ١ / ٥٤٦

من هذا يتبيّن لنا مدى تأثّر السكاكي بالزمخشري ، ومدى تأثر الطيبي بالسكاكي ، أمّا الشارح فله فضل البيان والتوضيح لما قاله أستاذه كما رأينا فرحم الله تعالى الجميع رحمة واسعة .

كما ذكر الشارح أنّ مثل الآية السابقة في افادة تقديم المجرور للقصر قوله تعالى :-((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .(١)

وأورد ماذكره الزمخشري في الآية من أن ذكر الشهادة في الأول لاثبات شهادتهم على الأمم ، وذكر الشهادة في الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم (٢) ، وقد بيّن الشارح كلام الزمخشري فذكر أن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم لمّا كانوا أمة وسطاً أي عدولاً في شهادتهم في القضايا ، والأحكام بكونهم عدولاً من بين سائر الأمم جعلهم شهداء على الناس ولمّا كانوا بحاجة إلى رقيب يحفظ أحوالهم، ويزكيهم جعل الرسول شهيداً عليهم ، كما ردّ الشارح على بعض من زعم أنّ المقصود في الآية أنّ الرسول مختصّ بكونه شهيداً عليهم ، وليس اختصاصهم بكون الرسول عليهم شهيدا لأنّ الفرق هنا كالفرق بين قولنا خصصت زيداً بالاكرام وبين قولنا خصصت الاكرام بزيد، فالأول معناه مافعلت في حقّ زيد إلّا الاكرام، والثاني معناه مافعلت الاكرام إلّا في حق زيد .

ردّ الشارح على هذا الزاعم بأن الأمر بالعكس في المثالين المذكورين فالمعنى في المثال الأول المخصوص من العام بالاكرام هو زيد ، وفي المثال الثاني أن الاكرام هو المخصوص من بين عموم الصفات بزيد ، وكذلك الكلام في الآية فان الله اختصّهم بكون الرسول شهيداً عليهم دون غيرهم ، والمعنى أنّ الرسول عليكم شهيداً لا على غيركم ، وليس أنّ الله اختص الرسول من بين سائر الناس بكونه شهيداً عليهم ، ويشهد لصحة هذا المعنى من التخصيص ماورد في الحديث لا تختصّوا ليلة الجمعة بقيام من بين سائر الليالي ، ولا تختصّوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلّا أن يكون في صوم ، وقوله تعالى ((والله يختصّ برحمته من يشاء)) .(٣) ليس المراد في الآية أنّ الله يختصّ من يشاء من عباده برحمته دون عذابه بل المراد أنّ الله يختص بعض خلقه برحمته دون آخرين كما اقتضت مشيئته والله أعلم .(٤)

هذا مجمل ماذكره في شرحه، وبيانه لكلام الزمخشري وردّه على ما أورده الزاعم في توجيه الآية من أنّ المقصود تخصيص الرسول دون غيره بكونه شهيدا على أمته لا تخصيص أمته دون غيرها من الأمم

---

(١) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٢) انظر الكشاف : ١/٣١٨

(٣) من الآية ١٠٥ من سورة البقرة .

(٤) انظر الحدائق ص ٥٠٧ .

يكون الرسول شهيداً عليهم فجهد الشارح قد برز بتوضيح ماقاله الزمخشري، والردّ على من يرى ذلك التوجيه في الآية .

هذا وقد تبين لي أنّ السكاكي قد تأثّر بماقاله الزمخشري فيتوجيه الآية حيث قال :-((..... يقولون أخرت صلة الشهادة أولاً وقدّمت ثانياً لأن الغرض في الأول اثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم)) .(١)

وقد نقل الخطيب هذا الكلام نقلاً يكاد يكون حرفياً حيث قال :-((أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثاني لأنّ الغرض في الأول اثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم)) .(٢)

من هذا يتبين لنا ظهور جهد الشارح في شرح توجيه الزمخشري والردّ على من يرى التوجيه المخالف في الآية كما سبق بيانه ، كما ذكر الطيبي في التقديم الواقع بين المعمولات أن يكون للاهتمام دون التخصيص ، وعليه قوله تعالى ((وجعلوا لله شركاء الجن))(٣) ، فإنّ تقديم لفظ الجلالة يفيد الاهتمام، وقد تبع الطيبي في هذا التوجيه السكاكي (٤) ، وردّ على الخطيب الذي ذكر في اعتراضه على السكاكي أنّ تقديم لفظ الجلالة في الآية لا يفيد الاهتمام والعناية به فإنّ الآية مسوقة للانكار التوبيخي ، وهذا لا يتأتى إلّا من خلال تعلق الفعل بلفظ الجلالة، وتعلق شركاء به فالتقديم في الآية لا يفيد العناية ، ولا فرق بينها وبين مالو قال وجعلوا الجن شركاء لله فتقديم أحد المفعولين في الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين لا يفيد الاهتمام لأنّ النظر إليه من خلال تعلقه بالمفعول الآخر فتقديمه عليه لا يفيد الاهتمام (٥) ، هذا مجمل اعتراض الخطيب، وقد ردّ عليه الطيبي بردّ قوي حيث ذكر أنّ الانكار وإن كان لا يفيد إلّا من خلال النسبة لكن في تقديم أحدهما على الآخر فائدة ليست في التأخير ، واستشهد بما ذكره سيبويه من أنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً مما يهمانهم ففي تقديم لفظ الجلالة استعظام أن يكون له شركاء هو المقصود بالذات من غير نظر إلى حال الشركاء وإن كان يلزمه بالعرض انتفاء نسبتها عنه بخلاف ما إذا أخرت لفظ الجلالة، وقدمت شركاء .(٦)

هذا مجمل ماردّ به الطيبي على الخطيب في اعتراضه على السكاكي وهو رد قوي وجيد يشهد

---

(١) المفتاح ص ١٠١
(٢) الايضاح ص ١١١ ، ١١٢
(٣) من الآية ١٠٠ من سورة الأنعام .
(٤) انظر المفتاح ص ١٠٣
(٥) انظر الايضاح ص ١١٧
(٦) انظر الحدائق ص ٥٠٩ ، ٥١١ .

لرسوخ قدمه فى الفن ، ودقة فهمه للأساليب ، والتفريق بينها ، ويدل على أنه ليس كل ما اعترض به الخطيب على السكاكى ، وقال فيه نظر يسلم له فيه فإن من تلك الاعتراضات مايمكن الاجابة عنها بجواب قوى ومقنع يرد به على الاعتراض كالمثال السابق واستكمالاً لجواب الطيبى عن اعتراض الخطيب أنه لا يسلم له أنه لا فرق بين التلاوة وعكسها فإن هذا غير صحيح لأن الآية بتقديم الجار والمجرور أبلغ وأولى لأن نظم القرآن أبلغ من أى نظم سواه .(١)

أما الشارح فذكر أن الجار والمجرور إذا اعتبر لغواً يكون موقعه بعد المفعولين ، والتقدير وجعلوا الجن شركاء لله فتقديم لفظ الجلالة هو العناية والاهتمام به واستعظام ذاته أن يتصور لجلاله مطلق شريك من غير نظر إلى جواز اتخاذه أو عدمه ، وتقديم شركاء استعظام اتخاذ الشركاء مطلقاً سواء كان من الجن أو من غيره ، ثم ذكر أن الفعل المبنى للمجهول [قيل] فى كلام شيخه القائل هو صاحب المفتاح فى اعتراضه على السكاكى .(٢)

ويظهر أن الشارح اكتفى بجواب شيخه عن اعتراض الخطيب مشيراً إليه لوضوح ماقاله شيخه .

كما ذكر الطيبى أن التقديم قد يكون للاحتياط ، واستشهد له بقوله تعالى ((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه))(٣) ، حيث قدم ((من آل فرعون)) على ((يكتم إيمانه)) حتى لا يفهم أن آل فرعون من صلة يكتم .(٤)

أما الشارح فذكر أن التقديم يظهر من تقديم أحد الوصفين وهو من آل فرعون على يكتم ايمانه فإن التقديم كان من حق يكتم لأنه أهم لبيان اظهار اضطراره إلى الكتمان ، وأنه شاهد من القوم ما ألجأه إلى كتف ما أسره منهم ، أما وصف من آل فرعون فليتميز الرجل وأنه ليس من بنى اسرائيل ، فكان مرتبته التأخير لكن قدم للإحتياط .(٥)

هذا بيان حسن من الشارح فى وجه تقديم أحد الوصفين فى الآية ، فبينما الطيبى وتلميذه يريان أن تقديم أحد الوصفين فى الآية كان للإحتياط يرى الخطيب أن تقديم أحد الوصفين لدفع الاخلال بالمعنى حيث قال :- ((وإما لأن التأخير إخلالاً ببيان المعنى كقوله تعالى ((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)) ، فإنه لو أخر من آل فرعون عن يكتم ايمانه لتوهم أن من متعلقه

---

(١) انظر بحوث المطابقة : ص ٣٢٠
(٢) انظر الحدائق ص ٥٠٩
(٣) من الآية ٢٨ من سورة غافر .
(٤) انظر الحدائق ص ٥١٥
(٥) انظر الحدائق ص ٥١٥

بـ ((يكتم)) فلم يفهم أنّ الرجل من آل فرعون)) .[1]

كما تبيّن لى أنّ السعد وافق الخطيب فيما ذهب إليه فى توجيه الآية ، فقد قال :- ((... يعنى أنّه قد ذكر لرجل ثلاثة أوصاف ، والسبب فى تقديم الأول أعنى ((مؤمن)) ظاهر لأنّه أشرف الأوصاف ، وأمّا الثانى فسبب تقديمه على الثالث أن لا يتوهم خلاف المقصود)) .[2]

ويظهر لى أنّ كلام الطيبى وتلميذه من أن تقديم أحد الوصفين فى الآية جاء للاحتياط لا يضاد ماذكره الخطيب ، ووافقه عليه السعد تقديم أحد الوصفين لدفع مايرد من خلل فى المعنى المقصود فإنّه يمكن حمل كلام الطيبى وتلميذه على أن الاحتياط مما يخلّ بالمعنى المقصود .

كما ذكر الطيبى أنّ التقديم قد يكون لمراعاة النظم نحو قوله تعالى ((والقمر قدرناه منازل))[3] ، ليكون على نسق الآيتين السابقتين .[4]

أما الشارح فذكر أن الآية جاءت على نسق الآيتين اللتين قبلها فالآية الأولى ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار))[5] ، والآية الثانية ((والشمس تجرى لمستقرّ لها))[6] وسبب نصب القمر ورفع الليل والشمس أنّه لمّا كان القمر تتغيّر أحواله ، ويسرع سيره وانتقاله من منزل إلى منزل جئ بالفعل فى الدرجة الأولى ، وأمّا الليل والشمس فلمّا كان تغيّر أحوالهما دون القمر جئ بالفعل فى الدرجة الثانية ، ويجب أن يقدّر المفسر قبل الضمير المنصوب ، والتقدير والقمر قدرنا قدرناه حتى يفيد التخصيص والتوكيد هذا توجيه حسن من الشارح للآية فى وجه نصب القمر ، ورفع الشمس والليل .[7]

هذا وقد تبيّن لى أنّ الزمخشرى[8] ذكر قراءة أخرى فى القمر وهى الرفع على الابتداء أو عطفاً على الليل ، وعلى قراءة النصب فعلى التقدير الذى ذكره الشارح الذى يظهر أنّه تأثر فيه بالزمخشرى لكنّ الشارح كان جدّ موفق فى توجيه قراءة النصب .

---

(١) الايضاح ص ١١٤

(٢) المطول ص ٢٠٢

(٣) من الآية ٣٩ من سورة يس

(٤) من الآية ٣٧ من سورة يس

(٥) انظر الحدائق ص ٥١٥

(٦) من الآية ٣٨ من سورة يس .

(٧) انظر الحدائق ص ٥١٥

(٨) انظر الكشاف : ٣/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

الفصل الخامس : القصـــر :

هذا العنوان لا نجده عند الطيبي ، فقد جعل المباحث التي تندرج تحت باب القصر مثل وجـه استفادة القصر من النفي والاستثناء وقصر الفاعل على المفعول وعكسه ، ودليل افادة إنّما القصـــر والكلام عن طرق القصر الأربعة وهي العطف، والنفي والاستثناء، وإنّما، والتقديم والفرق بينها ، كل هـذه المباحث وغيرها ألحقها الطيبي بباب التقديم والتأخير في آخر الفصل الذي تحدث فيه عن اعتراض جملة بين جملة وتقديم بعض الجمل على بعض . [1] وقد علّل الشارح فعل أستاذه بأنّ غرضه من ذلـك انخراط الأبحاث التي تتعلق بالمسند في سلك واحد لأنّه في صدد أبحاث المسند، ومنها كونه فعـلاً وكونه فعلاً مقدّماً أو موخراً على معمولاته، وكذلك الكلام في تقديم بعضها على بعض فالتـــزم منه بحث الحصر في الجمل، وألحق الحصر الواقع بين المبتدأ والخبر في آخر باب التقديم والتأخيـر في مبحث تكميلي مع أنّ الواجب ضمّه إلى باب المسند إليه كما رمز إليه صاحب المفتاح لأنّ هـذا المبحث كالتكميل لأبحاث المسند اليه والمسند فبعد أن انتهى من أبحاثهما ألحق بهمـا ماهو مشترك بينهما ، فلهذا أخر الحديث عنه . [2]

هذا مجمل ماعلّل به الشارح دراسة أستاذه لباب القصر، وقد تبين لي أن السكاكي أفرد المباحـث التي تندرج تحت القصر بفصل مستقل أطلق عليه :- فصل في بيان القصر تحدث فيه عن معنـى قصر الإفراد ، ومعنى قصر القلب في حال قصر الموصوف على الصفة أو عكسه ، ثمّ بين طرق القصـر الأربعة وهي العطف ، والنفي ، والاستثناء ، وإنّما ، والتقديم ، والفرق بينها ، وما يختص به طريـق النفي والاستثناء ، وطريق إنّما ، وختم هذا الفصل ببيان قصر الفاعل على المفعول وعكسه ، وقصـر أحد المفعولين على الآخر وقصر صاحب الحال على الحال وعكسه . [3]

أمّا الخطيب [4] فبينما تبع السكاكي في افراد مباحث القصر بباب أو فصل مستقل، وتبعه أيضـاً في دراسته كثير من الأصول التي يقوم عليها هذا الباب مثل طرق القصر، والفرق بينها نجـده خالفه في بعض المسائل مثل تقسيمه [5] للقصر باعتبار حال المخاطب إلى افراد وقلب وتعيين فـإنّ

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٢١ - ٥٦٧

(٢) انظر الحدائق ص ٥٢١ ، ٥٢٣

(٣) انظر المفتاح ص ١٢٥ - ١٣١

(٤) انظر الايضاح ص ١١٨ - ١٣٠

(٥) انظر الايضاح ص ١١٨ ، ١١٩

السكاكي[1] قسّمها إلى افراد وقلب كما أنّ الخطيب اعتبر القصر أحد الأبواب الثمانية التي يقوم عليها علم المعاني ، هذا وقد آثرت اتباع السكاكي والخطيب في افراد مباحث القصر بفصل مستقل لأهمّيته في الدراسة البلاغية ، ولتشعب مسائله ، وتفرع مباحثه ، وعلى رأي الخطيب يعدّ أصلاً من الأصول التي يقوم عليها علم المعاني قائم برأسه فحقّه أن ينفرد بفصل مستقل .

مقومات القصر :-

ذكر الطيبي أن المستلزمات التي توجب احكام القصر هي العموم والمناسبة في الجنس والوصف ، وهي مستدعيات يجب رعايتها ليمكن الاخراج ففي طريق النفي والاستثناء مثلاً نجد الاستثناء مستدع للمستثنى منه العموم فيه ، والمناسبة بينهما في الجنس والوصف أي كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالاً أو غير ذلك .

أمّا الشارح رحمه الله فبيّن من خلال المثال وجه كون هذه المستلزمات ، وهي العموم والمناسبة في الجنس والوصف كيف أنّها توجب احكام القصر فذكر أنّك إذا قلت مثلاً في قصر الموصوف على الصفة ما زيد إلا يجيء فإنّ يجيء وصف لزيد يقتضي مستثنى منه عاماً في جنسه ، ووصفه وهو أعم عام الأفعال التي تنسب إلى زيد تارة وتنفى عنه أخرى ، وإذا قلت مثلاً في قصر الصفة على الموصوف ما يجيء إلا زيد فإنّ زيداً فاعل الفعل السابق يقتضي مستثنى منه عاماً في جنسه ووصفه في أن يسند إليه هذا الفعل تارة ، وينفى عنه أخرى ، والمقصود بالوصف كونه فاعلاً ونحوه فالاستثناء اخراج الشيء مما لولاه لكان داخلا فيه ، والقصر مبناه على أثبات المنفى ونفي المثبت والمنفى ههنا منفى على المبالغة لأنّه داخل في عموم المستثنى منه ، وأنّه فرد من أفراده ولما سيق الكلام له دخل فيه دخولاً أولياً والمثبت ههنا مثبت على التأكيد كما قال الزجاج في قوله تعالى :-

((فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما))[2] ، فإنّ الاستثناء يستعمل في كلامهم وتأويله تأكيد العدد وكماله ، لأنّك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها فإذا أردت توكيد تمامها استخدمت كلّ ، وإذا أردت توكيد نقصها استخدمت الاستثناء فتقول مثلاً : جاء اخوتك ، فيحتمل أنهم جاؤوا جميعاً ، ويحتمل أنهم جاء أكثرهم ، فإذا أردت أنهم جاؤوا جميعاً قلت كلهم ، وإذا أردت تأكيد جماعة الأخوة ينقصهم زيد قلت إلا زيدا لهذا كانت صيغة النفي والاستثناء أصلاً في الاعتبار ومقيساً عليها ، ولما كان القصر ردّ المخاطب في حكمه من نفي ما أثبته ، واثبات ما نفاه ففي النفي

---

(١) انظر المفتاح : ١٢٥

(٢) من الآية ١٤ من سورة العنكبوت .

والاستثناء تجد أنك تنفي أولا ما أثبته المخاطب ضمن عموم المستثنى منه ثم تثبت بالاستثناء مانفاه المخاطب ، ونجد هذا الاثبات والنفي صريحاً أيضاً في العطف لهذا اعتبر طريق النفي والاستثناء والعطف أصلين في باب القصر يقاس عليهما بقيّة الطرق وهي إنّما وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر والتقديم.(١)

هذا بيان حسن من الشارح وتوضيح جيد لما قاله أستاذه حيث استعان بالأمثلة لشرح مايريد وقد قيل بالمثال يتضح المقال ، هذا وقد تبين لي أنّ الطيبي وتلميذه تأثرا بالسكاكي تأثراً واضحاً ، فقد قال السكاكي :-((وإذ قد ذكرنا القصر فيما بين المسند والمسند إليه بالطرق التي سمعت فقد حان أن نذكره فيما بين غيرهما كالفاعل والمفعول ، وكالمفعولين ، وكذى الحال والحال ونحن نذكره في ذلك بطريق النفي والاستثناء .....

.....

والأصل في جميع ذلك هو أنّ إلّا في الكلام الناقص تستلزم ثلاثة أشياء أحدها المستثنى منه لكون إلّا للإخراج واستدعاء الاخراج مخرجاً منه ، وثانيها العموم في المستثنى منه لعدم المخصص وامتناع ترجيح أحد المتساويين .....

وثالثها مناسبة المستثنى منه للمستثنى في جنسه ووصفه ، وأعني بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالاً .....)).(٢)

فتأثر الطيبي وتلميذه بالسكاكي واضح كما رأينا .

مناقشات الشارح لآراء العلماء في القصر الحقيقي :-

ردّ الشارح على الخطيب(٣) الذي اعترض على السكاكي بأنّه أهمل القصر الحقيقي ردّ عليه بأن إهمال السكاكي لهذا النوع من القصر لأنّه لم يوجد فيه مقتضى القصر ، وهو سبق خطأ من المخاطب أو كون الحكم فيه مشوباً بالخطأ والصواب ، فيورد المتكلم القصر ليردّ المخاطب عن خطئه إلى الصواب ولم يعرف القصر الحقيقي إلا كلمة التوحيد على المذهب التميمي(٤). فهذا غير متحقق في القصر الحقيقي الذي هو اختصاص المقصور بالمقصور عليه ، وعدم تجاوزه إلى شيء مما سواه أصلاً على

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٢٣ ، ٥٢٥

(٢) المفتاح ص ١٢٩

(٣) انظر الايضاح ص ١٢٠

(٤) انظر الحدائق ص ٥٢٥ ، ٥٢٨

وجه العموم فالحكم فيه لم يسبقه خطأ من المخاطب ليدفعه المتكلم .

والذى ظهر لى أنّ السكاكى نص على كون الحكم فى القصر مشوباً بالخطأ والصواب ، وذلك فى جميع طرق القصر سواء حملت على قصر القلب أو قصر الافراد حيث قال :- ((وهذه الطرق تتفق من وجه ، وهو أن المخاطب معها يلزم أن يكون حاكماً حكماً مشوباً بصواب وخطأ ، وأنت تطلب بها تحقيق صوابه ونفى خطئه تحقق فى قصر القلب كون الموصوف على أحد الوصفين ، أو كون الوصف لأحد الموصوفين وهو صوابه وتنفى تعيين حكمه وهو خطؤه ، وتحقق فى قصر الافراد حكمه فى بعض ، وهو صوابه ، وتنفيه عن البعض وهو خطؤه)) .(١)

فكون السكاكى لم ينصّ على القصر الحقيقي لا يعنى انكاره ، فقد ذكر كثير من البلاغيين القصر الحقيقي ومثّلوا له وذكر بعض البلاغيين أنّه ((أشار علماء البلاغة إلى أنّ للقصر تقسيمات عديدة منها أنّه ينقسم باعتبار عموم نفى المقصور عمّا سوى المقصور عليه أو خصوص نفيه عمّا سواه أيضاً إلى نوعين : حقيقى واضافى ، فالقصر الحقيقى هو ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه ولا يجاوزه أصلاً إلى شيء مما سواه كقوله تعالى ((الله لا اله إلا هو الحى القيوم)) .(٢) فصفة الألوهية فى الآية الكريمة مقصورة على الله تعالى ، ولا تجاوزه إلى ماسواه بحال من الأحوال ، ومن ثمّ كان القصر حقيقياً كما ترى)) .(٣) ، على أنّ السعد ردّ على الخطيب بأنّ السكاكى لم يهمل القصر الحقيقى لكن لمّا كان قليل الجدوى توهم الخطيب أنّه أهمله إذ كلام السكاكى يشير إلى أنه لم يهمله يقول السعد فى هذا :- ((ولمّا لم يصرّح صاحب المفتاح بتقسيمه إلى الحقيقى وغير الحقيقى لقلّة جدواه توهّم المصنف [يقصد الخطيب] أنّه أهمل ذكر الحقيقى وليس كذلك لأنّه قال (٤) :- حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف بوصف دون ثان أو بوصف مكان آخر ، أو إلى تخصيص الوصف بموصوف دون ثان أو بموصوف مكان آخر ، وهذا التفسير شامل للحقيقى وغيره لأنّ المراد بقوله ثان وآخر مايصدق عليه أنّه ثان أو آخر أعم من أن يكون واحداً أو أكثر إلى مالا نهاية له إذ لو أريد الواحد لخرج عنه كثير من أمثلة غير الحقيقى أيضاً كقولك مازيد إلّا كاتب لمن اعتقد أنّه كاتب وشاعر ومنجم ، وكقولك ماشاعر إلّا زيد لمن اعتقد أنّ زيداً وبكراً وخالداً شعراء فليتأمل فهذا منشأ توهم اختصاص التفسير بغير الحقيقى ، نعم إنّه قد أورد الأمثلة فى أثناء هذا التفسير من غير الحقيقى اعتباراً لكثرة الوقوع ، واحترازاً عن وصمة الكذب ، وكلامه لا يخلو عن أمثلة هى ظاهرة فى الحقيقى مثل(٥) زيد شاعر

---

(١) المفتاح ص ١٢٧

(٢) من الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) بحوث المطابقة ص ٣٢٣

(٤) انظر المفتاح ص ١٢٥

(٥) انظر المفتاح ص ١٢٥

لا غير، وليس غير، وليس إلّا ومثل [1] ومثل ما ضرب عمراً إلّا زيد وما ضرب زيداً إلّا عمراً ، وإذا تأملت وجدته مشيراً إلى التقسيم أيضاً حيث قال [2] متى أدخلت النفي على الوصف المسلم ثبوته وقلت ما شاعر توجه النفي بحكم العقل إلى ثبوته للمدعى له إن كان عامّاً كقولك في الدنيا شعراء ، أو في قبيلة كذا شعراء وإن كان خاصّاً كقولك زيد وعمرو شاعران فيتناول النفي ثبوته لذلك فمتى قلت إلّا زيد أفاد القصر)) [3].

ويظهر لي أنّ جواب السعد عن اعتراض الخطيب على السكاكي أقوى وأظهر من جواب الشارح ، فبينما سلّم الشارح للخطيب من أنّ السكاكي لم يشر إلى القصر الحقيقي لم يسلم له السعد ذلك ، وردّ عليه من كلامه أي السكاكي وذكر أنّه أشار إلى القصر الحقيقي وهو ما يفهم من كلامه وإن لم ينصّ على ذلك ويذكره صراحة والله أعلم .

مناقشات الشارح لآراء العلماء في قصر التعيين :-

ردّ الشارح على الخطيب في اثباته قصر التعيين ، وردّ عليه اعتراضه على السكاكي في أنّه أدخل قصر التعيين في قصر الافراد ، وليس منه ، وقصر التعيين كما بيّنه الشارح هو ما يتساوى الأمران عند المخاطب أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، واتصافه بغيرها نحو ما زيد إلّا قائم لمن يعلم أنّه إمّا قاعد أو قائم ولا يعلم أنّه بماذا يتصف منهما بعينه أو اتصافه بها، واتصاف غيره بها مثل ما قائم إلّا زيد لمن اعتقد أنّ القائم أحدهما دون كل منهما ، ولا يعلم من هو منهما ردّ الشارح عليه بأنّه لا يوجد في قصر التعيين مقتضى القصر وهو سبق الخطأ من المخاطب ليحقق المتكلم صوابه ، ويردّ خطأه أمّا اعتراضه بأنّ السكاكي أدخل قصر التعيين في قصر الافراد فيجاب عنه بأنّ الذي أدخله في جنس قصر الافراد ليس قصر التعيين الذي ذكره في شيء فان الذي يفهم من كلامه - أي السكاكي - أنّه جعل قصر الافراد على نوعين نوع يعتقد المخاطب فيه وصفين لموصوف واحد ثم يحكم بما اعتقد فحكمه صواب من وجه وخطأ من وجه لأنّ أحدهما واقع دون الآخر فالمتكلم يورد القصر فيحقق ويثبت ما أصاب فيه ويردّ ما أخطأ فيه، ونوع آخر يتوهم فيه المخاطب أن الموصوف على أحد الوصفين دون ترجيح ، ويتردد في اثبات الحكم فتارة يقول إنّ زيداً قائم وتارة يقول إنّه قاعد فيورد المتكلم القصر ليثبت أحد الوصفين دون الآخر .

---

(١) انظر المفتاح ص ١٢٩

(٢) انظر المفتاح ص ١٢٦

(٣) المطول ص ٢٠٤ ، ٢٠٥

والتعيين الذى ذكره الخطيب يعود إلى باب الاسناد الطلبى فإنّ المخاطب إذا علم مسمى يزيد وعلم قياماً ما ولكن لا يعلم أنّ هذا المسند له أو لغيره ، أو يعلم زيداً ولكن يشك فى قيامه وقعوده فحينئذ يؤكد الخبر بإن ونحوها من المؤكدات وما وإلّا وضعاً لرد حكم المنكر المصرّ حقيقة أو حكماً كما نصّ عليه صاحب المفتاح [1] وقرره صاحب الايضاح [2] فأين المنكر فضلاً عن أن يكون مصراً فيما أطلق عليه الخطيب قصر التعيين فمن لم يقف على مثل هذا التحقيق فليس له أن يشنّع على من يعدّ علماً من أعلام هذا الفن [3] .

هذا مجمل ما ردّ به الشارح على الخطيب فى اعتراضه على السكاكى ، ويظهر لى أنّ هذا الجواب جواب قوى لا يمكن دفعه بسهولة ، ويدلّ على دقة الشارح فى فهم كلام السكاكى مع الاستيعاب والشمول فى دراسته لكتاب المفتاح ويشهد لقوّة جوابه أنّ السعد اعتبر أفراد الخطيب لقصر التعيين بنوع مستقل هفوة لم يقصد فيها إلى المخالفة ، وأنّ كلام السكاكى مشترك بين قصر الافراد وما أطلق عليه الخطيب قصر تعيين ، وحاول الاعتذار للخطيب يقول السعد :-

((ويسمّى هذا القصر قصر تعيين لتعيينه ماهو غير معيّن عند المخاطب فالحاصل أنّ تخصيص شيء بشيء دون آخر قصر افراد وتخصيص شيء بشيء مكان آخر أن اعتقد المخاطب فيه العكس قصر قلب ، وإن تساويا عنده قصر تعيين ، وفيه نظر لأنّه إذا تساوى الأمران عند المخاطب وعين المتكلم احداهما يكون هذا تخصيص أمر بصفة دون أخرى لا تخصيص أمر بصفة مكان أخرى لأنّه لم يثبت الصفة الأخرى حتّى يثبت المتكلم تلك الصفة مكانها ألا ترى أنك إذا قلت ما يزيد إلّا قائم لمن اعتقد اتصافه بواحد من القيام والقعود على التساوى فقد خصصته بالقيام متجاوزاً القعود ولم تخصّصه بالقيام مكان القعود لأنّ المخاطب لم يعتقد اتصافه بالقعود حتى توقع القيام مكانه ، وكذا الكلام فى قصر الصفة ، ولهذا جعل صاحب المفتاح تخصيص شيء بشيء دون آخر مشتركاً بين قصر الإفراد والقصر الذى سمّاه المصنف قصر تعيين وجعل تخصيصه به مكان آخر قصر قلب فقط .....

- [وبعد أن تحمل السعد للخطيب الأعذار قال] -

قلت بعد ارتكاب جميع ذلك فالاشكال بحاله لأنّ غاية هذا التكلف أن يتحقق فى قصر التعيين تخصيص شيء بشيء مكان آخر لكنه لا يقتضى أن يمتنع فيه تخصيص شيء بشيء دون آخر لأنّ قولنا ما زيد إلّا قائم لمن يردده بين القيام والقعود تخصيص له بالقيام دون القعود ، وهذا ظاهر لا مدفع له ، فحينئذ يكون قوله دون أخرى مشتركاً بين الافراد والتعيين ، ولا يلزم أن يكون

---

(١) انظر المفتاح ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) انظر الايضاح ص ١٢٣

(٣) انظر الحدائق ص ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨

المخاطب به من يعتقد الشركة البتّة بل إمّا من يعتقد الشركة أو من تساويا عنده ، وغاية مايمكن في هذا المقام أن يقال إن في كلامه حذفاً واضماراً ، وتقديره المخاطب بالأول من يعتقد الشركة ،أو تساويا عنده ، وبالثاني من يعتقد العكس،أو تساويا عنده ، ويسمى القصر الذي يكون المخاطب به من تساويا عنده سواء كان دون أخرى أو مكان أخرى قصر تعيين وكفى دليلاً على متانة كلام المفتاح ،وركاكة هذا الكلام أنّه يفتقر إلى هذه التكلفات ولعلّه هفوة صدرت عنه من غير قصد إلى المخالفة)) .(١)

من هذا يتبيّن لنا أنّ الشارح والسعد اتفقا في الردّ على الخطيب وتأييد السكاكي لكنّهما يختلفان في وجه الرد فبينما السعد ينكر على الخطيب افراده قصره التعيين بقسم مستقل،وكان عليه أن يجعله أحد فرعي قصر الافراد كما يفهم من كلام السكاكي ، فبينما نجد السعد يرى ذلك نجد الشارح لا يعترف أصلاً بقصر التعيين حسب مفهوم الخطيب لقصر التعيين ويرى الحاق مثل هذا بباب الاسناد الخبري ، ويجعل قصر الافراد نوعين كما يفهم من كلام السكاكي النوع الأول المخاطب فيه يعتقد وصفين لموصوف واحد ثمّ يحكم بما اعتقده فحكمه صواب من وجه وخطأ من وجه فيورد المتكلم القصر ليحقق في الجواب ما أصابه المخاطب ويردّ ما أخطأ فيه .

النوع الثاني المخاطب فيه يتوهم الموصوف على أحد الوصفين دون ترجيح فتارة يثبت هذا الوصف وتارة يثبت ذاك،فيأتي المتكلم عن طريق القصر فيزيل توهمه،ويثبت له أحد الوصفين أمّا المخاطب الذي تساوى عنده الأمران أي تساوى عنده وصف ذلك الموصوف بتلك الصفة،واتصاف غيره بها أو تساوى عنده اتصاف ذلك الموصوف بتلك الصفة واتصافه بغيرها على السواء فإنّه غير داخل في أحد نوعي قصر الافراد،وهو قصر التعيين عند الخطيب الذي أنكره الشارح والله أعلم . .

طرق القصر :-

ذكر الطيبي أن القصر إذا جرى بين المبتدأ والخبر فله طرق ست فقال :- ((واعلم أنّ القصر كما يجري بين الفعل ومتعلقاته يجري بين المبتدأ والخبر،وله في هذا النوع طرق ست وقد سبق طريقان طريق توسيط الفصل وطريق تعريف الخبر باللام،وبقي منها طرق أربع أحدها طريق العطف .....

وثانيها طريق النفي والاستثناء .....

وثالثها طريق إنّما .....

ورابعها طريق التقديم .....)) .(٢)

---

(١) المطول ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٢) الحدائق ص ٥٤٠ ، ٥٥٢ ، ٥٦١

فالطيبي جعل هذه الطرق الست خاصة بالقصر الذي يجري بين المبتدأ والخبر بدليل كلامه السابق ، ويظهر لي أنّ هذا سهو منه، ويشهد لهذا السهو أنه استعان بطريق النفي والاستثناء وطريق إنّما في اجراء الحصر الواقع بين الفعل ومتعلقاته حيث ذكر من الأمثلة ماضرب زيد إلّا عمراً ، وما ضرب عمراً إلّا زيد ، وماكسوت زيداً إلّا جبةً ، وماجاء زيد إلّا راكباً ، هذا في طريق النفي والاستثناء ، أمّا في طريق إنّما فذكر إنّما يضرب عمراً زيد، وإنّما يضرب زيد عمرا ، وذكر قول الشاعر :-

أنا الزائد الحامي الذمار وإنّما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي [1]

وذكر الآية ((إنّما يخشى الله من عباده العلماء)) .[2]

فالطرق الستة التي ذكرها الطيبي ماعدا طريق تعريف الطرفين، وطريق ضمير الفصل تجري بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل ومتعلقاته، ومثال اجراء القصر بين الفعل ومتعلقاته بطريق العطف بلا كقولك، مثلاً يطيح محمد أباه لا يعصه ومثال اجرائها بطريق التقديم قولك إيّاك أكرم، أنا أمثله اجرائها بطريق النفي والاستثناء وإنّما فقد سبق التمثيل لهما مما ذكره الطيبي .

١ - طريق العطف :-

مثّل الطيبي لقصر الموصوف على الصفة افراداً أو قلباً بطريق العطف بقوله مازيد شاعر بل منجم أو زيد شاعر لا منجم ، ومثّل لقصر الصفة على الموصوف زيد قائم لا عمرو ، والفرق بين قصر الموصوف على الصفة وبين قصر الصفة على الموصوف في المثالين أن المثال الأول لا يمتنع أن يشارك عمرو مثلاً زيداً في صفة الشاعرية ، وفي المثال الثاني يمتنع هذا والوصف في المثال الثاني وهو زيد قائم لاعمرو يمتنع أن يكون القيام لعمرو بخلاف المثال الأول فإنّ الوصف في قولك، مازيد شاعر بل منجم لا يمتنع أن يشارك زيداً عمرو مثلاً في وصف التنجيم .[3]

أمّا الشارح فذكر أنّ الضابط في هذا الفرق أن تقول في قصر الموصوف على الصفة هذا الموصوف مختصّ بصفة واحدة وفي قصر الصفة على الموصوف هذه الصفة مختصّة بموصوف واحد[4]، هذا تعليق حسن من الشارح في التفريق بين المثالين .

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٢٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٧

(٢) من الآية ٢٨ من سورة فاطر .

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٥٤٠

٢ - طريق النفي والاستثناء :-

ذكر الطيبي أنّ قوله تعالى ((وما محمد إلّا رسول)) [١] من قصر الإفراد أي الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على صفة الرسالة لا يتجاوزها إلى عدم الهلاك كأنّهم اثبتوا له الرسالة والخلد في الدنيا عندما استعظموا أمر وفاته فقصر على وصف الرسالة لكن الذي يقتضيه سداد النظم أن تكون الآية من قصر القلب ، لما أنه جعل المخاطبين بسبب نكوصهم على أعقابهم عند الارجاف بالنبي صلى الله عليه وسلم كأنهم اعتقدوا أنّ وفاته سبب للانقلاب ،وليس حكمه حكم سائر الرسل في وجوب اتباع دينهم بعد وفاتهم لهذا أدخل الهمزة على فاء السببيّة في قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) ليفيد مزيدا لذلك الانكار ، والمعنى إذا علم أن أمره أمر الأنبياء السابقين فلم عكس الأمر فإن لم يجعل العلم سببا للثبات فأن لا يجعل سببا للانقلاب أولى . [٢]

هذا مجمل ماذكره الطيبي حول توجيه القصر في الآية ، أمّا الشارح فإنّه ذكر أن في كلام أستاذه ،والذي يقتضيه سداد النظم أن يكون قلباً تعريض بالسكاكي [٣] وتبعاً له الخطيب [٤] في اعتبارهما الآية من قصر الإفراد كما ذكر الشارح أنّ المختار في الآية ماذهب إليه الزمخشري فقد وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو المستثنى في قوله [وما محمد إلّا رسول] وصفه بقوله :- ((قد خلت من قبله الرسل)) يعلم من هذا أنّ الرّد عليهم لوصف مخالف لهذا الوصف وأنّ حكمه مخالف لحكم سائر الرسل الماضية فليس حكمه حكم سائر الرسل في وجوب اتباع دينهم بعد خلوّهم والقرينة الدالّة عليه قوله ((أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) وهذا الاعتقاد وإن لم يكن منهم حقيقة لكن نكوصهم عند ارجاف الشيطان ألا إنّ محمداً قد قتل نزّل منزلة الاعتقاد على طريقة قول الشاعر :-

جاء شقيق عارضاً رمحه ... إنّ بني عمك فيهم رماح

ثمّ بين الشارح توجيه فاء السببيّة في قوله :-((أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) [٥] فذكر أنّ هذه الفاء مثل اللام في قوله تعالى ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزنا)) [٦] في ترتيب أمر

---

(١) من الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .
(٢) انظر الحدائق ص ٥٤٠ ، ٥٤٢
(٣) انظر المفتاح ص ١٢٥
(٤) انظر الايضاح ص ١٢٣
(٥) من الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .
(٦) من الآية ٨ من سورة القصص .

على أمر لا يطلب بالأمر الأول الأمر الثانى فإنّ مقتضى معرفتهم أنّ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم حكم سائر الرسل الخالية سبب لثباتهم على دينهم ، وعدم الانقلاب لكن جعله سبباً لمزيد الانكار والتوبيخ .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح ويظهر من خلاله تأييده لأستاذه مستعيناً بتوجيه الزمخشرى فى اعتبار القصر فى الآية قصر قلب مخالفاً بذلك السكاكى والخطيب .

كما استشهد الشارح لقصر الإفراد بطريق النفى والاستثناء بقوله تعالى :- ((وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلّا تكذبون))(٢) ، اعتبر الشارح الآية من قصر الافراد تبعاً للسكاكى(٣) الذى ذكر أنّ المقصود من الآية أنكم مقصورون عندنا على الكذب ولستم فى دعواكم مترددين بين الصدق والكذب كما هو حال كلّ مدع دعوى ، وقد ردّ الشارح على الترمذى أحد شراح المفتاح الذى اعتبر الآية من قصر القلب ، واعترض على السكاكى بأنّ كلامهم يصح لو كان الكلام مع غير الرسل لاحتمال الصدق والكذب فى دعواهم ، أمّا الكلام مع الرسل فلا يصحّ لأنّ الرسل قاطعون بصدق دعواهم فلا يكون المخاطبون مترددين بين أمرين فكيف يعتبر من قصر الإفراد ردّ الشارح على هذا الاعتراض بأنّ الرسل عندما قطعوا بأنّ دعواهم دعوى صدق لا شكّ فيها وذلك فى قولهم ((إنّا إليكم لمرسلون))(٤) ، ردّ عليهم الكفار بأنّهم بشر مثلهم على اعتقادهم أنّ البشرية منافية للرسالة وكأنّ الرسل فى دعواهم للرسالة أنكروا بشريتهم وهذا غير مطابق لاعتقاد الرسل لأنّهم لا ينفون بشريّتهم فكأنّ الكفار بعد أن قصروا الرسل على البشرية على اعتقادهم توهموا أنّهم ردّوا عليهم بأن قالوا : افرضوا أننا على ماقلتم من البشريّة فإننا فى دعوانا كسائر دعاوى المدعين الذى يحتمل فيهم الصدق والكذب فقولهم ((إن أنتم إلّا تكذبون)) أوقعوه ردّاً لهذا التوهم الباطل لهذا حكى السكاكى على لسان الكفار [عندنا] على اعتقادهم(٥) هذا مجمل ما أجاب به الشارح عن اعتراض ناصر الدين الترمذى ودافع به عن توجيه السكاكى فى اعتباره القصر فى الآية قصر قلب ، وهو جواب جيّد ، ودفاع قوى .

وقد تبيّن لى أنّ السعد(٦) سار مع ناصر الدين الترمذى فى اعتبار الآية من قصر القلب لأنّ الرسل قاطعون بصدقهم ، وذكر أن السكاكى اعتبرها من قصر الافراد ، ولم يعترض عليه ويظهر لى أنّ توجيه

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٤٠ ، ٥٤٢
(٢) من الآية ١٥ من سورة يسن .
(٣) انظر المفتاح ص ١٢٦
(٤) من الآية ١٤ من سورة يسن .
(٥) انظر الحدائق ص ٥٤٢ ، ٥٤٤ .
(٦) انظر المطول ص ٢١٩ .

السكاكى كما بيّنه الشارح ، ودافع عنه أظهر وأقوى لأنّ المقام يقتضى من الرسل أن يتنزّلوا فى أسلوب الدعوة مع أصحاب القرية بعد أن رأوا من شدة انكارهم على طريقة قوله تعالى ((وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو فى ضلل مبين)) ، فلا يستبعد من أصحاب القرية أن يتوهموا مثل ذلك التوهم .

٣ - طريق إنّما :-

ذكر الطيبى أنّ إنّما أفادت القصر لتضمنها معنى ما وإلا فإنّ إن لتأكيد المسند للمسند إليه اتصلت بها ما المؤكدة فضاعف تأكيدها .(١)

أمّا الشارح فذكر أنّ أستاذه أراد بقوله أنّ مافى إنّما جىء بها لمضاعفة التأكيد فى إن قصد بهذا الرد على من ذهب أنّ مافى إنّما نافية وإن للاثبات ، وتحقيق القصر فيها جاء عن طريق اثبات المذكور بإن ونفى ماعداه بما وهو معنى القصر وهذا المذهب مردود لأنّ النحويين أجمعوا على أن ما فى إنما كافه كفّت إن عن العمل كما فى ربّما ، ونحوها والقصر بها جاء عن طريق مضاعفة التوكيد لأنّ التوكيد يؤتى به لدفع توهم التجوز فى الشئ فإذا ضوعف حصل المقصود وهذا مايفهم من كلام السكاكى ، ولكن قد ينتقض قولك أن إنّما أفادت القصر لمشابهتها ما وإلّا فى مضاعفة التأكيد قد ينتقض بمثل قولك إنّ زيداً لقائم وبالجملة القسميّة ، ويمكن أن يجاب عن هذا أنّ إنّما أشبهت ما وإلا فى مضاعفة التأكيد وابراز الضمير فيها فوجه الشبه أو العلّة بينهما مركب من مضاعفة التأكيد ، وابراز الضمير فلا يرد عليه المثال الذى ذكرته ووجه إفادة ما وإلا مضاعفة التأكيد أنّ ما وإلا لردّ من يثبت حكماً وينفى مايخالفه فنفيك لما يثبته اثباتاً لما ينفيه ، واثباتك لما ينفيه نفى لما يثبته فتأكيد النفى جاء من هذا الوجه لكن كل ماقيل فى وجه افادة إنّما الحصر من مشابهتها ما وإلا فيه تعسف لما يلزم منه إمّا اثبات اللغة بالقياس وهذا باطل لأنّ اللغة تؤخذ عن الواضع توقيفا وأمّا إرتكاب المجاز فى حق إنّما وهذا بعيد والأولى أن يقال إنّ افادة إنّما الحصر باتفاق أهل التفسير واللغة والأصول .(٢)

هذا مجمل ماذكره الشارح فى وجه افادة إنما الحصر ورأيه فى هذا فالشارح بعد أن بين وجهة نظر أستاذه حول افادة انما للحصر ومشابهتها لما وإلّا ووجه هذه المشابهة خالفه ورد عليه بروح علمية عالية ، ومن خلال الأدب الجم أدب التلميذ مع أستاذه ذكر أن الأولى أن يقال فى وجه افادة إنما الحصر اتفاق أهل التفسير واللغة والأصول وهذه احدى مخالفات الشارح لأستاذه تتجلى

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٣٣ ، ٥٣٥

(٢) انظر الحدائق ص ٥٣٥

فيها شخصية الشارح العلمية بكل وضوح ، هذا وقد تبين لى أنّ الامام عبدالقاهر فى مقدمة حديثه عن مسائل إنما ذكر ما قاله أبو على الفارسي فى كتابه الشيرازيّات عن بعض النحويّين فى قوله تعالى :- ((قل إنّما حرّم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن)) [1] ، أنّ المعنى ماحرم ربى إلّا الفواحش كما ذكر نقلاً عنه صحة انفصال الضمير بعدها فى قول الشاعر :-

أنا الزائد الحامى الذمار وإنّما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

كما يفصل بعد إلّا .

كما نقل الامام ماذكره الزجاج فى قوله تعالى ((إنّما حرّم عليكم الميتة والدم)) [2] من أنّ النصب فى الميتة هو القراءة ويجوز ((إنّما حرم عليكم)) والذى اختاره أن تكون ماكفّت والمعنى ماحرّم عليكم إلّا الميتة لأنّ إنّما تثبت مايذكر بعدها وتنفى ماسواه وقول الشاعر أيضاً :-

أنا الزائد ..... البيت ..

المعنى مايدافع عن أحسابهم إلّا أنا أو مثلى انتهى مما ذكره الزجاج [3] ، وعلق الامام على هذا بقوله :- ((اعلم أنّهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذى كتبته لك فإنّهم لم يعنوا بذلك أنّ المعنى فى هذا هو المعنى فى ذلك بعينه وأنّ سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد ، وفرق بين أن يكون فى الشىء معنى الشىء وبين أن يكون الشىء الشىء على الاطلاق يبيّن لك أنهما لا يكونان سواء أنّه ليس كل كلام يصلح فيه ما وإلّا يصلح فيه إنّما .....)) [4] .

يظهر لنا من خلال ماذكره الامام عبدالقاهر أنّه استدلّ على افادة إنّما القصر بما قاله النحاة الذى جاء على لسان أبى على الفارسى النحوى ، وبما قاله أبو اسحاق الزجاج النحوى والمفسّر ولم يبيّن وجه مشابهة إنّما لما وإلّا غير ماذكره النحاة من صحة انفصال الضمير بعدها وأنّها لاثبات مايذكر بعدها ، ونفى ماسواه ، فلم يشر إلى كون المشابهة مضاعفة التوكيد أو غير ذلك بل ذكر المواضع التى يصلح لها ما وإلّا والمواضع التى يصلح لها إنّما فالشارح عندما ذكر أنّ افادة إنّما الحصر اتفاق أهل التفسير واللغة والأصول يتلاقى مع ماذكره الامام عبدالقاهر فهذا يقوّى ويدعم ماذهب إليه الشارح فرحم الله الجميع .

كما ذكر الطيبى أنّه فى القصر بإنّما القيد الأخير فى الكلام هو المقصور عليه وينزل منزلة المستثنى فيقدّر قولك إنّما يضرب عمراً زيد مايضرب عمراً إلا زيد ، ونحوه إنّما يضرب زيد عمراً مايضرب زيد

---

(١) من الآية ٣٣ من سورة الأعراف .

(٢) من الآية ١٧٣ من سورة النحل .

(٣) انظر دلائل الاعجاز ص ٣٢٨ ، ٣٢٩

(٤) دلائل الاعجاز ص ٣٢٩

إلّا عمراً ومن هنا ظهر الفرق بين قوله تعالى ((إنّما يخشى الله من عباده العلماء)) [1] ، وقولك إنّما يخشى العلماء من عباده الله لأنّ الأول يقتضى انحصار خشية الله فى العلماء ، والثانى يقتضى انحصار خشية العلماء على الله [2] ، أمّا الشارح فإنّه نقل ماقاله الزمخشرى حول المقصور عليه فى الآية فذكر أنّك إذا قدمت لفظ الجلالة وأخرت العلماء كان المعنى إنّ الذين يخشون الله هم العلماء دون غيرهم ، أمّا إذا أخرت لفظ الجلالة ، وقدمت العلماء كان المعنى بعكس الأول أى أنّ العلماء لا يخشون إلّا الله ، ولا يخشون غيره ، ثم رجّح الشارح المعنى الأول لأنّ الكلام السابق فى الآية يدلّ على عدم انتفاع الكفّار ، وأنّ الوعظ لا ينفع معهم ، وهو قوله ((إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة)) [3] ، فالآية تذييل على سبيل التعريض بهؤلاء [4].

هذا بيان حسن من الشارح ، هذا وقد تبين لى أنّ ماذكره الطيبى ، وماقاله الزمخشرى وأحسن بيانه الشارح كذلك تعليق السكاكى [5] والخطيب [6] على الاية لم يخرجوا عما ذكره الامام عبد القاهر فكلّهم تأثر به إمّا بطريق مباشر كالزمخشرى والسكاكى أو بطريق غير مباشر كالخطيب والطيبى وتلميذه ، فقد ذكر الامام أنّه كما يقع الفرق فى بيان المقصور عليه عند التقديم والتأخير إذا كان طريق القصر ما وإلا فى قولك ماضرب زيداً إلّا عمرو لبيان الضارب من وأنه عمرو دون غيره ، وقولك ماضرب عمرو إلّا زيداً لبيان المضروب من هو وأنّه زيد خاصة دون غيره فكما وجدت الفرق فى هذا فاعتبره فى القصر بإنما عند التقديم والتأخير فى قوله تعالى ((إنّما يخشى الله من عباده العلماء)) فتقديم لفظ الجلالة ، وهو مفعول به لبيان الخاشين من هم وأنّهم العلماء خاصة دون غيرهم بخلاف مالو أخر ، وقيل إنّما يخشى العلماء الله أصبح المعنى بضد المعنى الأول ، وصار المعنى لبيان المخشى من هو ، وأنّه هو الله دون غيره فالعلماء ليسوا مختصّين بهذه الخشية بل يشركهم فيها غيرهم ، وهو تعريض بأن غيرهم يخشى الله ، ومعه غيره ، وليست خشيته مقصورة على الله عزّ وجل [7] ، ثم ذكر أنّ هذا المعنى وإن ورد فى التنزيل لكن الآية لا تحتمله البتة فقال :- ((وهذا المعنى وإن كان قد جاء فى التنزيل فى غير هذه الآية كقوله تعالى ((ولا يخشون أحداً إلّا الله)) [8]

---

(١) من الآية ٢٨ من سورة فاطر .
(٢) انظر الحدائق ص ٥٣٧
(٣) من الآية ١٨ من سورة فاطر .
(٤) انظر الحدائق ص ٥٣٧
(٥) انظر المفتاح ص ١٣٠
(٦) انظر الايضاح ص ١٣٠
(٧) انظر دلائل الاعجاز ص ٣٣٨ ، ٣٣٩
(٨) من الآية ٣٩ من سورة الأحزاب .

فالمقصور هو المذكور في الآية ، ولا التفات بمعدل عن الرتبة ، وبين أولاها بما ذكره كل من أهل هذه التقديم ، وسوّى بين قوله تعالى ((إنّما يخشى الله من عباده العلماء)) وبين أن يقال إنّما يخشى العلماء الله وإذا سوّى بينهما لزمه أن يسوى بين قولنا ما ضرب زيداً إلّا عمرو وبين ماضرب عمرو إلّا زيداً وذلك مالاشبهة في امتناعه)) .(١)

فهذا كلام واف وتام في الآية أثر الشارح اعتماد ماذكره الزمخشري الذي لم يخرج عما قاله والذي يحسب للشارح أنّه ذكر أنّ المعنى الأول في الآية ، وهو قصر خشية الله على العلماء يؤيده سياق الآيات السابقة لأنّها واردة على عدم انتفاع الكفار بالوعظ ولا يؤثر فيهم الانذار ، والآية موضع الشاهد جاءت تذييلاً للمعنى السابق وتعريضاً بالكفار .

طريق التقديم :-

استشهد الطيبي لقصر الصفة على الموصوف عن طريق التقديم بقوله تعالى ((لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون))(٢) أي ليس فيها مافي غيرها من الاغتيال ، وأنّهم المخصوصون بأن لا ينقطع شربهم عنها .(٣)

أمّا الشارح فذكر أنّ تقديم الضمير في قوله ((ولا هم عنها ينزفون)) دلّ على الاختصاص ، ودلّ على عدم الانقطاع لفظ الفعل المضارع في قوله ((ينزفون)) وتقديم ((عنها)) رعاية للفواصل(٤) ، هذا توضيح حسن من الشارح حول القصر الذي تضمنته الآية .

فروق بين طرق القصر :-

ذكر الطيبي من الفروق بين طرق القصر أنّ طريق النفي والاستثناء لا يجامع العطف بلا فلا يصحّ أن يقال مازيداً إلا قائم لا قاعد في قصر الموصوف على الصفة ، ولا مايقوم إلا زيد لا عمرو في قصر الصفة على الموصوف لأنّ ماتدلّ على نفي جميع الصفات أو الموصوفين فتكون لا نافية لما هو منفي بما ، وشرط منفي لا أن لا يكون منفياً قبلها بغيرها من كلمات النفي .(٥)

أمّا الشارح فذكر أن هذا تقرير صاحب المفتاح لكن يقال إن كان هذا المنع من الجمع بين العطف والنفي والاستثناء اعتماداً على الوضع اللغوي فيجب إيراد هذا الدليل وان كان استناداً على المعنى أي أنّ المعنى يوجب منع ذلك فلم لا يحمل على التأكيد على طريقة جاءني زيد إلا عمرو على أنّ

---

(١) دلائل الاعجاز : ص ٣٣٩
(٢) الآية ٤٧ من سورة الصافات .
(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٥٦١
(٥) انظر الحدائق ص ٥٤٧

الزمخشري في كلامه جمع بينهما ففي تفسير قوله تعالى ((زيّن للناس حبّ الشهوات))[1] ،قال :- إنّ المزيّن لهم حبّه ماهو إلّا شهوات لا غير وقال في تفسير قوله تعالى ((إن أردنا إلّا احسانا وتوفيقا))[2] ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا لا إساءة ، وأمثالهما كثيرة[3] ، هذا بيان حسن من الشارح يدلّ على دقة فهمه في دراسته للكشاف ، نعم كما ذكر الشارح أن السكاكي منع أن يجامع طريق العطف طريق النفي والاستثناء حيث قال :-

((والطريق الأول - أي العطف بلا - لا يجامع الثاني - أي النفي والاستثناء - فلا يصحّ مازيد إلّا قائم لا قاعد ، ولا مايقوم إلّا زيد لا عمرو ، والسبب في ذلك هو أن لا العاطفة من شرط منفيّها أن لا يكون منفيّاً قبلها بغيرها من كلمات النفي نحو جاءني زيد لا عمرو ، ونحو زيد قائم لا قاعد أو متحرك لا ساكن ، أو موجود لا معدوم ، ويمتنع تحقق شرطها هذا في منفيها إذا قلت مايقوم إلّا زيد لا عمرو ومازيد إلّا قائم لا قاعد))[4] .

لكن الذي لم يشر إليه الشارح أنّ امام البلاغيين الامام عبد القاهر قد منع الجمع بين العطف بلا وبين النفي والاستثناء وبيّن علة المنع في كتابه الدلائل ويظهر مدى تأثر السكاكي به يقول الامام في هذا :- ((..... ونحن نرى أنّه يجوز في هذا أن تعطف بلا بعد إنّما فتقول إنّما هو قائم لا قاعد ، ولا نرى ذلك جائزاً مع ما وإلّا إذ ليس من كلام الناس أن يقولوا مازيد إلّا قائم لا قاعد ، فإنّ ذلك إنّما لم يجز من حيث إنك إذا قلت مازيد إلّا قائم فقد نفيت عنا كل صفة تنافي القيام ، وصرت كأنك قلت ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متكئ ، وهكذا حتّى لا تدع صفة يخرج بها من القيام فإذا قلت من بعد ذلك لا قاعداً كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدأت فنفيته في الكلام السابق . وهي موضوعة لأن تنفي بها مابدأت فأوجبته لا لأن تفيد بها النفي في شيء قد نفيته، ومن ثمّ لم يجز أن تقول ماجاءني أحد إلّا زيد على أن تعمد إلى بعض ما دخل في النفي بعموم أحد فتنفيه على الخصوص بل كان الواجب إذا أردت ذلك أن تقول ماجاءني أحد ولا زيد فتجيء بالواو من قبل لا حتى تخرج بذلك عن أن تكون عاطفة فاعرف ذلك ، وإذ قد عرفت فسادَ أن تقول مازيد إلّا قائم لا قاعد فإنّك تعرف بذلك امتناع أن تقول ماجاءني إلّا زيد لا عمرو وماضربت إلّا زيداً لا عمراً وماشاكل ذلك ، وذلك أنّك إذا قلت ماجاءني إلّا زيد فقد نفيت أن يكون قد جاءك أحد غيره فإذا قلت لا عمرو كنت قد طلبت أن تنفي بلا العاطفة شيئا قد تقدمت فنفيته

---

(١) من الآية ١٤ من سورة آل عمران .
(٢) من الآية ٦٢ من سورة النساء .
(٣) انظر الحدائق ص ٥٤٧ ، ٥٤٩
(٤) المفتاح ص ١٢٧

وذلك كما عرفتك خروج بها عن المعنى الذى وضعت له إلى خلافه))[1]، وهذا ماسار عليه الخطيب حين قال ((. . . . . أنّ النفى - يقصد العطف بلا - لا يجامع الثانى - يقصد النفى والاستثناء - لأنّ شرط المنفى بلا أن لا يكون منفياً قبلها بغيرها))[2].

وهذا ماسار عليه السعد وذكر أنّ بعض المصنفين جمع فى كلامه بين النفى والاستثناء والعطف بلا لكن المعتبر كلام البلغاء فلعلّه يشير إلى ما احتج به الشارح من كلام الزمخشرى السابق يقول السعد فى هذا :- ((والنفى)) أى الوجه الثالث من وجوه الاختلاف أنّ النفى يعنى بلا العاطفة لا مطلق النفى إذ لا دليل على امتناع مازيد إلّا قائم ليس هو بقاعد ، وإنّما لم يقل - أى الخطيب - طريق العطف كما فى المفتاح لأنّ الحكم مختص بلا دون بل ((لا يجامع الثانى)) أعنى النفى والاستثناء لا يقال مازيد إلّا قائم لا قاعد ومايقوم إلّا زيد لا عمرو وقد يقع مثل ذلك فى تراكيب المصنفين لا فى كلام البلغاء الذين يستشهد بكلامهم ((لأنّ شرط المنفى بلا)) العاطفة على ماصرح به فى المفتاح ودلائل الاعجاز ((أن لا يكون)) ذلك المنفى منفياً قبلها بغيرها من أدوات النفى لأنّها موضوعة لأن تنفى بها ما أوجبته للمتبوع لا لأن تعيد بها النفى فى شىء قد نفيته وهذا الشرط مفقود فى النفى والاستثناء . . . . .))[3].

هذه أقوال أبرز أعلام البلاغة فى الموضوع كلّها اتفقت على امتناع أن يجامع العطف بلا النفى والاستثناء ولم يشر أحدهم إلى أن لا إذا حملت على التوكيد يجوز مجامعتها للنفى والاستثناء وهى الحجة الأولى للشارح ، أمّا احتجاجه بكلام الزمخشرى فالمعتبر قول البلغاء المحتج بكلامهم أمّا استخدام المصنفين فليس حجة كما ذكره السعد ، فالشارح فى رأيه السابق ومخالفته لأبرز علماء البلاغة ومنهم أستاذه ليس بقوى .

تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء :-

ذكر الطيبى أنه يجوز تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء وان استلزم هذا قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف ، وهذا يقل دوره فتقول مثلا ماضرب إلّا عمراً زيد ، وماضرب إلا زيد عمراً لأنّ المقصود ليس قصر الضرب مطلقاً بل الواقع من زيد فى المثال الأول أو الواقع على عمرو فى المثال الثانى ، وعليه إذا قلت ما اخترت إلّا رقيقا منكم قدرت الصفة فى المستثنى منه عاماً واستثنيت فقلت

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٤٧ ، ٣٤٨

(٢) الايضاح ص ١٢٢

(٣) المطول ص ٢١٥

ما اخترت منكم أحداً متصفاً بأى وصف كان إلّا رفيقا وإذا قلت ما اخترت إلّا منكم رفيقا والتقدير ما اخترت رفيقاً من طائفة من الطوائف إلّا منكم وهذا أبلغ وعليه جاء قول السيد الحميرى :-

لو خير المنبر فرسانه ما اختار إلّا منكم فارسا

أفاد أنّ انحصار الخلافة فيهم بخلاف ما لو قال إلّا فارساً منكم أفاد أنّه لا يختار إلّا الموصوف بصفة الفروسيّة . (١)

أمّا الشارح فذكر أنّ المثال الثانى وهو ما اخترت إلّا منكم رفيقاً كان أبلغ من المثال الأول وهو ما اخترت إلّا رفيقاً منكم لأنّ المثال الثاني يدلّ على قلّة الرفقاء المختارين إذ اختار من بينهم رفيقاً بخلاف المثال الأول فإنّ كلهم رفقاء ومن بين هؤلاء الرفقاء الكثير اختار واحداً منهم. (٢)

كما بين الشارح الصورة البيانية التي تضمنها البيت السابق فذكر أنّ قوله ((فرسانه)) مفعول ثان لخير وهى استعارة بالكناية حيث شبّه المنبر بالميدان فى المجاراة ، والمباراة ثمّ خيّل للمشبه ما يلازم المشبه به من الفرسان ، ثمّ أطلق الفرسان عليه ، وأضافها إلى ضمير المنبر لتكون قرينة .

وفى معنى البيت ذكر أنّهم يشبهون كثيراً المجاراة والمحاورة بين البلغاء بالفروسية ، وهذا مافعله السكاكى حين قال :-

((ولأمر ما تجد أرباب البلاغة ،وفرسان الطراد فى ميدانها الرامية فى حدق البيان ....))

كما ذكر فى معنى البيت قول الشاعر :-

إلامَ يَرَاكَ المَجْدُ فى زِىّ شَاعِرٍ وَقَدْ نَحَلَتْ شوقاً إليك فُرُوعُ المَنَابِرِ

أَمَا وَأَبِيكَ الخَيْرُ إنّك فَارِسُ الـ ـمقال وَمَحْى الدّارِسَاتِ الغَوَابِرِ

وقد أدمج السيد الحميرى فى بيت الشاهد استحقاق بنى العبّاس للخلافة بعد المروانية والخطابة على المنابر عادة سار عليها الخلفاء اقتداء بالخلفاء الراشدين . (٣)

كما ذكر الشارح من باب التنظير لبيت الشاهد فى تقديم المستثنى وهو المقصور عليه مع أداة الاستثناء قول أبى تمام :-

لو جاء مرتاد المنيه لم يجد إلّا الغراق إلى النفوس دليلا

معنى البيت يقول الشاعر لوجد طالب المنية فى سعيه إلى ازهاق الأرواح لم يجد أمامه شيئاً

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٢٨ ، ٥٢٩

(٢) انظر الحدائق ص ٥٢٩

(٣) انظر الحدائق ص ٥٢٩ ، ٥٣٢

إلّا الفراق ودليلاً مفعول ثان، وفى معنى بيت أبى تمام قول المتنبى :-

لولا مفارقة الأحباب ماوجدت أيدى المنايا إلى أرواحنا سبلا[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول الفرق بين قولك ما اخترت إلّا رفيقاً منكم الذى معناه حصر الرجال الذين اختارهم الشاعر منهم فى وصف الرفقة، وقولك ما اخترت إلّا منكم رفيقاً معناه حصر رفقاء الشاعر فى كونهم من المخاطبين ، وماذكره حول بيت السيد الحميرى وغيره، ويظهر لى أن جهد الشارح قد تميز بموازنته بين الأساليب البلاغية ، وبيان وجه بلاغة احداها على الأخرى ، وتميز أيضاً بشرحه للصورة البيانية التى تضمّنها البيت وإيراد بعض الأبيات فى معنى بيت الشاهد ، أوفى وجه الاستشهاد ، فهذا يدل على الروح الأدبية التى تميز شرحه للأبيات .

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٣٢ ، ٥٣٣

الفصل السادس : الفصل والوصل :-

الأصول الأربعة للعطف عند الطيبي :-

ذكر الشارح أنّ شيخه أقام هذا الباب على أربعة أصول ثمّ بنى على كل واحد منها بحثاً ليتمّ الغرض به ، وقد عرف الطيبي الفصل والوصل بقوله الفصل هو ترك العاطف بين الجمل والوصل ذكره. (١)

وقد بين الشارح أنّ المقصود بالعاطف جميع حروف العطف لكن لمّا كانت الواو أكثر هذه الحروف استعمالاً بحث عنها وحدها في الباب أمّا بقيّة حروف العطف فهي دالة على معنى محصّل مستدع من الجمل مبيّناً مخصوصاً مشتملاً على فائدة لهذا استغنى عن بحثها وقيّد العطف بالجمل احترازاً عن عطف المفردات . (٢)

أمّا الأصول الأربعة التي يقوم عليها العطف كما ذكرها الطيبي فهي :-

الأصل الأول :-

تقدم متبوع وافٍ بما قصد بالقياس إلى التابع مغاير له (٣) ، وقد شرح الطيبي هذا الأصل معتمدا على ماقاله السكاكي (٤) فذكر أنّ قوله تقدم متبوع احترز به من نحو قولك جاء وزيد وعرفت فعمراً ، واحترز بوافٍ من المبدل فإنّه توطئة (٥) ، وقد بيّن الشارح هذا بأنّ المبدل ليس بوافٍ بما قصد بالنسبة للبدل فلا يجوز عطف البدل عليه ففي قولك مثلاً جاءني أخوك زيد وعمرو فإنّه يجوز عطف عمرو على البدل زيد أو المبدل أخوك لأنّهما وافيان بالقصد بالنسبة لعمرو ولا يجوز عطف زيد على ((أخوك)) لأنّ أخوك ليس بوافٍ بما قصد بالنسبة إلى زيد لكونه توطئة وذكر بالقياس إلى التابع ليدخل فيه نحو جاءني أخوك زيد وعمرو واحترز بقوله مغاير عن الوصف والبيان والتأكيد. (٦)

أقول إنّها ليست مغايرة للمعطوف فان الوصف ليس مغايراً للموصوف والبيان ليس مغايراً للمبين والتأكيد ليس مغايراً للمؤكد لأنّهما بمثابة الشيء الواحد ولا يعطف الشيء على نفسه .

الأصل الثاني :-

مشاركة المعطوف المعطوف عليه في المعنى الذي دلّ عليه الاعراب (٧) ، وقد بيّن الشارح

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ٥٦٨
(٣) انظر الحدائق ص ٥٦٨
(٤) انظر المفتاح ص ١٠٩
(٥) (٦) انظر الحدائق ص ٥٦٨
(٧) انظر الحدائق ص ٥٦٨

أن المقصود من المعنى المعنى الذى دلّ عليه اعراب المعطوف عليه ككونه فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو خبراً أو حالاً ، أو صفة ، أو غير ذلك . (١)

الأصل الثالث :-

أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة وهى أن تضمهما الفكرة بوساطة العقل أو الوهم ، أو الخيال بحيث إذا تصوّر أحدهما خطر الآخر بالبال ومثال الجامع العقلى والذى منه التضايف كما بين السبب والمسبب ، وكما بين العلو والسفل ومثال الجامع الوهمى والذى منه شبه التماثل كما بين القمر ووجه الحبيب مثلاً ، ومنه التضاد كما بين السواد والأرض ومنه شبه التضاد كما بين السماء والأرض ذكر الشارح أنّ الوهم ينزّل المتضادين منزلة المتضايفين ، ومثال الجامع الوهمى كما بين الدواة والقلم ، وكما بين الابل والسماء ، والجبال ، والأرض ، قال تعالى ((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)) (٢) الآيات . (٣)

هذا وقد تبيّن لى أنّ السعد يشترط الجامع أى أحد الجوامع السابقة إذا كان العطف بالواو بين الجملتين ، أمّا إذا كان العطف بأحد حروف العطف الأخرى غير الواو فلا يشترط فيها الجامع يقول السعد :- ((فشرط كونه أى كون عطف الثانية على الأولى مقبولاً بالواو ونحوه أن يكون بينهما أى بين الجملة الأولى والثانية جهة جامعة نحو زيد يكتب ، ويشعر لما بين الكتابة والشعر من التناسب ، والجهة الجامعة بين الشعر والكتابة هو التأليف ، ويعطى ، ويمنع لما بين الاعطاء والمنع من التضاد بخلاف زيد يكتب ، ويمنع ، أو يشعر ، ويعطى وذلك لأنّ هذا كعطف المفرد على المفرد ، وشرط كون عطف المفرد على المفرد بالواو مقبولاً أن يكون بينهما جهة جامعة لئلا يكون الجمع بينهما كالجمع بين الضب والنون نحو زيد كاتب وشاعر بخلاف زيد كاتب ومعط قوله [أى الخطيب] ونحوه الظاهر أنه أراد به نحو الراو من حروف العطف الدالّة على التشريك كالفاء وثم وحتى وهذا فاسد ، لأنّ هذا الحكم مختصّ بالواو ، لأنّ لكلّ من الفاء وثم وحتّى معنى إذا وجد كان العطف مقبولاً سواء وجد بين المعطوف والمعطوف عليه جهة أو لا نحو زيد يكتب فيعطى ، أو ثمّ يعطى إذا كان يصدر منه الاعطاء بعد الكتابة بخلاف الواو فإنّه ليس له هذا المعنى فلا بدّ له من جامع)) . (٤)

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٦٨

(٢) الآية ١٧ من سورة الغاشية .

(٣) انظر الحدائق ص ٥٦٨ ، ٥٧٠

(٤) المطول ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

هذا وقد أشار الشارح في أول الباب أنّه مختص بالعطف بالواو حيث قال :- ((وعنى بالعاطف جميع حروف العطف ، ولمّا كان الواو منها أكثر استعمالا بحث عنه وحده في الباب وأمّا البواقي فهي دالّة على معنى مخصّل مستدع من الجمل مبيّنا مخصوصاً مشتملاً على فائدته فاستغنى عن بحثها)) .[1]

فالشارح خصّ هذا الباب للعطف بالواو دون غيرها من حروف العطف للأسباب التي ذكرها .

الأصل الرابع :-

اتفاق الجملتين في الخبريّة أو الطلبية [2] ، هذا وقد تبيّن أن هذه الأصول الأربعة تأثّر فيها الطيبي تأثراً كبيرا بما أورده السكاكي [3] في مقدمة الفصل والوصل بعد أن انتهى الطيبي من شرحه لأصوله الأربعة التي يقوم عليها العطف واستشهد لها ، وذكر الشواهد التي تخرج عن هذه الأصول بعد هذا ذكر أن تمييز مواقع العطف بين الجمل التي لم يتمهّد فيها تلك الأصول عسير جدّاً ، وبلغ من الغموض أن اقتصرت البلاغة على معرفته ، لكن يمكن أن يقال إنّ الجمل الممهدة فيها الأصول الأربعة أجمع لأزمّة العطف .[4]

وقد بين الشارح أنّها كانت أجمع لأزمة العطف لعدم وجود الصوارف وهي الاتحاد بين المعطوف والمعطوف عليه وللاختلاف بينهما من الخبرى والطلبي ولوجود الدواعي كحصول الجهة الجامعة بين المعطوف والمعطوف عليه والاشتراك في الحكم الاعرابي المستلزم للعطف بين الجملتين لكن إذا فقد الاشتراك في الحكم الاعرابي دون سائر الأصول فأنت بالخيار إن وصلت فللوجود المقدر فقد ذكر ابن الحاجب أنّك إذا عطفت على جملة ليس لها محل من الاعراب كقولك :-

قام زيد وخرج عمرو فالمراد به حصول مضمون الجملتين حتّى كأنه قال حصل قيام زيد وخروج عمرو .

وإمّا أن تقطع ولا تعطف لفقدان الاشتراك الحقيقي في الحكم الإعرابي فحينئذ تحمله على الاستئناف أو الاحتياط .[5]

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٦٨
(٢) انظر الحدائق ص ٥٧٢
(٣) انظر المفتاح ص ١٠٨ ، ١٠٩
(٤) انظر الحدائق ص ٥٨١ ، ٥٨٣
(٥) انظر الحدائق ص ٥٨٣

هذا كله إذا كانت الجمل مهدت فيها الأصول الأربعة فتكون أجمع لأزمة العطف ، أما إذا فقد أصل من هذه الأصول يكون الأمر على النحو التالي :-

فإذا فقد بين الجملتين التشريك فى الحكم الاعرابي فالعطف للوجود أى وجود التشريك المقدر كما ذكر ابن الحاجب سابقاً ، ونقل عنه الشارح من أنك إذا قلت قام زيد وخرج عمرو فالمراد حصول مضمون الجملتين حتى كأنه قال حصل قيام زيد وخروج عمرو وإما أن تفصل للقطع أو الاستئناف .

وإذا فقد التغاير أو الجامع بين الجملتين فالفصل لازم لهما ، وإذا فقد الاتفاق بين الجملتين فى الخبرية أو الطلبية فالأصل فيها الفصل ولكل مما ذكر بحث .[1]

فهذه هى الأبحاث التى سيتحدث عنها بالتفصيل فى باب الفصل والوصل بعد أن بيّن الأصول الأربعة السالفة الذكر، والملاحظ أن الطيبى لم يفصّل القول فى الوصل بين الجمل ومنها التوسط بين الكمالين بخلاف السكاكى [2] والخطيب [3] فقد فصلا القول فيه كما أن الطيبى لم يشر إلى مواضع ذكر واو الحال وحذفها فى الجملة الحالية أما السكاكى [4] والخطيب [5] فقد بيّنا ذلك.

شبه كمال الانقطاع أو القطع للإحتياط :-

ذكر الطيبى أنه إذا فقد التشريك فى الحكم الإعرابى بين الجملتين فالفصل ، وذلك إذا كان للجملة السابقة حكم اعرابى ، ولكن لم تقصد اشراك الجملة اللاحقة لها فى هذا الحكم فتفصل وهذا الفصل يسمّى قطعاً وهذا القطع قد يكون للإحتياط وذلك أن عطف الجملة اللاحقة على السابقة وإن كان يصح لكن يمنع ذلك حتى لا يتوهم عطفها على أخرى فيه مانع من العطف عليها، واستشهد له بقول الشاعر :-

وتظنّ سلمى أننى أبغى بها ... بدلاً أراها فى الضلال تهيم

فلم يعطف أراها على تظن مع أنه يجوز حتى لا يظن عطفها على أبغى فيكون من ظنّ سلمى والواقع ليس من ظنها بل من كلام الشاعر فقطع احتياطاً من ورود مثل هذا التوهم [6] ، أما الشارح فإنه اكتفى بشرح بعض مفردات البيت فذكر أن أراها بمعنى أظنها وفى الحديث أنه خطب فرئى أنه

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٨٣ ، ٥٨٤

(٢) انظر المفتاح ص ١١٨ - ١٢٠

(٣) انظر الايضاح ص ١٥٩ - ١٦١

(٤) انظر المفتاح ص ١١٢ ، ١١٣

(٥) انظر الايضاح ص ١٦٥ - ١٧٦

(٦) انظر الحدائق ص ٥٨٥

لم يسمع ، ورئى فعل مبنى للمجهول من رأيت بمعنى ظننت الذى يتعدّى إلى مفعولين فإذا بنى للمجهول تعدى إلى مفعول واحد فتقول رئى زيد عاقلاً ، أمّا الحديث فجملة قوله أنّه لم يسمع فى موضع المفعول الثانى ، والمفعول الأول ضميره ، ومعنى هام ذهب من العشق أو غيره.(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيت ، وهو تعليق متواضع كما هو واضح إذا ماقورن بشروحه وتعليقاته فى أبيات سابقة ولا حقة ، ويظهر أنّه اكتفى بتعليق استاذه على البيت ، هذا وقد تبيّن لى أنّ تعليق الطيبى على البيت أخذه مجملاً عن السكاكى (٢) الذى ذكر البيت شاهداً للقطع للاحتياط بينما الخطيب (٣) سمى هذا النوع من القطع شبه كمال الانقطاع واستشهد له بالبيت نفسه وأشار إلى تسمية السكاكى ، ولم يعترض عليه فيه ولا عجب فى هذا فجهد الخطيب غالباً تلخيص للقسم الثالث من المفتاح للسكاكى وعلى كلّ الأمر يسير بينهما فإنّ مضمون شبه كمال الانقطاع هو مضمون القطع للاحتياط الخلاف فقط فى التسمية ، ولا مشاحّة فى الاصطلاح .

القطع الواجب إذا لم يقصد التشريك فى الحكم الاعرابى :-

ذكر الطيبى أنّ القطع يكون للوجوب إذا لم يسبق كلام يصحّ العطف عليه لكنّه لم يعطف كما فى القطع للاحتياط ، واستشهد له بقوله تعالى :-((وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم)) (٤) ، فجملة ((الله يستهزئ بهم)) لم تعطف على ((انا معكم)) ذات المحل من الاعراب لأنّها من كلام المنافقين وجملة ((الله يستهزئ بهم)) من كلام الله والعطف عليها يجعلها من كلام المنافقين ، ولم تعطف على جملة قوله ((قالوا .....)) التى لا محلّ لها من الاعراب باعتبارها جواب إذا لأنّها مقيدة بالظرف باعتبارها جواب شرط ، ومعروف أنّه إذا وجد قيد فى المتبوع سرى إلى التابع فيكون المعنى أن الله يستهزئ بهم وقت خلوهم إلى شياطينهم ، وهذا غير مقصود لأن استهزاء الله بهم مستمر خلوا أو لم يخلوا إلى شياطينهم ولم تعطف على جملة ((وإذا لقوا الذين آمنوا .....)) لأنّ أدنى ذوق يأباه (٥) ، هذا تفصيل ماذكره الطيبى حول الآية .

أمّا الشارح فبيّن كيف أنّ أدنى ذوق يأبى عطف ((الله يستهزئ بهم)) على قوله ((وإذا لقوا الذين آمنوا .....)) فذكر فى هذا تعريض بالخطيب الذى اعترض على السكاكى فى أنه لم يورد

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٨٥
(٢) انظر المفتاح ص ١١٣ ، ١١٤
(٣) انظر الايضاح ص ١٥٤ ، ١٥٥
(٤) من الآيتين ١٤ ، ١٥ من سورة البقرة .
(٥) انظر الحدائق ص ٥٨٥ ، ٥٨٧

امتناع هذا الوجه فى توجيه الآية وتقدير الكلام على هذا التوجيه يكون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، والله يستهزئ بهم مما يجعل الجملة الثانية مزالة عن مقرها لأنها رد لقولهم ((إنما نحن مستهزئون)) وأيضاً يفوت فائدة الاستئناف ، وجزالته ، كما ذكره الزمخشرى [1] ، هذا ويبدو أن الطيبى تأثر فيما ذكره من الاحتمالين الأولين فى امتناع العطف فى الآية، واستدرك الاحتمال الثالث تبعاً للخطيب حتى لا يرد اعتراضه عليه كما ورد على السكاكى كما أنه أى الطيبى وافق السكاكى فى استشهاده بالآية من أن القطع فيها للوجوب، وهو قسيم للقطع للاحتياط ، أو شبه كمال الانقطاع كما سبق بيانه ، أما الخطيب فإنه ذكر الآية فى مقدمة كلامه عن الفصل والوصل ولم يختلف حكمه فى وجوب القطع فيها عن حكم السكاكى، وتبعاً له السكاكى وقد تأثر به فيما ذكره من الاحتمالين الأولين، واللذين ذكرهما الطيبى فى امتناع العطف فى الآية واستدرك عليه الاحتمال الثالث، وقد ذكر الطيبى أن أدنى ذوق يأباه كما سبق ذكره، ولا بأس بذكر ما أورده الخطيب بعد أن ذكرت توجيه الطيبى حول الآية ليتبين مدى تأثرهما بالسكاكى ، ذكر الخطيب أن الجملة إذا كان لها محل من الاعراب، وقصد تشريك الثانية لها فى حكمها الاعرابى عطفت كقولك زيد يعطى ويمنع ، أما إذا لم تقصد تشريك الثانية للأولى فى حكمها الاعرابى لم تعطف، وذلك مثل قوله تعالى :-((وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم)) [2] فلم يعطف جملة ((الله يستهزئ بهم)) على جملة ((إنا معكم)) لأن الأولى من كلام الله تعالى والثانية من كلام المنافقين فلو عطف ((الله يستهزئ بهم)) على ((إنا معكم)) لكان من كلام المنافقين ليس منه .

وإن كانت الجملة الأولى لا محل لها من الاعراب وأردت العطف بأحد حروف العطف سوى الواو عطفت ، أما إذا أردت العطف بالواو فإن كان للجملة الأولى حكم ، أو قيد ، ولا تريد أن تجعله للجملة الثانية فصلت ، وذلك نحو قوله تعالى ((وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم)) فلم يعطف ((الله يستهزئ بهم)) على ((قالوا .....)) لأن ((قالوا)) مقيدة بالظرف إذا فيسرى القيد إلى المعطوف فيكون المعنى أنا لله يستهزئ بهم عند خلوهم إلى شياطينهم ، وهذا غير صحيح لأن الله يستهزئ بهم دائماً فإن لم يكن للأولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية، أو كان لها حكم، وقصد اعطاؤه للثانية ففى هذه الحالة إن كان بين الجملتين كمال الانقطاع أو شبهه أو كمال الاتصال أو شبهه وجب الفصل وإلا وصل

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٨٧

(٢) من الآيتين ١٤ ، ١٥ من سورة البقرة .

وذلك في التوسط بين الكمالين [1] ، وقال في اعتراضه على السكاكي :-((وقسّم السكاكي القطع إلى قسمين أحدهما القطع للاحتياط .....
والثاني القطع للوجوب وهو ماكان لمانع ومثله بقوله تعالى ((الله يستهزئ بهم)) قال لأنّه لو عطف لعطف إمّا على جملة ((قالوا)) ، وإمّا على جملة ((إنّا معكم)) وكلاهما لا يصحّ لما مرّ وكذا قوله :- ((ألا إنّهم هم المفسدون)) [2] ، وقوله ((ألا إنّهم هم السفهاء)) [3] .

وفيه نظر لجواز أن يكون المقطوع في المواضع الثلاثة معطوفاً على الجملة المصدّرة بالظرف وهذا القسم لم يبيّن امتناعه)) . [4] ، سبق وأن ذكرت أنّ الطيبي ذكر أنّ هذا الاحتمال يأباه أدنى ذوق لهذا أغفله السكاكي .

هذا مجمل ماذكره الخطيب ، وسيظهر مدى تأثره بالسكاكي في توجيه الآية عند مقابلته بكلامه يقول السكاكي :- ((ومن أمثلة القطع للوجوب قوله عز من قائل ((وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم)) لم يعطف ((الله يستهزئ بهم)) للمانع عن العطف بيان ذلك أنّه لو عطف لكان المعطوف عليه إمّا جملة ((قالوا)) وإمّا جملة ((إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون)))) لكن لو عطف على ((إنّما نحن مستهزئون)) لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم وليس هو بمراد ولو عطف على قالوا لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدم وهو ((إذا خلوا إلى شياطينهم)) لما عرفت في فصل التقديم والتأخير وليس هو بمراد فإنّ استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم فخلاهم وما سوّلت لهم أنفسهم مستدرجاً إيّاهم من حيث لا يشعرون متصل في شأنهم لا ينقطع بكلّ حال خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم)) . [5]

من هذا يتبين لنا مدى تأثر الطيبي والخطيب بالسكاكي لكن الذي تبين لي أن السكاكي تأثر بما ذكره الامام عبدالقاهر ، فقد قال في باب الفصل والوصل :-((وما هو أصل في هذا الباب أنّك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال مايعطف ويقرن إلى ماقبله ثمّ تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها صارت به أجنبيّة مما قبلها ، مثال ذلك قوله تعالى ((الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)) الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ماقبله من قوله ((إنّما نحن مستهزئون)) وذلك أنّه ليس بأجنبي منه بل هو نظير ماجاء معطوفاً

---

(١) انظر الايضاح ص ١٤٧ - ١٥٠
(٢) من الآية ١٢ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ١٣ من سورة البقرة .
(٤) الايضاح ص ١٥٥
(٥) المفتاح ص ١١٤

من قوله تعالى ((يخادعون الله وهو خادعهم)) وقوله ((ومكروا ومكر الله)) وما أشبه ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف ، وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف وهو أن قوله ((إنما نحن مستهزئون)) حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى وقوله تعالى ((الله يستهزئ بهم)) خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعاً لاستحالة أن يكون الذى هو خبر من الله تعالى معطوفاً على ماهو حكاية عنهم ، ولا يجاب ذلك أن يخرج من كونه خبراً من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم ، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون ، وأن الله تعالى معاقبهم عليه))[1] ، وقال أيضاً :-

((فإن قلت هل كان يجوز أن يعطف قوله تعالى ((الله يستهزئ بهم)) على ((قالوا)) من قوله ((قالوا إنا معكم)) لا على مابعده وكذلك كان يفعل فى ((إنهم هم المفسدون)) و((إنهم هم السفهاء)) وكان يكون نظير قوله تعالى ((وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر))[2] ، وذلك أن قوله ((ولو أنزلنا ملكاً)) معطوف من غير شك على ((قالوا)) دون مابعده.

قيل إن حكم العطف على ((قالوا))فيما نحن فيه مخالف لحكمه فى الآية التى ذكرت،وذلك أن ((قالوا)) ههنا جواب شرط فلو عطف قوله ((الله يستهزئ بهم)) عليه للزم ادخاله فى حكمه من كونه جواباً ، وذلك لا يصح .....

واذ قد عرفت ذلك فإنه لو عطف قوله تعالى ((الله يستهزئ بهم)) على ((قالوا)) كما زعمت كان الذى يتصور فيه أن يكون من هذا الضرب الثانى - وهو العطف على جواب الشرط بالواو وهو أن يكون المعطوف شيئا لا يكون حتى يكون المعطوف عليه - وأن يكون المعنى وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)) فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم ومدهم فى طغيانهم يعمهون .

وهذا وإن كان يرى أنه يستقيم فليس هو بمستقيم ، وذلك أن الجزاء إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له،وارادتهم إياه فى قولهم ((آمنا)) لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزؤن والعطف على ((قالوا)) يقتضى أن يكون الجزاء على حديثهم عن أنفسهم بالاستهزاء لا عليه نفسه .....))[3].

من هذا يتبين لنا مدى تأثر السكاكى بالامام عبدالقاهر مباشرة فى توجيه الآية الكريمة .

---

(١) دلائل الاعجاز : ص ٢٣١ ، ٢٣٢

(٢) من الآية ٨ من سورة الأنعام .

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

الاستئناف أو شبه كمال الاتصال :-

ذكر الطيبي أن النوع الثاني من الفصل لفقدان التشريك هو الاستئناف ، وذلك إذا كان الكلام السابق كالمورد للسؤال فيقطع الكلام اللاحق لكونه جواباً له ، وفائدته إمّا التنبيه على مكان السؤال ، أو الاغناء عنه ، أو لئلا ينقطع الكلام .[1]

هذا وقد تبيّن لي أنّ الطيبي نقل ماقاله السكاكي في فوائد الاستئناف يقول السكاكي في هذا : ((أمّا الحالة المقتضية للقطع فهي نوعان أحدهما أن يكون للكلام السابق حكم، وأنت لا تريد أن تشركه الثاني في ذلك فيقطع ، ثم إنّ هذا القطع يأتي إمّا على وجه الاحتياط ..... وإمّا على وجه الوجوب ..... وثانيهما أن يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فتنزل ذلك منزلة الواقع، ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الكلام السابق لذلك، وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلّا لجهات لطيفة ، إمّا لتنبيه السامع على موقعه ، أو لاغنائه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء ، أو لئلا يقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ ، وهو تقدير السؤال ، وترك العاطف أو غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ، ويسمّى النوع الأول قطعاً، والثاني استئنافاً))[2]

وقد اعتمد الخطيب[3] كلام السكاكي في فوائد الاستئناف دون اعتراض ، أمّا الشارح فإنّه بيّن الفرق بين تلك الأغراض فذكر أنّ الغرض من الاستئناف إمّا أن يرجع إلى المخاطب، وذلك ليختبر المتكلم فطنته ، ومقدار ذكائه وإمّا أن يرجع إلى المتكلم فإنّه يورد الكلام على صورة الاستئناف ليستغني عن ايراد السؤال الصريح فيستغني عن التطويل ، وإمّا أن يرجع إليهما جميعاً فالاستئناف يرد لئلا يتمكن الغير من ايراد سؤال فينقطع الكلام، وهذا يأتي على عدة وجوه :-

أحدها :- أن لا يترك المتكلم للسائل محلاً للسؤال لضعته وخسّته نحو قوله تعالى ((إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان))[4] ، فصله عن قوله ((قال هذا صراط عليّ مستقيم))[5] ، كأنه تعالى لمّا ذكر أنّ هذا الطريق الحق حق عليه أن يراعيه بأن لا يمكن اللعين من اغواء عباده بتزيين مافي الأرض لهم كأن اللعين سأل حينئذ لم لا تمكنني على اغوائهم ؟ ، فأجاب الله تعالى

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٨٧
(٢) المفتاح ص ١١٠
(٣) انظر الايضاح ص ١٥٥
(٤) من الآية ٤٢ من سورة الحجر .
(٥) من الآية ٤١ من سورة الحجر .

بأنّه حكم وقضى فى الأزل أن عباده ليس له سلطان عليهم فالله سبحانه وتعالى لم يترك محلاً لمثل هذا السؤال من اللعين لخسّته وضعته .

ثانيها ضيق المقام لم يترك محلاً للسؤال نحو قول الشاعر :-

وقال رائدهم أرسوا نزاولها ... وكلّ حتف امرئ يجرى بمقدار

ففصل جملة نزاولها عن جملة أرسو لأنّه أراد أن يحرّضهم على شرب الخمر أو معالجة سفينة التجّار فيسرعوا فلم يمكنهم من السؤال .

ثالثها تعظيم شأن القائل كقوله تعالى :- ((إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً)) [1] فصله عن قوله ((قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)) .[2] أو لابداء القهر وتهويل الأمر نحو قوله تعالى ((ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنّهم مغرقون)) .[3]

هذا مجمل ماذكره الشارح [4] حول أغراض الاستئناف ويظهر من خلال هذا الشرح والبيان والتفريع لما ذكره أستاذه الذى اعتمد على السكاكى كما سبق ذكره يظهر تميز جهد الشارح واجادته فانى لم أعثر على مثل هذا التفريع ، والبيان ، والشرح من خلال الشواهد القرآنية لأغراض الاستئناف عند الخطيب [5] أو السعد [6] على الرغم من أنهما اعتمدا ماذكره السكاكى فى كلامه السابق كما اعتمد عليه الطيبى لكن هذا الشرح والتفريع اللذين ميزا جهد الشارح لا نجده عند الخطيب والسعد مثلا . كما استشهد الطيبى فى الاستئناف باعادة صفة من استؤنف عنه الحديث بقول المعرّى :-

وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى ... معط حياتى لغرّ بعد ماغرضا

جربت دهرى وأهليه فما تركت ... لى التجارب فى ودّ امرئ غرضا

فالشاعر عندما شكى من الزمان فى البيت الأول حمل السامع على أن يسأل لماذا تشكو منه ؟ ، وبماذا استحقّ هذه الشكاية ؟ ، أجاب بالبيت الثانى بأنّه جرّب دهره ، وأهله وعرف حلو الحياة ومرّها فلم يبق لى فيها غرض [7] ، أمّا الشارح فشرح بعض المفردات الغريبة فمعنى غرضت ضجرت ، والغر الذى لم يجرب الأمور ، ، وللغرض اسم لكل غاية يتحرّى ادراكها ، والود المحبّة

---

(١) (١) من الآية ٥٣ من سورة الزمر

(٢) من الآية ٣٧ من سورة هود .

(٤) انظر الحدائق ص ٥٨٧ ، ٥٨٩

(٥) انظر الايضاح ص ١٥٥

(٦) انظر المطول ص ٢٥٨

(٧) انظر الحدائق ص ٥٨٩ ، ٥٩٠

كما أشار إلى بعض المحسنات البديعيّة التى تضمنها البيتان، فذكر أن البيت الأول فيه ردّ العجز على الصدر وبين غرض فى كل من عجز البيتين تجنيس ، أمّا معنى البيت فذكر أنّ الشاعر يقول جرّبت أحوال الدنيا ، وخبرتها ، وضقت ذرعاً بأحوالها ، وتقلّباتها فهل يسمح زمنى بأن يعطى حياتى لمن لم يعلم من أمورها ويجرّب أحوالها فأوثره بهذه الخبرات والتجارب ؟ ، وامتحانى لأحوال هذه الدنيا ، وأهلها لم يدع لى حاجة أو غرضاً فى ودّ أحد ، فمن عرف الناس آثر العزلة لفساد سرائرهم ،أما فيما يتعلق بموضع الشاهد فذكر أنّ الاستئناف جاء فى قوله جربت دهرى باعادة صفة من استؤنف عنه الحديث لبيان موجب الشكاية فى البيت الأول ، ويحتمل هذا الوصف أن يجرى على المتكلم فى قوله غرضت فيكون معنى جربت دهرى لأنّى مجرب ، ويحتمل أن يجرى الوصف على الدنيا ، والمراد بدهرى الدنيا فيكون معنى جربت دهرى أنّها مجربة .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح وهو جهد جيّد، ومتميز ظهر من خلال شرحه للمفردات الغريبة للبيتين وبيان معناهما، وتوضيح موضع الشاهد فيهما، وقد تبين لى أنّ السكاكى ذكر البيتين ضمن شواهده على الاستئناف وعلّق عليهما بقوله :- ((لم يصل جربت بالعطف على غرضت بناء على سؤال ينساق إليه معنى البيت الأول وهو لم تقول هذا ويحك؟ وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة إلى هذه الغاية كشحك)) .(٢)

أمّا الخطيب(٣) فإنّه أورد البيتين شاهداً على الاستئناف ، وكان السؤال الذى تضمنته الجملة الأولى عن سبب الحكم فيها مطلقاً، واعتمد ماقاله السكاكى سابقاً فى تعليقه على البيتين نصّاً .

أمّا السعد فإنه لم يعرض للبيتين من أصلهما فضلا عن أن يعلق عليهما ، أو يشرحهما فمن خلال هذا يبرز جهد الشارح بوضوح أكثر فى كلامه السابق على البيتين شرحاً وتعليقا كما رأينا .

كمال الاتصال، أو الفصل لفقدان التغاير :-

١ - تنزيل الجملة الثانية منزلة التوكيد المعنوى :-

ذكر الطيبى أنّ فقدان التغاير إمّا لأنّ فى الكلام السابق نوع توهم للتجوز فيؤتى بكلام آخر دفعاً له ، وتقريراً للمراد ، فينزّل الكلام اللاحق منزلة التوكيد المعنوى فى المفردات ، واستشهد له بقول أبى العلاء فى وصف فرس :-

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٨٩ ، ٥٩٠

(٢) المفتاح ص ١١٥

(٣) انظر الايضاح ص ١٥٦

كأنّ أذنيه أعطت قلبه خبرا عن السماء بما يلقى عن الغير

يحس وطء الرزايا وهى نازلة فينهب الجرى نفس الحادث المكر

لأنّ القلب إنما يخبر الأذن إذا أحسّ بنزول الرزايا . (١)

أمّا الشارح فإنّه شرح بعض المفردات الغريبة التى اشتمل عليها الشاهد فالغير اسم من غيّرت الشيء فتغيّر والوطء وضع الرجل على الشيء والرّزايا المصائب والحادث المكر الذى يمكر به ويبغى له الغوائل .

أمّا معنى البيتين فذكر أنّ الشاعر يصف جودة سمع الفرس ودقّة سمعه جعلت قلبه مرهف الحسّ يحسّ بالحوادث قبل نزولها فيجعل الحوادث نهباً لجريه ليتخلّص من المكروه الذى أحسّه بعدوه فلا تصيبه ، وموضع الشاهد فى البيتين كما بيّنه الشارح حيث ذكر أنّ الشاعر أورد البيت الثانى تقريراً لمعنى البيت الأول وذلك أنّه أزال ما يرد من توهم من أنّه كان يكفيه ذكر جودة سمع الفرس دون التصوير أزال هذا التوهم بأنّ احساسه حقيقة على سبيل الادعاء فمنطوق البيت الثانى أكّد مفهوم البيت الأول . (٢)

هذا مجمل ماذكره الشارح فى شرحه للبيتين ، وقد أحسن الطيبى بهذا التجديد فى الشواهد فإنّى لم أعثر على هذين البيتين عند السكاكى أو الخطيب ، أو السعد ضمن شواهد الفصل لكمال الاتصال ، وذلك لنزول الجملة الثانية من الأولى منزلة التوكيد المعنوى كما أحسن الشارح بهذا الشرح والبيان الوافى من شرح مفرداته الغريبة ، وبيان معناه العام ، وتوضيح موضع الشاهد فيه .

ويظهر لى أن مايتعلق بمعنى البيتين من وصف الفرس بأنّه يحس وطء الرزايا وهى نازلة فيه مبالغة غير مقبولة .

٢ - تنزيل الجملة الثانية منزلة التوكيد اللفظى :-

استشهد الطيبى للفصل لفقدان التغاير لكون الكلام السابق فيه نوع توهم تجوزاً فأتى له بكلام آخر دفعاً له وتقريراً للمراد ، وذلك بتنزيل الكلام اللاحق من الكلام السابق منزلة التوكيد اللفظى فى اتحاد المعنى استشهد الطيبى لهذا بقول المعرّى :-

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٩٦ ، ٥٩٨

(٢) انظر الحدائق ص ٥٩٨

ونمّ بطيفها السارى جـــــواد فجنّبنا الزيارة والوصـــــــالا
يحسّ اذا الخيال دنا الينـــــا فيمنع من تعهدنا الخيـــــالا (١)

أمّا الشارح فشرح بعض المفردات التى تحتاج إلى شرح في البيتين ، فنم بمعنى أفشى الحديث بالوشاية من النميمة، وطيفها بخيالها ، والتعهد التحفظ أو اللقاء .

ومعنى البيتين بالغ الشاعر فى وصف صدق حسّ هذا الفرس حيث أحسّ بإلمام خيال المحبوبة فى النوم فحملته الغيرة على الصهيل مما تسبب فى انتباه الحالم فمنع زيارة خيالها له .

وموضع الشاهد كما ذكره الشارح أنّه فى المصراعين الأخيرين من البيتين حيث نزّل قولـــــــه ((فيمنع من تعهدنا .....)) من قوله ((فجنّبنا .....)) موضع قولك زيد فى قولـــك زيد زيد أى منزلة التوكيد اللفظى (٢) ، هذا مجمل ماذكره الشارح .ويبدو لى أن كلام الشـــــارح فى موضع الشاهد يحمل على السهو إذ يبعد من مثله أن يخطئ فى مسألة واضحة مثل هذه فـــإنّ قوله ((فجنبنا)) معطوف على ((نم)) وقوله ((فيمنع)) معطوف على ((يحسّ)) ففى كـــلّ منهما نوى حرف العطف الفاء والذى يظهر لى أنّ موضع الشاهد فى البيتين فصل ((يحسّ)) عمّا قبلها من باب كمال الاتصال لأنّ البيت الثاني بأكمله نزّل منزلة التوكيد اللفظى من البيـــت الأول بمثابة قولك جاء زيد زيد لكنّ الشارح على الرغم من هذا السهو الذى وقع فيه إلّا أنـــه أحسن بشرح الشاهد فى مفرداته، ومعناه أحسن بيان ، أمّا السكاكى والخطيب فلم يذكرا البيتيـــن ضمن شواهد هذا المبحث .

٣ - تنزيل الجملة الثانية منزلة عطف البيان :-

ذكر الطيبى أنّ الفصل يكون لفقدان التغاير لأنّ فى الكلام السابق نوع خفاء تجوزاً ، فيؤتى له بكلام لاحق لدفعه وتقرير المراد ، وذلك بتنزيل الكلام اللاحق منزلة البيان والتوضيح لـــــلأول واستشهد له بقول المعرى :-

مقيم النّصل فى طرفى نقيـــض يكون تباين منه اشتكـــــــالا
تبيّنُ فوقه ضحضاح مـــــــاء وتبصر فيه للنار اشتعـــــــالا

فأخفى في البيت الأول الماء والنار ثم أوضحه بالبيت الثانى . (٣)

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٩٩ ، ٦٠٠
(٢) انظر الحدائق ص ٦٠٠ ، ٦٠١
(٣) انظر الحدائق ص ٦٠١

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات والأساليب التي تحتاج إلى توضيح فمعنى طرفي نقيض أي جمع بين شيئين متضادّين ، والتباين التهاجر ، والاشتكال التشابه ، والماء الضحضاح قريب القعر ، وقيل مارقّ من الماء على وجه الأرض مما يبلغ الكعبين .

ومعنى البيتين يصف الشاعر هذا السيف بأنّه اجتمع فيه النقيضان ، وهذا أغرب مافيه ، وأشكل مافيه فقد اجتمع على صفحته وطرائقه مايشبه الماء والنار ، فإذا رأيته كأنك ترى الماء يترقرق ، وفي نفس الوقت ترى النار الملتهبة ، والماء والنار بينهما تضاد وموضع الشاهد في البيت الثاني حيث جاء تفسيراً وبياناً للتناقض والتضاد الذي على صفحة السيف في البيت الأول فبيّنه ووضّحه بالبيت الثاني من أن ذلك شبيه الماء والنار .(١)

ويظهر لي أنّ الطيبي قد أحسن في استشهاده بهذين البيتين على الفصل لعدم التغاير ، أو لكمال الاتصال لوقوع الجملة الثانية من الأولى منزلة عطف البيان ، ويعدّ من باب التجديد في الشواهد فإنّي لم أعثر على هذين البيتين عند السكاكي ، أو الخطيب ، أو السعد شاهداً للغرض السابق كما أنّ الشارح قد تجلى جهده ، وبرز عمله في شرح البيتين من خلال توضيح مفرداتهما وبيان معنييهما ، وشرح موضع الشاهد فيهما .

٤ - تنزيل الجملة الثانية منزلة البدل :-

ذكر الطيبي أنّ الفصل لفقدان التغاير أو كمال الاتصال قد يكون لأنّ في الكلام السابق نوع تقصير فيعاد بنظم أو في منه ، فينزّل الكلام اللاحق من الكلام السابق منزلة البدل ، واستشهد له بقول المعري :-

ولولا مابسيفك من نحول ... لظننا أظهر الكمد انتحالا

سليل النار دقّ ورقّ حتّى ... كأنّ أباه أورثه السلالا

فالشاعر فصل سليل النار لأنّه أوفى لوصف معنى الدقّة والنحول (٢) ، أمّا الشارح فذكر بيتاً قبل البيتين وهو :-

فإن عشقت صوارمك الهوادي ... فما عدمت بمن تهوى اتصالا

وقد شرح بعض المفردات الغريبة في الأبيات ، وبيّن معناها وموضع الشاهد فيها فذكر أنّ الهوادي معناها الأعناق ، والنحول الدقّة ، والكمد الحزن المكتوم مع تغيّر الوجه ، والانتحال ادعاء الشيء

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٠١

(٢) انظر الحدائق ص ٦٠١ ، ٦٠٥

وتعاطيه، السليل الولد لأنّه يسلّ من أمّه عند الولادة ، ومعنى الأبيات أنّ الشاعر لما ادعى أنّ سيوفه عشقت الرقاب ، ودليل هذا العشق نحول هذه السيوف ، ويحقق هذا الدليل دقّة ورقّة حدّيها فلولا ذلك لقلنا إنّه منتحل كاذب فى اظهار الكمد يقصد أنّ الدم الذى على السيف قد غير لونه كما غيّر الكمد لون الحزين ، وأيضاً نحول هذا السيف لأنّه ولد النار حيث نشأ فيها عند صناعته فرقة ودقة حدّيه تجعلك تعتقد أنّه ورث داء السل من أبيه فدنف .(١)

أمّا مايتعلق بموضع الشاهد فيظهر أنّ الشارح اكتفى بما قاله أستاذه ، هذا ومما يجدر ملاحظته أنّ كلاً من السكاكى، والخطيب، والسعد ضمن الشواهد التي ذكروها للفصل لكمال الاتصال لوقوع الجملة الثانية من الأولى منزلة البدل مما يدلّ على تجديد الطيبى للشواهد ، وبرز جهده فى بيان موضع الشاهد فى البيتين ، أمّا الشارح فقد تجلّى جهده بكلّ وضوح فيما ذكره من شرحه للمفردات الغريبة ، وبيانه للمعنى العام للأبيات بل كان الشارح موفقاً تماماً بذكر البيت الذى قبل البيتين لارتباط معنييهما به .

ذكر الطيبى فى ختام كلامه فى الفصل لفقدان التغاير أنّ الاستئناف لا يفارق القطع فى مثل المذكورات .(٢)

والطيبى يسير مع جمهور البلاغيين الذين يرون أنّ كمال الاتصال أو الفصل لفقدان التغاير سواء وقعت الجملة الثانية من الأولى منزلة التوكيد اللفظى ، أو التوكيد المعنوى ، أو البيان ، أو البدل ، وأنّ كمال الانقطاع أو الفصل لفقدان الاتفاق فى الخبريّة، أو الطلبية ، وأنّ شبه كمال الانقطاع ، أو القطع للإحتياط، وأنّ الفصل لعدم وجود الجامع بين الجملتين وأنّ الفصل لعدم قصد التشريك فى الحكم الاعرابى كل هذه المواضع من الفصل يجوز حمل الفصل فيها على الاستئناف .

الفصل لفقدان الجامع :-

ذكرتفيما سبق أنّ من الأصول الأربعة التى يقوم عليها مبحث العطف عند الطيبى وجود الجامع بين الجملتين سواء كان جامعاً عقلياً أو وهمياً ، أو خيالياً ، وقد بيّنت ذلك مع أمثلته ، ورأى السعد من أنّ الجامع يشترط فى العطف بين الجملتين إذا كان العطف بالواو أمّا إذا كان العطف بغيرها من حروف العطف فلا يشترط لأن معنى الحروف تعدّ جامعاً .

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٠٥

(٢) انظر الحدائق ص ٦٠٥

ذكر الطيبي أن من فقدان الجامع أن لا تضمّ المفكرة الجملتين بما كان ينبغي أن تضمّهما به ، وقد استطاع أبو تمام في قوله :-

لا والذي هو عالم أنّ النوى صبر وأنّ أبا الحسين كريم

الجمع بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين وأبرزهما في معرض مايستحق الجمع مع التباعد الشديد بينهما والجمع بينهما كالجمع بين الضب والنون والأروى والنعام .(١)

هذا مجمل ماذكره الطيبي حول بيت أبي تمام .

أمّا الشارح فبيّن ارتباط البيت بما قبله ، وتعلقه بما بعده ، فذكر أن لا في قوله :- لا والذي ..... ردّ لما اشتمل عليه الكلام في البيت السابق وهو :-

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم

ثمّ أقسم بالله الذي يعلم أنّ النوى صبر ، وأنّ أبا الحسين كريم على مايخالف هذا وجواب القسم في البيت الذي يلي بيت الشاهد وهو :-

مازلت عن سبق الوتاد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم

كما ذكر الشارح اعراب بعض التراكيب في الأبيات ، فذكر أنّ ضمير الفاعل في قوله [زعمت] يرجع إلى قوله العاشق البرىء فيما قبله ، وهواك وجملة عفا مفعولا زعمت .

ثمّ اعتذر الشارح لأبي تمام في هذا الوصل بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى لارتباطهما بما قبلهما ، فذكر أنّ وصف النوى بالصبر مناسب لحديث الهوى ، وانحائه ، ثمّ التبرىء منه بالقسم بالله الذي يعلم ذلك ، هذا من جهة ارتباط الشطر الأول من البيت بما قبله ، أمّا ارتباط الشطر الثاني وهو كرم أبي الحسين بالشطر الأول ، وهو كون النوى صبر ، فإنّه من باب التخلص من التشبيب إلى المديح ، وبيان حسن هذا التخلص أنّه كما لا وسيلة أنجح من كرم الممدوح إلى الفوز بالمأمول كذلك لا مصيبة أفجع من فراق المحبوب ، فالشاعر جمع في معلوم الله بين الضدين فراق المحبوبة ، وحلاوة نوال الممدوح ، فأبو تمام بمقتضى التخريج السابق يكون قد بلغ الغاية القصوى في الجزالة والغرابة حيث حوى مزايا وجهات من الحسن ، إحداها المقابلة المعنوية حيث اعتبر عطاء الممدوح إلى طالبة بمثابة الحلاوة فبين مرارة الفراق وحلاوة عطاء الممدوح مقابلة معنوية .

ثانيتها حسن التخلص من التشبيب إلى المديح .

ثالثتها اثبات دعواه بالقسم بوصف الله تعالى وهو العلم .

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٠٧ ، ٦٠٩

رابعتها تخصيص الوصف بالعلم فى القسم يكنى به عن اثبات المعلوم .

خامستها كون هذا القسم من الأيمان الحسنة لأنّه أقسم بمرارة هجران المحبوب أنّه ماصد عنها ، ولا ترك هواها .

ثمّ بين الشارح كلام أستاذه فى تعليقه على البيت الذى ذكر أنّ الشاعر أراد الجمع بين مرارة النوى ، وكرم أبى الحسين ليبرزهما فى معرض التوخى للجمع بين الضبّ والنون والأروى والنعام ، بيّن الشارح هذا الكلام بأنّ فيه إيهام وهو المحسنات البديعية فإنّ الجمع بين الضبّ والنون والأروى وهى أنثى الوعول وتسكن الجبال والنعام التى تسكن البوادى والسهل ، فالجمع بين هاتين وتلك فى الظاهر كالمحال ، والشاعر قد استطاع الجمع بين مرارة النوى وكرم أبى الحسين ، وهذا الجمع كالمحال مثل الجمع بين الضبّ والنون والأروى والنعام ، هذا هو المعنى القريب لعبارة أستاذه وهو المستشهد به ، أمّا المعنى البعيد فإنّ الجمع بين الضدين بالواو من باب التلميح الذى هو من جملة المحسنات . (١)

فالشارح على كلا تفسيريه لكلام أستاذه يحمله على أنّه يشيد بأبى تمام فى البيت لا مما ينتقد عليه فيه .

هذا مجمل ماذكره الشارح في دفاعه عن الوصل فى بيت أبى تمام ، وتوضيحه لتعليق أستاذه الذى أشاد بالوصل فى البيت ، والذى يظهر لى أنه على الرغم من اشادة الطيبى بالوصل فى بيت أبى تمام واعتذار الشارح له فى بيته ، وبيان المحاسن التى اشتمل عليه والتى سبق ذكرها أقول على الرغم من كل هذا وهى جهود تحسب للطيبى وتلميذه إلّا أن الانتقاد على أبى تمام فى هذا البيت مازال قويّاً ، فإنه وصل بالواو بين أمرين لا جامع ولا ارتباط لأحدهما بالآخر وهذا ماسار عليه معظم البلاغيين ، وعلى رأسهم امام البلاغيين الامام عبد القاهر وهو من هو فى ذوقه الرفيع ودقّة نظره فقد قال :- ((ومن هنا عابوا أبا تمام فى قوله لا والذى ..... وذلك لأنّه لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ، ومرارة النوى ، ولا تعلّق لأحدهما بالآخر ، وليس يقتضى الحديث بهذا الحديث بذاك)) . (٢)

ومن أولئك البلاغيين السكاكى الذى ذكر أنّهم عابوا أبا تمام فى البيت حيث تعاطى الجمع بين مرارة النوى وكرم أبى الحسين (٣) والخطيب أيضاً فقد ذكر أنّ أبا تمام عيب فى هذا البيت إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ، ومرارة النوى ، ولا تعلّق لأحدهما بالآخر (٤) والسعد

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٠٧ ، ٦٠٩

(٢) دلائل الاعجاز : ص ٢٢٥

(٣) انظر المفتاح ص ١١٨

(٤) انظر الايضاح ص ١٤٨

أيضاً الذى قال :- ((ولهذا عيب على أبى تمام قوله لا والذى .....إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ، ومرارة النوى سواء كان نواه أو نوى غيره فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه مفعولى العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما جميعاً)) .(١)

أما البهاء السبكى فمع أنه ذكر ماعيب به أبو تمام لكنه ذكر أن بعضهم تمحل اجابات لهذا الاعتراض منها أن مرارة النوى سبب لجعل أبى الحسين يبسط يديه بالعطاء الذى يزيل شظف النوى ، أو أن المقصود بالكرم كرم الأخلاق أى أن كرم أخلاق الممدوح تزيل عن نفسه مرارة الفراق ثم ذكر اجابة الطيبى السابقة ووصفه بأنه بالغ فى استحسانه .(٢)

من خلال هذه الأقوال يتبين لنا أنه يكاد يكون اجماعاً بين البلاغيين على نقد أبى تمام فى هذا البيت ، ومخالفة الطيبى وتلميذه لهذا على الرغم من وجاهة ماذكراه لكنهما لم يدفعا مثل هذا الاجماع ، وبعد أن علمنا أن طى رأس أولئك البلاغيين الامام عبد القاهر فرحم الله الجميع .

الفصل لكمال الانقطاع بلا إيهام أو لفقدان الجامع :-

استشهد الطيبى لاختلاف الجملتين فى الخبرية والطلبية لفظاً ومعنى بقول الشاعر :-

وقال رائدهم أرسوا نزاولها ... فكل حتف امرئ يجرى بمقدار

فقد فصل نزاولها عن ارسوا لاختلاف الجملتين خبراً وطلباً (٣) ، أما الشارح فنسب البيت للأخطل وذكر أن سيبويه ذكره فى الكتاب ثم شرح المفردات الغريبة فى البيت ، فذكر أن الرائد هو الشخص الذى يرسل فى طلب الكلأ والماء ، أرسوا أمر من أرسيت السفينة إذا حبستها أى احبسوا السفن فى هذا المكان ، والمزاولة المعالجة ، والحتف الهلاك وفى الحديث من مات حتف أنفه فى سبيل الله فهو شهيد أى على فراشه ، يجرى بمقدار أى لابد من الموت ، وذكر أن الضمير فى نزاولها يعود إما للحرب ، أو الكتيبة ، أو السفينة ، أى أهلها ، أو الخمر .

أما مايتعلق بمعنى البيت فذكر فيه الشارح وجهين :-

الوجه الأول : أن الشارح يصف جماعة من اللصوص لما رأوا السفينة طمعوا فيها ، فأمر كبير الملاحين من تحته بأن يرسوا فى هذا المكان ، ويواجهوهم ، فإن ماتوا فى سبيل ذلك فهو قدرهم

---

(١) المطول ص ٢٤٨

(٢) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣/٢٢ ، ٢٣

(٣) انظر الحدائق ص ٦١١

الذى كتب لهم ويؤيد هذا الوجه البيت الذى بعده :-

وإما نموت كراماً أو نفوز بهـــا فواحد الدهر من كـــرّ وأسفـــار

فواحد مبتدأ ومن كر خبره والضمير فى بها للغنيمة ، وفى معنى هذا البيت قول الشاعر:-

ولئن بقيت لأرحلنّ بغـــزوة تحوى الغنائم أو يموت كريـــم

الوجه الثانى فى معنى البيت يصف الشاعر قوماً اجتمعوا على شرب الخمر فأرسلوا أحدهـــم ليحضرها لهم فقال لهم : أرسوا أى اثبتوا وانزلوا لتغنموا اللذات قبل أن يحين الموت إذ الموت لابدّ منه فاغتنموا فرصة حياتكم لانفاق المال فى الخمر والملذات .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، ويتبيّن من خلاله عنايته بمعانى الشواهد التى يشرحها إذ لم يكتف بذكر المعنيين اللذين يحتملهما البيت بل برز جهده بترجيح أحد المعنيين على الآخر ، ووجه هذا الترجيح ، ويظهر أنّه لم يتحدث عن موضع الشاهد البلاغى فى البيت لوضوحه ، ولإشارة أستاذه إليه وسيظهر جهد الشارح فى بيان المفردات الغريبة ، وشرح المعنى العام للبيت إذا ماعرفنـــا أنّ السكاكى [2] والخطيب [3] أوردا البيت بدون نسبة شاهداً على الفصل ، أو القطع لاختلاف الجملتين خبرا وطلباً لفظاً ومعنى لكنّهما لم يعلّقا على البيت بأىّ شىء ، أمّا السعد فإنّه شرح بعـــض المفردات الغريبة للبيت وذكر المعنيين اللذين يحتملهما البيت ، كما ذكره الشارح ، ولا أستبعد تأثر السعد به فقد قال :- ((الرائد الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ ، وأرسوا أى أقيمـــوا من أرسيت السفينة ، أى حبستها بالمرساة ، نزاولها أى نحاولها ، ونعالجها ، والضمير للحرب أى قال رائد القوم ومقدمتهم أقيموا نقاتل فإنّ موت كلّ نفس يجرى بمقدار الله ، وقدره لا الجبـــن ينجيه ، ولا الإقدام يرديه ، وقيل الضمير للسفينة ، وقيل للخمر ، والوجه ماذكرناه ، ولمّا كان أرســـوا انشاء لفظاً ومعنى ، ونزاولها خبر كذلك لم يعطف عليه ، ولم يجعل أيضاً مجزوماً جواباً للأمـــر لأنّ الغرض تعليل الأمر بالارساء بالمزاولة والأمر فى الجزم بالعكس أعنى يصير الارساء علة للمزاولة كما فى أسلم تدخل الجنة)) .[4]

فالسعد لم يبين السبب فى كون المعنى الأول هو الوجه بخلاف الشارح فإنّه بيّن ذلك ، كما استشهد الطيبى لعدم الاتفاق ، أو لاختلاف الجملتين خبراً وطلباً معنى بقول الشاعر :-

---

(١) انظر الحدائق ص ٦١١ ، ٦١٣

(٢) انظر المفتاح ص ١١٧

(٣) انظر الايضاح ص ١٥٠

(٤) المطول ص ٢٥١

ملّكته حبلى ولكنـــــــــــه ألقاه من زهد على غاربـــــى

وقال إنى فى الهوى كـــــاذب انتقم الله من الكـــــــــاذب

فقد فصل الشاعر انتقم الله لأنّ معناه دعاء والدعاء طلب [1]

أمّا الشارح فذكر أنّ قوله ملّكته حبلى كناية عن تفويض الأمر بالكلّية إلى المحبوب ، وقوله ألقاه من زهد على غاربى كناية عن تبرئه عنه رأساً كما ذكر أنّه يجوز حمل البيت بجملته على الاستعارة التمثيليّة ، ومعنى البيت يقول الشاعر : تركت أمرى كلّه للمحبوب يتصرّف فيه كيفما شاء لكنّه زهد فى ذلك والحقّ أن الأمر كلّه لله وفى المعنى السابق يقول الشاعر :-

وكلت إلى المحبوب أمرى كلّـــه فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفـــا

وموضع الاستشهاد فى بيتى الشاهد أنّه إذا اعتبر قوله انتقم الله .....من كلام المحبـــوب يكون الفصل أو القطـــع لكمال الانقطاع أى اختلاف الجملتين خبراً وطلباً معنى لا لفظـــــاً ، أمّا إذا اعتبر من كلام الشاعر وهو احتمال وارد يقتضى أن يقدّر قولاً أى قلت انتقـــم اللـــه .....فيكون من باب الاستئناف وهو الذى أوجب الفصل حيـــث يقدّر سؤال فماذا قلت له ؟ ، الجواب : قلت انتقم الله ..... [2]

هذا مجمل ماذكره الشارح وقد برز جهده فيه ببيان الصور البيانية التى تضمنها البيتـــان وشرح موضع الاستشهاد فيهما ، هذا وقد تبين لى أن الامام عبدالقاهر اعتبر البيتين من بـــاب الاستئناف بناء على تقدير الشارح الذى يظهر تأثره به ، فقد قال الامام :- ((ومن اللطيف فـــى الاستئناف على معنى جعل الكلام جوابا فى التقدير قول اليزيدى :- ملكته حبلى ..... [البيتين] استأنف قوله انتقم الله من الكاذب لأنّه جعـــل نفسه كأنّه يجيب سائلا قال له فمـــا تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب فقال أقول :- انتقم الله من الكاذب)) . [3]

أمّا السكاكى [4] فاعتبر الشاهد من باب كمال الانقطاع ، وهو ماسار عليه الطيبى وأحد الوجهيـــن اللذين ذكرهما الشارح ، أمّا الخطيب [5] فذكر أنّ السكاكى اعتبر الشاهد من باب كمال الانقطـــاع ، أمّا الإمام عبدالقاهر فحمله على الاستئناف بتقدير قلت ، أمّا البهاء السبكى فذكر توجيـــــه الامام عبدالقاهر ولم يعترض عليه ، وذكر توجيه السكاكى ، واعترض عليه بأنّه إذا عدّ من باب كمال

---

(١) انظر الحدائق ص ٦١٣

(٢) انظر الحدائق ص ٦١٣ ، ٦١٥

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

(٤) انظر المفتاح ص ١١٧

(٥) انظر الايضاح ص ١٥٠ ، ١٥١

الانقطاع على اعتبار أنّ قوله انتقم الله .....من كلام المحكى عنه أى المحبـــوب يكون فيه بعد لكنّه لم يبيّن من أى وجه كان البعد ثمّ ذكر أنّ الشاهد يمكن حمله على أنّ القطـع فيه للاحتياط أى شبه كمال الانقطاع ، فإنّ الشاعر لم يعطف قوله انتقم الله ..... على قوله وقال إنى .....خشية أن يوهم أنّها معطوفة على قوله إنى فى الهـوى كاذب فيكون من كلام المحبوب فقطع للاحتياط [1]

هذا مجمل ماذكره البهاء السبكى . والذى يظهر لى أنّ الشاهد يمكن حمله على أىّ توجيـه من التوجيهات الثلاثة فيمكن اعتباره من باب كمال الانقطاع لاختلاف الجملتين خبرا وانشاء معنى ، كما يمكن اعتباره من باب الاستئناف أوشبه كمال الاتصال بناء على توجيه الامام عبدالقاهـر كما يمكن اعتباره من باب القطع للاحتياط أو شبه كمال الانقطاع بناء على توجيه البهاء السبكى السابق.

مع الوصل بين الجمل :-

ذكر الطيبى أنّه قد يوصل بين الجمل لقوّة الجامع بينها بضرب من التأويل ، وذلك بتضمين الخبر معنى الطلب كما فى قوله تعالى ((فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلّا ماكنتم تعملـون إنّ أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلل على الارائك متكئون لهـم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)) [2] ، فعطـف ((وامتازوا .....)) على ((إنّ أصحاب الجنة .....)) بعد أن ضمّنه معنى الطلب فقوله : ((اليوم تجزون .....)) خطاب عام يشمل أهل الجنة وهم المؤمنون، وأهل النار وهـم المجرمون وجاء تفصيله قوله ((إنّ أصحاب الجنة ..... وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)) وتأويل الأول فامتازوا اليوم أيّها المؤمنون وإنّما أوثر تضمين الخبـر معنى الطلب فى قوله ((إنّ أصحاب الجنة)) ليوافق هذا المفصل المجمل وهو ((اليـوم تجزون .....)) فى الخطاب . [3]

أمّا الشارح فذكر عدّة وجوه لتضمين الخبر معنى الطلب فى قوله تعالى ((إنّ أصحـاب الجنة .....)) .

الأول التمييز بين خطاب السعداء وبين خطاب الأشقياء .

الثاني تبشير المؤمنين صراحة ،ويكون فيه تعريض بالانذار لأولئك المجرمين .

---

(١) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣/٢٨ ، ٢٩

(٢) من الآية ٥٤ إلى الآية ٥٩ من سورة يسن .

(٣) انظر الحدائق ص ٦١٥ ، ٦١٦

الثالث تنزيل ما سيكون بمنزلة الكائن للاعتناء بشأن المؤمنين وأنّهم أحق بذلك الجـــــزاء لهذا جيء بإن للتأكيد ، وإسميّة الجملة كما ذكر الشارح أن ذكر الفاء في تقدير أستـــــاذه فامتازوا اليوم أيّها المؤمنون تشير إلى تفصيل المجمل، ولم تذكر في الآية ليدلّ على التفرقـــــة التامّة بين المؤمنين ، والمجرمين ، وليتناسى التفصيل تناسى التفصيل الاهتمام بشأن المؤمنين فكأنّهم أمروا بالامتياز فامتازوا ودخلوا، وتفكّهوا بنعيم الجنة مع أزواجهم ويخبر الله تعالى عـــن تلك الحالة قائلا :- ((إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)) هذا مجمل ماذكره الشارح [1] حول تضمين الخبر معنى الطلب في الآية ويتبين من خلاله دقة فهمه، ومقدرته على استجلاء بعـــض الأسرار البلاغية دقة فهمه، ومقدرته على استجلاء بعض الأسرار البلاغية للنظم القرآنـي، ولعـــلّ هذه التأملات من الشارح رحمه الله تعالى تبرز، وتتألق أكثر إذا ماعرفنا أنّ السكاكي والخطيـــب والسعد لم يذكروا الآية عند كلامهم عن الوصل بين الجمل، وهذا يبرز جهد الطيبي في ذكره للآيـــة وتعليقه عليها فإنّ جهده هو الأصل .

أمّا الزمخشري فإنّه وإن لم يشر إلى وجه عطف ((وامتازوا اليوم .....)) على ((إنّ أصحـــاب .....)) وتضمين الخبر فيها معنى الطلب وإن لم يشر إلى هذا ذكر أن التعبير بقولـــــه ((إنّ أصحاب الجنة .....)) جاء على سبيل حكاية مايقال لهم في ذلك اليوم، وفائـــدة مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه وعلى مايثمره. [2]

---

(١) انظر الحدائق ص ٦١٥ ، ٦١٦

(٢) انظر الكشاف : ٣/٣٢٦ .

الفصل السابع : الايجاز والاطناب والمساواة :-

ذكر الطيبى أن الايجاز والاطناب من الأمور النسبيّة ، والمعيار فيها كلام الأوساط ، وهو فى هذا يسير مع السكاكى ، وقد عرّف الطيبى كلام الأوساط بأنّه مايؤدى به المعنى المقصود بالمطابقة أى بما لايزيد فيه اللفظ عن المعنى ، أو العكس فالايجاز عنده مانقص لفظه عن كلام الأوساط ولم يخلّ بالمعنى المقصود ، أمّا إذا أخلّ هذا النقص بالمعنى المقصود فهو التقصير ويسمّى بالاخلال ، وهذا عيب فى الكلام وسأبينه فيما بعد ، والاطناب عنده مازاد على كلام الأوساط إذا قصد به المبالغة ، أمّا إذا لم يقصد به المبالغة فهو التطويل ، والمساواة عنده هى عين كلام الأوساط وهو مايؤدى به المعنى المقصود بالمطابقة ، والمطابقة هى مطابقة اللفظ المعنى بحسب العرف ، أى بلا زيادة ولا نقصان ، كما ذكرت فيما سبق .(١)

ويظهر لى أنّ اشتراط الطيبى قصد المبالغة فى الاطناب وإلّا يكون تطويلاً فيه نظر لأنّ المعتبر فى تقويم درجة الكلام من البلاغة هو مدى مطابقته لمقتضى المقام ، وهذا ينطبق على جميع الفنون البلاغيّة ولكنّه فى باب الايجاز والاطناب أكد وأظهر ، وقد نصّ الطيبى على ذلك حين قال :-((وطوشأن الكلام بحسب مصادفة المقام))(٢) ، فالكلام قد يزيد على متعارف كلام الأوساط لفائدة غير قصد المبالغة ويكون اطناباً وذلك مثلاً فى مقام الدعاء والتضرّع الى الله عزّ وجل ، ومقام شرح وتوضيح المعلومات للطلاب ، أو مقام الصلح بين المتخاصمين ، أو فى مقام الحث والتحريض على القتال وغير ذلك على أنّ السكاكى والخطيب لم يشيرا إلى قصد المبالغة بل إنّ الخطيب فى تعريفه للاطناب ذكر عبارة [الفائدة] ويدخل فيها قصد المبالغة وغيرها حين قال :-تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة))(٣) فعبارة الخطيب كما يظهر لى أدقّ من عبارة الطيبى فى هذا .

التقصير أو الاخلال :-

ذكرت فيما سبق أنّ التقصير أو الاخلال عند الطيبى هو نقص الألفاظ عن كلام الأوساط وأخلّ بالمعنى المقصود فهذا هو التقصير أو الاخلال .

وقد اعترض على الخطيب فى تمثيله للاخلال بقول عروة بن الورد :-

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فالشاعر قصد أن يقول يقتلون نفوسهم فى السلم فأخلّ ، اعترض الطيبى عليه بأنّ كلامه فيه نظر ، وأنّ مثال التقصير هو قول أبى تمام :-

أعطيتنى دية القتيل وليس لى عقل ولا حقّ عليك قديم

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٢٩
(٢) الحدائق ص ٦٢٩
(٣) انظر الإيضاح ص ١٧٧

قصد وليس عليك عقل فأخلّ.[1] أمّا الشارح فبيّن نظر أستاذه، ووجه اعتراضه على الخطيب في استشهاده بالبيت فذكر أن قوله عند الوفي في الشطر الثاني يدلّ على أن تقييد الأول بالسلم والبيت من فصيح الكلام ، فكيف يقال إنّه أخل ؟ ، وذكر أن هذا النظر أو الاعتراض الذي اعترض به الطيبي على الخطيب في استشهاده ببيت عروة ينطبق على الطيبي نفسه في استشهاده ببيت أبي تمام فإنّ قوله في البيت [عليك] تدلّ على أنّها محذوفة من قوله :- [عقل] على أنّ قوله دية القتيل لا تذهب بالفهم إلا إلى ذلك المعنى والاخلال في البيت من وجه آخر وهو كونه مما يوحش إذا طرق السمع، وذلك أنّ قوله [ليس لي عقل] توهم المدح والذم ، وهذا كقولك لقيت فلاناً فعزرته ، فيحتمل أنك أدبته ويحتمل أنّك أكرمته لذا عيب على المتنبي قوله :-

فلا ركبت بها إلّا إلى ظفر ولا حصلت بها إلّا على أمل

فإنّه بدأ كما قيل بدأ بالنفي على وجه لا ينجبر بالاثبات بعده كذلك عيب قول الآخر :-

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرّة الداعي ويوم المهرجان

فأوّل البيتين موحش عندما يطرق الأذن بل يوهم أنّه للذم لا للمدح[2] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول اعتراض أستاذه على الخطيب واعتراضه هو أي الشارح على أستاذه في توجيه بيت أبي تمام ، ويظهر من خلاله نظراته النقدية المتميزة في الشاهد ويتجلّى فيها ذوقه الرفيع ، كما يظهر الروح العلمية المتجردة التي اتصف بها الشارح ، إذ لم يمنعه حبّه لأستاذه وتقديره له، وتأييده له في كثير من المواضع أن يعترض عليه في هذا الموضع ليس قصداً إلى المخالفة، ولكن لما تبيّن له من خلال نظرته الموضوعية في الشاهد ، وهذا يجلّي شخصيّته ويبرزها أقوى بروز فإنّ اعتراضه على أستاذه في اعتباره بيت أبي تمام من باب الاخلال يعدّ وجيهاً مثل وجاهة اعتراض الطيبي على الخطيب الذي اعتبر بيت عروة من باب الاخلال.

التطويل :-

ذكرت فيما سبق أنّ التطويل عند الطيبي هو الكلام الذي زاد عن كلام الأوساط في المعنى المقصود ، ولم يقصد به المبالغة، وقد ناقشت كلامه فيما سبق ، وقد استشهد الطيبي للتطويل ضمن ما استشهد بقول أشجع السلمي :-

لعلّ الليالي باحسانها كما فرّقت بيننا تجمع

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٣٤

(٢) انظر الحدائق ص ٦٣٤ ، ٦٣٦

فقيل إنّ قوله ((باحسانها)) فيه اكثار ويجوز حمل البيت على الايجاز [1] ، أمّا الشارح فقد بيّن وجه التطويل فى البيت فذكر أنّ الشاعر أسند الاحسان إلى الليالى ، وكان عليه أن يقول لعلّ الليالى كما فرّقت بيننا تجمع فذكره الاحسان جاء تطويلاً ، وأجيب عن هذا بأنّ التقدير فى البيت لعلّ الليالى تحسن بالاجتماع فيما بيننا كما أساءت بالتفرقة لكن الشاعر قصد الايجاز فأورد البيت كما هو مذكور [2] ، هذا توضيح حسن من الشارح لوجه الشاهد فى البيت ومايحتمله من توجيه آخر .

رأى الشارح فى كلام السكاكى والخطيب حول الايجاز والاطناب :-

ذكرت فيما سبق أنّ الطيبى يسير مع السكاكى فى مفهومه للايجاز والاطناب ، أمّا الشارح فإنّه فصّل وجه الخلاف بينهما فى هذه المسألة وإن انتصر فى النهاية للسكاكى ضد الخطيب نقل الشارح كلام السكاكى [3] الذى ذكر أن الايجاز والاطناب لكونهما نسبيّين لا يتيسّر الكلام فيهما إلّا بترك التحقيق ، والبناء على شىء عرفى مثل جعل كلام الأوساط هو المقياس ، ثم ذكر الشارح اعتراض الخطيب على السكاكى فى جعله كلام الأوساط هو المقياس وهذا الاعتراض يرد على الطيبى أيضاً أى اعتراض الخطيب [4] بأنّ كون الشىء نسبيّاً لا يعنى أنّه لا يتيسّر الكلام فيه إلّا بترك التحقيق ، والبناء على شيء عرفى ، ثمّ جعل المقياس هو المتعارف من كلام الأوساط ردّ إلى جهالة ثمّ عرف أى الخطيب الايجاز والاطناب والمساواة فقال :-

((والأقرب أن يقال إنّ المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له فهو المساواة ، أو ناقص عنه واف فهو الايجاز ، أو زائد عليه لفائدة فهو الاطناب)) . [5]

وقد أجاب الشارح عن الشقّ الأول من اعتراض الخطيب وهو كون الايجاز والاطناب من الأمور النسبية ، وأنّه لا يتيسر الكلام فيهما إلّا بترك التحقيق ، والبناء على شىء عرفى أجاب عنه نقلاً عن ناصر الدين القرمذى أحد شراح المفتاح الذى ذكر أنّ الأمر النسبى يحتاج إلى معرفة المنسوب والمنسوب إليه ، فإنّه قد يكون الكلام موجزاً بالنسبة لكلام ، ومطولاً بالنسبة لكلام آخر ، والايجاز والتطويل وصفان لا يخلو منهما كلام فى الغالب ، وترجيح أحد الوصفين على الآخر

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ٦٤٠

(٣) انظر المفتاح ص ١٢٠

(٤) انظر الايضاح ص ١٧٧

(٥) الإيضاح ص ١٧٧

لا يكون لذاته وإلّا كان ترجيحاً بدون مرجح وإذا كان الترجيح بالنظر إلى غيره ففي هذه الحالة نضطرّ إلى وضع مقياس نرجع إليه في الحكم على المنسوب إليه لترجيح أحد الوصفين الإيجاز أو التطويل ، وإلّا لزم الترجيح بدون مرجّح ، لهذا لا يوصف كلام بأنه موجز أو مطوّل بالنظر إلى ذاته وإنّما يوصف بأحدهما بالنظر إلى كلام آخر واعتبر الكلام الذي أريد الحكم عليه بالايجاز أو التطويل أصلاً ومقيساً عليه في الباب ، فهذا هو المراد من قول السكاكي أنّه لا يتيسّر الكلام فيهما إلّا بترك التحقيق وأيضاً ليس ترك التحقيق في كل أمر نسبي بل هو خاص بالايجاز والاطناب لأنّ تحصيل ماهيّتهما يعرف بالقياس على أمر غير محقّق حقّ تحقّقه عند أحد بل هو شيء عرفي .(١)

كما أجاب الشارح عن الشق الثاني من اعتراض الخطيب وهو أنّ البناء على متعارف الأوساط ردّ إلى جهالة أجاب الشارح عن هذا نقلاً عن ناصر الدين الترمذي الذي ذكر أن كلام الأوساط بحسب الشخص مجهول لكنّه بحسب نوعه معلوم لأنّ الأوساط هم الذين ليس لهم بلاغة وفصاحة ولا عي ولا فهاهة ، وأكثر كلامهم عند حدوث المعاملات ، وعروض الحوادث اليومية وهو كلام مشهور فكيف يكون ردّا إلى جهالة .(٢)

هذا مجمل ماردّ به الشارح على الخطيب في اعتراضه على السكاكي نقلاً عن ناصر الدين الترمذي ، كما أجاب الطيبي أيضاً من جهته عن اعتراض الخطيب ويبدو أنّه من املاءاته على تلميذه يعلم ذلك من تعبيره بضمير التكلم واحالته على المتن ذكر في الجواب أنّ كلام البلغاء لمّا كان مبنيّاً على الخطابيّات استغنى عن التحقيق بالمتعارف وأيضاً في قول الخطيب ((والأقرب أن يقال ... .)) اعتراف منه بترك التحقيق في هذا المقام على أنّ المساواة التي ذكرها وهو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له هو عين متعارف كلام الأوساط والذي عرفناه بقولنا هو مايؤدي به المعنى المقصود بالمطابقة والمقصود بالمطابقة أي لا يعدل عن مقتضى الظاهر إلى خلافه الذي هو الكناية ، ولا من الحقيقة إلى المجاز ولا من الوصف الظاهر إلى التشبيه ، والحقّ أنّ المراد بالمطابقة هو مايطابق اللفظ المعنى بحسب العرف لا بالنظر إلى البلاغة وهذا غير داخل في كلام البلغاء وهذا الذي عبّر عنه السكاكي بأنّه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم واعتبر هذا هو الحق ، لأنّ البليغ قد يورد الكلام على مقتضى الظاهر بعيداً عن الكناية والمجاز والتشبيه ومع هذا يعتبر كلامه بليغاً لأنّ المقام اقتضى منه ذلك .(٣)

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٢٩ ، ٦٣١

(٢) انظر الحدائق ص ٦٣١

(٣) انظر الحدائق ص ٦٣١

هذا مجمل جواب الطيبى ولم تبرز شخصية الشارح فى ردّه على الخطيب إذ اكتفى بجواب الترمذى ، والطيبى الذى أملاه على الشارح ويتبين من خلال جوابهما أى الترمذى والطيبى عن اعتراض الخطيب على السكاكى أن ليس كل ما اعترض به الخطيب على السكاكى وقال [فيه نظر] يسلم له فيه ، أو يعتبر اعتراضه قوياً بدليل جواب الترمذى والطيبى فإنّ جوابهما كان قوياً لا يمكن دفعه بسهولة يشهد لهذا أنّ السعد وقف إلى جانب السكاكى وهو الذى اعتاد على تأييد الخطيب فى كثير من المسائل أجاب السعد عن الشق الأول من اعتراض الخطيب بأنّ كون الشىء نسبيًا لا يقتضى أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق ، والبناء على شىء عرفى أجاب السعد أنّ المراد بأنّه لا يتيسّر تحقيقهما أنّه لا يعرف ، ولا يتعين أن هذا الجزء من الكلام ايجاز ، وهذا الجزء اطناب ، وليس المقصود أنّه لا يمكن تبين معنييهما أصلاً فإنّ السكاكى نفسه فسّرهما . (١)

وأجاب عن الشق الثانى من اعتراض الخطيب بأنّ الاحتكام إلى كلام الأوساط ردّ إلى جهالة أجاب السعد بأن البلغاء لهم أساليب فى التعبير ، ولهم تصرف فى الكلام حسبما يقتضيه المقام ، أمّا المتوسطون فلهم فى تفهيم المعانى حدّ معلوم من الكلام يجرى فيما بينهم فى الحوادث المعلومة تدلّ بحسب الوضع على المعانى المقصودة ، فكلام متعارف الأوساط بناء على هذا واضح (٢) ، فالسعد فى هذا الجواب قريب من جواب الترمذى ، ويظهر لى أن توضيح الطيبى كلام الأوساط بأنّه مايؤدى به المعنى المقصود بالمطابقة حتّى لا يرد عليه الشق الثانى من اعتراض الخطيب على السكاكى من أنّه لم يبيّن متعارف كلام الأوساط فهو ردّ إلى جهالة .

مناقشة الشارح لكلام الخطيب فى المساواة :-

اعترض الطيبى على الخطيب وان لم يصرح باسمه فى اعتباره قوله تعالى ((ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)) (٣) من باب المساواة ذكر الطيبى أنّ هذا الاعتبار وهم لأنّ الآية فيها اطناب من وجه ، وحوت جميع أنواع الإيجاز من وجه (٤) وقد سار الشارح مع أستاذه فى اعتراضه على الخطيب وبيّن وجه كون الآية من باب الايجاز ومن وجه آخر من باب الاطناب ، فذكر أنّ استشهاد الخطيب بالآية على المساواة فى غاية البعد ، فإنّ الآية بالنظر إلى نفسها حاوية لمعنى الايجاز من وجوه مختلفة :-

---

(١) انظر المطول ص ٢٨٣

(٢) انظر المطول ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٣) من الآية ٤٣ من سورة فاطر .

(٤) انظر الحدائق ص ٦٣٤

بقوله سبحانه وتعالى ((ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)) .....

قلت فيه نظر لأنّ الآية الكريمة إن كان الاستثناء فيها مفرغاً ففيه ايجاز القصر ، وإن كان غير مفرغ ففيه ايجاز قصر بالاستثناء وإيجاز حذف بحذف المستثنى منه ، فإنّ تقديره بأحد ، وقال الخطيبي هنا الاستثناء فيه مفرغ فالمستثنى منه محذوف وهو غلط فإنّ الحذف لا يكون مع التفريغ وأورد أيضاً أنّ فيها ايجازاً فإنّها حاثّة على كفّ الأذى عن جميع الناس يحذره عن جميع ما يؤدي إلى الأذى بأن فيها ايجاز تقدير لأنّ الأصل يضرّ بصاحبه مضرّة بليغة فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التشيليّة لأن يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل إلّا في الأجسام ، وبالنظر إلى الكلام السابق فيه اطناب لأنّه تذييل لقوله تعالى ((ومكر السيء)) .[1]

فهذا الكلام من البهاء السبكي يقوى اعتراض الطيبي وتلميذه على الخطيب على الرغم من أنّ السعد دافع عن الخطيب وأجاب عن الاعتراض الذي يردّ عليه في اعتباره الآية من باب المساواة فقد ذكر السعد أنّ اعتبار الآية من باب الايجاز أمر لفظي ورعاية للقواعد النحوية ولا يتوقف عليه تأدية أصل المراد حتى لو سمح بذلك لكان اطناباً بل قد يعتبر تطويلاً .[2]

ولعلّ هذا الجواب ضعيف فإنّه إذا استطاع أن يردّ كون الآية من ايجاز الحذف على فرض التسليم له بذلك كيف يستطيع أن يردّ كونها من الايجاز بغير الحذف ، أو الاطناب على وجه آخر؟ .

هذا وما ذكره الشارح سابقاً حول ما تحتمله الآية من وجوه الايجاز بالنظر إلى نفسها أو اعتبارها من باب الاطناب بالنظر إلى ما قبلها لعل هذا هو الأرجح إذ يؤيده قبول البهاء السبكي له وارتضاؤه له .

تقسيمات الايجاز :-

قسّم الطيبي الإيجاز إلى نوعين أساسيّين :-

النوع الأول : ايجاز بالحذف ، النوع الثاني : ايجاز بغير الحذف .

ثمّ قسم ايجاز الحذف إلى قسمين :- ايجاز بحذف جملة وايجاز بحذف غير الجملة) وجعل الايجاز بحذف الجملة في ضربين ، الضرب الأول ايجاز بحذف جملة مستقلّة ، والضرب الثاني ايجاز بحذف جملة غير مستقلّة .

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣/١٨٢

(٢) انظر المطول ص ٢٨٦

أما النوع الثانى وهو الايجاز بغير الحذف فجعله على ضروب ، وهى ايجاز القصر وايجاز التقدير والايجاز الجامع .(١)

هذا تصوّر عام لتقسيم الايجاز عند الطيبى وهو فى هذا التقسيم يختلف عن تقسيم الخطيب الذى قسم الايجاز على ضربين :- الضرب الأول ايجاز القصر وهذا الضرب ليس له تفريعات عنده ، الضرب الثانى ايجاز الحذف ، وهذا الضرب يتفرع إلى ثلاثة أقسام هى ايجاز بحذف جزء جملة ايجاز بحذف جملة ايجاز بحذف أكثر من جملة .(٢)

ولعلّ مخالفة الطيبى للخطيب فى تقسيم الايجاز ليست ذات أثر كبير على البحث البلاغى لكن الذى يظهر أن تقسيم الخطيب أضبط ، وأدقّ من تقسيم الطيبى فإنّ الخطيب فرّق بين الايجاز بحذف جملة ، وبين الايجاز بحذف عدة جمل ، وجعل اعتبار الجملة المحذوفة سببة عما قبلها ، أو سبباً لما قبلها من تفريع الايجاز بحذف الجملة ، أما الطيبى فان التفريق عنده بين الايجاز بحذف جملة والايجاز بحذف عدة جمل اختفى فى سبيل تفريقه بين الايجاز بحذف جملة مستقلة والايجاز بحذف جملة غير مستقلة ، بل أدرج بعض الشواهد التى فيها ايجاز بحذف عدة جمل ضمن الايجاز بحذف جملة مستقلة كما سيظهر فى التفصيل ، لهذا آثرت اتباع الخطيب فى تقسيمه السابق لايجاز الحذف .

الايجاز بحذف جزء جملة :-

ذكر الطيبى من الايجاز بحذف غير الجملة - أى جزء جملة كما عبّر الخطيب - حذف المضاف واستشهد له بقوله تعالى ((ولكن البر من اتقى))(٣) والتقدير ولكن البر برّ من اتقى وهذا أولى من تقدير ولكن ذا البر لأنّ الكلام فى البر .(٤)

أمّا الشارح فذكر أنّه يمكن اعتبار التقدير الثانى وهو ولكن ذا البر أولى لأنّ المشركين باتيانهم البيوت من ظهورها يقصدون إلى أن يكونوا أبرارا على سبيل الكناية ، فكأنّه قيل ليس ذو البر من أتى البيوت من ظهورها لكن ذا البر من اتقى .(٥)

فالطيبى رجح التقدير الأول ولكن البرّ برّ من اتقى أمّا تلميذه وان وافق شيخه ضمنا لكنّه ذكر أنّه يمكن اعتبار التقدير الثانى أرجح ، وهو ولكن ذا البر من اتقى ، وقد ذكر الزمخشرى(٦)

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٤٢ ، ٦٦٢ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧
(٢) انظر الايضاح ص ١٨٢ ، ١٨٥
(٣) من الآية ١٨٩ من سورة البقرة .
(٤) (٥) انظر الحدائق ص ٦٥١
(٦) انظر الكشاف : ١/ ٣٤١ .

التقدير الأول ، ولم يشر إلى التقدير الثانى ، أمّا السكاكى والخطيب فلم يذكرا الآية ضمن شواهد الايجاز .

الايجاز بحذف جملة :-

استشهد الطيبى للايجاز بحذف جملة غير مستقلة بقوله تعالى :- ((فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت))[1] ، أى فضرب فانفجرت فحذف ليشير إلى أنّ الموحى إليه لم يتوقف عن امتثال الأمر، وسمّيت هذه الفاء فى فانفجرت فصيحة ، لافصاحها عن محذوف غير شرط هو سبب لما بعده .[2]

أمّا الشارح فإنّه بيّن الفرق بين فاء السبب، والفاء الفصيحة، فذكر أنّ فاء السبب والفاء الفصيحة بعد اشتراكهما فى أنّهما غير متعلقين بشرط بل بسبب أنّ السبب فى فاء التسبب مذكور، وفى الفاء الفصيحة مقدّر يدلّ عليه سياق الكلام والسبب المقدّر معطوف عليه دون المذكور ، وقد يكون السبب فى فاء التسبب غير مذكور لكنه يفترق عن السبب فى الفاء الفصيحة كونه غير معطوف عليه[3] ، هذا بيان حسن من الشارح فى تفريقه بين فاء السبب والفاء الفصيحة .

هذا وقد تبيّن لى أنّ ماذكره الطيبى فى تقدير الآية فضرب فانفجرت تأثّر فيه بالزمخشرى الذى ذكر التقدير المذكور ضمن تقديرين ذكرهما فى الآية ، وذكر أنّ الفاء فى فانفجرت فصيحة حيث قال :- ((((فانفجرت)) الفاء متعلقة بمحذوف أى فضرب فانفجرت ، أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا فى قوله [فتاب عليكم] وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ))[4] ، وقد تأثر بالزمخشرى فى التقدير الأول السكاكى[5] ، أمّا الخطيب[6] فذكر الآية شاهداً على الايجاز بحذف جملة هى سبب ، وقد حذف ، وبقى مسببه ، وذكر التقديرين اللذين ذكرهما الزمخشرى ، لكنّه لم يشر إلى كون الفاء فى [فانفجرت] فصيحة أمّا السعد فإنّه ذكر الآية شاهداً على الايجاز بحذف جملة تبعا للخطيب فى التلخيص وفيما يتعلّق بالفاء الفصيحة فى فانفجرت قال :- ((والفاء فى مثل قوله [فانفجرت] تسمّى فاء فصيحة ، وظاهر

---

(١) من الآية ٦٠ من سورة البقرة .

(٢) انظر الحدائق ص ٦٤٨

(٣) انظر الحدائق ص ٦٤٩

(٤) الكشاف : ١/ ٢٨٤

(٥) انظر المفتاح ص ١٢١

(٦) انظر الايضاح ص ١٩١

كلام الكشاف أنّ تسميتها فصيحة إنّما هي على التقدير الثاني ، وهو أن يكون المحذوف شرطاً ، وظاهر كلام المفتاح على العكس ، وقيل إنّها فصيحة على التقديرين ، والمشهور في تمثيلها قوله :-

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثمّ القفول فقد جئنا خراسانا))[1]

من هذا يتبيّن لنا تميز جهد الشارح في تفريقه بين فاء السبب والفاء الفصيحة .

الايجاز بحذف عدّة جمل :-

استشهد الطيبي للايجاز بحذف جملة مستقلّة بقوله تعالى : ((اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثمّ تولّ عنهم فأنظر ماذا يرجعون قالت يأيّها الملأ))[2] ، فالآية اشتملت على ايجازين الأول في قوله ((ثم تول عنهم)) أي تنحّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون - ويمكن اعتباره ايجازاً بحذف جزء الجملة على اعتبار أنّ قوله إلى مكان قريب ومابعده هذا جزء جملة ، وإذا نظر إلى لفظ تتوارى كان ايجازاً بحذف جملة وهي تتوارى - الثاني بعد قوله ((يرجعون)) والتقدير فأخذ الكتاب ، وذهب به ، فلمّا ألقاه إليها فتناولته ثم قرأته قالت يأيّها الملأ[3] ، هذا وقد ذكر الخطيب الآية شاهداً على الايجاز بحذف عدّة جمل ، ولم يذكر إلّا الموضع الثاني من الايجاز في الآية الذي ذكره الطيبي أي الذي بعد قوله ((يرجعون)) حيثقال :- ((أي ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ثمّكان سائلاً سأل قال فماذا قالت ؟ ، فقيل : قالت يأيّها الملأ))[4] ، وقد اتبعت الخطيب في رأيه وهو اعتبار الآية شاهداً على الايجاز بحذف عدة جمل ، أمّا الشارح فذكر أنّ موضع الاستشهاد في الآية على الايجاز بحذف جملة مستقلة هو الموضع الثاني الذي ذكره ، أمّا الموضع الأول من الايجاز في الآية فليس بجملة فضلاً عن أن تكون مستقلّة فإنّ التفسير المذكور بتنحّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه لم يحذف فيه جملة فإنّ مكان متعلق بتولّ المفسر بتنحّ وتتوارى صفة مكان إلّا إذا اعتبر تتوارى استئنافاً فيكون الايجاز فيه من هذا الضرب فيصحّ الاستشهاد به عليه .[5]

كما ذكر أن الايجاز الأول في الآية كان بحاجة إلى التقدير لأنّ ترتب قوله فأنظر أي تأمّل في جواب كتابنا على قوله ((تول عنهم)) يستدعي ذلك إذ التولي عنهم لا يكون إلّا بعد سماع

---

(١) المطول : ص ٢٨٩

(٢) الآيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة النمل .

(٣) انظر الحدائق ص ٦٤٢

(٤) الايضاح ص ١٩٢

(٥) انظر الحدائق ص ٦٤٢

كلامهم ، والتأمل فيه لا قبله ، فلهذا لزم التقدير[1] ، كما ذكر أنّه إذا قيل إنّ الايجاز الثانى فى الآية لا يصلح الاستشهاد به على الايجاز بحذف جملة مستقلّة ، لأنّ الأخذ مسبّب عن الأمر بالذهاب فإنّ الهدهد كان مطيعاً لسليمان عليه السلام فامتثال أمره كان واجباً عليه أجاب بأنّ مجرد الأمر لا يقتضى الوجوب بالامتثال بالنظر إلى ذاته بل باعتبار أمر خارجى ، فإنّ مجرّد الأمر يحتمل الندب ، والإباحة ، والالتماس ، وغيرها من المعانى[2]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، وقد أحسن ببيانه للايجازين اللذين ذكرهما شيخه فى الآية .

ايجاز القصر :-

ذكر الطيبى من الايجاز بغير حذف ايجاز القصر، وهو أن يقصر اللفظ على المعنى، واستشهد له بقوله تعالى :- ((إنّه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين))[3] ، قال جعفر بن يحى فى هذه الآية: إنه أوجز كلام جمع فى أحرف العنوان والكتاب والحاجة[4] .

أمّا الشارح فبيّن كيف تضمن الكتاب العنوان ، والكتاب والحاجة فذكر أنّ العنوان فى قوله ((إنّه من سليمان)) أى من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ، أمّا الكتاب فهو قوله ((إنّه بسم الله الرحمن الرحيم)) فإنّ مضمون غرض مكتوب الأنبياء إلى الأمّة هو تعظيم الله ، وذكر الآيات ودعوة الخلق الى عبادته ، أما الحاجة فى قوله ((أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين)) وهذا البيان يشير إلى أنّه من قوله ((إنّه من سليمان)) إلى قوله ((مسلمين)) استئناف وبيان لما فى الكتاب من الكرامة كأنّها لمّا قالت ((إنّى ألقى إلىّ كتاب كريم)) أى حسن مضمونه ، ومافيه اتجه السائل أن يقول بيّنى مضمونه ومافيه فأجابت فيه أنه من سليمان وانه إلى آخره .[5]

هذا وقد تبين لى أنّ الشارح تأثّر فى بيان الاستئناف فى الآية بما ذكره الزمخشرى الذى قال :- ((..... وقيل مصدّر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف ، وتبيين لما ألقى إليها كأنّها قالت إنى ألقى إلىّ كتاب كريم قيل لها ممن هو ؟ ،وماهو ؟ ،فقالت : إنّه من سليمان ، وإنه كيت وكيت .....))[6] .

وبعد فاذا كان الطيبى قد أحسن بايراده الآية ضمن شواهده على ايجاز القصر وتميز عن السكاكى والخطيب اللذين لم يذكرا الآية ضمن شواهد الايجاز فإنّ جهد الشارح قد تميز ببيان وجه الايجاز فى الآية والاستئناف الذى تضمنها فرحم الله تعالى الجميع .

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٤٢ ، ٦٤٣
(٢) انظر الحدائق ص ٦٤٣
(٣) الآيتان ٢٠ ، ٢١ من سورة النمل .
(٤) انظر الحدائق ص ٦٦٢
(٥) انظر الحدائق ص ٦٦٢
(٦) الكشاف : ١٤٦/٣

ايجاز التقدير :-

ذكر الطيبي من الايجاز بغير الحذف ايجاز التقدير وهو أن يقدّر معنى زائد على المنطوق واستشهد له ضمن ما استشهد به بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((هذا يوم له مابعده)) [1] ، وقد علّق الشارح على الحديث بأنّ له مابعده من الظفر والنصر فهو فتح الفتوح ، ومقدمة لدخول الناس في دين الله أفواجا ، إلى أن تقوم الساعة. [2]

ولعلّ ادراج مثل هذا الايجاز في مصطلح ايجاز القصر يكون أولى على ماسار عليه الخطيب تغليباً للاعتبار .

الايجاز الجامع :-

ذكر الطيبي من الايجاز بغير الحذف ايجاز جامع وهو أن يحتوى اللفظ على معان متعددة واستشهد له بقول الحماسي

فان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فإنّ ضيم النفس وغمط حقها أن يتكلّف للشجاعة والسماحة، والعفّة والتواضع، والصبر، وغيرها وأخذ هذا المعنى أبو تمام في قوله :-

وظلمت نفسك طالباً انصافها فعجبت من مظلومة لم تظلم

فضمن البيت نوعين من الايجاز ، والمطابقة ، ومعنى البيت أنك عندما أكرهت نفسك على المشاق فقد ظلمتها في الظاهر لكن في واقع الأمر وحقيقته أنصفتها حيث جلبت لها مجداً أصيلاً ومكارم دائمة ، فما أعجب بمثل هذا الظلم الجالب للانصاف [3] ، هذا ماعلق به الطيبي في موازنته بين البيتين .

أما الشارح فقد بيّن ماتميز به بيت أبي تمام حيث اشتمل على ضربين من الايجاز الأول الايجاز الجامع الثاني من جهة كونه أقلّ في حروفه ، وألفاظه من البيت الذي في الحماسة لأنّ الشطر الأول من بيت أبي تمام يعادل في معناه تمام بيت الحماسة ، أمّا الشطر الثاني فلبيان غرابة الشطر الأول فإنّه في الظاهر كالجمع بين المتنافيين ، ويمكن حمل بيت أبي تمام على ايجاز القصر لأن ألفاظه قوالب معانيه.

كما اشتمل بيت أبي تمام على المطابقة بين الظلم والانصاف وبين المظلومة ، وبين لم تظلم. [4]

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ٦٦٥

(٣) انظر الحدائق ص ٦٧٠ ، ٦٧٢

(٤) انظر الحدائق ص ٦٧٢

هذا ملخص ماذكره الشارح حول الموازنة بين البيتين ، وقد بيّنت في التحقيق [1] مدى تأثر الطيبي وتلميذه في هذه الموازنة بضياء الدين ابن الأثير حيث نقلت ماذكره في البيتين في الموازنة من كتابه المثل السائر فجهد الطيبي وتلميذه لا يبرز هنا ولعلّ الأولى ادراج هذا النوع من الايجاز تحت مصطلح ايجاز القصر كما سار عليه الخطيب تقليلاً للاعتبار .

الاطناب وصوره :-

عرّف الطيبي الاطناب كما سبقت الاشارة إليه بأنّه مازاد الكلام فيه على المعنى المقصود بالمطابقة بغرض المبالغة . [2]

وقد قسّمه إلى ضربين : الأول الاطناب بغير الجمل ، الثاني الاطناب بالجمل والمقصود بالجمل كما بينه الشارح ليس الجمل الاصطلاحية بل جمل الألفاظ التي تستقل كلّ منها بالمعنى إذ قد تكون مفردات كما في الأخبار المعطوفة في قوله تعالى :-((ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس)) [3] الآية [4] ، وسيتبين تفصيل هذين الضربين فيما بعد .

هذا وقد ألحق الطيبي بعض المباحث المتفرعة عن الاطناب والتي هي من صوره كالتكرير والايغال ، والتذييل ، والتكميل ، والتتميم ، والاعتراض على رأي الخطيب ألحقها الطيبي بعلم البديع وبالخصوص التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى ، أمّا الخطيب فإنّه جعل تلك المباحث من صور الاطناب والايجاز والاطناب أحد أبواب علم المعاني ولعل ترتيبه أرجح من ترتيب الطيبي لأنّ تلك المباحث أقرب لبحث المطابقة منها للتحسين ، وأيضاً تلك المباحث يجمع بينها الزيادة على المعنى سواء كانت الزيادة على أصل المراد لفائدة على رأي الخطيب ، أو كانت الزيادة على كلام متعارف الأوساط للمبالغة على رأي الطيبي المهم أنّ في تلك المباحث زيادة ألفاظ على المعنى المقصود فيجب في هذه الزيادة أن تكون مطابقة لمقتضى الحال ليكون الكلام بليغا أما اذا لم تكن كذلك خرجت عن دائرة الكلام البليغ وعلم المعاني مختص ببحوث المطابقة وعليه فتلك المباحث أقرب الى الاطناب منها الى التحسين والاطناب من بحوث علم المعاني فبناء على ماسبق آثرت اتباع الخطيب ، فألحقت تلك المباحث بهذا الباب .

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٧٢ ، ٦٧٣

(٢) انظر الحدائق ص ٦٢٩

(٣) من الآية ١٦ من سورة البقرة .

(٤) انظر الحدائق ص ٦٧٦

الاطناب بغير الجمل :-

من صور الاطناب عند الطيبى الاطناب بغير الجمل ومنه قولهم رأيته بعينى يقال فى أمر يعظم منالة ، ويعزّ الوصول إليه فيؤكد ليدلّ على نيله وحصوله، وعليه قول البحترى :-

تأمل من خلال السجف وانظر ... بعينك ماشربت ومن سقانى

تجد شمس الضحى تدنو بشمس ... إلىّ من الرحيق الخسروانى (١)

أمّا الشارح فإنّه بيّن المفردات الغريبة فى البيتين فالخلال جمع الخلل الفرجة بين الشيئين السجف الستر ، الرحيق الشراب الخالص والخسروانى منسوب إلى خسرو ملك من ملوك الفرس وموضع الشاهد فى قوله ((بعينك)) جاء لتأكيد معنى ((فأنظر)) ، وذلك لعظم المنظور لذا أبهم فى قوله ((ماشربت ومن سقانى ثمّ فسرهما بالشمسين الساقى والمسقى ، كما بيّن الصورة البيانية التى اشتمل عليها البيت الثانى فذكر أنّ قوله من الرحيق أخرجت قوله بشمس من الاستعارة إلى التشبيه حيث شبهت الخمر بالشمس فى الاشراق ، أمّا قوله - شمس الضحى - استعارة حيث شبه الساقى بالشمس فى الحسن ، والاضاءة ، ونباهة الشأن والضحى ترشيح للاستعارة كما ذكر الشارح اعراب - تدنو - بأنّها مفعول ثان لتجد إذا جعلت تجد من أفعال القلوب ، أمّا إذا اعتبرت مما ينصبّ فعلاً واحداً بمعنى تصب يكون-تدنو- حالاً.(٢)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول الشاهد ، وقد برز جهده بوضوح فى شرح المفردات الغريبة ، وبيان موضع الشاهد، والكشف عن الصورة البيانية التى تضمنها الشاهد ، وقد برز جهده بعد أن عرفنا أن شيخه لم يعلق على البيتين بشىء بخلاف ضياء الدين (٣) ابن الأثير الذى ذكر البيتين شاهداً على الاطناب بجملة واحدة ، وعلق على البيتين بقوله :- ((ولمّا كان الحضور فى هذا المجلس مما يعزّ وجوده ، وكان الساقى فيه على هذه الصفة من الحسن قال ((انظر بعينك)) (٣) ، فهو أشار إلى موضع الشاهد ، أمّا الشارح فإنّه شرح المفردات الغريبة وبيّن الصورة البيانية وموضع الشاهد ، ومن هنا تبرز أهمية كلامه .

الاطناب فى الجمل :-

من صور الاطناب عند الطيبى الاطناب بالجمل ، واستشهد له بقوله تعالى :- ((إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من

---

(١) انظر الحدائق ص ٦٨١

(٢) انظر الحدائق ص ٦٨١

(٣) المثل السائر : ٣٩٦/٢

السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) [1] ، فالاطناب في الآيات جاء على أبلغ صور الاطناب لكون الخطاب مع الجن والانس على مرّ العصور والأزمان على مختلف أصنافهم العالم منهم والجاهل والموافق منهم والمنافق [2] ، أمّا الشارح فذكر أنّ المقصود من الاطناب بالجمل جمل الألفاظ التي يستقلّ كل منها بالمعنى لا الجمل الاصطلاحية ، فإنّ الأخبار المعطوف بعضها على بعض في الآية مفردات على اعتبار الانسحاب على أنّ الواجب أن يذهب إلى طريق التقدير لما أنّ في كل واحد من الأخبار مستقل في الدلالة على كونها آية مستقلة ، فحينئذ تكون الجمل اصطلاحية في الآية .

كما ذكر أن أصل الكلام في الآية إنّ في خلق العالم لآية للعقلاء فالاستدلال بخلق السموات والأرض على وجود الخالق ثمّ على وحدانيّته عام ، قال تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله)) ومن أظهر الآيات العلوية في الآية اختلاف الليل والنهار ، ومن أغرب الآيات السفليّة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ومن الآثار الآفاقية في الآية قوله ((وما أنزل الله من السماء من ماء)) إلى آخر الآية .[3]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، وقد أحسن ببيانه للمقصود من الجمل في الاطناب بالجمل كما أحسن فيما أورده من تأملات حول الآية ، هذا وقد تبين أن تعليق الطيبي على الآية تأثّر فيه بما ذكره السكاكي في المفتاح [4] ، وقد نقلت نصه في قسم التحقيق [5] ليظهر مدى تأثر الطيبي به .

من صور الاطناب :-

التكرير :-

عرّف الطيبي التكرير بأنه اعادة الشيء لفائدة .[6] وقد علّق الشارح على هذا التعريف بأنّ الطيبي ذكر لفظ [الشيء] ليشمل اللفظ والمعنى ولم يقل حتى يدخل التكرار في المعنى في الحدّ

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .
(٢) انظر الحدائق ص ٦٨٣ ، ٦٨٤
(٣) انظر الحدائق ص ٦٨٣ ، ٦٨٤
(٤) انظر المفتاح ص ١٢٢
(٥) انظر الحدائق ص ٦٨٤
(٦) انظر الحدائق ص ١٢٩٤

وذكر الفائدة مع أنّ التكرار في الكلام البليغ لا يكون عبثاً زيادة بيان، والتنكير فيها للتنويع على اعتبار أنّ التكرير ضروب وفنون [1] ، قسم الطيبي التكرير إلى قسمين ، الأول : أن يعاد اللفظ بعينه ، الثاني أن يكرر المعنى دون اللفظ تأكيداً.

أولا : التكرير في اللفظ ويأتي على وجوه منها الترديد :-

ذكر الطيبي أنّ اعادة اللفظ بعينه يأتي لعدة وجوه منها أن يكرّر ليناط به حكم آخر ، ويسمّى بالترديد ومن الشواهد التي ذكرها له قوله تعالى ((وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)) . [2]

فجيء بقوله ((ويريد الله أن يحقّ الحقّ)) ليميّز إحدى الارادتين عن الأخرى وجيء بقوله ((ليحقّ الحقّ)) ليبين علة اختيار ماختير من إحدى الارادتين . [3]

أمّا الشارح فبيّن الارادتين والتعبير في إحداهما بالودادة وفي الأخرى بالارادة ووجه التعبير بذات الشوكة فذكر أنّ الارادتين ارادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يغنموا القافلة المتّجهة من الشام إلى مكة ليصيبوا منها الغنائم والأموال ، وهذه غير ذات الشوكة ، وارادة الله تعالى قتال أولئك الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ، وهم ذات الشوكة ، فأراد الله قتالهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون . وعبّر عن ارادتهم بتودّون لأنّ الودادة تكون في أمر غير ثابت ، وليس بحقّ ، قال تعالى ((ودوا لو تدهن فيدهنون)) [4] ، وقوله ((ربّما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين)) [5] وغيرهما .

وعبّر تعالى عن ارادته بقوله ((ويريد الله أن يحقّ الحقّ)) بدل ويريد لكم ذات الشوكة وضعاً للمسبب موضع السبب ليبيّن أنّ ارادته هي الحقّ الثابت المعتدّ بها ، أمّا ارادتهم فغير معتدّ بها ، ولا ملتفت إليها ، وفي التعبير بغير ذات الشوكة بدل العير والقافلة فيه عتاب لهم في عدم رغبتهم للقتال، وارادتهم للشيء العاجل الميسور فجاء على سبيل الادماج . [6]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول الآية وقد بيّنت في قسم التحقيق [7] مدى تأثر الطيبي وضياء الدين [8]

---

(١) انظر الحدائق ١٢٩٤

(٢) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الأنفال .

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٩٤

(٤) الآية ٩ من سورة القلم .

(٥) الآية ٢ من سورة الحجر .

(٦) انظر الحدائق ص ١٢٩٤ ، ١٢٩٦

(٧) انظر الحدائق ص ١٢٩٤ ، ١٢٩٥

(٨) انظر المثل السائر : ٣/٩ .

ابن الأثير في تعليقهما على الآية بما ذكره الزمخشري [1] ، ونقلت نصّ الأخيرين في موضعه وقد ظهر من خلاله تميز جهد الشارح فيما ذكره ، وتأملاته في النظم القرآني للكشف عن بعض وجوه اعجازه في نظمه ، وتعبيره ، كما بيّن الشارح الترديد نقلاً عن بعض الأدباء بأنّه أن يعلق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ، ثم يردّها فيه بعينها ، وتعلقها بمعنى آخر، وقد يسمّى التعطف أيضاً كقول زهير :-

من يلق يوماً على علاته هرماً يلق السماحة والندى خلقا

علاته أي على كلّ حال ، والضمير فيه راجع إلى من، وهرماً مفعول يلق ، وهو هرم بن سنان ، وخلقا مفعول ثان ليلق الثاني ومعنى البيت يقول الشاعر من يقابل هرماً في يوم من الأيام بحاجاته السانحة ، وأحواله المتفرقة ، يجد رجلاً كريما غير بخيل يسعفه في حاجاته ، ويعينه على خطوب الزمان وشدائد الأيام. [2]

هذا جهد طيب من الشارح في شرح البيت بتوضيح مفرداته، واعرابه بعض تراكيبه ، وبيان معناه العام ، وقد قوّى تسمية شيخه التكرير للفظ لمناط به حكم آخر بالترديد قوّاه بما ذكره بعض الأدباء ، كما ذكر أنّه قد يسمّى بالتعطّف .

تكرير اللفظ لتقرير المعنى :-

ذكر الطيبي [3] من وجوه تكرير اللفظ أن يعاد ليقرر المعنى ، واستشهد له بقوله تعالى :-((ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ياقوم إنّما هذه الحيوة الدنيا متاع)) [4]

أمّا الشارح فذكر أنّ هذا الوجه من التكرير هو المشهور بين الناس ، أمّا الوجه الأول وهو الترديد فإنّه أخصّ من هذا الوجه لما يلزم منه التقرير وإضافة عليه فيه معنى زائد ، وهو التعليق فإنّ قوله تعالى :- ((ياقوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ياقوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع)) يعدّ من الوجه الثاني ، فقد كرر ((ياقوم)) لتقرير المعنى حيث جاء قوله ((إنّما هذه الحيوة الدنيا)) إلى آخر الآية تفسيراً لسبيل الرشاد والمفسّر والمفسّر بمثابة الشيء الواحد لهذا امتنع حملها على الوجه الأول ، حكم غير ماعلّق بالأول، والغيرية مفقوده لأن قوله ((إنّما هذه الحيوة

---

(١) انظر الكشاف : ٢/ ١٤٥

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٩٦

(٣) انظر الحدائق ص ١٣٠٢

(٤) من الآيتين ٣٨ ، ٣٩ من سورة غافر .

الدنيا .....)) الآية تفسير لقوله ((سبيل الرشاد)) ، كما ذكروا المفسّر والمفسّر كالشيء الواحد [1] ، هذا مجمل ماذكره الشارح ، وقد أحسن فى تفريقه بين الوجه الأول من وجوه التكرار فى اللفظ وهو تكرار اللفظ ليناط به حكم آخر وبين الوجه الثانى وهو اعادة اللفظ لتقرير المعنى، وذلك من خلال الآية الكريمة ففى الوجه الأول ماتعلّق باللفظ المعاد مغاير لما سبقه ، أمّا الوجه الثانى فإنّ ماتعلق باللفظ المكرر ليس مغايراً لما سبقه بل مقرراً له .

التكرار لطول الكلام :-

ذكر الطيبى من وجوه التكرار فى اللفظ ليقارن به تمام الفصل كيلا يجيء الكلام مبتوراً لطوله وقد بيّن الشارح أنّ المقصود من الفصل هنا الكلام الذى له مبتدأ ومنتهى ، فإذا أريد الشروع فى كلام مثله يجاء بفصل ليشعر بأنّ مايجيء بعده مثل السابق له مبتدأ ومنتهى ، وهذا الوجه من التكرير مثل الوجه الأول وهو التكرير ليعلّق به معنى آخر ، لكن الاعادة هنا راجعة إلى اللفظ وتحسينه وإلى الاحتراز عن تهجينه . [2]

وقد استشهد الطيبى لهذا الوجه بقوله تعالى ((ثم إنّ ربّك للذين عملوا السوء بجهالة ثمّ تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم)) . [3] ، فكرّر ربك ليدلّ على ترجيح جانب المغفرة ، وكرّر إن للطول بين اسم إن وخبرها مما أوجد فسحة فأعيد حتى لا يذهب بطلاوة الكلام . [4]

بيّن الشارح موضع الاستشهاد فى الآية من خلاله ماقاله أستاذه فذكر أنّ موضع الشاهد تكرير إنّ فجيء به لئلا يذهب بحسن الكلام ، وقبوله أمّا تكرير ربك فليس من هذا الباب بل هو من باب وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بالعلّية وأيضاً المالكية والربوبية تقتضيان الغفران، والرحمة فى حق المربوب والمملوك ، وإمّا للاهتمام ، ونظرية للكلام . [5]

هذا فقد أحسن الشارح بيان موضع الشاهد فى الآية من خلال ماقاله أستاذه ، وأشار إلى غرض بلاغي آخر فى الآية وذلك من خلال وضع الظاهر موضع المضمر .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٠٢

(٢) انظر الحدائق ص ١٣٠٣

(٣) من الآية ١١٩ من سورة النحل

(٤) انظر الحدائق ص ١٣٠٣

(٥) انظر الحدائق ص ١٣٠٣

ثانياً : تكرير المعنى دون اللفظ :-

ذكر الطيبي أنّ تكرير المعنى دون اللفظ يكون للتأكيد وهو على نوعين أحدهما أن يقع التكرير في غير الجمل، واستشهد له بقوله تعالى :- ((أولئك لهم عذاب من رجز أليم)) [1] فإنّ الرجز هو العذاب أي عذاب مضاعف . [2]

أمّا الشارح فذكر أنّ توجيه أستاذه للآية تبع فيه ضياء الدين ابن الأثير من أنّ التكرير جاء لارادة مضاعفة العذاب، والأظهر عكسه فإنّ أصل الكلام بناء على الظاهر رجز من عذاب فمن بيانيّة ، ومن حقّ البيان أن يكون أوضح من المبيّن فلمّا أريد بالعذاب نوع مبهم لا يعرفه كلّ أحد بيّنه بالرجز الموصوف بالألم على الاسناد المجازي فبناء عليه التكرير جاء لبيان العذاب وليس لارادة مضاعفة العذاب [3] ، هذا تعقيب جيد من الشارح على أستاذه وابن الأثير في توجيه الآية تبرز شخصيّته بكل وضوح .

ثانيهما : أن يقع التكرير في الجمل ، ذكر الطيبي أنّ هذا القسم يأتي على عدة وجوه منها :

ذكر الخاص بعد العام :-

استشهد الطيبي لذكر الخاص بعد العام بقوله تعالى :- ((ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) [4] ، فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخلان تحت الدعاء إلى الخير . [5]

أمّا الشارح فذكر أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفردا بالذكر مع أنّهما داخلان في الدعاء إلى الخير لأنّهما من أعظم أركان الدين ، وأشرف مناصب المسلمين ، ولكونهما من مراتب الأنبياء والمرسلين ، لهذا علل خيريّة هذه الأمّة بهما . [6] ، فقال ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) [7] ، هذا تعليق حسن من الشارح على الآية فإنّ الخطيب [8] والسعد [9] استشهدا بالآية على ذكر الخاص بعد العام من صور الاطناب لكنّهما لم يعلّقا بشيء عليها .

---

(١) من الآية ٥ من سورة سبأ .
(٢) (٣) انظر الحدائق ص ١٣١٠
(٤) من الآية ١٠٤ من سورة آل عمران
(٥) (٦) انظر الحدائق ص ١٣١١
(٧) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .
(٨) انظر الايضاح ص ١٩٧
(٩) انظر المطول ص ٢٩٢ .

ذكر العام بعد الخاص :-

استشهد الطيبي لهذا الوجه من وجوه التكرير في المعنى في الجمل بقول المقنّع الكندي :-

وإنّ الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدّا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وإن ضيّعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإنّ هم هووا غيّي هويت لهم رشدا

فإنّ قوله ((ضيّعوا غيبي)) الاغتياب المعبّر عنه بقوله ((أكلوا لحمي)) ويشمل غيره من ترك نصرته ، وعدم معاونته فيما يقصده ، ويرمي إليه .[1]

أمّا الشارح فذكر أنّ قوله ((أكلوا لحمي)) بيان للكلام السابق في وجه الخلاف بينه وبين قومه ، ويقصد به الغيبة ومثّل فيها كقوله تعالى ((أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه))[2] ، وقوله ((وفرت لحومهم)) جاء على سبيل المشاكلة اللفظية لأنّه ليس مثلاً كقوله ((إذا أكلوا لحمي)) وإنّما هو مثله في التضاد ، ومعنى البيت يقول الشاعر إن نقصوا من عرضي ، ونالوا منه بالاغتياب في المجامع والأندية أصون عرضهم ، وأحفظ شرفهم بل أمدحهم ، وأجلّ قدرهم بعد محاسنهم ، واحصاء مكارمهم[3] ، هذا توضيح حسن من الشارح للشاهد ، ويظهر أنّه اكتفى بتوضيح أستاذه لموضع الشاهد فيه .

التذييل :-

اعتبر الطيبي[4] التذييل من ذكر العام بعد الخاص الذي هو أحد وجوه التكرير في المعنى في الجمل لكنّه أفرده ببحث مستقل بعد انتهائه من مبحث التكرير وقد بيّن الشارح علّة ذلك فقال ((وإنما أفرده بالذكر وجعل نوعاً آخر لاختصاصه بالمزايا ، واختياره النكت واللطائف))[5] .

أمّا الخطيب[6] فقد اعتبر التذييل أحد صور الاطناب كما أشرت سابقاً وقد عرّف الطيبي التذييل بأنّه قطع الكلام بما يشتمل على معناه توكيداً لا محلّ له ، وجعله على أقسام .[7]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣١٤

(٢) من الآية ١٢ من سورة الحجرات .

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ١٣١٤

(٥) الحدائق ص ١٣١٤

(٦) انظر الايضاح ص ٢٠٠

(٧) انظر الحدائق ص ١٣٢٥

وقد بيّن الشارح وجه ارتباط التذييل بذكر العام بعد الخاص وقد أشار إليه أستاذه لكن لم يبيّنه، وقد وضّح الشارح هذا الارتباط فذكر أنّ قول أستاذه فى التعريف ((بما يشتمل على معناه)) يدلّ على أنّ التذييل يجب أن يكون أعمّ من المذيّل من هذا يتّضح ارتباطه بذكر العام بعد الخاص فى باب التكرير .(١)

هذا وقد تبيّن لى أنّ تعريف الطيبى قريب من تعريف الخطيب الذى يقول :- ((هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد)) .(٢)

ذكر الطيبى من أقسام التذييل أن يعقّب بجملة تخرج مخرج المثل ، واستشهد له بقول النابغة الذبياني :-

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه على شعث أىّ الرجال المهذّب

فإنّ صدر البيت دلّ بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، فحقّق ذلك بعجزه .(٣)

أما الشارح فبين معنى المفردات الغريبة، وأعرب بعض التراكيب فى البيت فقوله لا تلمّه أى لا تجمعه ، ولا تصلحه ، وفى الصحاح لمّ الله شعثه ، أى أصلح ، وجمع ماتفرّق من أموره ، وفى الأساس من المجاز لمّ شعثه ، أى أصلح حاله والتهذيب التنقية ورجل مهذّب مطهّر الأخلاق ، وقد كنى بالشعث عن كونه غير مؤدب، ولا مهذب الأخلاق ، وقوله على شعث حال كأنّ الأصل لا تلمّ شعثه فجعل الضمير المجرور فى شعثه مفعولاً به، وجعل المفعول به حالاً بالجار ليدلّ على قوة الإصلاح وغلبته كما بيّن الشارح موضع الاستشهاد، فذكر أنّه فى قوله ((أىّ الرجال المهذب ؟)) فأى استفهام انكارى ، واللام فى الرجال للاستغراق أى إذا تتبعت الرجال رجلاً رجلاً ماوجدت أحداً مهذب الأخلاق مرضى الخصال فعلى هذا قوله ((أىّ الرجال المهذب)) أعمّ من قوله ((أخاً)) لأنّ الأخ من يوافقك، ويرافقك ، وهذا أخص .(٤)

هذا مجمل ماذكره الشارح فى شرحه للبيت ، وقد أحسن فيه وأجاد ، وقد تبيّن لى أن الخطيب استشهد بالبيت على تقسيمي التذييل فتقسيمه من جهة خروجه مخرج المثل أو عدم خروجه استشهد بالبيت لما خرج فيه التذييل مخرج المثل، ولم يعلق فى هذا الموضع بشىء ومن جهة تأكيد التذييل لمنطوق الكلام السابق أو لمفهومه استشهد بالبيت لتأكيد مفهوم الكلام السابق ، وعلّق عليه فى هذا الموضع بقوله ((فإن صدره دلّ بمفهومه على نفى الكامل من الرجال فحقّق ذلك ، وقرّره بعجزه)) .(٥)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٢٥

(٢) الإيضاح ص ٢٠٠

(٣) الحدائق ص ١٣٢٥

(٤) انظر الحدائق ص ١٣٢٥ ، ١٣٢٦

(٥) الإيضاح ص ٢٠٢

هذا وتعليق الطيبى يقرب من هذا، وقد ذكر الخطيب هذين الوجهين من الاستشهاد فى البيت فى الإيضاح ، أمّا فى التلخيص فاكتفى بالوجه الثانى، أو الموضع الثانى، وقد علّق السعد على البيت فى استشهاد الخطيب بالبيت على هذا الموضع بقوله :- ((وإمّا لتأكيد مفهوم كقوله أى قول النابغة الذبياني ((ولست بمستبق أخاً لا تلمّه)) حال من أخاً لعمومه بوقوعه فى سياق النفى، أو عن ضمير المخاطب فى لست، وهذا أحسن من أن يكون صفة ((لأخاً)) يعرف بالتأمل يعنى لا تقدر على استيفاء مودّة أخ حال كونك ممن لا تلمّه، ولا تصلحه ((على شعث)) أى تفرق، وذميم خصال ((أىّ الرجال المهذب)) أى المنقّح الفعال المرضى الخصال ، فصدر البيت دلّ بمفهومه على نفى الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك، وتقرير لأن الاستفهام فيه للانكار أى لا مهذب فى الرجال))[1]

هذا تعليق حسن من السعد على البيت، وهو يتكامل مع تعليق الشارح السابق فرحم الله الجميع .

كما ذكر الطيبى من أقسام التذييل أن يعقّب بجملة لم تخرج مخرج المثل ، واستشهد له بقوله تعالى ((ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلّا الكفور))[2] فإنّ الجزاء الثانى أعمّ من الجزاء الأول وخصّ بالعقاب فى الثانى لاختصاصه به فى الأول .

أو يبقى الجزاء فى الثانى على عمومه ، وتقييده بالكفور للمشاكلة، فأصل الكلام فهل نجازى إلّا العامل .[3]

أمّا الشارح فذكر أنّ المقصود من الجزاء فى قوله ((ذلك جزيناهم)) مافى معنى قوله تعالى ((فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط، وأثل وشىء من سدر قليل)) .[4]

وقد بيّن موضع الاستشهاد بالآية محلّ الكلام من خلال ماقاله أستاذه، وذلك إذا حمل التذييل فيها على أنّه لم يخرج مخرج المثل وإذا حمل التذييل فيها على أنّه خرج مخرج المثل ، فذكر أنّ التذييل فى قوله ((وهل نجازى إلّا الكفور)) الكفران عام فى كل كفران وأعمّ من الكفران الأول فى قوله ((ذلك جزيناهم بما كفروا)) أى أعرضوا ((فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم)) .

---

(١) المطول ص ٢٩٥

(٢) من الآية ١٧ من سورة سبأ .

(٣) انظر الحدائق ص ١٣٣٠

(٤) من الآية ١٦ من سورة سبأ .

والجزاء فى التذييل كان من الظاهر أن لا يقيّد بالكفور بل يبقى مطلقاً للثواب والعقاب لكن لمّا قيّد المذيّل فى قوله ((ذلك جزيناهم بما كفروا)) قيّد التذييل به فى قوله ((وهل نجازى إلّا الكفور)) مع مراعاة العموم فى معنى الكفران فالمذيل كفران خاص وهو اعراضهم وجزاء خاص وهو ارسال سيل العرم ، والكفور جنس شامل لجميع من كفر نعمه تعالى فحينئذ صحّ التذييل وبناء عليه يكون التذييل ليس جارياً مجرى المثل ،وهو موضع الاستشهاد .

أمّا إذا اعتبر أنّ ((الكفور)) جاء على سبيل المشاكلة اللفظية لقوله ((بما كفروا)) فوضع الكفور موضع العامل فيبقى الجزاء فى قوله ((وهل نجازى)) على عمومه ليستقيم معنى التذييل فبناء عليه يكون التذييل فى قوله ((وهل نجازى إلّا الكفور)) جارياً مجرى المثل على وزان قولهم ((كما تدين تدان)) أى كما تعمل تجازى ، ويقال فى الآية جاريه مجرى المثل دون مثلاً مراعاة للأدب فان الأمثال مبتذلة وجلّ جناب التنزيل عنها)) .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول وجهى التذييل فى الآية ، وقد تبيّن أن الخطيب استشهد بالآية على التذييل الذى لا يخرج مخرج المثل وحمل قول الزمخشرى فى الآية على أنّ التذييل فيها من الضرب الذى خرج مخرج المثل فقال :- ((ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد ، وتوقفه على ماقبله كقوله تعالى ((ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلّا الكفور)) إن قلنا إنّ المعنى ((وهل يجازى ذلك الجزاء)) ، وقال الزمخشرى، وفيه وجه آخر ، وهو أنّ الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة ، وأخرى فى معنى الاثابة ، فلمّا استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله ((جزيناهم بما كفروا)) بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلّا الكفور ؟ بمعنى وهل يعاقب فعلى هذا يكون من الضرب الثانى))(٢) ، أمّا السعد فإنه بيّن الوجه الأول ، وأشار إلى الوجه الثانى فقال :- ((وهو أى التذييل ضربان ضرب لم يخرج مخرج المثل بان لم يستقلّ بافادة المراد بل توقّف على ماقبله نحو ((ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور)) على وجه وهو أن يكون المعنى وهل نجازى ذلك الجزاء المخصوص فيكون متعلقاً بما قبله واحترز به عن الوجه الآخر وهو أن يقال إنّ الجزاء عام لكلّ مكافأة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة ، فلمّا استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله تعالى ((جزيناهم بما كفروا)) بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلّا الكفور بمعنى وهل يعاقب فعلى هذا يكون من الضرب الثانى لاستقلاله بافادة المراد))(٣) ، ولعل الذى يظهر من خلال ماذكره

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٣٠

(٢) الايضاح ص ٢٠٠ ، ٢٠١

(٣) المطول ص ٢٩٤

الطيبى، والشارح ، والخطيب، والسعد حول التذييل فى الآية أن الطيبى فى الوقت الذى لم يختلف مع الخطيب فى اعتبار التذييل فى الآية من الضرب الذى لم يخرج مخرج المثل نجده قد بين هذا الضرب فى الآية وأشار إلى الضرب الثانى من التذييل فى الآية وهو الذى خرج مخرج المثل ، أمّا الخطيب فإنّه ذكر أصل الضرب الثانى فى الآية بأنه يعود إلى مايفهم من كلام الزمخشرى أمّا السعد فإنّه أحسن شرح الضرب الثانى من التذييل فى الآية ، أمّا الشارح فإنه بين الضرب الأول من التذييل فى الآية أحسن بيان ، وبين وجه المشاكلة فى الآية بمقتضى الضرب الثانى وإن كان السعد والشارح لم يشيرا إلى ماذكره الزمخشرى فى الآية والذى أورده الخطيب .

تنبيه :-

جعل الخطيب [1] تقسيماً آخر للتذييل وهو إمّا أن يؤكد منطوق الكلام السابق ، أو يؤكد مفهومه ، أمّا الطيبى فقد أطلق عليه الطرد والعكس وعرّفه بقوله ((هو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى وبالعكس)) [2] والطرد والعكس عنده من أحد وجوه التكرير فى المعنى فى الجمل وهو أن يؤتى بالمساوى فى المعنى وقد علّل الشارح افراده أى الطرد والعكس بالذكر وجعله نوعاً خاصّاً اختصاصه بالمزايا واختياره لنكت وللطائف . [3]

التكميل :-

التكميل عند الطيبى من المحسنات التى تعود إلى اللفظ والمعنى ، وعند الخطيب من صور الاطناب وقد سرت مع الخطيب كما ذكرت وبينت وجه اتباعى للخطيب عند أول الكلام فى الاطناب ، وقد عرّف الطيبى التكميل بقوله :- ((هو أن يؤتى بكلام فن فيرى ناقصا فيتمّ بكلام آخر)) . [4]

فهذا التعريف لا يبعد عن تعريف الخطيب الذى يقول :- ((هو أن يؤتى به فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه)) . [5] ، وذكر أنّه يسمى بالاحتراس أيضاً .

ومن الشواهد التى ذكرها الطيبى للتكميل قوله تعالى فى حقّ الصحابة ((فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين)) [6] ، فلو اكتفى بذلتهم على المؤمنين

---

(١) انظر الايضاح ص ٢٠٢

(٢) الحدائق ص ١٣١٩

(٣) انظر الحدائق ص ١٣١٤

(٤) الحدائق ص ١٣٣١

(٥) الايضاح ص ٢٠٢

(٦) من الآية ٥٤ من سورة المائدة .

لأوهم أن الذلّة قد تكون عن عجز ، فاقترن بما يفيد التواضع ، وعدم الكبر في قوله ((أعزة على الكافرين)) فكمّل به .[1]

أمّا الشارح فبيّن وجه اختيار العزة في قوله ((أعزة على الكافرين)) فذكر أنّه ليدل على أنّ تلك الذلة ليست للذلة بل للتواضع فإنّ مايقابل التواضع ليس التكبر بل العزة ، وقد قيل المؤمن متواضع لا ذليل عزيز لا متكبر[2] ، هذا توضيح حسن من الشارح ، هذا وقد استشهد الخطيب بالآية للتكميل الواقع في آخر الكلام وذكر وجه التعبير بعلى في قوله ((على المؤمنين)) فقال :-

((فإنّه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلّتهم لضعفهم فلمّا قيل ((أعـزّة على الكافرين)) علم أنّها منهم تواضع لهم ، ولذا عدّى الذل بعلى لتضمينه معنى العطف كأنّـه قيل عاطفين على وجه التذلل ، والتواضع ، ويجوز أن تكون التعدية بعلى لأنّ المعنى أنّهم مـع شرفهم وعلو طبقتهم ، وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم))[3] ، وقد تبيّن لـي أن الخطيب اعتمد هذا الكلام في توجيه الآيـة[4] ولعل جهد الطيبي وتلميذه لا يظهر كثيرا في هذا الموضع.

الإيغال :-

عرّف الطيبي الإيغال بأنّه ((هو ختم الكلام بنكتة زائدة))[5] ، واعتبره من المحسنات التـي تعود إلى اللفظ والمعنى وهو في هذا التعريف يقرب من تعريف الخطيب الذي قال ((وأمّا بالإيغـال واختلف في معناه فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها ..... وقيل لا يختصّ بالنظم .....))[6] ، وقد اعتبره من صور الاطناب وتعريف الطيبـي يدلّ على أنه يجيز الإيغال في النظم والنثر حيث قال : ((ختم الكلام)) والكلام يشمل النظم والنثر ، ويثبت هذا أنّ شواهده على الإيغال من النظم والنثر ، ولم يشر إلى رأي من قيّد الإيغال بالنّظم كما أشار إليه الخطيب وإن كانت شواهده أي الخطيب شملت النظم والنثر .

من شواهد الطيبي على الإيغال قول الخنساء :-

وإن صخراً لتأتمّ الهـداة به كأنّه علم في رأسه نـار

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٣١

(٢) انظر الحدائق ص ١٣٣١

(٣) الايضاح ص ٢٠٣

(٤) انظر الكشاف : ١/ ٦٢٣

(٥) الحدائق ص ١٣٣٥

(٦) الايضاح ص ١٩٩ ، ٢٠٠

فقولها فى رأسه نار إيغال . [1] ، أمّا الشارح فذكر أنّ البيت اشتمل على التذييل والإيغال فالإيغال فى قولها ((كأنّه علم)) لأنّه تعقيب للكلام السابق على سبيل التشبيه ، والإيغال فى قولها ((فى رأسه نار)) [2] .

هذا توجيه جيّد من الشارح للبيت وقد استشهد الخطيب بالبيت على الإيغال ، وقال معلقاً :- ((لم ترض أن تشبّهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا)) . [3]

التتميم :-

عرّف الطيبى التتميم بقوله ((هو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة أو صيانة عن احتمال مكروه)) [4] ، وهو من المحسّنات التى تعود إلى اللفظ والمعنى عنده ، وتعريفه لا يبعد عن تعريف الخطيب الذى قال :- ((أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة كالمبالغة)) [5] ، وهو عنده من صور الاطناب وقد اتبعته كما ذكرت ذلك سابقاً فى بداية الكلام عن الاطناب .

ذكر الطيبى أن من التتميم مايفيد المبالغة لفظاً ومعنى واستشهد له بقوله تعالى :- ((ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن)) [6] أى على الذى أحسن موسى من العلم والشرائع أى زيادة على علمه على وجه التتميم . [7]

أمّا الشارح فقد بيّن وجه المبالغة فى التتميم فى الآية من جهة اللفظ ومن جهة المعنى فذكر أنّ المبالغة من جهة اللفظ ففى قوله ((تماماً)) فإنّها حال من الكتاب وعلى الذى صلة تماماً .

وأمّا من جهة المعنى ففى قوله ((على الذى أحسن)) أى أجاد موسى فى اظهار المعجزات والآيات التسع من قلب العصا ثعباناً ، واليد البيضاء ، وفلق البحر ، وغير ذلك ، وفى اثبات النبوة ، وبيان علم الشرائع ، وانجاء بنى اسرائيل واهلاك عدوّهم فبعد دعوته فرعون واظهار الآيات أراد الله اتمام ذلك ومزيداً عليه فأنزل عليه التوراة نوراً وهدى للناس ، هذه هى المبالغة فى التتميم فى الآية من جهة المعنى . [8]

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ١٣٣٥

(٣) الايضاح ص ١٩٩

(٤) انظر الحدائق ص ١٣٣٩

(٥) الايضاح ص ٢٠٥

(٦) من الآية ١٥٤ من سورة الأنعام .

(٧) انظر الحدائق ص ١٣٣٩

(٨) انظر الحدائق ص ١٣٣٩

ويظهر أنّ الشارح قد كان موفقاً فى شرح موضع الشاهد في الآية فيما أجمله أستاذه ، وقد تبيّن أنّ الخطيب، والسعد لم يذكرا الآية ضمن شواهد التتميم ، كما استشهد الطيبى للتتميم الذى يفيد صيانة عن احتمال مكروه بقول الشاعر :-

فسقى ديارك غير مفسدها صوب السحاب وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها تتميم للصيانة .(١)

أمّا الشارح فشرح بعض المفردات فى البيت فذكر الصوب الأصل فيها الاصابة ، واستعير لنزول المطر إذا كان بقدر ما ينفع كقوله تعالى ((أنزل من السماء ماء بقدر))(٢) وقيل هو نفس المطر وسمّى به كتسميته بالسحاب على المجاز المرسل ، الديمة المطر الدائم تهمى تسيل كما بيّن وجه الشاهد بأنّ قوله غير مفسدها حال من الديار ، وتتميم لصيانة أى من المطر ما يخرّب البلاد ، ويضرّ العباد وإلى هذا المعنى أشار قوله تعالى ((أنزل من السماء ماء بقدر)) كما ذكر أنّ الاستشهاد بالبيت على التتميم أوقع من الاستشهاد به على الاعتراض كما ذهب إليه السكاكى لأنّ قولها ((غير مفسدها)) حال مع أنّها ليست بجملة ، والاعتراض شرطه أن تكون جملة لا محل لها من الاعراب.(٣)

هذا مجمل ماذكره الشارح، وقد أجاد فى شرح المفردات الغريبة للبيت، وبيان موضع الاستشهاد فيه، وردّه على السكاكى فى استشهاده بالبيت على الاعتراض ، وقد تبيّن لى أنّ الخطيب(٤) اعتبر البيت شاهداً للتكميل الذى توسّط الكلام ، وهذا أظهر لأنّ الكلام السابق يوهم خلاف المقصود حسب تعبير الخطيب فى تعريفه للتكميل أو الكلام السابق يرى ناقصاً حسب تعبير الطيبى فى تعريفه للتكميل ، فجعل البيت شاهداً على التكميل أظهر فبناء على اتفاق مفهوم الخطيب والطيبى للتكميل أمّا حمله على التتميم فبينما يجوز حمله على التتميم عند الطيبى، لأنّ تقييد الكلام بتابع قد يكون صيانة عن احتمال مكروه لا يجوز عند الخطيب لأنّ الكلام السابق لا يوهم خلاف المقصود ، فبناء على اختلاف مفهوم التتميم بين الخطيب والطيبى لا يجوز حمله عليه عند الطيبى فترجح حمله على التكميل لجوازه عندهما ، واتفاقهما عليه .

فائـــدة :-

فرّق الشارح بين التذييل ، والتكميل ، والإيغال، والتتميم على الرغم من أنّها متقاربة المعنى ، متدانية الفحوى ، إلّا أن التذييل تابع مفرد لأمر المتبوع ، أمّا التكميل تابع يرفع مالزم من إيهام النقص منه ، أمّا الإيغال تابع يحسن أمر المتبوع، ويزيّنه ، أمّا التتميم تابع يفيد إمّا مبالغة فى أمر المتبوع، أو يصون عما يوهم المكروه ، فالتتميم من وجه قريب من التذييل من حيث التقرير فى التتميم

(١) انظر الحدائق ص ١٣٤٣
(٢) من الآية ١٨ من سورة المؤمنون .
(٣) انظر الحدائق ص ١٣٤٣ ، ١٣٤٥
(٤) انظر الايضاح ص ٢٠٣

والمبالغة في التذييل، والتتميم قريب من التكميل ، فإنّ التتميم الازالة فيه للمكروه، والتكميل الازالة فيه من حيث النقص .[1]

هذا جهد طيب من الشارح في تفريقه بين تلك المصطلحات البلاغية المتشابهة وهو في هذا التفريق يسير بمقتضى تعريف الطيبي لها .

الاعتراض :-

عرّف الطيبي الاعتراض بقوله :- ((أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين معنى بجملة ، أو أكثر لا محلّ لها من الاعراب))[2] واعتبره من المحسنات التي تعود إلى اللفظ والمعنى بخلاف الخطيب الذي اعتبره من صور الاطناب، وقد بيّنت ذلك فيما سبق عند أول الكلام في الاطناب ، وقد عرّف الخطيب الاعتراض بقوله :- ((أن يؤتى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الاعراب لنكتة سوى ماذكر في تعريف التكميل))[3] ، فالملاحظ أنّ الطيبي اعتمد تعريف الخطيب اعتماداً حرفياً إلّا ما تركه من قوله ((سوى ماذكر في تعريف التكميل)) .

وقد استشهد الطيبي للاعتراض الواقع في أثناء الكلام معنى ضمن ما استشهد بقول عوف بن محلم الشيباني :-

إنّ الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[4]

وقد ذكر الشارح أنّ بلغتها إذا روى على حكاية النفس كان اعتراضاً جيء به على سبيل التوكيد لقوله إنّ الثمانين وإن روى على الخطاب يكون من باب التتميم كما في قول المتنبي :-

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ... ترى كل مافيها وحاشاك فانيا[5]

لعلّ توجيه الشارح للبيت بمقتضى الروايتين حسن منه ، هذا وقد ذكر الخطيب[6] بيت عوف شاهداً على الاعتراض الذي جاء كالدعاء وقد أكّد السعد كون ((بلغتها)) في البيت جملة معترضة لا محلّ لها من الإعراب لقصد الدعاء حيث قال :- ((وبلغتها جملة معترضة بين اسم إنّ وخبرها والواو فيه اعتراضية ليست بعاطفة، ولا حاليّة كما ذكره بعض النحاة .... ومثل هذا الاعتراض كثيراً مايلتبس بالحال والفرق دقيق ...))[7]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٣٩
(٢) الحدائق ص ١٣٥٣
(٣) الايضاح ص ٢٠٦
(٤) انظر الحدائق ص ١٣٥٣
(٥) انظر الحدائق ص ١٣٥٣
(٦) انظر الايضاح ص ٢٠٦
(٧) المطول ص ٢٩٦ ، ٢٩٧

أمّا مايتعلّق ببيت المتنبي فقد استشهد به الخطيب على الاعتراض الذى جىء به بقصد الدعاء ، وقال فى تعليقه على البيت ((فإنّ قوله ((وحاشاك)) دعاء حسن فى موضعه)) (١)

ولعلّ الشارح حين حمل رواية بلغتها بطريق الخطاب على التتميم وقول المتنبي عليه اعتبر جملة [بلغتها] على الخطاب و [وحاشاك] جملتان لهما محل من الاعراب، وجىء بهما بقصد الصيانة عن احتمال مكروه بناء على تعريف الطيبى للتتميم، وسار معه الشارح، والذى يقول :- ((هو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة، أو صيانة عن احتمال مكروه)) فكونه تابعاً أى له محل من الاعراب أمّا الجملة المعترضة فلا محلّ لها من الاعراب ، ولعلّ حمل المتنبى [وحاشاك] على الاعتراض حتى الذى جىء بقصد الدعاء كما ذكر الخطيب أنسب من حمله على التتميم .

الايجاز والاطناب بتقليل الحروف وتكثيرها :-

ذكر الطيبى أنّه قد يعتبر الايجاز والاطناب بتقليل الحروف وتكثيرها كما فى الشطر الأول من قول أبى تمّام :-

يصدّ عن الدنيا إذا عنّ سؤدد ولو برزت فى ذى عذراء ناهد

وتمام البيت فى قول الآخر :-

ولست بنظّار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر (٢)

أمّا الشارح فبيّن المفردات الغريبة التى اشتمل عليها البيت الأول فذكر أن عنّ بمعنى أعرض ، وناهد أى أشرف، ثدى الجارية وكعب، كما بين التتميم والتكميل اللذين تضمنهما البيت فذكر أنّ قوله ((ولو برزت فى زى عذراء ناهد)) تتميم لمعنى الشطر الأول ، وناهد تكميل للعذراء، ثمّ ذكر أنّه يمكن أن يقال إنّ البيت الثانى أبلغ من بيت أبى تمام ، وذلك أنّ قوله ((الغنى)) يشعر بالتتميم والتكميل اللذين أفادهما بيت أبى تمام فإنّ مجرد ذكر الدنيا كما ورد فى بيت أبى تمام يشعر بالنقصان لأنّ الغنى في الدنيا إنّما يتم إذا ضمّ معه مايتّصل به من الحسن والبهاء والتزيين، وهذا ماينبىء عنه لفظ الغنى فى البيت الثانى بالاضافة إلى المقابلة التى اشتمل عليها بين الغنى والفقير كما أنّ قوله ((ولست بنظّار)) أبلغ من قول أبى تمام ((يصدّ عن الدنيا)) لأنّه يفيد عدم الالتفات كأنّه مقتبس من قوله تعالى ((لا تمدنّ عينيك إلى مامتّعنا به أزواجاً منهم)) (٣) ، على أن لفظة نظّار

---

(١) الايضاح ص ٢٠٦

(٢) انظر الحدائق ص ٦٨٩

(٣) من الآية ٨٨ من سورة الحجر .

تفيد التكثير على طريقة قوله تعالى ((وماربّك بظلّام للعبيد)) [1] ، وليس المبالغة ، كما أنّ اللام في الغنى تفيد استغراق الجنس أى تستغرق كلّ فرد من أفراد الغنى وفى اقتران جانب معها تتميم لمعنى عدم الالتفات ، ومعنى البيت على لسان الشاعر يقول : إنى ما التفت إلى الدنيا وفواتها بل أفضل العلا عليها ، وإن لزم من هذا الاختيار الفقر . [2]

هذا مجمل ماذكره الشارح فى موازنته بين بيت أبى تمام وبين بيت المعذّل بين غيلان ، ووجه تفضيله بيت الثانى على الأول ، هذا وقد تبين لى أن الطايبى فيما ذهب إليه من تقديم بيت أبى تمام على بيت المعذل دون تعليق تبع فيه الخطيب [3] ، ولقد برزت شخصية الشارح وتجلّى جهده بكل وضوح فيما أورده من الموازنة بين البيتين ، وتفضيل بيت المعذل وهذا لا يعدّ مخالفة لما سار عليه أستاذه من تقديمه بيت أبى تمام لكونه أوجز من بيت المعذل ، ولكن يمكن اعتباره توجيها آخر للموازنة بين البيتين يشهد لهذا كلامه حين قال :-((ويمكن أن يقال بيت المعذل أبلغ .....)) .

---

(١) من الآية ٤٦ من سورة فصلت .

(٢) انظر الحدائق ص ٦٨٩ ، ٦٩١

(٣) انظر الايضاح ص ٢١٠ ، ٢١١

الفصل الثامن : الإنشاء الطلبي :-

ذكر الشارح أنّ أستاذه بعد أن فرغ من أحد قسمي الكلام وهو الخبر شرع في القسم الثاني ، وهو الطلب ، ويعنى به ماسماه البلاغيّون الانشاء الطلبي ، ومن ثمّ فقد أطلق عليه اسم الطلب ، كما ذكر أنّ الطيبي أدرج تحت الطلب خمسة مباحث وهي التمني ، والاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والنداء ، وهناك أساليب أخرى من قبيل الانشاء كالقسم ، وألفاظ العقود كبعت ، واشتريت ، وغيرهما ، وأفعال المقاربة والمدح والذم كنعم وبئس وفعلى التعجب ما أفعله ، وأفعل به لكنّها أساليب من الانشاء غير الطلبي ، أمّا القسم فيؤتى به إمّا لتأكيد الطلب إذا كان الغرض من القسم الاستعطاف كقولك بالله أخبرني وإمّا لتأكيد الخبر كقولك والله أكرمت محمداً .

أمّا صيغ العقود كبعت واشتريت ، وأفعال المقاربة والمدح والذم ، وفعلى التعجب فمنقولات من الأخبار إلى الانشاء ، وبالتالي لا دلالة فيها على الزمان ، فعلم أنّها بمعزل عن الطلب [1]

هذا بيان حسن من الشارح ، وقد تبيّن لي أنّ الطيبي والشارح تبعاً للسكاكي [2] لم يعرّفوا الطلب إذ اعتبروه مستغن عن التحديد لمقابلته للخبر ، أمّا الخطيب فقد بين الطلب بأنه هو ما استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب . [3]

التمني :-

ذكر الطيبي أنّ أداة التمني الأصلية ليت وهناك أدوات يؤتى بها لتأكيد التمني ، وليست أصليّة فيه منها لو كقولك لو تأتيني فتحدثني بالنصب . [4]

أمّا الشارح فذكر أنّ لو إمّا أن تكون شرطية أو بمعنى التمنّي ثم صارت لكثرة الاستعمال في التمني كالحقيقة له فصارت مشتركة بين الشرطية والتمني فاحتيج إلى قرينة لتحديد المراد هل هو معنى الشرطيّة أو التمني والقرينة هي جواب لو فان كان فعلاً منصوباً كانت لو بمعنى التمني وإلّا فهي للشرط ، أمّا إذا أستبهم جواب لو فلم يتبيّن هل هو جواب للو الشرطية أو للوالق بمعنى التمني حينئذ يعمّ التقدير كقوله تعالى ((ولو أنّهم آمنوا واتقوا لمثوبة)) [5] ذكر الزمخشري أنّ قوله ((لمثوبة)) يجوز أن تكون جواب لو وأوثرت الاسمية على الفعلية

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٠٢ ، ٧٠٣

(٢) انظر المفتاح ص ١٣١

(٣) انظر الايضاح ص ١٣٠

(٤) انظر الحدائق ص ٧٠٤

(٥) الآية ١٠٣ من سورة البقرة .

ليدلّ على اثبات المثوبة واستقرارها وذكر الشارح أنّه يجوز أن تكون ((مثوبة)) ابتداء، ولو للتمنى على سبيل المجاز وتضمّنت لو معنى التمنى لأنّه يفرض بها غير الواقع واقعاً كما يطلب بكلمة التمنى مالا يمكن حصوله [1] ، هذا مجمل ماذكره الشارح .

الاستفهام :-

ذكر الشارح أنّ الاستفهام هو طلب الحصول فى الذهن فإذا كان جوابه يحكم فيه بنفى أو اثبات فهو التصديق ، أمّا إذا كان جوابه لا يحكم فيه بذلك فهو التصور وكلمات الاستفهام بحسب التصور والتصديق تتنوع إلى ثلاثة أنواع ، نوع يستعمل لطلب التصور تارة ، وأخرى للتصديق وهو الهمزة ونوع لا يستعمل إلّا لطلب حصول التصديق وهو هل ونوع لا يستعمل إلّا لطلب التصوّر ، وهو بقية أدوات الاستفهام . [2]

الهمزة :-

ذكر الطيبى أنّ الهمزة إذا امتنع اجراؤها على أصلها تولّدت منها معانى تناسب المقام منها التقرير ، واستشهد له بقول المعرّى :-

أفوق البدر يوضع لى مهاد ... أم الجوزاء تحت يدى وساد [3]

أمّا الشارح فإنّه بيّن وجه الشاهد فى البيت والصور البيانيّة التى اشتمل عليها فذكر أنّ أم منقطعة والاستفهام بمعنى التقرير حيث قرّر الشاعر على سبيل الادعاء ، والافتخار أنّه قد وضع له سرير فوق البدر ، ثمّ أضرب عن ذلك ، وترقّى إلى أن جعل الجوزاء وسادة تحت يده على زعم المنجمين أن منزلة الجوزاء أرفع من منزلة القمر ، وإيراد الجملة فعلية فى قوله أفوق البدر يوضع واسميّة فى قوله أم الجوزاء تحت يدى وساد ليتناسب مع معنى الترقّي ، والانتقال فى الجملة الأولى والانتهاء ، والثبوت فى الجملة الثانية ، أمّا الصور البيانية التى اشتمل عليها البيت فقوله الجوزاء تحت يدى وساد تشبيه لذكر الطرفين ، ولو قال البدر مهادى كان تشبيهاً ، فلمّا قال أفوق البدر يوضع لى مهاد علم أنّه لم يرد بالبدر المهاد بل أراد نحو السرير، والبيت بكامله كناية ايمائية عن علو قدره ، ورفعة منزلته حيث جعل فراشه موضع فوق البدر، وسادته التى يتكئ عليها وتحت يده هى الجوزاء فهذا دل على علو قدره ورفعة مرتبته . [4]

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٠٤ ، ٧٠٥

(٢) انظر الحدائق ص ٧٠٦

(٣) انظر الحدائق ص ٧٠٧

(٤) انظر الحدائق ص ٧٠٧ ، ٧٠٩

هذا ملخص ماذكره الشارح في وجه الاستشهاد بالبيت ، وبيان الصور البيانيّة التي اشتمل عليها ويدلّ على دقة فهمه للنصوص الشعرية ، كما يشهد لتمكنه من ناصية فن البلاغة نظراته البلاغيـــة المتأملة في استخراج الصور البيانية التي اشتمل عليها البيـــت بل إن إيراد الطيبي لهـــذا الشاهد في حد ذاته يعد تجديداً ، فهذا البيت لم يذكره السكاكي ، أو الخطيب ضمـــن شواهدهم في الاستفهام فضلاً عما ذكره الشارح .

هـــل :-

ذكر الطيبي أنّ هل تختصّ بطلب التصديق فقبح هل رجـل عرف؟وهل زيداً عرفت لدلالـــة التقديم على حصول الفعل، ولم يقـــبحْ هل زيداً عرفته لاحتمال التأكيد .(١)

والطيبي في هذا يتبع ماذكره السكاكي والذي قال :- ((وقبح هل رجل عرف ، وهل زيداً عرفت دون هل زيداً عرفته .....لما سبق أنّ التقديم يستدعـي حصول التصديق بنفس الفعل فبينه وبين هل تدافع ، وإذا استحضرت ماسبق من التفاصيل في صـــور التقديم عساك أن تهتدي لما طويت ذكره أنا)) .(٢)

أمّا الشارح فذكر اعتراض الخطيب على السكاكي فيما ذكره حيثقال :- ((وجعل السكاكـــي قبح هل رجل عرف لذلك أي لما قبح له هل زيداً ضربت ، ويلزمه أن لا يقبح نحو هل زيـــد عرف ؟ ، لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على ماسبق .)) .(٣)

وقد بيّن السعد وجه اعتراض الخطيب فقال :- ((وجعل السكاكي قبح هل رجل عرف لذلـــك)) أي لأنّ التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل لما سبق من أن اعتبار التقديم والتأخيـــر في نحو رجل عرف واجب وأنّ أصله عرف رجل على أنّه بدل من الضمير كما في قوله تعالى ((وأســـروا النجوى الذين ظلموا))(٤) ، وإنّما لم يحكم بالامتناع لاحتمال أن يكون رجل فاعل فعل محذوف ، ويلزمه أي السكاكي أن لا يقبح هل زيد عرف لأنّ تقديم المظهر المعرف ليس للتخصيص حتّى يستدعـــي حصول التصديق بنفس الفعل على مامرّ مع أنّه قبيح باتفاق النحاة ، وماذكره صاحب المفصّل مـــن أنّ نحو هل زيد خرج على تقدير الفعل فتصحيح للوجه القبيح البعيد لا أنّه شائع حسن))(٥) .

---

(١) انظر الحدائق ص ٧١٢ ، ٧١٤

(٢) المفتاح ص ١٣٣

(٣) الحدائق ص ٧١٢ ، الايضاح ص ١٣٢

(٤) من الآية ٣ من سورة الأنبياء .

(٥) المطول ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

وقد أجاب السعد عن اعتراض الخطيب بقوله :- ((وههنا نظر وهو أنّا لا نسلّم لزوم ذلك لجواز أن يكون قبيحاً لعلة أخرى، فإنّ انتفاء علة مخصوصة لا يوجب انتفاء الحكم مطلقاً، فغاية مافي الباب أنه لا يلزم على ماذكره السكاكي قبح هل زيد عرف لا أنه يلزم عدم قبحه)) [1] ، فالسعد بعد أن بيّن وجه اعتراض الخطيب لم يوافقه عليه مطلقاً فإنّه لم يسلّم للخطيب حمله كلام السكاكي على أنّه لا يقبح هل زيد عرف إذ قد تكون علّة أخرى تقبح هذا غاية مافي الأمر أن يقال إنّه بمقتضى كلام السكاكي لا يلزم قبح هل زيد عرف لا أنّه يلزم عدم قبحه ، أمّا الشارح فقد أجاب عن اعتراض الخطيب بالتزام عدم القبح في قوله ((هل زيد عرف)) لتصريح السكاكي بجواز هل زيد منطلق، وذكر أنّ إيراد السكاكي قبح بعد امتناع في قوله ((ولاختصاصه بالتصديق امتنع أن يقال هل عندك عمرو أم بشر باتصال أم دون أم عندك بشر بانقطاعها ، وقبح هل رجل عرف، وهل زيداً عرفت)) فإنّ تقبيحه المثالين الأخيرين هل رجل عرف وهل زيداً عرفت بعد مثال الامتناع هل عندك عمرو أم بشر باتصال أم يدلّ على أنّ المثالين الأخيرين يجوزان على وجه مرجوح لأنّ تقديم المعمول على الفعل يدلّ على وقوع النسبة، وهل يسأل بها عن النسبة فوقع التدافع، ولما ذكر السكاكي أيضاً في باب تقديم المسند أن نحو زيد عارف، ونحو رجل عرف ليسا مثل هو عرف في احتمال التخصيص والتقوى على السواء بل إنّما قولك زيد عارف يحمل على التقوى، وقولك رجل عرف يحمل على التخصيص .

ولما ذكر أيضاً في باب تقديم المسند أنّ قولك زيداً عرفت يفيد أنّك خصصت زيداً بالعرفان ولما ذكر أيضاً في باب الاستفهام ذكر السكاكي أنّك إذا أسلكتها عن كمال تيقظ فلا يجوز بعد ماعرفت أنّ التقديم يستدعي العلم بحال الفعل وقوعاً، أو غير وقوع أن تقول أزيداً ضربت ضربت سائلاً عن حال وقوع الضرب لا سيّما وقد علّل السكاكي قبح هل رجل عرف وهل زيداً عرفت بقوله ((لما سبق أنّ التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل فبينه وبين هل تدافع فيجاب عن هذا بأحد وجهين أحدهما أنّ نحو هل رجل عرف إذا حمل على التقديم كان السؤال بهل ممتنعاً ، أمّا إذا لم يحمل على التقديم بل المرفوع فيه مبتدأ اعتمد على حرف الاستفهام من غير امتناع، أو يقال في قوله التقدير هل عرف رجل عرف فحذف الفعل وأقيم الفاعل مقامه، وفي قوله هل زيداً عرفت التقدير هل عرفت زيداً عرفت الوجه الثاني أن يحمل القبح في قول السكاكي وقبح هل رجل عرف وهل زيداً عرفت على الامتناع فيكون ذلك تغييراً للعبارة في امتنع وقبح لا تغييراً للمعنى ، وبناءً عليه المأخذ يكون أخف ولأنّ القبح عند أرباب البلاغة والفصاحة من قبيل الممتنع .[2]

---

(١) المطول ص ٢٢٩

(٢) انظر الحدائق ص ٧١٢ ، ٧١٤

هذا مجمل ما أجاب به الشارح عن اعتراض الخطيب على السكاكي ، فبينما الشارح في جوابه اعتمد على ماذكره السكاكي نفسه في باب تقديم المسند نجد السعد في جوابه السابق اتسم بروح منطقية حين قال ((لجواز أن يكون قبيحا لعلّة أخرى فإنّ انتفاء علّة مخصوصة لا يوجب انتفاء الحكم مطلقا .....)) .

كما بيّن الشارح وجه عدم قبح قولك هل زيداً عرفته في احتمال التأكيد ، وقبح هل زيداً عرفت فذكر أنّ قولك هل زيداً عرفته لم يقبح إذا قدّرت الكلام هل عرفت زيداً عرفته فيكون السؤال بهل عن النسبة فيستقيم ، أمّا إذا قدرت هل زيداً عرفت عرفته فلا يستقيم لأنّ تقديمك المعمول يدلّ على حصول الفعل أي النسبة وهل يسأل بها عن النسبة فلا يستقيم فبناء عليه قولك هل زيداً عرفته راجح في التأكيد ، واحتمال التقديم مرجوح ، أمّا قولك هل زيداً عرفت فراجح في التقديم واحتمال التأكيد مرجوح ، لهذا قبح الثاني دون الأول .[1]

هذا تحليل جيّد من الشارح في تفريقه بين المثالين يدلّ على دقة فهمه .

°

أدوات الاستفهام الأخرى :-

ذكر الطيبي أنّ بقيّة أدوات الاستفهام للتصور ، وذكر أن ماقد يؤتى بها للتعجّب كقوله تعالى ((مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق))[2] ، كأنهم تعجبوا من كون الرسول من جنس البشر .[3]

أمّا الشارح فبيّن وجه التعجب في الآية فذكر أنّ الأصل في الاستفهام هو طلب مافي الخارج لينتقش في الذهن مطابقاً له ، وفي الآية القوم لم يعتقدوا رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وسألوا عن حاله معتقدين أنّ دعواه الرسالة تتنافى مع الأكل ، والمشي في الأسواق ، وهذا ما ولّد التعجب .[4]

الأمر :-

ذكر الطيبي أنّ الأمر هو اللفظ الطالب للفعل بصيغته فإن كان الأمر أعلى رتبة من المأمور وطلب مايقصد حصوله أفاد الأمر حينئذ الوجوب[5] ، ذكر الشارح أنّه يشترط في الأمر صفة الاستعلاء من الآمر ، وطلب مايقصد حصوله فحينئذ يكون الأمر للوجوب أمّا إذا لم يكن كذلك أفاد مجرد

---

(١) انظر الحدائق ص ٧١٤

(٢) من الآية ٧ من سورة الفرقان .

(٣) انظر الحدائق ص ٧١٧ ، ٧١٨

(٤) انظر الحدائق ص ٧١٩

(٥) انظر الحدائق ص ٧١٩

الطلب ويتولّد منه فى هذه الحالة حسبما يقتضيه المقام كالندب والتحدّى ، والوعيد ، والتضرع ، والدعاء والالتماس ، وغير ذلك من الأغراض .[1]

كما ذكر الشارح أنّ المأمور إذا كان قادراً على المأمور به فالأمر فى حقه واجب ، أو ندب ، أو نحوهما ، أمّا إذا كان المأمور له نوع قدرة على المأمور به لكنّه لا يفى به سمّى تعجيزاً كقوله تعالى ((فأتوا بسورة من مثله))[2] ، وإذا كان المأمور ليس له قدرة على المأمور به أصلاً سمّى تسخيراً كقوله تعالى ((كونوا قردة خاسئين))[3] ، ومن هذا الباب خطاب الجمادات[4] ، هذا تفصيل حسن من الشارح .

النهـــى :-

ذكر الطيبى أنّ النهى محذوّ به حذو الأمر فى أن الأصل طلب ترك الفعل وفى متفرعاته .[5]

وقد بيّن الشارح وجه مشابهة النهى لحكم الأمر فذكر أنّ النهى يكون على سبيل الاستعلاء أى صادراً عمن هو أعلى رتبة من المنهى فحينئذ يفيد النهى الوجوب ، أمّا إذا لم يكن كذلك أفاد مجرد طلب الترك ، ويتولّد منه فى هذه الحالة معنى يناسب المقام كالدعاء عند استعمال النهى على سبيل التضرّع والالتماس على سبيل التلطّف ، والرفق ، والاباحة فى مقام الاذن لمن يستأذن إمّا حقيقة ، أو تقديراً ، والتهديد عند عدم الرضا بالترك كما تقول للعبد لا تمتثل أمرى .[6]

هذا بيان حسن من الشارح .

النـــداء :-

ذكر الطيبى أنّ يا لنداء البعيد ، أو من هو بمنزلته ، إمّا لأنّ الخطاب المتلوّ معنىّ به ، واستشهد له بقوله تعالى ((يأيّها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم))[7]

ذكر الشارح أنّه يشهد لكون عبادة الله معنىّ بها أنّها هى الحكمة فى انشاء الخلق قال تعالى ((وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون))[8] ، فالمنادى والمنادى فى الآية فى موضع الاستشهـــاد

---

(١) انظر الحدائق ص ٧١٩
(٢) من الآية ٢٣ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ٦٥ من سورة البقرة .
(٤) انظر الحدائق ص ٧٢٤
(٥) انظر الحدائق ص ٧٢٤
(٦) انظر الحدائق ص ٧٢٤ ، ٧٢٦
(٧) من الآية ٢١ من سورة البقرة .
(٨) من الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

قريبان لكن المنادى لهوهو عبادة الله لمّا كان بعيداً عن ادراك الناس لجلالته جعله بعيداً ليتفطن له ويجتهد فى طلبه .[1]

مجئ الطلب بمعنى الخبر :-

من الشواهد التى ذكرها الطيبى قوله تعالى ((قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد))[2] ، فلم يقل واقامة وجوهكم بل قال ((وأقيموا)) وذلك لتأكيد مكانة العناية بالصلاة[3] ، أمّا الشارح فذكر أنّه قد تقرر عند علماء المعانى أنّ كل خروج على خلاف مقتضى الظاهر يكون لنكته ففى قوله تعالى :- إنّى أُشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون))[4] فعدل فى شهادتهم من الخبر إلى الانشاء تهاوناً بهم وأنّ شهادتهم لا تساوى شيئاً أمام شهادة الله ، أمّا فى قوله تعالى :- ((وأقيموا وجوهكم)) عدل من الاخبار إلى الانشاء اظهاراً لكمال العناية بالصلاة كأنّه صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس ويقول أمر الله تعالى إلى بالقسط ، وباقامة وجهى عند كلّ مسجد فامتثلت أمره فيهما فها أنا آمركم بهما مخصصاً الصلاة بصيغة الأمر لأن الصلاة أساس القسط وعماده وفى الحديث الصلاة عماد الدين .[5]

هذا بيان حسن من الشارح فى الموازنة بين الآيتين ..

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٣٤

(٢) من الآية ٢٩ من سورة الأعراف .

(٣) انظر الحدائق ص ٧٤٤

(٤) من الآية ٥٤ من سورة هود

(٥) انظر الحدائق ص ٧٤٤ ، ٧٤٥

الباب الرابع : علم البيان

معناه :-

عرّف الطيبي علم البيان بأنّه ((معرفة إيراد المعنى الواحد في الطرق المختلفة الدلالة بالخفاء على مفهومها تفاديًا عن الخطأ في التطبيق لتمام المراد)) [1] والمقصود من تمام المراد كنه مايقصده البليغ من المبالغة، وبالمعنى الواحد مايقتضيه علم المعاني وبالطرق التراكيب ، وذكر أنّه قيّد الدلالة بقوله على مفهومها احترازاً من الألفاظ المترادفة ، والمراد بالخفاء ليس باعتبار مفهوم التراكيب وإنما خفاؤها ناتج من قلة دورانها على الألسنة وأوثر لفظ الخفاء على الوضوح في التعريف لأنّه إذا كان الغرض من إيراد الكلام المبالغة فإنّ ذلك لا يحصل إلّا من خفاء الدلالة فكلّما ازدادت خفاءً ازدادت مبالغة ومثّل لإيراد المعنى الواحد بالطرق المختلفة في الدلالة لغرض المبالغة في الخفاء وكيف يترقّى في المبالغة فإنّك إذا أردت التعبير عن جود محمد في التشبيه فتقول زيد كالبحر في السخاوة بذكر الأركان الأربعة ، وزيد كالبحر بذكر ثلاثة ، وزيد بحر بذكر الطرفين وإذا أردت المعنى السابق في الاستعارة تقول رأيت بحراً في الدار ثمّ لجّة زيد كثرت ثمّ لجة زيد متلاطم أمواجها ، وإذا أردت المعنى السابق في الكناية تقول زيد مضياف ، وزيد كثير أضيافه ، وزيد كثير رماده ، ثمّ إنّ الرماد كثر في ساحة زيد ، ثم إنّ الجود في قبّة ضربت على زيد ، ثم إنّه مصوّر عن الجود بمعنى إنّه صورة من الجود فبناءً عليه مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في اثبات المعنى للشيء إمّا على طريق الالحاق ، وهو التشبيه ، أو على طريق اطلاق الملزوم على اللازم ، وهو المجاز أو اطلاق اللازم على الملزوم، وهو الكناية فهذه هي الأصول التي يقوم عليها علم البيان ، وجاء ترتيب المباحث اللاحقة بناءً عليه [2].

هذا مجمل ماذكره الطيبي حول تعريف البيان وشرحه ووجه قيامه على الأصول الثلاثة التشبيه والمجاز والكناية ، أمّا الشارح فبيّن عبارة أستاذه ((كنه مايقصده البليغ)) فذكر أنّه إذا كان على البليغ أن يستوفي خصائص التراكيب ليتمّ مراده ، وهو الذي يبحث عنه في علم المعاني فإنّ عليه إذا اقتضى المقام المبالغة أن يورد التشبيه والكناية حسبما يقتضيه المقام من المبالغة فهو كما أنّه يلزمه أن يورد من المؤكدات مثلا حسبما يقتضيه المقام قوّة وضعفا ، أو لا يورده أصلاً إذا لم يكن المخاطب بحاجة إلى توكيد كذلك عليه اذا اقتضى المقام المبالغة أن يورد من أنواع التشبيه

---

(١) الحدائق ص ٧٤٩

(٢) انظر الحدائق ص ٧٤٩ ، ٧٥١ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨

والمجاز والكناية حسبما يقتضيه المقام فصاحب المعاني أيضاً يورد معنى واحداً في طرق مختلفة في الافادة حسبما يقتضيه المقام مثل صاحب البيان لكن الفرق أنّ صاحب المعاني يورده بحسب التأكيد ونحوه من التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، والحذف، والذكر إلى غير ذلك ، أمّا صاحب البيان فيورده بحسب المبالغة ونحوها فمن هنا يتّضح مدى ارتباط البيان بالمعاني فهو كما قال السكاكي بمنزلة المفرد من المركب [1] فبناءً عليه كان من حقّ علم البيان أن يكون حالة كسائر حالات علم المعاني لكن لمّا كان له أبواب وأقسام مختلفة استقل عن علم المعاني وأفرد عنه كما استقل الصرف والاشتقاق مثلا عن علم النحو . [2]

ولعلّ الشارح قد أحسن بهذا الربط بين علمي المعاني والبيان فإنّ الخطيب لم يشر إلى مثل هذا الارتباط لا عند تعريفه لعلم المعاني ، ولا عند تعريفه لعلم البيان ، أمّا السعد فذكر أنّه بمقتضى تعريف الخطيب لعلم المعاني وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال يخرج علم البيان لأنّ كون اللفظ حقيقة أو مجازاً ، أو كناية وان كانت أحوالاً قد يقتضيها الحال لكن لا يبحث عنها في علم البيان على أنّها يطابق اللفظ بها مقتضى الحال إذ ليس الحال الفلاني يقتضي التشبيه والحال الفلاني يقتضي الاستعارة، والحال الفلاني يقتضي الكناية، ثمّ ذكر عند تعريفه لعلم البيان أنّه لمّا كان فيه زيادة اعتبارات على علم المعاني نزل منه منزلة الفرد من المركب، وهذا ما نبّه عليه السكاكي . [3]

ولا يرد على ما ذكره الشارح ما قاله السعد لأنّ الشارح لم يقصد أنّ المقام إذا اقتضى التشبيه يؤتى بالتشبيه إلى آخره حتى يمكن أن يرد عليه ما قاله السعد إذ الشارح يرى أنّ المقام إذا اقتضى المبالغة بعد استيفاء البليغ لخاصّيّة التركيب يلزمه أن يورد حسبما يقتضيه مقام المبالغة من التشبيه، أو المجاز، أو الكناية .

كما أيّد الشارح اختيار أستاذه للفظة الخفاء في التعريف دون لفظة الوضوح، وفي تعريف السكاكي لعلم البيان ورد ذكر الوضوح حيث قال :- ((هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان)) . [4]

وفي تعريف الخطيب أيضاً حيث قال :-((هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . [5]

---

(١) انظر المفتاح ص ٧٠

(٢) انظر الحدائق ص ٧٤٩ - ٧٥١

(٣) انظر المطول ص ٣٤ ، ٣٥

(٤) المفتاح ص ٧٠

(٥) الإيضاح ص ٢١٢

فما أورده الطيبي من لفظ الخفاء في التعريف أنسب من ذكر الوضوح فإنّ التعبير عن معنى من المعاني بحسب المقام بالدلالة الوضعيّة والمطابقيّة يكون واضحاً جليّاً فإذا أريد التعبير عن ذلك المعنى بالدلالة الالتزامية لم يكن واضحاً في تأدية المراد كما كان في المطابقيّة لذا فإنّه لا وجه لإيراد الوضوح في التعريف بل الأنسب التعبير بالخفي والأخفى فإنّ الدلالات الالتزامية كما ذكر خفيّة مفتقرة إلى مزيد من البيان وكلام السكاكي أقرب لذكره الخفاء لأنّ تلك المراتب بعضها واضح بالنسبة إلى بعض [1].

أمّا السعد فيرى أنّه لا حاجة لأن يقال في تعريف علم البيان في وضوح الدلالة أو خفائها لأنّ الوضوح، والخفاء من الأمور النسبية إذ كل واضح هو خفي بالنسبة لما هو أوضح منه، ومعنى اختلافهما في الوضوح أنّ بعضها واضح الدلالة، وبعضها أوضح فلا حاجة إلى ذكر الخفاء [2]، ولعلّ كلاً مما قاله الشارح، والسعد حول ذكر الوضوح والخفاء في تعريف علم البيان له وجهاته :-

الدلالات وعلاقتها بعلم البيان :-

لعلّ مما يحسن ذكره في هذا المقام أنّ الشارح أشار إلى الدلالات في كلامه السابق لكنّه لم يبيّن وجه ارتباطها بعلم البيان، ولعلّ السكاكي قد بيّن ذلك أحسن بيان، وذلك حين قال في مقدمة علم البيان :- ((إنّ محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن فإنّك إذا أردت تشبيه الخدّ بالورد في الحمرة مثلاً، وقلت خد يشبه الورد امتنع أن يكون كلام مؤدٍ لهذا المعنى بالدلالات الوضعيّة أكمل منه في الوضوح، أو أنقص فإنّك إذا أقمت مقام كلّ كلمة منها مايراد منها فالسامع إن كان عالماً بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح وإلّا لم يفهم شيئاً أصلاً وإنّما يمكن ذلك في الدلالات العقليّة مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر، ولثان ولثالث فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق، وخفائه صحّ في طريق افادته إلى الوضوح والخفاء وإذا عرفت هذا عرفت أنّ صاحب علم البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلم فنقول لا شبهة في أنّ اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدلّ عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع، وتسمّى هذه دلالة المطابقة، ودلالة وضعيّة، ومتى كان لمفهومها ذلك ولنسمّه أصليّاً تعلق بمفهوم آخر أمكن أن تدلّ عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلاً في مفهومها الأصلي كالسقف مثلاً في مفهوم البيت ويسمّى هذا

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٥١

(٢) انظر المطول ص ٣٠١

دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضاً أو خارجاً عنه كالحائط عن مفهوم السقف وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقليّة أيضاً .....

..... وإذا عرفت أنّ إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتّى إلّا فى الدلالات العقليّة وهى الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أنّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعانى .....)) (١) .

هذا وقد تأثّر الخطيب بما قاله السكاكى تأثراً كبيراً يظهر ذلك فى قوله أى الخطيب :- ((ودلالة اللفظ إمّا على ماوضع له، أو على غيره، والثانى إمّا داخل فى الأول دخول السقف فى مفهوم البيت أو الحيوان فى مفهوم الانسان، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف، أو الضاحك عن مفهوم الانسان، وتسمّى الأولى دلالة وضعيّة وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقليّة وتختصّ الأولى بدلالة المطابقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام .....

..... ثمّ إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتّى بالدلالة الوضعيّة لأنّ السامع إن كان عالماً بوضع الألفاظ لمعانيها ، لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلّا لم يكن كلّ واحد منها دالّاً وإنّما يتأتى بالدلالات العقليّة لجواز أن يكون للشئ لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض .....)) (٢) يظهر من خلال هذا مدى تأثر الخطيب بالسكاكى .

وجه المبالغة فى علم البيان :-

ذكر الطيبى أنّ مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة فى اثبات المعنى للشئ ، إمّا على طريقة الالحاق وهو التشبيه، وقد بيّن الشارح وجه الالحاق فى التشبيه بأنّ التشبيه إيصال للمشبه بالمشبه به فى الحكم أى اثبات قوة المعنى المقصود بواسطة أمر جامع وهو وجه الشبه (٣) ، فالطيبى والشارح يجعلان التشبيه باباً قائماً برأسه لم يؤت به مقدمة للاستعارة على اعتبار أن الاستعارة مبنية على التشبيه فلزم إيراد التشبيه على هذا الأساس كما ذهب إليه السكاكى الذى قال :- ((.....

..... ظهر لك أنّ مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم وجهة الانتقال من لازم إلى ملزوم .....

وإذا ظهر لك أنّ مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت انصباب علم البيان إلى التعرض للمجاز

---

(١) المفتاح ص ١٤٠ - ١٤١

(٢) الايضاح ص ٢١٢ ، ٢١٣

(٣) انظر الحدائق ص ٧٥٨

، والكناية فإنّ المجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم .....

وأنّ الكناية ينتقل فيها من لازم إلى الملزوم .....

فلاعلينا أن نتخذها أصلين .....

ثمّ إن المجاز أعنى الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه كما ستقف عليه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم ، بل لا بدّ فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم فى لازم له تستدعى تقديم التعرض للتشبيه ، فلابدّ من أن تأخذه أصلاً ثالثاً وتقدمه .....)) [1] ، وقد تبع السكاكى فى اعتبار التشبيه مقدمة للاستعارة الخطيب حيث قال :- ((ثمّ اللفظ المراد به لازم ماوضع له إن قامت قرينة على عدم ارادة ماوضع له فهو مجاز وإلّا فهو كناية، ثمّ المجاز منه الاستعارة وهى ماتبتني على التشبيه فيتعيّن التعرض لغا نحصر المقصود فى التشبيه، والمجاز، والكناية ، وقدّم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجاز على التشبيه .....)) [2]

أمّا السعد فبعد أن شرح كلام السكاكى السابق قال :-

((وأنت خبير بما فيه من الاضطراب والأقرب أن يقال علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث [يقصد مسألة اللازم والملزوم] التى أوردها فى صدر هذا الفن)) . [3]

فالسعد لم يبيّن العلة والسبب فى ايراد التشبيه فى علم البيان بعد أن أنكر ماقاله السكاكى لكنّ الطيبى قد وفق غاية التوفيق عندما ذكر أنّ المبالغة فى التشبيه جاءت على طريقة الالحاق وسار معه تلميذه الشارح ، وبيّن وجه الالحاق فى التشبيه حين قال :-

((يعنى بالالحاق التشبيه لأنّ معنى التشبيه الايصال للمشبّه بالمشبّه به فى الحكم أعنى اثبات قوة المعنى المقصود بواسطة أمر جامع كما نقول فى القياس النبيذ كالخمر فى الحرمة لجامع وجود السكر فيهما ، وكذلك نقول إذا ادعيت أن زيداً مقدام شديد البطش، وأردت اثبات هذه الدعوى إنّ زيداً كالأسد فى الجرأة أى إذا صح ردّه إلى ذلك صح ما ادعينا ، وهذا أيضاً يعضّد ماذكرنا من أنّ التشبيه كالمجاز والكناية فى المبالغة ودعوى الشيء بالبيّنة وتصوير المعنى فى صورة المحسوس ويراد بالاطلاق الارسال على طريقة التوسعة من قولهم أطلقت البعير من عقاله فهو طالق وطُلُقٌ بلا قيد ، فالكلمة إذا استعملت فى اللازم أو الملزوم كأنّها أطلقت عن عقال الحقيقة ، وتقييدها بها ، وهذا التقسيم أحسن مما فى المفتاح لأنّ التشبيه على هذا أصل مستبدّ برأسه

---

(١) المفتاح ص ١٤١

(٢) الايضاح ص ٢١٣

(٣) المطول ص ٣٠٩ ، ٣١٠

كالمجاز والكناية، وأنّه مشترك الدلالة مع المجاز والكناية فى المعنى الذى يعتبر فى هذا العلم من المبالغة بخلافه فى تقسيمه فإن ذكر التشبيه توطئة وتمهيداً لذكر المجاز لا كله بل بعضه وهو الاستعارة)) (١)

والجدير بالملاحظة أنّ الطيبى والشارح لم يبيّنا وجه المبالغة فى التشبيه ، والاستعارة ، والكناية لكن الامام عبد القاهر من قبلهما بقرون قد بيّن ذلك أحسن بيان حين قال :- ((اعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست المزية التى أثبتها لهذه الأجناس [يقصد الكناية والاستعارة والتمثيل] على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التى تدّعى لها فى أنفس المعانى التى يقصد المتكلم إليها بخبره ولكنّها فى طريق اثباته لها ، وتقريره إيّاها ..... فليست المزية فى قولهم جمّ الرماد أنّه دلّ على قرى أكثر بل أنّك أثبت له القرى الكثير على وجه هو أبلغ وأوجبته ايجاباً هو أشد .....وكذلك ليست المزية التى تراها لقولك رأيت أسداً على قولك رأيت رجلاً لا يتميّز عن الأسد فى شجاعته وجرأته أنّك قد أفدت بالأول زيادة فى مساواته الأسد بل أن أفدت تأكيداً ، وتشديداً وقوة فى اثباتك له هذه المساواة ، وفى تقريرك لها فليس تأثير الاستعارة اذن فى ذات المعنى وحقيقته بل فى ايجابه، والحكم به وهكذا قياس التمثيل ترى المزية أبداً فى ذلك تقع فى طريق اثبات المعنى دون المعنى نفسه ...)) (٢).

فلعلّ الامام بهذا البيان قد وفّى على الغاية فى توضيح وجه المبالغة فى الصور البيانيّة أو ما أطلق عليه فيما بعد علم البيان ذكرت فيما سبق أن الأصول التي يقوم عليها علم البيان كما ذكره الطيبي ثلاثه وهى :- التشبيه والمجاز والكناية

---

(١) الحدائق ص ٧٥٨

(٢) دلائل الاعجاز ص ٧١

الفصل الأول : التشبيـــــه :-

عرّف الطيبي التشبيه بقوله :- ((وصف الشيء بمشاركته الآخر في معنى)) [1] وذكر أنّ هـــــذا التعريف يستدعي الطرفين ليحصل التشبيه، والوجه ليجمع ، والغرض ليصحّ ، والأحوال ليحسن ، والأداة لتوصل [2] ، أمّا الشارح فذكر أنّ وصف المشاركة مستفادة من الأداة لهذا لا يدخل في التشبيه قولك زيد مشارك لعمرو في المال ووجه استدعاء التشبيه الأمور الخمسة التي ذكرها الطيبـــي أن الطرفين مفتقران إلى مايجمعهما ليصحّ التقايس لاستحالة أن يقوم التشبيه بدون الوجه أو الجامـــع ثمّ يجب النظر في الغرض حتّى لا يكون الانتقال من المعنى إلى لازمه عبثاً ، ثم يجب النظر فـــي حسنه وقبحه لئلا تختلّ جهة تحسينه . [3]

والذي يظهر أنّ الطيبي استخرج تعريفه للتشبيه مما ذكره السكاكي حيث قال :-((..... لأنّ تشبيه الشيء لا يكون إلّا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر .....)) . [4]

والخطيب في تعريفه للتشبيه لا يختلف في معناه عمّا ذكره السكاكي والطيبي فقد قال :- ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى)) [5] .

ولعلّ الطيبي فيما أورده من الأصول الخمسة التي يقوم عليها التشبيه وهي الطرفان ، والوجـه ، والغرض ، والأحوال ، والأداة ، يتلاقى كثيراً مع السكاكي ، وإن لم يعتبر الأداة من مقتضيات معرفـة التشبيه فقد قال :- ((إنّما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه، وهو طرفا التشبيه ، ووجه التشبيـه ، والغرض في التشبيه ، وأحوال التشبيه ككونه قريباً ، أو غريباً مقبولاً ، أو مردوداً ، فظهر من هذا أن لابدّ من النظر في هذه المطالب الأربعة .....)) [6] ، وقد ذكر في أواخر كلامه عن التشبيه أنه ليس من الواجب ذكر أداة التشبيه لكن الذي يفهم من كلامه أنّه ينبغي تقديره [7] ، أمّا الخطيـب فإنّه أقام التشبيه على أربعة مباحث بحسب الأركان عنده وهي الطرفان، والوجه ، والأداة ، والغرض [8] لكنّه لم يهمل الحديث [9] عن أحوال التشبيه من جهة كونه قريباً مبتذلاً أو بعيداً غريباً وإن لم يعتبرهـا أحد أركان التشبيه .

فمن خلال هذا يظهر لنا أنّه ليس بين السكاكي والخطيب والطيبي في تقسيمهم لمباحث التشبيـــه كبير خلاف .

---

(١) الحدائق ص ٧٦٢
(٢) (٣) انظر الحدائق ص ٧٦٢
(٤) المفتاح ص ١٤٢
(٥) الايضاح ص ٢١٣
(٦) المفتاح ص ١٤٢
(٧) انظر المفتاح ص ١٥١
(٨) انظر الايضاح ص ٢١٩
(٩) انظر الايضاح ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

طرفـــاه :-

طرفا التشبيه هما المشبه والمشبه به، وقد استشهد الطيبى لكونهما عقليين بقول العفيف البصرى :

أخو العلم حى خالد بعد موتـــه وأوصاله تحت التراب رميـــــم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظنّ من الأحياء وهو عديـــــم (١)

أمّا الشارح فذكر أنّ العادة جرت تشبية العلم بالحياة والجهل بالممات ، فكما أنّ الأجســـام الميتة لا تستنير إلّا بسريان الحياة كذلك الأشباح العاطلة عن العلم لا يعتدّ ، ولا يحتســـب لها إلّا إذا تحلّت بشىء من العلم ، ووجه الشبه هو الكمال بعد النقصان والتحلى بعد التعطـــل والشاعر قد فاق هذا المعنى حين اعتبر أنّ صاحب العلم يبقى حيّاً يسير بين الناس بعد أن بليـــت عظامه، وذلك بسبب آثاره العلمية، ولم يعتد لحياة الجاهل وإن كان فى أحسن حاله بين النـــاس والعلم المعتبر والمعتدّ به هو العلوم الدينيّة أقول وكلّما قصد به وجه الله من العلوم الكونية ، فـــإنّ الله اعتبر الكافر من الأموات حين قال :-((وما يستوى الأحياء ولا الأموات إنّ الله يسمع من يشـــاء وما أنت بمسمع من فى القبور)) (٢) ، والأوصال فى البيت بمعنى المفاصل ، والعديم بمعنى الميـــت (٣) ، ولعل الشارح بهذا التعليق على البيتين قد أحسن، وأجاد حين بيّن التشبيه الذى اشتمـــل عليه البيتان، وما تميّزا به فى المعنى وقد قال السكاكى فى تمثيله لما طرفاه عقليّان :- وإمّا أن يكونـــا مستندين إلى العقل كالعلم إذا شبّه بالحياة)) (٤) ، وقد تبع السكاكى فى ايراد هذا المثـــال الخطيب (٥) والسعد (٦) فيهما لم يوردا شاهداً شعريا ، أمّا البهاء السبكى (٧) فأورد البيتين لكنّـــه لم يعلّق بشىء يذكر واكتفى بنسبة البيتين للعفيف البصرى ، وهنا يبرز جهد الطيبى فى تجديده للشواهد، وجهد الشارح فى شرحه وتوضيحه لها .

كما استشهد الطيبى لما كان فيه المشبّه حسّياً والمشبّه به خياليّاً بقول الصنوبرى :-

وكأنّ محمرّ الشقيـــــــق إذا تصوّب أو تصعّـــــد

أعلام ياقوت نشـــــر ن على رماح من زبرجـــــد (٨)

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٧٧

(٢) الآية ٢٢ من سورة فاطر .

(٣) انظر الحدائق ص ٧٧٧ ، ٧٧٨

(٤) المفتاح ص ١٤٢

(٥) انظر الايضاح ص ٢١٩

(٦) انظر المطول ص ٣١٢

(٧) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣/ ٣٠٩

(٨) انظر الحدائق ص ٧٧٨

دون أن يعلّق عليهما بشيء ، وهو في هذا يسير مع الخطيب [1] والذي اعتبر الخيالي داخلاً في الحس .

أمّا الشارح فوضّح التشبيه الذي اشتمل عليه الشاهد ببيان المشبه والمشبّه به ، ووجه الشبه ووجه تسميته بالخيالي ، فذكر أنّ المشبه هو الشقيق المحمر وقت نزوله ، وصعوده عند هبوب النسيم ، والمشبه به هو أعلام الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد ووجه الشبه احمرار على اخضرار مع حركة مخصوصة ، وسبب تسمية المشبّه خياليا أنّ مفرداته موجودة مدركة بالحسّ لكن الهيئة المجموعة غير موجودة إلاّ في الخيال .

أمّا السعد فشرح المفردات الغريبة للشاهد فذكر أنّ الشقائق الحمراء هي الورود الحمر التي فيها سواد ، وتنسب إلى النعمان فيقال شقائق النعمان لأنه كما قيل النعمان أول من حمى أرضا به هذا النوع من الـ فنسبت إليه ، تصوّب مال إلى أسفل ، تصعّد مال إلى أعلى أعلام رايات وذكر أن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية فالحس لا يدرك هذه الصورة المركبة ، أو الهيئة المركبة ، أمّا مفردات هذه الهيئة وهي الأعلام ، والياقوت ، والرماح ، والزبرجد فإنّها مدركة بحاسّة البصر . [2]

ولعلّ ماذكره السعد يتكامل مع ماقاله الشارح حول البيتين ، فبينما الشارح وضّح المشبه والمشبّه به ووجه الشبه في الشاهد ، ووجه تسميته هذا النوع من التشبيه بالخيالي نجد السعد شرح المفردات الغريبة للشاهد .

كما استشهد الطيبي لما كان فيه الشبه وهميّاً ، والمشبه به حسّياً بقول البحتري :-

ينصبّ فيها وفود الماء معجلة ... كالخيل خارجة من حبل مجراها [3]

أمّا الشارح فإنّه بيّن بأحسن بيان الصور البيانية التي اشتمل عليها البيت ، وموضع الشاهد منها ، فذكر أنّ الوفود جمع وفد ، وهذه جمع وافد ، وهو الذي يرد رسولاً على الأمير ، شبه الشاعر بركة الماء بذي السلطان الذي يقصده الناس لحاجاتهم ، ثمّ توهّم للماء ما يلازم ذا السلطان من الوفود المحققة ثمّ شبّه المتوهم من الوفود بالمحقق منها وأريد المتوهم على سبيل التخييل فالماء استعارة مكنّية ، وقرينتها اضافة الوفود إليها على سبيل الاستعارة التخييليّة ومعجلة ترشيح للاستعارة وتنصبّ تجريد لها ومجموع هذه الصورة الخياليّة شبّهت بالخيل المطلقة من الحبل بجامع الكثرة والقوّة على سبيل تشبيه التمثيل [4]

---

(١) انظر الايضاح ص ٢١٩

(٢) انظر المطول ص ٣١٣

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٧٧٨

هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت البحترى فبينما الطيبى أورد بيت البحترى للتشبيه الذى المشبّه فيه وهمى والمشبّه به حسى نجد السكاكى يورد مثالاً عادياً ومصنوعاً لتحقيق القاعدة ، وذلك حين يقول :- ((وأمّا الوهميّات المحضة كما إذا قدّرنا صورة وهمية محضة مع المنية مثلاً ثم شبّهناها بالمخلب أو بالناب المحقق فقلنا افترست المنية فلاناً بشىء هو لها شبيه بالمخلب أو بشىء هو لها شبيه بالناب)) (١)

أمّا الخطيب والسعد فلم يمثلا للتشبيه الذى المشبه فيه وهمى والمشبه به حسى عند الحديث عن التفريعات المتعلّقة بالطرفين فما أورده الطيبى من بيت البحترى يعدّ تجديداً فى الأمثلة كما تجلّى جهد الشارح فى توضيحه للبيت وبيان موضع الشاهد فيه كما استشهد الطيبى لما كان المشبه فيه عقلياً ، والمشبّه به حسياً بقول أبى العلاء :-

وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان (٢)

أمّا الشارح فبيّن وجه الاستشهاد بالبيت ، وأسلوب التقديم الذى تضمّنه ، ووازن بينه وبين بيت لبيد من جهة المعنى وهو :-

وما المرء إلّا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

فذكر أنّ الشاعر شبّه الحياة بحالتى النار فى أولها تكون دخاناً ، وفى آخرها تكون رماداً ، ولم يشر إلى المرحلة الوسطى ، وهى كونها ناراً ساطعة كما فعل لبيد فى البيت السابق فلعلّ أبا العلاء أراد أن يشير إلى أنّه ماظفر من حياته بحالة تستحقّ الذكر من رفاهية ، ورغد عيش وهى مرحلة السطوع فى النار ، وتقديم الخبر وهو كالنار على المبتدأ وهو الحياة أفاد التخصيص ، والفاء فى قوله فمن للتفصيل ووجه تقديم الرماد وهو الخبر فى قوله ((فمن رماد)) وعدم تقديم الدخان فى قوله ((أولها دخان)) أن النار فى أولها قد لا يكثر فيها الدخان ولكنّها فى آخرها لا تنفكّ عن الرماد كذلك أولُ الشباب قد تخلو مما يكدّر لكن آخرها لازم للكدر ، ولبيد فى بيته السابق ترك المرحلة الأولى ، وهى مرحلة الدخان واكتفى بذكر مرحلتى السطوع والرماد وهما المرحلتان الوسطى والأخيرة . (٣)

هذا مجمل ماذكره الشارح فلعلّه أجاد فيه ، وأحسن فهو بالاضافة إلى بيانه للتشبيه الذى تضمنه البيت ، وهو موضع الشاهد ذكر بعض الأساليب البلاغية التى اشتمل عليها البيت كما أنّ موازنته بين البيتين من جهة المعنى مما أبرز دقة فهمه للنصوص الشعريّة كلّ هذا جلّى جهد الشارح ، وأبرزه فى أحسن صورة .

---

(١) المفتاح ص ١٤٢

(٢) انظر الحدائق ص ٧٨١

(٣) انظر الحدائق ص ٧٨١

هذا وقد تبيّن لى أنّ السكاكى أورد أمثلة عاديّة تغلب عليها الصنعة أوردها شواهد على ماكان المشبّه فيه عقليّاً والمشبّه به حسّيًا وذلك حين قال :- ((وإمّا أن يكون المشبه معقولاً والمشبّه به محسوساً كالعدل إذا شبّه بالقسطاط وكالمنية إذا شبهت بالسبع، وكحال من الأحوال إذا شبهت بناطق)) [1] ، وقد سار مع السكاكى فى ايراد هذه الأمثلة الخطيب [2] والسعد [3] والبهاء السبكى [4] وابن يعقوب [5] المغربى فمن خلال هذا يظهر لنا أنّ ايراد الطيبى لبيت المعرى يعدّ تجديداً فى الشواهد والأمثلة ، فإنّ الشواهد لها أهمية قصوى فى الدراسة البلاغية ولعلّ القاعدة البلاغية لم تستخرج إلّا من خلال دراسة أرقى النصوص الشعريّة والنثريّة فالنّص هو لبّ الدراسة البلاغية، ومن خلاله تفهم القاعدة البلاغية ، فمتى ارتفع المصنف البلاغى بذوقه وذلك باختياره لأرقى النصوص ، والتى تعدّ من عيون الأدب يكون بالتالى قد ارتقى بذوق الدارس والقارئ لكتابه ، ولنا فى امام البلاغيين الامام عبدالقاهر الجرجاني المثل الأعلى فى ذلك بكتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ، فالامام فى هذين الكتابين يسير بالمسألة أو القاعدة البلاغية فى الغالب مع الشاهد منه يبدأ وإليه ينتهى مع الاحتكام إلى الذوق البلاغى السليم وشواهده فى الكتابين غالبها تعدّ من أرقى النصوص، والطيبى فى كتابه سار مع منهج الامام فى الغالب وأبرز دليل على ذلك ايراده لبيت المعرى ، أمّا شرح الشاهد، وبيان موضع الاستشهاد به لايسهل ويتيسّر لكلّ أحد ، وفى هذا تجلّى جهد الشارح وبرز ، كما استشهد الطيبى للمشبه الحسى، والمشبه به العقلى بقول أبى العلاء :-

ومستحن لقاءك وهو موت ... وهل ينبى عن الموت امتحان [6]

أمّا الشارح فذكر أنّ اللقاء يحتمل أن يكون معناه الحرب ، أو الملاقاة مثل قوله تعالى ((فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب)) [7] ، والثانى أبلغ ، وعليه الاستشهاد ، وموضع الشاهد فى البيت كما بيّنه الشارح أنّ الشاعر شبّه لقاءه ، وما يمارسه فى الحرب وهو حسى بالموت ، وهو عقلى بجامع العطب فى كل كما ذكر الشارح اعراب بعض التراكيب فى البيت فذكر أنّ قوله ((وهو موت)) يجوز أن يكون تذييلاً والواو استئناف على طريقة قوله تعالى :- ((ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلّا الكفور)) [8] ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة عطفت جملة القول وهو محذوف على جواب

---

(١) المفتاح ص ١٤٢
(٢) انظر الايضاح ص ٢١٩
(٣) انظر المطول ص ٣١٢
(٤) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣١١/٣
(٥) انظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : ٣١١/٣
(٦) انظر الحدائق ص ٧٨١
(٧) من الآية ٤ من سورة محمد
(٨) الآية ١٧ من سورة سبأ .

ربّ أى ربّ ممتحن لقاءك ، وهذا من نوادر الاعراب كما ذكر الشارح أنّ قوله ((وهل ينبى عن الموت امتحان)) انكار للامتحان فإنّ الممتحن يسأل نفسه هل يسلم من مزاولته ، ومعالجته فى أمر ما أم لا ، وهذا لا يتصوّر فى الموت[1] ، هذا مجمل ماذكره الشارح ، ويظهر لى أنّه يمكن حمل الاستفهام فى قوله ((وهل ينبى .....)) على التقرير ، والمعنى بمقتضاه على لسان الشاعر هذا الشخص يستهين بقوتك وبأسك لكنه لم يعلم أنّ لقاءك مثل الموت ، ومعروف أنّه لا ينبى عن الموت امتحان فخصمك بعد أن تجرأ عليك ، واستهان ببأسك قصداً لامتحانك فمادام خصمك نزل إلى هذا المستوى وجب أن يقرّر له البدهيات ، وهو أنّه لا ينبى عن الموت امتحان ، هذا وقد مثّل السكاكى[2] للمشبه الحسى والمشبه به العقلى العطر إذا شبّه بخلق الكريم ، وقد اعتمد الخطيب[3] والسعد[4] والبهاء السبكى[5] وابن يعقوب المغربى[6] ماذكره السكاكى فى تمثيلهم للمشبّه الحسى ، والمشبه به العقلى وهذا يبرز جهد الطيبى فى تجديده للشواهد والأمثلة كما تجلّى جهد الشارح فيما ذكره من موضع الاستشهاد فى البيت وإيراده لبعض الوجوه الاعرابية فى البيت .

وجه الشبه :-

ذكر الطيبى أنّ وجه الشبه هو الأمر الذى يشترك فيه الطرفان وهو إمّا أن يكون واحداً حقيقة ، أو يكون واحداً حكماً أو يكون متعدداً .[7]

أ - كونه واحداً حقيقة :-

ذكر الطيبى أنّ من الوجه الواحد حقيقة مايكون حسّياً والطرفان حسّيان ، ويؤتى بها على النسق ، واستشهد له بقول أبى الطيب :-

بدت قمراً ومالت خوط بان ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

ويسمى بالمفرّق .[8]

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٨١

(٢) انظر المفتاح ص ١٤٢

(٣) انظر الايضاح ص ٢١٩

(٤) انظر المطول ص ٣١٢

(٥) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣/٣١١ ، ٣١٢

(٦) انظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : ٣/٣١١ ، ٣١٢

(٧) انظر الحدائق ص ٧٨٣

(٨) انظر الحدائق ص ٧٨٤

أمّا الشارح فبيّن المفردات التي تحتاج إلى شرح وموضع الشاهد بالاضافة إلى ترجيح بعض الوجوه الاعرابية في البيت فذكر أن الخوط هو الغصن الناعم ، والبان ضرب من الشجر والرنو النظر المستمر ، وذكر أن الأوجه في المنصوبات كلّها أن تكون مفعولاً مطلقاً لأنّ المشبهات بدو الحبيب كالقمر في بهجة الطلعة وميلانه كخوط البان في حسن الحركة ، ورائحتها كالعنبر في طيب الرائحة ، ونظرتها كنظرة الغزال في حسن الالتفات واعتبارها حالاً وجه أمّا اعتبارها تمييزاً ليس بشيء ، وبيت المتنبي ألطف في حسن ترتيبه من بيت ابن سكرة وهو :-

الخدّ ورد والصدغ غاليه والريق خمر والثغر من برد (١)

هذا مجمل ماذكره الشارح ولعلّه قد أحسن بشرح المفردات وبيان التشبيهات التي اشتمل عليها البيت ، وما ترجّح عنده من وجه اعرابي فيهما كذلك موازنته بين بيت المتنبي وبيت ابن سكرة وتقديمه بيت المتنبي لكونه ألطف في حسن الترتيب . كل هذه جهود تحسب للشارح ، وذلك إذا ماعرفنا أنّ الخطيب في الايضاح (٢) أورد بيت المتنبي شاهداً على التشبيه غير الملفوف ، أو الفروق لكنّه لم يعلق على البيت بشيء لكنه في التلخيص لم يذكره ، وبالتالي لم يعرض له السعد ، أو البهاء السبكي ، أو ابن يعقوب فضلاً عن شرحه .

كما استشهد الطيبي لما كان الوجه فيه واحداً ((حقيقة)) عقليّاً والطرفان عقليان بقول الشاعر :-

أخلاقه نكت في المجد أيسرها لطف يؤلف بين الماء والنار
لو زرته رأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار (٣)

أما الشارح فذكر اعراب بعض التراكيب في البيتين ، فذكر أنّ قوله في المجد صفة للنكت ، وأيسرها مبتدأ ، ولطف خبره ، وقوله يؤلف بين الماء والنار صفة للطف ، والجملة بأسرها من بداية قوله أيسرها صفة أخرى لنكت ، وذكر الماء والنار عبارة عن الجمع بين الضدّين ، كما بيّن معنى البيتين فذكر أنّ الشاعر بالغ في وصف أخلاق ممدوحه ، وأنّ أدناها ، وأيسرها الجمع بين الماء والنار ، ويجوز أن يراد بالتأليف الجمع بين الخصمين اللذين الجمع بينهما كالجمع بين الماء والنار لكن الأولى والأحسن أن يقال إنّه يريد أن يصف أخلاق ممدوحه بالوسط بين الافراط والتفريط ، وهو مايطلق عليه العدل في الأمور وفي قوله :- لرأيت الناس في رجل مقتبس من قوله تعالى ((إن ابرهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً)) (٤) ، وفي البيت الثاني نظر إلى الغايات ،

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٨٤
(٢) انظر الايضاح ص ٢٤٨
(٣) انظر الحدائق ص ٧٩٠
(٤) الآية ١٧ من سورة سبأ .

فإذا كانت غاية الناس الانسانيّة/واكتساب مكارم الأخلاق ، والابتعاد عن رذائلها فإنّك تجد كل هذه المكارم جمعت فيه ، وإذا كان غاية الدهر الرفاهية والحياة الهنيّة ، فإنّك تجد هذا قد جمع له ، وإذا كان غاية الأرض الأمان والاستقرار فقد جمع له فى داره ، فاذا كان الممدوح قد جمع كلّ تلك الخصال فكلّ من زاره نال كلّ المنى ، ووصل إلى كل مقاصده ومطالبه .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح/ويظهر من خلاله مدى تمكنه فى دراسة الشواهد الشعريّة/وذوقه فى اختيار أنسب معانيها ، وقد أورد السكاكى مثالاً عاديّا مصنوعا للتشبيه الذى وجه الشبه فيه عقلى/والطرفان عقليّان/وذلك حين قال :- ((والعقلى كوجود الشىء العديم النفع إذا شبّه بعدمه فى العراء عن الفائدة/أو كالعلم إذا شبّه بالحياة فى كونهماجهتى ادراك فيما طرفاه معقولان))[2] .

وقد اعتمد الخطيب[3] ماذكره السكاكى ، ولم يجدّد فى الشواهد كما فعل الطيبى وأحسن فى إيراد البيتين السابقين شاهداً على الوجه العقلى وطرفاه عقليّان ، وأحسن بيانهما الشارح أحسن بيان كما سبق .

كما استشهد الطيبى للوجه الواحد ((حقيقة)) عقليّاً والمشبه حسيّ والمشبه به عقلى ، استشهد بقول أبى فراس الحمدانى :-

كأنّ ثباته للقلب قلب وهيبته جناح للجناح[4]

وقد بيّن الشارح التشبيهين اللذين اشتمل عليهما البيت ، وأشار إلى المحسّن البديعى الذى اشتمل عليه ، فذكر أنّ الشاعر شبّه ثباته فى قلب العسكر بقلب الانسان إذ بقيامه بين جنده يصلح الجند كالقلب بصلاحه يصلح الجسد كلّه ، فصلاح الكلّ بصلاح الجزء ، ثمّ شبّه هيبته بجناح الطائر فى سرعة المضى ، وهذه الهيبة التى هى كالجناح للجناح يمكن تفسيرها أنّه بالقائه الرعب في قلب عدوّه بهيبته يكون قد حمى ، وأعان الجناحين وجعل لهما هيبةمستمدّة من هيبته ، ويمكن أن يكون المعنى أنّ هيبته لها تأثير على الجناحين ، فهما يهابانه ، ويمتثلان أمره/كما ذكر الشارح أن بين قول الشاعر :- للقلب قلب وبين قوله جناح للجناح فى كل منهما جناس تام .[5]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، ويظهر من خلاله أن المشبه فى البيت فى كل من ثباته ، وهيبته

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٩٠ ، ٧٩٢

(٢) المفتاح ص ١٤٣

(٣) انظر الايضاح ص ٢٢٦

(٤) انظر الحدائق ص ٧٩٢

(٥) انظر الحدائق ص ٧٩٢

عقلي والمشبّه به في كل من قلب وجناح حسي ، ووجه الشبه عقلي ، وهو صلاح الكلّ ، بصلاح الجزء في التشبيه الأول ، وهو كأنّ ثباته للقلب قلب ، ووجه الشبه في التشبيه الثاني وهو قوله وهيبته جناح للجناح أيضاً عقلي وهو إلقاء الرعب، ولعل الطيبي في ايراده لهذا البيت خالف السكاكي الذي أورد أمثلة عادية يغلب عليها وفي المشبه العقلي، والمشبه به الحسي والوجه عقلي، وذلك حين قال :- ((وكالعلم إذا شبهه بالنور في الهداية ، أو كالعدل إذا شبه بالقسطاس في تحصيل مابين الزيادة والنقصان فيما المشبه معقول، والمشبه به محسوس)) [1] ، وقد تبع السكاكي في ايراد هذه الأمثلة الخطيب [2] فجهد الطيبي إنّما برز لتجديده في الشواهد والأمثلة ، والشارح تميّز جهده بالشرح والبيان للشاهد .

كما استشهد الطيبي للمشبه الحسي والمشبّه به العقلي، ووجه الشبه واحد حقيقة، وهو عقلي استشهد له بقول ابن بابك :-

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها ... وقد كحّل الليل السماك فأبصرا

وعلّق الطيبي على البيت بأنّه يحتمل أن يكون الوجه في المشبه به خيالياً تشبيهاً للأخلاق بالأماكن الواسعة فتخيّل لها سعة، ومثل البيت في احتمال أن يكون الوجه في المشبّه به خيالياً قول التنوخي :-

فانهض بنار إلى فحم كأنّهما ... في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

فإنّه لمّا وصف الظلم بأنّه ظلمات كما ورد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((الظلم ظلمات يوم القيامة)) وأيضاً نعت العدل بالنور وهو رأي المعتزلة، ومنهم الزمخشري نبّه عليه الشارح وردّ عليه في قوله تعالى ((وأشرقت الأرض بنور ربّها)) [3] ، لمّا كان الأمر كذلك خيّلها [أي الظلم والإنصاف] الشاعر شيئين لهما انارة واظلام فجعلهما مشبّهاً بهما . [4]

أمّا الشيخ علي بن عيسى فشرح بعض المفردات في بيت ابن بابك ، فذكر أنّ السماكين كوكبان نيّران أحدهما السماك الأعزل، والثاني السماك الرامح ، وقوله فأبصر أي صار الليل ذا بصر بكحل السماك، والسماك صار مشرقاً وذا بصر بتكحيل الليل إيّاه ، فالشاعر وصف شدّة اشراق الكواكب في الليل المظلم البهيم فكما أنّ الكحل يحدّ البصر كذلك شدة سواد الليل سبب لاشراق ضوء الكواكب على طريقة قول الشاعر :-

---

(١) المفتاح ص ١٤٣

(٢) انظر الايضاح ص ٢٢٦

(٣) من الآية ٦٩ من سورة الزمر .

(٤) انظر الحدائق ص ٧٩٥

وحسن دراريّ الكواكب أن تـــرى طوالع في داج من الليـــــل غيهب

كما ذكر الشارح أنّ الاسناد في قوله فأبصر يحتمل أن يكون اسناداً مجازيّاً أي أبصر السارى فيه فأسند إلى الليل .

كما علّق الشارح على قول أستاذه ، ولا يبعد أن يعدّ الوجه خياليّاً بأنّ هذا جواب ســؤال مقدّر أي كيف تجعل الأخلاق أصلاً في السعة ، وتجعله مشبّهاً به ، وهو عقلي صرف فأجـــاب بأنّه لا يبعد أن يثبت لها سعة على سبيل التخييل ثم يجعل مشبّهاً به كما ذكر أنّ وجه الشبه بيـــن الأخلاق والأرض عقلي وهو السعة فحسب ، أمّا ما يتعلّق ببيت التنوخي فذكر أنّ المعنى هو فانهـــض بنار منضّمة إلى فحم ويجوز أن يكون قوله بنار حالاً مقدّرة من فاعـــل انهض ، وقوله إلى فحـــم حال من الضمير المستكن في الحال فتكون حالاً متداخلة أي فانهض مقدراً اتيانك بنار وأنـــت تضمّها إلى فحم ويجوز أن تكون إلى فحم صفة لنار أي بنار منضمة الى فحم ، وفي قوله ظلم وانصاف طرافة حيث جمع بين الضدّين كما ذكر الشارح أنّ الأظهر في المقصود من النور في قوله تعالى ((وأشرقت الأرض بنور ربها)) النور على حقيقته ، فحينئذٍ لا يكون فيه محلّاً للاستشهاد به ، أمّا إذا قصـــد بالنور العدل والحق كما ذهب إليه الزمخشري يكون فيه شاهد فبناءً عليه تقول شبّه اقامة الله الحقّ والعدل في أرض القيامة للانتفاع بهما وتزيين الأرض بسببهما باشراق النيّرين وجه الأرض ، ثـــمّ حذف المشبّه ، وأقيم المشبه به مقامه ، واضافة النور إلى الرب ، ثم اضافة الرب إلى الأرض قرينـــة وهذا الوجه عند الشارح ليس بأظهر إنما الأظهر اجراء النور في الآية على حقيقته .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، وقد تميّز جهده في شرح بيتي ابن بابك ، والتنوخي بتوضيح المفردات الغريبة ، واعراب بعض التراكيب وبيان موضع الشاهد ، والتعرض للمعنى العام وتأويله للآيـــة يدلّ على أنّ مذهبه العقيدي مذهب أهل السنة والجماعة كما سبق توضيحه عند الكلام عن مذهبه .

هذا وقد تبيّن لي أنّ الخطيب أورد بيتي ابن بابك والتنوخي ضمن شواهده على التشبيـــه التخييلي[2] ، لأنّ وجه الشبه لم يتحقق في المشبه به إلّا على تأويل ، واكتفى في تعليقه على البيتين ببيان موضع الشاهد فيهما ، فقد قال في تعليقه على بيت ابن بابك :-

فإنّ الأخلاق لمّا كانت توصف بالسعة والضيق تشبيهاً لها بالأماكن الواسعة والضيّقة تخيّـــل أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجعل أصلاً فيها فشبّه الأرض الواسعة بها))[3] وقال في تعليقه علـــى

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٩٥ ، ٧٩٧

(٢) انظر الايضاح ص ٢٢٠

(٣) الايضاح ص ٢٢٢

بيتالتنوخى قال :- ((فإنه لمّا كان يقال فى الحق إنّه منير واضح فيستعار له صفة الأجسام المنيرة ، وفى الظلم خلاف ذلك تخيّلهما شيئين لهما إنارة وإظلام فشبّه بالنار والفحم مجتمعين بهما مجتمعين)) [1] ، فبموازنة ماقاله الخطيب مع ماقاله الشارح حول البيتين يتميّز جهد الشارح .

ب - كونه فى حكم الواحد :-

ذكر الطيبى أنّ وجه الشبه الذى فى حكم الواحد إمّا أن يكون حسّيا ، واستشهد له بقول أبى البركات :-

ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وذكر أنّ التشبيه فى البيت ليس المراد تشبيه الجوزاء بالكف ، والثريا بالعنقود فقط ، وإنّما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم المجتمعة على هيئة الكف الباسطة لقبض نجوم كهيئة العنقود . [2]

أمّا الشارح فذكر أنّ الثريا كواكب منيرة مجتمعة على هيئة عنقود كرم وهى من كواكب برج الثور ، وتتبعه الجوزاء التى لها مثل اليدين حتّى سمّوها بذات الجسدين ، فالشاعر جمع بين هذين الكوكبين ، وشبههما برجل يعمل بيديه لقطف عنقود من الكرم ، والوجه هيئة مستطيلة متّصلة بهيئة مجتمعة منثورة منيرة ، وذكر أنّه يدلّ تعليق أستاذه على البيت ، وذلك فى قوله ((وليس المراد تشبيه الجوزاء بالكف والثريا بالعنقود فقط وإنّما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة .....)) إلى آخره ، أنّ التشبيه فى البيت يحتمل وجهاً آخر ، وهو تشبيه الجوزاء بالكف فقط والثريا بالعنقود فقط ، ولكنه ليس مراداً ، وإنّما المراد الوجه الآخر وهو الهيئة الحاصلة من النجوم ..... إلى آخره . [3]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيت من شرح مفرداته الغريبة ، وبيان موضع الشاهد فيه ولعل ماذكره الشارح من أنّ كلام أستاذه فى البيت يدلّ على أن التشبيه فيه يحتمل أن يكون تشبيه الجوزاء بالكف وتشبيه الثريا بالعنقود أى تشبيه مفرد بمفرد ، لكنّه ليس مراداً ، أقول لعلّ هذا الذى ذكره لا يساعد عليه تركيب البيت لوجود واو الحال فى قوله والنجم ..... فالشاعر لم يصف رؤية المخاطب لأنجم الجوزاء مطلقاً وإنّما رؤية أنجم الجوزاء مقيّدة بكون النجم فوقها والإرتباط وثيق بين الحال ، وصاحبه لتأليف هذه الهيئة ، هذا فى جهة المشبّه ، أمّا فى جهة المشبّه به

---

(١) الايضاح ص ٢٢٢

(٢) انظر الحدائق ص ٧٩٧

(٣) انظر الحدائق ص ٧٩٧ ، ٧٩٩

فإنّ اللام فى قوله ليقطف قيّدت بسط الكف بأنه لقطف عنقود ، وليس مطلقاً ، والعلاقة بين العلة والمعلول وثيقة فى تكوين هيئة المشبه به ، فبناء عليه الهيئة التركيبية متحققة فى الطرفين ، وفى الوجه أيضاً وهى هيئة مستطيلة متصلة ولعلّ هذه الملاحظة لا تؤثر على جهد الشارح فى تحليله للبيت تحليلاً بلاغياً .

كما استشهد الطيبي للتشبيه الذى وجه الشبه فيه فى حكم الواحد ، وكان جسّياً استشهد له بقول سعيد بن حميد :-

حفّت بسرو كالقيان تلحّفت ... خضر الحرير على قوام معتدل

فكأنّها والريح جاء يميلها ... تبغى التعانق ثمّ يمنعها الخجل

ففي قوله تبغى التعانق دلّ على أنّ حركة تهيؤ الشجرة للاعتناق أبطأ من رجوعها إلى أصلها كذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركته إذا همّ بالوصال لأنّ ازعاج الخوف أقوى من ازعاج الرجاء (١)

هذا وقد ذكر الخطيب هذين البيتين شاهداً على أنّ من الوجه المركب الحسى مايكون فى مجرد هيئة الحركة خالياً من كل وصف وعلّق بقوله :- ((فإنّ فيه تفصيلاً دقيقاً ، وذلك أنّه راعى الحركتين حركة التهيؤ للدنو ، والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدّى مايكون فى الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة لأنّ حركة الشجرة المعتدلة فى حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهمّ بالدنو لأنّ ازعاج الخوف أقوى أبداً من ازعاج الرجاء)) (٢) ، وقد تبيّن لى أنّ الطيبى ، والخطيب فى ايرادهما لهذه اللطيفة فى قول الشاعر تبغى التعانق لم يخرجا فيه عمّا قاله الامام عبدالقاهر بل اعتمدا بعض عباراته ، فقد قال الامام :- ((المقصود من البيت الأول ظاهر ، وفي البيت الثانى تشبيه من جنس الهيئة المجرّدة من هيئات الحركة ، وفيه تفصيل ظريف فاتن فقد راعى الحركتين حركة التهيؤ للدنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ..... وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع أبداً من حركته إذا همّ بالدنو ، فازعاج الخوف والوجل أبداً أقوى من ازعاج الرجاء والأمل .....)) (٣) ، أمّا الشارح فذكر أنّ حفت بمعنى أحدقت أى أحدقت البركة بسرو ، القيان جمع قينة وكثيراً ماتطلق على المغنّية ، كما ذكر أن تشبيه

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٠٥

(٢) الايضاح ص ٢٣٠

(٣) اسرار البلاغة ص ١٩٣

السرو بالقيان فى البيت الأول ليس من قبل التشبيه الذى الغرض يعود فيه للمشبه به كقولهم القمر كوجه الخليفة بل هو من باب الاشتهار فى الاستعمال حتى صار الفرع أصلاً ، لأنّ القصد هنا وصف السرو بالحسن واللطافة فى حركاتها المخصوصة ، والفاء فى قوله ((فكأنّها)) للتعقيب والترتيب حيث رتّب التشبيه الثانى على الأول كأنّه يقول إذا حصل ذلك التشبيه فتنبّه للتشبيه الذى يليه ، والذى يصف حركة هذا السرو عند ميلانها ، وعند اعتدالها ، فالتشبيه من التشبيهات المتداخلة على طريقة قوله تعالى ((ترمى بشرر كالقصر كأنّه جمالة صفر)) [1] ، هذا مجمل ماذكره الشارح [2] حول البيتين فبينما الامام عبد القاهر ، والخطيب ، والطيبى اقتصروا فى تعليقهم على الشاهد ببيان ماتضمّنه من لطيفة فى قوله :- ((تبغى التعانق .....)) وجدنا الشارح قد بيّن التشبيه فى البيت الأول أحسن بيان ، وربط بين التشبيه الثانى فى البيت الثانى وبين التشبيه فى البيت الأول ، ولعلّ هذه الجهود تميزه عن غيره وتبرز شخصيّته إذا ماعرفنا أيضاً أنّ السعد [3] ذكر البيتين دون تعليق .

كما استشهد الطيبى للتشبيه الذى وجه الشبه فيه فى حكم الواحد وكان عقّياً استشهد له بقول أبى تمّام :-

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

فقد أبدع فيه أبو تمام كلّ الابداع . [4]

أمّا الشارح فذكر أنّ شيب بمعنى خلط ، والمغرم المشغوف والدلال الغنج ، وبيّن التشبيه الذى اشتمل عليه البيت فذكر أنّ الشاعر شبّه جمع الممدوح خصلتين لا تكادان تجتمعان لتدافع كل منهما الأخرى ، وهما الشجاعة والحياء شبهه باجتماع الحسن مع الدلال فى المحبوب وهو من باب قوله تعالى ((وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة)) [5] شبّه مالم تجربه العادة بما جرت به [6] ، ولعلّ الشارح قد تميّز جهده فى شرحه للبيت بتوضيح مفرداته وشرح التشبيه الذى تضمنه فقد تبيّن لى أنّ ضياء الدين ابن الأثير قد ذكر البيت شاهداً على تشبيه المركب بالمركب ، ولم يزد فى تعليقه على البيت عن قوله :- ((وهذا من غريب مايأتى فى هذا الباب

---

(١) من الآية ٣٣ والآية ٣٤ من سورة المرسلات
(٢) انظر الحدائق ص ٨٠٥
(٣) انظر المطول ص ٣٢٥
(٤) انظر الحدائق ص ٨٠٩
(٥) من الآية ١٧١ من سورة الأعراف .
(٦) انظر الحدائق ص ٨٠٩ ، ٨١٢

وقد تغالت شيعة أبي تمام في وصف هذا البيت وهو لعمري كذلك)) .[1]

ومنه التمثيـــــل :-

يرى الطيبي أنّ التشبيه الذي وجه الشبه فيه في حكم الواحد وكان وهميّاً هو التمثيل عنده ، وهو منتزع من عدة أمور متوهمة ، وذكر أنّه كثيراً ما يلتبس بالتشبيه الذي وجه الشبه فيه حقيقـــــي والفرق بينهما أنّ الحقيقي معان مستقلة أمّا الوهمي أو التمثيل معان مستندة إلى قصّة متوهمة ، أو شبهها ومن ثمّ لو اختل من هذه المعاني في الوجه الوهمي اختلّ التمثيل .[2]

وقد بيّن الشارح الفرق بينهما فذكر أنّ الوجه المركب العقلي مأخوذ من الخلاصة ، وقـــد يحصل من بعض الكلام ، وقد يحصل من مجموعه ، وفي كلا الحالين يستقيم التشبيه أمّا فـــي الوجه الوهمي فإنّه يؤخذ ، ويحصل من مجموع الكلام إذ لو ترك الأخذ من كلّه وأخذ من بعضـــه اختلّ الكلام .[3]

هذا والذي يظهر أن الطيبي والشارح سارا في مفهوم التمثيل مع السكاكي الذي قال :- ((واعلم أنّ التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعاً من عدة أمور خصّ باسم التمثيل))[4]

وقد خالف الخطيب السكاكي في مفهوم التمثيل ، ومفهومه عنده كما قال :- ((التمثيل ما وجهـه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور))[5] ، فبناء على رأي الخطيب في التمثيل يدخل فيه إذا كـان وجه الشبه مركباً حسّياً أو مركباً عقليّاً وما عدا ذلك فهو تشبيه غير تمثيل ، وقد ذكر السعد أنّ رأي الخطيب في التمثيل هو رأي جمهور البلاغيّين ، وذكر أنّ الزمخشري يرى أنّ التمثيل مرادف للتشبيـه ثم ذكر رأي الامام عبد القاهر في التمثيل من كتابه أسرار البلاغة .[6]

هذا وبالرجوع إلى أسرار البلاغة[7] تبيّن لي أنّ الامام عبد القاهر يرى أنّ التمثيل هو ما كـــان وجه الشبه يحتاج فيه إلى تأويل ، وكان عقليّاً غير غرزي سواء كان الوجه منتزعاً من شيء واحـد أي مفرد كقولك كلامه كالعسل في الحلاوة ، أو منتزعاً من عدّة أمور ممتزجة ، أي مركباً كقوله تعالـــى ((مثل الذين حملوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا))[8] .

---

(١) المثل السائر : ٢/١٤٩

(٢) انظر الحدائق ص ٨٠٩ ، ٨١٢

(٣) انظر الحدائق ص ٨١٢

(٤) المفتاح ص ١٤٨

(٥) الايضاح ص ٢٤٩

(٦) انظر المطول ص ٣٣٩

(٧) انظر أسرار البلاغة ص ٨٠ — ٩٢

(٨) من الآية ٥ من سورة الجمعة .

فخلاصة آراء العلماء فى التمثيل أنّ مفهوم الزمخشرى للتمثيل يعدّ أوسع مفهوم إذ التمثيل عنده مرادف للتشبيه أى لا فرق عنده بين التشبيه والتمثيل ، وهذا يعدّ الغاءً للتمثيل .

أمّا رأى الامام عبد القاهر فإنّ مفهوم التمثيل عنده مختلف عن مفهومه عند الزمخشرى ، فيدخل فى التمثيل عنده التشبيه المفرد والتشبيه المركب مادام أنّ الوجه يحتاج إلى تأول وكان عقليّاً غير غرزى ثمّ يليه رأى الخطيب ، وهو رأى الجمهور ، فإنّ مفهوم التمثيل عنده مختلف أيضاً عن مفهومه عند الامام عبد القاهر ، إذ يدخل فى التمثيل عند الخطيب المركّب الحسى ، والمركب العقلى ، والمركّب الوهمى مادام أنّ الوجه فيها وصف منتزع من أمرين فأكثر ، ثمّ يليه رأى السكاكى وتبعه فيه الطيبى ، وتلميذه ، ومفهومه مختلف عن مفهوم الخطيب فإنّه يدخل فى التمثيل الوجه المنتزع من عدّة أمور متوهمة أى غير عقلى فقط ، أمّا المركّب الحسى ، أو العقلى فيعتبران من تشبيه غير التمثيل ، وعلى كلّ الأحوال فإنّ الأمر هين إذ لكل واحد وجهة نظر ، وقد استشهد الطيبى للتمثيل بقول الشاعر :-

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلمّا رأوها أقشعت وتجلت

فمجرّد قوله أبرقت قوماً عطاشاً غمامة ليس تشبيهاً مستقلاً لأنّ الغرض هو الابتداء المطمع المؤدى إلى الانتهاء المؤيس ، ولا يتم هذا إلّا بجملة البيت .[1]

أمّا الشارح فاقتصر فى تعليقه على البيت بشرح بعض مفرداته فذكر أنّ اقشعت معناها انكشفت ، وأظهرت ، ومعنى أبرقت أى لمعت ، وتلألأت ، فلعلّه اكتفى بما ذكره أستاذه ، ويظهر أنّ الطيبى فى تعليقه على البيت تأثر بما ذكره السكاكى الذى استشهد بالبيت على التمثيل وقال :- ((إذا أخذت تنتزع وجه التمثيل من قوله كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فحسب نزلت عن غرض الشاعر بمراحل ، فإنّ مغزاه أن يصل ابتداء مطمعاً بانتهاء مؤيس ، وذلك يوجب انتزاع وجه الشبه من مجموع البيت)) .[2]

هذا وقد أورد الامام عبد القاهر[3] البيت شاهداً على التمثيل الحاصل من جملتين من الكلام أو أكثر ، وقد يتوهّم أنّه من التشبيه المتعدد ولكنه ليس كذلك كما أورد الخطيب[4] البيت شاهداً على أنّه قد يقع بعد أداة التشبيه أمور يظنّ أنّ المقصود منها أمر منتزع من بعضها فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعاً من جميعها .

---

(١) انظر الحدائق ص ٨١٢
(٢) المفتاح ص ١٤٩
(٣) انظر أسرار البلاغة ص ٩٨
(٤) انظر الايضاح ص ٢٣٣ ، ٢٣٤

جـ- كونه متعدداً :-

استشهد الطيبي لما كان الوجه فيه أموراً متعددة حسّيّة بقول المطراني :-

مهفهفة لها نصف قضيب ... كخوط البان في نصف رداح

حكت لوناً وليناً واعتدالاً ... ولحظاً قاتلاً سمر الرماح [1]

أمّا الشارح فبيّن المفردات الغريبة للشاهد فذكر أنّ مهفهفة معناها ضامرة البطن ، والرداح المرأة الثقيلة الأوراك ، وحكت شابهت ، وقد بيّن موضع الاستشهاد في البيتين فذكر أنّ الشاعر شبّه حبيبته بالرماح في اللون ، واللين ، والاعتدال والنظر ، وقدّم المميزات على المشبه به مراعاة للقافية . [2]

لعلّ الشارح قد أحسن بشرحه للمفردات الغريبة ، وموضع الاستشهاد في البيتين ، هذا وقد أورد السكاكي للوجه إذا كان متعدداً حسّياً مثالاً عادياً ومصنوعاً حين قال :- ((فالأول [أي لما كان الوجه فيه متعدداً حسّياً] كما إذا شبهت فاكهة بأخرى في لون وطعم ورائحة)) [3] ، وقد سار مع السكاكي في ايراد هذا المثال الخطيب [4] والسعد [5] ، وهذا يبرز جهد الطيبي في التجديد في الأمثلة ، والشواهد كما يبرز جهد تلميذه في الشرح والتوضيح .

كما استشهد الطيبي للوجه المتعدد إذا كان عقليّاً بقول المعرّي :-

والخلّ كالماء يبدي لي ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر [6]

أمّا الشارح فذكر أنّ قوله ((يبدي لي ضمائره)) استئناف على سبيل البيان لوجه الشبه الذي هو الابداء في وقت الصفاء ، والاخفاء في وقت الكدر ، وهما عقليّان ، ومعنى البيت كما بيّنه الشارح يقول الشاعر : إن الخليل إذا صفى وحسنت عشرته أعلم كلّ أسراره لخليله ، وإذا كدر ، وساءت عشرته أخفى كلّ أسراره عن خليله كالماء وقت صفائه يرى كل مافيه ، وإذا كدر لم ير مافيه وأحسن من هذا البيت في معناه قول الآخر :-

أخ ظاهر الأخلاق حلو كأنّه ... جنى النحل ممزوج بماء غمام

يزيد على الأيام صفو مودّة ... وشدّة اخلاص ورعي ذمام

---

(١) انظر الحدائق ص ٨١٥

(٢) انظر الحدائق ص ٨١٥

(٣) المفتاح ص ١٤٤

(٤) انظر الايضاح ص ٢٣٥

(٥) انظر المطول ص ٣٢٧

(٦) انظر الحدائق ص ٨١٥

ففى هذين البيتين جمع الشاعر لخلق خليله بين الطهارة عن الرذائل ، والتحلّى بالفضائل ، وشبههما بالماء فى الصفاء ، والعسل فى اللذاذة ، ثمّ قرّر هذا المعنى بالبيت الثانى ليفيد دوامه ، واستمراره على تلك الخصلتين ، فإذا قدّر حلو الشواهد اندرج تحت الوجه المتعدد الذى بعضه حسى وبعضه عقلى [1] ، هذا مجمل ماذكره الشارح ويظهر من خلاله نظراته النقدية فى الموازنة بين الشواهد مع تفصيل القول فى الشاهد من جهة معناه ووجه الاستشهاد به .

أغـــراض التشبيه :-

ذكر الطيبى أن الغرض هو مايقصده المتكلم من إيراده للتشبيه وهو فى الغالب يعود للمشبّه وقد يعود للمشبّه به .

أ - الأغراض التى تعود للمشبه :-

والأغراض التى ترجع للمشبه تأتى على وجوه منها بيان مقدار حاله فى القوة والضعف واستشهد له بقول الشاعر :-

فأصبحت من ليلى الغداة كقابـض على الماء خانته فروج الأصابـع [2]

أمّا الشارح فبيّن التشبيه الذى تضمنه البيت من خلال شرح معناه ، فذكر أنّ أصبحت بمعنى صرت أى صرت من ليلى بلا حاصل شبّه الشاعر مقدار حصوله من وصل ليلى تحت عيون الرقباء بمقدار مايحصل من الماء فى كفّ القابض عليه فكما لا يعبيء بهذا البلل فى كفّ القابض على الماء كذلك لا يعتبر ذلك الوصل من ليلى والوجه عدم العبئ بتلك البقيّة . [3]

وقد ذكر الخطيب البيت شاهداً على غرض بيان مقدار الحال وعلّق عليه بقوله :- ((أى بلغت فى بوار سعى فى الوصول إليها وأن أمتّع بها أقصى الغايات حتّى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر [4])) .

هذا وقد تأثر الخطيب فى هذا بما ذكره الامام عبدالقاهر الذى ذكر البيت فى تأثير التمثيل فى النفوس فاستشهد به على الضرب الثانى وهو أن لا يكون المعنى الممثل به غريباً نادراً يحتاج فى اثباته فى الجملة إلى بيّنة وعلّق على البيت بقوله :- ((ألا ترى أن المغزى من قوله فأصبحت ....

---

(١) انظر الحدائق ص ٨١٥

(٢) (٣) انظر الحدائق ص ٨٢٦

(٤) الايضاح ص ٢٣٧

أنه قد خاب فى ظنه أنّه يتمتع بها ، ويسعد بوصلها .....)) [1] ، وقال أيضاً : ((فالشاعر لمّا قال كقابض على الماء خانته فروج الأصابع أراك رؤية لا تشكّ معها ولا ترتاب أنّه بلغ فى خيبة ظنّه وبوار سعيه إلى أقصى المبالغ وانتهى فيه إلى أبعد الغايات حتى لم يحظ لا بما قلّ ولا بما كثر)) [2].

من خلال هذا يظهر أنه بينما الخطيب تأثر بالامام حول تأثير التشبيه الذى اشتمل عليه البيت فى النفس نجد الشارح قد حلّل هذه الصورة البيانية بتوضيح المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه فى البيت ، أمّا الطيبى فإنّه أورد البيت دون تعليق فبهذا تميّز جهد الشارح عن غيره فرحم الله الجميع

كما ذكر الطيبى من أغراض التشبيه امكان وجود المشبه كما إذا أريد تفضيل فرد على نوعه وأنّه كالممتنع فى الظاهر فيجعل من نوع آخر فيستدلّ له بالتشبيه ، واستشهد له بقول المتنبي :-

وإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإنّ المسك بعض دم الغزال

فإنّ المسك فى وضعه الحالى لا يعدّ من الدماء لما فيه من الخاصية التى لا توجد فى الدم كما استشهد للغرض المذكور بقول ابن الرومى :-

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علا برسول الله عدنان [3]

أمّا الشارح فذكر أن جواب الشرط فى قوله ((فإنّ المسك .....)) لا يستقيم أن يكون جواباً إلاّ بالتأويل، وذلك أنّ كون سيف الدولة خارجاً عن نوع الانسانية داخلا فى نوع آخر غير ممكن فى الظاهر سبب للاخبار عن امكان وجوده بشهادة المثال أى إنّ تفوقك على نوع الانسان ودخولك فى نوع المسك سبب للاخبار بأنّ مثلك فى ذلك مثل المسك [4] هذا مجمل ماذكره الشارح .

هذا وقد ذكر الامام عبدالقاهر البيت عند كلامه عن تأثير التمثيل فى النفس فأورده شاهداً على أنّ المعنى يجيء التمثيل عقبه قد يكون غريباً بديعاً يمكن أن يخالف فيه ، ويدّعى امتناعه واستحالة وجوده ثم علّق على البيت بقوله :- ((وذلك أنّه أراد أنه فاق الأنام ، وفاتهم إلى حدّ بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ، ومقاربة بل صار كأنّه أصل بنفسه ، وجنس برأسه ، وهذا أمر غريب ، وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس فى الفضائل الخاصّة به إلى أن يصير كأنّه ليس من ذلك الجنس وبالمدعى له حاجة أن يصحح دعواه فى جواز وجوده على الجملة إلى أن يجيء إلى وجوده فى الممدوح ، فإذا قال فإنّ المسك بعض دم الغزال فقد احتجّ لدعواه، وأبان أنّ لما ادعاه أصلاً فى الوجود

---

(١) اسرار البلاغة ص ١١٠

(٢) اسرار البلاغة ص ١١٢

(٣) انظر الحدائق ص ٨٢٧ ، ٨٢٨

(٤) انظر الحدائق ص ٨٢٧

وبرأ نفسه من صفة الكذب ، وباعدها من سفه المقدم على غير بصيرة ، والمتوسع في الدعوى من غير بيّنة ، وذلك أنّ المسك قد خرج عن صفة الدم ، وحقيقته حتى لا يعدّ في جنسه إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصّة بوجوه من الوجوه لا ماقل ، ولا ماكثر ، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دماً البتة)) [1] ، أمّا الخطيب فأورد بيت المتنبي شاهداً على امكان وجود الشبه ، وتعليقه على البيت لا يخرج عمّا قاله الامام بل إنّه في بعض المواضع اعتمد عبارته نصّاً فقد قال :- ((أراد أنّه فاق الأنام ..... إلى حدّ بطل معه ..... بل صار نوعاً آخر برأسه ..... ولا يعدّ في الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة .....)) [2].

فبينما الامام عبد القاهر والخطيب حللاً البيت من جهة الغرض من التشبيه فيه نجد الشارح قد تركز نظره في الشاهد من جهة تقدير جواب الشرط فيه فهو تتطرق في دراسته للبيت إلى جانب لم يعرض له الامام والخطيب فلعلّه جهد يحسب له .

أمّا مايتعلّق ببيت ابن الرومي فقد ذكره البهاء السبكي [3] وذكر بيتاً قبله وهو :-

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلّا لعمري ولكن منه شيبان

وذكر أنّ السكاكي استشهد بهما لبيان امكان وجود الشبّه لكني لم أعثر عليهما عنده في كتابه المفتاح [4] والجدير بالملاحظة أنّ البهاء السبكي لم يعلق على البيتين ، أمّا الشيخ علي بن عيسى فشرح بعض المفردات فذكر أنّ ذرى في البيت الأول معناه فوق الشيء ، وأعلاه ، كما بيّن موضع الاستشهاد فيه فذكر أنّه كان من عادة العرب الانتماء إلى الآباء والافتخار بهم والتغنّي بمحامدهم ، ونشر مآثرهم من ذلك قولهم أولئك آبائي فجئني بمثلهم وقولهم :-

إنّا بنو نهشل لا ندّعي لأب

وقولهم أيضاً :-

- بابن الأكارم من عدنان قد علموا -

وغير ذلك مما فيه افتخار بالآباء والأجداد لكن الشاعر ابن الرومي عكس ذلك فادّعى أمراً لم يعرف عند العرب ولم تجر به عادة ، وهو افتخار الآباء بالأبناء ، واستدلّ على ما ادعاه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من عدنان لكنّه فخرهم ، وقمّة مجدهم بل فخر البشرية قاطبة صلى الله عليه وسلم ، فأورد هذا الدليل ليقرّر أمراً غير معهود عندهم [5] ، هذا مجمل ماذكره الشارح .

---

(١) اسرار البلاغة ص ١٠٩ ، ١١٠

(٢) الايضاح ص ٢٣٦

(٣) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣٩٦/٣

(٤) انظر المفتاح ص ١٤٥ ، ١٤٦

(٥) انظر الحدائق ص ٨٢٨ .

فإذا كان الطيبي والبهاء السبكي قد أوردا بيت ابن الرومي ، شاهداً على غرض الامكان بعد أن كثر تداول بيت المتنبي فان تفق الأنام .....مما يعدّ تجديداً منهما في الشواهد فإنّ جهد الشارح قد تميز عنهما ببيان موضع الشاهد في البيت أحسن بيان .

كما استشهد الطيبي لغرض تقرير حال الشبه بقول ابن العميد :-

ذي ملة يأتيك أثبت عهده كالخطّ يرسم في بسيط الماء

ذكر الشارح أنّ وجه الشبه في البيت هو عدم الحصول على شيء .

ومثله قولهم هو يرقم على الماء أي يلغ من حذقة وتمرّسه للأمور أنّه يرقم في موضع لا يثبت فيه الرقم والفرق بين هذا البيت والبيت السابق هو قوله فأصبحت من ليلى الغداة ..... أنّ قوله ذي ملة .....يدلّ على أنّه لم يحصل شيء قط .

أمّا قوله فأصبحت .....يشعر بأنّه حصل على شيء لكنه غير معتبر [1] فلعلّ مثل هذه الموازنات بين الشواهد تميز جهد الشارح رحمه الله تعالى .

كما استشهد الطيبي لغرض تقرير الحقيقة بقوله تعالى :- ((وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة)) [2] قرّر مالم تجربه العادة بما جرت به العادة [3] ، أمّا الشارح فذكر أنّ نتق الجبل وهو جذبه ، ونزعه لما لم يكن متصوّراً في العادة واحتمال المجاز وارد عليه أتى بالمشبه به ليقرر الحقيقة ويدفع احتمال المجاز فمع أنّ في كلّ من الآية والبيت السابق وإن تفق الأنام ..... فيه اثبات لما لم تجربه العادة لكن البيت فيه دفع للمحال ادعاء أمّا الآية فإنّ فيها اثبات خرق العادة وأنّها سهلة على الله كسهولة مايشاهد من الظلّة المحسوسة ، وهذا لقصد تقريبه للعباد وتفهيمه لهم وإلّا فنتق الجبل سهل على الله تعالى [4] ، هذا مجمل ماذكره الشارح .

هذا وقد تبيّن لي أنّ الخطيب اعتبر الآية شاهداً على غرض تقرير الحال في نفس السامع وعلّق على الآية بقوله :- ((فإنّه بيّن مالم تجربه العادة بما جرت به)) [5] وقد اعترض البهاء السبكي [6] على الخطيب في اعتباره الآية من تقرير الحال في نفس السامع ، ويرى أنّها ينبغي اعتبارها من غرض امكان المشبّه .

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٢٨

(٢) من الآية ١٧١ من سورة الأعراف .

(٣) انظر الحدائق ص ٨٢٨

(٤) انظر الحدائق ص ٨٢٨

(٥) الايضاح ص ٢٣٧

(٦) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٣٩٨/٣

فنخلص من هذا أنّ الغرض من التشبيه فى الآية يحتمل ثلاث توجيهات فالطيبى اعتبر الغرض من التشبيه فى الآية هو تقرير الحقيقة ، وسار معه تلميذه والخطيب اعتبر الغرض تقرير الحال فى نفس السامع ، والبهاء السبكى يرى الغرض امكان الشبه ، والذى يظهر أنّ لكل رأى وجاهته .

كما استشهد الطيبى لغرض الاستطراف ، وذلك بأن يكون المشبه به نادر الحضور مع ذكر المشبه استشهد له بقول عبد الله بن المعتز :-

والازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنّها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار فى أطراف كبريت (١)

أما الشارح فذكر أنّ معنى تزهو تتكبّر كأنّ تلك الأزهار اللازوردية أوائل مساس النار وتكبّر البنفسج بزرقته على حمر اليواقيت ليس فى مجرد اللون بل إن فى الرياض من الأزهار ماهو أحسن من اليواقيت ، ولكن أراد زرقة البنفسج أحسن من حمرة اليواقيت كقولهم العسل أحلى من الخل ، والتشبيه فى البيتين مركّب حسى أى زرقة البنفسج بين ألوان الأزهار والخضر فى الرياض أحسن من الورد الأحمر فى تلك الأزهار إذ فى وصف البنفسجة بضعفن ، وتقييد المشبه به ، وهو النار بالأوائل يخرج التشبيه من الافراد إلى التركيب وهو أولى فإنّ ساق الكبريت عند اشتغال النار يعوّ كذلك لونها عند الاشتعال هو المشبه به دون سائر لونها (٢) ، هذا مجمل ماذكره الشارح .

وقد ذكر الإمام عبد القاهر البيتين شاهداً على أنّ التباعد بين الشيئين فى التشبيه كلّما كان أشدّ كان إلى النفوس أعجب ، ويقول فى تعليقه على البيتين :- ((ولا زورديّة تزهو بزرقتها أغرب وأعجب وأحقّ بالولوع ، وأجدر من تشبيه النرجس بعيون دعّ حشوهنّ عقيق لأنه أراك شبهاً لنبات غضّ يرفّ وأوراق رطبة ترى الماء منها يشفّ من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ، وبابٍ فيه الكلف ومبنى الطباع ، وموضوع الجبلّة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت مهابة النفوس به أكثر ، وكان بالشغف منها أجدر فسواء فى اثارة التعجب واخراجك إلى روعة المستغرب وجودك الشيء من مكان ليس من أمكنته ، ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من أصله فى ذاته ، وصفته ، ولو أنّه شبّه البنفسج ببعض النبات ، أو صادف له شبهاً فى شيء من المتلونات لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ)) . (٣)

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٣٠

(٢) انظر الحدائق ص ٨٣٠

(٣) اسرار البلاغة ص ١١٧ ، ١١٨

هذا وقد ركز السكاكي كلام الامام في عبارات موجزة عند إيراده للبيتين شاهداً على غـــرض الاستطراف حيث قال :-

((.....وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن ....وإمّا مع حضور المشبه في أوان الحديث فيه مثل حضور النار والكبريت مع حديث البنفسج ، والرياض كما في قوله ولا زوردية ..... فإنّ صورة اتصال النار بأطراف الكبريت النادر حضورها مع حديث البنفسج فإذا أحضر احضاراً مع المشبّه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراى ناراهما)).[1]

وقد اعتمد الخطيب[2] كلام السكاكي نصّاً عندما أورد البيتين لغرض الاستطراف وقد تأثّـــر السكاكي بما ذكره الامام عبد القاهر ، فرحم الله الجميع .

أمّا السعد فإنّه في تعليقه على البيتين اعتمد ماقاله السكاكي ، وبعض ماقاله الامام عبد القاهر فقـد قال السعد :- ((فإنّ صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة بحر سن المسك موجه الذهب لكن يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج ....ووجه آخر هو أنه أراك مشبّها لنبات غضّ يرقّ ....من لهب نار في جسم يستولي عليه اليبس ، وبنى الطبائع على أنّ الشـــيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أكثر بالشغف به وأجدر .....[3])).

بعد هذا السرد لما ذكره الامام ، والسكاكي ، والخطيب ، والسعد حول البيتين يتميّز جهد الشـــارح حيث عرض لجانب لم يشر إليه أولئك وهو بيان كون الشاهد مركباً حسّياً بالاضافة إلى شرح بعـــض مفرداته .

ب - الأغراض التي تعود للمشبه به :-

ذكر الطيبي أن الغرض من التشبيه قد يرجع إلى المشبّه به ويسمّى بالطرد والعكس ، ومبناه على أنّ المشبّه أتم من المشبه به في الوجه على سبيل المبالغة إذ الأصل في التشبيه أن يكون المشبّه بـــه أقوى في الوجه من المشبه لكن قد يقلب هذا إذا قصد المبالغة ، واستشهد له بقول محمد بـــن وهيب :-

---

(١) المفتاح ص ١٤٦

(٢) انظر الايضاح ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

(٣) المطول ص ٣٣٤

وبدا الصباح كأنّ غرّتـــــه ° وجه الخليفة حين يمتـــــدح

فإنّه أوهم أن وجه الخليفة فى الوضوح أتمّ من الصباح وقوله حين يمتدح تتميم ، واستشهـــد أيضاً بقول البحترى :-

فى طلعة البدر شيء من محاسنهـــا وللقضيب نصيب من تثنّيهـــــا

فقد جرت العادة أن يشبّه حسن الطلعة بالبدر ، والقدّ بالقضيب فعكس هنا تفضيلاً لحســن الطلعة على البدر ، والقدّ على القضيب ، وفى قوله شيء ونصيب تتميم يختلف عن التتميم فى البيت السابق فى قوله حين يمتدح . (١)

أمّا الشارح فبيّن وجه تسمية التشبيه إذا كان الغرض فيه عائداً إلى المشبّه به وجه تسميتـــه بالطرد والعكـــس فذكر أنّ المقصود بالطرد والعكس اللغوى وليس الاصطلاحى فإنّ المبالغـــة فى المشبه فى قولك مثلاً زيد كالأسد تطرد فى عكس التشبيه أيضاً ، فغرض المبالغة يعود إلـــى المشبّه طرداً لكن عند عكس التشبيه ففى قولك الأسد كزيد كان أبلغ من الأول ففى قولك مثـــلاً زيد كالأسد ، وقولك الأسد كزيد الغرض من التشبيه وهو المبالغة عائد إلى المشبه ومطرد فيه لكـــن الثانى أبلغ فى وصف المبالغة من الأول . (٢)

كما بيّن الشارح الفرق بين التتميم فى البيت الأول فى قوله ((حين يمتدح)) وبيّن قولـــــه فى البيت الثانى ((شيء من محاسنها)) وقوله ((نصيب من تثنيها)) الذى أشار إليه الطيبـــــى فذكر أنّ التتميم فى البيت الأول فى قوله ((حين يمتدح)) كالشرط للتشبيه فهو أدنى من المبالغة فى البيت الثانى فى قوله شيء ونصيب حيث أنقص من حق الأصل ، ويمكن أن يقال إن البيـــت الأول أكمل لأنّه أفاد بمنطوق التشبيه ، وبمفهوم الظرف فى قوله حين يمتدح أنّ للممدوح حالتيـــن حالة الندى والعطاء بسبب المدح فيتهلّل أسارير وجهه تهلّل تباشير الصبح بل أزيد ، وأكمل وحالة الوغى فيقطّب وجهه تقطيب الأسد الباسل على طريقة قول الشاعر :

تبسّم وقطوب فى نـــــــدى ووغـــى

وقول الشاعر :-

قسمت هموم الدهر بأساً ونائلاً فمالك موتور وسيفك واتـــــــــر

كما ذكر أنّ من التتميم الذى يرد فى التشبيه قول أبى الطيب

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنـــا إلّا بوجه ليس فيه حيـــــــاء

°

(١) (٢) انظر الحدائق ص ٨٣٤ ، ٨٣٥

فإنّ العادة جرت أن تشبّه الحسان بالشموس والبدور لكن إذا أريد المبالغة أكثر عكس التشبيه ، والمتنبي لم يكتف في وصفه للحسناء بهذه المرتبة بل اعتبر أنّ الشمس إذا لاقت المحبوبة بالنظار تعدّ مسلوبة الحياء كأنّه يقول إن الشمس بملاقاتها بوجهها وجه المحبوبة تتكلّف بانتساب نفسها إليه تشبهاً به .[1]

هذا ملخص ماذكره الشارح ، ولعلّ جهده قد تميّز بموازنته بين بيت محمد بن وهيب ، وبيت البحتري من جهة ما اشتمل كل واحد منهما من تتميم أو قيد ، في قوله ((حين يمتدح)) في البيت الأول ، وفي قوله ((شيء)) و ((نصيب)) في البيت الثاني مما ارتفع بمرتبة التشبيه فيهما بالإضافة إلى ماأفاده عكس التشبيه فيهما من المبالغة ، هذا وقدتبين أن الامام عبدالقاهر[2] ذكر البيت الأول شاهداً على عكس التشبيه بجعل الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً بقصد المبالغة في الوصف ، وتبعه الخطيب[3] حتى في تعليقه لكني لم أتبيّن مثل هذه الموازنة بين البيت الأول والثاني عندهما ، وهذا جهد يحسب للشارح ، أمّا مايتعلق ببيت المتنبي فقد ذكره الامام عبدالقاهر[4] شاهداً على أنّه قد يتصرف في التشبيه القريب المبتذل بما يخرجه إلى البعيد الغريب ، وتبعه الخطيب[5] ، وقد تميّز جهد الشارح في البيت ببيان وجه غرابة التشبيه فيه وهذا مسبب عن عكس التشبيه ، وبجعل الشمس سلوبة الحياء ، أمّا تعليق الامام[6] على البيت فتعليق عام يشمل بيت المتنبي ، وأبيات أخرى أوردها لنفس الغرض ، وتعليق الخطيب محل حيث قال :-

((فإنّ تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ..... لكن حديث الحياء ..... أخرجه من الابتذال إلى الغرابة)) .[7]

وهذا يميز جهد الشارح كما ذكرت في بيان وجه غرابة التشبيه في البيت .

التشبيه بين الحسن والقبح والقبول والرد :-

اعتبر الطيبي الأحوال أحد المباحث الخمسة التي تقوم عليها مباحث التشبيه ، أي أنّه من المباحث

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٣٥ ، ٨٣٦

(٢) انظر أسرار البلاغة ص ٢٠٥

(٣) انظر الايضاح ص ٢٤٠

(٤) انظر أسرار البلاغة ص ٣١٥ ، ٣١٦

(٥) انظر الايضاح ص ٢٦١

(٦) انظر أسرار البلاغة ص ٣١٥ ـ ٣١٧

(٧) الايضاح ص ٢٦١

الأساسية من مباحث التشبيه وهو في ذلك يتبع السكاكي [1] الذي اعتبر الأحوال أحد المباحث الأربعة التي يقوم عليها مباحث التشبيه .

أما الخطيب [2] فأطلق عليه التشبيه القريب المبتذل والتشبيه البعيد الغريب وهو أحد أقسام الوجه فإنه قسّم التشبيه باعتبار الوجه إلى ثلاثة أقسام تشبيه تمثيل وغير تمثيل ، وتشبيه مجمل ومفصّل ، وتشبيه قريب وبعيد فهو لم يعتبر مبحث الأحوال من الأسس التي يقوم عليها مباحث التشبيه فان المباحث الأساسية التي يقوم عليها مباحث التشبيه عنده أربعة وهي الطرفان ، والغرض، والوجه، والأداة أي قسّم مباحث التشبيه بحسب أركانه .

ذكر الطيبي أن الأحوال كيفيات يحصل بها حسن التشبيه وقبحه ، وقبوله وردّه ، وأحوال الحسن على وجوه منها :-

أن يكون التشبيه تفصيلياً لأنّ المجمل أسبق إلى النفس، والشيء بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب ، وهو إما تمثيلي وشاهده قوله تعالى :- ((إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً ونهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس)) [3].

فالآية اشتملت على تسع جمل متداخلة حيث شبهت حال الدنيا العجيبة في سرعة زوال نعيمها بماء نزل من السماء فاخضرّت الأرض وأنبتت ، وتزيّنت بزخرفها وصارت كعروس لبست أجمل ثيابها فعند ذلك اغترّ أهلها بها ، وظنوا أنهم تمكنوا منها وسلمت لهم عندما ظنوا ذلك جاءهم بأس الله فصارت من سوء الحال كأنها لم تكن على تلك الحال الجميلة السابقة [4].

أما الشارح فإنه تأمّل في قوله ((فاختلط به نبات الأرض)) فذكر أنّ المراد به تجمّع في النبات الماء ، ويشهد لصحّة هذا التفسير قولُ الزمخشري أنّ كلّ مختلطين موصوف بصفة صاحبه لكن صاحب الفرائد يرى التوقّف عند اللفظ كما ذكره الله تعالى فإنّ النبات هو المختلط ، والفعل من جهته إذ هو الجاذب للماء ولا فعل من جهة الماء ، رد الشارح عليه بأنّ الماء أيضاً له فعل إذ هو الذي يسري في النامي بل هو السبب الأول في الاختلاط وهو المهيئ للنبات الجذب فانك إذا أتيت بإناء فيه ماء وبخيط من الصوف مبلل، ووضعت أحد طرفيه في الإناء والآخر خارجه رأيت الخيط

---

(١) انظر المفتاح ص ١٤٩ - ١٥١

(٢) انظر الايضاح ص ٢٥٢ - ٢٦٢

(٣) من الآية ٢٤ من سورة يونس .

(٤) انظر الحدائق ص ٨٤٣ ، ٨٤٥

من الصوف يمتشى الماء من الاناء حتى يفرغ وإذا لم تبله لم يكن كذلك ، أما فى الآية فإن ذكر الماء جاء ضمن وصف الحال المشاهدة الذى يستدعيه ضرب المثل من تزيين الأرض بالأزهار ، فالغرض المسوق له النبات لا الماء ، وذكر الماء جاء لبيان القدرة الباهرة وهو السبب الأول فى الانبات ، كما ذكر أن من فى قوله ((مما يأكل الناس)) بيان للنبات ومامع صلته كناية عن النبات الذى يتولاه الانسان بالحرث والزراعة ، والذى يدل على تخصيص النبات بالانسان قوله ((ظن أهلها أنهم قادرون عليها)) أى متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها ، وفائدة هذا الاختصاص فى المملوكية أن الانسان يزاول النبات الذى له مزيد رواء وبهجة على سائر النبات فإذا زال وهلك تحسر وتلهف .

كما ذكر أن معنى قوله ((أتاها أمرنا)) أى ضرب زرعها ببعض الآفات وقد توقف الشارح عند عبارة أستاذه ((عندما تزينت الأرض بزخرفها أصبحت مثل عروس)) ذكر أن فى هذا الكلام اشارة إلى أن قوله ((أخذت الأرض زخرفها)) استعارة مكنية حيث شبهت الأرض بالثياب النفيسة والحلى الفاخرة ، كما ذكر أن قوله ((كأن لم تغن بالأمس)) أى كأن لم تقم وهو عبارة عن محو الآثار وأمس عبارة عن الزمان الماضى [1] .

هذا مجمل ماذكره الشارح حول الآية ، وقد تبين لى أن الامام عبد القاهر أورد الآية عندما ذكر أن الأولى بمسمى التمثيل ، ماتجده لا يحصل إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر ، وذكر فى تعليقه على الآية أنها تضمنت عشر جمل دخل بعضها فى بعض حتى صارت كأنها جملة واحدة ، والوجه منتزع من كل تلك الجمل فإذا لم تعتبر جملة فى التشبيه أدى ذلك إلى الاخلال بالغرض من التشبيه ، وليس معنى تعدد الجمل تعدد التشبيهات ، وإنما ركبت بعضها مع بعض ونسقت تنسيقا محسوباً حتى لا يقدم أحدها على الآخر ورتبت ترتيبا مخصوصا لتكون صورة تشبيهية واحدة فترتيب الجمل فى الآية لا يمكن فكه بخلاف ترتيب الجمل فى قول الشاعر مثلاً :-

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم

فإنه لولا المحافظة على نظام الشعر لأمكن فك الجمل ، واعتبر كل واحد منها تشبيهاً مستقلاً [2] ، وقد تبع الامام فيما ذكره الخطيب الذى أورد الآية شاهداً على أنه كلما ازداد التركيب فى التشبيه كان أبعد وأغرب ، ولم يخرج فى تعليقه على الآية عما ذكره الامام ، فقد قال - أى الخطيب - ((فإنها عشر جمل إذا فصلت وهى وإن دخل بعضها فى بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة. فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة ، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٤٣ ، ٨٤٥

(٢) انظر أسرار البلاغة ص ٩٦ ، ٩٧

أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالمغزى من التشبيه)) .[1]

من خلال هذا يظهر لنا أنّه بينما بيّن الامام عبد القاهر وتبعاً له الخطيب وجه البعد ، والغرابة في التشبيه في الآية من جهة تركيب الجمل فيها بعضها على بعض نجد الطيبي قد بين المشبه والمشبه به في الآية ، أمّا الشارح فعرض لجوانب في شرح الآية لم يشر إليها أولئك وهي بمثابة تأملات تبرز جهده كما سبق شرحه .

كما ذكر الطيبي أنّ من التشبيه الذي يكثر فيه التفصيل فيكون حسناً المركب الحسي واستشهد له بقول الشاعر :-

كأنّ دموعا قصرت عن مسيلها ... حذار الأعادي في جفون الجآذر

بقايا رشاش فوق أحداق نرجس ... تحملنه من صائبات البواكر

فان فطنوا غيضنها في جفونها ... وإن غفلوا رقرقنها في المحاجر[2]

أمّا الشارح فإنّه وضح المفردات الغريبة التي تضمنتها الأبيات فذكر أنّ الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشيّة ، الرشاش ماترشّش من الدمع وغيره ، غيّضنها أي نقص دموعهنّ ، ورقّلن رقرقتها أجرينها ، محاجرهن جمع محجر وهو ما يبدو من النقاب ، كما بيّن التشبيه الذي اشتملت عليه الأبيات ، فذكر أنّ الشاعر شبّه دموع العذارى ، ومسارقتهن نظر الرقباء ، فإذا غفلوا عنهنّ تركن الدموع وإذا فطنوا إليهن أمسكن دموعهن خشية أن يفتضح أمرهنّ فيلومهنّ شبّه ذلك برشاش من الطلّ على صفحات النرجس يجتمع قليلاً قليلاً ثم ينسكب زماناً بعد زمان .

وقال في اعجابه بالتشبيه الذي تضمنته الأبيات :- ((فأعرفه فإنّه لطيف جدّاً)) كما ذكر أن في قوله تحمّلنه اشارة إلى ضعفهن فإنهنّ قد تحمّلن هذه القطرات بكلفة ، وهذا معتبر في المشبّه فإن العذارى يتحمّلن الدموع بكلفة[3] ، هذا مجمل ماذكره في تعليقه على الأبيات فلعلّه قد أجاد وأحسن بشرحه للمفردات الغريبة أولاً لأنها المرحلة الأولى لفهم النص ، وقد تركّز شرحه على موضع الاستشهاد فبيّن المشبه والمشبه به في الأبيات بل إنه لم يخف اعجابه بالصورة التشبيهيّة التي تضمنتها الأبيات إذ يدل على ذوقه الرفيع وحسّه المرهف في تلمّس مواطن الجمال في النصوص التي يشرحها ، كما استشهد الطيبي للتشبيه الذي يكثر فيه التفصيل وهو من أحوال حسن التشبيه ، وذلك اذا كان مركّباً حسّياً استشهد بقول أحمد بن الحجاج :-

---

(١) الايضاح ص ٢٥٤

(٢) انظر الحدائق ص ٨٤٧

(٣) انظر الحدائق ص ٨٤٧ ، ٨٤٨

يا صاحبيّ تنبّها من رقـــــدة ... تزرى على عقل اللبيب الأكيـــس

هذى المجرّة فى السماء كأنّهـا ... نهر تدفّق فى حديقة نرجـــس (١)

أمّا الشارح فذكر أنّ تزرى معناها تحتقر ، وتعيب ، وبيّن التشبيه الذى اشتمل عليه الشاهـــد فذكر أنّ الشاعر شبّه الكواكب الموزّعة فى السماء مثل غيم رقيق بنهر تدفّق فى حديقة نرجس وجـــه الشبه تلؤلؤ أشياء مشرقة منثورة فى مثل رقراق سراب، ومعنى البيت مقتبس من قوله تعالـــى : ((إنّ فى خلق السموات والأرض)) (٢) ، الآيات ، وذكر أن قوله هذى المجرة استئناف كأنّـــه لمّا قال لهما تدبّرا وتفكّرا واستيقظا من غفلتكما ، توجّها له بالسؤال مابالك تزرى علينا وتعيبنا ؟ فأجابهما هذى المجرة ..... (٣)

فالشارح بالاضافة إلى أنّه أحسن فى بيان التشبيه الذى اشتمل عليه البيتان ذكر بعض اللفتـــات البلاغيّة كالاقتباس والاستئناف ، وهذا جهد حسن من الشارح ومتميّز كما يظهر .

كما ذكر الطيبى أنّ التركيب كلّما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل فى الحسن لذلك فضل بيت بشّار:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنـــــا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــــه

على بيت أبى الطيب

يزور الأعادى فى سماء عجاجـــة ... أسنته فى جانبيها الكواكـــب

وعلى بيت كلثوم بن عمرو العتابى :-

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهـــم ... سقفاً كواكبه البيض المباتيـــر

ووجه تفضيل بيت بشّار على الآخرين وإن روعى التفصيل فيهما أنّ بشاراً شبّه هيئة استطالـــة السيوف حين تعلو ، وتهبط عند اختلاف الأيدى بها ، ولها فى التهادى تواقع ، وتدافـــع بهيئة الشهب الثاقبة ، وحركاتها المخصوصة وتحتمل الأبيات الترقى ثمّ التدلى . (٤)

أمّا الشارح فذكر أنّ بشّاراً شبّه الغبار الذى يعلو رؤوس المقاتلين المنبعث من حوافـــر الخيل واشراق أسنّة الرماح بســـماء تلوح الكواكب فى جانبيها ، وعلى هذا قول الآخريـــن لكنّهما لم يراعيا حركة الأسنّة أو السيوف خلال ذلك الغبار بخلاف بشّار فإنّه بقوله ((تهاوى)) راعى ذلك المعنى حيث شبّه الغبار بالليل ، والأسياف بالكواكب وحركاتها بحركات الشهب لكن يمكـــن

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٤٨

(٢) من الآية ١٩٠ من سورة آل عمران .

(٣) انظر الحدائق ص ٨٤٨

(٤) انظر الحدائق ص ٨٥١ ، ٨٥٣

أن يقال إنّ بيت المتنبى يفضّل على بيت بشار على اعتبار أنّ المتنبى نظر إلى الأسنّة فى جانبيها شرقيّها ، وغربيّها ، ثم إلى خروجها من عندهم ، وطلوعها وغروبها عند أعدائهم بالاضافة إلى أنّ لها بعد أن تأفل وتغيب فلول وقطع بدليل البيت الذى بعده :-

فتسفر عنه السيوف كأنما ... مضاربها مما انفللن ضرائب

فالضمير فى ((تسفر)) يعود إلى سماء عجاجة ، والضمير فى ((عنه)) إلى الممدوح أى تنكشف وتنجلى هذه السماء من العجاجة عن سيوف انفلّت أى ثلمت ، وذهب حدّها لدرجة كأنّها ضُربت ولم يضرب بها بالاضافة إلى أنّه أى المتنبي زاد على بشار معنى النصر ، وقهر الأعداء فقد أخرج هذا المعنى على سبيل الاستعارة التبعية التهكميّة فى قوله ((يزور)) وقرينتها الأعادى ، وفى قوله ((فى سماء عجاجة)) وهى أيضاً استعارة تحقيقيّة أصلية ، وترشيحها بالكواكب التى شبّهت الأسنة بها ، وهى تجريد لها فبهذه الاعتبارات يمكن تفضيل بيت المتنبى على بيت بشّار .

أمّا بيت كلثوم بن عمرو العتابى فإنّه فاق بيت بشّار والمتنبي لأنّه ألمح إلى أنّ ماتحت سنابك خيولهم ، وأسفلها من الأرض انقلع وانتزع ، وصار بمنزلة سماء مبنيّة فإنّه استعار السقف للسماء بعد أن استعارها للغبار المتطاير من تحت حوافر الخيل ، وفى هذا مزيد للتصوير ، وفى البيت مايدلّ على سبيل الادعاء أنّه نقص من طبقات الأرض طبقة وزاد فى طبقات السماء طبقة إلى جانب ذلك راعى الشاعر فى البيت معنى اللون فى قوله البيض والحركات عندما سمّى السيوف بالمباتير ، ومن المعروف أنّ تخصيص الشيء بالوصف يلزم تصوّر الصفة ، وفى قوله المباتير يلزم تصوّر التضارب ، والتقاطع ، ويلزم من ذلك الحركات من التهاوى والارتفاع ، وكلّ هذه الخصائص مفقودة فى بيت المتنبي فضلاً عن بيت بشار .

كما ذكر أنّ الفرق بين قول المتنبي أسنته الكواكب ، وقول العتّابى كواكبه البيض مع أنّ كليهما تشبيه بحذف الأداة لكنّ العتابى قدّم المشبّه به على المشبه فإمّا أن نقدر الكاف فيكون التقدير كواكبه كالبيض ، ويكون من قلب التشبيه وجعل الفرع أصلاً ، وإمّا أن يقدّر المبتدأ ويكون التقدير كواكبه البيض المباتير كواكبه فحينئذ يفيد الاختصاص .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح فى موازنته بين الأبيات الثلاثة ، وقد تبيّن لى أنّ الامام عبد القاهر ذكر الأبيات الثلاثة وفضّل بيت بشار على بيت أبى الطيب وبيت العتابى لأنّه أكثر

---

(١) انظر الحدائق : ص ٨٥١ ، ٨٥٣

تفصيلاً، وذكر أنّ الثلاثة، وإن اشتركوا فى تشبيه لمعان السيوف فى الغبار بلمعان النجوم فى الليل لكنّ بشاراً زاد عليهما حين راعى حركة السيوف وهيئتها ، وقد سلّت من أغمادها ، وهى ترتفع ، وتنخفض، وحركتها عند احتدام المعركة تكون فى جميع الجهات وقد عبّر بشار عن هذا بجملة واحدة وهى قوله ((تهاوى)) وهذه الزيادة فى التفصيل لا تجده عند أبى الطيب والعتابى .(١)

وقد تبع الامام فيما ذكره الخطيب (٢) بل إنه اعتمد بعض عباراته ، ولعلّ الفرق بين ماذكره الخطيب ، وماذكره الطيبى مع أن كليهما سار مع الامام أنّ الخطايب التزم عبارة الامام فى بعض المواضع بينما الطيبى تميز عنه أنّه صاغ ماذكره الامام فى عبارة موجزة أى أنه تأثر بما قاله الامام فى المعنى .

وقد اعتمد السعد (٣) فى شرحه لبيت بشّار على ماذكره الامام فى أسرار البلاغة، ونصّ على ذلك .

هذا وقد ظهر لى بعد كل هذا أنّ الشارح لم يخالف هؤلاء جميعا ولم يشذّ عنهم فى الرأى فى تفضيلهم بيت بشّار ، لأنّ الشارح لم يقطع بتفضيل بيت أبى الطيب على بيت بشار ، بل ذكر أنّه يمكن تفضيل بيت أبى الطيب على أن ماذكره الامام فى تفضيل بيت بشار على بيت المتنبى وبيت العتابى هو الأظهر ، وهو الذى سار عليه معظم البلاغيين منهم الخطايب ، والطيبى والسعد ، لكن ما أورده الشارح من خصائص وميزات فى وجه تفضيله بيت أبى الطيب قويّة أيضاً ويشهد على ذوقه الرفيع أمّا تفضيله بيت العتابى على بيت بشار وبيت أبى الطيب فضعيف لأنّه تكلّف تأويل البيت حتى يثبت أنه راعى الحركة فمن خلال ماسبق تبرز شخصية الشارح بشكل واضح ، ويتجلّى جهده ، وذلك فى تعليله لما يختاره معتمداً على ذوقه فى التحليل والموازنة ناظراً إلى البيت الذى قبل بيت الشاهد ، وارتباطه به كما فعل فى بيت أبى الطيب كما ذكر الطيبى من وجوه حسن التشبيه كونه بعيد المتناول لا يدرك من أول وهلة لأنّ المعانى الغائقة لابدّ فيها من بناء ثان على أول ، ومن شواهده التى ذكرها قول الصنوبرى :-

كأنّ على غدرانها حواجبا ظلت تمد

أراد أنّ ما يبدو على صفحة الماء من أنصاف الدوائر ثم تتمدّد حتى تصير مستوية تشبه الحواجب عند ما تمد ماينقص من تقويسها .(٤)

---

(١) انظر أسرار البلاغة ص ١٥٩ - ١٦١

(٢) انظر الايضاح ص ٢٥٨

(٣) انظر المطول ص ٣٢٣ ، ٣٢٤

(٤) انظر الحدائق ص ٨٥٩

أمّا الشارح فذكر تأييداً لأستاذه من أنّه لابدّ في المعاني الفائقة من بناء ثان على أول ذكر قول صاحب اللمع في صناعة الشعر الذي ذكر أنّ استخراج المعنى لا يقتصر على أول ما يرد في الخاطر ، وسرعان الهاجس بل لابدّ من التعمق ، والسبر ، والاستقصاء حتّى يصل إلى المعاني الفائقة ، وهذا كتاب الله النور الساطع والضياء الباهر اللامع كلّ يعرف ذلك لكنّ الشأن والقيمة فيمن يصل إلى سرّ اعجازه كذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ من البيان لسحرا ، وإنّ من الشعر لحكمة فمن يصل إلى السحر والحكمة من أول وهلة .

أمّا ما يتعلّق ببيت الشاهد فبيّن معنى الغدران بأنّه جمع غدير وهي القطعة من الماء يغادرها السيل [1] ، وقال الشارح في توضيح الصورة البيانية التي اشتمل عليها البيت نصّاً :- ((فإن قلت شبّه التقوس الذي على الماء بالحاجب ، وهو ليس بمذكور هل تسمى هذه استعارة ؟ ، قلت : نعم وسبيله سبيل قوله كأن على أنيابها الخمر شجها كما سبق شبّه التموّج المستعلي على ماء الغدير المتشكّل بشكل القوس بسبب هبوب النسيم بالحواجب ، ثم حذف المشبه ، وأقيم المشبه به مقامه)) [2] ، فالشارح اعتبر البيت من الاستعارة فلعلّ هذا وهم منه لأنّ الاستعارة بوجه عام لا تذكر فيها أداة التشبيه وفي البيت نجد أداة التشبيه صريحة ، وهي كأن إذ لا يجتمع ادعاء المبالغة في الاستعارة واعتبار المشبه فرداً من أفراد المشبه به ، وداخلا في جنسه في الاستعارة التصريحية لا يجتمع هذا مع ايراد أداة التشبيه ، لأنّ إيراد أداة التشبيه لفظاً ، أو تقديراً يبقي المشبه مشبهاً كما هو والمشبّه به مشبّهاً به كما هو فأنى يلتقيان على الرغم من أنّ الاستعارة مبنيّة على التشبيه لكنها أي الاستعارة تفترق عنه في مراحل تالية من اجراء الاستعارة ، فبناء البيت يعدّ من باب التشبيه ، ويقدر له المشبه والمقدّر كالمذكور ، هذا ويشهد لكون البيت من باب التشبيه أنّ الامام عبدالقاهر أورد البيت شاهداً على التشبيه الذي ازداد دقّة ، وسحراً كونه وقع في الهيئات التي تقع عليها الحركات واقترن معه وصف من الأوصاف وهو الشكل يقول الامام في هذا :- ((واعلم أنّ مما يزداد به التشبيه دقّة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها .....

ومن عجيب ما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول الصنوبري :-

كأن في غدرانها حواجباً ظلّت تمط

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كانصاف دوائر صغار ثمّ إنّك تراها تمتدّ امتداداً ينقص

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٥٩

(٢) الحدائق ص ٨٥٩

من انحنائها ، وتحدّبها كما تباعد بين طرفي القوس وتثنيهما إلى ناحية الظهر كأنّك تقربهما من الاستواء وتسلبها بعض شكل التقوس الذي هو اقبال أحد طرفيها على الآخر ، ومتى حدثت هذه الصفة في تلك الأشكال الظاهرة على متون الغدران كانت أشبه شيء بالحواجب إذا مُدّت لأنّ الحاجب لا يخفى تقويسه ومدّه ينقص من تقويسه)) [1] ، فكلام الامام نصّ صريح في اعتبار البيت من باب التشبيه ، وليس فيه أيّ اشارة تجيز حمله على الاستعارة كما يشهد لكون البيت من باب التشبيه أنّ الخطيب [2] أورد البيت شاهداً على بديع المركب الحسي الذي يقع في هيئة الحركات مقترناً بها بعض الأوصاف وقد اعتمد في تعليقه على البيت بعض عبارات الامام ، فالخطيب تبع الامام ليس في وجه الاستشهاد بالبيت فقط بل نقل بعض عباراته في تعليقه ، ومن هذا يتّضح لنا أنّ الامام عبد القاهر والخطيب والطيبي الذي تأثر بالامام كلهم رحمهم الله تعالى اعتبروا البيت من باب التشبيه أما الشارح فاعتبره من باب الاستعارة ، وهذا وهم منه كما ذكرت .

ذكر الطيبي أنّه إذا علمت أحوال الحسن في التشبيه علمت أحوال القبح فيه بالتقابل ، أمّا أحوال القبول فيه فهي أن يكون التشبيه وافياً بافادة الأغراض التي سبق ذكرها فإذا قصد بيان حال المشبه لزم أن يكون المشبه به أعرف بالوجه ، وإذا قصد بيان مقداره لزم أن يكون العلم بالمشبه به مساوياً للعلم بالمشبه ، أمّا إذا قصد الحاق الناقص بالكامل ، أو زيادة التقرير لزم كون المشبه به أتمّ معنى فيه ، أمّا إذا قصد بيان إمكان وجود المشبه لزم كون الحكم مسلّماً في المشبه به ، وإذا قصد إلى غرابة التشبيه لزم كون المشبّه به نادر الحضور ، والتشبيه المردود اذا جاء على خلاف هذا . [3]

تحوّل التشبيه من القريب المبتذل إلى البعيد الغريب :-

ذكر الطيبي أنّه قد يتصرّف في التشبيه غير الحسن بما يخرجه إلى الحسن ، وهذا التصرف إمّا بكثرة القيود ، أو بالشروط ، أو بعكس التشبيه ، أو بالجمع بين عدة تشبيهات .

وقد استشهد الطيبي للتشبيه الذي أخرجه الشرط من القريب المبتذل إلى البعيد الغريب بقول بديع الزمان :-

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا [4]

---

(١) اسرار البلاغة ص ١٦٤ - ١٦٦

(٢) انظر الايضاح ص ٢٢٩

(٣) انظر الحدائق ص ٨٦٧ ، ٨٦٨

(٤) انظر الحدائق ص ٨٧١

أمّا الشارح فذكر أنّ المحيّا بمعنى الوجه وطليقه ، وطليقه بسطه كما ذكر أعراب بعض التراكيب في البيتين فذكر أن طلق خبر كان، واسمه ضمير يرجع إلى صوب الغيث ، ويمطر الذهبا خبر بعد خبر ، ومعنى البيتين أنّ الشاعر يصف ممدوحه ، ويقول عنه كاد يشبهك الغيث لكن بشرط أن لا يكون عبوساً بل طليقاً وأن يمطر الذهب بدل الماء ، وذكر الشارح أنّ في معنى البيتين قول القائل وهو الرواء الدمشقي :-

من قاسى جدواك بالغمام فما ... أنصف في الحكم بين شكلين

أنت إذا جدت ضاحك أبدا ... وهو إذا جاد دامع العين (١)

هذا مجمل ماذكره الشارح ، وقد ذكر الخطيب (٢) بيتي الشاهد للإستشهاد على أن هذه الشروط تخرج التشبيه من الابتذال إلى الغرابة ، ولكنّه لم يعلّق بشيء ، وهذا يبرز جهد الشارح في توضيح وجه الغرابة في البيتين ، وبيان معنييهما وإيراد ما يناظرهما في المعنى .

أدوات التشبيه :-

ذكر الطيبي أنّ الأداة هي مايتوسّل بها إلى وصف المشبه بمشاركة المشبه به في الوجه، وهي الكاف ، وكأنّ ، ومثل ، وشبه ، وما في معناهما كحكى ونحو واخ . (٣)

أمّا الشارح فذكر أنّ حكى بمعنى شابه وواخ أي مثل، وشبه (٤) كما بيّن الفرق بين قولك مثلاً زيد كالأسد ، وقولك كأنّ زيداً الأسد ، وقولك إن زيداً كالأسد ، فذكر أنّ قولك زيد كالأسد يدلّ على أن المشبه دون المشبه به في التماثل أمّا قولك كأنّ زيداً الأسد دل على أن المشبه عين المشبّه به ادعاء لأن أنّ للتحقيق ، والكاف للتشبيه فأفاد التحقيق في التشبيه وتخيّل كأن بأنّها تستعمل في مقام يشاهد فيها جرأة زيد أو يتصوّر تلك الحالة التي تشجّع فيها كأنّها مشاهدة محسوسة وإذا قدّمت الأداة ،وقلت كأنّ زيداً أسد كان القصد الأولى إلى التشبيه ويليه التحقيق أي أنّ تحقق حمل الأسديّة على زيد إنّما هو بطريق التشبيه لا بغيرها أمّا قولك إنّ زيداً كالأسد فبالعكس فإنّ القصد الأولى فيه التحقيق بإن ، ويليه قصد التشبيه بالكاف أي أنّه تحقيق لاثبات الحاق الناقص بالكامل . (٥)

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٧١ ، ٨٧٢

(٢) انظر الايضاح ص ٢٦٢

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٨٧٥

(٥) انظر الحدائق ص ٨٧٧ .

هذا مجمل ماذكره الشارح في تفريقه بين الأمثلة السابقة ولعلّه بيان حسن وإن كان قد نصّ على أن ماذكره وهو معنى ماقاله الزمخشري في المفصّل لكن الشارح أحسن تفصيله، وبيانه بالاضافة إلى مادلّ عليه من أمانة علميّة .

كما ذكر الطيبي أنّ قولك علمت زيداً أسداً أن علم نفسها في المثال لا تنبئ عن التشبيه إنّما الذي ينبئ عن التشبيه تقدير حذف الأداة لعدم استقامة المعنى بدون هذا التقدير كالتقدير في قولك، زيد أسد ، وأنّه أسد قال أبو العلاء :-

وُدّاً خلت أنجمه عليه ... فهلّا خلتهن به ذُبالا

وقلت الشمس في البيداء تبر ... ومثلك من تخيّل ثم خالا

وفي ذوب اللجين طمعت لمّا ... رأيت سرابها يغشى الرمالا (١)

أمّا الشارح فذكر أنّ شيخه قصد بكلامه الردّ على الخطيب الذي ذكر أنّ علم تنبئ عن التشبيه ، وبيّن كلام شيخه بأنّ علم وظن تفيد لقولك زيد أسد ، وبيان أنّ مضمونه حاصل عن علم أو ظن فإذن لا مدخل له بالتشبيه ، وأيضاً إذا قلنا إنّها تنبئ عن التشبيه يكون قولنا علمت زيداً قائماً تشبيه ، وهذا لم يقل به أحد .

هذا مجمل ماردّ به الشارح على الخطيب (٢) ، وهو اعتراض قوي يشهد لذلك أنّ السعد ذكر مضمونه، وحرّر عبارة الخطيب التي ذكرها في التلخيص فقد قال السعد :- ((وقد يذكر فعل ينبئ عنه أي عن التشبيه كما في علمت زيداً أسداً إن قرب التشبيه ، وأريد به أنه مشابه للأسد مشابهةً قويّة لما في علمت من الدلالة على تحقق التشبيه ، وتيقّنه ، وكما في حسبت ، أوظننت ، أوخلت زيداً أسداً ، إن بعد التشبيه أدنى تبعيد لما في الحسبان من الدلالة على الظن دون التحقيق ففيه اشعار بأنّ تشبيهه بالأسد ليس بحيث يتيقّن بأنّه هو هو بل يظنّ ذلك ويتخيّل وفي كون هذا الفعل منبئا عن التشبيه نظر للقطع بأنّه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك وإنّما يدلّ عليه علمنا بأنّ أسداً لا يمكن حمله على زيد تحقيقاً ، وأنّه إنّما يكون على تقدير أداة التشبيه سواء ذكر الفعل، أولم يذكر كما في قولنا زيد أسد، ولو قيل إنّه ينبئ عن حال التشبيه من القرب والبعد لكان أسلوب)) (٤) ، فالسعد اعتبر أنّ كلام الخطيب فيه نظر وحرّر عبارته .

أمّا ما يتعلق بأبيات المعرّي فذكر الشارح مستهلّ القصيدة التي منها الأبيات وهي :-

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٧٧ ، ٨٧٨

(٢) انظر الايضاح ص ٢٣٦

(٣) انظر الحدائق ص ٨٧٧ ، ٨٧٨

(٤) المطول ص ٣٣٠

أعن وخد القـــــلاص كشفت حالا ومن عند الظلام طلبت مـــــــالا

وبيّن بعض المفردات الغريبة فى الأبيات فذكر أنّ الذبال جمع ذبالة وهى الفتيلة المشتعلـــة خلتهنّ أى زعمتهن، وقوله تخيّل ثمّ خالا أى اجتلب الظن وتكلّفه ثمّ أوقعه فى صدره ، كما ذكـــر اعراب بعض التراكيب فذكر أنّ الضمير المجرور فى أنجمه، وعليه راجع إلى الظلام ، والشمس مبتدأ، وتبر خبره، والظرف فى قوله ((فى البيداء)) حال ، والعامل فيه معنى التشبيه ويجوز أن يكون خبـــراً بعد الخبر وهو ((الشمس)) والمبتدأ الضمير، والتقدير، وقلت هى الشمس فى البيداء ويكـــــون تبرٌ فاعل لاعتماده على المبتدأ ثمّ بيّن الشارح التشبيهات التى اشتملت عليها الأبيات فذكر أنّ الأبيات اشتملت على أربع تشبيهات : الأول شبّه النجم بالدرّ فى الاستدارة والاشراق وكونه معتدّاً ، الثانى شبهه بالذبالة أى الفتيلة المشتعلة فى الحقارة وعدم الاعتداد بها، وشبّه اشراق الشمس فـــى الأرض بالتبر فى اللون هذا التشبيه الثالث أمّا التشبيه الرابع فشبّه السراب بذوب اللجيـــــن فى البياض والاضطراب ، هذا ولمّا كان تشبيه الشمس على الأرض بالتبر من القوة مثل تشبيه الأنجـــم بالدرّ، وتشبيه ذوب اللجين بالسراب لم يقدّم على العامل إذ هو فى مقام تصوّر هذه الأشياء أموالاً ، وتشبيه الشمس على الأرض بالتبر غير ظاهر بخلاف تشبيه الأنجم بالدرّ ، وذوب اللجين بالسراب، وفى قوله ((وقلت الشمس)) أى خلت بدليل قوله ثمّ خالا وقوله ((مثلك)) يقصد به نفسه أى كنايـــة عن ذاته أى كيف من هو مثلك فى رجاحة العقل يتخيّل الشمس تبراً ، كما وضّح الشارح معنى الأبيات بأنّ الشاعر يخاطب نفسه وينكر عليها تحمّل مشاق الأسفار، ومقاساة المتاعب فى سبيل طلـــــب الغنى، والمال معتقدة أنّ الاجتهاد يزيد فى الرزق، ومن فرط حرصك، وطمعك، واجتهادك فى طلب المال تخيّلت الشمس المشرقة على الأرض ذهباً ولمعان السراب على الرمال فضةً كلا اضربى عن هذا فإنّها أطماع كاذبة ، وخيالات وأوهام تجلب الأسقام فإنّ الأرزاق قد كتبت ، وقدرت أزلاً .(1)

هذا مجمل ماذكره حول الأبيات من شرح غريبها ، وبيان التشبيهات التى تضمنتها ، وتوضيـــح معانيها بصفة عامة ، ولعلّ هذه الجهود من أبرز ماتميز الشارح فى كتابه لأنّ أدق الدراســـة البلاغية هى استخراج الصور البيانيّة ، والأساليب البلاغية من خلال دراسة النصوص ، وتحليلهـــا تحليلاً يشهد بالذوق الرفيع ، والتمكن من الفن ، وهذا ماصنعه الشارح وهو فى هذا ينهـــج نهج الامام عبد القاهر فالامام فى دراسته لكثير من الشواهد وتحليلها يصحبه ذوقه الرفيـــــع مع تمكنه من ناصية البلاغة والبيان فرحمهما الله تعالى .

---

(1) انظر الحدائق ص ٨٧٨ ، ٨٧٩

الفصل الثانى : بين الحقيقة والمجاز اللغويين :-

أ - الحقيقة اللغوية وأقسامها :-

ذكر الطيبى أنّ الكلام فى المجاز يقتضى التعرّض للحقيقة وعرّف الحقيقة بقوله :- ((الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل فى اصطلاح التخاطب)) [1] ، وذكر أنّ المقصود بالوضع تعيين الكلمة بازاء معنى بنفسها وبغير تأويل يخرج الاستعارة فإنّها مستعملة فيما وضعت له ادعاء ، واحترز بعبارة اصطلاح التخاطب المجاز الذى هو حقيقة فى وضع واضع كالصلاة مثلاً إذا استعملها فى الدعاء ويندرج فى حدّ الحقيقة المشترك لأنّه إذا أطلق تبادر إلى الفهم كل واحد من المعانى التى هى موضوع لها غير مجموع بينها ، وتقييد المشترك إنّما هو للبيان وازالة الابهام العارض فالمشترك دلالته على معناه بنفسه بخلاف المجاز فإنّ دلالته على معناه المجازى بقرينة ، وليس المراد من وضع كلّ لفظ فهم مدلوله مفصلاً بل قد يكون مجملاً كأسماء الأجناس فقد قال ابن الأثير ان الواضع كما وضع الأسماء المتباينة للبيان وضع الألفاظ المشتركة لتحسين الكلام كما ذكر أن الحقيقة تنقسم إلى أربعة أقسام حقيقة لغوية إذا كان الواضع صاحب اللغة ، وحقيقة شرعية إذا كان الواضع صاحب الشرع وحقيقة اصطلاحية إذا كان الواضع غيرهما ، وحقيقة عرفيّة . [2]

كما ذكر الطيبى أنّ الحقيقة إمّا فعيل بمعنى مفعول بمعنى المثبت وإمّا بمعنى فاعل أى الثابت فالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له إمّا مثبتة أو ثابتة [3] ، هذا مجمل ماذكره الطيبى حول تعريف الحقيقة وأقسامها . أمّا الشارح فكانت له بعض الشروح والتعليقات على ماذكره أستاذه فذكر أنّ التعرض للحقيقة ليس لأنّ المجاز لا يتحقّق بدون الحقيقة بل لأنّ الدلالة الالتزامية وهى التى يبحث فيها المجاز لمّا كانت متفرّعة عن الدلالة الوضعية وجب التعرّض للحقيقة ، وهى التى تبحث فى الدلالة الوضعيّة فالبحث فى الحقيقة عرض ، وأيضاً الحقيقة سواء كان بمعنى المثبتة أو الثابتة فهى لا تستحق اسمها إذا لم تستعمل فى موضوعها كذلك المجاز سمّى بذلك لتجاوزه مكانه الأصلى فهى كالحقيقة فى اقتضاء الوضوع ، فالمجاز فى استعماله لا يتوقف على الحقيقة لكن فى الدراسة الموضوعية ، والنظرية ينبغى الكلام عن الحقيقة أولاً ثمّ الكلام عن المجاز وينبغى على السامع أن يكون عارفاً بما يخاطب به من مصطلحات لغوية أو شرعيّة أو عرفية عامّة أو خاصة متيقظاً لما يلقى إليه وعلى المتكلم إلى جانب علمه بتلك المصطلحات أن يرمز فى كلامه

---

(١) الحدائق ص ٨٩٠

(٢) انظر الحدائق ص ٨٩٠ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣

(٣) انظر الحدائق ص ٨٩٥

ليتنبّه السامع ويعي مايلقى إليه كما ذكر أنّ المشترك كما يراه السكاكي هو مالا يتجاوز معنييه كالقرء غير مجموع بينهما فالقرء يدلّ على الطهر والحيض ، وبهذا المفهوم لا يرد اعتراض الخطيب على السكاكي [1] ، وقد فرّق الشارح بين قرينة المجاز وقرينة المشترك أنّ قرينة المجاز صارفة للفظ عن حقيقته وقرينة المشترك مبيّنة رافعة للإبهام [2] ، كما ذكر الشارح أنّ المقصود بالحقيقة الاصطلاحية أو العرفيّة الخاصّة مصطلحات المحدثين والفقهاء والنحويين ونحوهم إذا اصطلحوا في استعمالهم على لفظ أمّا الحقيقة العرفية العامّة كلفظة الدابّة اصطلح في العرف للحيوان ذوات الأربع وهي في الوضع اللغوي لكلّ مايدبّ على الأرض [3] ، هذا مجمل تعليقات الشارح على ماذكره أستاذه حول تعريف الحقيقة وأقسامها والذي ظهر لي من خلال ماسبق في كلام الطيبي أنّه زاد على تعريف السكاكي للحقيقة عبارة ((في اصطلاح التخاطب)) فقد قال السكاكي في تعريفه للحقيقة ((هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع)) [4] ، لكن اعتراض الخطيب على السكاكي يرد على الطيبي أيضاً في أنّهما زادا في التعريف كلمة ((من غير تأويل)) ليحترز بها عن الاستعارة فإنّها مستعملة فيما وضعت له على أصحّ القولين وكان يغني عن العبارة السابقة لفظه الوضع وما يشتقّ منها فإنّها إذا أطلقت لا يفهم منه الوضع بالتأويل بل يفهم منه الوضع بالتحقيق . [5]

ويمكن أن يردّ على الخطيب في هذا الاعتراض بأن عبارة ((من غير تأويل)) يمكن اعتبارها من باب التتميم والبيان للتعريف لأنّ الخطيب يتفق مع السكاكي في أنّ الاستعارة خارجة عن تعريف الحقيقة إلّا أنّه أي الخطيب يعتبرها خارجة بلفظة وضع وما يشتقّ منها ، أمّا السكاكي وتبعاً له الطيبي فيعتبرها خارجة بلفظة [من غير تأويل] كما تبيّن لي أنّ الطيبي في شرحه وتوضيحه لمفردات التعريف تأثّر بما ذكره السكاكي كلفظة الوضع ولفظة من غير تأويل ،فقد قال السكاكي في توضيحهما ((..... وان الوضع تعيين الكلمة بازاء معنى بنفسها ..... وانما ذكرت هذا القيد [أي من غير تأويل] ليحترز به عن الاستعارة .....)) . [6]

كما اعترض الخطيب على السكاكي في مفهوم المشترك من أنّه إذا أطلق يشمل المعنيين أو المعاني الموضوعة له ، لكن دون الجمع بينها اعترض عليه أنّه لا يسلّم له هذين المعنيين أو المعاني

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٩٠ ، ٨٩٢
(٢) انظر الحدائق ص ٨٩٣
(٣) انظر الحدائق ص ٨٩٣
(٤) المفتاح ص ١٥٢
(٥) انظر الايضاح ص ٣١٢
(٦) المفتاح ص ١٥٢

هو المعنى الحقيقي للمشترك ، ثمّا الدليل على أنـــه لفظ المشترك يشمل هذين المعنيين أو المعاني [١] ، كما اعترض الخطيب على السكاكي [٢] أيضاً في أنّ المشترك إذا قيّد فقلت القـــرء بمعنى الطهر، أولا بمعنى الحيض، فإنّ لفظة القرء دالّة على الطهر بالتعيين ، وتبع السكاكـــي الطيبي في أنّ هذا القيد للبيان أو ازالة الابهام فإنّ دلالة القرء في المثال على الطهر بنفســـه اعترض الخطيب على السكاكي في أنّ ماذهب إليه يعتبر سهواً منه لأن دلالة القرء في المثـــال على معناه وهو الطهر ليس على التعيين بل بواسطة القرينة فكلّ من قولك بمعنى الطهر، ولا بمعنـــى الحيض قرينة . [٣]

ولعل اعتراضات الخطيب على السكاكي قوية، وقد ناقشها بعض شراح التلخيص لكي آثـــرت الايجاز فيها خشية للاطالة بالاضافة إلى أنّ دراستها ليست من صميم البحث البلاغي واكتفيـــت بالإشارة إليها .

ب - تعريف المجاز اللغوي :-

قسّم الطيبي المجاز إلى قسمين : مجاز لغوي ومجاز عقلي ، وقد قدّمت الحديث عن المجـــاز العقلي عند الحديث عن الإسناد الخبري في علم المعاني وذكرت في موضعه وجه تقديمي له، وقد عرف الطيبي المجاز اللغوي بأنّه ((اللفظ المستعمل في غير ماوضع له بالتحقيق في اصطلاح التخاطـــب مع قرينة عدم ارادته)) [٤] ، فقوله بالتحقيق لتدخل الاستعارة لأنّها استعمال فيما وضع له لكـــن بالتأويل ، وقوله اللفظ لتدخل الاستعارة التمثيليّة، وقوله في اصطلاح التخاطب يدخل فيه مثـــلا استعمال الشارع الصلاة بمعنى الدعاء ، وقوله مع قرينة عدم ارادته احترازاً عن الكناية فإنّ اللفـــظ مستعمل في غير ماوضع له لكن لا ينافي ارادة الحقيقة . [٥]

هذا مجمل ماذكره الطيبي حول تعريف المجاز ، ومحترزات التعريف ، أمّا الشارح فكانت لـــه بعض الشروح ، والتعليقات على ماقاله أستاذه فذكر أنّ ورود لفظة الاستعمال في تعريف الحقيقـــة ، والمجاز يدلّ على أنّ الكلمة بعد الوضع، وقبل الاستعمال لا يطلق عليها حقيقة ولا مجـــاز لأنّ شرطهما الاستعمال فإذا استعمل اللفظ في موضوعه فهو الحقيقة وإذا استعمل في غير موضوعـــه

---

(١) انظر الايضاح ص ٢٦٧

(٢) انظر المفتاح ص ١٥٢ ، ١٥٣

(٣) انظر الايضاح ص ٢٦٧

(٤) الحدائق ص ٨٩٣

(٥) انظر الحدائق ص ٨٩٣ ، ٨٩٤

فهو المجاز والقرينة فى المجاز ما تصحب اللفظ وتصرفه عمّا هى موضوعة له ، وهى إمّا حاليّة وإمّا مقاليّة . (١)

كما ذكر الشارح أنّ إيراد أستاذه فى التعريف عبارة ((اللفظة)) أحسن مما أورده السكاكى فى تعريفه من عبارة ((الكلمة)) فقد قال السكاكى فى تعريف المجاز :- ((هو الكلمة المستعملة فى غير ماهى موضوعة له بالتحقيق استعمالاً فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها فى ذلك النوع)) (٢) ، فبناءً على ماذكره من عبارة ((الكلمة)) إمّا أن تخرج الاستعارة التمثيلية وإمّا أن يتأول فى الكلمة بأنّ المراد بها الجملة فيرتكب المجاز فى الحدّ .

أمّا السبب فى خروج الكناية عن حدّ المجاز أن قولك مثلاً زيد طويل النجاد أطلقت اللازم ، وهو طول النجاد ، وأردت طول القامة ، وهو الملزوم لزيد والثابت له ، وهذا لا ينافى أن تثبت اللازم ، وهو طول النجاد للموصوف أمّا قولك فى الاستعارة رأيت أسداً يرمى فإنّك أطلقت الملزوم وهو لفظة أسد ، وأردت لازمه ، وهو الشجاعة بغرض اثباتها للموصوف ، وهو المشبّه ، ولم ترد اثبات معنى الحيوان المفترس للانسان كما فى الكناية . (٣)

كما ذكر الشارح أنّ معرفة كون اللفظ حقيقة فيما وضع له متوقّف على السماع من أهل اللغة بخلاف معرفة كون اللفظ مجازاً فإنّه متى وجدت العلاقة المعتبرة والمناسبة بين المنقول ، والمنقول إليه صحّ اطلاق المجاز عليه فليس الأمر فى المجاز موقوفاً على السماع ، هذا رأى الجمهور وترى طائفة أنّ المجاز أيضاً يتوقّف على معرفته على السماع كالحقيقة إذ لو يشترط ذلك لصحّ اطلاق النخلة مثلاً على المنارة لوجود العلاقة المعتبرة وهى المشابهة فى الشكل ، ولجاز أيضاً اطلاق الشبكة مثلاً على الصيد ، ولجاز أيضاً اطلاق الابن على الأب ، وعكسهما للمجاورة والملازمة ومعروف أنّ مثل هذا ممتنع لأنّه قياس ، والقياس فى اللغة باطل ، واختراع من المطلق فحينئذ لا يكون من لغة العرب.

وقد ردّ الجمهور على هذا أنّ أهل العربيّة إذا وجدوا العلاقة المعتبرة بين الحقيقة والمجاز أطلقوا الاسم وإن لم يسمعوا من العرب استعمال تلك اللفظة فى المجاز فلو كان الأمر فى استعمال المجاز متوقّفاً على النقل لتوقفوا فى الاطلاق على النقل ، وقد اتفقوا على أنّ استعمال اللفظ فى مفهومه المجازى مفتقر إلى النظر فى العلاقة المعتبرة ، وما كان كذلك لا يكون نقليّاً وقد سار الشارح مع الجمهور فى أنّ المجاز المعتبر فيه العلاقة المعتبرة ، ولا يشترط سماعه عن العرب ، وذلك ليتيسّر للبليغ التوسع فى الكلام ويبعده عن التقليد إذ البليغ ليس بمقلد . (٤)

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٩٣
(٢) المفتاح ص ١٥٣
(٣) انظر الحدائق ص ٨٩٤ ، ٨٩٥
(٤) انظر الحدائق ص ٨٩٦ ، ٨٩٧

أمّا سعد الدين فيرى أنّه وإن كان لا يشترط فى كلّ كلمة استعمالها مجازاً السماع عن العرب لكن يجب على البليغ أن يثبت أنّ العرب اعتبرت نوع العلاقة ، وقد أوصلها العلماء إلى خمسة وعشرين نوعاً ، لهذا قيل المجاز موضوع بالوضع النوعى لا بالوضع الشخصى [1] ، أى على الأديب عند استعمال اللفظ استعمالاً مجازيّاً أن يتحقق من وجود أحد تلك العلاقات بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى للفظ .

هذا وقد تبيّن لى أنّ ماذكره الطيبى فى تعريف المجاز ومحترزات التعريف تصرّف فى نقله عن السكاكى [2] ، وقد زاد عليه فى التعريف عبارة ((فى اصطلاح التخاطب)) حتّى لا يرد اعتراض الخطيب لكن يرد على الطيبى اعتراض آخر من الخطيب كما ورد على السكاكى ، وهو أنّه ذكر فى التعريف عبارة ((التحقيق)) حتى تدخل الاستعارة ، واعترض الخطيب بأنّه يغنى عنه ذكر لفظة الوضع ، وما يشتقّ منها لأنّه لا يفهم منها إلّا الوضع بالتحقيق فإذا نفيت نفى التحقيق ويمكن اعتبار لفظة ((التحقيق)) فى التعريف لزيادة البيان لا لتتميم الفائدة . [3]

ولعلّ الشارح قد أحسن بما أورده من شروح وتعليقات على ماذكره أستاذه وبالخصوص تأييده لرأى الجمهور فى عدم اشتراط السماع فى المجاز ، وردّه على المخالفين .

حـ - صور المجاز اللغوى :-

قسم الطيبى المجاز اللغوى إلى مجاز بالاستعارة لأنّ العلاقة فيه التشبيه ، ومجاز مرسل لأنّ العلاقة فيه غير التشبيه ، وجعل المجاز المرسل فى نوعين النوع الأول المجاز الخالى عن الفائدة ، الثانى المجاز المتضمّن للفائدة . [4]

---

(١) انظر المطول ص ٣٥٥

(٢) انظر المفتاح ص ١٥٣

(٣) انظر الايضاح ص ٣١٢

(٤) انظر الحدائق ص ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٩٠٠

الفصل الثالث : المجاز المرسل الخالى عن الفائدة :-

ذكر الطيبى أنّ المجاز الخالى عن الفائدة هو أن تعدّى الكلمة عن حقيقته التى بها قيد إلى حقيقة ليس بها قيد كاستعمال المرسن فى أنف الانسان مجازاً وهو موضوع للأنف مع قيد أن يكون مرسوناً (١)

هذا الذى ذكره فى معنى المجاز المرسل الخالى عن الفائدة تأثّر فيه بما ذكره السكاكى والذى قال :- ((هو أن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة مثل أن تستعمل المرسن ، وأنه موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون أنفاً مرسوناً استعمال الأنف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن)) (٢) ، فالمجاز الخالى عن الفائدة عند السكاكى كما بيّنه الخطيب ما استعمل فى أعمّ مما هو موضوع له ، كما أورد رأى الامام عبد القاهر فى المجاز الخالى عن الفائدة بأنّه ما ستعمل فى شىء بقيد مع كونه موضوعاً لذلك الشىء بقيد آخر (٣) ، فمن خلال هذا يظهر الفرق بين مفهوم السكاكى وتبعاً له الطيبى والشارح رحمهم الله تعالى .

ومفهوم الامام حول المجاز الخالى عن الفائدة ، هذا وقد بين الشارح المقصود من الخالى عن الفائدة فذكر أنّه الخالى عن المبالغة ، وليس المعنى أنه ليس فيه فائدة قط فإنّه ليس أقل من الألفاظ المترادفة فإن فى ابدال بعضها من بعض فوائد . (٤)

هذا وقد استشهد الطيبى للمجاز المرسل الخالى عن الفائدة بقول الحطيئة فى هجاء الزبرقان بن بدر :-

قروا جارك العيمان لمّا جفوته وقلّص عن برد الشراب مشافره

فقد اتهمه باضاعة الضيف ، وعدم الاعداد لاكرامه ، وقصد الحطيئة بالجار نفسه ، والمشفر والشفه كالمترادفين لهذا لم يفد شيئا . (٥)

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات الغريبة فذكر أنّ العيمة هى شهوة اللبن ، وقلّص بمعنى انضم ، وانزوى ، والمشفر من البعير كالجحفلة من الفرس ، كما ذكر بعض الوجوه الاعرابية فى البيت

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٩٧

(٢) المفتاح ص ١٥٥

(٣) انظر الايضاح ص ٢٧٧

(٤) انظر الحدائق ص ٨٩٧

(٥) انظر الحدائق ص ٨٩٨

فذكر أنّ اعراب العيمان مفعولاً ثانياً لقروا يعنى أنّك لمّا جفوت ضيفك قام من حولك فلوّحوا لـــه باللبن ثمّ منعوه فاضطرّ الضيف لشرب الماء البارد حتّى تقلّصت شفتاه ، هذا الاعراب أبلـغ من اعراب العيمان صفة ، فعليه يكون تقدير المفعول الثانى قروا ضيفك المشتهى اللبن الماء مما تسبّـب فى تقلّص شفتيه فالاعراب الأول أبلغ فى الذم ، وأقضى لحقّ البلاغة فإنّ قوله قروا جارك العيمـان تتميم لمعنى الذم فهم ، أى قوم الزبرقان لم يكتفوا بتضييع حقّ الضيف بل لوّحوا له باللبـن حتى اشتهاه ، ثمّ منعوه ، وسقوه الماء البارد الذى تسبّب فى تقلّص شفتيه ، والمشافر مفردها مشفـر وجمعها الشاعر مبالغة فى تصوير التقلّص كأنّ كل جزء حصل فيه التقلّص .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول شرح الغريب واعراب بعض التراكيب فى البيت ، وقد تميّـز جهد الشارح أنّه اعتمد فى ترجيح الوجه الاعرابى على مدى ارتباطه بالمعنى العام للبيت ، ومـا يقصده الشاعر ، هذا وقد تبيّن لى أنّ الامام عبد القاهر(٢) أورد البيت ضمن شواهد أخرى ذكـر أنّها من الاستعارة المبنيّة على التشبيه وأنّها فى النظرة الأولى توهم أنّها من الاستعارة الخاليـة عن الفائدة لكن المتأمّل إذا دقّق النظر فيها وجد أنّها من الاستعارة المعنوية المبنيّة على التشبيه ، أمّا الخطيب(٣) فذكر أنّ البيت إن قصد فيه التشبيه حمل على الاستعارة أمّا إذا لم يقصد فيـه التشبيه حمل على المجاز المرسل الخالى عن الفائدة .

---

(١) انظر الحدائق ص ٨٩٨

(٢) انظر أسرار البلاغة ص ٣٤ ، ٣٥

(٣) انظر الايضاح ص ٢٧٨

الفصل الرابع : المجاز المرسل المتضمّن للفائدة :-

ذكر الطيبي أنّ المجاز المرسل المتضمن للفائدة يأتي على وجوه وهو ماتعارف عليه البلاغيّون بمسمّى علاقات المجاز المرسل من تلك الوجوه أو العلاقات .

أ - اطلاق اسم السبب على المسبب :-

ذكر الطيبي من اطلاق اسم السبب على المسبب اطلاق اليد على القدرة لظهور سلطانها به كقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((المؤمنون تتكافؤ دماؤهم ، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)) أي أنهم أشدّاء على من سواهم مبالغين فيها متفقون فيما بينهم لا يسعهم تخاذل بعضهم بعضاً كقوله تعالى :- ((أشداء على الكفار رحماء بينهم)) [1] ، ويدلّ على تضمينها غاية الشدّة تعديتها بعلى مجازاً ، وأفراد اليد وهي جارية على الجماعة مما يدلّ على اتفاقهم ومن ثمّ حمل قولهم أيادي سبأ الحديث واجعل الفسّاق يداً يداً على الشتات، والخذلان فاعتبارها مجازاً مرسلاً من اطلاق اسم السبب على المسبب هو الوجه ، ويجوز أن تكون تشبيها كقول الشاعر :-

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصّافر

أمّا ماذهب إليه بعضهم من اعتبارها استعارة فخطأ ، هذا مجمل ماذكره الطيبي حول الحديث السابق . [2]

أمّا الشارح فذكر أنّ الذمّة والذمام العهد والأمان وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((وهم يدٌ .....)) لمح إلى معاني ثلاثة أحدها جعلها مجازاً عن القوّة مبالغة ، ثانيها افرادها يدلّ على الاتفاق ، ثالثها تعديتها بعلى يتضمن معنى الشدة ، وذكر أي الشارح أنّ الذي ذهب إلى اعتبار الحديث من باب الاستعارة الخطيب ووجه خطئه أنّ المشبه المتروك إمّا الأشخاص وهو لفظة هم المذكورة في الحديث ، أو القوة والشدّة وهما ليسا بمشبّه بهما لأنّهما سببان عن اليد والاستعارة [3] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول الحديث موضع الشاهد ، هذا وقد تبين لي بعد رجوعي إلى الإيضاح أنّ الخطيب بعدأن ذكر الحديث سالف الذكر قال : ((فهو استعارة والمعنى أنّ مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة .....)) . [4]

---

(١) من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٢) انظر الحدائق ص ٩٠٢ ، ٩٠٥ ، ٩٠٧

(٣) انظر الحدائق ص ٩٠٢ ، ٩٠٧

(٤) الايضاح ص ٢٧١

أمّا البهاء السبكي فذكر أن اعتبارها استعارة هو الصواب لكن هذا لا يحسن من الخطيب ، لأن مذهبه أنّ مثل ذلك تشبيه لا استعارة ، إلّا إذا قصد بالاستعارة أنه لين بمجاز مرسل . (١)

والذي يظهر أنّه بناء على ما اختاره الخطيب (٢) تبعا للامام من أن مثل قولك زيد أسد الأصل فيه أن يكون تشبيهاً وهو الأحسن لأنّه يصح فيه تقدير أداة التشبيه دون غموض وفك لصورة التشبيه فبناء على هذا كان على الخطيب حمل الحديث على التشبيه لكنّه خالف مذهبه .

ولعلّ الشارح قد أجاد في توجيهه للحديث ، وبين وجه خطأ الخطيب فيما ذهب إليه .

ب - اطلاق اسم السبب على السبب :-

كما ذكر الطيبي من وجوه أو علاقات المجاز المرسل المتضمن للفائدة اطلاق اسم السبب وارادة السبب، واستشهد له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا)) . (٣)

أمّا الشارح فذكر أنّ الحديث أخرجه الامام الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه وبقيّته فقيل يارسول الله ما رياض الجنّة ؟ ، قال المساجد ، قيل : وما الرتع يارسول الله ؟ ، قال : يسبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر .

وعلّق على الحديث فذكر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وضع رياض الجنة موضع المساجد بناءً على أنّ العبادة فيها سبب لحصول الثواب المؤدي إلى رياض الجنة ، فروعيت المناسبة لفظاً ومعنى ، ووضع الرتع موضع القول لأنّ هذا القول سبب لنيل الثواب الجزيل، ووسيلة إلى الفوز النبيل . (٤)

هذا مجمل ماعلق به الشارح على الحديث يدل على دقة فهمه ونظراته المتأملة في الحديث .

ج - تسمية الشيء باسم مايؤول اليه :-

ذكر الطيبي من وجوه المجاز المرسل المتضمن للفائدة تسمية الشيء باسم مايؤول إليه ، واستشهد له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلاً فله سلبه . (٥)

---

(١) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٣٥

(٢) انظر الايضاح ص : ٢٨١ ، ٢٨٢

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٩٠٩ ، ٩١١

(٥) انظر الحدائق ص ٩١٢

أمّا الشارح فذكر أنّ القتيل بمعنى المقتول ، وأوقع عليه القتل مع أنّ القتل لا يقع إلّا على الحي إظهاراً للرغبة في المطلوب والحثّ عليه فإنّ الحديث جاء في معرض الترغيب والحثّ على الجهاد فأوثر القاتل بالسلب، وهو ما يكون على مقاتله من سلاح، وثياب، ودابة، وغيرها [1]

هذا مجمل ماعلق به الشارح على الحديث ، ولعله تعليق حسن ، ولعل استشهاد الطيبي لهذا الوجه والوجه السابق بالحديث النبوي قد وفق تماماً لأن الحديث الشريف مجال خصب للدراسة البلاغية، وذلك باستخراج الصور والأساليب البلاغية التي اشتمل عليها ولم لا يكون كذلك، وهو قول أفصح العرب وخير من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم .

د - تسمية الشيء باعتبار ماكان عليه :-

استشهد الطيبي [2] لهذا الوجه بقوله تعالى ((وآتوا اليتامى أموالهم)) [3] وفائدة هذا المجاز كما ذكره الشارح [4] قطع طمع الولي أي استمرّ على ماكنت عليه في حال صباه من قطع الطمع وتذكّر قوله تعالى :- ((إنما يأكلون في بطونهم نارا)) [5] .

وقد ذكر الخطيب الآية شاهداً على تسمية الشيء باسم ماكان، وعلق عليه بقوله :-((أي الذين كانوا يتامى إذ لا يتمّ بعد البلوغ)) [6] ، ولعل الشارح قد أحسن ببيان فائدة المجاز في الآية .

هـ - اطلاق الجزء وارادة الكل :-

ذكر الطيبي من وجوه المجاز المرسل المتضمن للفائدة اطلاق الجزء وارادة الكل ، واشترط في الجزء أن يكون أصلاً فيما وقع المجاز بسببه واستشهد له بقوله تعالى ((فإنه آثم قلبه)) [7] وقوله تعالى :- ((قم الليل إلّا قليلا)) [8] أي صل وأيضاً يطلقون على الجاسوس العين [9] ، أمّا الشارح فذكر أنّه تعالى عبّر في الآية الأولى عن جملة الانسان وذاته بالقلب وأسند الاثم إليه لأنّه أصل الصلاح، والفساد كما ورد في الحديث ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب ، كذلك عبّر عن تهجد بقم لأن أقصى درجات اتعساب

---

(١) انظر الحدائق ص ٩١٢ ، ٩١٤

(٢) انظر الحدائق ص ٩١٤

(٣) من الآية ٢ من سورة النساء .

(٤) انظر الحدائق ص ٩١٤

(٥) من الآية ١٠ من سورة النساء .

(٦) الايضاح ص ٢٧٥

(٧) من الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .

(٨) الآية ٢ من سورة المزمل

(٩) انظر الحدائق ص ٩١٥

النفس فى الطاعة ، وتكليفها القيام من المضاجع يشهد لهذا قوله تعالى :- ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً)) [١] ، فالقيام أصل لما أطلق المجاز بسببه ، وهو اتعاب النفس فى الطاعة كذلك اطلاق العين على الجاسوس فإنّ التجسّس فى الغالب لا يكون إلّا بالعين فهو أصل لما وضع المجاز لأجله [٢] ، لعلّ هذا بيان حسن من الشارح حول الأمثلة هذا والذى ظهر لى أنّ الخطيب ذكر من وجوه المجاز المرسل اطلاق الجزء ، وارادة الكل ، والذى يفهم من كلامه أنّه يشترط الشرط الذى اعتبره الطيبى ، وإن لم ينصّ عليه صراحة ، فقد قال الخطيب :-

((منها تسمية الشىء باسم جزئه ، كالعين فى الربيئة لكون الجارحة المخصوصة هى المقصودة فى كون الرجل ربيئة إذ ماعداها لا يغنى شيئاً مع فقدها فصارت كأنّها الشخص كلّه)) [٣] .

أمّا السعد فإنّه نصّ على الشرط الذى أكّده الطيبى فى اطلاق الجزء على الكل فقد قال السعد :- ((فلابدّ فى الجزء المطلق على الكل من أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل مثلاً لا يجوز اطلاق اليد أو الأصابع على الربيئة وإن كان كل منهما جزء منه)) [٤] .

كما شرط الطيبى [٥] فى اطلاق الكلّ على الجزء أن يكون الجزء أصلاً فيما وضع المجاز لأجله مثل ماشرطه فيما سبقه من اطلاق الجزء على الكل ، واستشهد له بقوله تعالى ((يجعلون أصابعهم فى آذانهم)) [٦] وبيّن الشارح أنّك عندما أطلقت الجزء على الكل أو عكسه حكمت على الجزء بالكمال ، لهذا صحّ أن يعبّر عنه بالكل ، أو يعبّر به عن الكل ، لهذا وجب اعتبار الجزء أصلاً لما وضع المجاز بسببه .

ولعلّ هذا تعليل وبيان حسن من الشارح [٧] .

هذا وقد تبيّن لى أنّ الخطيب [٨] والسعد [٩] لم يشيرا إلى مثل الشرط الذى اشترطه الطيبى إلّا أنّ السعد كان له تعليق لطيف على الآية إذ قال :- ((والغرض منه المبالغة كأنّه جعل جميع الأصابع فى الآذان لئلا يسمع شيئاً من الصاعقة)) [١٠] فرحم الله الجميع .

---

(١) من الآية ١٦ من سورة السجدة

(٢) انظر الحدائق ص ٩١٥ ، ٩١٧

(٣) الايضاح ص ٢٧٢

(٤) المطول ص ٣٥٦

(٥) انظر الحدائق ص ٩١٧

(٦) من الآية ١٩ من سورة البقرة

(٧) انظر الحدائق ص ٩١٧

(٨) انظر الايضاح ص ٢٧٢

(٩) انظر المطول ص ٣٥٦

(١٠) المطول ص ٣٥٦

و - تسمية مايجمع بين المختلفين حقيقة ومجازاً :-

ذكر الطيبي من وجوه المجاز المرسل المتضمّن للفائدة عموم المجاز، وهو تسمية مايجمع بين المختلفين حقيقة ، ومجازاً واستشهد له بقوله تعالى :- ((إنّ الذين يؤذون الله ورسوله))[1] عبّر عن فعل مايكرهانه، ومالا يرضيانه بالإيذاء .[2]

أمّا الشارح فبيّن ماقاله أستاذه حيث ذكر أنّه بدل أن يقال إنّ الايذاء في حق الله محال فيحمل على المجاز ، وفي رسوله ممكن فيحمل على الحقيقة، والحقيقة والمجاز مختلفان فبدل أن يطلق على اللفظ حقيقة ومجازاً معاً في وقت واحد قيل إنه سمّى ما يكرهه الله ورسوله، ويغضبانه ، ولا يرضيانه بالايذاء ليستقيم ، فهذا مجاز عام أو عموم المجاز يندرج تحته الحقيقة، والمجاز فلا يرد عليه أنّه جمع بين الحقيقة والمجاز، وهما متضادان لأنّ الأول في دلالته لا يحتاج إلى قرينة، والثاني يحتاج إلى قرينة .[3]

هذا وقد ظهر لي أنّ الخطيب والسعد لم يشيرا إلى مثل هذا الوجه من وجوه المجاز المرسل، أو هذه العلاقة من علاقاته لكنّ الزمخشري أشار إليه عند تفسيره للآية حيث قال :-

((يؤذون الله ورسوله فيه وجهان أحدهما أن يعبّر بايذائهما عن فعل مايكرهانه، ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوّة ومخالفة الشريعة .....على سبيل المجاز ، وإنّما جعلته مجازاً فيهما جميعاً وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز، والحقيقة، والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ...))[4].

فمما سبق يتبيّن لنا أنّ الطيبي وتلميذه وجّها كلام الزمخشري في أحد توجيهيه للآية إلى المجاز المرسل ، والوجه ، أو العلاقة تسمية الشيء باسم مايجمع بين المختلفين حقيقة ومجازاً وإن لم يشيرا إلى الزمخشري في أخذهما عنه .

ز - العلاقة بين الصارف عن الفعل والدّاعي إلى تركه :-

استشهد الطيبي لهذا الوجه من وجوه المجاز المرسل بقوله تعالى :- ((مامنعك أن لا تسجد))[5] أي مادعاك إلى أن لا تسجد والقرينة في استعمال منع مجازاً ((لا))[6].

---

(١) من الآية ٥٧ من سورة الأحزاب .

(٢) (٣) انظر الحدائق ص ٩١٧

(٤) الكشاف : ٣/ ٢٧٣

(٥) من الآية ١٢ من سورة الأعراف .

(٦) انظر الحدائق ص ٩١٧

أمّا الشارح فبيّن المجاز المرسل الذى تضمّنه قوله ((ما منعك)) وعلاقته ، فذكر أنّه وضع مكان مادعاك إلى ترك السجود ((مامنعك)) لأنّ بين الداعى إلى الترك ، والصّارف عن الفعل نوع تعلّق ، وهو عدم صدور الفعل عن الفاعل وقرينة استعمال دعاك مجازاً لا ففى قوله وبين الصارف عن الفعل ، والداعى إلى تركه نوع تعلق اشارة إلى علاقة المجاز الذى فى الآية ((مامنعك)) فإنّه عدل عن مامنعك أن تسجد بمعنى ما صرفك عن فعل السجود إلى مامنعك أن لا تسجد بمعنى ما دعاك إلى أن لا تسجد .(١)

والذى تبيّن لى أنّ الطيبى وتلميذه فى توجيههما للآية بما ذكره السكاكى والذى قال : ((وللتعلّق بين الصارف عن فعل الشئ وبين الدّاعى إلى تركه يحتمل عندى أن يكون ((منعك)) فى قوله علت كلمته ((مامنعك أن لا تسجد)) مراداً به ما دعاك إلى أن لا تسجد وأن يكون لا غير صلة قرينة للمجاز)) .(٢)

أمّا الخطيب فبعد أن نقل توجيه السكاكى أورد ماذكره الراغب عن بعض المفسّرين أنّ ((مامنعك)) بمعنى ماحملك وجعل فى حماية من أن تسجد لى ، واستبعد هذا الوجه بعض المفسّرين ، بأنّه لو كان هذا المعنى لم يجب بقوله ((أنا خير منه)) ، وإنّما هو جواب من قيل له مامنعك أن تسجد ويمكن أن يجاب أنّ إبليس لمّا ألزم بالجواب ولم يكن له حارس أو مساند يحميه عدل عن الجواب كما يفعل المغيظ فى المناظرة ، هذا ماذكره الخطيب نقلاً عن الراغب(٣) ، والذى يظهر أنّ نقل الخطيب لما ذكره السكاكى فى توجيه الآية دون اعتراض يدلّ على موافقته له فيه .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩١٧

(٢) المفتاح ص ١٥٦

(٣) انظر الايضاح ص ٥٧٦

الفصل الخامس : المجاز بالاستعارة :-

عرف الطيبي الاستعارة تعريفاً جمع فيه عدة أنواع بأمثلتها فشملت الاستعارة التصريحية التحقيقية والاستعارة المكنية التخييلية والاستعارة التمثيلية ، لذا اتّسم تعريفه بالطول فقد قال :-

((وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الآخر مدّعياً دخول المشبّه في جنس المشبه به دالاً عليه باثباتك للمشبه مايخصّ المشبه به من اسم جنسه ، أو لازمه ، أو لفظ يستعمل فيه نحو في الحمام أسد، والمنيّة أنشبت أظفارها، وفي الصيف ضيّعت اللبن)) .(١)

والذي يظهر لي أنّ الطيبي زاد على تعريف السكاكي للاستعارة عبارة [ولفظ يستعمل فيه] لتندرج الاستعارة التمثيلية وإن كان السكاكي لا ينكر ذلك النوع من الاستعارة لكن تعريفه للاستعارة يفتقر إلى التكلف في التأويل ليندرج فيه الاستعارة التمثيلية كما ذكره الشارح فقد قال السكاكي في تعريف الاستعارة :-

((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبّه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه مايخص المشبه به .....
سواء كان اسم جنسه وحقيقته أولازماً من لوازمها .....(٢))) .

فالشارح يرى أنه يجب ذكر عبارة [أولفظ يستعمل فيه] حتّى تدخل الاستعارة التمثيلية في الحدّ كما فعل الطيبي ، أمّا عبارة السكاكي أو اسم جنسه ان حمل على المجاز لتدخل الاستعارة التمثيلية كما في قولهم الصيف ضيّعت اللبن فإنّ هذا لا يصحّ لأنّه يؤدي إلى الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد إذ كيف تدلّ عبارة [اسم جنسه] على كون الأسد في قولك في الحمام أسد اسم جنس حقيقة وعلى كون قولك الصيف ضيعت اللبن اسم جنس مجازاً فاجتمع ارادة الحقيقة والمجاز في لفظ واحد في آن واحد فبناءً عليه وجب ذكر عبارة [أولفظ يستعمل فيه] حتّى لا تخرج الاستعارة التمثيلية(٣) .

والذي يظهر لي أنّ السكاكي والطيبي قد أطالا في تعريفهما للاستعارة والمعروف في التعريفات أنّها تميل إلى الايجاز والاختصار دون اخلال ولعلّ تعريف الخطيب يتسم بهذه السمة فقد قال في تعريف الاستعارة : ((ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له)) فيندرج تحته مختلف أنواع الاستعارات.(٤)

---

(١) الحدائق ص ٩٣٠
(٢) المفتاح ص ١٥٦
(٣) انظر الحدائق ص ٩٣٠
(٤) الايضاح ص ٢٨٠

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى :-

ردّ الطيبى على من زعم أنّ الاستعارة مجاز عقلى محتجّين بأنّ ادعاء دخول المشبّه فى جنس المشبّه به واعتباره فرداً من أفراد حقيقته ، يدلّ على أنّ اللفظ مستعمل فيما وضع له ، واحتجوا أيضاً بأنّ اطلاق اسم المشبه به على المشبه، وتسميته به يأتى تبعاً للمعنى، ومعنى الشجاعة متحقق فى الأسد فاذن اللفظ مستعمل فيما وضع له كأسماء الأجناس ، واحتجوا أيضاً بأن تعجّب الشاعر يصحّ إذا كان لفظ الشمس والنفس مستعمل فيما وضع له، وذلك فى قوله :-

قامت تظللنى من الشمس نفس أعزّ علىّ من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

ردّ الطيبى على هذه الاعتراضات بأنّ الواضع لم يضع الأسد للشجاعة فقط بل مضافاً إليها شكل الجثّة المعروفة أيضاً كما أنّ لفظ الأسد تبعاً لصفة الشجاعة لم يكن اسماً بل صفة، واستعماله فى غاية البطش كالمتواطئ بل كالمشكك ، أمّا التعجب فى البيتين فجاء من تناسى التشبيه فى الاستعارة فجاء لحقّ المبالغة .

هذا مجمل ماذكره الطيبى فى ردّه على من زعم أنّ الاستعارة مجاز عقلى [1] ، أمّا الشارح فذكر أنّ من يدعى اعتبار الاستعارة مجازاً عقلياً يعتبر أنّ الذى يحكم بمجاز اللفظ العقل ، وليس صاحب اللغة فبعد أن ادّعى دخول المشبه فى جنس المشبّه به، وصار فرداً من أفراد حقيقته وصار اللفظ مستعملاً فيما وضع له وكالمشترك المعنوى لا يتحقق إلّا بتحقق معناه فالعقل يحكم بين الحقيقة والادعاء، وذلك كالمجاز العقلى فليس من معنى اللفظ، ولا من اختصاص اللغوى أن يعرف هل الفعل صادر من الحى القادر أم من غيره .[2] ، هذا مجمل توضيح الشارح لبعض ماذكره أستاذه ، والذى يظهر أن الطيبى لم يخرج فى ردّه على من زعم أنّ الاستعارة مجاز عقلى عما ذكره السكاكى [3] الذى اعتبر أنّ القول بأنّ الاستعارة مجاز لغوى هو القول المقبول متابعاً رأى أستاذه الحاتمى .

قرينة الاستعارة :-

ذكر الطيبى أنّ الاصرار على ادعاء الأبدية لا ينافى القرينة فى قولك مثلاً رأيت أسداً يبارز أعداءه ، فإنّ بناء الدعوى على أنّ أفراد الأسد قسمان : قسم متعارف الشكل، والهيئة والشجاعة المعروفة ، وقسم غير متعارف له تلك الشجاعة دون تلك الهيئة والقرينة لاثبات القسم الثانى ،

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٣٣ - ٩٣٥

(٢) انظر الحدائق ص ٩٣٣ ، ٩٣٤

(٣) انظر المفتاح ص ١٥٧

والفرق بين الادعاء هنا والادعاء الباطل أنّ المبطل يتبرأ من التأويل ، وبين الادعاء هنا وبين الكذب أنّ الكاذب لا يقيم الدليل على خلاف زعمه بخلاف الادعاء في الاستعارة فإنّ القرينة تشهد على أنّ الادعاء على خلاف زعم المستعير وأنّ الأسد مثلاً ليس مستعملاً في حقيقته .(١)

أمّا الشارح فذكر أنّ قرينة المجاز المرسل صارفة للفظ عن ارادة الحقيقة فحسب ، أمّا قرينة المشترك فموضحة ومبيّنة للمبهم ، وأمّا قرينة الاستعارة فمبيّنة وصارفة .

والفرق بين الدعوى الباطلة والكذب أنّ الدعوى الباطلة اثباتك لنفسك ماليس لك ، أمّا الكذب فاخبارك الشيء على خلاف ماهو .(٢)

فلعلّ الشارح قد أحسن بذكر هذه الفروق ، هذا وقد تبيّن لي أنّ ماقاله الطيبي سابقاً تأثّر فيه بما ذكره السكاكي والذي قال :- ((.....لكنك إذا وقفت على وجه التوفيق بين اصرار المستعير على ادعائه الأسدية للرجل وبين نصبه في ضمن الكلام قرينة على أنّه ليس من الهيكل المخصوص مصدقة عنده كشف لك الغطاء اعلم أنّ وجه التوفيق هو أن تبنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أنّ أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل متعارف وهو الذي له غاية جرأة المقدم ، ونهاية قوّة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف ، وهو الذي له تلك الجرأة ، وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى .....

وأنّ تخصيص تصديق القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتعيّن ما أنت تستعمل الأسد فيه .....

والاستعارة لبناء الدعوى فيها على التأويل تفارق الدعوى الباطلة فإنّ صاحبها يتبرأ عن التأويل، وتفارق الكذب بنصب القرينة المانعة عن اجراء الكلام على ظاهره فإنّ الكذّاب لا ينصب دليلاً على خلاف زعمه))(٣) ، وقد تأثر بالسكاكي فيما ذكره الخطيب(٤) الذي نقل بعض ماقاله فمن خلال هذا يتبين لنا مدى تأثر الطيبي ، والشارح ، والخطيب بما ذكره السكاكي .

كما ذكر الطيبي أنّ قرينة الاستعارة إمّا معنى واحد واستشهد له بقول المتنبي :-

لمّا غدا مظلم الأحشاء من أشر أسكنت جانحتيه كوكباً يقد(٥)

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ٩٣٥

(٣) المفتاح ص ١٥٧ ، ١٥٨

(٤) انظر الايضاح ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

(٥) انظر الحدائق ص ٩٣٨

أمّا الشارح فبيّن معنى بعض المفردات التي تحتاج إلى شرح في البيت فذكر أنّ غدا بمعنى صار، والأحشاء ما انضمت عليه الأضلاع من أمعاء وغيرها ، والجوانح الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر ، والأشر البطر، كما ذكر اعراب بعض التراكيب ، فذكر أنّ قوله من أشر ، إمّا من ظرف لغو متعلق بمظلم ، أو مستقر حال من الضمير فيه ، ويجوز أن يتعلّق بغدا على رأي من يجوّز الحال من اسم كان وأخواته ، كما ذكر الشارح موضع الاستشهاد في البيت فذكر أنّ قوله ((كوكباً)) استعارة للسنان ، والقرينة نسبة الاسكان إليه ، وهو معنى واحد ، وقوله ((يقد)) ترشيح للاستعارة وقد راعى الشاعر المناسبة بين يقد ومظلم والمراد من الاظلام ما تمكن فيها من الحقد والحسد والبغضاء كما بيّن معنى البيت، فذكر أنّ الشاعر يقول لمّا أصبح جوف عدوك مظلماً بسبب الحقد والبغضاء أدخلت فيه سناناً يلمع ويتقد مثل الكوكب وقال الشارح في نهاية تعليقه :- ((وفيه من الغرابة ماترى)) .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت المتنبي ، فلعلّه يتجلّى بوضوح جهده البارز في شرح بعض مفردات البيت ، وفي اعراب بعض التراكيب ، وبيانه لموضع الاستشهاد، وشرح معنى البيت كما تجلّت نظرته النقدية ، ومدى اعجابه بمعنى البيت أنّه استعان بنظر القارئ ليشاركه في التأثر بمعنى البيت حين قال :- ((وفيه من الغرابة ماترى)) .

وقد تبيّن لي أنّ السكاكي [2] والخطيب [3] والسعد [4] لم يذكروا البيت ومثّلوا لما كانت القرينة معنى واحد في الاستعارة بقولهم :-

رأيت أسداً يرمي فالطيبي له فضل التجديد، والتنويع في الشواهد والشارح له فضل البيان ، والتوضيح للبيت في أحسن صورهما كما رأينا .

تقسيمات الاستعارة :-

قسّم الطيبي الاستعارة باعتبار الجامع فذكر أنّ الجامع إمّا أن يكون أمراً واحداً ، وهو القسم الأول ، وينقسم هذا الاعتبار إلى استعارة أصليّة ، واستعارة تبعيّة ، وإمّا أن يكون الجامع في حكم الواحد، ويندرج فيها الاستعارة التمثيليّة ، وهو القسم الثاني .[5] ، وقد استكمل الشارح ما ذكره أستاذه بأنّ الجامع منه مايكون متعدداً وهو قسم ثالث أسقطه في الاعتبار لكن ذكر له مثالاً في آخر الأقسام .[6]

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٣٨ ، ٩٤٠
(٢) انظر المفتاح ص ١٥٩
(٣) انظر الايضاح ص ٢٨٨
(٤) انظر المطول ص ٣٦٣
(٥) انظر الحدائق ص ٩٤٢ ، ٩٨٣
(٦) انظر الحدائق ص ٩٤٢

الاستعارة الأصليّة وتقسيماتها :-

ذكر الطيبي أنّ الاستعارة الأصلية هي أن يكون المستعار اسم جنس نحو رجل ، وأسد ، وقيام ، وقعود ، وسمّيت أصليّة لأنّ مبنى الاستعارة على التشبيه ، والتشبيه وصف ، والوصف لا يكون إلا للحقائق فيقال جسم أبيض وبياض صاف ، وأمّا نحو شجاع وباسل فعلى تأويل ذات لها الشجاعة. (١)

وقد ذكر الطيبي أنّه لمّا كان مبنى الاستعارة على ادخال المستعار له في جنس المستعار منه امتنعت في الأعلام إلّا إذا تضمّنت نوع وصفيّة تضمن حاتم الجود وماذر البخل. (٢)

وعلّل الشارح وجه امتناع الاستعارة في الأعلام إلّا إذا تضمنت نوع وصفيّة ، وجوازها في أسماء الأجناس مطلقاً ذكر أنّ اسم الجنس يشمل المذكور في اللفظ ، وكلّ ما أشبهه فهو يستدعي الشمول ، وعدم التعيين ، أمّا الأعلام فلفظه ينحصر في المذكور بعينه، فلا يدخل فيه شيء آخر فبينهما تناف لذا امتنعت الاستعارة في الأعلام إلّا اذا تضمنت نوع وصفيّة ، والوصف فيه شمول أي يمكن أن يندرج تحته غيره ، أمّا قولك مثلاً الصيف ضيّعت اللبن فعلى اعتبار أن مدلوله فيه شياع فهو جنس يندرج تحته غير فمن هذا الوجه عدّت استعارة تمثيلية. (٣)

والذي ظهر لي أنّ الطيبي تأثّر بالسكاكي في امتناع الاستعارة في الأعلام إلّا إذا تضمّنت نوع وصفيّة فقد قال :-

والذي قرع سمعك من أنّ الاستعارة تعتمد ادخال المستعار له في جنس المستعار منه هو السرّ في امتناع دخول الاستعارة في الأعلام اللهم إلّا إذا تضمنت نوع وصفيّة لسبب خارج تضمن اسم حاتم الجود وماذر البخل وما جرى مجراهما)). (٤)

كما تبع السكاكي الخطيب أيضاً ، فبعد أن ذكر أنّ العلمية تنافي الجنسيّة ، ذكر أنّ العلم يدلّ على تعيّن الذات دون اعتبار وصفه فلا يشترك مع غيره إلّا في التعين ونحوه ، وهذا لا يكفي أن يكون جامعاً إلّا إذا تضمّن نوع وصفيّة. (٥)

فالطيبي، وتلميذه، والخطيب تبعوا السكاكي في امتناع الاستعارة في الأعلام إلّا إذا تضمنت نوع وصفيّة لكن كلّ بيّن سبب ذلك المنع بما تيسّر له .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٤٣

(٢) انظر الحدائق ص ٩٣٢

(٣) انظر الحدائق ص ٩٣٢

(٤) المفتاح ص ١٥٧

(٥) انظر الايضاح ص ٢٨٧ ، ٢٨٨

هذا وقد قسّم الطيبى الاستعارة الأصلية إلى مصرّح بالمشبه به أو المستعار منه ، ومكنى عن المشبّه به أى لم يصرّح به) وكنى عنه ودلّ عليه بذكر لازمه) وقسم المصرّح بها إلى ضربين تحقيقيّة وتخييليّة .[1]

أمّا الشارح فذكر أنّه يدلّ على كون التشبيه وصف أنك إذا قلت زيد أسد اثبات لزيد الأسديّة أى الشجاعة) وفى الاستعارة ينوب المشبّه به مناب المشبّه ، فيصير موصوفاً والموصوف لا يكون إلّا حقائق حتّى يتسنّى الوصف أمّا إذا لم تكن حقائق كالأوصاف) والأفعال والحروف فيتأول كما ذكر أنّه سمّى مصرحاً أى صرّح بالمشبّه به ، وسمّى مكنّياً لأنّه لم يصرح بالمشبه به كنى عنه ، ودلّ عليه بذكر لازمه[2] ، لعلّ الشارح قد أحسن ببيان وجه الحاجة إلى التأويل فى الاستعارة التبعية ، ووجه تسمية الاستعارة التصريحيّة والمكنيّة بهذا الاسم .

والذى تبيّن لى أنّ تقسيم الطيبى للاستعارة من جهة الجامع بالصورة التى سبقت لم أجده عند السكاكى) والذى ظهر لى عنده - أى السكاكى - أنّه قسّم الاستعارة إلى نوعين : الأول الاستعارة المصرّح بالمشبه به ، الثانى الاستعارة المكنى عن المشبه به ، ومن خلال هذين القسمين الكبيرين تفرع فى التقسيم إلى تحقيق وتخييل ، وغير ذلك من التفريعات .[3] ، ولم أجده عند الخطيب أيضاً على الرغم من أنّه ذكر تقسيمات أخر للجامع فذكر تقسيماً من جهة دخول الجامع فى مفهوم الطرفين أو خروجه عنهما وتقسيماً من جهة العامّيّة والخاصّيّة ، أمّا تقسيم الاستعارة من جهة الأصليّة والتبعيّة فأدرجه فى تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ .[4]

ولعلّ الخلاف حول تقسيمات الاستعارة بين الطيبى والسكاكى والخطيب خلاف فى الشكل ، أمّا المضمون فإنّهم جميعا تحدثوا عن كل أنواع الاستعارات من تصريحية ومكنية وأصلية وتبعية وغير ذلك .

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ٩٤٣

(٣) انظر المفتاح ص ١٥٨

(٤) انظر الايضاح ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨

الاستعارة التحقيقيّة

عرّف الطيبي الاستعارة التحقيقيّة بقوله : ((هي أن يكون المتروك شيئاً محسوساً أو معقولاً))[1] ، وقد اعتمد الطيبي على السكاكي الذي قال في تعريفه للاستعارة التحقيقيّة :- ((والمراد بالتحقيقيّة أن يكون المشبّه المتروك شيئا متحققاً إمّا حسّياً وإمّا عقليّاً)) .[2]

استشهد الطيبي للاستعارة التحقيقيّة ، وكان المتروك حسّياً بقول أبي الطيب :-

في الخدّ أنعزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا[3]

أمّا الشارح فبيّن وجه الاستشهاد في البيت فذكر أنّ الشاهد في قوله مطر حيث استعير للدمع ، وقوله محولاً ترشيح لها ، وذكر أنّ وجه الغرابة في البيت أن المطر يزيل المحل والجفاف[4] بخلاف هذا النوع من المطر على الخدود فإنّه يزيدها محولا وجفافا ، فالشارح لم يكتف ببيان وجه الاستشهاد في البيت بل بيّن ماتضمّنه من معنى غريب فلعلّه قد أحسن وأجاد .

الاستعارة التخييليّة

عرّف الطيبي الاستعارة التخييلية ، ومثّل له فقال :- ((هي أن يكون المتروك شيئاً متوهماً محضاً كما إذا شبهت المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة تشبيهاً بليغا كأنّها هو ، ثمّ يتوهم للمشبّه مابه قوام المشبّه به من لوازمه المناسبة كالأنياب فيما نحن بصدده ثمّ تشبّه هذا المتوهم بمثله من المحقق ثمّ يطلق اسم المحقق على المتوهم ثم يضيف إلى المشبّه الأوّل لتكون قرينة مانعة كما تقول أنياب المنيّة الشبيهة بالسبع نشبت بفلان ، أو لسان الحال الشبيهة بالمتكلم ناطق بكذا))[5] ، كما بيّن الطيبي الفرق بين الاستعارة التخييلية والترشيح ، فذكر أنّ اثبات لازم الاستعارة المكنّية هو نفسه استعارة تخييليّة فلو لم يذكر هذا اللازم انعدمت الاستعارة التخييليّة بخلاف الترشيح فإنّه إذا انعدم تبقى الاستعارة لأنّ الترشيح يؤتى به بعد الاستعارة ، وقرينتها بقصد المبالغة ، والتتميم في الاستعارة .[6]

أما الشارح فكانت له بعض الشروح ، والتعليقات المفيدة على ماقاله أستاذه ، كما فرّق بين بعض

---

(١) الحدائق ص ٩٤٤

(٢) المفتاح ص ١٥٨

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ٩٤٤

(٥) الحدائق ص ٩٤٧ .

(٦) انظر الحدائق ص ٩٤٧ ، ٩٤٨

صور الاستعارة فذكر أنّ الاستعارة التحقيقيّة فيها استعارة واحدة سبوقة بتشبيه واحد ، أمّا التخييليّة ففيها تشبيهان واستعارة واحدة، والمكنيّة فيها تشبيهان ، واستعارتان ،كما ذكر أنّ القرينة متبادلة بين الاستعارة المكنيّة،والاستعارة التخييليّة فإنّ الاستعارة التخييليّة وهى الأنياب المتوهّمة مثلاً المشبهة بالأنياب الحقيقيّة،وقرينتها المنيّة وهى التى فيها الاستعارة المكنيّة وقرينتها الأنياب وهى التى وقعت فيها الاستعارة التخييليّة . (١)

كما بيّن الشارح الفرق بين الاستعارة التخييليّة والترشيح مع أنّ كليهما من لوازم الاستعارة فذكر أنّ لازم الاستعارة المكنيّة هو نفسه استعارة تخييليّة ، فلو لم يذكر هذا اللازم لانعدمت الاستعارة التخييليّة ، ولم توجد بخلاف الترشيح ، فإنّه إذا انعدم تبقى الاستعارة لأنّه يؤتى به بعد الاستعارة وقرينتها (٢)

هذا مجمل ماذكره حول تفريقه بين بعض صور الاستعارة،ولعلّ الطيبى وتلميذه قد أحسنا شرح رأى السكاكى حول الاستعارة التخييلية الذى قال ((والمراد بالتخييليّة أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهميّاً محضاً لا تحقّق له إلا فى مجرد الوهم)) . (٣)

ثمّ قال أيضاً :- ((.....وذلك مثل أن تشبّه المنيّة بالسبع فى اغتيال النفوس .... فيأخذ الوهم فى تصويرها فى صورة السبع واختراع ما يلازم صورته ويتمّ بها شكله من ضروب هيئات ، وفنون جوارح، وأعضاء وعلى الخصوص مايكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها،وتمام افتراسه للفرائس من الأنياب،والمخالب ، ثمّ تطلق مخترعات الوهم عندك أسامى المتحقّقة على سبيل الافراد بالذكر وأنّ تضيفها إلى المنيّة قائلاً مخالب،أو أنياب المنيّة الشبيهة بالسبع ليكون اضافتها إليها قرينة مانعة من جرّتها على مايسبق إلى الفهم منها من تحقق مسمّياتها .....)) . (٤)

فبناء على رأى السكاكى والطيبى والشارح رحمهم الله تعالى فان لفظة الأظفار فى قول أبى ذؤيب الهذلى

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

ولفظة اليد فى قول لبيد :-

وغداة ريح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ليستا مستعملتين فى حقيقتهما اللغوية بل استعيرت أظفار السبع الحقيقية ،ويد الانسان الحقيقيّة

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٤٧

(٢) انظر الحدائق ص ٩٤٧ ، ٩٤٨

(٣) المفتاح ص ١٥٨

(٤) المفتاح ص ١٥٩ ، ١٦٠

للأظفار،واليد المتوهمة ،والمتخيلة ، فعلى هذا فهما أى الأنياب واليد مستعملتان فى غير ماوضع لهما فهما مجازان لغويان .

وقد خالف الخطيب[1] السكاكى فى هذا ، واعتبر أنّ الاستعارة التخييليّة إنما هى دليل التشبيه المضمر فى النفس والذى يطلق عليه الاستعارة بالكناية أو المكنيّة بقصد المبالغة فالمنيّة فى البيت السابق والشمال فى بيت لبيد كلاهما مشبّه والمشبه به مضمر فى النفس ، والمشبة به المضمر فى النفس فى بيت الهذلى هو السبع ،وفى بيت لبيد الانسان ، ويطلق الخطيب على هذا استعارة بالكناية أو مكنيّة ، واثبات الأظفار واليد من لوازم المشبه به على سبيل المبالغة ، وهى استعارة تخييليّة ، فبمقتضى رأى الخطيب اطلاق لفظ الاستعارة على المكنية والتخييلية اطلاق لفظى ليس له مناسبة بالاستعارة الاصطلاحية لأنّ المنية فى بيت الهذلى وهى استعارة مكنية ، ولازمها وهى لفظة الأظفار،وهى استعارة تخييليّة كلاهما مستعمل فى حقيقته اللغوية كذلك لفظة الشمال فى بيت لبيد ، وهى استعارة مكنية ، واثبات لازمها لفظة اليد وهى استعارة تخييليّة كلاهما مستعمل فى حقيقته اللغوية الموضوعة لهما ، فليس فيهما مجاز لغوى، والذى يظهر أنّ الخطيب اعتمد فيما ذهب إليه حول الاستعارة التخييليّة على مافهمه من كلام الامام عبدالقاهر عند حديثه أى الامام عن بيت لبيد السابق :-

وغداة ريح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها[2]

يقول الامام :- ((وذلك أنّه جعل للشمال يداً ومعلوم أنّه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه كاجراء الأسد ، والسيف على الرجل فى قولك انبرى لى أسد يزأر، وسللت سيفاً على العدو لا يغل .....

وليس لك شيء من ذلك فى بيت لبيد بل ليس أكثر من أن تخيّل إلى نفسك أنّ الشمال فى تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبّر المصرّف لما زمامه بيده ، ومقادته فى كفّه ، وذلك كلّه لا يتعدّى التخيّل ، والوهم ، والتقدير فى النفس من غير أن يكون هناك شيء يحسّ ، وذات تتحصّل ولا سبيل لك إلى أن تقول كنى باليد عن كذا وأراد باليد هذا الشيء ، أو جعل الشيء الفلانى يداً .....

وإنّما غايتك .....أن تقول أراد أن يثبت للشمال فى الغداة تصرّفاً كتصرّف الانسان فى الشيء بقلبه فاستعار لها اليد حتى يبالغ فى تحقيق الشبه ، وحكم الزمام فى استعارته للغداة حكم اليد فى استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه

---

(١) انظر الايضاح ص ٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) أسرار البلاغة ص ٤٣ .

يكون الزمام كناية عنه ، ولكنّه فى المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة زماماً ليكون أتمّ فى اثباتها مصرفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ فى تصييرها معرفة)) .(١)

ويقول الامام فى الدلائل :- ((فالاستعارة أن تريد تشبيه الشئ بالشئ فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتحوّ إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد فى شجاعته ، وقوّة بطشه ، سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً وضرب آخر من الاستعارة وهو ماكان نحو قوله :-

- إذا أصبحت بيد الشمال زمامها -

هذا الضرب وإن كان الناس يضمّونه إلى الأول حيث يذكرون الاستعارة فليسا سواء ، وذلك أنّك فى الأول تجعل الشئ الشئ ليس به وفى الثانى للشئ الشئ ليس له ، تفسير هذا أنّك إذا قلت رأيت أسداً فقد ادعيت فى انسان أنه أسد وجعلته إيّاه، ولا يكون الانسان أسداً ، وإذا قلت - إذ أصبحت بيد الشمال زمامها - فقد ادعيت أنّ للشمال يداً ، ومعلوم أنّه لا يكون للريح يد)) .(٢)

فالذى يفهم من كلام الامام أنّ الاستعارة فى اليد ليست استعارة بالمعنى المتعارف للاستعارة وإنّما عندما أريد المبالغة فى تشبيه الشمال وتشبيه الغداة أثبت واستعير لازم من لوازم المشبّه به للمشبه ، وأيضاً تعارف الناس إلى ثم مايسمّى بالاستعارة التخييلية إلى الاستعارة المتعارفة وهى التحقيقيّة وهما ليس سواء .

هذا وقد ردّ الخطيب(٣) على السكاكى رأيه حول الاستعارة التخييلية لما فيه من التعسف .

ولعلّ رأى الخطيب الذى أحسن فهم ماذكره الامام عبدالقاهر حول الاستعارة التخييلية ورأيه هو أن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسّاً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر(٤) لعله الأرجح لبعده عن التكلف وهذا لا يغض من جهد الطيبى الذى أحسن بيان رأى السكاكى حول الاستعارة التخييلية، وجهد تلميذه الشارح الذى أحسن الشرح والتوضيح كما فرّق بين بعض صور الاستعارة .

---

(١) أسرار البلاغة ص ٤٣ ، ٤٤

(٢) دلائل الاعجاز ص ٦٧

(٣) انظر الايضاح ص ٣١٣ ، ٣١٤

(٤) انظر الايضاح ص ٣٠٩

الاستعارة المكنيـــــــــــــــة

عرّف الطيبي الاستعارة بالكناية ومثّل له فقال :- ((وهي أن يذكر المشبّه ويراد به المشبّه به دالاً عليه بقرينة نسبة اللازم المساوي له إليه ، أو اضافته على سبيل التخييليّة وذلك بأن توهم المشبّه مشبّهاً به توهماً محضاً ، كما توهم اللازم في التخييلية فيكنى باسم المشبه عن اسم المشبّه به المعنى بـــــه المتوهم فالمراد بالمنيّة في بيت الهذلي :-

وإذا المنيّة أنشبت أظفارهـــــا ألفيت كلّ تميمـة لا تنفـــــــع

غير الموت قطعاً لا كما ظن)) .(١)

أمّا الشارح فكانت له بعض الشروح والتعليقات والتفريق بين بعض صور الاستعارة فذكر أنّ المنيّة في الاستعارة التخييلية في قولك مثلاً أنياب المنية الشبيهة بالسبع نشبت بفلان مستعملة فـــــي حقيقتها اللغوية الموضوعة له ، ففيه تشبيه المنيّة بالسبع ، وتشبيه الأظفار المتوهمة بالأظفار الحقيقيّة فهذان تشبيهان ثمّ أطلق لفظ الأظفار الحقيقيّة على الأظفار المتوهمة على سبيل الاستعارة التخييلية فلفظ المنيّة باق على حقيقته والاستعارة في لازمه وهو الأظفار ، وهذا معنى قول الشارح الاستعارة التخييليّة فيها تشبيهان ، واستعارة واحدة ، وهذا يدلّ على أنّ الاستعارة التخييلية ليســـت مرتبطة بالاستعارة المكنية بل قد تنفرد كما في المثال السابق .

أمّا المنيّة في الاستعارة المكنية في قول الهذلي مثلاً :-

وإذا المنيّة أنشبت أظفارهـــــا ألفيت كل تميمة لا تنفـــــــــع

فستعملة في غير ماوضعت له لغة وهو الموت ، وإنّما أطلق اسم المنيّة على السبع المتخيل علـــى سبيل الاستعارة المكنيّة أي أنّ المنية شبهت بالسبع في اغتيال النفوس ، ثم خيّل أنها سبـــــع بعينه ، وأطلق اسم المنية على السبع المتخيّل وهذا معنى قول الشارح والاستعارة المكنيـــــة فيها تشبيهان واستعارتان ، ثم توهم لهذا السبع المتخيل لازم وهمي أو خيالي وهو الأظفار وشبّـــه هذا باللازم الحقيقي ثمّ أضيف هذا اللازم إلى اسم ذلك السبع المتخيّل والذي أطلق عليـــــه المنيّة على سبيل الاستعارة التخييليّة لتكون قرينة مانعة من ارادة الحقيقة .

أمّا الاستعارة المصرّحة التحقيقيّة كما في قول المتنبي السابق مثلاً وقوله :

في الخدّ ان عزم الخليط رحيـــــلا مطر تزيد به الخدود محـــــــولا

فإنّ فيها تشبيه واحد واستعارة واحدة وفي البيت نجد كلمة مطر استعيرت للدموع .(٢)

---

(١) الحدائق ص ٩٥١ ، ٩٥٥

(٢) انظر الحدائق ص ٩٥١

من خلال هذا يتضح الفرق بين الاستعارة التخييليّة وبين الاستعارة المكنّية ، والتخييليّة معاً وبين الاستعارة التحقيقيّة كما بيّنه الشارح ولعلّه قد أحسن بمثل هذا التفريق .

هذا والذى تبين لى أنّ الطيبى وتلميذه الشارح فى مفهومهما للاستعارة المكنّية ، والاستعارة التخييليّة ، يتابعان رأى السكاكى فيهما فقد قال :- ((الفصل الثالث فى الاستعارة وهى أن تذكر أحد طرفى التشبيه ، وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه فى جنس المشبّه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه مايخصّ المشبه به .....

أو كما تقول أنّ المنيّة أنشبت أظفارها ، وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها،وانكار أن تكون شيئا غير سبع فتثبت لها مايخصّ المشبه به،وهو الأظفار ، وسمّى هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة وذلك أنّا متى ادعينا فى المشبّه كونه داخلاً فى حقيقة المشبّه به وفرداً من أفراده برز فيما صادف من جانب المشبّه به سواء كان اسم جنسه وحقيقته ،أولازماً من لوازمها فى معرض نفس المشبّه به نظراً إلى ظاهر الحال من الدعوى .....

والمنيّة حال دعوى كونها داخلة فى حقيقة السبع إذا أثبت لها مخلب،أو ناب ظهرت مع ذلك ظهور نفس السبع معه فى أنّه كذلك ينبغى ، وكذلك الصورة المتوهمة على شكل المخلب أو الناب مع المنيّة المدعى أنّها سبع تبرز فى تسميتها باسم المخلب بروز الصورة المتحققة المسماة باسم المخلب من غير فرق نظراً إلى الدعوى .....)) (١).

وقال أيضاً :- ((فى الاستعارة بالكناية هى كما عرفت أن تذكر المشبّه ،وتريد به المشبّه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهى أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية مثل أن تشبّه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفاً إليها على سبيل الاستعارة التخييليّة من لوازم المشبّه به مالا يكون إلاّ له ليكون قرينة دالّة على المراد فتقول مخالب المنيّة نشبت بفلان طاوياً ذكر المشبّه به وهو قولك الشبيهة بالسبع .....

وقد ظهر أن الاستعارة بالكناية لا تنفك عن الاستعارة التخييلية .....

فالوجه فى ذلك هو أنّا نفعل ههنا باسم المشبه مانفعل فى الاستعارة بالتصريح على ماسبق حتى يتهيأ التقصى عن التناقض فى الجمع بين ادعاء الأسديّة وبين نصب القرينة المانعة من ارادة الهيكل المحسوس ندعى ههنا اسم المنية اسماً للسبع مرادفاً له بارتكاب تأويل وهو أنّ المنيّة تدخل فى جنس السباع لأجل المبالغة فى التشبيه بالطريق المعهود ثمّ تذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصحّ منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة وأن لا يكونا مترادفين فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنيّة مع التصريح بلفظ المنية)) . (٢)

---

(١) المفتاح ص ١٥٦ ، ١٥٧

(٢) المفتاح ص ١٦٠ ، ١٦١

هذا الذى ذكره السكاكى حول الاستعارة بالكناية اعترض عليه الخطيب الذى بيّن رأيه فى الاستعارة المكنيّة والاستعارة التخييلية فى قوله :- ((قد يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرّح بشئ من أركانه سوى لفظ المشبه ويدلّ عليه بأن يثبت للمشبّه أمر مختص بالمشبّه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسّاً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر فيسمّى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيّاً عنها واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية .....)) (١).

ومن ضمن اعتراض الخطيب على السكاكى فى رأيه حول الاستعارة بالكناية قوله :-((وفيه نظر للقطع بأنّ المراد بالمنية فى البيت هو الموت لا الحيوان المفترس فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق)) (٢) ، وقد أجاب الشارح عن اعتراض الخطيب بأنّ اضافة ضمير المنية الى الأظفار فى قول لبيد :- [وإذا المنية أنشبت أظفارها] قرينة دالّة على صرف المنية عن معناها الحقيقي إلى معنى السبع المتخيل وإلّا فائدة القرينة إذا لم تصرف اللفظ عن معناه الحقيقى إلى المعنى المجازى ،واستشهد الشارح على أنّ المراد بالمنيّة السبع المتخيّل بما قاله السكاكى فى موضعين من باب الاستعارة (٣) ، ويندرجان فيما ذكرته من كلام السكاكى السابق فمن خلال ماسبق اتّضح لنا رأى السكاكى وتبعاً له الطيبى، وتلميذه الشارح حول الاستعارة بالكناية أو المكنيّة ورأى الخطيب ، أمّا رأى جمهور البلاغيين فى الاستعارة المكنية فهو :- ((اسم المشبّه به المستعار فى النفس للمشبّه المحذوف المرموز إليه باثبات بعض لوازمه للمشبّه وذلك كقوله تعالى :-((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)) (٤) ، فقد شبّه الذل بطائر، وحذف هذا المشبه به، ورمز إليه بشئ من لوازمه شيئا إيّاه إلى المشبّه ، فالاستعارة المكنية فى الآية الكريمة هى لفظ الطائر المستعار فى النفس للمشبه ((الذل)) ثمّ حذف هذا المستعار وأثبت لازمه للمشبّه ((الذل)) وقرينتها اثبات لازم المشبّه به للمشبّه .....)) (٥).

وقد ذكر بعض (٦) البلاغيين أنّ رأى الخطيب السابق مأخوذ من تذوق الامام عبد القاهر لبيت لبيد ، فقد قال الامام :-

((.....وليس لك شئ من ذلك فى بيت لبيد بل ليس أكثر من أن تخيّل إلى نفسك أنّ الشمال فى تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبّر المصرّف لما زمامه بيده

---

(١) الايضاح ص ٣٠٩

(٢) انظر الايضاح ص ٣١٥

(٣) انظر الحدائق ص ٩٥٥

(٤) من الآية ٢٤ من سورة الاسراء .

(٥) البيان بين عبد القاهر والسكاكى ص ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٦) انظر المصدر السابق ص ٢٠٩

ومقادته في كفّه ، وذلك كلّه لا يتعدّى التخيّل والوهم ، والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يحس وذات تتحصّل ، ولا سبيل لك إلى أن تقول كنى باليد عن كذا ، وأراد باليد هذا الشيء أو جعل الشيء الفلاني يداً كما تقول كنى بالأسد عن زيد وعنى به زيداً ، وجعل زيداً أسداً وإنّما غايتك التي لا مطلع وراءها أن تقول أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرفاً كتصرّف الانسان في الشيء بقلبه فاستعار لها اليد حتّى يبالغ في تحقيق الشبه ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه يكون الزمام كناية عنه ولكنّه وفّى المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة زماماً ليكون أتم في اثباتها مصرّفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها مصرفة)) .(١)

وقد رجح بعض البلاغيين رأي الامام الذي أخذه عنه الخطيب على رأي غيره لبعده عن التكلف فقد قال :- ((هذا وواقع الأساليب العربية يشهد بترجيح رأي عبدالقاهر الذي أخذه عنه الخطيب لسلامته من التكلف البيّن في رأي غيره لأنّك لو استعرت لفظ المشبه به للمشبه ثمّ حذفته كما قيل لكان تكلفاً بيّناً)) .(٢)

هذا والذي يظهر أن رأي الخطيب أيسر وأسهل من رأي السكاكي لبعده عن التكلف في التأويل لكن يرد عليه سؤال وهو ماوجه تسمية المكنية استعارة اذا كان اللفظ مستعملاً في حقيقته الموضوعة له ؟ فبناء عليه لعل رأي الجمهور أرجح وهو استعارة اسم المشبه به المحذوف في النفس للمشبه المرموز على المحذوف باثبات بعض لوازمه للمشبه .

---

(١) أسرار البلاغة : ٤٣ ، ٤٤

(٢) البيان بين عبدالقاهر والسكاكي ص ٢١٠

الاستعارة التبعيـــــــة

ذكر الطيبي أنّ المستعار في الاستعارة التبعية يكون في الأفعال والصفات والحروف، ولا يكون إلّا مصرّحاً به ، وسمّيت تبعيّة لأنّها لا تقع موصوفات إذ الاستعارة تجري أولاً في مصـــــادر الأفعال والصفات ومتعلقات معاني الحروف ثمّ يسرى إليها فلا يقال نطقت الحال بدل دلّـــت إلّا بعد استعارة ناطق الناطق لدلالة الدالّ والمقصود بمتعلقات معاني الحروف مايعبّر عنهـــا عند تفسيرها كما تقول ((من)) معناها ابتداء الغاية وكي للغرض ، ولعلّ للترجي ، وهكذا فـــي بقية الحروف ففي قوله تعالى :- ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)) [1] استعار لام كـــي التي لترتّب وجود بين أمرين مطلوب الثاني بالأول استعارة لترتب العداوة على الحزن . [2]

أمّا الشارح فذكر أنّ ماقاله أستاذه من أنّ الاستعارة تقع في متعلقات معاني الحروف تبـــع فيه السكاكي الذي قال :- ((وأعني بمتعلقات معاني الحروف مايعبّر عنها عند تفسيرها مثـــل قولنا «من» معناها ابتداء الغاية و«إلى» معناها انتهاء الغاية ، و«كي» معناها الغرض فابتداء الغايـة وانتهاؤها والغرض ليست معانيها إذ لو كانت هي معانيها والابتداء والانتهاء والغرض اسمـــاً لكانت هي أيضاً أسماء لأنّ الكلمة إذا سمّيت أسماء سمّيت لمعنى الاسمية لها ، وإنّما هي متعلقات معانيها أي إذا أفادت هذه الحروف معاني رجعت المعاني إلى هذه أي الابتداء والانتهـــاء والغرض بنوع استلزام)) [3] فمن وإلى مثلاً ليس معناهما السابق الابتداء والانتهاء إنّما همـــا استلزما معنى الابتداء والانتهاء فقولك مثلاً سرت من البصرة إلى الكوفة استلزم معنى الابتداء والانتهاء من ذلك فمثل هذا لا يكون حقيقة ومعيّة . [4]

كما بين الشارح الاستعارة التي تضمنها قوله تعالى ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عـــدوّاً وحزنا)) [5] ، فذكر أنّه لمّا فقد الترتيب بين العلة والمعلول والمناسبة بينهما في الآية وهـــو ما تتضمنه لام كي لمّا كان هذا مفقوداً في اللام في قوله ((ليكون)) وجب التأول فالمستعار له ترتـــب وجود بين أمرين ليس مطلوباً الثاني وهو العداوة والحزن بالأول ، وهو الالتقاط والمستعار منـــه الترتب الحقيقي نحو قولك أنعمت على فلان ليشكر واللفظ المستعار لام كي ، ويمكن أن يقال إنّ الـــلام واردة على حقيقتها ومتعلقة بجملة قوله ((ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا)) [6] إلى قولـــه

---

(١) من الآية ٨ من سورة القصص .

(٢) انظر الحدائق ص ٩٦٣ ، ٩٦٥

(٣) المفتاح ص ١٦١

(٤) انظر الحدائق ص ٩٦٣

(٥) من الآية ٨ من سورة القصص

(٦) من الآية ٥ من سورة القصص .

((فالتقطه آل فرعون)) أى نريد أن نمن فدبّرنا الأمر وفعلنا كيت وذيت ليكون كذا.[1]

وفى ختام ماذكره الشارح فى تعليقه على الآية قال :- ((وقد بسطنا الكلام فيه فى فتوح الغيب)) فيظهر أنّ التعليق على الآية من املاءات الطيبى على تلميذه لأنّ فتوح الغيب من كتب الطيبى .

هذا وقد تأثّر الطيبى وتلميذه حول الاستعارة التبعية فى حرف اللام بما ذكره السكاكى والذى قال :- ((وإذا أردت استعارة لام الغرض قدرت الاستعارة فى معنى الغرض ثمّ استعملت لام الغرض هناك مثل أن يكون عندك ترتب وجود أمر على أمر من غير أن يكون الثانى مطلوباً بالأول ، ويكون الأول غرضاً فيه فتشبّهه بترتب وجود بين أمرين مطلوب بالأول منهما الثانى ثم تستعير للترتب المشبه كلمة الترتيب المشبّه به فى ضمن قرينة مانعة عن حملها على ماهى موضوعة له فتقول إذا رأيت عاقلاً قد أحسن إلى انسان ثمّ آذاه ذلك إنّه قد أحسن إليه ليؤذيه ومن ذلك قوله عزت كلمته :- ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزنا)) وقد ظهر .....[2])).

هذا وقد تبيّن لى أنّ السعد بيّن الفرق بين رأى السكاكى والخطيب حول الاستعارة فى الحرف من خلال الآية فقد قال :- ((ويقدّر التشبيه فى لام التعليل نحو فالتقطه أى موسى آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزنا للعداوة أى يقدّر تشبيه العداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بعلّته أى علّة الالتقاط الغائيّة كالمحبّة والتبنى ، ونحو ذلك فى الترتب على الالتقاط والحصول بعده ثمّ استعمل فى العداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بعلّته أى علّة الالتقاط الغائيّة كالمحبّة والتبنى ونحو ذلك فى الترتب على الالتقاط والحصول بعده ، ثمّ استعمل فى العداوة والحزن ماكان حقّه أن يستعمل فى العلة الغائية فتكون الاستعارة فيها تبعاً للاستعارة فى المجرور هذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشّاف حيث قال معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لأنّه لم يكن داعيتهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوّاً وحزناً ، ولكن المحبّة والتبنّى غير أنّ ذلك لمّا كانت نتيجة التقاطهم ، وثمرته شبّه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو غير مستقيم على مذهب المصنف لأنّ المشبّه يجب أن يكون متروكاً فى الاستعارة التصريحيّة على مذهبه سواء كانت أصليّة أو تبعيّة غاية مافى الباب أنّ التشبيه فى التبعيّة لا يكون فى نفس مفهوم اللفظ نعم هذا موجّه على أن تكون استعارة بالكناية فى نفس المجرور لأنّه أنسب فى النفس تشبيه العداوة مثلاً بالعلّة الغائية ، ولم يصرّح بغير المشبّه ، ودلّ عليه بذكر مايخصّ المشبّه به ، وهو لام التعليل فلا يكون من الاستعارة التبعيّة فى شئ وكذا يصحّ على مذهب السكاكى فى الاستعارة

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٦٥

(٢) المفتاح ص ١٦١

بالكناية لأنّه ذكر المشبه أعني العداوة، وأريد المشبّه به أعني العلّة الغائيّة ادعاء بقرينة لام التعليل فتحقيق الاستعارة التبعيّة في ذلك أنّه شبّه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الغائيّة عليه ثمّ استعمل في المشبه اللام الموضوعة للدلالة على ترتب العلّة الغائية التي هي المشبّه به فجرت الاستعارة أولاً في العلّيّة والغرضيّة وبتبعيّتها في اللام كما مرّ في نطقت الحال فصار حكم اللام حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه العلّيّة ، والحاصل أنّه إن قدّر التشبيه في أمثال ذلك فيما دخل عليه الحرف فالاستعارة مكنيّة والحرف قرينة وهو اختيار السكاكي كما إذا قدرت في نطقت الحال تشبيه الحال بالانسان المتكلم، ويكون نطقت قرينة وإن قدّر التشبيه في متعلق معنى الحرف كالعلّيّة والظرفيّة وما أشبه ذلك فالاستعارة تبعيّة)) [1] ، فالسعد لم يشر إلى احتمال حمل الآية على الاستعارة التصريحيّة التبعيّة بمقتضى ماذكره الطيبي، وتلميذه الشارح معتمدين على كلام السكاكي في الاستعارة في اللام كما سبق .

قرينة الاستعارة التبعيـــة

ذكر الطيبي أنّ مدار قرينة الاستعارة في الأفعال والصفات بنسبتها إلى الفاعل ، أو إلى المفعول الأول ، أو إلى المفعول الثاني أو إلى المفعولين والمجرور، واستشهد لنسبتها إلى الفاعل والمفعولين والمجرور بقول الشاعر :-

تقرى الرياح رياض الحزن مزهـــرة إذا سرى النوم في الأجفان أيقاظـــا [2]

أمّا الشارح فذكر أنّ تقرى من القرى وهي الضيافة ، والحزن ماغلظ من الأرض كما ذكر اعـــراب بعض التراكيب ، فذكر أنّ رياض مفعول أول لتقرى ، ومزهرة حال ، وأيقاظا مفعول ثان لتقرى ، وهو جمع يقظان صفة الانسان ، وقوله إذا سرى النوم في الأجفان ظرف تقرى تقدّم على المفعـــول الثاني ، ورتبته التأخير فالمجرور في الأجفان متعلّق بالفعل تقرى فالشاعر استعار التصيير للقـــرى تلميحاً أي تصيّر الريح رياض الحزن أيقاظا ، وقد راعى المقابلة بين سريان النوم ، والايقـــاظ يصف الشاعر هبوب النسيم وقت السحر فتتفتّح الأكمام عن الأزهار ، وإنّما عبر عن السحر بسريـــان النوم في الأجفان لأنّ لذيذ الكرى يكون عند الصباح [3] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيـــت

---

(١) المطول ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

(٢) انظر الحدائق ص ٩٧٣ ، ٩٧٥

(٣) انظر الحدائق ص ٩٧٥ ، ٩٧٨

هذا وقد تبيّن لى أنّ الطيبى والخطيب[1] تبعا السكاكى[2] فيما يتعلّق بكلامه حول قرينة الاستعارة التبعيّة بوجه عام ، ولم يزيدا عليه سوى مايختصّ بنسبتها إلى المفعولين والشاهد عليه فإنّ السكاكى لم يذكر هذه كما أنّ الخطيب لم يوافق السكاكى فى البيت السابق الذى ذكره شاهداً على أنّه جمع بين عدّة قرائن فى انتسابه إلى الفاعل والمفعولين والمجرور اعترض الخطيب على السكاكى بأنّ استشهاده بالبيت على جميع هذه القرائن فيه نظر ، وقد بيّن السعد هذا النظر ووافقه عليه فقال :- ((.....أو إلى الجميع أعنى الفاعل والمفعول والمجرور نحو قرى ضرب بنى فلان أعناق الأعادى بالسيوف طعناً وأما التمثيل السكاكى فى ذلك بقول الشاعر :-

تقرى الرياح .....

فغير صحيح لأنّ المجرور أعنى فى الأجفان متعلّق بسرى لا بتقرى ، وما ذكره الشارح [لعلّه يقصد العلامة قطب الدين أحد شراح المفتاح] من أنّه قرينة على أنّ سرى استعارة لأنّ السرى فى الحقيقة السير بالليل فليس بشئ ، لأنّ المقصود أن تكون الجميع قرينة لاستعارة واحدة))[3] ، أمّا البهاء السبكى فبيّن نظر الخطيب بأنّ هذا المجرور وهو ((فى الأجفان)) ليس قرينة للاستعارة ((تقرى)) أى ليس مجروراً معلوماً للاستعارة تقرى بل هو معمول لقوله تقرى .[4]

ويتبيّن من خلال هذا جهد الشارح الذى تميز فى شرحه للبيت بتوضيح مفرداته الغريبة واعراب بعض تراكيبه، وبيان موضع الشاهد فيه، وتوضيح معناه العام بالاضافة إلى اشارته للمقابلة التى تضمّنها البيت ، ولعلّ اعتراض الخطيب، والسعد، والبهاء السبكى لا تترجح أمام ما رأيناه من تقدير الشارح واعتباره ((فى الأجفان)) قرينة للاستعارة فى تقرى كغيرها من القرائن قدّر الشارح ذلك دون أن يختل المعنى أو يؤثّر عليه ، فبناء عليه يسلم الشاهد من الاعتراضات ، ويبقى شاهداً على الاستعارة التبعيّة التى جمعت بين عدّة قرائن اسنادها إلى الفاعل والمفعولين والمجرور .

كما وافق الطيبى السكاكى فى أن الأضبط أن تعتبر قرينة الاستعارة التبعيّة استعارة مكنية وتنقلب الاستعارة التبعيّة إلى قرينة للاستعارة المكنيّة تقليلاً للاعتبار إذ تسقط بمقتضاه الاستعارة التبعيّة من التقسيمات، ولأنّ الاستعارة المكنيّة أبلغ من التبعيّة، وأجاب الطيبى عن اعتراض الخطيب[5] على السكاكى[6] والمتمثل فى أنّ قرينة المكنية إذا اعتبرها السكاكى حقيقة يلزمه أنّ التخييليّة عن المكنيّة

---

(١) انظر الايضاح ص ٢٩٩ ، ٣٠٠

(٢) انظر المفتاح ص ١٦٢

(٣) المطول ص : ٣٧٧

(٤) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١٢٧/٤

(٥) انظر الايضاح ص ٣١٦

(٦) انظر المفتاح ص ١٦٣

وهذا ممتنع وإذا اعتبرها مجازاً تكون استعارة تبعيّة فما فرّ منه وقع فيه أجاب الطيبي عن هذا الاعتراض بجوابين ، فإمّا أن يقال إنّ السكاكي لم يقصد بالقلب قلب القرينة حقيقة بل قصده قلب القرينة استعارة (أو قلب الاستعارة قرينة فالقرينة في المكنية تكون تبعية تارة كقولك نطقت الحال أو أصلية أخرى كقولك لسان الحال .

وإمّا أن يقال تقدّر القرينة حقيقة وتضحّى بالاستعارة التخييليّة لكونه أسهل مأخذاً ، وأقلّ ضبطاً وأبلغ مغزى لتناسي التشبيه رأساً[1] ، هذا مجمل ماذكره الطيبي ، أمّا الشارح فإنّه أيّد ماسار عليه أستاذه الذي تبع السكاكي (وذلك بالتوضيح والبيان ، فقد ذكر أنّ تقليل الاعتبار يأتي من اسقاط الاستعارة فتصير الاستعارة حينئذ كلّها أصليّة ، إمّا مصرحة أو مكنيّة والمصرحة إمّا تحقيقيّة أو تخييليّة ، والقرينة في المكنيّة إمّا اسم (أو فعل فبهذا يسقط تقسيم الاستعارة المصرحة إلى أصليّة وتبعية .[2]

كما ذكر أنّ وجه كون المكنية أبلغ من التبعيّة لما في الأول من ادخال المشبّه في جنس المشبه به ، ثم جعله في التصوير شيئاً متوهماً من الأمرين بخلاف التبعيّة فإنّ فيه تشبيه الدلالة مثلاً بنطق الناطق ثمّ اطلاقه عليه للمبالغة .[3]

والذي يظهر لي أنّ الاستعارة التبعيّة أبلغ من المكنيّة على رأي الخطيب لأنّ الأول فيه ادخال للمشبّه في جنس المشبّه به ، ثم أطلق لفظ المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التبعيّة بخلاف المكنيّة فإنّه تشبيه مضمر في النفس ، كما سبق بيانه .

كما قرّر الشارح وأكد جواب أستاذه عن اعتراض الخطيب الذي ذكر سابقاً فقد ذكر الشارح بعد أن نقل ردّ اعتراض الخطيب على السكاكي ذكر الشارح أنّ السكاكي لم يسقط الاستعارة التبعيّة ويعتبرها نسياً منسيّاً وإنّما جعل قرينة الاستعارة المكنيّة على نوعين ، إمّا أصلية كقولك لسان الحال ناطق بكذا ، أو تبعيّة كنطقت الحال بكذا ، وقصده بذلك تقليل الاعتبار فتكون الاستعارة كلّها أصليّة (وتقسيمها الرئيسي إمّا مصرحة أو مكنيّة) ويستغنى عن أن يقال الاستعارة إمّا أصليّة أو تبعية والأصلية إمّا مصرحة أو مكنية[4] ، هذا مجمل ماذكره الشارح (ويرد على الطيبي والشارح أنّه على أي مسمى اعتمد سواء أصلية أو تبعية فإنّه لا مناص له من اعتبارها قرينة للاستعارة المكنيّة (ولم يصطلح البلاغيّون على تسمية قرينة الاستعارة المكنية أصليّة أو تبعيّة لأنّ هاتين العبارتين اصطلاح تعارف

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٧٨ ، ٩٨٠ ، ٩٨١

(٢) انظر الحدائق ص ٩٧٨

(٣) انظر الحدائق ص ٩٧٨

(٤) انظر الحدائق ص ٩٨٠

عليه البلاغيّون في تقسيم الاستعارة من جهة اللفظ المستعار ثمّ على فرض جواز اطلاق لفظ المشبّه الأصليّة أو التبعيّة على قرينة المكنيّة كيف يقلّ الاعتبار فإنّه لم يفعل شيئا سوى أنّه نقل الاستعارة التبعيّة من التقسيم الرئيسي وجعله أحد قسمي المكنيّة ، هذا وبعد البيان لرأي السكاكي ، واعتراض الخطيب عليه ثمّ رد الطيبي على الخطيب ومناصرته السكاكي ، وتأييد الشارح لأستاذه حول جعل قرينة الاستعارة التبعيّة استعارة مكنيّة وتحويل الاستعارة التبعيّة قرينة لها الذي يظهر بعد هذا البيان أنّ اعتراض الخطيب على السكاكي فيه مازال قويّاً على الرغم من جواب الطيبي فإنّه إذا اعتبر أن القرينة مستعملة في حقيقتها يكون قد أسقط نوعاً معتبراً من أنواع الاستعارة وهي الاستعارة التخييلية وذلك الارتباط بين المكنية والتخييلية وهذا ممتنع وإن أراد السكاكي قصد قلب القرينة إلى استعارة وقلب الاستعارة إلى قرينة فحينئذ لا مناص من اطلاق التبعيّة عليه في قولك نطقت الحال لأنّها فعل فما فرّ منه وقع فيه ، والذي يظهر لي أن ماسار عليه الخطيب هو الأيسر والأسهل ويتّسم بالبعد عن التكلف من أنّ قرينة الاستعارة التبعيّة تبقى على حالها وحقيقتها الموضوعة لها لغوياً وهي الحال مثلاً دالّة على أنّ نطقت في قولك مثلاً نطقت الحال بكذا مستعملة في غير ما وضعت له على سبيل المجاز بالاستعارة فبمقتضى هذا كيف يتصوّر بناءً على رأي السكاكي ومن تبعه أنّ لفظة نطقت تكون قرينة للاستعارة المكنيّة في لفظ الحال وفي نفس الوقت تكون استعارة تبعيّة فالأظهر كما ذكرت رأي الخطيب في ابقاء القرينة قرينة أو جعلها استعارة مكنيّة وجعل القرينة استعارة تخييلية .

الاستعارة التمثيلية

ذكر الطيبي فيما سبق أنّ الجامع في الاستعارة إمّا أن يكون أمراً واحداً وأنواع تلك التي سبقت أو يكون في حكم الواحد وهي الاستعارة التمثيليّة وقد عرّفها الطيبي بقوله :- ((وذلك بأن تأخذ وصف إحدى الصورتين المنتزع من أمور فتشبّهه بوصف صورة أخرى مشابهه ثم تدخل صورة المشبّه في جنس صورة المشبّه به مبالغة فتكسرها لفظ المشبّه به مبالغة من غير تغيير كما كتب الوليد إلى مروان وقد بلغه أنّه متوقف في البيعة ، أما بعد فإنّي أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت)) .(١)

أما الشارح فكانت له بعض الشروح ، والتعليقات على تعريف أستاذه فذكر أنّ المقصود بالانتزاع من أمور أنك تنزع للمشبه أموراً متوهمة من المشبه به المركب من أمور محققة ، وكذلك الوجه أو الجامع

---

(١) الحدائق ص ٩٨٣ ، ٩٨٤

منتزع من أمور يشترك فيه الطرفان فإذا قلت فى مفتى متردد فى الفتوى أراك تقدّم رجلاً ، وتؤخر أخرى تكون قد انتزعت من المستعار منه وهو تقدم رجلاً وتؤخر أخرى معنى يناسب حال المفتى وهو اقدامه مرة على الافتاء فى مسألة واحجامه عنها أخرى والجامع بينهما التحيّر والتردّد بين أن يفعل ، وأن لا يفعل . (١)

كما بيّن الشارح الاستعارة ، ووجه الانتزاع فى قول الوليد أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى فذكر أنّه شبّه تردّد مروان فى البيعة المنتزع من فعل بيعة الوليد وعدمه بتردّد شخص يريد الذهاب إلى مكان فيقدّم رجلاً ، ثمّ يبدو له فينكص على عقبيه فالترددان هما الوصفان المنتزعان شبّه أحدهما بالآخر ، والجامع التحيّر لأنّه مأخوذ من الترددين المنتزعين من الأمور . (٢)

هذا مجمل ماذكره الشارح وقد تبيّن لى أنّ الخطيب ذكر قول الوليد وعلّق عليه بقوله :- ((شبّه صورة تردّده فى المبايعة بصورة تردّد من قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدّم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى)) . (٣)

أمّا السعد فإنّه زاد على ماذكره الخطيب بيان وجه الشبه أو الجامع حيث قال :-

((شبّه صورة تردّده فى المبايعة بصورة تردّد من قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدّم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى ، فاستعمل الكلام الدال على هذه الصورة فى تلك ووجه الشبه وهو الاقدام تارة والاحجام أخرى منتزع من عدّة أمور كما ترى)) . (٤)

يتبيّن لنا من خلال هذا جهد الشارح فى توضيح ماقاله أستاذه عن طريق المثال بالاضافة إلى ماتميّز به شرحه لقول الوليد ببيان المستعار له ، والمستعار منه ، والجامع .

ويظهر أنّ الطيبى فى تعريفه للاستعارة التمثيليّة وتوضيح الشارح له قد تأثرا بما ذكره السكاكى والذى قال :- ((ومن الأمثلة استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف الأخرى مثل أن تجد انساناً استفتى فى مسألة فيهمّ تارة باطلاق اللسان ليجيب ، ولا يهمّ أخرى فتأخذ صورة تردّده هذا فتشبهها بصورة تردد انسان قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب ، فيقدّم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى ، ثم تدخل صورة المشبه فى جنس صورة المشبه به ، وما للمبالغة فى التشبيه فتكسوها وصف المشبّه به من غير تغيير فيه بوجه من الوجوه على سبيل الاستعارة قائلاً

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٨٣

(٢) انظر الحدائق ص ٩٨٤

(٣) الايضاح ص ٣٠٥

(٤) المطول ص ٣٨٠

أراك أيّها المفتي تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى ، وهذا تسميه التمثيل على سبيل الاستعارة ، ولكون الأمثال كلّها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا يجد التغيير إليها سبيلا)) .[1]

كما ذكر الطيبي أنّ المثل ينقسم إلى ضربين : الأول : أن يكون المستعار منه شيئا محقّقاً واقعاً كقولهم خذه ولو بقرطي مارية وقرطي مارية دُرّتان كبيضتي الحمام يضرب في الشيء الثمين أي لا يفوتنّك بأي ثمن يكون الثاني أن يكون المستعار منه مقدّراً مفروضاً كقولهم طارت به العنقاء أي طار التغييبه ، والعنقاء ليس لها دور في هذه الغيبة .[2]

وقد تبين لي أنّ الخطيب[3] لم يشر إلى مثل هذا التقسيم للمثل عند كلامه عن الاستعارة التمثيليّة .

أمّا الشارح فبيّن الاستعارة التي في قولهم خذه ولو بقرطي مارية فذكر أنّك إذا أردت ترغيب صاحبك في شراء كتاب نفيس مثلاً واقتنائه قلت له ذلك القول بعد تشبيهك حالة ترغيبك إيّاه بحالة مارية ، وتحصيلها القرطين بثمن عظيم ، ومارية أمّ ولد جفنة أهديت إلى الكعبة قرطيها ، وعليها دُرّتان كبيضتي حمام لم ير الناس مثله ، ولم يدروا ماقيمتها يضرب هذا المثل في الشيء الثمين .[4]

لعلّ الشارح قد أحسن بشرح المثل وتوضيح موضع الشاهد فيه وبيان قصته .

تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع

ذكر الطيبي أنّ الاستعارة بهذا الاعتبار تنقسم إلى ستة أقسام أولّها استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي ، وثانيها : استعارة محسوس لمحسوس والجامع عقلي ، وثالثها : استعارة معقول لمعقول والجامع عقلي ، ورابعها : استعارة محسوس لمعقول والجامع عقلي ، وخامسها : استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي ، وسادسها : استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي .[5]

وقد تبين لي أنّ الخطيب[6] ذكر هذا التقسيم للاستعارة وأدرج تحته الأقسام الستة

---

(١) المفتاح ص ١٥٩
(٢) انظر الحدائق ص ٩٨٤ ، ٩٨٨
(٣) انظر الايضاح ص ٣٠٤ - ٣٠٩
(٤) انظر الحدائق ص ٩٨٤ ، ٩٨٦
(٥) انظر الحدائق ص ٩٩٤ ، ٩٩٧ ، ١٠٠٠
(٦) انظر الايضاح ص ٢٩٥ - ٢٩٨

ولعل الطيبي والخطيب تأثرا بالسكاكي [1] ، الذي ذكر تلك الأقسام بشواهدها ماعدا القسم السادس منها فلم يذكره ، هذا وقد استشهد الطيبي للقسم الأول وهو استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي استشهد بقوله تعالى :- ((واشتعل الرأس شيبا)) [2] ، فالمستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب والجامع الانبساط [3] .

هذا الذي ارتضاه الطيبي في توجيه الآية تبع فيه رأي السكاكي ، وقد ردّ الطيبي على الخطيب الذي اعتبر أنّ الآية ليس فيها شاهد على استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي ، ويرى أنّ في الآية استعارتين فقد قال :- ((وأمّا قوله تعالى ((واشتعل الرأس شيبا)) فليس مما نحن فيه أي من استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي وإن عدّ منه لأنّ فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه ، وانارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذّر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية والجامع في الثاني عقلي وكلامنا في غيرهما)) [4] ردّ الطيبي عليه بأنّ هذا الاعتبار لا يتعارض مع القول بالاستعارة بالكناية ، وردّ على الخطيب أيضاً فيما فهمه من كلام الزمخشري أنّ في الآية تشبيهين على اعتبار أنّ مبنى الاستعارة على التشبيه ردّ عليه بأنّ كلام الزمخشري في الآية بأنّ فيه تشبيهين على الاستعارة التمثيليّة ، فقد شبّه الشيب وفشوّه في الرأس وأخذه من كل مأخذ بشواظ النار واشتعاله في الحطب فيسرع فيه الاحتراق والجامع سرعة انبساط بياض في سواد مع تعذر التلافي فاعتبار الاستعارة في الآية تبعيّة لا يمنع من اعتبارها استعارة بالكناية من وجه آخر ، إذ لا تعارض ، واعتباره أنّ الآية فيها تشبيهان اعتمادا على الزمخشري فإنّ كلام الزمخشري يفهم منه حمل الآية على الاستعارة التمثيليّة [5] ، هذا مجمل ردّ الطيبي على الخطيب ، أمّا الشارح فإنّه قرّر ما سار عليه أستاذه في توجيه الآية وأكّد ردّ أستاذه على الخطيب فذكر أنّ القائل في قول أستاذه ، وقيل هو الخطيب ثمّ نقل نصّ تعليق الزمخشري في الكشاف على الآية الذي حمله الخطيب على أن في الآية تشبيهين ، وحمله الطيبي على أنه استعارة تمثيليّة ذكر الشارح في تأييده لأستاذه أنّه ليس من شرط الاستعارة التمثيليّة أن تراعى مجموع الألفاظ عند انتزاع الشبه كما في قولك أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى بل يكفي أن يكون التشبيه منتزعاً من عدّة أمور متوهمة سواء حصل ذلك من كلمة ، أو من كلمات ، وذكر أنّ الأحسن في توجيه الآية ماذكره السكاكي وأستاذه أنّ في شيب استعارة بالكناية وفي اشتعل

---

(١) انظر المفتاح ص ١٦٤ ، ١٦٥

(٢) من الآية ٤ من سورة مريم

(٣) انوار الحدائق ص ٩٩٤

(٤) الايضاح ص ٢٩٦

(٥) انوار الحدائق ص ٩٩٤

استعارة تخييلية ففي الآية استعارتان ، أمّا اعتبارها استعارة تمثيلية على اعتبار أنّها جمعت عدّة تشبيهات لا تشبيهين كما زعم الخطيب فهذا التوجيه حسن لأن من المعروف أنّ التشبيه أو التمثيل متى كان أكثر تفصيلاً ، وأدقّ مغزى كان أولى بالقبول وأحرى بالتلقي ، ومقتضى توجيه الخطيب ففي الآية استعارة واحدة في اشتعل ونوعها تبعيّة تصريحيّة .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح وينجلي من خلاله جهده الذي بذله في بيان التوجيهات التي تحتملها الاستعارة في الآية ، ودفاعه في هذا عن توجيه السكاكي ، وتبعاً له أستاذه وتضعيف توجيه الخطيب والذي يظهر أنّه بمقتضى توجيه السكاكي في أنّ الشيب استعارة بالكناية وفي اشتعل استعارة تخييلية فإنّهما مستعملتان في غير ماوضع لهما لغويّاً ويحتاجان إلى تأويل متعسف كما سبق في المنيّة والأظفار في قول أبي ذؤيب الهذلي :-

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

لكن إذا أريد جعل الآية شاهداً على استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي فلا بأس أن تكون في الشيب استعارة مكنية وفي اشتعل استعارة تخييلية لكن الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية بمقتضى رأي الخطيب الذي سبق تفصيله لبعده عن التكلّف في التأويل .

أمّا إذا ابتعدنا بالآية عن اقحامها ضمن هذا القسم وهو استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي فالأحسن أن تكون استعارة تصريحيّة تبعية في اشتعل ، والشيب تجريد للاستعارة ويكون الجامع فيها أمراً عقليّاً .

كما استشهد الطيبي لاستعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي بقوله تعالى :- ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون))(٢) ، فالمستعار منه هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل ، والجامع مايعقل من ترتب أمر على آخر .(٣)

أمّا الشارح فذكر أنّ ماسار عليه أستاذه هو توجيه الزمخشري في الكشاف ، وقد ذكر المرزوقي أنّ الآية دلّت على أنّ الليل قبل النهار لأنّ المسلوخ منه قبل المسلوخ كما ذكر الفرّاء أنّ الليل هو الأصل والنهار طارئ عليه فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل بعد أن قوّى الشارح ماذهب إليه أستاذه الذي تبع الزمخشري ذكر توجيه السكاكي الذي يرى أنّ المستعار له في الآية ظهور النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته وقد اعتمد السكاكي في توجيهه

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٩٤ ، ٩٩٦

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) انظر الحدائق ص ٩٩٧

على تفسير الزجاج الذى ذكر أنّ نسلخ بمعنى نخرج اخراجاً لا يبقى معه شئ .[1]

كما ذكر الشارح أنّه بناء على ماسبق فينبغى أن يفسّر الظهور بمعنى الخروج ، لأنّه لو فسّر على معناه الحقيقى لانقلب المعنى ، وصار بدل مظلمون مبصرون وهذا على خلاف التنزيل والظهور بمعنى الخروج جاء فى قول عمر إلى أبى عبيدة رضى الله عنهما اظهر بمن معك من المسلمين .... أى أخرج ، وحديث عائشة رضى الله عنها فى قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العصر ولم يظهر الفئ من حجرتها أى لم يرتفع ، ولم يخرج إلى ظهرها .[2]

هذا مجمل ماذكره الشارح فى تأييد ماذهب إليه أستاذه فى توجيه الآية بآراء علماء آخرين وبيّن مصدر السكاكى فى توجيهه للآية ووجه ضعفه ، ويظهر أن هذا جهد طيب من الشارح ولعلّ الطيبى تأثر بما ذكره الخطيب حول الاستعارة فى الآية فقد قال :- ((وأمّا استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى فكقوله تعالى ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار))[3] ، فإنّ المستعار منه كشط الجلد وازالته عن الشاة ونحوها والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل ، وملقى ظلّه وهما حسّيان ، والجامع لهما مايعقل من ترتب أمر على آخر ، وقيل المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس بسديد لأنّه لو كان ذلك لقال فإذا هم مبصرون ونحوه ولم يقل ((فإذا هم مظلمون)) أى داخلون فى الظلام)) .[4]

والذى يظهر أنّ مخالفة الطيبى ، المسكاكى ، واتباعهما للخطيب فى توجيه الآية مع أنّهما تبعا رأى السكاكى فى كثير من المسائل البلاغية دلّ هذا على الروح العلمية التى اتّصف بها الطيبى والشارح فإنّ النظرة المجردة للرأى وترجيحه لكونه الأرجح علميّاً بغضّ النظر عن صاحب الرأى المخالف وعدم التعصب له فالنظر بعين الحق والانصاف المجرد البعيد عن أىّ هوى أو غرض أو تعصب أعمى كلّ هذه سمات الروح العلمية وهى ماتميز بها الطيبى وتلميذه فى مخالفتهما للسكاكى ومتابعتهما للخطيب وإن لم يصرّحا باسم الخطيب فرحم الله الجميع لما بذلوا من جهود فى اثراء البحث البلاغى .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٩٧ .

(٢) انظر الحدائق ص ٩٩٧ ، ٩٩٩

(٣) من الآية ٣٧ من سورة يس

(٤) الايضاح ص ٢٩٦

كما استشهد الطيبي لما كان الطرفان فيه حسيين والجامع عقلياً استشهد بقوله تعالى :- ((إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)) [1] ، فالمستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والجامع المنع من ظهور النتيجة ، وهذا نفس ماذكره السكاكي حول الآية ، ثم ذكر الطيبي اعتراض الخطيب [2] على السكاكي بأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها كذلك جعلت صفة للريح ، ويرى الخطيب [3] أن المستعار منه مافي المرأة من الصفة التي تمنع من الحمل والمستعار له مافي الريح من الصفة التي تمنع انشاء المطر والقاح الشجر ، والجامع المنع من ظهور النتيجة فيكون الطرفان عقليين فيخرج من هذا القسم ردّ الطيبي عليه بأن اعتراضه ناشئ من منع انقلاب الاستعارة التبعية مكنية . [4]

أما الشارح فذكر أنه بمقتضى رأي أستاذه تكون الاستعارة في الريح استعارة مكنية ، والعقيم قرينتها استعارة تخييلية وبمقتضى توجيه الخطيب تكون الاستعارة في العقيم استعارة تبعية باعتبارها صفة مشبهة فالاستعارة جرت في مصدرها أولاً ثم سرت إليها . [5] ، لعل هذا توضيح حسن من الشارح في توجيه الاستعارة في الآية بمقتضى توجيه السكاكي وتبعاً له الطيبي وبمقتضى توجيه الخطيب فالذي يظهر لي أن الاستعارة في الآية يجوز فيها أحد وجهين فيمكن حملها على الاستعارة المكنية في الريح ، والتخييلية في العقيم على رأي السكاكي ، وإن كان فيه تكلف في التأويل وبمقتضاه تكون شاهداً أيضاً لاستعارة محسوس لمحسوس والجامع عقلي ، ويجوز حملها على الاستعارة التبعية في العقيم والريح قرينتها بمقتضى رأي الخطيب ، وتكون شاهداً أيضاً لاستعارة معقول لمعقول والجامع عقلي ، فكل من وجهتي النظر صحيحة .

شرائط حسن الاستعارة

ذكر الطيبي أن شرائط حسن الاستعارة تأتي على وجوه منها إذا عقبت الاستعارة بصفات أو تفريع كلام يناسب المستعار له وهي المجردة واستشهد له بقول كثير :-

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الشاعر الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه ووصفه بالغمر الذي يناسب المعروف ،

---

(١) من الآية ٤١ من سورة الذاريات

(٢) (٣) انظر الايضاح ص ٢٩٧

(٤) انظر الحدائق ص ٩٩٩

(٥) انظر الحدائق ص ٩٩٩

والغمر في الحقيقة وصف للبحر المستعار أولاً فيكون تجريداً عقب ترشيح .[1]

أمّا الشارح فبين بعض المفردات فذكر أنّ غمر الرداء معناه كثير العطاء ، غلقت يقال غلق الرهن إذا استحقه المرتهن ، كما ذكر أنّ غمر الرداء خبر مبتدأ محذوف ، وقوله إذا تبسّم حاكٍ شرط وجزاؤه ما دلّ عليه الكلام السابق .

ومعنى البيت يصف الشاعر ممدوحه بكثرة العطاء ويقول :-

إنّ المال عنده كالعبد المرهون عند المرتهن يفكّ عند سروره ، وبشاشته رقابه ، فإذا ضحك أيقن السائل أنّه بذلك التبسّم استغلق رقاب ماله ، فيعطي بلا خوف ، ورقاب المال استعارة مكنيّة وغلقت ترشيحها ، والغمر في أصل معناه يوصف به الماء الكثير وهو لا يناسب المعروف لأنّ المعروف اسم جامع لكلّ ماعرف من طاعة الله والتقرب إليه والاحسان إلى الناس لكن لمّا شبّه الممدوح بالبحر استعير البحر له وكثر استعماله فيه حتّى جعل مثلاً له صحّ حينئذ أن يكون الغمر صفة للمعروف ووجه تسمية المجردة بذلك أنّها جردت المشبّه به من أجناسه وأثبتت له وصف المشبّه على التخييل لتفوّقه عليها .[2]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت كثير ، وقد تبيّن أنّ الخطيب ذكر البيت شاهداً على التجريد ، ولم يزد في تعليقه عن قوله :- ((فإنّه استعار الرداء للمعروف لأنّه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء مايلقى عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء فنظر إلى المستعار له)) .[3]

أمّا السعد[4] فإنّه اكتفى ببيان التّجريد الذي تضمّنه البيت ، وشرحه لمعنى غلقت كذلك البهاء السبكي[5] اقتصر على توضيح التجريد الذي اشتمل عليه البيت فمن خلال هذا يتّضح لنا جهد الشارح في شرح البيت من توضيح بعض مفرداته ، واعراب بعض تراكيبه وبيان موضع الشاهد فيه .

كما ذكر الطيبي أنّ من وجوه حسن الاستعارة اجتماع التجريد والترشيح واستشهد له بقوله تعالى ((أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين))[6] ، فقوله :- ((فما ربحت تجارتهم)) ترشيح ، وقوله ((وما كانوا مهتدين)) تجريد .[7]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٣

(٢) انظر الحدائق ص ١٠٠٣ ، ١٠٠٤

(٣) الايضاح ص ٣٠٠ ، ٣٠١

(٤) انظر المطول ص ٣٧٧

(٥) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١٢٨/٤ ، ١٢٩

(٦) من الآية ١٦ من سورة البقرة .

(٧) انظر الحدائق ص ١٠٠٦

أمّا الشارح فبيّن الاستعارة والترشيح والتجريد التي تضمنتها الآية ، فذكر أنّه شبّه استبدالهم الهداية بالضلالة بحالة التجّار في دفع شيء وأخذ شيء بدله ، ثمّ استعير لفظ الاشتراء للاستبدال ، وفرّع على المستعار منه ما يلائمه من الربح ، فهذا ترشيح للاستعارة وفرّع على المستعار له ما يلائمه من عدم الاهتداء ، وهذا تجريد للاستعارة[1] ، لعلّ الشارح قد أحسن بهذا الشرح للصورة البيانيّة للآية ، وبيان موضع الشاهد فيه ، أمّا الخطيب فذكر الآية إلى قوله ((.....تجارتهم)) واعتبرها شاهداً على الترشيح وعلّق عليها بقوله :- ((فإنّه استعار الاشتراء للاختيار وفاه بالربح ، والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار منه))[2] ، وتبع الخطيب في هذا التوجيه للآية السعد[3] ، أمّا البهاء السبكي[4] فبعد أن ذكر توجيه الخطيب أورد تعليق الطيبي دون تعليق منه ، والذي يظهر أنّ الأمرين بين الطيبي والخطيب ، فإن أقلّ ما يقال إن الخطيب لم يقصد اكمال الآية وأراد جعلها شاهداً على الترشيح للاستعارة فقط ، ولو قصد إلى اكمالها لم يختلف رأيه عن رأي الطيبي في أنّها جمعت الترشيح والتجريد معاً ، كما ذكر الطيبي أنّ الاستعارة كلّما بعدت في التفريع زاد حسنها ، واستشهد له بقول الأبيوردي :-

وفي الحدوج الغواني كلّ غانية ... يروى موزّرها والخصر ظمآن

فالشاعر ترك استعارة الغصون للقدود ، وجعل الاستعارة في الفرع ، وهو يروى وظمآن .[5]

أمّا الشارح فذكر أنّه لمّا كانت الاستعارة متفرّعة عن التشبيه فكلّما بعدت عن التشبيه وذلك بأن يفرّع عليها صفات المستعار منه ، أو المشبّه به ازداد حسنها ، أمّا ما يتعلّق ببيت الشاهد فبيّن المفردات الغريبة ، فذكر أن الحدوج مفرده حِدْج وهو المركب من مراكب النساء مثل المحفّة ، الغواني المبكرات ، والذاهبات في الغدوة ، والغانية التي غنيت بزوجها إذا استغنت بحسنها وجمالها عن التزيّن بالحلى كما بيّن وجه بعد الاستعارة وبناءها على الفرع في البيت ، فذكر أنّ عادة الشعراء جرت على تشبيه القدود بالغصون ، ثمّ يطلقون الغصون على القدود ، ويرشّحون هذه الاستعارة بذكر الرى ، والظمأ لكنّ الشاعر ترك الاستعارة في الغصن ، وأجراه في الفرع الذي كان ترشيحاً فأجرى الاستعارة في الرى والظمأ .[6]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٠٦

(٢) الايضاح ص ٣٠٢

(٣) انظر المطول ص ٣٧٨

(٤) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ١٣١/٤

(٥) انظر الحدائق ص ١٠٠٨ ، ١٠١٠

(٦) انظر الحدائق ص ١٠٠٨ ، ١٠١٠

والذى يظهر أنّ اختيار الطيبى لهذا البيت تعدّ من روائع اختياراته كما أنّ توضيح الشارح لمفرداته الغريبة ، وبيان وجه حسن الاستعارة فيه زاده حسناً على حسن .

كما ذكر الطيبى من وجوه حسن الاستعارة أن لا يشمّ فيها من جانب اللفظ رائحة التشبيه ، ولذلك ينبغى فى الاستعارة المصرّحة أن يكون الجامع جليّاً بنفسه ، أو معروفاً ، وإلّا خرج إلى الالغاز والتعمية كما إذا قلت رأيت ابلاً مائة لا تجد فيها راحلة ، وتريد الناس .[1]

هذا وقد تبيّن لى أنّ ماذكره الطيبى تصرّف فى نقله عن السكاكى والذى قال :- ((..... وأن لا تشمّها فى كلامك من جانب اللفظ رائحة من التشبيه ، ولذلك نوصى فى الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبه بين المستعار له والمستعار منه جليّاً بنفسه ، أو معرّفاً سائراً بين الأقوام ، وإلّا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت فى باب التعمية والإلغاز ..... أو قلت رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة وأردت الناس))[2] ، أمّا الخطيب[3] فإنّه وجه كلام السكاكى إلى الاستعارة التحقيقيّة والتمثيليّة .

أمّا الشارح فذكر أنّ فى قولك أسد يرمى فإن رائحة التشبيه تشمّ لأن المبتدأ المحذوف كأنّه مذكور لهذا فإنّ رأى المحقّقين أنّه تشبيه وإن كان فيه احتمالان فإذا اعتبر أسد خبر مبتدأ محذوف يكون تشبيهاً ، وإذا اعتبر أسد مبتدأ خبره محذوف ، والتقدير مثلاً أسد يرمى فى الدار يكون استعارة ، كما ذكر أنّ تجريد الاستعارة ليس فيه رائحة التشبيه التى تنبئ عن ذكر أحد الطرفين المضمرين لأنّ التجريد لازم الشبه ويقصد به المبالغة .[4]

كما ذكر الشارح أنّه لا يشترط فى الاستعارة المكنية وضوح الجامع لأنّ القرينة تشير إلى المعنى المقصود فإنّك إذا قلت رأيت زيداً يفترس أقرانه فإنّ يفترس قرينة ، واستعارة تخييليّة فى نفس الوقت تدلّ على أن زيداً استعارة مكنيّة .[5]

والذى يظهر لى أنّ ماذكره الشارح من أن قولك أسد يرمى أنّ رأى المحققين فيه أنّه تشبيه ثم قال ويحتمل وجهين .....

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠١٢ ، ١٠١٤

(٢) المفتاح ص ١٦٤

(٣) انظر الايضاح ص ٣١٧

(٤) انظر الحدائق ص ١٠١٢ ، ١٠١٤

(٥) انظر الحدائق ص ١٠١٤

الذى يظهر لى أنّ هذا الكلام فيه تفصيل على رأى الامام عبدالقاهر فإنّه يرى أنّ مثل المثال السابق الأقرب والأحسن فيه بل يقرب أكثر من الاستعارة لأنّ تقدير أداة التشبية يؤدى إلى التناقض إذ يلزم عليه أن يوصف الأسد المعروف بما ليس فيه ،وهو الرمى والمثال على طريقة قول البحترى

وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا ومونع رحلى منه أسود مظلم

فالخطيب حكى هذا التفصيل عن الامام عبدالقاهر بعد أن ذكر أنّ المشبّه إذا كان مذكوراً ، أوفى حكم المذكور ، وكان المشبّه به خبراً ، أوفى حكم الخبر ، فالأصل أن يكون تشبيهاً ، وأنّ هذا رأى المحققين كالقاضى أبى الحسن الجرجانى والامام عبدالقاهر والزمخشرى والسكاكى .(١)

كما ذكر الشارح أنّ المثال الذى ذكره أستاذه رأيت إبلاً مائة مقتبسين قول الرسول صلى الله عليه وسلم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ، وذكر أنّ الراحلة البعير القوى القادر على تحمّل المشاق يطلق على الذكر والأنثى ، والحديث من التشبيه المركّب التمثيلى ، فإنّ المشبه به هى الابل موصوفة بأنّها مائة ، وبأنّها لا يوجد فيها راحلة لينتزع هذا للمشبه الذى هو الناس شبّه جماعة من الناس لا منتجب منهم بمائة من الابل لم يوجد فيها نجيب ، ووجه الشبه حصول متعدد لا مختار فيه فهذا المعنى لا يعرف إذا حذف المشبه وأطلق لفظ المشبه به على المشبه بل يدخل فى حدّ الالغاز .(٢)

وقد تبيّن لى أنّ السعد ذكر الحديث السابق واكتفى بشرح بعض مفرداته ،واعراب بعض تراكيبه ، ولم يبيّن الصورة البيانية التى اشتمل عليها الحديث فقد قال :- ((..... وأمّا إذا لم يراع كما لو شمّ رائحة التشبيه فلايصير الغازاً لكن يفوت الحسن كما لو قيل فى ..... التمثيل رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة ،وأريد الناس من قوله عليه الصلاة والسلام الناس كالابل المائة لا تجد فيها راحلة الراحلة الذى يرتحله الرجل جملاً كان أو ناقة ، يريد أنّ المرضى المنتخب فى عزة وجودة كالنجيبة التى لا توجد فى كثير من الابل والكاف مفعول ثان لتجد ،وليست مع مافى حيّزها فى محلّ النصب على الحال كأنّه قيل كالإبل المائة غير موجودة فيها راحلة أو هى جملة مستأنفة)) .(٣)

فمن خلال ماذكره السعد يتميّز جهد الشارح فى شرح الحديث وبيان وجه الشاهد فى المثال فرحمهما الله تعالى .

---

(١) انظر الايضاح ص ٢٨١ - ٢٨٣

(٢) انظر الحدائق ص ١٠١٤

(٣) المطول ص ٤٠٤ ، ٤٠٥

الفصل السادس : الكناية وأقسامها :-

عرّف الطيبي الكناية بأنّها ترك التصريح بالشئ إلى مايساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم كما يقال فلان طويل النجاد أي طويل القامة وسمّيت كناية لما فيها من اخفاء وجه التصريح[1] ، أمّا الشارح فذكر أنّ المقصود باللازم هو مايعرض للشئ كطول النجاد وبالمساواة مايفهم من اطلاق أحد المتلازمين بمعنى الآخر كالأنياب للسبع مثلاً ، ومساواة اللازم للملزوم إمّا بحسب التحقيق كما في قولك حيّ مستوى القامة عريض الأظفار كناية عن الانسان ، أو بحسب الشهرة وكثرة الاستعمال كما في قولك كثير الرماد مثلاً كناية عن الجود كما ردّ الشارح على الخطيب[2] الذي يرى أنّ الانتقال في الكناية من الملزوم إلى اللازم ، وفي المجاز من اللازم إلى الملزوم على اعتبار أنّ اللازم لا يكون لازماً مالم يكن ملزوماً فحينئذ يكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم ردّ الشارح عليه بأنْ بيّن ملزوم المجاز وملزوم الكناية فرقاً من حيث الحقيقة ومن حيث الشهرة وكثرة الاستعمال ثمّ ادعاء مساواة اللازم للملزوم في الكناية لا يصيّرهما ملزومين حقيقيّين كما في المجاز .[3]

ولعلّ الطيبي في تعريفه للكناية تأثّر بالسكاكي الذي قال :-

((الكناية هي ترك التصريح بذكر الشئ إلى ذكر مايلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ماهو ملزومه وهو طول القامة .....))[4] .

أمّا الخطيب فقال في تعريفه :- ((الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ كقولك فلان طويل النجاد أي طويل القامة))[5] .

فالطيبي وتلميذه يتبعان السكاكي في أنّ الكناية اطلاق اللازم وارادة الملزوم بخلاف الخطيب الذي يرى أنّه اطلاق الملزوم وارادة اللازم .

ويرى بعض البلاغيين أنّ الخلاف بين السكّاكي والخطيب في هذا خلاف لفظي إذ الكلّ يقرّ أن الانتقال في قولك كثير الرماد مثلاً من كثرة الرماد إلى الكرم[6] .

هذا وقد قسّم الطيبي الكناية إلى قسمين : الأول المطلقة ، وهي التي يطلب منها نفس

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٤٨

(٢) انظر الايضاح ص ٣١٩

(٣) انظر الحدائق ص ١٠٤٨

(٤) المفتاح ص ١٧٠

(٥) الايضاح ص ٣١٨ ، ٣١٩

(٦) انظر البيان بين عبدالقاهر والسكاكي ص ٢١٨ .

الموصوف إمّا من خلال معنى واحد كقولك مضياف كناية عن زيد بسبب اختصاصه به ، وإمّا من خلال معان مجموعة كقولك حيّ مستوى القامة عريض الأظفار ، وتقصد به الانسان ، ولمّا كان هذا القسم استوى فيه المكنى ، والمكنى عنه تمكّن المتكلم من وضع الوصف موضع العلم .

الثانى غير المطلقة وتتنوع إلى رمز ، وتلويح ، وإيماء ، وتعريض .(١)

أمّا الشارح فذكر أنّ القسم الأول لمّا كان من شرطه أن تكون الأوصاف معلومة الانتساب للموصوف بالدليل القاطعى أو بالاشتهار صحّ اطلاق الكناية عليه ، ويمكن للمتكلم اجراؤها عليه ، والفرق بين القسم الأول ، والثانى أنّ المطلقة مطلقة من الوصف أى أنّه لا يقصد فيها إلى وصف المدح أو الذم ابتداءً وإن لزم فى بعض الصور أمّا القسم الثانى فمقيّدة بالوصف أى القصد فيها إلى الوصف قصداً أولياً إمّا أن يراد بها نفس الصفة كقولك طويل النجاد ، ونحوه وإمّا بتخصيص الصفة بالموصوف أو بالعكس .(٢)

الرمـــــــز

عرّف الطيبى الرمز وبيّن وجه تسميته بذلك فقال :-

((هو ما يشار به إلى المطلوب من قرب مع الخفاء ، ونعنى بالقرب أن ينتقل إلى المطلوب من لازم واحد ، وبالخفاء ضعف اللزوم وسمّى رمزاً للطف الاشارة)) .(٣)

ولعلّ الطيبى فيما ذكره تأثّر بالسكاكى الذى قال :- ((وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو عريض القفا ، وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسباً لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية .....)) .(٤)

كما ذكر الطيبى أنّه قد يقصد بالرمز صفة المدح للموصوف واستشهد له بقول امرئ القيس :-

وتضحى فتيت المسك فوق فراشهـــا نؤوم الضحى ثم تنتطق عن تفضّـــل

كناية عن أنّها مخدومة مرفّهة معطّرة لا تشدّ نطاقها وقت الضحى لتخرج للخدمة بل هى مخدومة .(٥)

أمّا الشارح فذكر اعراب بعض التراكيب فى البيت ، فذكر أنّ فتيت المسك اسم تضحى

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٤٨ ، ١٠٥١

(٢) انظر الحدائق ص ١٠٥١

(٣) الحدائق ص ١٠٥٢

(٤) المفتاح ص ١٧٣

(٥) انظر الحدائق ص ١٠٥٧

وفوق فراشها خبر تضحى ، ونؤوم الضحى يجوز رفعه على المدح بتقدير هى نؤوم ..... أو نصبه أيضاً على المدح بتقدير أذكر نؤوم الضحى ولم تنتطق خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف ، والانتطاق الائتزار للعمل ، وعن تفضل أى بسبب تفضلها ، وكراستها لا تنتطق ، وقد تنتطق للتجمل ، أما ما يتعلق بمعنى البيت فأورد ماقاله ابن الأعرابى ، فذكر أن المسك فى فراشها يبقى إلى وقت الضحى ، والمقصود بفتيت المسك مايفت لها فى فراشها كما أورد قول أبى جعفر أحمد بن عبيد الذى ذكر أنه من طيب جسدها كأن فراشها فيه المسك بدليل قول امرئ القيس فى قصيدة أخرى :-

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وان لم تطيب

وقد اعتبر الشارح بيت الشاهد أبلغ فى المعنى من هذا البيت لأنه يدل على أن أثر طيبها باقياً فى فراشها ، وأن قوله نؤوم الضحى لمعنى المصراع الأول ، ولم تنتطق تتميم لنؤوم الضحى .(١)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيت ، وفيه تتجلى شخصيته ، وتبرز أوضح بروز من خلال شرحه لمثل بيت الشاهد هذا والموازنة بينه وبين البيت الآخر .

التلويح

عرف الطيبى التلويح وبين وجه تسميته بذلك حيث قال :- ((وهو ما يشار به إلى المطلوب من بعد مع خفاء ، يعنى بالبعد أن ينتقل إلى الملزوم بوساطة لوازم ، وسمى تلويحاً لبعد المطلوب))(٢) ، ويظهر تأثره بالسكاكى الذى قال :-

((.....فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازم كما فى كثير الرماد ، وأشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسباً لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد))(٣) .

وقد استشهد الطيبى للتلويح بجزء من حديث أم زرع وهو قولها :-

((زوجى رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد)) ، وذكر أن كثرة الرماد تدل على كثرة الجمر ، وهى تدل على كثرة احراق الحطب ، وهذه تدل على كثرة الضيفان ، وهى تدل على أنه ضيفان وقرب بيته من الناد يدل على معرفة الناس بمكانه وهذا يدل على كثرة تناوبهم إليه

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٥٧

(٢) انظر الحدائق ص ١٠٥٩

(٣) المفتاح ص ١٧٣ .

وقصدهم إياه لحاجاتهم وهذا يدل على سيادته [١] ، أمّا الشارح [٢] فأورد الحديث بطوله كاملاً مع ذكر الخلاف بين رواية البخاري ومسلم ، وشرحه شرحاً وافياً ، وأطال فيه وأطنب مبيّناً ما اشتمل عليه من أنواع الكنايات ، واعتذر عن الاطالة في ختام كلامه فقال :-

((وإنّما أرخينا عنان القلم ، وأطنبنا الكلام لأنّ الحديث جامع لأنواع الكنايات بأسرها ، وحاوٍ للأقسام كلّها مريداً للارشاد ، والتمرّن)) [٣].

الإيمـــــــاء

عرّف الطيبي الايماء بأنه الكلام المشار به إلى المطلوب من قريب لا مع خفاء والمقصود بعدم الخفاء قوّة اللزوم وذكر أنّه سمّي إيماء لظهور المشار إليه . [٤]

ولعلّه تأثّر بما ذكره السكاكي الذي ذكر أن الإيماء أن تشير إلى قريب لا مع نوع خفاء وأنّ اطلاق اسم الايماء والاشارة مناسباً . [٥]

وقد استشهد الطيبي للايماء إذا كان لتخصيص الصفة بالموصوف بقول زياد الأعجم :-

إنّ السماحة والمروءة والنّـــدى في قبّة ضربت على ابن الحشـــرج

فالشاعر لم يصرّح بتخصيص الصفات بالممدوح بل عرّفها تعريف جنس ثمّ جعلها مظروفاً للقبّـــة ، وجعل القبّة مضروبة على ابن الحشرج . [٦]

أما الشارح فذكر أنّ الشاعر لو أراد تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح لقال مثلا سماحـــــة ابن الحشرج أي بالاضافة ، أو يقول السماحة لابن الحشرج أي مايؤدي معنى الاضافة ، أو يقول سمح ابن الحشرج ، أو حصّل السماحة لكنّ الشاعر أراد تخصيص الصفة بالموصوف عن طريق الكنايـــة فجمع السماحة والمروءة والندى في قبة ليبيّن أنّ محلّها محلّ ذو قبّة محاولاً بذلك اختصاصها بابن الحشرج ، ولمّا كان ذوو القباب كثيرين جعل القبّة مضروبة على ابن الحشرج ليتمّ غرضه ، فعلم من مجموع البيت أنّ هذه الخصال مختصّة به لا تتجاوزه إلى غيره ، وهي أعراض لا تقوم إلا بالذوات ولا أحد سواه في القبّة فاذن تختصّ به البتة ، فهو ملزوم معنى البيت [٧] .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٥٩
(٢) انظر الحدائق ص ١٠٥٩ - ١٠٦٧
(٣) الحدائق ص ١٠٦٨
(٤) انظر الحدائق ص ١٠٧٣
(٥) انظر المفتاح ص ١٧٣ ، ١٧٤
(٦) انظر الحدائق ص ١٠٧٣
(٧) انظر الحدائق ص ١٠٧٣ ، ١٠٧٤

هذا مجمل ماذكره الشارح، ولعلّ الطيبي والشارح تأثر بماذكره السكاكي حول البيت فقد قال :-
((فإنّه حين أراد أن لا يصرّح بتخصيص السماحة والمروءة ، والندى بابن الحشرج فيقول السماحة لابن الحشرج ، والمروءة له ، والندى له فإن الطريق إلى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح إمّا الاضافة أو معناها ، وإمّا الإسناد، أو معناه فالاضافة كقولك سماحة ابن الحشرج، أو سماحته مظهراً كان المضاف إليه أو مضمراً أو معناها كقولك السماحة لابن الحشرج أو السماحة له ، والإسناد كقولك سمح ابن الحشرج ، أو حصل السماحة كقولك ابن الحشرج سمح بتقدير ضميرين الحشرج في سمح العائد إليه كما هو أعني تخصيص الصفة بالموصوف مصرّح به في جميع ماتقدّم من الأمثلة .....
.....ماذا صنع جمع السماحة، والمروءة، والندى في قبّة تنبيهاً بذلك أنّ محلّها محلّ ذو قبة محاولاً اختصاصها بابن الحشرج ، ثم لمّا رأى غرضه ماكان يتم بذلك لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج حتّى تمّ غرضه)) .(١)

وقد تأثر بهذا الذى ذكره السكاكي الخطيب أيضاً وذلك في استشهاده بالبيت للكناية عن النسبة حيث قال :- ((فإنّه حين أراد أن لا يصرح باثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبّة تنبيهاً بذلك على أنّ محلّها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين فأفاد اثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية)) .(٢)

كما استشهد الطيبي لتخصيص الصفة للموصوف في النفي بقول الشنفرى يصف امرأة بالعفّة :-

تبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا مابيوت بالملامة حُلّت (٣)

وقد بيّن الشارح الكناية التي تضمّنها البيت بأحسن بيان ، فذكر أنّ الشاعر نفى اللوم عن مأواها، ومنزلها من حيث المعنى فجعله بمنزلة بعيدة ، ومفازة نائية ليثبت لها العفّة على التخصيص ، ووجه تخصيص العفّة لها أنّه نفى جنس اللوم وبه ينتفى جنس مايلام عليه ، ويلزم من انتفاء جنس اللوم اثبات ضدّه وهو جنس العفّة على طريقة المدح فإذا كانت هذه العفة اختصّت بمنزلها ، وهي فيها اختصّ بها على طريقة إنّ السماحة .....البيت ، وقد أكد هذا التخصيص بقوله إذا ما بيوت بالملامة حلّت.

وذكر أنّ الوجه اعتبار منجاة اسم مكان، ومن اللوم متعلّق ببيت ، والتقدير يبيت من اللوم بيتها بمفازة بعيدة ليقابل قوله إذا مابيوت بالملامة حلّت ، فإن الحلول إنما يكون في محل ومكان

---

(١) المفتاح ص ١٧٢

(٢) الايضاح ص ٣٢٤

(٣) انظر الحدائق ص ١٠٧٧

، ويجوز اعتبارها مصدراً ميمياً ، وهو مايفهم من كلام السكاكي وذكر أنّ اسناد البيتوتة إلى البيت اسناداً مجازياً أو على الاستعارة بالكناية وجعل اللوم مكاناً يفصل بينه وبين بيتها مفازة شاسعة ، وأسند الحلول إلى بيوت غيرها ، وجعل الملامة مكاناً يحلّ فيها كما ردّ الشارح على من زعم أنّ قوله إذا مابيوت بالملامة حلّت من قبيل القلب أي إذا ما الملامة حلّت ببيوت ولهذا صحّ كون بيوت مبتدأ مع كونها نكرة كما في قول الشاعر :-

قفي قبل التفرّق ياضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

ردّ الشارح على من زعم هذا أنّ بيت الشاهد ليس من القلب فمن جهة المعنى كما سبق بيانه ومن جهة اللفظ ، فإنّ إذا الشرطيّة تقتضي فعلاً هو رافع بيوت يفسّره قوله حلت والجزاء محذوف يدلّ عليه ماقبله والتقدير إذا حلّت بيوت بالملامة فبيتها بمعزل عنها ، كما ذكر أنّ الشاعر قال ((يبيت)) دون يظل مع استقامة الوزن والإيجاز لأنّه قصد إلى زمان له مزيد اختصاص بالفواحش وهو الليل [1]

وقد تأثر الشارح في هذه الجزئية حول اختيار الشاعر للفظة يبيت بدل يظل تأثر بالسكاكي الذي قال :- ((فقال يبيت بمنجاة عن اللوم بيتها ولم يقل يظلّ قصداً إلى زمان له مزيد اختصاص بالفواحش وهو الليل)) . [2]

هذا وقد تبيّن لي أنّ الامام عبد القاهر [3] جعل بيت الشنفرى شاهداً على أنّه كما تقع الكناية باثبات الصفة للمكان الذي يكون فيه الممدوح وأنّها لازمة له للزومها الموقع الذي يكون إذا كان هذا يكون في الاثبات فقد يكون في النفي كقول الشنفرى :-

يبيت بمنجاة ..... وعلّق عليه بقوله :-

((وجدته يدخل في معنى بيت زياد وذلك أنّه توصّل إلى نفي اللوم عنها ، وأبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها ، وباعد بينه وبينه وكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في التوصل إلى جعل السماحة والمروءة والندى في ابن الحشرج بأن جعلها في القبّة المضروبة عليه ، وإنّما الفرق أنّ هذا ينفي وذاك يثبت ، وذلك فرق لا في موضع الجمع فهو لا يمنع أن يكون من نصاب واحد)) . [4]

بينما السكاكي عبر عما تضمّنه البيت من الكناية بأسلوب آخر فقال ((فإنّه حين أراد أن يبيّن

---

(١) انظر الحدائق ص ١٠٧٧ ، ١٠٧٩

(٢) المفتاح ص ١٧٣

(٣) انظر دلائل الاعجاز : ٣١٠

(٤) دلائل الاعجاز ص ٣١١

غافلها ، وبراءة ساحتها عن التهمة وكمال نجاتها عن أن تلام بنوع من الفجور على سبيل الكناية قصد إلى نفي النجوة لما رآها غير مختصة بتلك العفيفة لوجود غفائف في الدنيا كثيرة نسبها إلى بيت يحيط بها تخصيصاً للنجاة عن اللوم بها .....)) [1] ، أما الشارح فقد تميز جهده كما سبق بيانه بالرد على من زعم أن البيت من باب القلب فلعله أحسن وأجاد .

التعريض

عرّف الطيبي التعريض وبيّن وجه تسميته بذلك فقال :-

((هو الكلام المشار به إلى جانب ، وإيهام أن الغرض جانب آخر وسمّي تعريضاً لما فيه من التعوّج عن المطلوب)) [2] .

أما الشارح فذكر أن وجه التصريح بقوله ((الكلام)) في التعريف هنا وفي تعريف الايماء وجه ذلك أنهما مختصان بالجملة بخلاف النوعين السابقين وهما الرمز والتلويح ، ثم أورد الشارح ما قاله ضياء الدين ابن الأثير في التفريق بين الكناية والتعريض ، فذكر أن الكناية هو كل ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ويكون في اللفظ المفرد والمركب ، أما التعريض فهو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي بل من جهة التلويح والاشارة فيختص باللفظ المركب ، أما اللفظ المفرد فلا يستقل بالتلويح والاشارة في التعريض فقولك لمن تتوقع صلته ، والله إني لمحتاج فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع للطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ ، فإن عرض كل شيء جانبه ، ولهذا سمي بالتعريض .

كما بيّن الشارح كيف أن الغرض في التعريض يوهم جانباً آخر فذكر أن قولك مثلاً المؤمن الذي يصلي ويزكي فقصدك أن تشير أن المخاطب ليس بمؤمن ولكن الكلام يوهم أن الغرض أن تحكم على المؤمن بأنه يصلي ويزكي [3] ، لعل الشارح قد أحسن بهذا التعليق والبيان للتعريض .

كما ذكر الطيبي أن التعريض قد يورد بقصد تنويه جانب الموصوف واستشهد له بقوله تعالى ((ورفع بعضهم درجات)) [4] أراد به محمداً صلى الله عليه وسلم اعلاءً لقدره أي أنه العلم الذي

---

(١) المفتاح ص ١٧٣

(٢) الحدائق ص ١٠٩٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٠٩٥

(٤) من الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

لا يشتبه ، والمتميّز الذى لا يلتبس .

أمّا الشارح فذكر أنّه لكونه صلى الله عليه وسلم متميزاً أضمر فاعل ((رفع)) بخلاف قوله تعالى :- ((منهم من كلّم الله)) [1] ، وقوله :- ((وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس)) [2] ، فصرّح بالفاعل سبحانه وتعالى فيهما دلالة على تميزهما ، وأنّه لا يلتبس على كل أحد أن الرافع من هو والمرفوع من يكون ، وكان من مقتضى الظاهر أن يقال :- منهم من كلّم الله ، ومنهم من رفع درجاته ، ومنهم من أعطى المعجزات إلى آخره وإنّما ميزالله نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم دون أن يصرّح بأن الرفع كان منه تعالى ، وذلك فى قوله ((ورفع بعضهم درجات)) ليدلّ على أنّ هذا القسم مباين للأقسام الأخرى فإنّ رفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم درجات لما خصّ به من المعجزات الخارقة والبراهين الساطعة ، فإنّ منها ماليس من قبيل ما أعطى النبيين قبله ولا هو داخل فى حكم ما أعطوا ألا وهو الوحى كما ورد فى الحديث ما من نبىّ من الأنبياء إلّا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر وإنّما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)) وصرّح فى الآية باسم عيسى عليه السلام لأنّ ما أوتى من البيّنات والتأييد بجبريل لم يكن مخصوصاً به بل عاماً فى حقّ كلّ نبى مرسل ، أمّا موسى عليه السلام وإن لم يصرّح باسمه لكنّه وصفه بالصفة التى تميّز بها واختصّ بها وهو تكليم الله تعالى إياه.[3]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، ويتبيّن من خلاله جهد الشارح إذ لم يكتف ببيان موضع الشاهد فى الآية وإنّما كانت له بعض التأمّلات فى أسرار النظم القرآنى المعجز كما سبق .

مراتب الصور البيانيّة

ذكر الطيبى أنّ التشبيه أوكد فى طرفى الترغيب والتنفير من سائر الصفات ، وقد اتفق البلاغيّون على أن التشبيه إذا جاء فى أعقاب المعانى أفادها جمالاً ، وزادها كمالاً كما أنّ الأمثال هى الطريق إلى استخراج المعانى المحتجبة فى الأستار [4] ، كما ذكر الطيبى أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة لأنّك فيه كمدعى الشئ ببيّنة فقد شهد وجود الملزوم لوجود اللازم ، والاستعارة أقوى

---

(١) من الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

(٣) انظر الحدائق ص ١٠٩٧

(٤) انظر الحدائق ص ١١١٠ ، ١١١١

من التشبيه لأنّ فيه اعترافاً بالنقصان ، بينما الاستعارة وسائر المجاز منتف عنه ذلك النقصان للادّعاء ، وأيضاً الكناية أقوى من التصريح لأنّها كادعاء الشيء بالبينة أو لتصوير حال المكنى عنه والفرق بين المجاز والكناية هو أنّ الكناية لا تنافي ارادة الحقيقة فقولك فلان طويل النجاد لا يمنع من أن يراد طول النجاد مع طول القامة ، أمّا المجاز فإنّه ينافي ذلك [1] ، أمّا الشارح فذكر أنّ السكاكي لم يتعرّض للتشبيه في ختام كلامه في علم البيان لأنّه يرى أنّ التشبيه ليس أصلاً قائماً برأسه بل هو مقدمة من مقدمات الاستعارة بخلاف الامام الطيبي ، فإنّه اعتبر التشبيه أصلاً قائماً برأسه ، لذا تعرّض له في ختام كلامه عن علم البيان وبيّن فائدته ، كما ذكر الشارح أنّ التشبيه اعتبر أبلغ من سائر الأوصاف لأنّ قولك زيد كالبحر أو الأسد وصف لزيد مثل غيره من الأوصاف مثل جواد أو شجاع لكنّه أبلغ منه . [2]

كما بيّن الشارح كيف أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة من خلال الأمثلة فذكر أنّ قولك مثلا زيد شجاع دعوى ساذجة ، أمّا إذا قلت رأيت أسداً يرمي فتكون قد تجاوزت وصفه بالشجاعة إلى اعتباره فرداً من أفراد ذلك الجنس المشهور بالشجاعة وهو الأسد على سبيل الادعاء ، وهذا هو الدليل على وصفه بالشجاعة وفي الكناية إذا قلت مثلاً ابن الحشرج سمح فهذه دعوى مطلقة ، أمّا إذا قلت السماحة في قبة مضروبة عليه فكأنّك قلت أنسب السماحة للقبة التي فيها ابن الحشرج ، ولمّا كانت السماحة عرض تحتاج إلى ذات تقوم بها والقبّة ليست محلاً مناسباً للسماحة والمحلّ المناسب لها هو ابن الحشرج فالسماحة لازمة له مختصّة به لا تتجاوزه إلى غيره . [3]

أمّا كون الكناية أقوى من التصريح فبالاضافة إلى أنّها دعوى الشيء بالبيّنة ، فإنّ فيها تصوير حال المكنى عنه وتخييل معناه فإنّك إذا قلت فلان جواد لا يكون مثل قولك فلان كثير الرماد لأنّ في تصوير صفة الجود بكثرة الرماد ، وكثرة احراق الحطب وكثرة الطبائخ ، وكثرة تردد الضيفان زيادة تهويل وتفخيم معناه . [4] لعلّ الشارح قد أحسن بهذه الشروح والتعليقات على ما قاله أستاذه حول تفاوت مراتب الصور البيانية .

---

(١) انظر الحدائق ص ١١١٤ ، ١١١٥

(٢) انظر الحدائق ص ١١١٠

(٣) انظر الحدائق ص ١١١٤

(٤) انظر الحدائق ص ١١١٥

الباب الخامس : علم البديـــــــع

عرّف الطيبي البديع بقوله :- ((هو معرفة وجوه تحسين الكلام)) [1] ، وقسّمه إلى محسّنات تعود إلى المعنى ، ومحسّنات تعود إلى اللفظ والمعنى ، واعتبر هذين القسمين من وظيفة البلاغة ، أمّا القسم الثالث وهو المحسنات التي تعود إلى اللفظ فاعتبرها من وظيفة الفصاحة [2] ، أمّا الشـــارح فذكر أنّ البديع من أسماء الله تعالى وهو الخالق المخترع لا على مثال سابق ، ووجه تسمية علم البديع بالبديع كونه أبدع ابداعاً غريباً ، واخترع اختراعاً عجيباً في لطف مخرجه ، وحســـن سلكه ، كما ذكر أنّ المحسّنات التي تعود إلى اللفظ والمعنى اعتبرت من وظيفة البلاغة لتغليـــب المعاني على الألفاظ . [3]

هذا وقد تبيّن لي أنّ السكاكي [4] أطلق على علم البديع وجوه تحسين الكلام ، وجعله في قسمين قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ ، أمّا الخطيب ومن تبعه من شرّاح التلخيـــص فإنّهم اعتبروا علم البديع علماً مستقلاً لا ارتباط له بفنّ البلاغة وفنّ الفصاحة ، وإنّما يؤتى بـــه لمجرّد تحسين الكلام ، وتزيينه ، بعد أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال وفصيحاً ، وقـــد يستغـــنى عنه ، وجعلوه في قسمين : الأول محسنات تعود إلى المعنى أو معنويّة ، الثانـــي محسنات تعود إلى اللفظ أو لفظية ، وقد قال الخطيب في تعريف علم البديع :- ((هو علـــم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)) . [5] بخـــلاف الطيبي [6] الذي اعتبر المحسنات المعنوية داخلة في حدّ البلاغة كالالتفات والتجريد مثلاً لأنّ البلاغة متعلقة بالمعنى .

---

(١) الحدائق ص ١١١٦

(٢) (٣) انظر الحدائق ص ١١١٦

(٤) انظر المفتاح ص ١٧٩ - ١٨٢

(٥) الايضاح ص ٣٣٤

(٦) انظر الحدائق ص ٥٨ ، ٦٠

الفصل الأول : التحسين الراجع إلى المعنى :-

ذكر الطيبي أنّ هذا القسم من التحسين يأتي على أنواع منها :-

التجـــــــريد

عرّفه الطيبي بقوله :- ((هو أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه))[1] ، ويظهر أنّ الطيبي في هذا التعريف تأثّر بما ذكره الخطيب الذي قال :- ((أن ينتزع من أمـــر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه))[2] .

ذكر الشارح أن أستاذه جعل التجريد على ثلاثة أقسام وهي :- إمّا على سبيل المجاز أو على سبيل التشبيه أو على سبيل الكناية وكلّ قسم يأتي على وجوه .[3]

وقد استشهد الطيبي للتجريد الذي جاء على سبيل المجاز ، وهو أن يجرّد المتكلم نفســـه من ذاته ، ويجعلها شخصاً آخر ثمّ يخاطبه قد يكون هذا بغرض التحزين ، واستشهد لـــه بقول المتنبي :-

لا خيل عندك تهديها ولا مـــال فليسعد النطق إن لم يسعـــد الحال

واجز الأمير الذي نعماه فاجئـــه بغير قول وتعمى القوم أقـــوال[4]

أمّا الشارح فبيّن معنى البيتين حيث ذكر أنّ الشاعر خاطب نفسه بأن يقدم للأمير ما يستطيع من المديح وإن لم يكن عنده مال ، أو خيل يقدمها إليه ، وأن يجازي الأمير بالمديح والثنـــاء والشكر له جزاء عطاياه التي تأتي فجأة من غير سؤال وانتظار .[5]

لعلّ الشارح قد أحسن بهذا التعليق ، فإنّ ضياء الدين[6] ابن الأثير ذكر البيتين والخطيب[7] ذكر البيت الأول منهما لكن لا نجد عندهما مثـــل هذا التعليق .

كما استشهد الطيبي للتجريد الذي جاء على سبيل التشبيه بقول أبي العلاء :-

---

(١) الحدائق ص ١١٢٩

(٢) الايضاح ص ٣٦٣

(٣) انظر الحدائق ص ١١٣٠

(٤) (٥) انظر الحدائق ص ١١٣٢

(٦) انظر المثل السائر : ٢/١٧١ ، ١٧٢

(٧) انظر الايضاح ص ٣٦٤

هاجت نمير فهاجت منك ذا لبـــد والليث أفتك أفعالاً من النمـــر [1]

وقد بيّن الشارح معنى البيت فذكر أنّ الشاعر يقول ثارت عليك قبيلة نمير فحرّكوا منك أسداً له لبد ، وهو الشعر الذى بين كتفيه ، فضرب الشاعر الأسد والنمر مثلاً له ، ولأعدائه ثمّ ذكر أنّ الأسد أشدّ بأساً من النمر ، فأورد هذا المعنى تذييلاً للمعنى السابق ، وموضع الاستشهاد أنّ الشاعر جرّد من نفسه أسداً على سبيل التشبيه وهو هو [2] ، هذا مجمل ماعلق به الشارح على البيـــت ، ويظهر أنّه قد أحسن فيه فقد تبين لى أن ابن معصوم [3] ذكر البيت شاهداً على دخول من علـــى المنتزع منه لكنّه لم يعلّق بشئ على البيت ، أمّا الخطيب ، والبهاء السبكى ، والسعد وابـــن يعقوب المغربى فلم يذكروا بيت أبى العلاء فضلاً عن أن يعلقوا عليه ، كما استشهد الطيبى للتجريـــد الذى جاء على سبيل الكناية بقول الشاعر :-

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

فالشاعر جرّد من نفسه صفة الكرم ، وجعله شخصاً آخر مثله ، وهو هو [4] ، أمّا الشـــارح فذكر أنّ قوله أو يموت معطوف على تحوى ، وفى تحوى اسناد مجازى وهى صفة لغزوة على تقديـــر أحوى الغنائم فيها والتجريد فى قوله أو يموت كريم ، ويجوز أن يكون الانتقال من قوله ولئن بقيـــت إلى كريم التفاتاً ، وهذا لا ينافى التجريد لقربهما معاً [5] ، هذا وقد ذكر الخطايب [6] البيـــت شاهداً على التجريد بدون توسط حرف وذكر أنّه قيل إن التجريد يتوسط الحرف والتقديـــر أو يموت منى كريم ذكر الخطيب أنّ هذا القول فيه نظر .

وقد بيّن السعد [7] هذا النظر فذكر أنّه لا حاجة إلى هذا التقدير لحصول التجريد بدونه ولا قرينة عليه .

كما ذكر الطيبى أن قول الأعشى :-

ياخير من يركب المطىّ ولا يشرب كأساً بكفّ من بخـــلا

ليس من التجريد بل هو من الكناية وهى كناية عن أنّ الممدوح ليس ببخيل من حيث أنّه لا يشـــرب الكأس بكفّ البخيل بل يشربها بكفّه هو فأفاد أنّه ليس ببخيل . [8]

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٣٨
(٢) انظر الحدائق ص ١١٣٨
(٣) انظر أنوار الربيع : ١٥٤/١
(٤) انظر الحدائق ص ١١٤٠
(٥) انظر الحدائق ص ١١٤٠
(٦) انظر الايضاح ص ٣٦٤
(٧) انظر المطول ص ٤٣٣
(٨) انظر الحدائق ص ١١٤٠

هذا وقد وافق الشارح أستاذه، وذكر أنّ أستاذه قصد الردّ على الخطيب [1] الذى اعتبر البيت تجريداً ، وذكر أنّه إنّما يكون تجريداً لو قال يشرب الكأس بكفّ غير البخيل ، وإذا ذهب إلى هذا على اعتبار أنّه يفهم من كلام الشاعر ، وإن لم ينصّ عليه فهذا بعيد [2] ، وقد ردّ البهاء السبكى [3] على الطيبى مصرحاً باسمه فى توجيه البيت وذكر أنّه لا منافاة بين التجريد والكناية .

كما ردّ السعد [4] على من اعتبر البيت من باب الكناية فقط فذكر أنّه لا منافاة بين التجريد والكناية .

والذى يظهر أنّه لا تزاحم بين الصور البلاغية ، فلا يمنع من اجتماع التجريد، والكناية فى البيت كما سار عليه البهاء السبكى، والسعد، وهو الأظهر كما يبدو .

التجاهل

عرّفه الطيبى بقوله :- ((هو سوق المعلوم مساق غيره ، وذلك إمّا لتحقير الشأن ..... أو الاسترداح ..... أو تقريع المخاطب ..... أو تعظيم شأنٍ .....)) . [5]

وقد أطلق السكاكى [6] على هذا النوع سوق المعلوم مساق غيره، وذكر أنّه لا يحبّ تسميته بالتجاهل ، وتعريف الطيبى يقرب جدّاً من تعريف الخطيب الذى قال :- ((ومنه [أى من المحسنات المعنوية] تجاهل العارف، وهو كما سمّاه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ ..... والمبالغة فى المدح ..... والتدلّه فى المدح ..... والتحقير والتعريض .....)) . [7]

وقد استشهد الطيبى للتجاهل بغرض تحقير الشأن بقوله تعالى :- ((هل ندلّكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كلّ ممزق إنّكم لفى خلق جديد)) [8] ، كأنّهم لم يعرفوا منه صلوات الله عليه إلّا أنّه رجل ما . [9]

---

(١) انظر الإيضاح ص ٣٦٤

(٢) انظر الحدائق ص ١١٤٠

(٣) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٣٥٥

(٤) انظر المطول ص ٤٣٣ ، ٤٣٤

(٥) الحدائق ص ١١٤٨

(٦) انظر المفتاح ص ١٨٠

(٧) الايضاح ص ٣٧٨ ، ٣٧٩

(٨) من الآية ٧ من سورة سبأ .

(٩) انظر الحدائق ص ١١٤٨

وقد بيّن الشارح وجه الاستشهاد في الآية فذكر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لمّا أخبره بشئ لم يعهدوه من الحشر والنشر نزّلوه منزلة خبره في التجاهل ، وعدم العرفان .[1]

هذا وقد تأثّر الطيبي في تعليقه على الآية بما ذكره الخطيب الذي ذكر الآية شاهداً على التجاهل بغرض التحقير وقال :- ((كأن لم يكونوا يعرفون عنه إلّا أنّه رجل ما)) .[2]

الإيهـــــام

ذكر الطيبي أنّه يسمّى التورية وعرّفه بقوله :- ((أن تطلق لفظة لها معنيان قريب وبعيد ، ويراد بها البعيد منها))[3] ، والذي يظهر أنّ الطيبي تأثّر بما ذكره الخطيب واعتبره من المحسّنات المعنويّة وسمّاه التورية ، وذكر أنّه يسمّى الإيهام ، فقد قال في تعريفه :- ((ومنه التورية وتسمّى الإيهام أيضاً ، وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما))[4] .

أمّا الشارح فذكر أنّ كون الإيهام لمعنيان قريب وبعيد يشبه المشترك الذي اشتهر منه أحد المعنيين لأنّ المشهور أقرب تبادراً إلى الذهن من الآخر ، والحقيقة والمجاز وكثيراً مايتبادر إلى الذهن المعنى المجازي وذلك لشهرته وفي هذه الحالة أي إذا صار المعنى المجازي أقرب تبادراً من المعنى الحقيقي للفظة نزّل منزلة المشتهر .[5]

والذي يبدو أنّ القرينة مقاليّة ، أو حاليّة تبيّن مقصود المتكلم في كل ماسبق فالقرينة هي الحكم الفصل في هذا الموضوع إذ عن طريقها يتحدّد المراد من اللفظ المشترك أو المتضمّن للإيهام ، ومن شواهد الطيبي على الايهام قول ابن سرايا في عينين تجريان على صخرة سمّاء :-

وواد حكى الخنساء لا في شجونه ولكن له عينان تجري على صخر[6]

أمّا الشارح فذكر أنّ موضع الشاهد في عينان وفي صخر فإنّ الشاعر لمّا شبّه الوادي بالخنساء تبادر إلى الذهن أن وجه الشبه في الشجون ، فأزاله بأنّه ليس في الشجون إنّما وجه الشبه أنّ هذا الوادي له عينان تجريان ، على صخر تشبه عيني الخنساء في بكائهما على صخر .[7]

ويبدو تميز جهد الشارح بهذا البيان لموضع الشاهد في البيت .

---

(١) انظر الحدائق ص ١١٤٨
(٢) الايضاح ص ٣٧٩
(٣) الحدائق ص ١١٥٩
(٤) الايضاح ص ٣٥٣
(٥) انظر الحدائق ص ١١٥٩
(٦) (٧) انظر الحدائق ص ١١٦٢

الإبـــــداع

عرّفه الطيبي بقوله ((أن يخترع المتكلم معانى غير مسبوق إليها)) [1] ، وذكر أنّه على ضربيـــن أحدهما مايبتدع عند الحوادث المتجدّدة ومن بين ما استشهد به الطيبي على هذا الضـــرب قول أبي تمام فى مدح المعتصم :-

اقدام عمرو فى سماحة حاتـــم فى حلم أحنف فى ذكاء إيـــاس

فقال له اسحاق الكندى وهو حاضر فى المجلس أمير المؤمنين أكبر فى كل شئ من شبّهته بـــه فردّ أبو تمام بديهة :-

لا تنكروا ضربى له من دونـــه مثلاً شرودا فى الندى والبـــاس

فالله قد ضرب الأقل لنـــوره مثلاً من المشكاة والنبـــراس

فتعجّب الحاضرون من فطنته وذكائه . [2]

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات الغريبة فذكر أن شروداً معناه سائراً ، والبأس الشـــدّة فى الحرب ، والنبراس المصباح ، والندى الجود ، كما ذكر أنّه كان من المناسب أن يقـــول ((فى العلا)) بدل فى الندى لتجتمع فيه المعانى الثلاثة وهى السماحة والحلم والذكاء بعد قولـــه اقدام عمرو ..... فإنّ قوله فى البأس اشارة إلى قوله اقدام عمرو فلو اقتصر على مدحه بالندى لخرج الحلم والذكاء ، ويمكن أن يجاب عن هذا أنّ الحلم والذكاء تتميمان للبأس والشجاعـــة ، وذلك صوناً للممدوح عن الهوج والطيش ، فإنّهما غالب أخلاق الشجعان .

ومعنى البيتين يقول الشاعر لا تستغربوا الأمثال التى ضربتها لبيان شجاعة أميـــر المؤمنين ، وكرمه ، وحلمه ، وذكائه مع أنّ تلك الأمثال دون منزلته فإنّ الله تعالى مع جلالة قدره قد ضرب المثل لنوره الذى ملأ السموات والأرض بأقلّ الأشياء من المشكاة والمصباح فإنّ من الأمثال مايكون الغرض منها كشـــف المعانى ورفع الحجاب عن المطلوب وتقريب المتوهم من المشاهد . [3]

هذا مجمل ماذكره حول بيتى أبى تمام ، ويبرز من خلاله جهده فى تحليل ، وشرح البيتين ، هذا وقد ذكر ضياء الدين ابن الأثير [4] البيتين ، واعتبرهما واحداً من المعانى المبتدعة لأبى تمـــام لكنّه لم يعلّق عليهما بشرح أو توضيح ، كما استشهد الطيبى للضرب الثانى من الابداع

---

(١) الحدائق ص ١١٧٣

(٢) انظر الحدائق ص ١١٧٩ ، ١١٨٠

(٣) انظر الحدائق ص ١١٧٩ ، ١١٨٠

(٤) انظر المثل السائر : ٢/٢٧

وهو مايبتدع من غير شاهد حال واعتبر أبا الطيب المتنبي العلم في هذا الضرب ومن شواهد هذا الضرب قول أبي الطيّب :-

كتمت حبّك حتّى منك تكرمة ... ثمّ استوى فيك اسراري واعلاني

كأنّه زاد حتى فاض عن جسدي ... فصار سقمي به في جسم كتماني

أي صار سقمي بالحبّ في جسم الكتمان أي سقم الكتمان فصحّ الاستواء.[1]

أمّا الشارح فذكر أنّ صحّة الاستواء جاء نتيجة لما ادّعاه من اثبات الاستواء ، وهو معنى قوله كأنّه زاد حتى فاض إلى آخره ، وهذا من بيان الاستواء لما ادعاه أولاً في قوله ثم استوى فيك اسراري واعلاني كما ذكر الشارح أنّ قوله جسم كتماني استعارة بالكناية ، واثبات السقم له على التخييليّة ، والجسم مقحم للتأكيد في ذات الكتمان لأنّه عبارة عن المجسّم وهو المعنيّ بقوله سقم كتماني[2] ، هذا خلاصة ماقاله الشارح حول بيتي المتنبي ولعله أحسن في تحليله لهما .

المذهب الكلامي

عرّف الطيبي المذهب الكلامي بقوله :- ((وهو أن يورد البليغ حجّة على مايدّعيه على طريقة المتكلّمين))[3] ، ويظهر أنّه تأثّر بتعريفه الخطيب الذي اعتبر المذهب الكلامي من المحسنات المعنويّة وقال في تعريفه له :- ((أن يورد المتكلم حجّة لما يدعيه على طريق أهل الكلام))[4] ، أما عبد الله بن المعتز فاعتبر المذهب الكلامي الباب الخامس من أبواب البديع الخمسة ، وذكر أنّه لا يعلم وجوده في القرآن الكريم لأنّه منسوب إلى التكلف ، وقد قال في هذا :- ((الباب الخامس من البديع وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي ، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً ، وهو ينسب إلى التكلّف تعالى عن ذلك علوّاً كبيرا))[5] ، هذا وقد ردّ[6] عليه ابن أبي الاصبع بأنّ القرآن مشحون به ، وأورد[7] آيات كثيرة ليثبت وجود هذا الفن في القرآن الكريم ، أمّا أبو هلال العسكري[8] فسار مع عبد الله بن المعتز فأورد بعض الشواهد الشعريّة والنثرية للمذهب الكلامي ، كذلك ابن رشيق[9] القيرواني سار مع عبد الله بن المعتز فيما ذهب اليه وأورد بعض

---

(١) الحدائق ص ١١٨٠
(٢) انظر الحدائق ص ١١٨٠
(٣) الحدائق ص ١١٩٢
(٤) الايضاح ص ٣٦٦ .
(٥) البديع لعبد الله بن المعتز ص ٥٣
(٦) انظر بديع القرآن ص ٣٧
(٧) انظر بديع القرآن ص ٣٧ - ٤٢
(٨) انظر الصناعتين ص ٤٦١ ، ٤٦٢
(٩) انظر العمدة : ٢/٧٨ - ٨٠

شواهده الشعرية ويدل على أنهما تبعا ابن المعتز فيما سار عليه من أن القرآن ما اشتمل على هذا الفن ، أنهما نقلا ماقاله دون أن ينكرا عليه، ويبدو أن الطيبي تبع ابن أبي الاصبع والخطيب في أن القرآن اشتمل على هذا الفن ، هذا وقد استشهد الطيبي للمذهب الكلامي بقوله تعالى ((قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم))[1] ، فالله تعالى أفحمهم بدليلي القدرة والعلم .[2]

أما الشارح فأورد ماذكره الامام فخر الدين الرازي الذي ذكر أن اعادة المعدوم عندنا جائز خلافاً على ماسار عليه جمهور الفلاسفة ، والكرامية ، وطائفة خذلهم الله إذ يرون أن إعادة الممكن غير جائز ، والدليل على أن حشر الأجساد حق أن عود البدن في نفسه ممكن ، والله تعالى قادر على الممكنات ، وعالم بكل المعلومات ، وحين أخبر الأنبياء بوقوعه وهم صادقون فيما يخبرون والصادق إذا أخبر بشيء ممكن الوقوع وجب القطع بصحته ، وتصديقه فيما يقول[3] ، وعلق الشارح على الآية المستشهد بها فذكر أن الله تعالى أثبت القدرة ، والعلم لأنه إذا علم بجميع المعلومات علم بتلك الأجزاء النخرة ، والجلود الممزقة المتلاشية في الآفاق ، وإذا قدر على جميع المقدورات كان قادراً على جمع تلك الأجزاء النخرة والأجساد البالية والمفرقة جمعها واعادتها كما كانت فسبحان الخلاق العليم فالله تعالى جمع هذه المقدمات بأسرها صريحة في جواب القائل ((من يحي العظام وهي رميم)) والذي يدل على اثبات القدرة في الآية قوله ((يحييها الذي أنشأها أول مرة)) وقوله ((الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا)) وأما مايدل على اثبات علمه تعالى بالجزئيات فقوله ((وهو بكل خلق عليم)) ويدل على أن الاخبار جاء على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من الآية الكريمة قوله ((قل)) أي قل أيها الصادق الأمين المشهور عندهم بصدقه وأمانته الثابت نبوته بالدلائل ، والبراهين ، والمعجزات .[4]

هذا مجمل ماذكره الشارح في بيان وجه الاستشهاد بالآية ويبدو جهده في شرح وبيان ماذكره أستاذه في الآية اجمالاً مع ملاحظة أن الخطيب وابن أبي الاصبع لم يستشهدا بالآية على المذهب الكلامي .

---

(١) من الآية ٧٨ والآية ٧٩ من سورة يس .

(٢) انظر الحدائق ص ١١٩٢

(٣) انظر الحدائق ص ١١٩٢

(٤) انظر الحدائق ص ١١٩٢

حسن التعليل

عرّف الطيبي حسن التعليل بقوله :- ((هو أن تدعى لأمر علّة مناسبة باعتبار لطيف)) [١] ويظهر تأثره بتعريف الخطيب الذي قال :- ((أن يدّعى لوصف علّة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي)) [٢] لكن الطيبي لم يعتمد تقسيم الخطيب [٣] لحسن التعليل إلى أربعة أقسام أولها أن يكون الوصف ثابتاً ولم تظهر لعلة فيورد الأديب علّة متوهمة ، ثانيتها أن يكون الوصف ثابتاً وله علّة ، ولكن الأديب يضرب عنها ويورد علة متوهمة ، ثالثتها أن يكون الوصف غير ثابت واثباته ممكن ، رابعتها أن يكون الوصف غير ثابت واثباته غير ممكن ، هذه هي الأقسام الأربعة التي ذكرها الخطيب ولم يعتمدها الطيبي وإن كانت شواهده أي الطيبي تشمل جميع هذه الأقسام .

وقد استشهد الطيبي لحسن التعليل ضمن ما استشهد بقول جمال الدين الحلّي :-

نظر الصباح إلى صفاء جبينه ... فتعلّقت أنفاسه الصعداء

والليل فكّر في سواد فروعه ... فتشبثت بمزاجه السوداء [٤]

أمّا الشارح فبيّن وجه الاستشهاد بالبيت فذكر أن علّة النسيم البارد وقت السحر أنّ الصباح نظر إلى صفاء جبين المحبوب ، فعندما عجز عن مماثلته أو مساواته في الصفاء تنفّس الصعداء حسرة فهذا النسيم البارد بالسحر بسبب تنفس الصعداء حسرة من الصباح كذلك علّة سواد الليل فعندما فكّر الليل في سواد شعر المحبوبة تشبثت بمزاجه السوداء فجنّ .

كما ذكر الشارح أنّ فاعل تعلّقت الصعداء ، وأنفاسه منصوب على نزع الخافض ، وذكر أنّ في الشطرين الأخيرين في البيتين ترصيع لموازنتهما ، وبين الأنفاس والصعداء ائتلاف للمناسبة ، وكذلك بين المزاج والسوداء ، وفي قوله نظر الصباح والليل فكّر استعارتين . [٥]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيتين ، وقد ظهر جهده واضحاً من خلال شرحه لموضع الاستشهاد في البيتين بالاضافة لذكره لبعض المحسنات البديعيّة والصور البيانية التي تضمّنها الشاهد

كما استشهد الطيبي لحسن التعليل بقول ابن نباتة في وصفه لفرس أغرّ محجّل :-

---

(١) الحدائق ص ١١٩٨

(٢) الايضاح ص ٣٦٧

(٣) انظر الايضاح ص ٣٦٧

(٤) انظر الحدائق ص ١١٩٨

(٥) انظر الحدائق ص ١١٩٨

فكأنّما لطم الصباح جبينه ... فاقتصّ منه وخاض في أحشائه

لا يكمل الطرف المحاسن كلّها ... حتى يكون الطّرف من اسرائه (١)

أمّا الشارح فذكر اعراب بعض التراكيب في الشاهد ، فذكر أنّ المحاسن مفعول يكمل إذا روى من الإكمال ، أمّا إذا روى من الكمال فيكون منصوباً على نزع الخافض، ومعنى البيتين يقول الشاعر إنّ الفرس الكريمة لا تكون في أعلى درجات الحسن إذا لم تجعل الطرف أسيراً ، وناظراً لكماله في الحسن ، والنظر لا يكون أسيراً إلّا إذا تكرّر مرة تلو مرّة كلّما نظر وجد حسناً بعد حسن حتى يستوفي بهذا التكرار في النظر المحاسن وهذا على طريقة قول المتنبي :-

وخصر تثبت الأبصار فيه ... كأنّ عليه من حدق نطاقا

وذكر الشارح أنّ بين الطرف ، والطرف جناس ناقص كما بين موضع الاستشهاد فذكر أنّه في البيت الأول حيث علّل الشاعر كون الفرس أغرّ بأن الصباح لطم جبينه ، وكونه محجّلاً بأنّه خاض في أحشائه (٢) ، هذا مجمل تعليق الشارح على البيتين فهو لم يكشف ببيان موضع الاستشهاد في البيتين بل بيّن جوانب أخرى في الشاهد من اعراب بعض تراكيبه، وتوضيح معناه ولعلّ هذا جهد حسن من الشارح .

الكلام الجامع

عرّف الطيبي هذا النوع من المحسّنات المعنوية بأنّه أن يحلى المتكلم كلامه بشيء من الحكمة والموعظة، وشكاية الزمان ،واستشهد لما كان التحلية فيه بشيء من الحكمة بقول الصاحب بهاء الدين الجويني إلى ابنه الصاحب شمس الدين فقد كتب إليه يقول :-

بني اجتهد في اقتناء العلوم ... ففز باجتناء ثمار المنى

ألم تر في رقعة بيدق ... إذا جدّ في سيره فرزنا

فأجدادنا الغرّ قد أسّسوا ... من المجد شمّ المباني لنا

فإن لم نشدها بمجهودنا ... ستنهار والله تلك البنى (٣)

وقد بيّن الشارح بعض المفردات فذكر أنّ الفرزن هو الفرزين، وهو بمنزلة الوزير من الملك على رقعة الشطرنج ، فإنّ الجندي إذا جدّ في سيره، وتقدم، وحماه اللاعب على رقعة الشطرنج

---

(١) انظر الحدائق ص ١٢٠١

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٠١

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٢١

ما يمنعه عن سيره بالقطع ، أو السرف ، انتهى إلى نهاية الرقعة صار فرزيناً ، كذلك الطالب إذا جدّ في طلبه ، وابتعد بنفسه عن الانشغال بالصوارف التي تعرقل طريقه إلى نيل المكارم صار ماجداً ، ونال ما أراد ، كما ذكر أنّ النداء والتصغير في قوله ((بنيّ)) يشير إلى أنّ الطلب الذي يرد بعده أمر شاق ، وبدأ به شفقة على ابنه كقوله تعالى :- ((يابنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك)) [1] ، هذا كما بيّن الشارح الصور البيانيّة التي تضمنتها الأبيات ، فذكر أنّ قوله اقتناء العلوم استعارة حيث شبّه العلم بالمال المقتنى وجرّده بالاجتناء كذلك ثمار المنى استعارة ورشّح بالاجتناء ، وقصد الفوز بالمنى التحلّي بمكارم الأخلاق ، ونيل معالي الأمور لهذا قرّر له الحثّ والتحريض بهمزة التقرير في قوله ((ألم تر .....)) البيت .

فالشاعر بعد أن انتهى من حث ابنه على طلب شرف الحسب كمّله بشرف النسب فقال

فأجدادنا الغرّ ..... البيت ..

ففي هذا البيت ، والذي بعده تشبيه وثلاث استعارات ، فالتشبيه في قوله فأجدادنا الغرّ حيث شبّههم بالبيانق المنتشر الصافي في جبهة الفرس ، ووجه الشبه اليمن والشهرة .

أمّا الاستعارات الثلاث فأولاها في قوله ((أسسوا)) فإنّ المجد الحقيقي لا يؤسس كالبناء ، وقوله ((من المجد)) لا يخرج هذه الاستعارة إلى التشبيه كما في قوله تعالى ((من الفجر)) لأنّ قوله من المجد بيان لما بعده من شمّ المباني ، وهو تقريع بالفاء على قوله اقتناء العلوم وثانيتها في قوله ((وإن لم نشوها)) والتشييد يحتمل الرفع والتجصيص ، والذي يتناسب مع معنى البيت الثاني لئلا يتكرّر مع قوله شمّ المباني ، وأيضاً لقوله ستنهار فإنّ هذا يقتضي تقويض الأساس ، وثالثتها قوله ستنهار تلك البنى فإنّ البنى إذا روى بالضم تكون استعارة مستقلّة بنفسها لأنّها حينئذ تكون مستعملة في المعاني والمكارم ، أمّا إذا روى بالكسر البنى فلا تكون مستقلّة إذ يكون مستعملاً في المحسوس ، والظاهر هنا أنّها غير مستقلّة لأنّ الاشارة في قوله ((تلك)) لو لم تكن اشارة إلى شمّ المباني لم تكن استعارة بل كانت حقيقة من الحقائق . [2]

وقال الشارح في ختام تعليقه على الأبيات :-((فأعلم هذه الأبيات فإنّ معانيها رفيعة وتراكيبها بليغة)) . [3] هذا مجمل ماذكره الشارح في شرحه للصور البيانيّة التي تضمنتها الأبيات واستجلاء تلك الصور ولعل أبرز شاهد على ذوقه الرفيع حكمه على الأبيات بأنّ معانيها رفيعة ، وتراكيبها بليغة .

---

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٢١ ، ١٢٢٣

(٣) الحدائق ص ١٢٢٣

الفصل الثاني : التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى والرأى فيه :-

اعتبر الطيبى بعض أنواع من المحسّنات كالمطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه ، واللف والنشر ، والجمع مع التقسيم ، وغيرها اعتبرها من المحسّنات التى ترجع إلى اللفظ والمعنى فساوى بين اللفظ والمعنى فيما يلحق تلك الأنواع من تحسين دون أن يغلّب المعنى على اللفظ كما فعل الخطيب فإنّه اعتبر تلك الأنواع وغيرها من المحسّنات التى ترجع إلى المعنى أى أن القصد الأولى من التحسين فيها يرجع إلى المعنى ، ويتبعها اللفظ والذى يظهر أنّ الأصوب كما يبدو تغليب أحد الجانبين على الآخر ، فإذا كانت المحسّنات تدلّ دلالة واضحة على تحسين الألفاظ فهى محسنات لفظيّة وإن تبعها تحسين المعانى ، وإن كان التحسين راجعاً إلى المعانى بالدرجة الأولى يكون التحسين فى الألفاظ تبعاً لها فيكون التحسين معنويّاً وعلى هذا فإنّ المحسنات تنقسم إلى قسمين : محسّنات لفظيّة ، ومحسّنات معنويّة ، ولا داعى للقسم الثالث التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى الذى قال به الطيبى .

هذا وقد جعل الطيبى التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى على أنواع منها :-

المطابقة

ذكر الطيبى أنّ المطابقة تسمّى التضاد ، والطباق ، وعرّفها بقوله :- ((هى الجمع بين اللفظين الدالّين على المعنيين المتضادّين حقيقة أو تقديراً)) [1] ، أمّا الشارح فنقل عن بعض البلاغيّين تعريفه للطباق وقيمته البلاغيّة ، فذكر أنّ الطباق أن يأتى الشاعر بالمعنى ، وضدّه أو مايقوم مقام الضد فيحسن جدّا ، وذكر أنّ له شعباً خفيّة ، وربّما التبست به أشباه لا تتبيّن إلّا للفطن الثاقب ، والذهن الثاقب . [2]

كما ذكر الشارح أنّ من المطابقة الحسنة التى بلغت غايتها قول يحى البرمكى حين سأل ابنه فضلاً الذى دخل عليه متبختراً سابقى الحكيم فى طرسه ؟ ، فكان جوابه لا أدرى فقال له أبوه ، وهذا موضع الشاهد إنّ البخل والجهل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فيالها من حسنة غطت على عيبين ، ويالها من سيئة غطت على حسنتين كبيرتين)) . [3]

---

(١) الحدائق ص ١٢٤٧

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٤٧

(٣) الحدائق ص ١٢٤٧ ، ١٢٥٠

علق الشارح على هذه المقالة فذكر أنّ اللام فى قوله يالها للاستغاثة كأنّه قيل أيتها الحسنة والسيئة تعاليا فهذه من أحوالكما التى حقّكما أن تحضرا فيها ، ويجوز أن تكون اللام للتعجب ، والمعنى ياقوم تعجّبوا لها ، والمنادى محذوف ، والتقدير عجباً أى ياعجباً لها ومن ، فى قوله حسنة ومن سيئة بيان للهاء فى قوله فيالها وقوله ويالها [1] ، لعلّ هذا تعليق حسن من الشارح على الشاهد ولعلّ الأرجح حمل الشاهد النثرى المذكور على المقابلة لأنّ المتكلم قابل بين البخل والجهل والتواضع من جهة ، وهى معان متوافقة وبين السخاء والعلم والكبر من جهة أخرى ، وهذه ضد تلك المعانى .

وقد استشهد الطيبى للطباق الذى وقع التضاد فيه بين اللفظين حقيقة ضمن ما استشهد بقول ابن رشيق :-

وقد أطفوا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالى فى سماء عجاج [2]

وقد بيّن الشارح الصور البيانيّة التى تضمنها البيت فذكر أنّ فى ((أطفوا)) استعارة تبعيّة حيث استعار الاطفاء للاظلام ثم سرت من المصدر إلى الفعل أطفوا بمعنى أظلموا ، والقرينة قوله شمس النهار فإنّها مستعملة فى حقيقتها ، وأيضاً فى قوله ((أوقدوا)) استعارة تبعيّة حيث استعار الإيقاد للإضاءة ، ثمّ سرت من المصدر إلى الفعل أوقدوا ، بمعنى أضاؤوا ، والقرينة مجموع قوله نجوم العوالى فى سماء عجاج ، ومعنى البيت يقول الشاعر قد أظلموا النهار بسدّ قرن الشمس عن السطوع ، بما أثاروه من الغبار الصاعد من سنابك خيلهم ، وأضاؤوا النهار بعد الظلمة بألسنة الرّماح الشبيهة بنجوم السماء ، وموضع الشاهد بين الاطفاء المشبه بالاظلام والايقاد المشبه بالاضاءة بينهما تضاد حقيقى فهو طباق [3] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت ابن رشيق ، هذا وقد أورد الخطيب [4] البيت ، واعتبره من لطيف الطباق لكنّه لم يعلّق عليه بشئ ، وهذا يبرز جهد الشارح فى توضيحه للبيت من بيانه للاستعارة التى تضمنها ، وتوضيح معنى البيت ، وموضع الاستشهاد فيه .

كما استشهد الطيبى لما كان التضاد فيه حقيقياً وتقديرياً بقول الحماسى :-

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء احسانا

---

(١) انظر الحدائق ص ١٢٥٠

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٥٠

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٥٠

(٤) انظر الايضاح ص ٣٣٥

فبين الإساءة والإحسان تضاد حقيقي ، وبين الظلم والمغفرة ، فقد يرى ، وفى قوله أهل الظلم وأهل السوء تتميم جاء فى غاية الحسن (١).

ومعنى البيت كما بيّنه الشارح يصف الشاعر قومه بالجبن ويهزأ بهم فقد جرت عادة العرب فى الجاهليّة التفاخر بالظلم والتمدّح به ، لأنّها حسب رأيهم دليل البأس ، والقوّة ومنعة الجانب ، والشاعر يقول إنّ قومى لا يقدمون على المشاركة فى شئ من الشرّ والظلم بل إنّهم يغفرون لمن ظلمهم ، ويحسنون لمن أساء إليهم ، وماذاك إلّا لضعفهم ، وعجزهم عن المواجهة والتصدّى لمن يجرؤ عليهم ، وينال منهم ، وهذه مذمّة فى حقهم . (٢)

كما بيّن الشارح التتميم فى قوله أهل الظلم وأهل السوء والذى اعتبره أستاذه فى غاية الحسن فذكر أنّه لو جاء على الأصل لقال مثلاً يجزون من الظالم ومن المسئ لكنّه عدل عن ذلك إلى أهل الظلم ، وأهل السوء مبالغة ، فإنّه قد يصدر الظلم والسوء من الانسان ، ولا يكون قاصداً لهما بخلاف من يكون أهلاً لهما ومعدناً ومصدراً لهما ، فان من يتجاوز عنه ، ويغفر يكون قد بالغ فى الحلم حتى وصل به إلى العجز والجبن ، والشاعر قصد بهذا التتميم تهييج قومه واحياء روح الشجاعة والنخوة فى نفوسهم ، فإنّ ظاهر البيت يوهم مدح القوم ، وحمدهم على طريقة قوله تعالى :- ((وإذا ما غضبوا هم يغفرون)) (٣) لكن المقام مقام تعيير لهم ، وتوبيخهم لخذلانهم إيّاه ، وتركهم لنصرته حين استباحت بنو اللقيطة إبله ، فقام بنصرته واسترداد إبله قوم آخرون . (٤)

فالشارح لم يعرض لبيان موضع الشاهد فى البيت ويبدو أنّه اكتفى بما قاله أستاذه بل آثر ووجّه جهده لشرح معنى البيت وبيان التتميم الذى تضمّنه ، والذى أشار إليه أستاذه ولم يبيّنه فلعلّ هذا جهد طيّب من الشارح رحمه الله .

المقابلة

عرّف الطيبى المقابلة بقوله :- ((هى أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر بين ضدّيهما ، ثمّ إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده)) (٥) ، ويبدو أنّ الطيبى اعتمد فى هذا التعريف ماذكره

---

(١) انظر الحدائق ص ١٢٥٦

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٥٦

(٣) من الآية ٣٧ من سورة الشورى .

(٤) انظر الحدائق ص ١٢٥٦

(٥) الحدائق ص ١٢٦٢

السكاكى اعتماداً حرفياً والذى اعتبر المقابلة من وجوه تحسين الكلام التى تعود إلى المعنى فقد قال فى تعريفه للمقابلة :- ((ومنه المقابلة وهى أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضدّيهما ثم إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضدّه)) [1] ، أما الخطيب فلم يعتمد الشرط الذى شرطه السكاكى والطيبى ، واعتبر المقابلة داخلة فى المطابقة فقد قال :-

((ودخل فى المطابقة مايخصّ باسم المقابلة ، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل)) . [2]

فبينما الخطيب اعتبر المقابلة داخلة فى المطابقة اعتبرها الطيبى نوعاً مستقلاً ، ولم يدخلها ضمن المطابقة ، وإن لم ينصّ على التفريق بينهما لكنّ الشارح بين الفرق بين المطابقة والمقابلة بمقتضى الأمثلة التى ذكرها الطيبى ،فقال :- ((واعلم أنّ هذا النوع أى المقابلة أخص من النوع الأول لأنّ المطابقة قد يجتمع فيها التعدد كالمقابلة كقول ابن عمران ما أجمد فى حقّ ،ولا أذوب فى باطل ،وقد يخلو عنه كما فى قول الشاهد ، لم تجعد عنّي فى جواب شريح إنك لسبط الشهادة)) . [3]

هذا وقد استشهد الطيبى لاجتماع خمس مقابلات فى بيت واحد بقول الثعالبى :-

عذيرى من الأيام مدّت صروفها ... إلى الوجه من أهوى يد النسخ والمحو

وأبدت بوجهى طالعات أرى بها ... سهام أبى يحى مسدّدة نحوى

فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى ... وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

لكنّه أى الطيبى لم يعلّق على الأبيات بشئ ، أمّا الشارح فشرح بعض العبارات فى الأبيات فذكر أنّ عذيرى معناه هلم من يعذرك منه ان أوقعت به يعنى أنّه أهل للايقاع به يقال من عذيرى من فلان أى من يعذرنى منه كأنّه يخبر باساءته إليه ، واستجابة المجازاة بما أساء فيقول من يعذرنى منه إذا جازيته بسوء فعله فلا يلومنى على مايكون منّى إليه ، وأبى يحى كنية ملك الموت جاء على سبيل التمليح كما بيّن اعراب بعض التراكيب ، فذكر أنّ قوله عذيرى منصوب على اضمار هلمّ ، وقوله مدّت يجوز أن تكون حالاً وقد مقدّرة ويجوز أن تكون استئنافاً كأنّه لمّا قال من عذيرى من صروف الأيام قيل مافعلت بك ؟ ، وما شكواك عنها ؟ ، فأجاب مدّت إلى آخره ، وأبدت عطف على مدّت كما ذكر الشارح بعض الصور البيانيّة والفنون البديعية اللتين تضمنتهما الأبيات فذكر أنّ قوله صروفها استعارة مكنية ، ومدّت قرينتها ،ويد النسخ ترشيح لتلك الاستعارة ، والمقصود بالنسخ

---

(١) المفتاح ص ١٧٩

(٢) الايضاح ص ٢٤١

(٣) الحدائق ص ١٢٦٢

ازالة الجمال بظهور الخط ، كما ذكر أنّ الباء فى قوله بها تجريديّة أى أرى بالطالعات السهام وهى كقولك رأيت بك أسداً ، أمّا موضع الشاهد ففى البيت الأخير فقوله ذاك إشارة إلى يد النسخ ، ومقابلة هذا اشارة إلى ابداء طالعاتفالتقابل بين بعد الاشارة ، وقربها هذه أولى المقابلات ، وثانيتها المقابلة بين السواد والبياض ، وثالثتها المقابلة بين الخط والوخط الذى معناه مخالطة الشيب ، ورابعتها بين يأمر وينهى ، وخامستها بين لهوى والصحو ، هذا[1] مجمل ماذكره الشارح حول أبيات الثعالبى فى اجتماع خمس مقابلات .

وقد تبيّن لى أنّ الخطيب لم يذكر بيت الثعالبى شاهداً على اجتماع خمس مقابلات ، وإنّما استشهد ببيت أبى الطيب :-

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وأورد عليه نظراً من أن قوله لى من صلة يشفع وقوله بى من صلة يغرى فهما من تمامهما .[2]

وقد سار مع الخطيب فى الاستشهاد بالبيت وايراد النظر المذكور عليه البهاء[3] السبكى ، أمّا السعد[4] فإنّه لم يذكر اجتماع خمس مقابلات من خلال هذا يبرز جهد الطيبى فى إيراده للأبيات إذ يعدّ تجديداً فى الشواهد ، وإن كان الثعالبى قد أوردها لكن ليس على أنّها شاهد بلاغى ، أمّا الطيبى فأوردها لهذا الغرض ، ثمّ يأتى جهد الشارح الذى كما ظهر أحسن شرح الأبيات، وبيان وجه الاستشهاد بها ، ولعلّ هذا جهد مميز

المشاكلة

عرّف الطيبى المشاكلة بأنّها ذكر الشئ بلفظ مصاحبه لوقوعه معه[5] ، وهو فى هذا التعريف يتلاقى مع تعريف السكاكى الذى اعتبر المشاكلة وجهاً من وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى المعنى وقال فى تعريفه لها :- ((وهى أن تذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته))[6] ، وقد اعتمد الخطيب هذا التعريف اعتماداً يكاد يكون حرفيّاً حيث قال :- ((ومنه [أى المحسنات المعنويّة] وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته))[7] .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٢٦٤

(٢) انظر الايضاح ص ٣٤٢

(٣) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/٣٠٠

(٤) انظر المطول ص ٤١٩ - ٤٢٠

(٥) الحدائق ص ١٢٦٥

(٦) المفتاح ص ١٧٩

(٧) الايضاح ص ٣٤٨

أمّا الشارح فوضّح تعريف أستاذه وبيّن محترزات التعريف فذكر أنّ اللفظ الثانى فى المشاكلة هو المصاحِب بكسر الحاء لأنّ اللفظ الأول هو الأصل فخرج بهذا المجاز لأنّه ذكر الشئ بلفظ غيره لكن ليس بمصاحب له ، وخرج بقوله فى التعريف لوقوعه معه التجنيس التام فإنّه ذكر الشئ بلفظ مصاحبه لا لوقوعه فى صحبته بخلاف المشاكلة فإنّها لا دلالة لها على المعنى المقصود وإنّما أوتى باللفظ المصاحِب ليشاكل اللفظ المصَاحَب فى الصورة فقول الشاعر :-

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لى جبةً وقميصا

فقوله اطبخوا لا دلالة فيه على خيطوا ، لا حقيقة ولا مجازاً ، وإنما أتى بها لمجرّد المشاكلة الصورية لقوله ((طبخه)) وعدم دلالة اطبخوا على خيطوا حقيقة فظاهر ، وأما مجازاً فلفقدان العلاقة المعتبرة بين الطبخ والخياطة ، وهذا لا يناقض التقسيم الحاصر فى قولهم اللفظ إمّا مستعمل فيما وضع له فهو حقيقة ، أو فى غير ماوضع له فهو مجاز ، أو كناية لأنّ هذا التقسيم للفظ مع مدلوله ، أمّا فى المشاكلة لمجرّد اعتبار لفظ المصاحب دون القصد إلى المعنى لأنّه قد يتفق فى اللفظ المصاحب المعنى المجازى وذلك فى بعض صور المشاكلة كما فى قوله تعالى ((وجزاء سيئة سيئة مثلها))[1] ، فإنّ سيئة الثانية وإن كانت مسبّبة عن السيئة الأولى لكن ذلك غير منظور إليه وغير مقصود فى هذا الباب ، ولا يصلح أن تكون سيئة الأولى علاقة للمجاز لأنّها قرينة للفظ السيئة الثانية التى جاءت على سبيل المشاكلة ، فالسيئة الثانية فى الحقيقة حسنة بالنسبة للمظلوم ، وكان من حقّ الظاهر وجزاء سيئة عقوبة مثلها لكنّه عدل إلى السيئة فى الثانية لتشاكل السيئة الأولى استحساناً ويمكن أن يقال إذا كانت المشاكلة متعلقة بصورة اللفظ وشكله كان حقّها أن تلحق بالمحسنات اللفظيّة التابعة للفصاحة لأنّ الفصاحة تتعلّق باللفظ يجاب عن هذا أنّها ضمّت مع المطابقة ، والمقابلة لتجانسها ومن ثمّ سمّاها الزمخشرى بالمطابقة والمقابلة ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ((إنّ الله لا يستحى أن يضرب مثلاً .....))[2] ، لهذا ألحقت بالمحسنات التى تعود إلى اللفظ والمعنى[3] ، هذا مجمل تعليق الشارح ، وتوضيحه لتعريف أستاذه ، ولعلّ جهد الشارح قد تجلى ، وبرز فى شرحه لتعريف المشاكلة عندما نعرف أنّ السعد[4] والبهاء السبكى[5] لا نجد عندهما مثل هذا الشرح والتوضيح ، وهما معاصران للشارح ، أمّا ابن يعقوب وهو متأخر

---

(١) من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

(٢) من الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٦٥

(٤) انظر المطول ص ٤٢٢ ، ٤٢٣

(٥) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/٣٠٩ - ٣١٥

عن الشارح فقد ناقش مسألة المشاكلة هل هى من المجاز أو ليست من الحقيقة والمجاز فقد قال :-

((..... قيل المشاكلة ليست من الحقيقة ولا من المجاز ، وقيل إنها من المجاز ... . والتحقيق أن المشاكلة من حيث أنها مشاكلة ليست حقيقة ولا مجاز لأنها مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما .....)) .[1]

فرأى ابن يعقوب يتلاقى مع رأى الشارح فى هذه المسألة ، هذا وقد قسم الطيبى[2] المشاكلة إلى نوعين الأول الحقيقى ، والثانى التقديرى ، ولعله فى هذا متأثر بالخطيب[3] ، وقد استشهد[4] للحقيقى ضمن ما استشهد بقوله تعالى :- ((تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك)) .[5]

أما الشارح فقد بين معنى النفس ، ووجه الاستشهاد بالآية على المشاكلة فذكر أنه لا يجوز اطلاق اسم النفس على الله ابتداء ، فلو لم يقل ((مافى نفسى)) لم يجز أن يقال ((مافى نفسك)) وقد ذكر الزجاج أن النفس فى كلام العرب يطلق لأحد معنيين أحدهما قولهم خرجت نفسى فلان ، وفى نفسى فلان أن يفعل كذا ، وثانيهما يطلق على جملة الشئ ، وحقيقته يقولون فلان قتل نفسه أى ذاته ، وليس معناها أن القتل وقع ببعضه فبناء عليه قوله تعالى ((تعلم مافى نفسى)) أى ما أضمره ، ولا أعلم مافى حقيقتك ، وماعندك علمه أى تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ماتعلم ، وذكر أنه لابد من اعتبار الآية من باب المشاكلة لأنه إن أريد بما فى النفس المضمرات فلا يليق فى حق الله فيجب القول بالمشاكلة ، وإن أريد مافى الحقيقة والذات فالمشاكلة من حيث ادخال فى الظرفية فلابد من القول به من جانب العبد إذ المراد مافى الضمير لقوله ((مافى نفسى)) أى مافى قلبى على مافسر[6] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول وجه الاستشهاد بالآية على المشاكلة وقد تبين لى أن الخطيب استشهد بالآية على المشاكلة إذا كان اللفظ المشاكل حقيقياً لكنه لم يعلق على الآية بشئ ، أما البهاء السبكى فذكر الآية وبين المشاكلة التى تضمنتها وهو يتلاقى فى جزء من تعليقه على الآية مع ماذكره الشارح فقد قال البهاء السبكى :- ((ومنه قوله تعالى ((تعلم مافى نفسى ، ولا أعلم مافى نفسك)) والمراد الذات ، ولكنها ذكرت بلفظ النفس لتقدم تعلم مافى نفسى ، واعترض بجواز أن يكون المراد بنفسك الذات فتكون حقيقة من غير ملاحظة المشاكلة قلت وعبارة الزمخشرى المعنى تعلم معلومى ، ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة والذى فهمته من هذا

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : ٤/٣١٠

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٦٥ ، ١٢٦٩ .

(٣) انظر الايضاح ص ٣٤٨ ، ٣٤٩

(٤) انظر الحدائق ص ١٢٦٧

(٥) من الآية ١١٦ من سورة المائدة .

(٦) انظر الحدائق ص ١٢٦٧

الكلام أنّه لا يريد أنّ النفس هنا غير الذات بل ذكر الجملة التي لأجلها عبّر عن المعلوم بما في النفس ، فلايكون ارادة الذات والحقيقة منافياً للمشاكلة ، ويمكن أن يقال النفس وإن أطلقت على الذات في حقّ غير الله تعالى فلا تطلق في حقّه لما فيه من ايهام معناها الذي لا يليق بغير المخلوق فلذلك احتيج إلى المشاكلة ، وقبل لا بدّ من الاقرار بالمشاكلة لأنّ مافي النفس إن أريد به المضمرات فلا مطابقة من جهة الله تعالى فوجب للمشاكلة وإن أريد مافي الحقيقة والذات فالمشاكلة من حيث ادخاله في الظرفية))[1] ، من خلال هذا يتميّز جهد الشارح في بيانه للمشاكلة في الآية بأحسن بيان .

كما ذكر الطيبي أنّه لا يلزم تقديم اللفظ المصاحب فقد يجيء مؤخراً واستشهد له بقول أبي تمام :-

من مبلغ أفناء يعرب كلّها ... أنّي بنيت الجار قبل المنزل[2]

أمّا الشارح فاعتبر البيت شاهداً على المشاكلة التقديريّة أي النوع الثاني ، وإنّما أورده الطيبي في هذا الموضع للاستشهاد به لمجرد تقديم المصاحب على المصاحب ، وأصل التقدير في البيت بنيت المنزل إذ لولا هذا التقدير لم يحسن بنيت الجار، ويمكن أن يقال إنّ البيت مرّ بمراتب تقديريّة ثلاثة ، الأولى حصلت الجار قبل بناء المنزل ، ثمّ المرتبة الثانية بنيت الدار قبل بناء الجار ، ثمّ المرتبة الثالثة ، وهو ما عليه البيت كما قاله الشاعر بنيت الجار قبل المنزل[3] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت أبي تمّام، وقد تبيّن أن الشارح خالف الخطيب الذي ذكر البيت شاهداً على النوع الأول من المشاكلة وهو التحقيقي ، وقد ردّ البهاء السبكي على الخطيب فيما ذهب إليه واعتبر البيت من القسم التقديري حيث قال :- ((وجعل منه في الإيضاح قول أبي تمام من مبلغ ..... وفيه نظر لأنّ البناء المذكور لم يذكر نظيره في المنزل تحقيقاً بل تقديراً فإنّ تقديره قبل بفناء المنزل فهو من القسم الثاني لا الأول ، بل هو أجدر باسم البعديّة من الثاني لأنّ هذا التقدير لفظي، والتقدير في القسم الثاني معنوي))[4] ، ولكن الذي يظهر أن توجيه الشارح للبيت إلى النوع التقديري كان أوضح ، وأبين ، وأشمل على تفصيل أكثر مما ذكره البهاء السبكي .

---

(١) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/٣١١ ، ٣١٢

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٦٩

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٦٩

(٤) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/٣١٢

مراعـــــــاة النظيـــــــر

ذكر الطيبى أنّه يسمى التناسب والائتلاف ، وعرّفه بقوله :-

((هى أن تجمع بين أمر ، وما يناسبه لا بالتضاد)) [1] ، وذكر أنّه يأتى على أصناف وهى :- الأول ائتلاف اللفظ والمعنى ، الثانى ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، الثالث ائتلاف المعنى مع المعنى. [2]

ويبدو تأثّر الطيبى فيما ذكره من التسمية والتعريف بما ذكره الخطيب والذى قال : ((ومنـــــــه [أى المحسنات المعنوية] مراعاة النظير ، وتسمّى التناسب ، والائتلاف ، والتوفيق أيضاً ، وهى أن يجمع فى الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد)) . [3]

فأمّا ما يتعلّق بالصنف الثانى من أصناف مراعاة النظير وهو ائتلاف اللفظ مع اللفظ فبيّنه الطيبـــى بأن يكون فى الكلام معنى يصحّ معه معان فيختار منها ما بين لفظة وبين لفظ ذلك المعنى ائتلاف بحسب أسباب مؤدية إلى تقارنهما فى الخيال [4] ، واستشهد له بقول السلامى :-

والنقع ثوب بالنسور مطـــرّز ... والأرض فرش بالجياد مخمّـــــل

وسطور خيلك إنّما ألفاتهـــا ... سمر تنقّط بالدماء وتشكـــــل [5]

أمّا الشارح فبيّن الصور البيانية التى تضمنتها الأبيات فذكر أنّ الشاعر شبّه الغبار الـــــذى فوق رؤوس المقـــاتلين ، وفى ذلك الغبار نسور متوثّبة للوقوع على لحوم القتلى شبّـــــــه هذا بالثوب المطرّز ، وشبّه أرض المعركة ، وفيها الخيول الملتحمة المتراكمة بالفرش ، والبســـــط المخمّلة ، وموضع الشاهد ائتلاف الثوب مع الطراز ، والفراش ، والخمل ، وائتلاف السطر مع الألـــف ، والنقط ، والشكل كما ذكر الشارح أنّ قوله تنقط وتشكل يحتمل أن يكون مبنيّاً للمجهول أو المعلوم والمقصود من النقطة فى الرمح ما يقطر فيه من الدم كالنقطة والشكلة ما يسقط فيه من الدم طولاً ، وكذلك أثره إذا كان الطعن فيه إمّا على الاستواء فهو كالنقطة أو بالانحراف فهو كالشكلة [6] .

هذا مجمل ما ذكره الشارح ، ولعلّه قد أحسن فى شرحه للصور البيانية التى تضمنها البيتان وتوضيحه لموضع الشاهد الاستشهاد فيها ، فأمّا ما يتعلّق بالصنف الثالث وهو ائتلاف المعنـــــى مع المعنى قسمين أحدهما أن يشمل الكلام على معنى يصحّ معه معنيان أحدهما ملائم بحسب نظر دقيق

---

(١) الحدائق ص ١٢٧٣

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٩

(٣) الايضاح ص ٣٤٣

(٤) انظر الحدائق ص ١٢٧٤

(٥) انظر الحدائق ص ١٢٧٨

(٦) انظر الحدائق ص ١٢٧٨

والآخر ليس كذلك فيقرن بالملائم، ومن خفى هذا القسم قوله تعالى : ((إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)) [1] ، فقوله ((وإن تغفر لهم)) قد يوهم أنه لو كان فى غير القرآن كان من المناسب أن تكون الفاصلة الغفور الرحيم مثلاً لكن المناسب حقيقة أن تكون العزيز الحكيم لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردّ حكمه أى عزيز قادر وأيضاً لا يفعل ذلك إلا من علم الحكمة فيما يفعله ، وإن خفيت على غيره فهو حكيم إذن سبحانه وتعالى . [2]

وقد اعتبر الخطيب مثل هذا من تشابه الأطراف وهو ختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى وقد اعتبره من مراعاة النظير، ويبدو تأثر الطيبى واضحاً فى توجيه الآية بالخطيب والذى قال :-

((ومن خفىّ هذا الضرب [يقصد تشابه الأطراف] قوله تعالى ((إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)) فان قوله ((وان تغفر لهم)) يوهم أنّ الفاصلة ((الغفور الرحيم)) ولكن إذا أنعم النظر علم أنّه يجب أن تكون ماعليه التلاوة لأنّه لا يغفر لمن يستحقّ العذاب إلّا من ليس فوقه أحد يردّ عليه حكمه فهو العزيز لأنّ العزيز فى صفات الله هو الغالب من قولهم عزّه يعزّه عزّاً إذا غلبه، ومنه المثل من عزّ بزّ أى من غلب سلب ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ، لأنّ الحكيم من يضع الشئ محلّه والله تعالى كذلك إلّا أنّه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنّه خارج عن الحكمة فكان فى الوصف بالحكم احتراس حسن أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك والحكمة فيما فعلته)) . [3]

أمّا الشارح فذكر أنّ الضمير فى قوله ((إن تعذبهم)) يعود إلى قوم عيسى عليه السلام الذين اتخذوه وأمّه إلهين من دون الله كأنّ عيسى عليه السلام قال : إن تعذبهم فإنّهم عبادك ويستحقون العذاب لأنّهم عبدوا غيرك وإن تغفر لهم مع ذلك فليس فوقك مايمنعك من التصرف فى ملكك كيفما تريد، وأنت لا تفعل ذلك إلّا لحكم ، وأسرار تتقاصر عن ادراكها عقول البشر فلا اعتراض على مافعلت على أى وجه كان فسبحانك جلّت قدرتك . [4]

ويبدو أنّ هذا الذى ذكره الشارح وإن لم يخرج فى معناه عمّا ذكره أستاذه لكن يعدّ بيان وتوضيح حسن لما قاله أستاذه ، أمّا ما يتعلق بالقسم الثانى وهو أن يكون للمعنى وصفان ملائمان

---

(١) الآية ١١٨ من سورة المائدة .

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٧٩ ، ١٢٨١

(٣) الايضاح ص ٣٤٥

(٤) انظر الحدائق ص ١٢٨١

فيختار الأحسن من الصنف الثالث وهو ائتلاف المعنى مع المعنى من أصناف مراعاة النظير ، فذكر الطيبي أنّ عبدالملك أنشد ابن الزيات - بين يدى محمد بن عبدالملك قول الفرزدق :-

فانك إن تهجو تميما وترتشي ... بتأبين قيس أو سحوق العمائم

كمهريق ماء بالفلاة وغيره ... سراب أثارته رياح السمائم

فقال محمد هذين البيتين وبيتى أبن هرمة :-

إنّى وتركى ندى الأكرمين ... وقدحي بكفّى زناداً شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ... وملحقة بيض أخرى جناحا

وذكر أنّهما احتاجا أى الفرزدق وابن هرمة إلى تبديل بعض الأبيات ببعض وذلك بأن يجعل ثانى كل من البيتين فى موضع ثانى الآخر ليصحّ معناهما ويروق نظمهما .(١)

أمّا الشارح فبيّن المفردات الغريبة للأبيات فذكر أنّ التأبين أن تقفو أثر الشئ تقول أبّنت الرجل تأبيناً إذا بكيته ، وأثنيت عليه بعد الموت ، كما ذكر اعراب بعض التراكيب فذكر أنّ قوله أو سحوق العمائم أى عمائم سحوقة معطوف على محذوف ، والتقدير ترتشي بمدحهم أخلاق ثياب أو سحوق عمائم ، وقوله كمهريق ماء مرفوع المحل خبر إنّ وورواية ((فانك إذ تهجو)) إذ ظرف والعامل فيه مايفهم من معنى التشبيه ، وقوله ((جناحا)) مفعول ملحقة وقوله ((بيض أخرى)) منصوب على نوع الخافض أى ملحقة جناحها على بيض أخرى . يقول الفرزدق لم يزل يقرّض أحياءكم ويؤبّن موتاكم ، وفى قول ابن هرمة ((وقد حى بكفّى زناداً شحاحا)) هذا مثل لطلب الجدوى من البخيل المسك فالشاعر شبّه طلب النوال من البخيل ، بقدح الزناد التى لم تخرج منها النار ووجه الشبه الخيبة والحرمان فى كلّ .(٢)

هذا وقد بيّن الشارح كيف أنه يحتاج إلى تبديل بعض الأبيات ببعض ، وذلك بجعل ثانى كلّ من البيتين فى موضع الآخر ليصحّ المعنى ، ويروق النظم فى قول كل من الشاعرين فذكر الشارح أنّ تشبيه الفرزدق قوله فانك إذ تهجو ..... البيت . بقوله كمهريق ماء وإن كان مناسباً له حيث شبه اضاعته القوم بسبب هجوه لهم وطمعه من غيرهم الذين لا فائدة ترجى منهم باراقة الماء فى الفلاة المهلكة طمعاً فى السراب يلوح لامعاً من بعيد كأنّ به ماء حتّى إذا جاءه لم يجد فيه شيئاً ، هذا المشبه به وإن كان مناسباً لكن الأحسن والأكثر تلاوماً اعتبار المشبه به قول ابن هرمة كتاركة بيضها البيت أى كحمامة تاركة بيضها لأنّ ترك ماهو مختصّ به ، ورعايته إلى رعاية ماهو غير مختصّ به ، هذا أولى من اضاعة الشئ والطمع فيما لا جدوى فيه ، وأيضاً التشبيه فى قول ابن هرمة

---

(١) انظر الحدائق ص ١٢٨٣ ، ١٢٨٤

(٢) انظر الحدائق ص ١٢٨٣ ، ١٢٨٤

كتاركة بيضها قوله إني وتركي لأنّ تركه ندى الأسخياء وطلبه من البخلاء يكون وضع أمله في غير موضعه كالنعامة تركت بيضها والحقت بجناحها بيض غيرها لكنّ الأحسن ، والأكثر تلاوة ما أن يضمّ حديث وجدان الماء ، وفقدانه مع حديث الندى والامساك لا مع حديث النعامة وبيضها ولأنّ وصف الرياح بالسمائم تتميم للمعنى ، ومبالغة في وصف الهلاك يناسب المثل وقد حسى بكفّي زناداً شحاحا فإنّه نهاية الخيبة والخسران والبوار .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح ولعلّه غنيّ عن التعليق فبينما اكتفى أستاذه الطيبي بايراد ماقاله محمد بن عبدالملك في أنّه لو وضع البيت الثاني في كلّ من القولين مكان الآخر لصحّ المعنى ، وراق النظم وجدنا الشارح قد بيّن في أحسن بيان وجه صحّة المعنى وكون النظم رائعاً في موازنة رائعة بالاضافة لشرحه لجوانب أخرى في الشاهدين من شرح غريب ، وبيان معنى وشرح صورة بيانية ، كل هذه جهود تحسب له وتعدّ من أبرز جهوده في هذا الجانب لأنّ الموازنة الدقيقة ، وتلمس المعاني الخفيّة للنصّين لا تتأتى إلا بعد الفهم العميق لهما من ناحية فهم مفرداتهما الغريبة ، وادراك معناهما العام والأساس الذي يرتكز عليه كل هذا هو الذوق البلاغي السليم مع صفاء القريحة ولعلّ هذا ما نلمسه من خلال ماذكره الشارح في النصّين السابقين .

الترقّي

من المحسنات التي ترجع إلى اللفظ والمعنى والتي ذكرها الطيبي الترقي ، وقد عرّفه ومثّل له حيث قال :- ((وهو أن يذكر معنى ثمّ يردف بما هو أبلغ منه كقولك فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فيّاض))[2] ، أمّا الشارح فذكر أنّ الترقي في المنفي يختلف عن الترقي في المثبت فان الترقي في المثبت يترقى فيه من الأدنى إلى الأعلى بخلاف المنفي فإنّه يؤخذ فيه من نفي الأعلى الى نفي الأدنى لأن نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى ، وقد نفى الله رضى اليهود وهم أبعد وأعلى من رضى النصارى الذين هم أدنى وأقرب مودة ، وذلك في قوله تعالى :- ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى))[3] أي لا يرضى عنك من هو أقرب مودّةً وهم النصارى فمن باب أولى أن لا يرضى عنك من هو أبعد مودّة وهم اليهود .[4]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٢٨٤ ، ١٢٨٥

(٢) الحدائق ص ١٣٤٨

(٣) من الآية ١٢٠ من سورة البقرة .

(٤) انظر الحدائق ص ١٣٤٨

هذا وقد استشهد الطيبى للترقّى ضمن ما استشهد بقول أبى العلاء :-

سرى برق المعرّة بعد وهـــــن فبات برامة يصف الكـــــلالا

شجا ركبا وأفراسا وابـــــلاً وزاد فكاد أن يشجو الرحـــــالا [1]

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات الغريبة فذكر أنّ قوله بعد وهن معناه بعد طائفة من الليـــل ، والمعرّة معرّة النعمان بلدة بالشام ورامة موضع بالعراق ، شجا أى أحزن ،وقوله يصف الكـــــلالا جاء على طريقة قوله تعالى ((لما تصف ألسنتكم الكذب)) [2] ، وقولهم وجهه يصف الجمال فكأن البرق ، واللسان ، والوجه لقوّة مانسب إليها أشخاص ذوو نطق يصفون مانسب إليهم من الكلال ، والكذب والجمال ،وذلك كما يصف ذوو العقول مايخصّهم مبالغة فى أنّ البرق ،واللسان ،والوجه معـــــادن ومناشئ للكلال والكذب والجمال [3] ، وقد بيّن الشارح الترقى الذى تضمّنه البيت ووجه حسنه فذكـر أنّ الشاعر نسب الحزن والكآبة إلى الركبان ثم ترقّى منها إلى الأفراس وهى دون الركبان ونسبـــــة الحزن والشجو إلى الأفراس أبلغ من الركبان ، ولمّا كانت الأفراس أذكى من كثير من الحيوانـــات وخاصّة الابل ترقّى من الأفراس إلى الابل فى احساسها بالشجو والحزن ولمّا كانت الرحال جمادات لا تشعر بالتشوق والحزن فنسبة الحزن والكآبة إليها جاء فى غاية المبالغة [4] ، وقد وضّح الشـــارح معنى البيتين فذكر أنّ الشاعر قال لمّا نزلنا برامة رأينا برقاً سرى من نواحى الشام جهة المعـــرّة حتى إذا بلغ ذلك البرق رامة شكى التعب لطول المسافة التى قطعها ، وهذا البرق عندما لمـــع جهة المعرّة حرّك أشواقنا وأثار مشاعرنا ،وأصابنا بالحزن والكآبة ، وسرى ذلك الحزن إلـــى أفراسنا وإبلنا بل زاد ذلك الشجو والحزن حتى كاد أن يصيب رحالنا . [5]

هذا مجمل ماذكره الشارح ، وفى تقديرى أنّ جهد الشارح كما رأينا لم يقتصر على بيان موضـــع الاستشهاد فى الشاهد بل تجاوزه إلى شرح المفردات الغريبة ، وبيان المعنى العام ، ولعـلّ هذا جهد متميز يبرز شخصيّة الشارح رحمه الله تعالى .

تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه

من أنواع المحسنات التى ترجع إلى اللفظ والمعنى التى ذكرها الطيبى تأكيد المدح بما يشبـــه

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٥٠

(٢) من الآية ١١٦ من سورة النحل .

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ١٣٥٠

(٥) انظر الحدائق ص ١٣٥٠

الذم عرّفه بقوله :- ((أن يثبت لشئ صفة مدح وتعقب بأداة الاستثناء صفة أخرى)) .[1]

ومن شواهده التى ذكرها قوله تعالى :- ((لا يذوقون فيها الموت إلّا الموتة الأولى))[2] أى لا يذوقون الموت البتّة يعنى لو كانت الموتة الأولى يصحّ أن تذاق فإنّهم يذوقونها ولكنّها لا تذاق فبالتالى لا يذوقون الموت البتّة .[3]

أمّا الشّارح فذكر فى تعليقه على الآية ، أنّه لمّا كان لا موت فى الجنّة لأنّه محال أن تذاق الموتة التى وقعت فى الدنيا فاذن لا موتة البتة .[4]

هذا وقد استشهد الشارح لتأكيد المدح بما يشبه الذم بقول الشاعر :-

ولا عيب فيكم غير أنّ ضيوفكـــم تعاب بنسيان الأحبّة والوطـــن

يصف الشاعر هؤلاء القوم بأنّهم لحسن ملاقاتهم لضيوفهم وقيامهم بحقّهم على أكمل وجه استأنس الضيوف بهم ، وألفوا محلّهم ، فنسوا الأهل والأوطان .

ومن أبدع شواهد تأكيد المدح بما يشبه الذم قول أبى القاسم الطبرى :-

قضيب ولكن مبسم النور ثغـــره وبدر ولكن المحاق بخصـــره

فالشاعر شبّه قدّ المحبوب بالقضيب ، وأثبت له النور ثمّ شبّه مبسم النور وهو انفتاحه بثغره ، وشبّه وجهه بالبدر ، وأثبت له النقص فيه ، واستدركه بجعله كاملاً فى خصره ، وقد اشتمل البيت على صنعة الاستتباع أى أنّه استتبع ذكر القدّ ذكر الثغر والوجه[5] ، هذا مجمل ماذكره الشارح من شواهد تأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتعليق عليها .

ويبدو لى أنّه يمكن اعتبار بيت أبى القاسم الطبرى شاهداً على التشبيه البعيد الغريب حيث تصرّف فى التشبيهات التى تضمنها البيت حيث أخرجها التصرف فيها من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة لأنّه لا تزاحم بين اللفتات البلاغية ، فقد تتعدّد تلك اللفتات على الشاهد الواحد على اعتبار اختلاف الوجوه التى ينظر إليها فى الشاهد .

ولعلّ الشارح قد أحسن بإيراد شواهد أخرى على تأكيد المدح على مايشبه الذم ، ولم يتقيّد بما أورده أستاذه مما يعدّ تجديداً فى الشواهد ، وتعليقه على الشاهد يعدّ جهداً آخر يحسب له .

---

(١) الحدائق ص ١٣٧٢

(٢) من الآية ٥٦ من سورة الدخان

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ١٣٧٢

(٥) انظر الحدائق ص ١٣٧٢

اللّف والنشر

عرّف الطيبى هذا النوع من المحسنات التى ترجع إلى اللفظ والمعنى عنده بقوله :- ((هو أن تضمّ متعدداً ثمّ تتبعه مالكل واحد منه من غير تعيين ثقة بأن السامع يردّ كلا إلى ماهو له)) .(١)

وقد اعتبر الخطيب هذا النوع من المحسنات المعنوية ، وعرّفه بقوله ((هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ثمّ ذكر مالكل واحد من غير تعيين ثقة بأنّ السامع يردّه إليه)) .(٢)

ويبدو تأثر الطيبى به ، أمّا السكاكى فاعتبر اللف والنشر من وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى المعنى ، وعرّفه بقوله:- ((هى أن تلفّ بين شيئين فى الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأنّ السامع يردّ كلاً منهما إلى ماهو له)) (٣) ، والفرق بين تعريف السكاكى من جهة والخطيب والطيبى من جهة أخرى أنّ السكاكى اعتبر اللف يكون بين شيئين فقط ، واستشهاده بقوله تعالى ((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله)) (٤) ، وهو الشاهد الوحيد الذى ذكره للفّ والنشر ، ويدلّ عليه بينما الخطيب والطيبى يريان اللف يكون شيئين ، ويكون متعدداً ، وذلك من خلال الأمثلة والشواهد التى ذكراها .

هذا وقد قسم الطيبى اللف والنشر إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : أن يكون مرتباً ، القسم الثانى : أن يكون غير مرتب ، القسم الثالث ما يجىء اللف تقديراً .

وقد استشهد الطيبى للقسم الأول وهو ماجاء اللف والنشر فيه مرتباً بقول أبى تمام :-

وماهو إلّا الوحى أو حدّ مرهف ... تميل ظباه أخدعى كلّ مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل (٥)

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات فذكر أنّ الظبا جمع ظبة وهو طرف السيف والأخدع عرق فى موضع المحجمتين وهو شعبة من الوريد وهما أخدعان ، وذكر أنّ الضمير فى قوله ((وما هو إلا الوحى)) يرجع إلى مافى الذهن مبهماً أى لا يتقوّم الأمر الذى يستقيم به أمر الدين ، وأمر الدنيا إلا بالوحى الساطع والسيف القاطع .(٦)

---

(١) الحدائق ص ١٣٨٦
(٢) الفتاح ص ١٧٩
(٣) الايضاح ص ٣٥٥
(٤) من الآية ٧٣ من سورة القصص
(٥) انظر الحدائق ص ١٣٨٦ ، ١٣٨٨
(٦) انظر الحدائق ص ١٣٨٦
(٧) انظر الحدائق ص ١٣٨٦

لعلّ هذا التعليق من الشارح على البيتين حسن ، واستشهد الطيبى للف التقديرى بقوله تعالى :- ((وقالوا لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى)) [1] ، فإنّ الضمير فى قالوا يعود لأهل الكتابين والتقدير، وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى[2]

هذا وقد بينت فى التحقيق مدى تأثّر الطيبى فى تعليقه على الآية بما ذكره الخطيب الذى أوردت نصّ تعليقه .

التقسيم

عرف الطيبى التقسيم بقوله :- ((وهو أن يذكر متعدد ثم يضيف إلى كلّ منها ماهوله)) .[3] أمّا الخطيب فعرّف التقسيم بقوله :- ((هو ذكر متعدد ثمّ اضافة مالكل إليه على التعيين)) واعتبره من المحسنات المعنوية وذكر أنّ تعريف السكاكى الذى يقول :- ((هو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ثمّ تضيف إلى كلّ واحد من أجزائه ماهوله عندك)) [4] ، ذكر الخطيب أنّ هذا يقتضى أن يكون التقسيم أعمّ من اللف والنشر .[5]

وقد بيّن السعد وجه اعتراض الخطيب على السكاكى فى أنّ اهماله لقيد التعيين جعل التقسيم أعمّ من اللف والنشر لكنّه أجاب عن هذا الاعتراض فقال :- ((التقسيم وهو ذكر متعدد ثمّ اضافة مالكل إليه على التعيين)) ، وبهذا القيد يخرج عنه اللفّ والنشر ، وقد أهمله السكاكى فيكون التقسيم عنده أعمّ من اللف والنشر ، ولقائل أن يقول إنّ ذكر الاضافة مغنٍ عن هذا القيد إذ ليس فى اللف والنشر اضافة مالكلّ إليه ، بل يذكر فيه مالكل حتى يضيفه السامع إليه ، ويردّه عليه فليتأمل فإنّه دقيق)) .[6]

ويبدو أنّ الطيبى وتبعاً له تلميذه سارا مع السكاكى فى مفهومه للتقسيم ظهر ذلك من تعريف الطيبى له فإنّه لم يشترط التعيين .

هذا ومما استشهد به الطيبى على التقسيم قول ابن حيّوس:-

---

(١) من الآية ١١١ من سورة البقرة .

(٢) انظر الحدائق ص ١٣٨٦

(٣) الحدائق ص ١٣٩٦

(٤) المفتاح ص ١٨٠

(٥) انظر الايضاح ص ٣٥٨

(٦) المطول ص ٤٢٨

ثمانية لم تفترق مذ جمعتهـــا فلا افترقت ماذبّ عن ناظر شفـــر
ضميرك والتقوى وكفّك والفتـــى ولفظك والمعنى وسيفك والنّصـــر (١)

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات التى تحتاج إلى شرح فذكر أنّ ذب بمعنى دفع ، والشفـــر واحد الأشفار ، وهى حافّة الأجفان المكان الذى ينبت عليه الشعر ، وهو الهدب أو الرمـــش وقوله ((فلا افترقت)) دعاء له وقوله ((ماذبّ)) بمعنى الدوام ومعنى قول ماذبّ عن ناظـــر شفر أن الله تعالى خلق بحكمته لحفظ وصيانة العين ،ومركز الابصار منها ،وهى الحدقة خلق لهـــا ما يحفظها من الأذى كالغبار ، والقذى الأشفار لتدفع عنها تلك الأشياء ولتحفظها،وتصقلها،وتدفـــع مالحقها من أذى .

وموضع الشاهد الجمع فى قوله ثمانية،وتقسيمه الضمير ، والكف ، واللفظ ، والسيف ، فأضيف إلـــى كلّ منها ما يناسبه ويأتلف معه . (٢)

ولعلّ الشارح قد أحسن بشرحه لبعض المفردات فى البيتين ، وبيان موضع الشاهد فيهما .

الجمع مع التفريـــــق

عرّف الطيبى هذا النوع من التحسين الذى يرجع إلى اللفظ والمعنى بقوله :- ((وهو أن تدخـل شيئين فى معنى واحد ، ثمّ تفرّق بين جهتى الادخال)) (٣) ، ويبدو أنّ الطيبى نقل هذا التعريف نقلاً يكاد يكون حرفيّاً عن السكاكى الذى اعتبر الجمع مع التفريق أحد وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى المعنى ، وعرّفه بقوله :- ((هو أن تدخل شيئين فى معنى واحد وتفرّق جهتى الادخال)) (٤) كذلك الخطيب تأثّر به لكنّه اعتبر هذا النوع من المحسّنات المعنويّة ، فقد قال فى تعريفه له :- ((هو أن يدخل شيئان فى معنى واحد ، ويفرق بين جهتى الادخال)) . (٥)

ومن شواهد الطيبى على الجمع والتفريق قول الفخر عيسى الاربلى :-

تشابه دمعانا غداة فراقنـــا مشابهة فى قصّة دون قصّـــة
فوجنتها تكسو المدامع حمـــرة ودمعى يكسو حمـــرة اللون وجنتـــى (٦)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٩٦
(٢) انظر الحدائق ص ١٣٩٦
(٣) الحدائق ص ١٣٩٨
(٤) المفتاح ص ١٨٠
(٥) الايضاح ص ٣٥٩
(٦) انظر الحدائق ص ١٣٩٩

وقد بيّن الشارح موضع الاستشهاد فى البيتين فذكر أنّ الشاعر أدخل الدمعين فى التشابه ، ثمّ فرّق بين جهتى الادخال على وجه الاجمال فى قوله ((فى قصة دون قصة)) وفصّله بالبيت الثانى بأنّ حمرة دمعها وهو أبيض ناشئ من انعكاس حمرة وجنتها ، وأنّ خضرة وجهه من انصباغه من الدم الجارى من العين ، وقد أخّر المفعول الأول عن الثانى فى قوله :- ((يكسو حمرة اللون وجنتى)) مراعاة للقافية واعجاب الشارح بمعنى البيتين دفعه إلى القول :- ((وقد أبدع فيه كلّ الابداع)) [1] ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيتين ، ولعلّه قد أحسن ببيان موضع الاستشهاد بالبيتين ، واعجابه بمعنى البيتين واشادته بهما يشهد برفعة ذوقه ورهافة حسه .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٣٩٩

الفصل الثالث : التحسين الراجع إلى اللفظ :-

اعتبر الطيبى المحسنات اللفظية من فن الفصاحة فقد ذكر من أوصاف التراكيب الفصيحة مايكون مصبوباً فى قالب الصنعة البديعية مما يختص بحسن اللفظ وهى الصفة الأولى من الأوصاف الخمسة للتراكيب التى ذكرها الطيبى ، هذا وقد ذكر الطيبى من المحسنات اللفظية سبعة أنواع وهى الأول الجناس ، الثانى العكس والتبديل ، الثالث ردّ العجز على الصدر ، الرابع التصريع ، الخامس الترصيع ، السادس السجع ، السابع لزوم ما لا يلزم .(١)

هذا وقد ذكر السكاكى بعض تلك الأنواع كالتجنيس وردّ العجز على الصدر، والترصيع ، واعتبرها من وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى اللفظ .(٢)

أمّا الخطيب فاعتبر تلك الأنواع وغيرها كالقلب والتشريع مثلاً من المحسنات اللفظية، والتى هى من علم البديع (٣) ، وقد اتبعت الخطيب فيما ذهب إليه فألحقت تلك الأنواع بعلم البديع والذى التحسين راجع فيه إلى اللفظ لأنّ هذا آخر ماتوقفت عنده الدراسة البلاغية من جهة تفريع أبوابه وفصوله ، وارتضاه جمهور البلاغيين فيما بعد ، وأيضاً إذا نظر على أنّ هذه الأنواع تتعلّق باللفظ والفصاحة مختصّة باللفظ بينما البلاغة مختصّة بالمعنى كما سار عليه الطيبى وتلميذه يمكن أن يقال إنّ الجميع لا ينكر أنّها محسّنات يقصد بها تزيين الألفاظ، وتحليتها فى المقام الأول أمّا المعنى فيأتى تالياً لها لأنّه غير مقصود بالتحسين وقد يستغنى عن تلك المحسنات إذا أدّت إلى تكلف ، أو جاءت على حساب المعنى ، فإذا كان الأمر كذلك فالحاقها بعلم البديع بالنظر إلى جهة التحسين فيها أظهر وأقوى كما يبدو .

الجنـــــاس

عرف الطيبى الجناس بقوله :- ((هو تشابه الكلمتين فى اللفظ))(٤) ، وهو نصّ تعريف السكاكى الذى اعتبر الجناس من وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى اللفظ ، وقال فى تعريفه :- ((التجنيس وهو تشابه الكلمتين فى اللفظ))(٥) ، هذا وقد جعل الطيبى الجناس عدّة أقسام منها :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢٥ ، ١٦٣٢ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٤ ، ١٦٥٩

(٢) انظر المفتاح ص ١٨١ ، ١٨٢

(٣) انظر الايضاح ص ٣٨٢ ، ٤٠١

(٤) الحدائق ص ١٥٨٢

(٥) المفتاح ص ١٨١

أ - التجنيس التام :-

ذكر الطيبى أنّ التجنيس التام هو اتفاق اللفظتين فى الحروف والهيئة ، والترتيب ، وذكر أنّه يكون بين اسمين وبين اسم وفعل [1] ، واستشهد لما كان بين اسمين ضمن ما استشهد به قول الشاعر

وكم من سيوف أغمدت فى جفونها إذا شهرت أسيافها من جفونها [2]

أمّا الشارح فبيّن بعض المفردات فذكر أنّ أغمدت أى جعلت فى غمدها وقوله :- ((إذا شهرت أسيافها أى سلّت المحبوبة أسياف عينها وهى اللحظات المرسلة إلى المحب شزراً مع الغنج والدلال ، وجزاء الشرط فى قوله ((إذا شهرت .....)) مادلّ عليه الكلام السابق فى قوله ((وكم من سيوف أغمدت فى جفونها)) .

ووجه الاستشهاد قوله جفونها وجفونها فإنّ الجفن الأول حفن السيف ، والجفن الثانى جفن العين ، ومعنى البيت كما ذكره الشارح يقول الشاعر : إنّ هذه المحبوبة بنظراتها التى فيها الكثير من السحر والدلال قتلت بها أقوى الرجال ، وظبت بها أشجع الشجعان فعيونها أشدّ مضاء ، وأقوى أثراً فى قتل محبيها من السيوف البواتر . [3]

هذا ملخص ماذكره الشارح حول البيت المستشهد به ، وقد اتضح جهده من خلال ماذكره .

ومما يجدر ملاحظته أنّ الخطيب ذكر أنّ الجناس التام إذا كان بين اسمين سمّى متماثلا ، وإذا كان بين اسم وفعل سمّى مستوفى [4] ، ولم يذكر الطيبى والشارح هاتين التسميتين .

ب - الجناس الناقص :-

اعتبر الطيبى الجناس الناقص اختلاف اللفظتين فى الهيئة دون الصورة [5] ، أى الاختلاف يكون بين اللفظتين فى حركات الحروف ، وهو فى هذا يسير مع السكاكى [6] ، أمّا الخطيب [7] فاعتبر الجناس الناقص اختلاف اللفظتين فى عدد الحروف .

هذا ومن شواهد الطيبى على الجناس الناقص قول الشاعر :-

قعدت تريد الرزق يأتيك وادعاً ولا الطرف مكدود ولا الطرف ساهر

فهل يقطع السيف الطلا وهو مغمد وهل يصرع الليث الطلا وهو خادر [8]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٨٢
(٢) انظر الحدائق ص ١٥٨٤
(٣) انظر الحدائق ص ١٥٨٤ ، ١٥٨٥
(٤) انظر الايضاح ص ٣٨٢ ، ٣٨٣
(٥) انظر الحدائق ص ١٥٨٥
(٦) انظر المفتاح ص ١٨١
(٧) انظر الايضاح ص ٣٨٥
(٨) انظر الحدائق ص ١٥٨٥

أما الشارح فبيّن بعض المفردات التى اشتمل عليها الشاهد فذكر أنّ وادعاً أى فى راحة مبتعداً عن الكلفة ، والمشقّة والطرف بالكسر الكريم من الخيل ، وبالفتح العين والطلا بالضم الأعناق ، واحدتها طلية وبالفتح الولد من ذوات الظلف ، وجمعه أطلاء ، وخادر أى داخل الخدر وهى الستر والمقصود به العرين ، كما ذكر الشارح اعراب بعض التراكيب فى البيتين فذكر أنّ قوله ((تريد)) حال من فاعل قعدت ويأتيك حال من الرزق ، ووادعاً حال من مفعول يأتيك وأيضاً جملة قوله ((ولا الطرف مكدود حال من الضمير فى [وادعا] ويجوز أن يكون وادعاً حال من يأتيك وهو الرزق فهذه الأحوال كلّها متداخلة ،وذكر أنّ المناسب أن يجاء بالفاء فى أول البيت الثانى فيقول مثلاً فهل يقطع إلى آخره ليكون تذييلاً على سبيل التمثيل .

ومعنى البيتين يقول الشاعر على جهة الخطاب العام منكراً على من يخلد إلى الراحة ، ويطلب رغد العيش دون أن يجدّ ويجتهد بالتعب والسهر ليصل إلى مايريد ومثّل لهذا بالسيف فإنّه لا يقطع الرقاب إذا بقى فى غمده ولم يخرج ، ويسلّ ،والليث لا يصرع فريسته ليشبع جوعته إذا بقى فى عرينه ، ولم يغادره بل لابدّ من الجدّ والتعب ليصل الانسان إلى مايريد وفى معنى بيتى الشاهد قول الشاعر :-

بقدر الكدّ تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليالى
تنام الليل ثمّ تروم عزاً يغوص البحر من طلب اللآلى (١)

هذا ملخص ما أورده الشارح حول بيتى الشاهد ، فهو وان لم ينصّ على موضع الاستشهاد فى البيتين لكنّه أشار إليه وهو بين الطرف والطرف ، وبين الطلا والطلا ، فالاختلاف بين كلّ من الكلمتين فى الحركة لكن الذى تبيّن من خلال ماقاله الشارح أنّه بذل جهداً متميزاً كعادته فى شرح الشواهد فبيّن بعض المفردات وذكر اعراب بعض التراكيب كما وضح المعنى العام للبيتين ،وذكر بيتين فى معنى بيتى الشاهد ، ولعلّ مثل هذه الشروح والتوضيحات على الشواهد جهود تحسب له رحمه الله تعالى .

حـ - التجنيس الزائد :-

هو أن يزاد حرف فى الأول كقوله تعالى ((والتفّت الساق بالساق إلى ربّك يومئذ المساق)) (٢) ، أو يزاد فى الثانى كقولك وجدى جهدى أو يزاد فى الثالث ويسمّى مذيّلاً كقول أبى تمام :-

يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصم تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضب (٣)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٨٥ ، ١٥٨٧ .
(٢) الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة القيامة .
(٣) انظر الحدائق ص ١٥٩٣

فالطيبى اعتبر التجنيس المذيل ماكانت الزيادة فيه فى الحرف الثالث ، أمّا السكّاكى فاعتبر التجنيس المذيّل لما كانت الزيادة فيه بحرف واحد على وجه الاطلاق ، سواء كانت تلك الزيادة فى الأول أو فى الوسط أو فى الثالث ، فقد قال :- ((التجنيس المذيل وهو أن يختلفا بزيادة حرف كقولك مالى كما لى وجدّى جهدى وكأس كاسب)) (١)

أمّا الخطيب فاعتبر التجنيس المذيّل ماكانت الزيادة فى إحدى الكلمتين بأكثر من حرف واحد ومثّل له بقول الخنساء :-

إنّ البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح (٢)

وعند الخطيب أنّ الاختلاف بين اللفظتين فى أعداد الحروف فقط يسمى ناقصاً . (٣)

أمّا الشارح فبيّن معنى بيت أبى تمام الذى قال أعداؤنا يرموننا بالسهام من مدى بعيد فإنّ عرض اليد يشير إلى مدّ مستغرق فى القوس، وهو كناية عن جبنهم ، ونحن نهجم عليهم ونشدّ وطأتنا عليهم بسيوف قاطعات كما وقع على التتار بيد جنود الله أهل الشام [ومصر بقيادة سيف الدين قطز فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ] وموضع الشاهد بين قواض وقواضب وذكر المرزوقى أنّ رواية ((..... من أيد عراض .....)) أحبّ إليه من رواية ((طوال)) أمّا رواية ((من أيد عواص)) كما هو فى نسخ الديوان فلا تستقيم به رواية ولا دراية (٤)

هذا ويتلاقى الطيبى فى روايته للبيت مع الخطيب (٥) الذى ذكر البيت شاهداً على الجناس الناقص الذى زيد فيه حرف فى آخر إحدى اللفظتين اللتين وقع فيهما الجناس لكنّه لم يعلّق على البيت بشئ ، وقد تبع السعد الخطيب حول التسمية بالجناس الناقص ، واعتبار البيت شاهداً من شواهده لكنّه لم يشر إلى رواية البيت كما فعل الشارح نقلاً عن المرزوقى بل اعتمد رواية ((عواص)) التى ردّها الشارح تبعاً للمرزوقى ، ووجّه السعد معنى البيت بمقتضى هذه الرواية فقال :- ((..... وعواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف وعواصم من عصمه حفظه ، وحماه ، وقواض جمع قاضية من قضى عليه حكم ، وقواضب جمع قاضب من قضبه قطعه ، أى يمدون للضرب يوم الحرب أبداً ضاربات للأعداء حاميات للأولياء صائلات على الأقران بسيوف حاكمة بالقتل قاطعة)) (٦).

---

(١) المفتاح ص ١٨١
(٢) انظر الايضاح ص ٣٨٦
(٣) انظر الايضاح ص ٣٨٥
(٤) انظر الحدائق ص ١٥٩٣
(٥) انظر الايضاح ص ٣٨٥
(٦) المطول ص ٤٤٧ ، ٤٤٨

هذا وقد تبع ابن يعقوب السعد فى هذا التوجيه واعتبر الشاهد فى البيت بيّن قوله عـــواص وعواصم فهما متساويان ماعدا زيادة الميم فى الثانى ، وبيّن قوله قواض وقواضب فهما متسا ويـــان إلا فى زيادة الباء فى الثانى.(١)

فبناء على ماذكره الشارح أنّ رواية ((عواص)) لا يستقيم معها رواية ولا دراية ، وإنّما الروايـــة المعتمدة ، إمّا طوال أو عراض، والأحسن الثانى بناء عليه يكون الشاهد فى البيت بين قوله قـــواض وقوله قواضب ، أمّا بمقتضى ماذكره السعد ، ونصّ عليه ابن يعقوب بالاضافة إلى وجه الاستشهـــاد المذكور يكون بين عواص وعواصم .

التجنيس المركب :-

هو كما عرفه الطيبى أن يتمّ بتركيب كلمتين ، وهو إمّا أن لا يختلفا خطّاً كقول أبى الفتـــح البستى :-

إذا ملك لم يكن ذاهبـــه فدعه فدولته ذاهبـــه

أو أن يختلفا فيه كقول أبى العلاء فى الدرعيّات :-

مسى مير مجد غير منهدم الذرا مسامير درع غير طائشة العـــزم(٢)

هذا وقد اعتبر السكاكى(٣) التجنيس المركب من التجنيس التام ، فإذا لم يختلفا فى الخـــط يسمّى متشابهاً ، وإذا اختلفا فيه سمّى مغروقاً وتبع السكاكى فى هذا الخطيب .(٤)

أمّا الشارح فبيّن معنى البيت الأول فذكر أنّ الشاعر يقول إنّ السلطان يجب أن يكون كريـــم اليد صاحب هبة ، وعطاء ليستلّ سخيمة أعدائه من نفوسهم ، وليضمن معاضدة الأولياء له لتزدهـــر البلاد ، ويعمّ العباد ، وقد قيل إنّه لا ملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولا مـــال إلا بالعدل والسياسة ، أمّا إذا لم يكن السلطان كذلك فانتظر زوال سلطانه وزوال ملكه .(٥)

وفيما يتعلق ببيت أبى العلاء فشرح مفرداته الغريبة فذكر أنّ مسى معناه أخرج ، والمير جمـــع ميرة ، وهو فى الأصل الطعام الذى يجلبه الانسان لأهله ، والمعنى حصّلت الدرع معانى مجـــد سليم الجوانب مما يعيبه أى استخرجت مسامير الدرع التى هى ثابتة العزم ، مير المجد ، وفيمـــا

---

(١) انظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : ٤/٤٢٣ ، ٤٢٤
(٢) انظر الحدائق ص ١٥٩٨
(٣) انظر المفتاح ص ١٨١
(٤) انظر الايضاح ص ٣٨٤
(٥) انظر الحدائق ص ١٥٩٨

يتعلق باعراب بعض التراكيب فى البيت ذكر الشارح أنّ غير الأولى يجوز نصبها على أنها صفة مير ، ويجوز جرّها على أنّها صفة مجد ، أمّا غير الثانية فيجوز رفعها على أنّها صفة لمسامير ، ويجوز جرّها على أنّها صفة لدرع ، كما ذكر الشارح أنّ قوله طائشة العزم من الاسناد المجازى أى عنه طائش عزم صاحبها بمعنى أنّ صاحبها إذا لبس هذا الدرع عزم على ماصمّم عليه من المقاتلة ، وفيه تلميح إلى ماورد فى الحديث أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم إذا لبس لامته وجب عليه المقاتلة ويجوز اعتبارها أى طائشة العزم استعارة مكنية حيث جعل اثبات المسامير فى حلق الدرع ورسوخها فيه بمنزلة عزم العازم الذى لا يثنيه عن ذلك أمر .[1]

هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت أبى العلاء ، وقد برز جهده بكلّ وضوح كعادته فى شرح الشواهد فهو لم يكتف بشرح الغريب ، وبيان معنى الشاهد بل بيّن بعض الصور البلاغية التى تضمنها الشاهد ، وهذا جهد متميز للشارح رحمه الله تعالى .

ومما يجدر ذكره أنّ إيراد الطيبى لبيت أبى العلاء شاهداً على الجناس المركب الذى لم يخالف فى الخط يعدّ تجديداً فى الشواهد ، فإنّ هذا البيت لم يذكره السكاكى [2] والخطيب [3] والسعد [4] والبهاء السبكى [5] ، بل استشهدوا ببيتى أبى الفتح البستى :-

كلّكم قد أخذ الجـــــــا م ولا جام لنـــــــا

ماالذى ضرّ مدير الـــــــ جام لوجا ملنـــــــا

ولم يخرجوا فى استشهادهم عن هذين البيتين بخلاف الطيبى الذى ذكر بيت أبى العلاء فعدّ عمله هذا تجديدا فى الشواهد .

العكس والتبديل

اعتبر الطيبى العكس والتبديل من المحسّنات اللفظية وعرّفه بقوله :- ((هو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر)) [6] وجعله على وجوه وهى :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٩٨ ، ١٥٩٩

(٢) انظر المفتاح ص ١٨١

(٣) انظر الايضاح ص ٣٨٤

(٤) انظر المطول ص ٤٤٦

(٥) انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/٤١٨

(٦) الحدائق ص ١٦٢٠

أ - مايقع بين طرفي جملة واحدة نحو عادات السادات سادات العادات .

ب - مايقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى :- ((يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحي)) .(١)

حـ - مايقع بين جملتين ومتعلقيهما ومن شواهده قول المطوّعي :-

ألست ترى أطباق ورد وحولها ... من النرجس الغضّ الطرى قدود

فتلك خدود ماطيهنّ أعين ... وهذى عيون مالهن خدود

وقد راعى الائتلاف في البيت الأخير .(٢)

ويبدو أنّ الطيبي اعتمد نصّ تعريف الخطيب لهذا النوع من التحسين ، فقد قال :- هو أن يقدّم في الكلام جزء ثمّ يؤخر)) .(٣)

كما تأثّر به في الوجوه التي ذكرها وفي كثير من الشواهد التي أوردها إلّا أنّ الخطيب اعتبر هذا النوع من المحسّنات المعنوية(٤) ، أمّا الشارح فبيّن بعض اللفتات البلاغيّة التي تضمّنها بيتا المطوّعي فذكر أنّ بين قوله تلك وهذى طباق فإنّ تلك اشارة إلى أطباق الورد ، وهذى اشارة إلى النرجس والمقصود فيهما جنسهما لأنّ الورد الواحد ، والنرجس لا يكون له أطباق لهذا جمعها في قوله قدود يريد بها ساقيها ، كذلك فإنّ بين الخد والعين مراعاة النظير .

أمّا موضع الاستشهاد ففي البيت الثاني حيث قدّم الخدود على الأعين مرّة وأخّرها أخرى .(٥)

هذا ماذكره الشارح حول بيتي المطوعي ، ويبدو جهد الشارح فيه واضحاً من خلال مابيّنه من اللفتات البلاغيّة وشرح موضع الاستشهاد في البيتين .

ردّ العجز على الصدر

اعتبر الطيبي أنّ هذا النوع يكون في النثر والنظم ، فقد قال في تعريفه :- ((وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة

---

(١) من الآية ١٩ من سورة الروم .

(٢) انظر الحدائق ص ١٦٢٠ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣

(٣) الايضاح ص ٣٥١

(٤) انظر الايضاح ص ٣٥١ ، ٣٥٢

(٥) انظر الحدائق ص ١٦٢٣

والآخر فى آخرهـا ..... وفى الشعر أن يكون أحدهما فى عجز البيـــت والآخر فى صدر المصراع الأول ، أوفى حشوه ، أوفى عجزه ، أوفى صدر الثانى ....)) [1].

ويبدو أنّ الطيبى نقل نصّاً تعريف الخطيب الذى اعتبر ردّ العجز على الصدر من المحسّنـــات اللفظيّة وقال :- ((.....وهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسيـن ، أو الملحقين بهما فى أول الفقرة والآخر فى آخرها ..... وفى الشعر أن يكون أحدهما فى آخر البيت، والآخر فى صدر المصراع الأول أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثانى)) [2] كما تأثّر الطيبى بالخطيب [3] فى شواهده التى أوردها .

هذا فبينما اعتبر الخطيب وتبعاً له الطيبى، والشارح فى أنّ ردّ العجز على الصدر يكون فى النثر والشعر قصره السكاكى على وقوعه فى الشعر، واعتبره من وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى اللفـــظ فقد قال فى تعريفه :-

((وهو أن تكون إحدى الكلمتين المتكررتين، أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانـــس فى آخر البيت والأخرى قبلها فى أحد المواضع الخمسة من البيت ، وهى صدر المصراع الأول وحشوه ، وآخره، وصدر المصراع الثانى وحشوه ..... والأحسن فى هذا النوع أن لا يرجع الصدر والعجز إلى التكرار)) [4].

ويبدو أنّ اعتبار ردّ العجز على الصدر شاملاً للشعر والنثر أرجح وأولى من جعله خاصّـــاً بالشعر لورود أمثلة كثيرة من النثر ورد فيها هذا النوع من التحسين منها قوله تعالى ((وتخشـــى الناس والله أحقّ أن تخشاه)) [5] وقوله أيضاً ((إنّى لعملكم من القالين)) [6] ، ويقولون الحيلـــة ترك الحيلة وهى أمثلة ذكرها الخطيب [7] والطيبى [8] .

التصريـــــع

ذكر الطيبى أنّ التصريع فى البيت بمنزلة السجع فى النثر مأخوذ من مصراع البيت ، والذى يحسن

---

(١) الحدائق ص ١٦٢٥ ، ١٦٢٦

(٢) انظر الايضاح ص ٣٩٠

(٣) الايضاح ص ٣٩٠ - ٣٩٣

(٤) المفتاح ص ١٨١ ، ١٨٢

(٥) من الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٦) من الآية ١٦٨ من سورة الشعراء .

(٧) انظر الايضاح ص ٣٩٠

(٨) انظر الحدائق ص ١٦٢٥ ، ١٦٢٦

منه القليل دون الكثير لما فيه من أمارات الكلفة. (١)

وقد بيّن الشارح ماقاله أستاذه فذكر أنّ التصريع هو جعل القرينتين متوافقتين ووجه تسمية كلّ شطر من البيت مصراعاً أنّه شبّهت الكلمات المرتّبة فى البيت بالأخشاب وغيرها ، ثمّ استعير لتلك الكلمات اسم البيت ، ولكثرة استعماله صار حقيقة عرفيّة ولمراعاة التناسب أطلق على كل شطر مصراع . (٢)

هذا وقد اعتبر الخطيب التصريع نوعاً من أنواع السجع ، وعرّفه بقوله :- ((ومنه مايسمّى التصريع وهو جعل العروض مقفّاة تقفية الضرب)) (٣) ، وقد تبع الخطيب فى هذا السعد (٤) على القول بجريان السجع فى النظم .

وقد اعتبر الطيبى مراتب التصريع ثمانية مراتب وهى :-

الأولى : الكامل وهو أن يكون المصراع مستقلاً فى فهم المعنى .

الثانية : أن يكون مستقلاً ولكن له رابطة بالثاني .

الثالثة : أن يكون غير مستقلّ وهو الناقص .

الرابعة : أن يكون معلّقاً على صفة فى أول الثانى .

الخامسة : أن يكون لكلّ منهما فى التقديم معنى وهو فى المرتبة الثانية فى الحسن .

السادسة : أن يكون لفظ العجز حقيقة ، وهو مذموم .

السابعة : أن يكون مجازاً .

الثامنة : أن يتخالف لفظا العجز لكن يتوافقان بالموازنة وهى أقبح الكل . (٥)

وقد استشهد الطيبى للمرتبة الثانية بقول أبى تمام :-

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم وأن ينظم الشمل المبدّد ناظم

وللمرتبة السابعة بقول أبى تمام أيضاً :-

فتى كان شرباً للعفاة ومرتعاً فأصبح للهنديّة البيض مرتعا (٦)

أمّا الشارح فبيّن بعض مفردات البيت الأول فذكر أنّ قوله ألم يأن معناه ألم يجئ وقت الرّى ، والظماء جمع ظمآن وهو ضدّ عطشان ، والتبديد التفريق كما ذكر الشارح أيضاً أنّ المبدد صفة

---

(١) (٢) انظر الحدائق ص ١٦٣٢

(٣) الايضاح ص ٣٩٧

(٤) انظر المطول ص ٤٥٦

(٥) انظر الحدائق ص ١٦٣٥ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤١

(٦) انظر الحدائق ص ١٦٣٧ ، ١٦٣٩

للشمل ميّزة ، والتنكير فى ناظم للشيوع أى أيّ سبب يؤدى إلى جمع الشمل ، ومعنى البيت يستبطئ الشاعر الوصف ويصف شدّة شوقه إلى الاجتماع فمثّل حاله بحال الطيور التى استبدّ بها العطش فتطوف حول مكان وجود ماء لتجد الفرصة لتخطف ولو شربة من الماء ، وموضع الشاهد أنّ الواو ربطت قوله :- ((وأن ينظم الشمل المبدد ناظم)) بالشطر الأول وهو قوله ((ألم بأن أن تروى الظماء الحوائم)) ربطاً لفظياً ولكن فى الحقيقة كلّ جملة قائمة برأسها ومستقلّة بذاتها ، وهذا معنى قول الطيبى فى المرتبة الثانية أن يكون مستقلاً ولكن له رابطة بالثانى ، هذا مجمل ماذكره الشارح حول البيت الأول المستشهد به للمرتبة الثانية من مراتب التصريع .(١)

أمّا مايتعلّق بالبيت الثانى المستشهد به للمرتبة السابعة من مراتب التصريع فقد بيّن الشارح موضع الشاهد فيه فذكر أنّ الشاعر كرّر مرتعاً فى البيت على سبيل المجاز فإنّ الأول عبارة عن السخاء والجود للسائلين ، والثانى عن كونه محلاً للسيوف البواتر تقطعه إرباً إربا ، وهذا أحسن من قول عبيد بن الأبرص :-

فكلّ ذى غيبة يئوب وغائب الموت لا يئوب

الذى أورده الطيبى شاهداً على المرتبة السادسة وهو كون لفظ العجز حقيقة ، واعتبره مذموماً فإنّ يئوب فى نهاية الشطر الأول ويئوب فى نهاية الشطر الثانى ليس بينهما اختلاف فى المعنى بخلاف مرتع ومرتع كما سبق بيانه ، فإنّ المعنى مختلف بينهما ، ومعنى بيت أبى تمام يقول كان الممدوح محمد بن حميد الطائى فى حياته مورداً للعفاة ، وملجأ ، وملاذاً للملهوفين ، وبعد الممات صار نصيباً للوحوش والطيور .(٢)

هذا مجمل ماذكره الشارح حول بيت أبى تمام ، يتبين لنا من خلال ماسبق من كلام الشارح فى بيتى أبى تمام المستشهد بهما حرصه الشديد ، وعنايته الفائقة ببيان موضع الشاهد ، وتوضيح المعنى العام للشاهد ، ولا شكّ أنّ هذا كما يبدو جهد يحسب للشارح ، ويميّزه عن غيره .

الترصيع

اعتبر الطيبى الترصيع محسّناً مستقلاً من المحسّنات اللفظيّة ، وقد عرّفه ومثّل له فقال :-((وهو أن تتفق ألفاظ القرينتين على الوزن مأخوذ من ترصيع العقد ، وذلك بأن يكون فى إحدى جانبى العقد من الجواهر مثلما فى الجانب الآخر ، قال الشاعر :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٣٧

(٢) انظر الحدائق ص ١٦٣٩ ، ١٦٤١

(٣) الحدائق ص ١٦٤٢

إذا دنت المنازل زاد شوقـــــى ولا سيما إذا بدت الخيـــــام

فلمح العين دون الحى شهـــــر ورجع الطرف دون السير عـــــام)) .(١)

وقد بيّن الشارح معنى البيتين فذكر أنّ الشاعر يقول إنّ شوقى قد زاد لقربى من ديار المحبوبة ، فكلّما قربت منها زاد شوقى إليها فإنّ طول العهد عن الديار وبعدها من أسباب نسيانها ، وهجرها ، لكن قربى منها أزال طول العهد ، والبعد قطع قلبى وأصيب بالقلق والاضطراب (٢) ، كما ذكر الشارح إعراب بعض التراكيب ، فذكر أنّ الفاء فى قوله فلمح جواب شرط محذوف وهـــو مبتدأ ،وشهر مبتدأ ثان ، ودون خبره ، ويجوز أن يكون شهر فاعل الظرف لاعتماده على المبتـــدأ والتقدير إذا كان الأمر كذلك فلمح العين كشهر لبعده عن الحى ، ورجع الطرف كعام لقربه منـــه لأنّ السير إنّما ينقطع إذا قرب ، وموضع الاستشهاد فى البيت الثانى ، فقد جاءت ألفاظ كل مـــن المصراعين على وزن واحد .(٣)

هذا ما ذكره الشارح حول بيتى الشاهد ، ولعلّه قد أجاد وأحسن ببيان المعنى العام للبيتين ، واعراب بعض التراكيب فيهما ، وتوضيح موضع الشاهد فيهما ، ومثل هذا الجهد جديـــــر بالعناية والتقدير وقد أبرزت جهد الشارح بوضوح كما يبدو لى ، هذا وقد اعتبر السكاكى(٤) الترصيع من وجوه تحسين الكلام التى ترجع إلى اللفظ ، وقد عرّفه ، ومثّل له فقال :- ((ومن جهـــات الحسن الترصيع ، وهو أن تكون الألفاظ مستوية ، والأوزان متفقة الأعجاز أو متقاربتها كقوله عزّ اسمه ((إن الينا إيابهم ثمّ إنّ علينا حسابهم)) .(٥)

أمّا الخطيب فاعتبر الترصيع أحد أضرب السجع الذى هو من المحسنات اللفظيّة ، والترصيع عنده هو أن تكون مافى إحدى القرينتين من الألفاظ ، أو أكثر مافيها مثل مايقابله من الأخرى فـــى الوزن ،والتقفية ومن أمثلته قول الحريرى :- فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقـرع الأسمـــاع بزواجر وعظه .(٦)

من خلال ماسبق يتبيّن لنا أنّ مفهوم الترصيع يتفق بين السكاكى والخطيب والطيبى .

---

(١) الحدائق ص ١٦٤٢

(٢) انظر الحدائق ص ١٦٤٢

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٤٢

(٤) المفتاح ص ١٨٢

(٥) الآيتان ٢٥ ، ٢٦ من سورة الغاشية .

(٦) انظر الايضاح ص ٣٩٣

السجـــــــــــع

عرّف الطيبى السجع بقوله :- ((هو تواطوء الفاصلتين على الحرف الأخير أو الوزن)) [1] ، وذكر أنّه لا يقال فى التنزيل أسجاع وإنّما هى فواصل ، وقسّم السجع إلى ثلاثة أقسام :-

الأول المطرف وهو التوافق بين الفاصلتين فى الروى كقوله تعالى ((مالكم لا ترجون لله وقـــارا وقد خلقكم أطوارا)) . [2]

الثانى المتوازى وهو التوافق بين الفاصلتين فى الروى والوزن كقوله تعالى ((فيها سرر مرفوعـــة وأكواب موضوعة)) . [3]

الثالث المتوازن وهو التوافق بين الفاصلتين فى الوزن دون الروى [4] ، كقوله تعالى ((ونمـــارق مصفوفة وزرابى مبثوثة)) . [5]

كما ذكر الطيبى أنّ من شرائط حسن السجع أن تكون كلّ واحدة من الفقرتين مؤلفة من ألفـــاظ قليلة ، وهذا أشرف السجع ، ومن أمثلته الحديث الذى أخرجه الامامان الترمذى وأحمـــد رحمهما الله تعالى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :- ((قال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم :- ((استحيوا من الله حقّ الحياء ، قلنا : إنّا نستحيى من الله يارسول اللـــه والحمد لله ، قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعـــى والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلـــى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخـــرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء)) [6] ، هذا نصّ ما أورده الشـــارح بينما اكتفى الطيبى فى تمثيله بالحديث بجزء منه ، هذا وقد بيّن الشارح الحديث فى أسلوب سيّـــز ، أبرز بعض الخصائص والأساليب البلاغيّة التى تميّز بها الحديث الذى يعدّ من الشواهـــد البارزة على بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال الشارح :-

((اعلم أنّ هذا الحديث من جوامع الكلم جعل صلى الله عليه وسلم الرأس وعاء وظرفاً لكـــلّ ماينبغى من رذائل الأخلاق أى كفّ عنك لسانك ، فلا تنطق به إلّا خيرا ، ولعمرى إنه شطر الانسان قال :-

---

(١) الحدائق ص ١٦٤٤

(٢) الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة نوح

(٣) الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة الغاشية

(٤) انظر الحدائق ص ١٦٤٤ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧

(٥) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الغاشية .

(٦) الحدائق ص ١٦٤٩

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلّا صورة اللحم والدم

ولهذا ورد من صمت نجا ، وإنّما لم يخص اللسان بالذكر ليشمل مايتعلّق بالفم من أكل الحرام ، والشبهات وسدّ سمعك عن الاصغاء إلى مالا يعنيك من الأباطيل ، واللهوات ، والشواغل ، واغضض عينيك عن المحرّمات ، والمشتهيات ، ولا تمدّنّهما إلى ماتمتع به الكفار من زهرة الحياة الدنيا ، فكيف لا وهو رائد القلب الذى هو سلطان الجسد ومضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد كله قال :-

وكنت إذا ما أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كلّه أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وههنا نكتة وهى عطفها وعى على الرأس فحفظ الرأس مجملاً عبارة عن التنزّه عن الشرك ، فلا يضع رأسه لغير الله ساجداً ، وعن الاستكبار فلا يرفعه تكبّراً على عباد الله ، وجعل البطن قطباً تدور على السرة الأعضاء القلب ، والفرج ، واليدان ، والرجلان ولهذا ورد من وكل لى مابين فكيه ورجليه وكلت له الجنة ، وفى عطف ماحوى على البطن اشارة إلى حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح ، وفذلكة ذلك كلّه قوله وتذكر الموت والبلى كقوله صلى الله عليه وسلم أكثر وأذكر هادم اللذّات ، أى الموت لأنّ من أكثر ذكرهادم اللذات هان مافاته من اللذات العاجلة وأهمه مايجب عليه من طلب الآجلة ، وهذا معنى قوله :- ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا)) فيكون كالتذييل للكلام السابق ، وذلك أنّ من أحسن الأدب بين يدى مولاه ويتحرى رضاه ، أحبّ قربه وكره بعده ، ومن أساء يكره قربه ويحبّ بعده ، والبعد من الله تعالى هو الركون إلى الدنيا وزخارفها والقرب إلى الله تعالى ، هو طلب الآخرة بالاجتهاد فى طاعته ، والى هذا المعنى أوما صلوات الله عليه بقوله ((من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، ولقاؤه الموت)) الحديث ثمّ ذق أيّها المتأمل فى الفقرة الأخيرة [يقصدومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا] وطولها مع الفقرات الثلاث المتقاربة فى القصر تعرف حسن النظم))[1].

يتبيّن لنا من خلال ماقاله الشارح فى شرح الحديث استشهاده ببعض الأحاديث النبويّة والأبيات الشعرية التى تتلاقى فى معناها مع معنى الحديث المستشهد به ، وقد ترك للقارئ المتأمّل تذوّق حسن النظم ، وذلك من خلال رعاية حسن الفواصل فى الحديث ، ذكر الطيبى أنّ الأشعار قد تجئ مسجوعة واستشهد بقول الخنساء :-

---

(١) الحدائق ص ١٦٤٩ ، ١٦٥١

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهـــ ـــدىّ الطريقة نفّاع ضـــــرّار
جوّاب قاصية جزّار ناصية عقّـــــ ـــاد ألوية للخيل جـــــرّار [1]

أمّا الشارح فذكر أنّ قولها حامى الحقيقة أى يحمى مايجب عليه حمايته، وقولها مهدىّ الطريقة على الاسناد المجازى ، وأصله هو مهدى فى الطريقة فأسند إلى الظرف على الاتساع ، وقولهـــا عقّاد ألوية مأخوذ من عقد الولاية للأمراء ، ومعنى البيتين تصف الخنساء أخاها صخراً بأنّه ذو حفيظة حميد الأخلاق ، حسن السيرة ، والطريقة بين الناس ، نفّاع للأولياء وضرار للأعداء كثير الدوران فى المفاوز النائية ، والبلدان الشاسعة لاكتساب المآثر ، والمعالى ، وأنّه صاحب زعامة وسلطان يعقد الألوية للأمراء ، والبعوث وجرّار للجنود . [2]

هذا ماذكره الشارح ، ولعلّه أحسن فى شرح المفردات وبيان المعنى العام للبيتين ، وقد تبيّن لى أنّ الخطيب [3] يرى أنّ جعل السجع فى الشعر يعد تكلّفاً ظاهراً ، ويبدو لى أنّه يكون حسناً إذا لم يكن على حساب المعنى بل جاء على السليقة والطبيعة كما فى بيتى الخنساء مثلاً فإنّ كلّ فقرة اشتملت على معنى جديد بالاضافة إلى الجرس الموسيقى من خلال الفقرات القصيرة ، فهذه المقاطع القصيرة تتناغم ، وتتناسب مع معنى البيتين ، فمثل هذا بعيد عن التكلف ، والتصنع اللذين لا تستسيغهما النفس ويأباهما الذوق السليم ، والطبع المستقيم .

لزوم مالا يلـــــزم

ذكر الطيبى أنّه يسمّى الاعنات وعرّفه بقوله :- ((وهو أن يلتزم فى الاعجاز قبل الروى ماليس بلازم وهو موافقة الحروف فيه)) [4] ، ومن شواهده قول أبى العلاء :-

لا تطلبنّ بآلة لك حاجـــــة قلم البليغ بغير جدّ يغـــــزَلُ
سكن السماكان السماء كلاهمـــا هذا له رمح وهذا أعـــــزَلُ [5]

وقد بيّن الشارح وجه تسمية هذا النوع بالاعنات بأنّ الشاعر إذا ألزم نفسه بأمر ليس بلازم أدخل على نفسه الضرر ، وأوقعها فى المشقّة ، أمّا ما يتعلّق ببيتى أبى العلاء فذكر الشارح أنّ التنكيـــر

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٥٢
(٢) انظر الحدائق ص ١٦٥٢ ، ١٦٥٤
(٣) انظر الايضاح ص ٣٩٥ ، ٣٩٦
(٤) الحدائق ص ١٦٥٩
(٥) انظر الحدائق ص ١٦٥٩

فى حالة للنوع أى حالة رفيعة ، وقوله قلم البليغ إلى آخره جاء على سبيل الاستئناف كأنّ سائلاً سأل كيف ذلك ؟ ، فأجاب الشاعر بقوله قلم البليغ شبّه الشاعر قلم البليغ الفصيح الذى لم يرزق الحظ وليس له نصيب من البخت بمغزل النسوان فى أنّه لا طائل تحته ولا اعتداد به ، وقد ذيّل الشارح المعنى بقوله سكن السماكان أحدهما يسمّى السماك الرامح والآخر يسمّى السماك الرامح ، ومعنى البيتين يقول الشاعر لو كانت معالى الأمور تنال بالجد والتعب دون الحظ والبخت لكان السماك الأعزل منحطّاً عن السّماك الرامح .(١)

هذا ماذكره الشارح حول بيتى المعرّى وجهده فيه واضح .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٥٩

الباب السادس : السرقات الشعرية وملحقاتها

اعتبر الطيبي من المحسنات التي ترجع إلى اللفظ والمعنى التضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل ، والتلميح ، تحدّث عنها في أواخر تلك المحسنات ، وأتبعها بفصل تكلّم فيه عن اتفاق الكلامين قصداً ، وغير قصد من خلال أقسامه الخمسة وهي : النسخ والسلخ والمسخ والاحتذاء ، والموازنة [1] ، وقد ربط الشارح بين هذا الفصل ، وتلك المحسنات الخمسة فقال :-

((إنّما فصل بالفصل هذه الأنواع الخمسة لأنّها مناسبة للخمسة الأول من التضمين والاقتباس والعقد والحل والتلميح وهذه الخمسة مبنيّة أيضاً على كلام الغير)) . [2]

يتبيّن لنا من خلال هذا أنّ الارتباط وثيق بين تلك المحسنات وبين هذه المباحث وهي النسخ والمسخ .....إلى آخره ، أمّا الخطيب فإنّه تحدث عن السرقات الشعرية من النسخ والمسخ وغيرهما في الفصل الأول من خاتمة كتابيه التلخيص [3] والإيضاح [4] وألحق بهذا الفصل القول في الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل والتلميح ، لاتصال هذه المباحث بالفصل المذكور ، وقد آثرت اتباع الخطيب فألحقت الكلام في التضمين والاقتباس .... بحديث السرقات ، وذلك لكونها مبنيّة على كلام الغير ففيها أخذ من الغير ، فنظرت إلى هذا الوجه من الاعتبار وان اشتملت على التحسين الذي يعود إلى اللفظ ، والمعنى على ماسار عليه الطيبي لكن اعتبار ذلك الوجه أظهر كما يبدو لي .

النسخ

ذكر الطيبي أنّ النسخ هو اتفاق الكلامين لفظاً ومعنى بالقصد وجعله على ضربين أحدهما أن يتفقا في تمام الكلام ، ويسمّى المصالتة ، ومن أمثلته ما أنشده عبد الله بن الزبير عند معاوية رضي الله عنهما على أنّه له :-

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٧٣

(٢) الحدائق ص ١٤٧٣

(٣) انظر التلخيص ص ٤٠٨ - ٤٢٨ ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي

(٤) انظر الايضاح ص ٤٠١ - ٤١٦

ولم يغادر عبدالله بن الزبير المجلس حتى دخل معن بن أوس وأنشد كلمته التى أولها :-

لعمرك ما أدرى وانى لأوجـــــل على أينا تعدو المنيّة أول

ومن ضمنها البيتان اللذان أنشدهما عبدالله بن الزبير ، فأنكر عليه معاوية ذلك ، وقال : ماهذا يا أبا خبيب ؟ فردّ عليه عبدالله :- هو أخى من الرضاعة ، وأنا أخوه وأحق بشعره .[1]

أمّا الشارح فذكر أنّ المصالتة من صلت السيف إذا جردته ، ووجه تسمية الضرب الأول به أنّ المتكلم جرد كلام غيره عنه ونسبه إلى نفسه فأزال نسبة الكلام إلى صاحبه الحقيقى بنسبته إلى نفسه .[2]

وقد توقف الشارح عند البيتين اللذين أنشدهما عبدالله بن الزبير فشرح بعض مفرداتهما ، فذكر أنّ قوله من أن تضيمه أى تظلمه وشفرة السيف حدّه ، ومزحل أى زحول ، وهو البعد أو موضعه ، ومكانه فمعنى قوله : إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل ، أى إذا كان لابدّ منه كما ذكر الشارح اعراب بعض التراكيب فى البيت فذكر أنّ قوله إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل جواب الشرط محذوف يدلّ عليه، قوله وبركب يعنى إذا أنت ظلمت أخاك ، وألجأته إلى الدفع والمحاربة ليس له بدّ من محاربتك وركوب حدّ السيف ، فى المدافعة ، كما ذكر الشارح أنّ معاشرة الاخوان تكون على أربع مراتب :-

الأولى : أن ينصف من نفسه ، ويرجّح جانبه ، الثانية : أن يواسى فقط ، فهذان توجبان مرافقتهما ، ومعاونتهما ، الثالثة : إذا لم ينصف ، ولم يواس ، فهذا حقّه أن يقطع ويفارق ، وهو ما أراده الشاعر ، الرابعة : إذا ظلم ، وبغى فهذا حقه أن يحارب[3] ، هذا ماذكره الشارح ويظهر جهده فى شرح هذين البيتين ، بشرح المفردات ، واعراب بعض التراكيب ، والتعقيب الذى ذكره حول معاشرة الاخوان .

وقد تبين لى أنّ الخطيب[4] ذكر المثال السابق على النسخ لكنّه لم يشرح البيتين ، أمّا السعد فذكر المثال واكتفى ببيان معنى البيتين ، فقد قال :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٧٣

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٧٣

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٧٣ ، ١٤٧٥

(٤) انظر الايضاح ص ٤٠٣

((((إذا أنت لم تنصف أخاك)) يعنى إذا لم تعط صاحبك النصفة ، ولم توفه حقوقه متوخياً المعدلة ، ولم توجب له عليك مثل ماتوجبه لنفسك عليه - (وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل) - ، أى وجدته هاجراً لك مستبدلا بك ، وبمؤاخاتك ، إن كان به مسكة ، ولـه عقل ، ومعرفة ، ويركب حد السيف ، أراد بركوب حد السيف تحمل كل أمور تقطع تقطيع السيف ، وتؤثر تأثيره ، أو أراد الصبر على الحرب والموت - من أن تضيمه - أى بدلاً من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف أى عن ركوب حد السيف (مزحل) أى مبعد أى لا يبالى أن يركب من الأمور مايؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم ، أو يلحقه عار واهتضام متى لم يجد عن ركوبه مبعداً ومعدلاً)) . [1] ، فالسعد كما هو واضح اكتفى ببيان معنى البيتين بخلاف ماذكره الشارح فى كلامه السابق فانه عرض لجوانب أخرى فى الشاهد .

السلخ

ذكر الطيبى أنّ السلخ هو أن يؤتى بالمأخوذ مع التغيير فى معناه أو لفظه ، أمّا مايتعلّق بالمعنى فالمقبول منه هو مايكون الفرع أحسن من الأصل وهو على وجوه وهى :-

أ - أن يزاد فى الفرع معنى على الأصل [2] .

ب - أن يكون الفرع أبلغ من الأصل . [3]

حـ - أن يراعى فى الفرع من معنى البديع شئ . [4]

د - أن يكون الفرع أبين معنى وأجود سبكاً . [5]

هـ - أن ينقل المعنى المأخوذ من الأصل إلى غير محلّه . [6]

و - أن ينقل المعنى الذى فى الأصل إلى نقيضه . [7]

أمّا مايتعلق باللفظ فهو أن يعمد إلى كلّ لفظ فيوضع مكانه مايرادفه وهو مذموم لكن إذا غيّر بعض التغيير هان الخطب [8] ، وقد أورد الطيبى شواهد لكل هذه التفريعات ، فقد استشهد

---

(١) المطول ص ٤٦٣

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٧٧

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٧٩

(٤) انظر الحدائق ص ١٤٨٠

(٥) انظر الحدائق ص ١٤٨٨

(٦) انظر الحدائق ص ١٤٩٦

(٧) انظر الحدائق ص ١٤٩٩

(٨) انظر الحدائق ص ١٥٠١

للوجه الأول وهو أن يزاد فى الفرع معنى على الأصل بقول أبى الطيب :-

لو قلت للدنف المشوق فديته ... ما به لأغرته بفدائه

وقول ابن الخياط :-

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه ... فقد كاد ريّاه يطير بلبّه

أغار إذا أنست فى الحى انه ... حذاراً عليه أن يكون لحبّه

فقول ابن الخياط أرقّ من قول المتنبي ، وان كان المتنبى أربى فى المعنى [1] ، وقد بيّن الشارح وجه زيادة المعنى فى قول أبى الطيب ، فقال : ((إنّ أبا الطيب أغار على قول القائل للمحبّ فديته مهابة من الغرام فالغيرة اذن من التباس المحب بمحبّة المحبوب ، وابن الخياط صرّح بذكر المحبوب حيث قال حذرا عليه أن يكون لحبه)) [2] ، فلعلّ الشارح قد أحسن بهذا البيان لموضع الاستشهاد ، كما استشهد الطيبى للوجه الثانى وهو كون الفرع أبلغ من الأصل بقول أبى الطيب :-

رمانى الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتنى سهام ... تكسّرت النصال على النصال

وقول ابن نباتة :-

كذاك قسّيك يافراق فإنّه ... لم يبق فى قلبى لسهمك موقع

فإنّ المتنبى جعل فؤاده مظروفاً بينما ابن نباتة جعله ظرفا [3] ، وقد بيّن الشارح بعض المفردات لبيتى المتنبى ، فذكر أنّ الأرزاء جمع رزء ، وهو المصيبة الفؤاد كالقلب ، والغشا والغشاوة مايغطى به الشئ ، والنبال جمع نبل ، وهى السهام العربيّة . [4]

كما وضّح الشارح وجه تميز بيتى المتنبى على قول ابن نباتة فذكر أنّ المتنبى جعل فؤاده مظروفا فى قوله :- ((فؤادى فى غشاء من نبال)) بينما ابن نباتة جعل فؤاده ظرفاً فى قوله ((لم يبق فى قلبى لسهمك موقع)) فالغشاء فى بيت المتنبى بمنزلة القلب فى بيت ابن نباتة ليدلّ على أنّ من كثرة تتابع النصال على الفؤاد لم يبق فيه مكان لموقع نصل وقد أغفل ابن نباتة هذا المعنى فى بيته [5] ، ويبدو أنّ الشارح قد أحسن بيان وجه أبلغية بيتى أبى الطيب

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٧٧ ، ١٤٧٩

(٢) الحدائق ص ١٤٧٩

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ١٤٧٩

(٥) انظر الحدائق ص ١٤٧٩ ، ١٤٨٠

على بيت ابن نباتة وشرحه للمفردات الغريبة التى اشتمل عليها بيتا المتنبى ، ويمكن اعتبارها جهوداً تحسب للشارح رحمه الله تعالى .

كما استشهد الطيبى للوجه الثالث من الأخذ فى المعنى وهو أن يراعى فى الفرع شئ من فنون البديع ، استشهد له بقول المطوعى :-

ومرت فى جوين لنا ليال ... عددناهن من عيش الجنان

رضعنا فى حجور الأمن فيها ... بأفواه الرضا ثدى الأمانى

وقول بعضهم :-

وكانت بالعراق لنا ليال ... سرقناهن من ريب الزمان

جعلناهن تاريخ الليالى ... وعنوان المسرة والأمان

فإن قول المطوعى أصنع لاشتماله على ثلاث استعارات مع رعاية التناسب (١) .

أما الشارح فذكر فيما يتعلق ببيتى المطوعى أن جوين فى البيت الأول اسم موضع بخراسان ، أما مايتعلق بالبيتين الآخرين فبين بعض المفردات فذكر أن العراق فى الأصل شاطئ النهر أو البحر وسميت البلاد المعروفة به لكونها على شاطئ دجلة والفرات ، والعراقان الكوفة والبصرة ، الريب فى الأصل أن يتوهم بالشئ أمراً فينكشف عما تتوهمه ، وريب الزمان صروفه وقيل فيه ريب لما يتوهم فيه من المكر ، والعنوان اسم من عنونت الكتاب وطونته ، ومعنى البيتين يقول الشاعر إن حوادث الدهر وتقلبات الزمان يلزم منها المشقة ، والجهد ، والعنت ، فإذا جاء الأمر على خلاف هذا من العيش الرغيد ، وفى ظل الأمن الوارف الظلال مع هدوء النفس ، وصفائها من الكدورات فان هذا من غفلات الزمان ، وكأنه جاء على خلاف الأصل فيه فاستعار لهذا الحصول السرقة ، وقد جرت العادة أن يجعلوا مبدأ التاريخ وبداية المسرات بأعظم الحوادث التى وقعت فيه ، ومافيه غرابة من الخطب الجلل ، فيقول الشاعر اعتبرنا بداية التاريخ تلك الأيام الخوالى التى حصل لنا فيها ذلك السرور والحبور ، كما بين الشارح ماتميز به بيتا المطوعى من استعارات ، ومراعاة نظير ، والتى أشار إليها الطيبى فذكر الشارح أن أولى تلك الاستعارات فى بيتى المطوعى اثبات الحجر للأمن ، وثانيتها اثبات الفم للرضى ، وثالثتها اسناد الثدى للأمانى ، وقوله رضعنا ترشيح للاستعارة وفى كل من الاستعارتين كالترشيح للأخرى وهذا هو المقصود من رعاية مراعاة النظير . (٢)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٨٦

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٨٦

هذا ماذكره الشارح فى شرحه للبيتين السابقين وموازنته بينهما وبين بيتى المطوعى ، وقد برز جهده جليّاً ، بهذا الشرح والبيان .

كما استشهد الطيبى للوجه الرابع وهو كون الفرع أبين معنى ، وأجود سبكاً من الأصل استشهد بقول البحترى :-

وقد زادها افراط حسن جوارها ... خلائق أصغار من المجد خيب

وحسن دراري الكواكب أن ترى ... طوالع فى داج من الليل غيهب

وقول أبى تمام :-

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل ... حتى يجاورها الزمان بحالى (١)

أمّا الشارح فبيّن المفردات الغريبة التى اشتمل عليها بيت أبى تمام فذكر أنّ قوله لم تفرط لم تجاوز الحد الكآبة الحزن ، العاطل المرأة الخالية عن الحلى ، يقول الشاعر : إنّ المرأة الخالية من الحلى يزداد حزنها ، وغصّتها عند رؤيتها امرأة ذات حلى ومجاورتها إيّاها ، أمّا ما يتعلّق ببيتى البحترى ، فذكر بيتين قبلهما وهما :-

غرائب أخلاق هى الروض جاده ... مُليّ العزالى ذو رباب وهيدب

فكم عجبت من ناظر متأمّل ... وكم حيرت من سامع متعجّب

وقد بيّن الشارح بعض مفردات الأبيات ، فذكر أنّ مُليّ فى الأصل أُلت عليه التاءُ الحق عليه ، والعزالى جمع العزلاء فم المزادة الأسفل ، والمقصود السحاب الكثير المطر ، الرباب السحاب الأبيض ، والهيدب ماتهدّب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط والخلائق جمع الخليقة وهى الطبيعة ، وأصغار جمع صغر خال المجد السعة فى الكرم خيّب جمع خائب كركع جمع راكع الدراري جمع الدرّى ، وهو الكواكب إذا أضئ شبّه بالدرّ لبياضه واشراقه ثمّ نسب إليه ، ودجا الليل أى ألبس كلّ شئ ، والغيهب الظلمة الشديدة السواد لئلا يكون تكراراً لمعنى دجا الليل بل يفيد فائدة أخرى فكأنه قيل ظلمة مطبقة كما ذكر الشارح اعراب بعض التراكيب فى تلك الأبيات فذكر أنّ الضمير فى زارها وجوارها راجعان إلى غرائب أخلاق ، وافراط مفعول ثان لزاد ، واضافة جوارها اضافة المصدر إلى الفاعل ، ومفعوله خلائق ، وأصغار مضاف إليه لخلائق أقيم مقام الموصوف أى خلائق أقوام أصغار من المجد خيب عنه ، فمن المجد صلة أصغار ، وخيّب بدل

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٩٣

من أصفار ، وتعلقه محذوف ومعنى بيتي الشاهد يقول البحتري إنّ مجاورة تلك الأخلاق الغريبة لأخلاق قوم خلوا من المجد، وخابوا عنه تزيد تلك الأخلاق الغريبة حسناً على حسن ، وكما أنّ كمال مثل الكوكب الدرّي يزداد اشراقه وضياؤه إذا اشتدّ ظلام الليل ، ولشدّة ظلمته ألبس كل شيء [1] ، وقد بيّن الشارح وجه تميّز بيتي البحتري على بيت أبي تمام فقال :- ((وإنّما كان بيت البحتري أربى من بيت أبي تمام لعذوبة اللفظ ، وفصاحته ، وجودة السبك ، وسهولته ولأنّ أبا تمام ماذهب إلى بيان معنى الحسن ، والجمال وزيادتها بواسطة انضمام أمر إلى حصول الكآبة ، ومزيدها بحسب كونهن عاطلات أو محلّيات)) [2] ، هذا ماذكره الشارح في شرحه لقول أبي تمام والبحتري ، وموازنته بين بيت أبي تمام والبحتري، ويبدو أنّ جهد الشارح قد تجلّى ، وبرز في تلك الموازنة التي ذكرها والتي تبرز دقّة فهمه ورفعة ذوقه في تذوّق النص الجيّد في لفظه ومعناه ، ونظمه ، وهذا لا يتأتّى إلّا عن قدرة وتمكن في تحليل النصوص مع القراءة المستمرّة والمتنوّعة للنصوص التي من عيون الأدب ، ويبدو أنّ الشارح قد توافرت فيه مثل تلك الخصائص والميزات بدليل جهده السابق ، وأمثاله في الموازنة .

كما استشهد الطيبي للوجه الخامس ، وهو نقل المعنى المأخوذ إلى غير محلّه من وجوه السلخ في المعنى استشهد بقول بشار :-

وإذا أقلّ لي البخيل عذرته ... إنّ القليل من البخيل كثير

وقول المتنبي :-

وقنعت باللقيا وأول نظرة ... إنّ القليل من الحبيب كثير [3]

وقد بيّن الشارح وجه أخذ المتنبي معنى بيت بشار ، مع اختلاف المحل ، فذكر أنّ بشاراً محلّه في النوال والعطاء وعدّ القليل منه كثير وبيت المتنبي محلّه وصال المحبوب وعدّ القليل من ذلك كثيراً . [4]

هذا ماذكره الشارح في الموازنة بين معنيي البيتين ، ولعلّه أحسن ، كما استشهد الطيبي للوجه السادس ، وهو نقل المعنى إلى نقيضه من وجوه السلخ في المعنى بقول أبي الشيص :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٩٣ ، ١٤٩٥

(٢) الحدائق ص ١٤٩٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٩٦

(٤) انظر الحدائق ص ١٤٩٦

أجد الملامة فى هواك لذيـــــذة حبّاً لذكرك فليلمنى اللـــــوّم

نقله أبو الطيب ، وقال :-

أأحبه وأحبّ فيه ملامـــــــة إنّ الملامة فيه من أعدائـــــه (١)

أمّا الشارح فقد ذكر بيتاً قبل بيت أبى الشيص ، وهو :-

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقـــــــدم

وقد قيل لأبى الشيص أنت ابن من؟ ، قال : أنا ابن وقف الهوى بى حيث أنت ، وذكـــر الشارح أنّ لولا الأبيات المذكورة فى الحماسة والتى منها البيتان لأبى الشيص لم يذكر قـــط الملامة .

كما ذكر الشارح اللوم معنـــاه عذل الانسان بنسبته إلى مافيه لوم يقال لمثله فهو ملوم وألام استحق اللوم ، واللائمة الأمر الذى يلام عليه الانسان والفاء فى قوله ((فليلمنى)) فاء نتيجة فى جزاء شرطـــه محذوف ، والتقدير إذا كان كذلك فليلمنى اللوم أمّا مايتعلق ببيت أبى الطيب فذكر أنّ الهـــمزة فى قوله ((أأحبه)) للإنكار ، وإن فى قوله إنّ الملامة للتعليل ومعنى البيت يقول المتنبي لاأستطيع الجمع بين محبة المحبوب ، ومحبة الملامة فيه لأنّ الملامة عدوّة ، ومن أحبّ أحداً يبغض عـدوّه.(٣)

قال الشارح فى تقديمه بيت أبى الشيص على بيت المتنبى :-

((ولعمرى إنّ أبا الطيب لم يدرك شأو أبى الشيص لأنه آثر ذكر المحبوب على مايسـوءه من الملامة)) .(٤)

هذا ماذكره الشارح فى بيت أبى الشيص ، وبيت المتنبى والموازنة بينهما ، ويبدو أنّ الشـارح قد أحسن فيما قاله وأجاد ، وتعليقه الأخير يعدّ من أبرز جهوده فى النقد والموازنة رحمـــه الله تعالى .

المســـــــــخ

عرّف الطيبى المسخ بقوله :- ((هو قلب الصورة الحسنة إلى القبيحة وجميع الفروع التى تقصر عـن الأصول منه)) (٥) ، واستشهد له بقول أبى تمام :-

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٩٩
(٢) انظر الحدائق ص ١٤٩٩
(٣) انظر الحدائق ص ١٤٩٩ ، ١٥٠١
(٤) الحدائق ص ١٥٠١
(٥) الحدائق ص ١٥٠٤

فتى لا يرى أنّ الفريضة مقتـــل ولكن يرى أنّ العيوب مقاتـــل

فإنّ أبا الطيب وإن لم يشوّه المعنى لكنّه شوّه الصورة وذلك حين قال :-

يرى أن ما مابان منه لضـــارب بأقتل مما بان منه لعائـــب (١)

أمّا الشارح فبيّن معنى الفريضة فى بيت أبى تمام فذكر أنّ الفريضة واحدة فرائض وهـــى أوداج العنق وهى من المقـــاتل ، ومعنى البيت يقول أبو تمام إنّ الممدوح لا يرى فـــى مبارزه قرينة فى القوة ، والشجاعة منقصة ، وعيباً ، ومقتلاً ، وإنّما يرى العيب ، والمقتـــل أن يعاب ، ويوصم فى مكارمه ، وأخلاقـــه .

أمّا مايتعلق ببيت المتنبى فذكر الشارح فى اعرابها أنّ ما الأولى نافية ، والثانية موصولـــة بمعنى الذى ، وهى اسم ما وبأقتل هو الخبر ، واسم أن ضمير الشأن ، ومعنى البيت يقول إنّ الممدوح يرى العيب أشدّ من القتل ، ويقول الواحدى فى معنى البيت يرى أنّه ما الذى بان منـــك لضارب بأقتل من الذى بان منك لعائب كما بيّن الشارح وجه تشويه أبى الطيب للصـــورة فذكر أنّ المتنبى كرّر لفظة ما وهو من المعاظلة ، والعرب فى العادة يبتعدون عن التكريـــر لذا قلبوا الألف فى مهما هاء واللام فى أمليت ياء فراراً من الثقل ، وقد عاب الزمخشـــرى أبا الطيّب فى بيته المذكور لتكريره المستبشع فى قوله ((...أنّ مامابان ....)) وهذا مـــا ينبغى على الشاعر تجنّبه (٢) ، هذا ماذكره الشارح فى بيانه لمعنى البيتين ونقده لبيت أبى الطيب، ولعلّ جهد الشارح قد برز بوضوح فيما ذكره .

الاحتذاء

قال الطيبى فى تعريف الاحتذاء ((هو أن يقتفى المتكلم المتكلم الآخر فى أسلوب من أساليـــب فنى البلاغة والفصاحة، وهذا محمود بل مقصود)) . (٣)

أمّا الشارح فذكر أنّ أصل الاحتذاء لغة من حذوت النعل بالنعل حذواً ، إذا قدرت كل واحـــدة على صاحبتها والاحتذاء فى فنى البلاغة والفصاحة كالتقديم والتأخير، والايجاز ، والاطناب ، والقصر،

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٠٤

(٢) انظر الحدائق ص ١٥٠٤

(٣) الحدائق ص ١٥٠٦

وكالتشبيه والمجاز ، والاستعارة ، وكالالتفات ، والتجريد ، وكالجناس ، والترصيع ، هذا وقد ذكر الشارح قول أحد العلماء الذى ذكر أنّه كان فى الشعراء طبقة تتعمّل تنقيح شعرها ، وتتعمّل تحسين ألفاظه ، وتشذيبه ، وترصيف مبانيه ، ومعانيه ، وتهذيبه ، مثل زهير والأعشى والحطيئة ، وغيرهم ، فهؤلاء أثر الصنعة ظاهر فى أشعارهم ، ويدلّ على ذلك افتخارهم فى أشعارهم بالتجريد ، ووصفهم بمصاعدة القول ، ومكابدة السهر فيه ، والتخيّر منه ، والصبر على عرضه فلمّا أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميّزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف تكلّفوا الاحتذاء عليها ، وسمّوها البديع فمن محسن ومسئ ومن مفرط ومقتصد ، وهى تنقسم أقساما وتتشعب شعبا .(١)

هذا ماذكره الشارح فى تعليقه على الاحتذاء ولعله أحسن فى بيانه ، واختياره لقول أحد العلماء فى احتذاء الشعراء المحدثين للشعراء السابقين .

الموازنة

ذكر الطيبى أنّ الموازنة هى أن يتفق المتكلمان على معنى واحد من غير أخذ ، وذكر أنّه يسمى وقوع الحافر على الحافر .(٢)

وقد قال الخطيب ((أنّه لا ينبغى لأحدٍ بتّ الحكم على شاعر بالسرقة مالم يعلم الحال وإلّا فالذى ينبغى أن يقال قال فلان كذا ، وقد سبقه إليه فلان ، فقال كذا ، فيغتنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ، ونسبة النقص إلى الغير)) .(٣)

وقد جعل الطيبى الموازنة نوعين أحدهما مايجتمع فيه اللفظ والمعنى برمّته ، واستشهد له بقول ابن ميادة لنفسه :-

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته ... تهلّل واهتزّ اهتزاز المهند

فقيل له : هذا للحطيئة ، فقال :- الآن علمت أنّى شاعر ، وثانيهما ماينفرد فيه المعنى .(٤)

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٠٦

(٢) انظر الحدائق ص ١٥٠٧

(٣) الايضاح ص ٤١٥ ، ٤١٦

(٤) انظر الحدائق ص ١٥٠٧ ، ١٥٠٨

أمّا الشارح فبيّن بعض مفردات بيت ابن سيّادة فذكر أنّ مفيد معناه مستفيد وتلاف أى مهلك وقوله تهلّل أى تلألأ ، يقال تهلل وجه الرجل من الفرح ، واستهلّ وقوله واهتزّ تحرّك واضطرب كاضطراب السيف الهندى .

وقول ابن سيادة الآن علمت أنى شاعر جواب من الأسلوب الحكيم لأنّ سائله نسبه إلى الانتحال واتّهمه بالسرقة فأجابه بأنّه من فحول الشعراء ، وأعلى طبقاتهم حيث وقع حافره على حافره مواردة .[1]

هذا ماذكر الشارح فى تعليقه على بيت ابن سيادة ، وقد ذكر الخطيب[2] بيت ابن سيادة واعتبره من قبيل توارد الخواطر أى مجيئة على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة .

التضمين

ذكر الطيبى أنّ التضمين هو أن يضمّن الشعر من شعر الغير ، وشرطه أن يكون المضمّن به مشهوراً ، أو مشاراً إليه .[3]

ويتلاقى الطيبى فى هذا التعريف مع تعريف الخطيب الذى قال :-

((أن يضمّن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء)) .[4]

وذكر أنّ تضمين البيت فما زاد سمى استعانة وتضمين المصراع فما دونه سمى ايداعاً تارة ، وسمّى رفواً تارة .[5]

هذا وقد جعل الطيبى التضمين على ثلاثة أضرب :-

أحدها : أن يكون المضمّن به تمام البيت ، ثانيها : أن يكون المضمّن به مصراعاً ، ثالثها : أن يكون المضمّن به بعضاً من المصراع .[6]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٠٧

(٢) انظر الايضاح ص ٤١٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٢٠

(٤) الايضاح ص ٤١٩

(٥) انظر الايضاح ص ٤٢٣

(٦) انظر الحدائق ص ١٤٢٠ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٩

هذا وقد ذكر الشارح قول أحد العلماء الذى جعل التضمين على ضربين أحدهما أن ينظم الشاعر بيتاً، ويأتى ببيت لشاعر آخر ويلتحم مع البيت الأول ، ويقتضى المعنى أن يكون تالياً له لا ينفصل عنه ، ويسمّى البيت الثانى فى هذه الحالة مضمّناً ، والضرب الثانى أن يذكر الشاعر صدر بيت فى معنى ، ويقتضيه أن يورد فى العجز صدر بيت لشاعر آخر فيضمّنه إيّاه ، ويرى أنّ التضمين إذا وقع موقعه كان أحسن من كون البيتين لشاعر واحد كقول أبى سعيد بن خلف :-

وقائلة لو كان ودك صادقاً لبغـ ـداد لم ترحل فكان جوابيـا (١)

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ويرمى النوى بالمقترين المراميا

ومن شواهد الطيبى على التضمين الذى يكون مصراعاً قول الصاحب بهاء الدين الجوينى عندما أرسل إلى ابنه عطاملك كتاباً وفيه :-

عطاملك فديتك إنّ شوقى إليك يسومنى الأشجان سوما

مطايا طاقتى قد صرفه عجفى وأضحت ناقة البرحاء كوما

فلو أنى احتظيت بعيد قرب نذرت الدهر للرحمن صوما

وها أنا منشد شوقاً ووجداً عسى الأيام أن يرجعن قوما (٢)

أمّا الشارح فبيّن بعض مفردات الأبيات ، فذكر أنّ قوله يسومنى الأشجان أى يكلفنى ، ويذيقنى الأحزان من قولهم سامه خسفاً ، إذا أولاه ظلماً ، والبرحاء شدّة الحمى فى الأصل ، ومنه شدّة الكرب من ثقل الوحى ، وقوله ناقة البرحاء استعارة وقوله كوماً عظيمة السنام ، وهى ترشيح للاستعارة فى قوله ناقة البرحاء وقوله مطايا طاقتى استعارة أيضاً وقوله عجفى ترشيح لها ، وبين القرينتين طباق معنوى لأنّهما كنايتان عن شدّة ضعفه ونفاذ طاقته ، وعن قوّة كربه ، وغاية غرامه ، وموضع الشاهد الشطر الثانى من البيت الأخير فهو جزء من بيت للشاعر شهل بن شيبان من شعراء الحماسة ، والبيت هكذا :-

عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذى كانوا (٣)

هذا ما ذكره الشارح حول تلك الأبيات ويبدو جهده واضحاً فى شرح مفرداتها وتوضيح بعض الصور البيانيّة التى اشتملت عليها وبيان موضع الشاهد فيها .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٢٠

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٢٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٢٥

الاقتبـــاس

عرّف الطيبى الاقتباس بقوله :-((هو أن يوشّح الكلام بشئ من القرآن ، أو الحديث ، أو الفقه لا على أنّه منه)).[1]

وقد بين الشارح اللفتة البلاغية التى تميز بها الاقتباس نقلاً عن أحد العلماء فقال :-((قال أبو الحسين ومما يتبيّن بلوغ القرآن غاية الفصاحة أنّ الشاعر ربّما ضمّن لفظه من القرآن بيتاً من الشعر ، وحشى الخطيب بها فصلاً من الخطبة ، أو وشّح الكاتب بها موضعاً من الرسالة فتتميّز بحسنها عن غيرها ، وتبزّ ببهجتها على سواها ، ويصير الموضع الذى تضمنتها غرّة بين سائره ، وبحسنه الذى اكتسبه من تلك اللفظة ، وزبرجد الذى استعاره منها))[2]

ومن شواهد الطيبى على الاقتباس من القرآن قول الأحوص :-

إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحبّ ميعاد السلوّ المقابر

ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا ... سريرة ودّ يوم تبلى السرائر[3]

وقد بيّن الشارح بعض مفردات البيتين ، فذكر أنّ السلوة زوال الحبّ ، وقوله من الحبّ بيان لشافع ، على سبيل التجريد جرّد من الحبّ شافعاً ، وهو هو ، وقوله ميعاد السلوّ المقابر جملة مقول القول ، وقوله ستبقى إلى آخره ، استئناف لبيان الموجب للبيت الأول ، وقوله سريرة ودّ من اضافة الصفة إلى الموصوف ، أى ود مكن فى السريرة وقوله تبلى أى تظهر وتبلى السرائر عبارة عن يوم القيامة ، ومعنى البيتين يقول الشاعر إذا طلبت زوال حبّها عنى أجاب الحبّ كيف أزول عنك ؟ ، إنّما مقام الزوال الموت .[4]

هذا ماذكره الشارح فى تعليقه على البيتين من شرح بعض المفردات ، واعراب بعض التراكيب ، وبيان المعنى العام وهو من أبرز جهوده ضمن جهوده فى شرح الشواهد الشعرية .

العقـــــد

ذكر الطيبى أنّ العقد هو أن ينظم نثراً إمّا قرآناً أو حديثاً ، أو اثراً ، أو حكمة[5]

---

(١) (٢) الحدائق ص ١٤٣٠

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٣١

(٤) انظر الحدائق ص ١٤٣١

(٥) انظر الحدائق ص ١٤٣٨

ومن شواهد العقد فى القرآن التى ذكرها الطيبى قول الشاعر :-

سرقت بالنوم وصلاً من خيالكم فصار نومى مقطوعاً على السرق [1]

ذكر الشارح أنّه أحسن من هذا ، وفى معناه قول الشاعر :-

لمّا سرقت بناظرى من خدّه وردًا حمته صوارم الأحداق

قطع الكرى عن ناظرى متعمدا والقطع حد جناية السرّاق

وقد عقد معنى قوله تعالى :-((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)) [2] ، والسرقة فى الشرع أخذ فى خفاء مالىس له أخذه ، والقطع فى الشرع إنّما يترتّب من أخذ متموّل من محرز . [3]

هذا ماذكره الشارح ، ويبرز بوضوح ذوقه الرفيع فى اختياره للشواهد المتميّزة حيث قدّم البيتين اللذين ذكرهما شاهداً على العقد فى القرآن ، وفى نفس معنى بيت الشاهد الذى ذكره شيخه لكنّه قدّم البيتين على بيت الشاهد الذى ذكره شيخه ، كما بيّن الشارح موضع الاستشهاد فى الشاهدين ، ويظهر لى أنّ تقديم الشارح للبيتين واعتبارهما أحسن من بيت الشاهد الذى ذكره شيخه لما اشتملا على لطف فى المعنى فقد اشتمل البيتان على وصف خدّ وعين المحبوب بالاضافة إلى أنّ السرقة فى البيتين احتاجت إلى جهد ومشقّة للحراسة الشديدة عند الخدود التى تشبه الورد ، وذلك من قبل العيون التى تشبه السيوف الصارمة .

ومن الشواهد على العقد فى القرآن التى ذكرها الطيبى قول أبى العلاء فى الدرعيّات :-

وجند سليمان رأى السيف حولها فحاذر نمل دبّ فيه من الحطم

يرى السيف دون القرن من حلقاتها على دقّها مادون يأجوج من ردم [4]

وقد بين الشارح الصور البيانية التى اشتمل عليها البيتان ، فذكر أنّ الشاعر شبّه الدرع المزرودة ، وقد تركبت حلقاتها والتحمت بجند سليمان عليه السلام من الجن والانس فى كثرتها وازدحامها ، وشبّه مافى السيف من فرنده وجوهره أى حدّه الدقيق بالنمل فى صغره ، وتموجه ، ثم أخرج التشبيهين مخرج الاستعارتين ، ومعنى البيتين يقول رأى السيف جند سليمان عليه السلام فحاذر إن قتل أن يحطم ، وهذه الدرع فى قوتها وترابط حلقاتها تعدّ حصناً حصيناً للمقاتل أحصن من سدّ يأجوج ، والشاهد فى البيتين أنّ الشاعر عقد قوله تعالى ((قالت نملة يأيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده)) [5] ، وقوله تعالى : ((قالوا ياذا القرنين

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٤٠

(٢) من الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٤٠ ، ١٤٤١

(٤) انظر الحدائق ص ١٤٤١

(٥) من الآية ١٨ من سورة النمل .

إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكنّى فيه ربّى خير فأعينونى بقوّة أجعل بينكم وبينهم ردما)) .(١)

هذا ماذكره الشارح (٢) فى بيتى المعرى فلم يكتف ببيان الشاهد البلاغى فيهما ، وإنّما زاد فى تفصيل ، وتوضيح الصور البيانيّة التى اشتمل عليها البيتان ، وشرح معنييهما كطريقته فى كثير من الشواهد السابقة ، ولعلّه جهد يحسب له .

كما استشهد الطيبى للعقد فى الحكمة بقول أبى الطيب :-

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

فالشاعر عقد الحكمة التى تقول من أفنى مدّته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم.(٣)

أمّا الشارح فقد أعرب بعض تراكيب البيت حيث ذكر قوله ، فالذى خبر من ودخول الفاء عليها لتضمن المبتدأ معنى الشرط وخبر الذى الفقر المعرف بلام الجنس ، وصلة هذا الموصول فعل ، والضمير المستتر المرفوع فيه راجع إلى الموصول الأول ((من)) والضمير المنصوب المحذوف فيه يرجع إلى الموصول الثانى ((فالذى)) ومعنى البيت يقول أبو الطيب من أمضى عمره ، وهو أثمن وأغلى ماعنده فى جمع حطام الدنيا الفانى ، وعرضها الزائل خشية الفقر فإنّى أبشّره بأنّ ما فرّ منه وخشى منه وهو الفقر قد وقع فيه فما فعله هو نفس الفقر وحقيقته .(٤)

هذا مجمل ماذكره الشارح فى بيت المتنبى فهو لم يكتف بما ذكره شيخه رحمه الله حول الشاهد بل التفت إلى جوانب أخرى كاعراب بعض تراكيبه ، وبيان معناه ، وتعد فوائد حسنة تعدّ من جهود الشارح رحمه الله تعالى .

الحلّ

الحلّ كما ذكره الطيبى أن ينثر نظم .(٥) ، ذكر الشارح أنّه ضد العقد ، وسمّى حلّاً لانحلال الكلام من سلك النظم إلى ساحة النثر .(٦)

---

(١) الآيتان ٩٤ ، ٩٥ من سورة الكهف

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٤١

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٥٣

(٤) انظر الحدائق ص ١٤٥٣

(٥) (٦) انظر الحدائق ص ١٤٥٥

ومن شواهد الطيبى على الحل قول الفخر عيسى :- يمشين على تؤدة وسكون ، وقد حبسن الأبصار ، وتمنطقن بالعيون ، وقد حلّ قول أبى الطيب المتنبى :-

وخصر تثبت الأبصار فيه كأنّ عليه من حدق نطاقا (١)

أمّا الشارح فبيّن بعض مفردات القطعة النثريّة فذكر أنّ قوله على تؤدة أى على ثبات ووقار ، وقوله وتمنطقن أى اتخذنها منطقة وهى كل ماشدّ به الوسط ، أمّا بيت أبي الطيب فذكر بيتاً قبله وهو :-

وطرف إن سقى العشّاق كأساً بها نقص سقانيها دهاقا

ومعنى بيت الشاهد يقول إنّ خصر المحبوب لنعومته ، ورقّته تأثّر بالنظر إليه فصار كأنّ نطاقاً شدّ على هذا الخصر من أثار تلك العيون ، وذكر ابن فورجه أنّ المتنبى أراد أنّ الأبصار تثبت فى خصر المحبوبة من كل جانب لحسنه وتحيط هذه الأبصار بهذا الخصر حتّى تصير كالنطاق عليه ، وقد أخذ المتنبى هذا المعنى من قول بشار :-

ومكلات بالعيون طرقن سننا ورجعن لسنا

ومعناه أنهن لحسنهنّ وجمالهنّ تعلو الأبصار رؤوسهن إلى وجوههنّ حتى صارت لهنّ اكليلاً من العيون ، هذا ماذكره ابن فورجة ، وقد وافقه الشارح الذى ذكر أنّ أبا الطيب نقل المعنى إلى الخصر ، والاكليل إلى النطاق ، وذكر أنّ السرى الموصلى كشف المعنى فى قوله :-

أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاقا (٢)

هذا ماذكره الشارح حول بيت المتنبى ، ويظهر تمكّنه فى بيان الشاعر الذى أخذ المعنى عن غيره كما يبرز قدرته على الموازنة ، ودقة فهمه لمعنى الأبيات .

التلميح

ذكر الطيبى أنّ التلميح هو أن يشار فى الكلام إلى قصّة ، أو شعر (٣) ، ومن شواهد التلميح إلى قصّة قول أبى تمام :-

لحقنا بأخراهم وقد حوم الهوى قلوباً عهدنا طيرها وهى وقع

فردّت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٥٦

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٥٦ ، ١٤٥٧

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٦٠

نضا ضوءها صبغ الدجنّة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجـــزع

فوالله ما أدرى أأحلام نائـــم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشـــع

ألمح أبو تمام إلى استيقاف يوشع فتى موسى عليه السلام الشمس عن الغروب حين قاتل الجبّـــار ، وخاف هجوم الليل .(١)

وقد بيّن الشارح بعض المفردات التى اشتملت عليها الأبيات ، فذكر أنّ المراد بالمجزّع أنّ لون السماء فيه بياض وسواد ، وقوله راغم أى ذليل ، وأصل الرغم لصوق الأنف بالتراب ، والخـــدر الستر ، والأحلام جمع حلم بالضم وهو مايراه النائم فى نومه ، وقوله ألمت أى نزلت ، وقولـــه فى الركب أى فى القافلة ، كما ذكر الشارح مرجع بعض الضمائر فى الأبيات ، فذكر أنّ الضميـــر فى قوله ((فَرُدّت)) يرجع إلى القافلة أو السيارة ، والضمير فى قوله ((لهم)) راجع إلى معنـــى السيّارة أى الركب ، أو القوم يدلّ عليه البيت الذى قبله وهو قوله :-

لحقنا بأخراهم .....

والبيت الذى بعده وهو قوله :-

نضا ضوءهـــا .....

كما ذكر الشارح أنّه روى ردّت مبنيّاً للمجهول ، ونائب الفاعل الشمس ، وهذا هو الظاهـــر وهو رواية الديوان كما روى تلمع بدل تطلع ، وقد بيّن الشارح التجريد مع الاستعارة فى قولـــه ((فردّت علينا الشمس ..... بشمس لهم .....))

فذكر أن المراد بالشمس الأولى المحبوبة ، وشبّهها بالشمس ، ثمّ جرد من هذه الشمـــس شمساً وهى هى بواسطة الباء كقولك رأيت بأسد أسدا ، وذكر أنّ هذا من نوادر التجريـــد لأنّه واقع فى طريق الاستعارة وليست بالاستعارة التجريديّة التى تقابل الترشيـــح فهـــى اذن تجريد فى الاستعارة وليست تجريداً للاستعارة ، ومعنى الأبيات يقول أبو تمام :- لمّا التقينا والحال أن شمس النهار قد غابت ولفنا الليل بظلامه الممتد ردّت علينا السيارة الشمس بسبب الشمـــس التى كانت مع الركب فزال الظلام وعاد النهار ، فهذا أوقعنى فى حيرة ، هل هذه أضغـــاث أحلام ، أم أنه أمر حدث فى اليقظة وأنّ يوشع بن نون كان فى الركب فظهرت معجزته باستيقاف الشمس ، ثمّ ذكر الشارح الحديث الذى أخرجه الامام البخارى رحمه الله ، وفيه أن نبيّاً من الأنبياء غـــزى فلمّا دنى من القرية التى قصدها صلاة العصر أو قريبا منها ، قال للشمس إنّك مأمورة ، وأنـــا

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٦٠ ، ١٤٦٢

مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم .....إلى آخر الحديث .

وقد نقل الشيخ محى الدين النووى عن القاضى عياض أن هذا النبي هو يوشع بن نون .[1]

هذا ماذكره الشارح حول أبيات أبى تمام فقد عرض لعدة جوانب ، فبيّن بعض مفرداتها ، وشرح معناها ، وأشار إلى بعض روايات البيت بالاضافة إلى توضيح بعض الصور البيانية والمحسنات البديعية ، وهذه من جهود الشارح التى تحسب له ، إذا ماعرفنا أنّ الطيبى يسير مع الخطيب[2] الذى استشهد بأبيات أبى تمام ولم يشرحها ، أمّا السعد فكانت له تعليقات أخرى غير ماعلّق به الشارح يمكن اعتبارها تكميلاً لما قاله الشارح فقد قال السعد ((الضمير فى أخراهم ، ولهم للأحبّة المرتحلين وان لم يجر لهم ذكر فى اللفظ ، وحام الطير على الماء دار وحوّمه غيره ، ونضا ذهب به وأزاله ، والضمير فى ضؤها ، وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر الدجنّة الظلمة ، انطوى انضم المجزع ذو لونين ، وقوله أحلام نائم استعظام لما رأى ، واستغرب أشار إلى قصّة يوشع ابن نون فتى موسى عليهما الصلاة والسلام ، واستيقافه الشمس أى طلبه وقوف الشمس فإنّه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلمّا أدبرت الشمس خاف أن تغيب الشمس قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فردّ له الشمس حتّى فرغ من قتالهم))[3] .

على أنّ شرح على بن عيسى تميّز بالتفصيل ، وذكر الحديث الذى فيه قصة توقف الشمس عن الغروب بأمر الله لنبى من أنبياء الله تعالى .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٦٠ ، ١٤٦٢

(٢) انظر الايضاح ص ٤٢٦ ، ٤٢٧

(٣) المطول ص ٤٧٦

الباب السابع : فى حسن ملاءمة الكلام

جعل الطيبى خاتمة لفن البلاغة المشتمل على أصوله الثلاثة المعانى والبيان والبديع وقد ذكر فى هذه الخاتمة أنّه ينبغى على المتكلم أن يتأنّق فيما يورده من كلامه فى أربعة مواضع حتى يكون جيّد السبك عذب اللفظ ، بديع المعنى ، وهذه المواضع الأربعة هى المطلع ، والمخلص ، والمطلب ، والمقطع ، وقد فصّل القول فى كل موضع من هذه المواضع وذكر شواهده .(١)

أمّا الخطيب فذكر أنّه ينبغى للمتكلم أن يتأنّق فى ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون كلامه أعذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأصح معنى ، وهى الابتداء ، والمخلص والانتهاء .(٢)

هذا وقد بيّن الشارح وجه ايراد أستاذه لتلك الخاتمة لفنّ البلاغة فذكر أنّه لمّا كانت الخاتمة مقابلة للفاتحة فكما ينبغى أن تكون الفاتحة مؤذنة بما تتضمن الخاتمة ، ومشوقة إليها ، كذلك ينبغى أن تكون الخاتمة مشيرة إلى الفاتحة ومتوقة إليها ، ولمّا كان الأساس التى تقوم عليه البلاغة والغرض الذى تهدف إليه مراعاة تناسب الكلام ، وتوخى نظمها وفق أصول ، وقواعد معينة أشار الطيبى إلى هذا المعنى وأوضحه أحسن إيضاح ، وأفصح عنه بأحسن بيان .(٣)

كما ذكر الشارح قول أحد العلماء عن أهمّية تمكن الأديب من ابتداء كلامه ، وانتهائه فقد قال :- ((قال صاحب اللمع ينبغى للخطيب إذا ارتجل خطبة وللبليغ اذا افتتح رسالة ، وللشاعر إذا ابتدأ قصيدة أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه ، وانتهاؤه مخلصاً لابتدائه ، وهذه الخاتمة لا تلين عريكتها إلاّ للمتصرّف فى الكلام الذى يعرف كيف يلج فى الكلام ، وكيف يخرج منه)) .(٤)

كما أورد الشارح قول أحد العلماء عن تميّز القرآن على كلام البشر فى تطرقه لمختلف المعانى مع حسن التصرّف فى الانتقال من معنى إلى معنى ، والقرآن فى كل هذا معجز وهو أقصى درجات البلاغة يقول الشارح فى هذا :- ((قال أبو الحسين ومن أكمل أوصاف البليغ حسن التصرف ، وهو لا يمكن بالتعمل ، ولا يستجيب للتكلّف بل لابدّ له من العلوم للضرورة المعبّر عنها بالطبع ، وبهذا تفاضل الخطباء ، والشعراء ، وأصحاب الرسائل ، وإذا تأملت تصرّف القرآن فى المعانى المقصودة عرفت أنّها زائدة فى الحسن على تصرف جميع أقسام الكلام ، وأنواعه وشهد بذلك قلبك على أنّه ليس من كلام البشر لمجاوزته فى الحسن جميع كلامهم لأنّك تجد عامة كلام الناس إذا

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤٤

(٢) انظر الايضاح ص ٤٢٨

(٣) انظر الحدائق ص ١٥١٨

(٤) الحدائق ص ١٥١٨

أخذوا فى الاقتباس ، والتصرف فى المعانى المختلفة ، والأغراض المتباينة ، والمقاصد المتغايرة بضعف نجاعه ، وبهجن نسجه ، ويظهر عليه الاختلال وحال القرآن بخلافه)) [1] ، ولعل الشارح قد أحسن بايراد هذا الكلام فى الربط بين ما اشتملت عليه هذه الخاتمة من مواضع وبين نظم القرآن الذى تميّز عن كلام أبلغ الأدباء فى حسن ابتداءاته ، وانتهاءاته وتخلصاته وحسن خواتمه البالغ فى كل هذا حد الاعجاز .

حسن المطلع

ذكر الطيبى أنّ المطلع يشترط فى حسنه شرطان أحدهما أن يضمّن المطلع معنى ما سيق الكلام لأجله ليكون الابتداء دالاً على الانتهاء ، ويسمى هذا براعة الاستهلال ، كما ذكر أنّ من تأمل فواتح السور فى القرآن كالتحميدات والنداء ، وخاصة حروف التهجى ، وجدها فى أقصى درجات البلاغة لأنّها توقظ السامعين ، وتنشّط أذهانهم لتلقى مايرد بعدها ، فإنّهم إذا سمعوها من مثله صلوات الله عليه علموا أنّها من جهة الوحى ، أو أن يتنبهوا على المتلو بعدها من جنس الكلام الذى ينظمون لكن شتّان بين الكلامين فيستبين عجزهم ، ويظهر ضعفهم . [2]

وقد علّق الشارح على ماقاله شيخه ، فذكر أنّ وجه علمهم أنّ تلك الحروف فى الفواتح من جهة الوحى أنّهم عندما سمعوا تلك الفواتح ممن لم يمارس الخط ، ولا تعلّم الهجاء أى أمىّ لا يقرأ ولا يكتب علموا أنّها من جهة الوحى ، وليتوصّلوا من خلالها إلى أنّ مايرد بعدها أيضاً من جنس الوحى . ويشهد لهذا معنى قوله تعالى ((فأتوا بسورة من مثله)) [3] إذا كان الضمير فى مثله للرسول صلى الله عليه وسلم أى فأتوا بسورة من مثل محمد أمياً عربياً لم يمارس الخطّ والقراءة . [4]

كما بين الشارح وجه تنبيههم إلى أنّ المتلو عليهم من جنس الكلام الذى ينظمون ذكر الشارح أنّ ذكر تلك الفواتح كالايقاظ ، وقوع العصا على أنّ مايليها من جنس الحروف التى ينظمون منها كلامهم ليس إلاّ ، فإذا لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ظهر عجزهم ، ويشهد لهذا قوله تعالى ((فأتوا بسورة من مثله)) إذا كان الضمير للقرآن المنزل فصيحاً بليغاً ، وإذا اعتبرت الفواتح

---

(١) الحدائق ص ١٥١٨

(٢) انظر الحدائق ص ١٥١٩

(٣) من الآية ٢٣ من سورة البقرة .

(٤) انظر الحدائق ص ١٥١٩

اسماً للسور فإنّها ترجع إلى أنّ فيها تنبيهاً لهم من العنوان ، والكلام الذى تحته من جنس ماينظمون لكنّهم عجزوا عن أن يأتوا بمثله .[1]

هذا ماذكره الشارح فى تعليقه على كلام شيخه من أنّ فواتح السور أبلغ الابتداءات الحسنة ، ولعلّ الشارح قد أحسن توضيح وبيان ماذكره شيخه .

الشرط الثانى فى المطلع إذا أريد أن يكون حسناً أن يجتنب فى المديح مايتطيّر به ، ومما عيب فى هذا قول اسحاق الموصلى فى الخليفة المعتصم حين دخل عليه وهو جالس فى قصره الذى بناه حديثاً فقال :-

يادار غيّرك البلى ومحاك ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطيّر المعتصم من هذا وانصرف هو ومن معه عن القصر، ولم يعودوا إليه حتى خرب .[2]

أمّا الشارح فذكر أنّ الشاعر لم يقصد بقوله يادار هذا القصر بعينه بل هو تشبيب على عادة الشعراء كقولهم :-

- هل بالطلول السائل ردّ -

ونحوها لكن لمّا اتفق انشاد ذلك البيت فى هذا القصر ابتداء تطيّر منه الخليفة ، وتشاءم ، واعتبر مطلعاً غير حسن فى هذا المقام ، ولو أنشد فى غير ذلك القصر لم يكن كذلك .[3]

لعل هذا توجيه حسن من الشارح للبيت .

حسن المخلص

ذكر الطيبى أنّ حسن المخلص أن يخرج من معنى إلى معنى برابطة مناسبة [4] ، وقد بيّن الشارح أهمية حسن المخلص فى صناعة الشعر نقلاً عن أحد العلماء فقال : -((قال ابن الأفلح حسن المخلص هو الشاهد للشاعر بالحذق فى صناعة الشعر ، وترجمان الفضيلة ، والمرصد لفائته ، وناقده فإنّ السامع لا ينفكّ أن يكون أحد رجلين فإمّا متعصب عليه فلا يزال قلقاً حتّى ينتهى الشاعر إلى المخلص خوفاً أن يصيب فيخذل هو فيخجل فى بغضه ، وهواه ، أو متعصّب له فلا ينفكّ مترصداً للمخلص فرقا أن يقصّر فتدركه الخيبة فيما بيّته ، ونواه ، واذا وفق الشاعر مخلصه غفرت له الأسماع خطأ

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥١٩

(٢) انظر الحدائق ص ١٥٢٨

(٣) انظر الحدائق ص ١٥٢٨

(٤) انظر الحدائق ص ١٥٣٠

التقصير فى جودة لفظ ، وابداع معنى)) [1] ، كما نقل الشارح قول أحد العلماء الذى ذكر أنّ حسن المخلص يظهر فى أحكام وصله ، وقوّة ربطه لابتداء الكلام بالمطلب ، وهو الغرض المقصود من الكلام ، فقد قال الشارح :- ((وقال صاحب اللمع إنّ من حكم التشبيب أن يكون مستزجا بما بعده من مدح ، وهجاء ، وغيرهما وغير منفصل منه ، فإنّ القصيدة مثلها مثل الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر بطل الجسم ، وحذاق الشعراء لا يفصلون بينهما بل يوصلون الأول بالآخر حتى تراه كالرسالة والخطبة لا ينقطع جزء من جزء)) [2]

هذا ما أورده الشارح عن بعض العلماء عن أهمّيّة العناية بحسن المخلص فى النّص الأدبى ومدى تمكن الأديب منه ، ولعلّ الشارح أحسن فى ذلك ويشهد هذا لحسن اختياره ، وأمانته العلميّة ، ومن شواهد حسن التخلص التى ذكرها الطيبى قول ابن بابك :-

لقد نشر النيروز وشياً على الربى ... من النور لم يظفر به كف راقم

كأن ابن عباد سقى المزن بشره ... فجاد برشاش من الوبل ساجم [3]

وقد بيّن الشارح بعض مفردات البيتين فذكر أنّ الربى جمع ربوة وهى الهضبة ، وقوله كفّ راقم أى كاتب من الرقم وهو الكتابة ، والمزن السحاب الأبيض ، والجود المطر الغزير الكثير والرّشّ المطر القليل ، والجمع رشاش ، والمقصود بالرّشّ هنا مطلق المطر أمّا إذا حمل الرشاش على حقيقته وهو المطر القليل لناقض قوله من الوبل ووصفه بساجم وأيضاً بناء المبالغة فيه أى فى قوله رشاش كأنّه قيل كثير الرش ، أو عظيمه ، وقوله الوابل المطر الشديد فى تساقطه ، وقوله ساجم أى سيّال . [4]

هذا كما بيّن الشارح الصورة البيانية التى اشتمل عليها البيتان وحسن التخلّص الذى اشتمل عليه ، وهو موضع الاستشهاد فقال :- ((شبّه اخضرار النبات مع اختلاف ألوان الأزهار من الاصفرار والاحمرار ، والابيضاض المنبسطة على الربى والهضاب بثوب منشور مرقوم موشى منقّش بألوان النقوش فى حسن المنظر ونزاهة البهجة ، ثمّ أخرجه مخرج الاستعارة التمثيليّة ، والرابطة المناسبة هى معنى التشبيه فى قوله كأنّ ابن عباد إلى آخره فلولاها لما حسن الانتقال من ذكر النيروز وما يتعلّق به إلى ذكر ابن عباد)) [5] ، ولعلّ الشارح قد أحسن فى تعليقه على البيتين من شرح مفرداته

---

(١) الحدائق ص ١٥٣٠

(٢) الحدائق ص ١٥٣٠

(٣) انظر الحدائق ص ١٥٣٠

(٤) انظر الحدائق ص ١٥٣٠ ، ١٥٣٢

(٥) الحدائق ص ١٥٣٢

التى تحتاج إلى شرح وتفصيله للصورة البيانيّة ، وتوضيحه لموضع الاستشهاد فى البيتين كعادته فى شرح وتحليل الشواهد والنصوص ويعدّ مثل هذا جهداً متميزاً وبارزاً للشارح رحمه الله تعالى ، ذكر الطيبى أنّ من باب الانتقال من معنى إلى معنى الاقتضاب وهو الخروج إلى كلام لاعلاقة بينه وبين ماخرج منه وهذا مذهب العرب ، وذكر أنّه يحسن الاقتضاب إذا فصل بمثل أمّا بعد ، كما ذكر أنّ البحترى كثيراً مايسلك مسلك الاقتضاب من ذلك قوله :-

أقول لركب معنقين تدرّعوا ... على عجل قطعاً من الليل غيهبا

ردوا نائل الفتح بن خاقان إنّه ... أعمّ ندى فيكم وأيسر مطلبا [1]

أمّا الشارح فبيّن بعض مفردات البيتين فذكر أنّ قوله معنقين يروى بالفاء من العنف وبالقاف من الاعناق ، وهو نوع من السير وقوله تدرّعوا أى جعلوا ظلمة الليل درعاً لأنفسهم ، والغيهب الظلمة الشديدة ، وقوله ردوا من الارتداء مقول للقول أى اجعلوا عطاء الممدوح وهو الفتح بن خاقان رداء لأعطافكم يصون عرضكم عن دنس الاحتياج إلى غيره . [2]

ثمّ ذكر الطيبى ويبدو أنّه من املاءاته على تلميذه ذكر أنّه استشهد بالبيتين على الاقتضاب تبعاً لضياء الدين ابن الأثير فى كتابه المثل السائر ولكن يمكن أن يقال إنّه ليس من باب الاقتضاب بل من حسن التخلص الذى بلغ الغاية فى الحسن ، وبيان ذلك أنّ البحترى لمّا وصف سير الركب متدرّعين بظلمة الليل أمرهم بارتداء نوال الممدوح ، ثمّ توجّه إلى مدح الممدوح بما مدحه به ، فالبحترى تخلّص من ذكر أحوال الركب بواسطة سيرهم ووصفه بالتدرع بقطع من الليل ثمّ يأمرهم بالارتداء بنائل الفتح إلى مدحه بلغ حدّه فى الحسن فكيف ينسب هذان البيتان إلى الاقتضاب [3] ، كما بيّن الشارح وجه وصف سير الركب بالتدرع وحصول نوالهم بالارتداء فذكر أنّ وصف السير بالتدرع تنبيه على أنّهم تحمّلوا المشقة ، واتعبوا أنفسهم بالسير فى ذلك الليل المظلم ليفوزوا بنوال الممدوح ويتشرّفوا بارتداء نواله ، والتعزز بمكارمه ، فان الرداء يفيد معنى التعظيم [4] .

هذا ما أورده الشارح حول بيتى البحترى ويظهر جهده واضحاً فيه . .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٣٨ - ١٥٤٠

(٢) انظر الحدائق ص ١٥٣٩

(٣) (٤) انظر الحدائق ص ١٥٣٩

حسن المطلب

ذكر الطيبي أنّ المطلب حسنه أن يخرج إلى الغرض بعد تقدّم الوسيلة [1]، ومن الشواهد [2] التي اجتمع فيها حسن المخلص والمطلب قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام :- ((فإنّهم عدوّ لي إلّا ربّ العالمين الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ربّ هب لي حكما وألحقني بالصالحين)) [3].

أمّا الشارح فبين وجه حسن المخلص والمطلب في الأيات فذكر أنّ ابراهيم عليه السلام بعد أن ذمّ آلهتهم تخلص إلى مدح الله ، والثناء عليه بمحامده ، ومكارمه وذلك في قوله :- ((فإنّهم عدوّ لي إلّا ربّ العالمين)) والاستثناء في الآية يجوز أن يكون متصلاً على تأويل الاتحاد في الوصف ، وأنّ الأصنام معبودون بمقتضى زعمهم وذلك بقصد استدراجهم ، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً ، وهو الظاهر ، وأمّا حسن الطلب فمن قوله ((والذي أطمع)) إلى قوله ((وألحقني بالصّالحين)) فقد اجتمع فيه الوسيلة والمطلوب فالوسيلة قوله ((أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)) والمطلوب قوله ((ربّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين)) ، وقد اجتمع فيه أيضاً طلب خيري الدنيا والآخرة فخير الدنيا أنّه سأل الله أن يهب له حكماً وخير الآخرة أنّه سأل الله أن يلحقه بالصالحين في الآخرة . [4]

هذا ماذكره الشارح حول الأيات السابقة ولعلّ جهده يبدو واضحاً في بيان وجه الاستشهاد فيها .

حسن المقطع

ذكر الطيبي أنّ المقطع حسنه أن يختم الكلام بختام يعجب السامع ويزيد في النفس تشويقا ، وأحسن مقاطع الكلام ما آذن بانتهائه ، وذكر أنّ جميع خواتيم السور في نهاية من الكمال لأنّها بين أدعية ، ووصايا ، ومواعظ ، وتحميد ، ووعد ، وتعظيم ، وتبجيل . [5]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٤٠

(٢) انظر الحدائق ص ١٥٤١

(٣) من الآية ٧٧ الى الآية ٨٣ من سورة الشعراء

(٤) انظر الحدائق ص ١٥٤١

(٥) انظر الحدائق ص ١٥٤٤

أمّا الشارح فذكر أنّ الطيبى لو ضمّ إلى انتهاء الكلام ابتداءه فقال مثلاً ، وأحسن المقاطع ما آذن بانتهاء الكلام ابتداءه لكان أشمل ليدخل مثل المعوّذتين فإنّ الطيبى نفسه فى تعليقه على قول الزمخشرى فى الكشّاف ، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً ، فقد قال الطيبى تعليقاً على هذا الكلام فى كتابه فتوح الغيب :- ((وفى هذا الافتتاح والاختتام رعاية حسن المطلب ، والمقطع ، أمّا المطلع فحسنه أنّ الفاتحة كما ترى بلغت فى حسن ألفاظها وتنوق معانيها غاية من الكمال مع تضمّنها معنى ماسيق الكلام لأجله وأمّا المقطع فحسنه ما آذن إلى استماع مابدئ به فالمعوذتان مشيرتان إلى الاعاذة لقوله تعالى ((فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله)) [1] ومن ثمّ قال صلوات الله عليه حين سئل أىّ الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل ؟ ، قال : صاحب القرآن يضرب من أول القرآن إلى آخره كلّما حلّ ارتحل ، أخرجه الترمذى ، والدارمى عن ابن عباس .

فالتحميد يقتضى الاختتام بناء على أنّ المجمل يقتضى تفصيله والاستعاذة تقتضى الافتتاح فلا انقطاع اذن كما قال :-

فما تقف السهام على قرار كأنّ الريش يطلب النصالا)) [2]

هذا ما أورده الشارح من كلام شيخه ، ولعلّ الشارح قد أحسن فيما أورده حيث استعان بشواهد قرآنية على حسن المقطع كالمعوذتين ، وبيّن وجه الاستشهاد بها من خلال ماقاله الزمخشرى وشيخه رحم الله الجميع .

---

(١) من الآية ٩٨ من سورة النحل

(٢) الحدائق ص ١٥٤٤

القسم الثاني : التحقيق

طريقتي في التحقيق تمثلت في وضع متن التبيان في أعلى الصحيفة ويليه شرحه الحدائق ثم الهامش وهو تحقيقي للحدائق وتعليقي على التبيان .

توثيق نسبة الكتاب إلى الشارح :-

لقد نصّ الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى على وجه صريح لا يحتمل التردد بنسبة الكتاب إلى نفسه ، وذلك في المقدمة عندما بيّن العلاقة الوثيقة التي تربطه بأستاذه الذي أشار عليه بتصنيف هذا الشرح ، قال الشارح :- ((يقول أحوج خلق الله اليه ، وأفقرهم علي بن عيسى ختم الله له بالحسنى .....

.....

فلمّا جاء بحمد الله المنان شرحاً مستقصى كالتمرين للتبيان سمّيته بحدائق البيان في شرح كتاب التبيان .....)) (١).

وقد أكّد هذه النسبة الشيخ مصطفى بن عبدالله أفندي المعروف بحاج خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ،في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون الذي يعدّ من المصنفات المهمّة في مجال توثيق الكتب يقول حاج خليفة :- ((التبيان في المعاني والبيان للعلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيبي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وهو مختصر مشهور .....

.....

ثمّ شرحه تلميذه علي بن عيسى ، وسمّاه حدائق البيان وهو شرح بالقول أوّله الحمد لله الذي وفقنا لاقامة البرهان .....الخ . ، ذكر فيه أنّه لما رآه سارع إلى مصنفه ، وابتدأ بقراءة ذلك الكتاب عليه ، وبذل مجهوده في تحصيل المراد منه ، ومن مصنفاته برهة من الدهر ثمّ خطر بباله أن يكتب مايتعلق بحل مشكلاته مما استفاد من المصنف ، وماكتبه على حواشي الكتاب فعاقه الزمان إلى أن أمره أستاذه بمثل ماوقع في خاطره ، فامتثل ، وفرغ في أواخر شوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة)) (٢).

يتبين من خلال هذا الكلام أنّ حاجي خليفة اطلع على الحدائق ، وهذا مما يزيد ، ويؤكد في توثيق نسبة الكتاب إلى الشيخ المصنف علي بن عيسى رحمه الله تعالى .

كما ذكر الشيخ اسماعيل باشا البغدادي الحدائق منسوباً للشيخ علي بن عيسى ، وذلك عند سرده

---

(١) الحدائق ص ١ ، ٧

(٢) كشف الظنون ص ٣٤١

للكتب المصنّفة المبدوءة بحرف الحاء في كتابه ايضاح المكنون حيث قال :-

حدائق البيان في شرح التبيان لعلي بن عيسى تلميذ صاحب المتن الطيبي))[1] ، وهذا يؤكد نسبة الكتاب إلى الشارح رحمه الله تعالى .

والجدير بالملاحظة أنّ المتتبع للحدائق يجد الشارح علي بن عيسى يعبّر بضمير التكلم فيقول مثلاً ((كما قلنا .....)) ويحيل إلى بعض كتب الطيبي مثل كتابه فتوح الغيب ، أو المتن نفسه أي التبيان ، وغيرهما من كتب الطيبي والمتتبع يجد مثل هذا في عدة مواضع فهذا قد يجعله في حالة من الاستغراب والتردد ، ولكن لا يلبث أن يزول استغرابه ، وتردده إذا ما أعاد النظر في قراءة مقدمة الشرح فيجد أنّ الشيخ علي بن عيسى قد ذكر من ضمن مصادر في شرحه املاءات شيخه الطيبي عليه فقد قال :-

((..... فكثيراً ما خطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب [يقصد التبيان] اعانة للطلاب ، وتقريراً لمرامهم مايتعلّق بحلّ مشكلاته ..... مما استفدته من خدمته في أثناء القراءة ، ومما أملى عليّ حالة الكتابة) وفي غير تلك الحالة ، وما كتبه على حواشي الكتاب بعد المراجعة والمراودة والمطالعة للكتب المعتبرة في هذا الفن .. ..))[2] فيزول ذلك التردد والاستغراب تماماً من المتتبع لقراءة هذا الشرح ، ويطمئن تماما إلى نسبة هذا الشرح للعلامة المصنف الشيخ علي بن عيسى رحمه الله تعالى .

وصف نسخ الكتاب :-

لقد عثرت على خمس نسخ لكتاب الحدائق ، وهي على النحو التالي :-

النسخة الأولى :- مصورة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ((١٥ بلاغة)) عن مكتبة الاسكوريال بأسبانيا برقم ((٢٢٤)) وعدد أوراق هذه النسخة ٢٢٢ ورقة وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٧ سطرا ، ونوع الخط نسخ معتاد ، ويظهر أنّ تاريخ الانتهاء من النسخ في أواخر رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة للهجرة ، لكن تاريخ الانتهاء من تصنيف الكتاب كان في أواخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة للهجرة ، هذا وقد اعتمدت هذه النسخة أصلاً وأمّ لبقيّة النسخ ، لكونها أقدم نسخة عثر عليها إلى الآن من جهة تأليفها يدلّ على ذلك أن أقدم نسخة للمتن وهو التبيان للطيبي عثر عليها ، واعتمدها د. هادي عطية مطر الهلالي[3]

---

(١) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : ٣/ ٣٩٥

(٢) الحدائق ص ٥ ، ٧

(٣) انظر التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي تحقيق د. هادي عطيه مطر الهلالي ص ٢٣ ، ٢٤ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

فى تحقيق التبيان كان الانتهاء من قراءة هذه النسخة على الطيبى عاشر جمادى الأولى سنة ٧٣٨ هـ ، ونسخة الحدائق التى اعتمدتها أصلاً انتهى الشارح من تصنيفها فى أواخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة للهجرة ، فيبدو والله أعلم أنّ الطيبى ألف التبيان قبل سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بفترة قد تكون عدة سنوات ، يدلّ على ذلك أنّ الشارح الشيخ على بن عيسى اطلع على كتاب التبيان وقرأه قبل اتصاله بأستاذه ، فبعد أن اتصل به ، وتتلمذ عليه قرأ عليه كتاب التبيان وتفرّغ للاستفادة من أستاذه فى تحصيل هذا الكتاب ، وغيره من كتب أستاذه ، ثمّ خطر له أن يضع شرحاً للتبيان لكن عاقه عوائق الزمان إلى أن أمره أستاذه وهذه أمور قد تستغرق عدة سنوات والله أعلم ...

وأيضاً اعتمدت هذه النسخة أصلاً لكونها تامّة ، ولوضوح خطها ليس كما فى النسخ الأخرى .

النسخة الثانية :- هذه النسخة مصوّرة بمعهد احياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم :- ف ٧١٤ من ١٠٥ مصورة سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م - عن النسخة الأصليّة بمكتبة ولى الدين جارالله باستانبول بتركيا تحت رقم ١٨٣٩ ، وهى نسخة كاملة ، وعدد أوراقها ١٧٤ ورقة ونوع الخط فيها نسخ وتم نسخها سنة ٧٤٣ هـ بخط ابراهيم بن يونس ولكن على الرغم من روعة التصوير فى هذه النسخة مما تسبب فى محو بعض الأسطر ، وعدم وضوح خط بعض العبارات على الرغم من هذا فإنّى قابلتها على النسخة الأصل التى اعتمدتها فاستكملت منها مانقص من عبارات فى الأصل ، أو وجد من سقط فيه ، كما صحّحت منها ماوجد من خطأ فى الأصل وهذه الأشياء قليلة جدّاً فى الأصل ، أو النسخة الأم وقد رمزت لهذه النسخة الثانية بالحرف (ع) .

النسخة الثالثة :- هذه النسخة ناقصة ، وخطّها خط نسخ جيد ، وقد عثرت عليها مع نسختين أخريين ناقصتين أيضاً فى مجلد واحد فى المكتبة المحمودية التابعة لمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة تحت رقم [٢٣١٩ ٤١٧] وعدد أوراق هذه النسخة ٧٣ ورقة من القطع الكبير فى كل صفحة ٣١ سطراً .

وهذه النسخة أحسن النسخ خطّاً بعد الأصل مع كونها ناقصة ، فالجزء الذى عثر عليه من هذه النسخة الناقصة جيدة الخط من بداية قوله :- ((.....عن قوله وقد ذكر أنّ هذا أى أنت عارف لا يفيد التخصيص .....)) ، وهذا الكلام فى فصل تقديم الفاعل المعنوى من باب التقديم والتأخير ، ويقابله فى الأصل المحقق ص ٤٩٥ وتنتهى هذه النسخة الناقصة عند قوله :- ((قوله إلى مصرح بها ، وإنما كان مصرحاً بها لكون المشبه به صرّح بذكره

ومكنيّاً عنها لأنّ المشبّه به لم يصرح بل كنى عنه ، ودلّ عليه بذكر لازمه الاستعارة التحقيقية ....)).

وهذا الكلام فى تقسيم الاستعارة التصريحية إلى تحقيقيّة وتخييليّة ويقابلها فى الأصل المحقق ص ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ح).

النسخة الرابعة :- هذه النسخة ناقصة أيضاً جاءت فى مجلد واحد مع النسخة السابقة ، والنسخة التالية بالمكتبة المحمودية تحت رقم [٢٣١٩ / ٤١٦] ، وعدد أوراق هذه النسخة ١٠٥ ورقة من القطع الكبير بكل صفحة ٣١ سطرا تقريباً وهى نسخة ردئية الخط بها آثار رطوبة مما تسبب فى محو بعض العبارات ويبدو أنّ الشارح على بن عيسى رحمه الله تعالى أعاد كتابة أو املاء شرحه مرة أخرى بعد وفاة شيخه الطيبى أى بعد سنة ٧٤٣ هـ ، وهو تاريخ وفاته على الأرجح بدليل أنه أى الشارح عندما يورد جزءا من متن التبيان ليشرحه يقول مثلا [قال رحمه الله تعالى] وهذه النسخة بها أخطاء كثيرة ونقص فى بعض العبارات ، والشارح فى نقله لبعض عبارات التبيان ليشرحها ينقل أجزاء مطولة منه ، وعندما يشرح يكتفى بالجزء الذى أجده مشروحاً فى النسخ السابقة ، وتبدأ هذه النسخة من قوله :- ((.....وان أفرد استقلالاً لكنّه شعبة من البديع .....)) وهذا الكلام فى شرح خطبة التبيان وتتوقف هذه النسخة عند قوله :- ((.....والضابط فى الباب أنّ ما وإلّا وإنّما يستدعيان كون المقصور عليه هو الجزء الأخير ، والتقديم عكسه .....)) ويقابل هذا فى الأصل المحقق من ص ١٥ إلى ص ٥٦٥ وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (م) .

النسخة الخامسة :- هذه النسخة وقعت فى مجلد بين النسختين السابقتين بالمكتبة المحمودية تحت الرقم السابق وهذه النسخة ناقصة وعدد أوراقها ٨٩ ورقة تبدأ من أول علم البيان وتقف عند قوله :- ((.....

إن النبى وأصحاب النبى نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا))

وهذا الكلام فى آخر المذهب الكلامى وهو من المحسنات المعنوية ويقابله فى الأصل المحقق من ص ٧٤٩ إلى ص ١١٩٧ .

وهذه النسخة لا تختلف كثيراً عن النسخة السابقة ، فخطها نسخ ردئ ، وإن لم يكن بها آثار رطوبة لكنها كما يبدو كالنسخة السابقة كتبت بعد وفاة الطيبى والشارح ينقل أجزاء مطولة من متن التبيان ولكن العبارات التى يكتفى بشرحها أحدها تتفق مع الأصل غالبا .

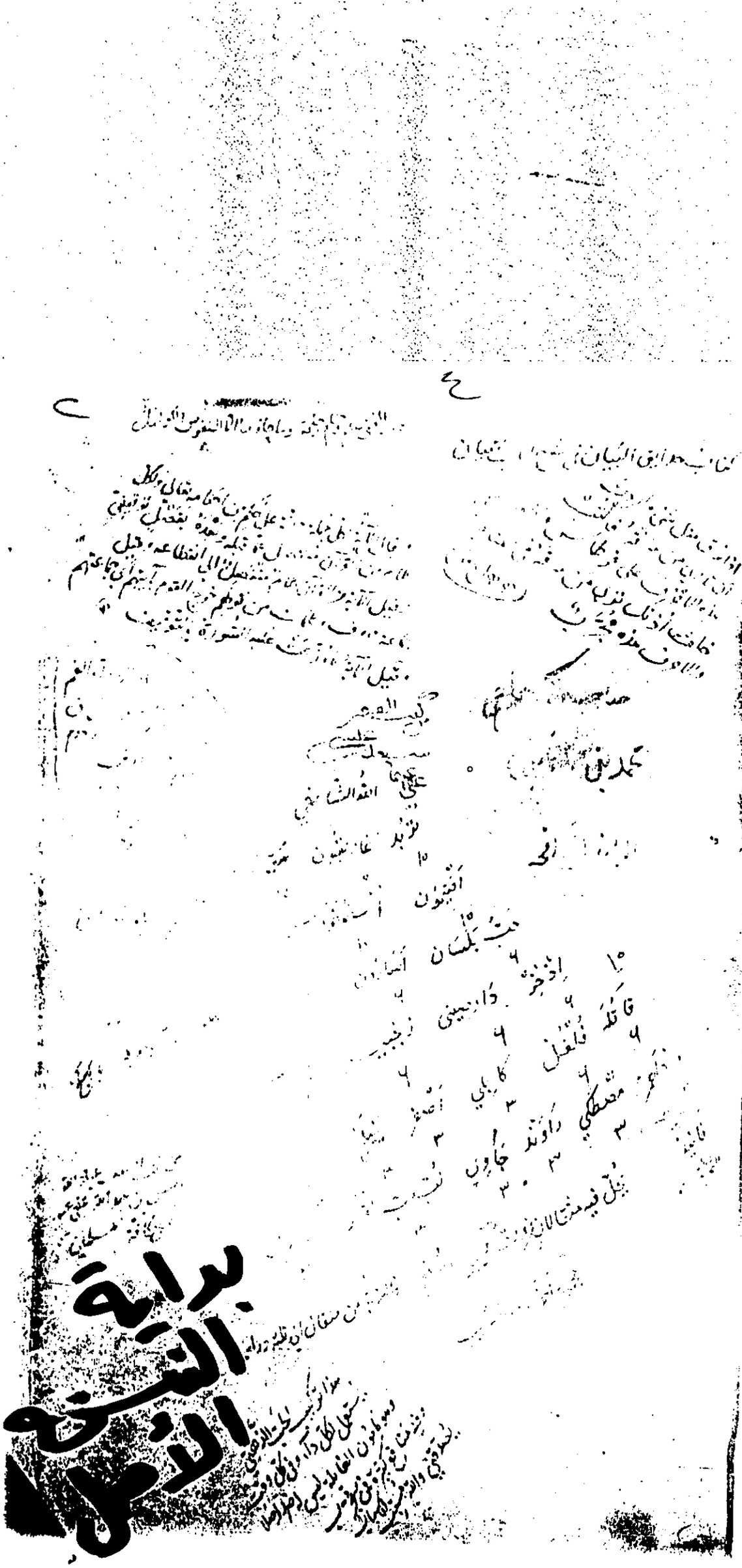
المنهج المتبع فى التحقيق :-

لقد حاولت فى تحقيق هذا الكتاب السير وفق المنهج الذى رسمه علماء هذا الفن وذلك بقدر الجهد والطاقة بعد عون الله وتوفيقه فقمت بعد جمع نسخ الكتاب ، واعتماد أحدها أصلاً قمت بالمقابلة بين الأصل ، وبقية النسخ لتصحيح ماقد يرد من خطأ فى الأصل ، أو سقط فى العبارة ، وإن كان ذلك قليلاً جداً ، ثم عزوت الآيات القرآنية الى أماكنها فى السور وخرّجت الأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، كما قمت بتوثيق الأقوال والنصوص وعزوها إلى مصادرها ، كما ناقشت بعض المسائل البلاغية التى اختلف فيها العلماء وبيّنت الرأى الراجح كما ظهر لى ، وعرفت بالأعلام الذين ورد ذكرهم فى الكتاب ، ثمّ وضعت فهرساً للفهارس وفهارس تفصيلية للآيات القرآنية حسب ترتيبها فى سور القرآن الكريم ، وفهرساً للأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، والأمثال والحكم والأقوال المأثورة ، وفهرساً للأعلام ، وفهرساً للمصادر والمراجع مراعياً فى ذلك الترتيب الهجائى ، كما وضعت فى آخر الكتاب فهرساً تفصيلياً لموضوعات الكتاب . .

Foto:
José de Prado Herranz
C/. Santa Clara, 23
San Lorenzo de El Escorial
(Madrid)
España.

ولهذا اختصت باحكام اى ولكون الالف اصل ادوات الاستفهام انفردت من بين ادوا
باحكام لا توجد تلك الاحكام فى غيرها من ادواته فالباء داخلة على المقصور فان قلت الذى يسب
الى الفهم من تخصيص شئ باخر هو قصره على الاخر لان معناه جعل بحيث يختص الاخر ولا يعم
قلت نعم ولكن غالب استعماله فى الاصطلاح على ان المقصور هو المذكور بعد الباء على
قولهم خصصت فلانا بالذكر اذا ذكرته دون غيره كذا فى المطول قال السيد فى حاشيته وحاصل
يرجع الى ملاحظة معنى التميز والانفراد لان تخصيص شئ باخر فى قوة تميز الاخر فاما ان
التخصيص مجازا عن التميز مشهورا حتى صار حقيقة واما ان يحمل من باب التضمين بشهادة
فيلاحظ المعنيان معا وتكون الباء المذكورة صلة للمضمن وتقدير المضمن فيما نحن فيه فقد اخ
تختصك بالعبادة مثلا نحو ك نخصصها اياها بك وفى الشرح معنى اى المصنف ان هذه الاحكا
لا تثبت لغيرها من ادوات الاستفهام وكان الصواب الاولى ان يقول ولهذا اختصت الا
كما سيراد قريبا انتهى والاولى ان يريد بالصواب ما نقل عن بهاء الدين السبكى ان الصواب ف
على المقصور ويريد بالاولى ما نقل عن حاشية سعد الدين ان التابع العرفى وضعها فى المقصور و
نظر فانه اذا كان المعنى ان هذه الاحكام ثابتة للهمزة منفيه عن غيرها من ادوات الاستفهام كما اع
تكون الاحكام مقصورة لان المقصور هو الثابت للمذكور المنفى عن غيره فكون دخول الباء على الاخ
هو الصواب الاولى

ثمنى



بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل وتمم بخير

[illegible] الكتاب المسمى بالمطول لمحمد لله الذي وفقنا لاقامة البرهان على مطالب علم المعاني و
البيان وجعلنا ممن يتقرب على غاية صناعة البديع وعلى تحليها والقلد الرفيع وعلمنا ما لم نعلم من غوامض
محاسن الكلام ويسلوك مسالك الافهام والافهام ما سود ربقة الى المدبرين في محكمات كلامه المجيد وقشاهد
كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ووسيلة الى كشف القناع عن وجوه
الاعجاز ومدلولات حسنه ومجاز والاطلاع على مواقع الصريح والكناية ومحال التبيين والاستعارة ووقفنا
على ان نلتقف الى شبه الرايقين وشغف الجاحدين ثم الصلوة على من انتدب عليه الكتاب بلسان عربي مبين محمد
سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الزاهرين والصحابة الاكرمين وبعد يقول الخوج خلوا ربه الغني
والفقير علي بن محمد علي ختم الله له بالحسنى الى المحسن في العلوم واعلاه درجة واكمل الصنايع واسناها
مرتبة هو العلم المحيط بقواعد تطلع معاني كلام الله تعالى ودرك حقائق تفسير كتابه الذي هو جبل
الله المتين وهو الدليل الحكيم والصراط المستقيم وذلك علم المعاني والبيان وصناعة البديع التي بها
يعرف ما يحكى الوحي ويسوغ الحلي من الدر ويرتفع المحل وما اصدق قول الحافظ فيما نقل عنه محمد
بن ادريس حين قال ما فقهت وان بهرني الا القرآن في علم القتاوى والاحكام والمتكلم فان بدا اهل الزمان

في صناعة الكلام فحظه القسم والاجتهاد وان كان من ابي القرية احفظ والى خطه فمن كان من [illegible]
[illegible] كذلك المطابق ولا يعوس على شيء من تلك الحقائق الا رجل تتبع في المعلمين المصنفين والقرون
[illegible] علم المعاني وعلم البيان وكما قال الشيخ سراج الدين فالويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو فيهما
[illegible] ولما كان الاشتغال الى الكمال واذا كان الامر كذلك فالاشتغال بحلك الصناعة وصرف الهمة نحوها
[illegible] كل الاجتهاد فهذا لعمري من الهمار الى العهاد ومع هذا العلم مستوفى في صحيحه الهاله وعلمه
[illegible] اليه فيشهد به من الامة المتقدمين والمتأخرين المتفننين محمد حقق ذلك العلامة في هذه البلاد
[illegible] من الاوصاف ومباعدة الاخوان وتحمل اخطار الاسفار وقطع المهامه والقفار
[illegible] من الخلان في كل بلدة اذا عضه المطلوب قل المساعد منحنا الله تلك المصنفة فيه وفي مقدمة
[illegible] منتخبا من مشاهير اولاد مشايخ هذه الطريقة وقلما اقدم الا من مستبقنا اليقين ولقاءهم ومطارحاتهم
[illegible] من علوم كتاب تبيان للامام المحقق والحبر المدقق مالك ازمة النقل قدوة اعيان الادب بن خان
[illegible] بن فاخ الحدقين ذي النقل القدسية والملكات المكينة شرف الملة والدين حسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
[illegible] الله توفيقه وسهل الى نيل استعلاء طريقه فوجدته بين كتب هذا الفن كالروح من الابدان وكالاسنان
من الفم اذ كل العلم من الانسان محتوى على جميع مقاصد هذه الصناعة مشتملا على كل ما يحتاج اليه المتعلم المبتدي

ويستقيل اليه البارع المنهى معجزا فى العبارة كان حلى المعانى اوفرت فى قالب الفاظه او حمل الالفاظ
فصلت على قامة معانيه فاجهدت وساعدت الموفق وساعدت الجناب مستفاد اسبغ الله ظلاله و
لا اعدمنا افضاله فلما حضرت من يديه وشاورنا حواله وسمعت مقاله استلذت و
وتستعظم الاجناد فهل لقايد فلما انتفيا صغر الخبر الخبر فشكرت الله سبحانه وتعالى الحصول
تلك النعمة وبلوغ تلك البغية وقلت لنفسى ليهنك هذا منزل القوم فان لى فاذنه متعلق لاناخة بفنائه
وحط الرحل بباحته والاضراط فى سلك تلامذته والمشاركة فى مباحثاتهم ومناظراتهم ووظايف
استفاداتهم فلما يشر الى الله ذلك بفضله ابتدأت بقراءة ذلك الكتاب جليه وكتابه فامعان النظر
فى ظواهره الفاظه وكنوزات فحاويه والمرست هذه الطريقة واكملت بالشهود وعرضت على الوفاء
وبذلك الجهود فى تحصيل المراد منه ومن حل من مصنفاته الشريفة كتاب فتوح الغيب فى شرح الكشاف وقد
وتعذرى انفكاك لانفاد صغير ولا كبيرة الا احصيها ولا جليلة ولا حقيرة الا عدها سويا فهو يحرز
اسعاد المتعلمين فى حاصل اعمار المتاخرين من فاقه فى القابل كتاب سماه خلال طوى جوانحه وجرح
كالكلم بجرح وبليت فى قراءته وسماعه ومقابلته وتنقيحه وتشذيبه واستخراج لطايفه واتقان معانيه
بنحو من المدة من عمارة من الزمان فحصرت من ذلك على ان كتاب ايضاح المفتاح للفتوح لانه يكشف حقايقه
[illegible]
الان سادة واساتذة واقاضلة المشارق والمغارب وقال فى كل منهم من لسانه ان الكلمات
مفصل المجمع اذا جمع الانسان من كلامه وقال جزاه خيرا فقد كفى اسال الله ان يجزيه خيرا ايانا وحسن
وان الاخر فيما حرص الامر على ان تكون فكثيرا ما خطر بالى ان اجمع لهذا الكتاب اعانة للطلاب و
من يتلمذ لهم ان يعلق على كلماته وكشف معضلاته وتفصيل مجمله وتقييد مطلقه واستدراك
من جزيئاته فى اثناء المقروء ومما الى على حالة الكتابة وفى حين تلك الحالة ومساكنة على حواشى الكتاب
بعد المراجعة والمراودة والمطالعة المكثة المتعبين فى هذا الفن كسرى المفتاح جزيرة مسيلمة كذاب
عوايق الزمان وطوارق الحدثان من اعضاء تلك العزيمة الى ان ورد الامر الاسناد المستطاد انا ابدا فضله
فاشاد وكان الاشادة الى حسنا وطاعته على حسنا لميل وقع فى خاطرى من ان امر
وطلبهم تلك التعليقة هذا استهام من العالى الى ذلك الخاطر فلم يبق الى ان وقفت الزمان
فصممت العزم على امتثال امر دشمرت عن ساق الجد شرعت فيه بستعيذ بالله وسوكلا عليه
الباعة وقلة البضاعة مقدما بان شتى منها كان رتحا دون النيل وبكاى وبها تحادون الغلل
فها انذا طافتى ومقصودى الذكر بعد حلى والمامول من حسن شيم المولى المشار اليه ضاعف الله جلاله

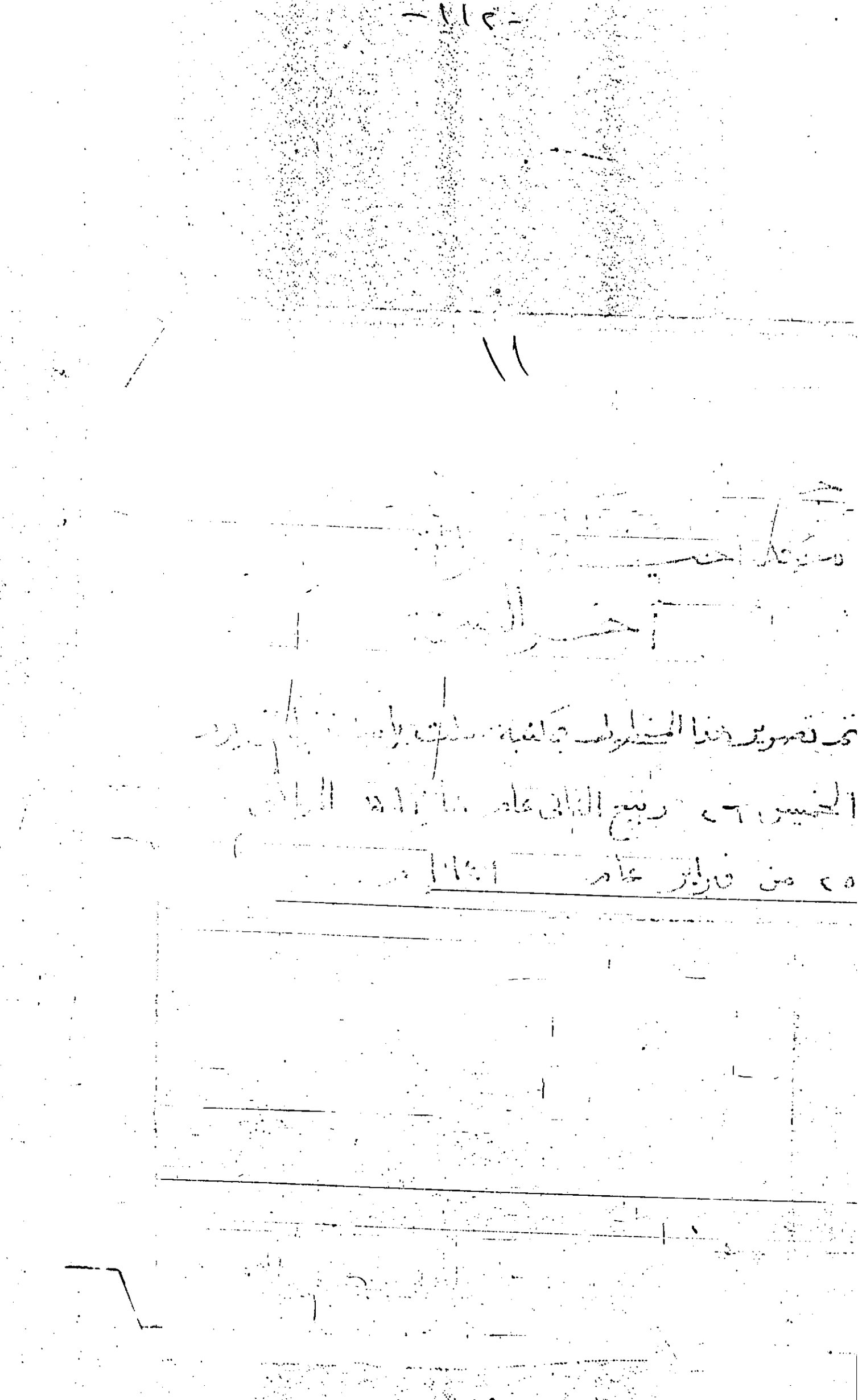
نهاية النهاية الأمل

التمسك بشعبة من التمسك بصريح ما هو المجزوم به وقوله تعالى بسببه جبل ممدود من السماء الى الارض وقيل
تلويح الى معنى قوله تعالى وتوسيطا لتعاونا بعد تكلمه فجعلوا الارض وابتغوا منه ينابيع الانهار
في مهواة قبيحهم مشغولون بشهواتها وان الله تعالى يسند رفعهم فيدلي جبل من السماء اليهم فيختطفهم
من ذلك الورطة لمن تمسك بحبل من احبار اليهود ورهبانهم قولون فالله الله بالاسلام معنى التمسك
بالقرآن العمل بما يتبدو من الايمان به وامتثال اوامره ونواهيه والتمسك بالعترة محبتهم والاقتداء
بهديهم وسيأتي قسم في قوله اني تارك فيكم اشارة الى تحقيق منزلة المؤمنين الخلفين من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه يوصي الامة بحسن المخالفة معهما وانه يرجحهما على انفسهم كما يوصي الاب الشفيق
الناصح في حق اولاده في بعض الروايات الاخر لمسلم اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
كما يقول الاب المشفق اتقوا الله في حق اولادي وفي معنى كون احدهما اعظم من الاخر ان القرآن مواسوة
للعترة وعليهم الاقتداء به ومنها ان الناس بالعمل بما فيه ولا سبيل الى ذلك الا بتوسيطهم وانما
العترة بالقرآن فيجب اجتهم لا يخ من معنى قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى
فانه تعالى جعل شكر انعامه واحسانه بالقرآن مشروطا بحبتهم على سبيل الحصر وكذا قوله صلى الله عليه
وسلم اني تارك فيكم امرين الخ جعل بقاء الشكر وقيد تلك النعمة به وبعدم رفعه عن الكفران فمن قام بالرعية وشكر تلك
النعمة بحسن ملازمة بينهما لان من قام بالقرآن قام في مقتضى القيامة ومن قام بحقهم فقد قام بالشكر
لان سببه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبيذ موجبه بكافيه والله تعالى يجازيه
بالجزاء الاوفى ومن ابتغاء الرعية وكفر النعمة تحكم على العكس فعلى هذا التأويل حسن موقع قوله
فانظروا كيف تخلفوني فيهما الحث على النظر بمعنى التدبر والتفكر اي تأملوا واستعملوا الروية في اختلافي
معهما هل كان لي عنهما مندوحة او خلف وان استغربت فيه فاني بينا قائد في موارد الخير حتى يرد
على الحوض متمسكا بما وزود عن سوء الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الرمد وان البدن والعمل انما
يابيان يوم القيامة كانهما سقاء او عيبة كانهما فرقان من طير سواق تحاجان عن صاحبهما وان
استبعدت قولي فما تقول ان خلفان اشد لك قول الاعشى

لئن لمتردين بصهباء راح عوض الى النار الندى والعاتق
رضيعي لبان ثدي حلم تقاسما بأسحم داج عوض لا نفرق

اقول ان الاعشى حيث جعل الممدوح يعني الحارث احد نوعي الخمر لكثرة صدور عنه كما تشير اليه في قوله
حاتم الجواد جعلهما اخوي ام واحدة راضعين ثديها وما الذي بذلك بل ذكرا تهما تحاشيا على ان الخمر قد
انكفا بها ما عيبته كل الامور والاحوال ٥ تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه في العاشر من شهر رمضان المبارك

١١



براءة السماع

شرح لبيام

ولي الدين جار الله

المكتبة ـــــ خزينة أيتا، بإذن رقم التصوير ـــــ

رقم الصورة ١٨٢٩ ـــ ١٠٥/١٩٧

اسم الكتاب ـــ حاشية البناني على شرح الجلال المحلي

على السلم الطبي

اسم المؤلف ـــ علي بن حسن بن عبد الرحمن العدوي

تاريخ النسخ ـــ ١٢٤٤ هـ بخط محمد عليش بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

عدد الأوراق ـــ ٩٠ ـــ القياس ٢٥×١٥ سم

الملاحظات ـــ

لوجه عيب التصوير كما في الكاميرا ولا تقصير في التصوير

المشرف

الفني

حدائق البيان شرح التبيان

٩ الاغم ١٢ الاسناد ٢١ مسند اليه ٣٠ حصل وصل ٤٣
٥٩ طلب ٦٥ فنى استفهام ٧٦ امر ٧٩ نهى ٨١ انشائيات ٨٣ ايمان
٨٩ غرض ٨٩ احوال ٩٢ اداة ٩٣ مجاز ٩٣ حصه ما فعيل اله ٩٥ مرسل
١٠٤ احاطه حسن الاستعاره ١٠٣ مجاز عقلى ١٠٩ كنايه ١١٠ تلويح
١١٦ بديع التقاسيم ١١٨ خطاهام تعليمه تحاصل الحكيم ١٢٠ ايهام توجيه لغز
١٢٣ بدايع النحويه ١٢٣ مذهب كلاى حسن تعليل ١٢٣ مراجعه ١٢٣ اوراق الكلام
١٢٦ ايراد المثل تحسين الرجوع الى اللفظ المعنى ١٢٧ مقابلة ١٢٨ مزاوجه
١٣١ تكرير ١٣٣ العدد العكس ترتيب تذييل ١٣٣ تكميل ابغل تتميم ١٣٥ فرق
١٣٦ استدراك استتباع ادماج تاكيد المدح بما يشبه الذم ١٣٧ رجوع تورية
١٣٩ الجمع التفريق التقسيم الجمع مع التفريق ١٣٩ التفريق
١٤١ العقد الحل تلميح ١٤٣ شرح ١٤٥ مشرح احتراس
١٤٩ عكس تبديل رد العجز على الصدر تصريع ١٤٩ تسهيم ١٤٩ ترصيع
١٦١ معادله ١٦٣ مناقضه ١٦٣ سهل ممتنع مطابقه ١٦٣ شرح ما يتعلق بالحديث
١٦٦ نظر من جهة البيان ١٦٦ نظر من جهة البديع والفصاحه

١٠

١١٤ مسرة ١٠

رقم الدير عبارة عن

رقم الكتاب ١٨٢٩ سنة ١٠٧/١٠٧

اسم الكتاب

اسم المؤلف

تاريخ النسخ ٧٤٤ هجرية

عدد أوراق ٩٠

الملاحظات

نسخة ١٩ السنة

ع

وقف محمد ره

مركب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان

بداية النحو



عن قوله وقد ذكر ان هذا اي انت عارف لايفيد التخصيص انكلام صاحب المفتاح لايشعر به فهو انه ذكر ويقرب من قبيل انا عرفت وانت عرفت وهو عرف في اعتبار تفوي الحكم زيد عارف وهذا الكلام من اين يدل على انه لايفيد الاختصاص لان تخصيص الشيء بالذكر لايدل على نفي الحكم عما عداه واما قوله وما انت علينا بعزيز فليس من هذا الباب لان هذا الفصل لمتعلقات الفعل فمنظور فيه لانه وان لم يكن فعلا صريحا فانه يشبه بالفعل الاتري الى قول صاحب الكشاف كيف صرح بذلك الفعل في قوله ان ايلاء الضمير حرف النفي يدل على ان الكلام في الفاعل لا في الفعل وقول المصور اخرا ايضا من اعضاد قول الشيخ بن لانه لما اعترف ان لنفي الفعل عن الذات باذ قال حرف النفي على الذات اثر اي تخصيصها لنفي اعترف ان في الكلام عدولا عن الاصل وهو انهم اتفقوا على ان ما لنفي الحال لا الذات فيجب ان يكون موضوعها الفعل اي يصير ملخوف على انه سؤال عن مقدر ذكر وهو معنى التقديم المفيد للتخصيص بقدر اني الاحوال والله اعلم قوله واما قدر جوابا واستقلالا الضمير راجع الى لفظ لا الذي المنطوق والمفهوم كقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها والمعنى واستقلال كل من الولا التين بجب اللفظين اي في قوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله وما انت علينا بعزيز تنبيه واما قدر جوابا عن سؤال مقدر وهو تفسير لجواب شعيب عليه السلام اعز من الله بقولكم من بني الله لا طابق قولهم وما انت علينا بعزيز لانهم نفوا عنه العزة نفيا بليغا مؤكدا على الطرد والعكس كما سبق فلا يجوز ان يقال في جوابهم اعز لان افعل التفضيل يدل على وجود عزة فيه واجاب واما قدر اعز من بني الله ليتنبه على ان نفي العزة عنه مستلزم لنفي العزة عن الله لان من حق الظاهر ان يجيب عليه السلام عنهم على سبيل الانكار ارهطي عزيز ودي لكن اراد انكم راعيتم حرمة قرابتي الى الرهط وضيعتم نسبتي الى الله بالنبوة فانكم زعمتم ان القوم اعز من الله فكان القوم بالقوافي المكاحة حيث كرروا نفي العزة عنه واثباتها له بالغ نبي الله في الرد عليهم واظهر مدح نفسه ومكانته من الله عز وجل وان عزته عزة الله ونظيره قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اي يؤذون رسول الله ولما كان صلوات الله عليه من الله تعالى بهذه المنزلة وجعل ايذاءه ايذاء له قال الحاصل ان قوله اما قدر اعز من بني الله ليس المراد منه تقدير مضاف لتصحيح المعنى بل المراد منه لازم معناه فان نفي العزة عن بني الله مستلزم لنفيها عنه تعالى والارتياب في انه تعالى لكان عزيزا عند هؤلاء بل اعز من كل شيء مما سواه لقولهم ما لا نشفقا ونا عند الله فحينئذ يكون قوله

معد والده وماده علم البيان والقصد غلق خرم هذه النسخة والله الموفق

ورق ٥٥ سطر ٢١

ثاني سطر ١٩

تتمة ورقة ٧٢

نهاية النسخة

مرتبطة عطف على قوله معنى واحدا اي معنى واحدا او في حكم واحد قوله وصاعقة
السم الصاعقة هي نار تسقط من السما في رعد شديد من نصله اي من نصل
سيف الممدوح ينكفين بها اي يرجع بتلك الصاعقة قالبا للتعدية والا نكفا الرجوع من
كفات القوم كفا اذا صرفتهم عن مقصدهم الى غيره فانكفوا رجعوا وقيل لد
اخذ من قولهم كفات الاناء لبيته وقلبته فانكفا انقلب لكان احسن في التشبيه وابلغ
لانه من قلب الحقايق كانه انقلب الياس الى النائل والتقويت الى الخيوت القرت
بكسر القاف كفوك في الشجاعة على المحاربة وفاعل تنكفي حسن سحايب اي انامل
فوضع السحايب موضع الاصابع تنبيها على التكميل وانضمام الجود مع الشجاعة
اذ لو اتي بدل السحايب بالاصابع لاقتصر على الشجاعة لانه حينئذ لم يتجاوز عن
حديث الشجاعة الى حديث السخاوة اذ السحايب انما تستعار للجود والسخاوة
والبيت الثاني بيان للبيت الاول تغني قنا الثغي واحد اثنا الشي اي تضاعيفه
المتواضب القواطع وعكس المعنى ابو الطيب حيث قال فوضع الندي في موضع
السيف بالعلي مصر توضع السيف في موضع الندي قوله او في حكمه اي يكون
الجامع متعددا لكنه في حكم واحد كاحد الزنبه والخلاصة من الجوع في
العقلي او يكون منتزعا من عدة امور متوهمة في التمثيلي وحق التقسيم ان يقال
الجامع اما امر واحد او في حكم واحد او متعدد كما سبق في التشبيه عند قوله لها بد
كاس وهي شمس يديرها البيت وكنوه من الاتيان لكن ترك
الثالث لاسقاطه في الاعتبار مع انه ذكر في اخر الاقسام في
السادس مناسبا لامثلته بخورايت شما قوله الى اصليه
وتبعيه وانما سميت تبعية لان المستعار لم يصلح ان يوصف
فيجعل تابعا للمصدره ان كان صفة او فعلا او يجعل تابعا
لمتعلق معناه ان كان حرفا والاصلية بخلافه الاستعارة الاصلية
قوله والتشبيه وصف لان قولك زيد اسد اثبات لزيد
وصف الاسدية اي الشجاعة وفي الاستعارة المشبه به
مثلا ينوب مناب المشبه فيصير موصفا حينئذ هو
او الموصوف لا يكون الا حقايق كرجل وجسم
وقيام وقعود وبياض وسواد فانها تقع موصوفات
وما لم يكن حقايق كالاوصاف والافعال والحروف انما يقع فيها
الاستعارة بالتاول كما سيجي قوله الى بصرح بها وانما كان
مصرحا بها لكون المشبه به صرح بذكره ومكنيا عنها
لان المشبه به لم يصرح بل كني عنه ودل عليه بذكر لازمه الاستعارة التحقيقية

قوله

هذه النسخة الجيدة الخط لم
يتم منها الكلام على جميع ابواب
علم البيان بل توقفت عنه تقسيم
الاستعارة التحقيقية الى المجردة
والمرشحة

وتابعتها النسخة الرديئة الخط
من ورق ٧٢ الى ١٠٧

بداية النجوم

ن افرد استقلالا لكنه شعبة من البديع من
ث انه يزيد الكلام مبالغة وتتميما شعبة
جز بعد والنكتة في هذا الفقرة ان القمر على زعم الخال
ب النور من الشمس كذلك يكتب علم المعاني الرونق
م البيان وايضا في جعل لبسنا تحامده علة للسبع
، الشاعر وما ان مدحت محمدا بقالتي ولكن مدحتني فقالتي
هب ان القمر يكتسي النور من الشمس فما بال النجوم
ن احدها ان ظهور اشراق النجوم انما يكون في غيبوبته
ت غيبوبتها سببا لاشراقها فصح التعليل بقوله من شموس
ن جهتها وثانيهما على طريق التغليب على البدور التي
تتبع قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات
، وسلطانه في سماء الدنيا وقوله اشرقت استعارة تبعية
ه والبيان الذي في نكات المعاني ولطايفها باشراق الكواكب
ين والمجرورين من قلوس قوله بسنا ومن شموس والظرف
ها المعاني والمرفوع فاجمر وبدور تزاين لها ويجوز ان
متعارة فتحامده على سبيل المكنية شبه محامد الله تعالى بماله
ير من تشبيها بليغا ثم ادخلها في جنسها ثم جعلها متجانبة
ر تتوهم لها ما يلازمها من السنا واضاف اليها لتكون قرينة
ا اذا روي السنا مقصورا واذا روي ممدودا بمعنى الرفعة
لمشبه به ماله ارتفاع كالسما والجبال ويجوز ان يكون الممدود
من الضيا كما قال ابن جني وعلى هذا النمط قوله سما المعالي شيمت
ه الرايقة بصابيح تزين السما تخييل للمشبه ما يلازم المشبه به من
واضيف اليها ويكون قرينة وكذا شموس البيان شبه البيان في رفعة
ها ثم اضيف اليه ما يلازمها من الشموس على سبيل التخييل
ا انه اجتمع في هذه الفقرة جميع انواع الاستعارات
ها انها فالتخييلية والمكنية ما قررناه والمصرحة الحقيقة
ها وبدور لان المشبه المتروك معقول والقرينة سما المعالي
التبعية هي اشرقت كما مر والتمثيلية هي اذا اعتبرت المجموع وانتزع
منها امور متوهمة واما التفريع فلان كلا من الاستعارات المذكورات
بالترشيح تاخرن والتمريد اذا قيل ان انجما وبدورا استعيرتا للنكت
واللطايف فان ذكر المحامد والبيان ملايمان لهما وكذا الحكم في كل من

نبيه هي اشرقت ثم مراد اصل الاستعارة
قبيل الاستعارة التصريحية بان شبه النكت
واللطايف بالانجم والبدور ثم ابقي اشرقت
دل هو على معناه الحقيقي ترشيح الاستعارة
ثم ان خيلت الاستعارة التي اشرقت شبه
باشراق الانجم والبدور ثم جرت في افعال ذلك استعارة
لكن الانجم والبدور حينئذ على حقيقتها
مع التصريح بلفظ الانجم والبدور

نسخة الخ

٢٦٧ / ١٢

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قسم تصوير المخطوطات

النهاية

بداية النحو

هذا علم البيان من كتاب التبيان

لعلامة اليمني

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين هو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق
مختلفة الدلالة بالخفاء على مفهومها تفاديا عن التخطأ في التطبيق لتمام
المراد بنفي تمام المراد كنه ما يقصده البليغ من المبالغة وبالمعنى الواحد ما
تقتضيه علم المعاني وبالطرق التراكيب المختلفة بالخفاء اشارة الى المعرفة على التلميح
في هذا الحد قد سبق بيانها في حد المعاني واللام في قوله في التطبيق للعهد اي
التطبيق المذكور وهو تطبيق الكلام لمقتضى الحال بالمقام حيث تتفاوت
المقامات في اقتضاها المبالغة على تفاوتها من مواقع المعاني وقوله من
المبالغة بيان لقوله كنه ما يقصده البليغ بعض تمام المراد استيفاء البليغ
الخاصية من التراكيب مع ايراده فيه ما يتضمن المبالغة من التشبيه والمجاز
والكناية وهو المعنى بقوله كنه ما يقصده البليغ وذلك ان البليغ اذا
اراد ايراد كلام في غرض من الاغراض فان ضميره يجب اقتضاء المقام لأتيانه بفاعل
مقصوده بعبارة خاصة التراكيب عن المعنوت عنها في علم المعاني
اذا اقتضى المقام المبالغة ولابد من ايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية
على وجهها مع توفية تلك الخاصية ليتم مراده وعلم من ذلك ان المفقودين
في حد المبالغة الى حد لم يبلغ الرجل بعبارته كنه مراده كما تقرر واعلم ان
كلام البليغ كما يقتضي التأكيد تارة نحو زيد قائم وان زيدا قائم
اقتضاه المقام ضعفا وقوة كذلك يقتضي تارة كلامه المبالغة اخرى
نحو زيد مضياف وزيد كثير الرماد وزيد سهل الفصيل بحسب المقام
ضعفا وقوة والاول يبحث عنه صاحب المعاني والثاني يبحث فيه صاحب
البيان ويظهر من هذا ان صاحب المعاني ايضا يبحث عما يراد من
واحد من طرق تختلف باعتبارات المقامات كصاحب البيان لكن الفرق
بحسب التأليف ونحوه والمبالغة والتتميم ويظهر منه ان البيان كالتتمة
للمعاني واليه اشار صاحب المفتاح بقوله ولما كان علم البيان شحيحة من
علم المعاني لا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من
المفرد وكان من الواجب ان يكون البيان حالة كل نوع حالات علم
المعاني ولكن كان ذا ذيول واطراف واقسام مختلفة افرد عن
المعاني كما يفرد التشريح والقراءة من الطب والصرف والاشتقاق
من النحو وانما قيد الدلالة بقوله على معناه احترازا
عن الالفاظ المترادفة المختلفة بالخفاء لان خفاءها ليس باعتبار
مفهوم التراكيب بل باعتبار منظوريتها لقلة دورها على الالسنة وذلك
غير بحث في البلاغة وانما قيد الدلالة بقوله على معناه

شواهد

الخليفة بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم واوصى الخليفة بالانصار الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل ان يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم . فلو كانت الامارة فيهم لكان الامير يوصي بتعهد المأمور بان يحسن اليه ويتجاوز لا عكسه اي لا يوصي المأمور بالاحسان الى الامير ويتجاوز قال رحمه الله تعالى وقال الامير لابن الاقرع انشدني لبيد من ابياته

كميت اذا شحت فوق الكاس وردها ... كهام فعظم الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه ... لوجه اخيها الوالد بشروب

فقال الوليد بتقاوز رب الكعبة فقال لبيد كان وصفي لها يا ابن معرفتك بها فقوله كميت شبه الخمر بالكميت من الحمرة والشدة الجريان في المفاصل ثم حذف المشبه الذي هو الخمر وافهم الشبه فصار استعارة والقرينة شحت اي كسرت بالماء والكاس تحريك والورد ترشيح لها وقوله كهام فعظم الشاربين دبيب استعارة متفرعة على الاولى حيث استعار لجريانها في المفاصل بالدبيب هو وصف للحيوان وقوله تريك القذى اي الكاس تريك ما في من الكفاءة اتها والحال ان الكاس قدام القذى لصفائها ولطافتها وقوله لوجه اخيها اي لوجه شاربها عبوس جملة استئنافية وسوغ قوله لعمر ابن معرفتك بها الزمه في الجواب يعني ما الزمه في السؤال يعني كانك نسبت اني شربت بسبب وصفي اياها بما فيها كذلك البك الشرب بسبب معرفتي اياها كما هو عليه تميم البيت القطامي وقال في الاهنا يقول قبيلة بني تميم في طرق الحماسة اهدى من القطا ان ... وقد شاعرا بارد فقال من بني تميم فقال

تميم نطرق اللوم اهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلت

قال نعم تلك الهداية جبلت فجبل واستكمله واجاره القطا يضرب في المثل في الاهتداء يقول قبيلة بني تميم في طريق الخساسة واللوم اهدى من القطا فقوله نعم تلك الهداية جبلت عن القول بموجب بعض ما ذكرته ان اهدي الى اللوم من القطا ولكن اللئيم انت خلقت كذلك واهتديت اليه فالزمه كما ترى قال ... وقال الاخر

دع النجوم لطرف يعتني به ... وبالعزائم فاخلص اينما الملك

ان النبي واصحاب النبي نظروا ... عن النجوم وقد ابصرت ما ملكوا

خاتمـــــــــــة

الحمد لله على آلائه التى لا تحصى ، ونعمه التى لا توصف أحمده حمد الشاكرين الذين قـــال عنهم ((وقليل من عبادى الشكور)) ، أحمده على عونه ، وتوفيقه ، أولاً وآخراً ، على اتمام هـــذا البحث على الوجه الذى أرجو أن يكون قريباً من الوفاء والكمال وماتوفيقى إلّا بالله عليه توكلت وإليـــه أنيب . . وبعد . .

فخلال هذه الدراسة للكتاب ومؤلفه ظهرت بعض النتائج والتى منها يعتبر الامام شرف الدين الطيبى من علماء البلاغة و البارزين وإن لم يكن صاحب منهج جديد ومبتكـــر فى الدراســـــة البلاغيّة لكن له جهود متميّزة فى الدراسة التطبيقيّة ، وله ذوق رفيع فى اختيار الشواهد ، واستخراج الصور ، والأساليب البلاغية منها ، ولعلّ خير شاهد على هذا كتابه التبيان الذى غطـــــت دراسته علوم البلاغة الثلاثة المعانى والبيان والبديع وفنّ الفصاحة مع اكثاره من الشواهد القرآنية ، والشعرية ، والنثرية وتحليل ودراسة الكثير منها ، أمّا الشارح الشيخ على بن عيسى فكان من أهـــل العلم والفضل يشهد لفضله وفاؤه لشيخه الامام الطيبى ، واشادته به مع حسن السيرة ، وصحـــــة العقيدة ، ويشهد لعلمه كتابه الحدائق الذى أحسن فيه شرح كتاب شيخه الطيبى وهو التبيـــان ، وقد برز جهد الشارح فى دراسته لكثير من المسائل البلاغية التى هى محل خلاف بين البلاغيين ومناقشة لها مثل تقديم المسند إليه متى يفيد التخصيص ، ومتى يفيد التقوى ، والاستعارة بالكناية ، والمجـاز العقلى ، وهو فى الغالب لا يختلف رأيه عن رأى شيخه الذى يتفق فى كثير من المسائل مع السكاكـــى ويؤيده ، وينتصر له ضد غيره كالخطيب مثلاً ، ولعلّ أبرز مايميز جهد الشارح بالاضافة إلى هـــذا دراسته المتميزة للشواهد التى تعدّ لبّ الدراسة البلاغية ، ففيما يتعلق بالشواهد القرآنية كانـــت للشارح فى كتابه نظرات وتأملات فى استجلاء دقائق النظم القرآنى والكشف عن أسراره البلاغيّة ، وأمّـــا ما يختصّ بالشواهد الشعرية فإنّه قام بشرح كثير من الأبيات ، وتحليلها تحليلاً بلاغياً يبرز بوضـــوح دقّة فهمه ، وذوقه الرفيع ، هذا بالاضافة إلى اختياراته الشعرية المتميزة ، ولعلّ هذه بعـــض النتائج التى ظهرت من خلال هذه الدراسة .

وفى الختام أسأل الله العلم النافع والعمل الصالح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علـــى سيدنا محمد امام أهل البلاغة والبيان وعلى آله وصحبه وسلم . . .

فهرس موضوعات الدراسة

العنوان	رقم الصفحة
= مقدمة	١
= تمهيد - التبيان مؤلفه وشارحه -	٧
أولا : الامام شرف الدين الطيبى فى نظر العلماء	٧
اسمه ونسبه	٧
شيوخه	٩
تلامذته	٩
مع الطيبى فى سيرته	٩
مكانته العلمية	١٠
مصنفاته	١١
وفاته	١٣
ثانيا : كتاب التبيان التحقيق والدراسة .	١٤
الكتاب بين أيدى الدارسين	١٤
موضوعات التبيان	١٨
التبيان المنهج والخصائص	٢٧
قيمته البلاغية	٢٧
من جهود الطيبى فى كتابه	٢٨
مصادره	٢٩
ثالثا : الشيخ على بن عيسى تلميذ الطيبى :	٢٩
من الشيخ على بن عيسى ؟	٢٩
مكانته عند شيخه الطيبى	٣٠
وفاء الشارح لشيخه	٣١
اشادته به وبيان قدره العلمى	٣١
تواضع الشيخ على بن عيسى رحمه الله تعالى	٣٢
أمانته العلمية	٣٣
عقيدته رحمه الله تعالى	٣٣

العنـــــوان	رقم الصفحـة
ردّه على المتفلسفة وأتباع الفرق الضالة	٣٤
وقفات مع الشارح	٣٥
أبرز الملامح السياسية في عصره	٣٨
الحالة العلمية في عصره	٤١
= القسم الأول : الدراسة :	٤٣
حدائق البيان الغرض والخصائص	٤٣
أهمية علم البلاغة في نظر الشارح	٤٣
جهده في تحصيل علم البلاغة	٤٤
غرضه من وضع هذا الشرح	٤٥
ملابسات وضعه لهذا الشرح	٤٥
دراسته للتبيان	٤٦
مصادره في شرحه	٤٧
منهجه في هذا الشـــرح	٥١
مناقشته للمسائل البلاغيـــة	٥٢
مناقشاته للسكاكي	٥٤
موازنته بين شيخه والسكاكي	٥٥
مناقشاته للخطيب	٥٦
وجهته البلاغية هي وجهة شيخه غالباً	٥٩
شخصيته العلمية	٦١
نظراته في النظم القرآني	٦٢
أ ـ عنايته بتوجيه القراءات القرآنية	٦٢
ب ـ استشهاده بالآيـــات الكريمة لبعض المعـــاني	٦٣
حـ ـ عنايته بأسرار النظم القرآني	٦٤

العنـــــــوان	رقم الصفحة
دراسته للأحاديث النبوية الشريفة	٦٨
اشادته بالذوق	٧٠
اختياراته الشعرية والرأى فيها	٧٠
منهجه فى شرح الشواهد الشعريه	٧٣
أ ـ شرحه للمفردات الغريبة	٧٤
ب ـ توقفه عند روايات البيت	٧٦
حـ ـ اعرابه لبعض تراكيبه	٧٧
د ـ عنايته بمعانى الأبيات	٧٩
هـ ـ اهتمامه بموضع الشاهد فيها	٨٠
و ـ استخراجه لبعض الأساليب والصور البلاغية منها	٨١
ز ـ دقة نقده للشواهد الشعرية	٨٢
ح ـ موازناته بين الأبيات	٨٧
ط ـ توثيقه للأشعار	٩٠
ى ـ ذكره لمناسباتها	٩١
شرحه للأمثال	٩١
دراسته للنصوص النثرية	٩٢
مناقشته للمسائل النحوية	٩٣
تعريفه بالأعلام	٩٥
= الباب الثاني : الفصاحة والبلاغة :	٩٧
مفهوم الفصاحة	٩٧
الفصل الأول : أوصاف اللفظة المفردة	٩٩
الفصل الثاني : أوصاف الألفاظ المركبة .	١٠٤
الفصل الثالث : مع فن البلاغة	١١٤
مفهومها .	١١٤
مراتبها .	١١٦

العنـــــــوان	رقم الصفحـــة
= الباب الثالث : علم المعـــــانى :	١٢١
مفهومـــه	١٢١
مسائل فى الخبر	١٢٤
الفصل الأول : الاسناد الخبرى بين الحقيقة والمجاز	١٢٨
المجاز العقلى	١٣١
الفصل الثانى : أحوال المسند إليه	١٣٧
تركـــه	١٣٧
ذكـــره	١٣٩
تعريفه بالاضمار	١٤٣
تعريفه بالعلمية	١٤٤
تعريفه بالموصولية	١٤٥
تعريفه بالاشارة	١٤٩
تعريفه باللام	١٥١
تعريفه بالاضافة	١٥٣
كونه موصوفـــاً	١٥٤
كونه مؤكداً	١٥٥
كونه مبينـــاً	١٥٦
كونه مبدلاً	١٥٨
كونه معطوفاً	١٥٨
فى اقتضائه ضمير فصل	١٦٠
تنكيـــــــره	١٦٠
تقديمـــــــه	١٦١
خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر	١٧٣
١ - وضع المضمر موضع المظهـــر	١٧٣
٢ - وضع المظهر موضع المضمر	١٧٤
٣ - وضع ضمير الجمع مكان ضمير الواحد	١٧٦
٤ - الالتفـــــــــات	١٧٧

العنـــــــــوان	رقم الصفحـــة
خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر	١٧٩
١ - الأسلوب الحكيم	١٧٩
٢ - القلـــــــب	١٨١
٣ - وضع المستقبل موضع الماضى	١٨٣
٤ - وضع الماضى موضع المستقبل	١٨٥
الفصل الثالث : أحوال المسند :	١٨٧
تركـــــه	١٨٧
ذكره	١٩١
كونه فعلاً	١٩٢
تعريف المسند	١٩٣
تنكيـــــره	١٩٥
تقديمـــــه	١٩٦
افراده	١٩٨
كونه جملـــة	١٩٩
تقييد المسند بالمفاعيل الخمسة والشرط	٢٠٠
الفصل الرابع : متعلقات الفعل :	٢١٤
ترك المفعول	٢١٤
تقديمـــــه	٢١٩
تقديم المعمولات الأخرى	٢٢١
الفصل الخامس : القصـــــــــر :	٢٢٧
مقومات القصـــــر	٢٢٨
مناقشات الشارح لآراء العلماء فى القصر الحقيقى	٢٢٩
مناقشات الشارح لآراء العلماء فى قصر التعييـــن	٢٣١
طرق القصـــر :	٢٣٣
١ - طريق العطف	٢٣٤
٢ - طريق النفى والاستثناء	٢٣٥
٣ - طريق إنمـــــــا	٢٣٧
٤ - طريق التقديـــــم	٢٤٠

العنـــــــوان	رقم الصفحـــة
فروق بين طرق القصـــــر	٢٤١
تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء	٢٤٢
الفصل السادس : الفصل والوصـــل :	٢٤٥
الأصول الأربعة للعطف عند الطيبـــــى	٢٤٥
الأصل الأول تقدم متبوع واف بما قصد	٢٤٥
الأصل الثانى مشاركة المعطوف والمعطوف عليه فى المعنى	٢٤٥
الأصل الثالث أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة	٢٤٦
الأصل الرابع اتفاق الجملتين فى الخبرية أو الطلبية	٢٤٧
شبه كمال الانقطاع أو القطع للاحتياط	٢٤٨
القطع الواجب إذا لم يقصد التشريك فى الحكم الاعرابى	٢٤٩
الاستئناف أو شبه كمال الاتصال	٢٥٣
كمال الاتصال أو الفصل لفقدان التغاير	٢٥٥
١ - تنزيل الجملة الثانية منزلة التوكيد المعنوى	٢٥٥
٢ - تنزيل الجملة الثانية منزلة التوكيد اللفظى	٢٥٦
٣ - تنزيل الجملة الثانية منزلة عطف البيان	٢٥٧
٤ - تنزيل الجملة الثانية منزلة البدل	٢٥٨
الفصل لفقدان الجامع	٢٥٩
الفصل لكمال الانقطاع بلا إيهام أو لفقدان الجامع	٢٦٢
مع الوصل بين الجمل	٢٦٥
الفصل السابع : الايجاز والاطناب والمساواة	٢٦٧
التقصير والاخـــلال	٢٦٧
التطويل	٢٦٨
رأى الشارح فى كلام السكاكى والخطيب حول الايجاز والاطناب	٢٦٩
مناقشة الشارح لكلام الخطيب فى المساواة	٢٧١
تقسيمات الايجـــاز	٢٧٣
الايجاز بحذف جزء جملـــة	٢٧٤
الايجاز بحذف جملـــــة	٢٧٥

العنـــــــوان	رقم الصفحة
الايجاز بحذف عدّة جمل	٢٧٦
إيجاز القصر	٢٧٧
إيجاز التقدير	٢٧٨
الايجاز الجامع	٢٧٨
الاطناب وصوره	٢٧٩
الاطناب بغير الجمل	٢٨٠
الاطناب في الجمل	٢٨٠
من صور الاطناب :-	٢٨١
التكريـــــر	٢٨١
أولاً : التكرير في اللفظ ومنه الترديد	٢٨٢
تكرير اللفظ لتقرير المعنى	٢٨٣
التكرير لطول الكلام	٢٨٤
ثانياً : تكرير المعنى دون اللفظ	٢٨٥
ذكر الخاص بعد العام	٢٨٥
ذكر العام بعد الخاص	٢٨٦
التذييل	٢٨٦
تنبيـــــه	٢٩٠
التكميل	٢٩٠
الإيغال	٢٩١
التتميـــم	٢٩٢
فائـــدة	٢٩٣
الاعتراض	٢٩٤
الايجاز والاطناب بتقليل الحروف وتكثيرها	٢٩٥
الفصل الثامن : الإنشاء الطلبي :	٢٩٧
التمنـــي	٢٩٧
الاستفهام :-	٢٩٨
الهمـــزة	٢٩٨

العنـــــوان	رقم الصفحـــة
هـــل	٢٩٩
أدوات الاستفهام الأخرى	٣٠١
الأمـــر	٣٠١
النهـــى	٣٠٢
النداء	٣٠٢
مجئ الطلب بمعنى الخبـــر	٣٠٣
= الباب الرابع : علم البيان :	٣٠٤
معنـــاه	٣٠٤
الدلالات وعلاقتها بعلم البيان	٣٠٦
وجه المبالغة فى علم البيان	٣٠٧
الفصل الأول : التشبيه :	٣١٠
طرفـــاه	٣١١
وجه الشبـــه	٣١٥
أ - كونه واحدا حقيقة	٣١٥
ب - كونه فى حكم الواحد ومنه التمثيل	٣٢٠، ٣٢٣
حـ - كونه متعدداً	٣٢٥
أغراض التشبيـــه	٣٢٦
أ - الأغراض التى تعود للمشبه	٣٢٦
ب - الأغراض التى تعود للمشبه به	٣٣١
التشبيه بين الحسن والقبح والقبول والرد	٣٣٣
تحول التشبيه من القريب المبتذل إلى البعيد الغريب	٣٤١
أدوات التشبيه	٣٤٢
الفصل الثانى : بين الحـــقيقة والمجاز اللغويين	٣٤٥
أ - الحقيقة اللغوية وأقسامها	٣٤٥
ب - تعريف المجاز اللغوى	٣٤٧
حـ - صور المجاز اللغوى	٣٤٩

العنـــــوان	رقم الصفحة
الفصل الثالث : المجاز المرسل الخالى عن الفائدة	٣٥٠
الفصل الرابع : المجاز المرسل المتضمن للفائدة وعلاقته	٣٥٢
أ ـ اطلاق اسم السبب على المسبب	٣٥٢
ب ـ اطلاق اسم المسبب على السبب	٣٥٣
جـ ـ تسمية الشئ باسم مايؤول إليه	٣٥٣
د ـ تسمية الشئ باعتبار ماكان عليه	٣٥٤
هـ ـ اطلاق الجزء وارادة الكل	٣٥٤
و ـ تسمية مايجمع بين المختلفين حقيقة ومجازاً	٣٥٦
ز ـ العلاقة بين الصارف عن الفعل والداعى إلى تركه	٣٥٦
الفصل الخامس : المجاز بالاستعارة :	٣٥٨
الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى	٣٥٩
قرينـــــة الاستعـــــارة	٣٥٩
تقسيمات الاستعـــــــارة	٣٦١
الاستعارة الأصلية وتقسيماتها	٣٦٢
الاستعارة التحقيقيـــــة	٣٦٤
الاستعارة التخييلية	٣٦٤
الاستعارة المكنية	٣٦٨
الاستعارة التبعية	٣٧٢
قرينة الاستعارة التبعية	٣٧٤
الاستعارة التمثيلية	٣٧٧
تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع	٣٧٩
شرائط حسن الاستعارة	٣٨٣
الفصل السادس : الكناية وأقسامها :	٣٨٨
الرمـــــز	٣٨٩
التلويح	٣٩٠
الايمـــاء	٣٩١
التعريـــض	٣٩٤
ترتيب الصور البيانية	٣٩٥

العنـــــــــوان	رقم الصفحـــة
= الباب الخامس : علم البديع :	٣٩٧
الفصل الأول : التحسين الراجع إلى المعنى	٣٩٨
التجريد	٣٩٨
التجاهل	٤٠٠
الإيهام	٤٠١
الابداع	٤٠٢
المذهب الكلامى	٤٠٣
حسن التعليل	٤٠٥
الكلام الجامع	٤٠٦
الفصل الثانى : التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى والرأى فيه	٤٠٨
المطابقـــــة	٤٠٨
المقابلة	٤١٠
المشاكلة	٤١٢
مراعاة النظير	٤١٦
الترقـــــــى	٤١٩
تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه	٤٢٠
اللف والنشر	٤٢٢
التقسيم	٤٢٣
الجمع مع التفريق	٤٢٤
الفصل الثالث : التحسين الراجع إلى اللفظ :	٤٢٦
الجناس	٤٢٦
أ ـ التجنيس التام	٤٢٧
ب ـ الجناس الناقص	٤٢٧
حـ ـ التجنيس الزائد	٤٢٨
د ـ التجنيس المركب	٤٣٠
العكس والتبديل	٤٣١

العنـــــــوان ٠	رقم الصفحـــة
ردّ العجز على الصدر	٤٣٢
التصريع	٤٣٣
الترصيع	٤٣٥
السجع	٤٣٧
لزوم مالا يلزم	٤٣٩
= الباب السادس : السرقات الشعريّة وملحقاتها :	٤٤١
النســـخ	٤٤١
السلـــخ	٤٤٣
المســـخ	٤٤٨
الاحتـــذاء	٤٤٩
الموازنة	٤٥٠
التضمين	٤٥١
الاقتباس	٤٥٣
العقد	٤٥٣
الحل	٤٥٥
التلميـــح	٤٥٦
= الباب السابع : فى حسن ملاءمة الكلام :	٤٥٩
حسن المطلـــع	٤٦٠
حسن المخلص	٤٦١
حسن المطلب	٤٦٤
حسن المقطع	٤٦٤
= القسم الثانى : التحقيـــق :	٤٦٦
توثيق نسبة الكتاب إلى الشارح	٤٦٦
وصف نسخ الكتـــــــاب	٤٦٧
المنهج الذى اتبعته فى تحقيقـــه	٤٧٠
خاتمـــــــة	٤٧١
فهرس موضوعات الدراســـــة	٤٧٢

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الأدب والبلاغة
فرع البلاغة

حدائق البيان في شرح كتاب التبيان

للشيخ علي بن عيسى

تلميذ الإمام شرف الدين الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ

تحقيق ودراسة

بحث مقدم للحصول على درجة العالمية العالية "الدكتوراة"

في البلاغة

إعداد الطالب

كامل بن محمد جمعان بن يوسف جمعان

إشراف فضيلة الأستاذ

الدكتور علي البدري حسين

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحـــــيم

- مقدمـــــة -

الحمد لله الذى أنزل على رسوله الكتاب بلسان عربي مـــبين ، وجعله معجزتـــه الكبرى الخالدة على مدى الدهور ، فتحدى به العرب والعالمين أن يأتوا بمثلـــه أو بعشـــــر سور من مثله أو بسورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك كله ، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير ، سيدنا محمد خير من نطق بالضـــاد امام البلغاء ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نشروا دين الله في الآفـــاق وسلّم تسليما كثيرا .

وبعد :-

فقد انصرف كثير من الباحثين ، وطلبة العلم الى احياء كتب التراث الاسلامـــي ونشرها في مختلف العلوم والفنون وفق مناهج العلم المستحدثة .

يحققونها توثيقا ودراسة ، ويخرجونها أقرب ماتكون دقة علمية للصورة التي تركهـــا عليها مصنفوها ، ويرتبون أقسامها ، وفهارسها ، ترتيبا ييسر الاستفادة منها .

وآثرت في هذه المرحلة من التخصص أن أضم جهدى الى جهود اخواني المحققين والدارسين ، وشاء الله لي أن أختار كتاب ((حدائق البيان في شرح كتاب التبيان)) بتوجيه من فضيلة أستاذى الشرف جزاه الله خيرا ، والحدائق كتاب ينتسب إلى الشيخ علي بن عيسى اختصر فيه كتاب شرح التبيان لأستاذه وشيخه الامام شرف الديـــن الطيبي

المتوفى سنة ٧٤٣ هـ ، ونهض بأعبائه العلمية في حضرة شيخه .

ولكتاب الحدائق بين كتب البلاغة قيمة علمية متميزة ، جمع فيه صاحبه علوم البلاغة الثلاثة : المعاني ، والبيان ، والبديع ، موسعة مشروحة موضحة بصورها التطبيقية من القرآن ، والحديث ، والشعر ، فهو كتاب تطلبه الضرورة العلمية ، من هذا الجانب الممتاز ، وهو صورة للفكر البلاغي ، وصياغاته ، ومناقشاته لبضعة قرون من القرن الخامس إلى الثامن من الهجرة .

وانتهجت في رسالتي خطة ترسمتها في خطوطها الكلية وفي جزئياتها ، إذ جعلت بحثي دراسة وتحقيقا ، وقدمت لدراستي بهذه المقدمة وبالتمهيد الذى يليها وذيلتها بخاتمة وأخرجت الكتاب في التحقيق ، وأتبعته بفهارس متنوعة كاشفة .

وبدأت التمهيد بالترجمة للامام شرف الدين الطيبي ترجمة على قدر ماسمحت به كتب التراجم ، فأوردت ماذكر عن اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وشيوخه ، وتلامذته ، وسيرته ، ومكانته العلمية ، ومصنفاته ، ووفاته ، ثم عرجت على كتاب الطيبي ((التبيان في المعاني والبيان)) ، وهو المتن الذى شرحه كتاب الحدائق فألمحت بصورة توضيحية لكتاب التبيان وجهود محققيه .

ثم أبرزت منهج الطيبي في تبيانه وقيمته البلاغية ، وأظهر جهوده في هذا الكتاب ، ومصادره التي اعتمدها ، ثم تناولت الشيخ علي بن عيسى بالتعريف ، وصلته بشيخه ، وما كان له من اهتمام بعلوم البلاغة .

وذكرت لمحات عن الحياة السياسية ، والعلمية في عصره ، أما الدراسة فصرفت الجهد فيها لدراسة كتاب الحدائق وخصائصه ، ومزاياه ، فبدأت ببيان غرض الشيخ علي بن عيسى من شرح الكتاب ، وذكرت مصادره فيه ، وبينت منهجه الذى اتبعته وصورا للمناقشات التي دارت بين أئمة البلاغة - بين الطيبي والخطيب حول السكاكي - وأوضحت نظراته البلاغية الرائعة في نظم القرآن ، وبلاغة الحديث ودقته في استخراج الشواهد البلاغية من نصوصة شعرا ، أو نثرا ، ونوهت بجهوده في النحو وبتعرضه لقلة من الأعلام .

وختمت هذه الدراسة بأخص ما انتهيت إليه من نتائج وأتبعتها بفهرس للدراسة .

وأما تحقيق كتاب الحدائق ، فقد بدأت العمل بتوثيق نسبةالكتاب إلى شارحه ، وعرضت للنسخ التي اعتمدتها ، فوصفت النسخة الأم وغيرها ، وأوضحت منهجي في تحقيق هذا الكتاب ، وتتبعت الأقوال والاشارات البلاغية وعزوتها الى مصادرها .

ووضعت للكتاب المحقق مجموعة من الفهارس للآيات القرآنية وفق ترتيب السور في القرآن الكريم ، وفهارس على الترتيب الهجائي للأحاديث النبوية الشريفة ، والأبيات الشعرية ، والأمثال ، والأعلام ، والمصادر ، والمراجع .

هذا ملخص للخطة التي سرت عليها في هذا العمل ، وفي نهاية هذه

الكلمة الموجزة لا يسعني إلا أن أتمثل بكلام الامام شرف الدين الطيبي رحمه الله تعالى في مقدمة التبيان ، فبعد أن ذكر مابذله من جهد في كتابه قال :-

(ومع هذا لا آمن فيما أوردته من سلق اللسان ، وسبقه ، وطغيان اليراع وخرقه ، وأن الفاضل من تعد سقطاته ، وتحصى غلطاته ، مع أني بالقصور في الصناعة معترف ، ومن مزجاة البضاعة مقترف ..... والله أسأل الارشاد الى المراد ، والعصمة من الخلل في الاصدار ، والايراد انه ولي التوفيق ومبديه أزمّة التحقيق) .(١)

كما أتمثل بكلام الشيخ علي بن عيسى في مقدمة شرحه فقد قال : (..... شرعت فيه (أي الحدائق) مستعينا بالله ، ومتوكلاً عليه ، معترفاً بقصور الباعة ، وقلة البضاعة في الصناعة ، مقراً بأنّ شربي منها كان رشحاً دون النهل ومكاني سفحاً دون الظل ، فهأنذا أبذل طاقتي .

والله تعالى يضاعف التوفيق في احياء مراسم العلم واعلاء معالم الدين ، إنّه خير موفق ومعين) .(٢)

---

(١) الحدائق ، ص : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ .

(٢) الحدائق ، ص : ٧ .

هذا هو شأن علمائنا الأجلاء رحمهم الله تعالى في مصنفاتهم تواضع جم ، وانكار للذات ، وبعد عن الغرور والخيلاء ، فاذا كانوا هم بهذه الصورة ، فماذا أقول أنا وأمثالي من طلاب العلم الذين يضعون أقدامهم بخطى حثيثة على بداية الطريق لكني أقول إن هذا جهد طالب علم ، فان كنت أصبت فيه فذلك من فضل الله تعالى وتوفيقه ، وان كانت الأخرى فذلك من نفسي ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب ، ثم هو عمل بشري من سماته النقصان ، والنقصان في عمل كل انسان ، ولا كمال الا لله وحده ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

°

وفي الختام أدعو الله أن يجزى عني والدتي كليهما خير الجزاء في الدنيا والآخرة ، إذ لهما الفضل بعد الله تعالى في تربيتي وتوجيهي الى سلوك طريق العلم ، ونسأل الله أن يوفقنا للعمل بما علمنا انه على ما يشاء قدير ، كما أتقدم بالشكر الخالص والعرفان بالجميل لفضيلة الأستاذ الدكتور علي البدرى حسين الشرف على هذه الأطروحة ، فقد كان له الفضل بعد الله في توجيهي وتقويمي ، وقد منحني الكثير من وقته وعلمه خلال سنوات الدراسة والاشراف ، لم يضنّ عليّ بشيء من الفائدة والتوجيه ، حتى تمكنت

من اخراج هذا الكتاب على صورته المليئة من التحقيق والمقارنات ، فجـــزاه اللـــه عني وعن طلبتـــــه خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة .

كما أشكر كل من ساعدني ، أو وقف معي لاتمام هذا العمل ، وأشكر عمـــادة كلية اللغة العربيـــة ، وقسم البلاغة والأدب على رعايتهما الأمينة لأمثالي .

كما أشكر الجامعة الاسلامية التي يسّـــرت لطلاب العلم والباحثيـــن طريق التحصيل والبحث ..

اللهم لا علم لنا إلّا ماعلمتنا .. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالميـــن وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آلـــه وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيـــرا ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

- التمهيـــــد -

- التبيان مؤلفـــــه وشارحـــــــه -

نريد أن نلم في هذا التمهيد جهد المستطاع بحياة كل من الشيخين الحسين بـــن عبد الله الطيبي صاحب التبيان وتلميذ[٥] الشارح علي بن عيسى بما تسمح به المعطيـــات التي تضعها بين أيدينا مصادر البحث متعرفين ماكان لهما من السجايا والمزايـــا وأن نخص في هذا التمهيد كتاب التبيان المتن بحديث عن تحقيقه ونشره وما حوى مـــن المادة البلاغية .

- ((أولا : الامام شرف الدين الطيبي في نظر العلماء)) -

لقد ترجم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ للطيبي ترجمة مفصلة لكنها لم تشمل كل النواحي المتعلقة بحياته من جهة مولده وشيوخه وتلاميذه مثـــلا . فقد تحدث ابن حجر في هذه الترجمة عن اسم الطيبي ونسبه وبعض صفاته ، وعن حبـــه للعلوم الشرعية وطلابها وختم هذه الترجمة بذكر تاريخ وفاته .

وقد اعتمد هذه الترجمة العلماء[٢] الذين جاءوا بعد ابن حجر ولم يزيدوا على ماذكـــره سوى تعريفهم ببعض مصنفات الطيبي التي اطلعوا عليها وسأشير الى ذلك في موضعه عنـــد الحديث عن مصنفاته .

اسمه ونسبه :

لقد ذكر الشيخ علي بن عيسى في مقدمة الحدائق اسم أستاذه ونسبه عند تعريفه بـــه فقال : - ((... حسين بن عبد الله بن محمد الطيبي .....)) .[٣]

---

(١) انظر الدرر الكامنة : ٢/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) من أولئك العلماء جلال الدين السيوطي في كتابه بغية الوعاة وطاشكبرى زاده في كتـــابه مفتاح السعادة وحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون وابن العماد الحنبلي في كتابـــه شذرات الذهب والشوكاني في كتابه البدر الطالع والخوانسارى في كتابه روضات الجنات.

(٣) الحدائق ، ص : ٣ .

أما ابن حجر فذكر نسبه بأنه هو حسين بن محمد بن عبد الله، وتبعه في هذا صاحب كشف الظنون [١] وصاحب شذرات الذهب [٢] وصاحب البدر الطالع [٣] من الذين ترجموا للطيبي ، أما السيوطي [٤] فذكر أن اسمه (حسن) واتفق مع ابن حجر في نسبه ، وقد تبع السيوطي في هذا صاحب مفتاح السعادة [٥] وصاحب روضات الجنات [٦] ، والذي يظهر لي أن الأرجح والأظهر هو ما ذكره الشيخ علي بن عيسى تلميذ الطيبي ، فانه أعرف بشيخه من غيره لقربه منه وملازمته له ، كما سأبينه فيما بعد ، وقد اعتمد هذا محقق التبيان مستنداً على ما ذكره الطيبي في مقدمة كتابه فتوح الغيب وخاتمة كتابه أسماء رجال المشكاة من أنه حسين بن عبد الله بن محمد، وأيّد المحقق هذا بكلام الشيخ الشارح علي بن عيسى . [٧]

كما سار على هذا محقق كتاب الخلاصة في أصول الحديث وهو من كتب الطيبي معتمداً على الورقة الأولى من الكتاب نفسه وفيها أبو محمد الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، من هذا يتبين لنا أن الطيبي يكنى بأبي محمد . [٨]

ولقب الطيبي الذي اشتهر به هو شرف الدين يظهر ذلك من كلام صاحب كشف الظنون حيث قال :

((التبيان في المعاني والبيان للعلامة شرف الدين .....)) [٩]

وقال : ((حاشية على الكشاف للعلامة شرف الدين ....)) [١٠]

وقال : ((الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين ....)) [١١]

---

(١) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(٢) انظر شذرات الذهب : ٦/١٣٧

(٣) انظر الدر الطالع : ١/٢٢٩

(٤) انظر بغية الوعاة : ١/٥٢٢

(٥) انظر مفتاح السعادة : ٢/٩٠

(٦) انظر روضات الجنات : ص ٢٢٣.

(٧) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ١ ، ٢ .

(٨) انظر الخلاصة في أصول الحديث ص ٢٠ ، ٢٣

(٩) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(١٠) انظر كشف الظنون ص ١٧٠٠

(١١) انظر كشف الظنون ص ١٤٧٨

شيوخه :

لقد سكت العلماء الذين ترجموا للطيبي عن ناحية مهمة في حياته وهي الحديث عن شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم باستثناء ماذكره السيوطي معتمداً على حاشية الطيبي على الكشاف والذي ذكر فيه أنه أي الطيبي أخذ عن أبي حفص السهروردي [١] وقد حمل محقق التبيان هذا الأخذ على أنه بالواسطة على نمط الاجازة في رواية الحديث ، وهذا هو الأقرب إلى الواقع لأن أبا حفص توفي سنة ٦٣٢ هـ . والطيبي توفي سنة ٧٤٣ هـ مما يقتضي أن الطيبي عاش أكثر من مائة وعشرين سنة مما لا نعرفه في كتب التراجم .

وقد أشار محقق التبيان جزاه الله خيراً إلى شيخ آخر من شيوخ الطيبي وهو الامام فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي نزيل تبريز المتوفى سنة ٧٤٦ هـ معتمدا فيه على الدرر الكامنة [٣] وأيّا ماكان الأمر فقد كان الطيبي من أفراد الزمان علماً وخلقاً وتحصيلا .

تلامذته :

إن الذين ترجموا للطيبي لم يذكروا أحداً من تلامذته إلّا صاحب كشف الظنون [٤] هو الذي ذكر الشيخ علي بن عيسى من تلاميذ الطيبي، ويظهر أنّه اطلع على كتاب الحدائق كما ذكره محقق التبيان [٥] الذي ذكر شخصا آخر من تلامذة الطيبي وهو ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب بن محمد التبريزي العمري معتمداً على كشف الظنون [٦].

ولعل الشيخ علي بن عيسى يعد من أكثر الطلاب ملازمة لشيخه الطيبي ، وأقربهم إليه بدليل اشارة الطيبي عليه بشرح كتابه التبيان فرحم الله الجميع رحمة واسعة .

مع الطيبي في سيرته :

كان الطيبي رحمه الله تعالى كريماً متواضعاً كما عرف عنه التقوى ، والورع ، وشدة الحب لله ورسوله ،

---

(١) انظر بغية الوعاة : ١/٥٢٣

(٢) انظر قسم الدراسة من التبيان : ص ٦ ، ٧

(٣) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٦

(٤) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(٥) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٧ ، ٨

(٦) انظر كشف الظنون ص ١٦٩٩

ورده على أهل البدع ،والأهواء ، والمتفلسفة ، وكان حريصاً على توجيه تلاميذه إلى دراسة العلوم الاسلامية ، محبّاً لمن لمس فيه تعظيم الشريعة ،بل كان يساعد ، ويعين من يحتاج الى مساعدة،وقد أنفق ثروته التي جمعها من التجارة في وجوه الخير ، كما كان لا يضن على طلبة العلم بالكتب النفيسة [١] ويشهد لحبه واعانته لطلاب العلم وبخاصة طلاب علوم الشريعة الاسلامية حديث على بن عيسى عن شيخه رحمهما الله تعالى ، وذلك في فترة تتلمذه عليه اذ يقول في مقدمة الحدائق :- ((وهو أدام الله أيامه كثير الاهتمام بحالي عظيم الامتنان ، كامل الرعاية ، وافر العناية منعم علي بمزيد الارشاد والاسعاد ، وافاضة الخيرات والمبرات .....)) [٢]

انه الوفاء ولا عجب فمن أولى بالوفاء من العلماء رحم الله الجميع .

مكانته العلمية :

ان خير مايشهد للمكانة العلمية التي وصل إليها الطيبي رحمه الله تعالى المصنفات التي خلفها في علوم الشريعة الاسلامية والبلاغة،وماقاله عنه تلامذته الذين أخذوا عنه ، وعرفوا مكانته العلمية ،وماقاله عنه الذين ترجموا له ، فقد قال ابن حجر عند ترجمته للطيبي :- ((آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن شرح الكشاف شرحاً كبيراً وأجاب عما خالف مذهب السنة أحسن جواب يعرف فضله من طالعه)) [٣]

ويقول عنه تلميذه علي بن عيسى في مقدمة الحدائق :- ((إلى أن ظفرت بكتاب التبيان للإمام المحقق ، والحبر المدقق مالك أزمّة الفضل قدوة أئمة الأدب برهان المفسرين تاج المحدّثين ....)) [٤] وقال عنه في موضع آخر في نهاية شرحه لحديث سعد بن عبادة رضي الله عنه في آخر الحدائق حيث قال :- ((ولعمري أن من وقف على هذه الوجوه المستنبطة في الحديث شهد لجلالة دقة فهم مصنفه العلامة وذكاء قريحته الوقادة أنه ممنون بتوفيق الله ومنّه،ولا غرو أنه نسيج وحده في فنه فكم مثلها سحر البيان من عنده.....)) [٥]

---

(١) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٢) الحدائق ص ٣

(٣) الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٤) الحدائق ص ٣

(٥) الحدائق ص ١٧٣٦

كما قال عنه صاحب مفتاح السعادة عند ترجمته له :- ((الامام المشهور العلامة في المعقـــــول والعربية والمعاني والبيان)) [١]

فسقى الله جدثه بشآبيب الرحمات وأسكنه فسيح الجنات بما أسدى للعلم من آياد نافعـــــات كريمات .

مصنفاته :

ذكر المترجمون للطيبي بعض مصنفاته وقد طبع بعضها وعثر على بعضها مخطوطاً بالمكتبات وتلـــك المصنفات هي :-

١ - كتاب التبيان في المعاني والبيان وقد حقق في جامعة الأزهر بالقاهرة ، وحقق أيضا في جامعـــة بغداد بالعراق لكنه نشر هذه المرة .

٢ - كتاب تفسير للقرآن الكريم ذكر ابن حجر أن الطيبي كان يشتغل فيه في أواخر عمره من بكـــرة إلى الظهر ومن ثم يتوجه لقراءة صحيح البخاري إلى العصر لكنه لم يسم هذا التفسير . [٢]

٣ - كتاب الخلاصة في أصول الحديث ، والكتاب مطبوع بتحقيق د . صبحي السامرائي بمطبعـــة الإرشاد ببغداد سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

٤ - كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، ذكره محقق التبيان على أنه مخطوط بدار الكتب المصريـــة برقم ١٦٦ ضمن مجاميع والكتاب يقع في ٥٤ ورقة من ١٤٨ ورقة الى ٢٠٢ ورقة . [٣]

٥ - كتاب شرح التبيان أحال الطيبي إلى هذا الشرح عند كلامه عن رواية الحديث بالمعنى في كتابـــه الخلاصة فقال فيه :- ((فان السامع أحد رجلين اما أن لا يكون فقيها فيجب عليه أن لا يغيـــره لأنه غير عارف بالألفاظ المتشاكلة فيخطيء فيه أو يكون عارفا بها لكنه غير بليغ فربما يضع أحـــد المترادفين موضع الآخر ، ولا يقف على رعاية المناسبات بين لفظ ولفظ فإن المناسبة لها خواص ، ومعان لا يقف عليها إلا ذو دربة بأساليب النظم كما قررناه في شرح التبيان في قسم الفصاحـــة والله أعلم)) [٤]

كما ذكر علي بن عيسى هذا الشرح في مقدمة الحدائق عندما ذكر أهمية كتاب التبيان بالنسبـــة لفتوح الغيب فقال :- ((فلابد للطالب أن يقدم بين يدي الفتوح كتاب التبيان وشرحه)) . [٥]

---

(١) مفتاح السعادة : ٢/٩٠

(٢) انظر الدرر الكامنة : ٢/١٥٧

(٣) انظر قسم الدراسة في التبيان ص ٩

(٤) الخلاصة في أصول الحديث تحقيق صبحي السامرائي ص ١١٨

(٥) الحدائق ص ٥

وقد ذكر ابن حجر هذا الشرح عند ترجمته للطيبي [١] كما ذكره صاحب مفتاح السعادة [٢] عند حديثه عن مصنفات الطيبي وقد تبين أن في مكتبة جوزليلي على باشا باسلامبول بتركيا تحت رقم ٣٨٧ يوجد كتاب شرح التبيان في المعاني والبيان يقع في ٥٦٢ ورقة بخط عربي ونا قص من الأول [٣] لكني لم أستطع الاطلاع على هذه النسخة .

٦ - كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، ويطلق عليه بعضهم شرح الكشاف أو حاشية على الكشاف .

وقد ذكر محقق التبيان أنه توجد من الكتاب المخطوط نسخة بدار الكتب المصرية [٤] ، وذكر هذا الكتاب منسوباً للطيبي ابن حجر [٥] والسيوطي [٦] وحاجي خليفة [٧] وابن العماد [٨] وطاش كبرى زاده [٩] والخوانساري [١٠] .

٧ - كتاب الكاشف عن حقائق السنن ويطلق عليه بعضهم شرح مشكاة المصابيح ذكر محقق التبيان أنه يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية في الحديث تحت رقم ٣٠ وتنقص عدة أوراق من المقدمة [١١] ، وقد ذكر هذا الكتاب منسوباً للطيبي ابن حجر [١٢] ، والسيوطي [١٣] ، وحاجي خليفة [١٤] ، وابن العماد [١٥] .

٨ - كتاب لطائف التبيان في المعاني والبيان ذكره محقق التبيان وذكر أنه يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦ بلاغة م [١٦] .

---

(١) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٢) انظر مفتاح السعادة : ٩٠/٢

(٣) انظر فهرس كتبخانة جوزليلي على باشا ص ٢٨

(٤) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٩

(٥) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(٦) انظر بغية الوعاة : ٥٢٢/١

(٧) انظر كشف الظنون ص ١٤٧٨

(٨) انظر شذرات الذهب : ١٣٧/٦

(٩) انظر مفتاح السعادة : ٩٠/٢

(١٠) انظر روضات الجنات ص ٢٢٣

(١١) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٩

(١٢) انظر الدرر الكامنة : ١٥٦/٢

(١٣) انظر بغية الوعاة : ٥٢٢/١

(١٤) انظر كشف الظنون : ص ١٧٠٠

(١٥) انظر شذرات الذهب : ١٣٨/٦

(١٦) انظر قسم الدراسة في التبيان ص ٩

٩ - مقدمة في علم الحساب ذكرها عمر رضا كحالة عند ترجمته للطيبي .[١]

ولعل هذا يدل على أن حياة الطيبي رحمه الله تعالى كانت حافلة بالخصوبة والثراء في مجال التصنيف ، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه .

وفاته :

عرف عن الطيبي صلاحه ، وتقواه ، وملازمته للجماعة في الصلوات الخمس صيفا وشتاء وقد ضعف بصره في آخر عمره ، وقد توفي بمسجد عند بيته كان ينتظر فيه صلاة الفريضة بعد أن صلى النافلة في آخر يوم الثلاثاء بعد العصر بعد أن انتهى من درسه في التفسير من ثالث عشر شعبان سنة ٧٤٣ هـ[٢] رحمه الله رحمة واسعة بعد أن خلف لنا كثيراً من المصنفات المفيدة ولعل وفاته في المسجد وهو ينتظر صلاة العصر مما يشهد له بحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى فرحمه الله رحمة واسعة . . .

---

(١) انظر معجم المؤلفين : ٤/٥٣ ، طبعة دار احياء التراث ، بيروت .

(٢) انظر الدرر الكامنة : ٢/١٥٧

ثانياً : كتاب التبيان التحقيق والدراسة

الكتاب بين أيدى الدارسين :-

قام الدكتور عبد الستار حسين مبارك زموط بتحقيق ودراسة كتاب التبيان فى البيان للامام شرف الدين الطيبى وهى رسالة دكتوراة تقدم بها إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، كما قام الدكتور هادى عطيه مطر الهلالى المدرس بجامعة بغداد فى العراق بتحقيق الكتاب ، والتقديم له ، ونشر الكتاب فى طبعته الأولى بمطبعة عالم الكتب ببيروت - لبنان ، وذلك سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، وبالنظر إلى أن الشارح الشيخ على بن عيسى فى كتابه الحدائق لم يشرح كتاب التبيان كاملاً وإنما كان يأخذ عبارات من التبيان ، ويقوم بشرحها مما اضطرت معه فى التحقيق الى ذكر الكلام فى التبيان كاملاً فى أعلى الصحيفة ، ومن ضمنها العبارة التى شرحها الشيخ على بن عيسى ، وأضع تحتها خطاً لتمييزها عن غيرها ، وقد اعتمدت فى كتابة التبيان فى أعلى الصحيفة على النسخة التى بتحقيق الدكتور عبد الستار زموط ، وبالاضافة الى هذه النسخة المحققة اعتمدت على نسخة مخطوطة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم [٢٦٩٩ / ١٤ / ٤١٦ بلاغة] فإنى وجدت بعض عبارات التبيان التى ذكرها الشارح وان كانت قليلة إلا أنها تختلف عما هو موجود فى النسخة المحققة ، وأجدها تتفق مع النسخة المخطوطة لكن المحقق لا يشير إلى هذا الاختلاف بين النسخ أحياناً مع أنه ذكر أنه اطلع على نسخة عارف حكمت ، وقابل بينها وبين غيرها من النسخ ، مما يضطرنى إلى ذكر العبارة فى النسخة المخطوطة ورقم الورقة التى فيها ، أما ما يتعلق بتحقيق الدكتور الهلالى ونشره للكتاب فإنى لم أطلع عليه إلا فى أوائل سنة ١٤٠٩ هـ ، وحينها كنت قد انتهيت تقريبا من التحقيق لهذا لم أتمكن من اعتماد النسخة المنشورة ، لكن لما جرت العادة أن دراسة الكتاب تتأخر عن تحقيقه تمكنت من الموازنة بين عمل الدكتور عبد الستار وبين عمل الدكتور الهلالى فى كتاب التبيان فظهرت لى بعض النتائج التى منها :-

أولا : ما يتعلق باسم الكتاب فان الدكتور عبد الستار سار على أن اسم الكتاب هو : [التبيان فى البيان] معتمداً على مقدمة الطيبى فى الكتاب حيث قال :- ((..... فجاء بحمد الله نوراً لحدقه التبيان ونوراً لحديقة البيان فوسمته بالتبيان فى البيان .....)) .(١)

---

(١) قسم الدراسة من التبيان ص ٢٨ .

أما الدكتور الهلالى فإنه سار على أن اسم الكتاب هو :- التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان .

ثانياً : ما يختص بنسب الطيبى سار د .عبد الستار بأن نسبه هو حسين بن عبد الله بن محمد الطيبى[1] كما حققته سابقاً ، أما د .الهلالى فذكر أن نسب الطيبى هو حسين بن محمد بن عبد الله الطيبى ، ويرى أن هذا ما أجمعت عليه المصادر والمراجع[2] لكن التحقيق ما ذكره د .عبد الستار كما بينته سابقاً عند الكلام عن ترجمة الطيبى رحمه الله تعالى .

ثالثا : اعتمد د .عبد الستار فى تحقيق الكتاب على خمس نسخ وهى نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٥٧٣٥ هـ] تمت كتابتها يوم الخميس ١٧ من ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ ، واعتمدها أصلاً لبقية النسخ ، ونسخة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية برقم [١٠ بلاغة] وهى نسخة مصورة عن مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وفرغ من كتابة هذه النسخة فى ٩ جمادى الآخرة سنة ٧٨١ هـ ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٥٢ بلاغة طلعت] وتمت كتابة هذه النسخة سنة ١٠٣١ هـ ، ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٦٨ بلاغه] وتمت كتابتها سنة ٩٣١ هـ ، ونسخة بمعهد المخطوطات تحت رقمى [٢٥ ، ٢٦] هذه النسخة مصورة على ميكروفيلم عن مكتبة ولى الدين جار الله باسلام بول تحت رقم [١٨٣٩] وفرغ من كتابة هذه النسخة يوم الأربعاء آخر ربيع الأول سنة ٧٤٣ هـ .[3]

أما د .الهلالى فاعتمد فى تحقيقه على ثلاث نسخ خطية وهى نسخة بمكتبة مدينة السليمانية بالعراق وهى نسخة تمت قراءتها على الطيبى فى عاشر جمادى الأولى سنة ٧٣٨ هـ ، وقد اعتمد د .الهلالى هذه النسخة أصلاً لقدمها وقراءتها على المصنف ونسخة بمكتبة المتحف العراقى تحت رقم [١٤٥] وهى نسخة مقابلة على نسخة أخرى مكتوبة سنة ١١٤٤ هـ ، وهذه المقابلة تمت فى شوال سنة ١٣٣٣هـ ، ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٥٧٣٥ هـ] وتمت كتابتها فى يوم الخميس ١٧ من ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ ، وهى النسخة التى اعتمدها د .عبد الستار أصلاً ، كما ذكر الهلالى نسخة مصورة بمعهد المخطوطات تحت رقم ٣٥ مصورة عن مكتبة ملت باسلام بول وتم كتابة هذه النسخة سنة ٧٤٣ هـ .[4]

---

(١) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ١ ، ٢

(٢) انظر التبيان تحقيق الهلالى ص ١١

(٣) انظر قسم الدراسة فى التبيان ص ٣٢ ، ٣٣

(٤) انظر التبيان تحقيق الهلالى ص ٢٣ - ٢٥

من خلال هذا يتبين لنا أنّ الأصل الذى اعتمده الهلالى فى تحقيق الكتاب أقدم اذ تم الفراغ منه سنة ٧٣٨ هـ وأيضا قرئ على الطيبى بينما الأصل الذى اعتمده عبد الستار تمّ الفراغ منه سنة ٧٤١ هـ ، ولم يذكر أنها قرئت على الطيبى مع أنه أى د.عبد الستار اعتمد على نسخ أكثر فى المقابلة فبناء عليه فتحقيق د.الهلالى يكتسب قيمة علمية أكبر كما هو معروف فى أصول التحقيق لقدم الأصل الذى اعتمده، ولكونه مقروءا على المصنّف ولو اطلعت عليه فى بداية تحقيقى للحدائق لما ترددت فى اعتماده لكن اطلاعى عليه كان متأخراً .

رابعاً : لم يهمل د.عبد الستار والدكتور الهلالى المقابلة بين النسخ والاشارة إلى الاختلاف بينها .

خامساً : يلتقي د.الهلالى مع د.عبد الستار فى تخريج الآيات القرآنية وبيان مواضعها من السور.

سادساً : فى تخريج الأحاديث النبوية يرجع د.عبد الستار[1] إلى كتب السنة المعتمدة فبين الباب والفصل الذى ورد فيه الحديث ويشير إلى اختلاف الروايات ، ويذكر الصحابى الذى روى الحديث كما هو متعارف عند المحققين بينما د.الهلالى لا يتقيّد بهذا وإنما يرجع فى تخريج الأحاديث إلى مصادر فى البلاغة، أو الأدب، أو غريب الحديث ، وإذا رجع إلى كتب السنة المعتمدة فلا يبين الباب والفصل الذى ورد فيه الحديث على التفصيل .[2]

سابعا : يلتقي د.الهلالى مع د.عبد الستار فى تخريج الأبيات الشعرية من مظانها فى دواوين الشعراء ، والموسوعات الأدبية ، والمصنفات البلاغية ، والنقدية لكن د.الهلالى[3] تمكن من نسبة بعض الأبيات التى لم ينسبها الطيبى وترك د.عبد الستار[4] نسبتها .

ثامناً : فيما يتعلق بتوثيق النصوص وعزو أقوال العلماء الى مصادرها فى كتبهم يتلاقى الدكتور الهلالى[5] مع الدكتور عبد الستار[6] وبالخصوص ماقاله سيبويه، والزمخشرى، والسكاكى .

تاسعا : التعليقات البلاغية على الكتاب بالهامش فى بعض المسائل لا نجدها عند الدكتور الهلالى ، أما الدكتور عبد الستار فإنّ معظم تعليقاته البلاغية بالهامش اعتمد فيها على كتاب الحدائق

---

(١) انظر التبيان ، تحقيق د.عبد الستار ص ٣٣ ، ٧٥ ، ١٣١ ، ٢٤٧ ، ٨٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤

(٢) " " " " الهلالى ص ٩١ ، ١٧٠ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤٢٤ ، ٤٧٩ ، ٥٢٥

(٣) " " " " " ص ٢٩٩ ، ٢٦٢

(٤) " " " " عبد الستار ص ١٦٨ ، ١٤٥

(٥) انظر التبيان تحقيق د.الهلالى ص ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٥٥ ، ٤٧٥ ، ٢٦٠.

(٦) انظر التبيان تحقيق الدكتور عبد الستار ص ٢١ ، ٢٦ ، ٧٢ ، ١٠٠٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣

أشار[١] إلى مصدره في قليل منها ، أمّا الكثير الغالب[٢] فلم يشر ، وهذا يدلّ على أنّ الدكتور الهلالي لم يطّلع على الحدائق وحديثه عنه في المقدمة اعتمد فيه على ماقاله حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن الكتاب .

عاشراً : عرّف الدكتور الهلالي ببعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في التبيان على نحو ما سلكه الدكتور عبدالستار وقد تركا التعريف ببعض الأعلام مما دفعني لاستقصاء التراجم لما تركوه .

حادي عشر : كلا المحققين وضع بعد انتهائه من تحقيق الكتاب فهارس مختلفة شملت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، والأمثال ، والحكم ، والأقوال المأثورة ، والأعلام ، والمصادر والمراجع والموضوعات .

ثاني عشر : فيما يخص الدراسة التي حول الكتاب ومؤلفه نجد د .عبدالستار ترجم للعلامة الطيبي ترجمة شبه متكاملة كما تحدث عن أحوال عصره ، وفي دراسته للكتاب تبين لي أنها جيدة في عمومه فقد تحدث فيها عن منهج الطيبي في كتابه ، وبيّن تأثره بالزمخشري ، والسكاكي وابن الأثير ، وبيّن أثره فيمن بعده كالبهاء السبكي ، وأبي جعفر الغرناطي وجلال الدين السيوطي وابن معصوم المدني ، وقد استغرقت دراسته للكتاب ومؤلفه أكثر من مائة[٣] وخمسين صفحة ، بينما الدكتور الهلالي اكتفى في تقديمه للكتاب بالحديث عن العلامة الطيبي ، وبيان منهجه في كتابه ، وبعض مصادره فيه وتأثيره في ابن معصوم ، والطريقة التي اتبعها في التحقيق تحدث الدكتور عن كل هذا في خمس عشرة[٤] صفحة وهو في هذا لم يتجاوز الصواب عندما أطلق عليها (تقديم) ولم يطلق عليها دراسة .

وبعد فالذي يبدو لي أنه بينما سبق د .عبدالستار إلى تحقيق الكتاب قبل الدكتور الهلالي بفترة تقرب من عشر سنوات ، وخدم الكتاب خدمة جيدة في تحقيقه ودراسته وهو جهد يحسب له لكن هذا لا يلغي ، أو يغضّ من عمل د .الهلالي ، فإنّ تحقيقه اكتسب قيمة علمية لأنه اعتمد في تحقيقه على نسخة أقدم من نسخة د .عبدالستار وقرئت على المصنف فبناء عليه فعمل د .الهلالي يعدّ عملاً جديداً كما هو متعارف عليه عند المحققين ، ولا يعدّ تكراراً وجهداً ضائعاً ، وإن لم يبلغ في دراسة الكتاب شأو الدكتور عبدالستار ، فتلك مسألة أخرى ، وعلى كلّ حال جزى الله الأستاذين خير الجزاء على مابذلا من جهد في خدمة هذا الكتاب .

---

(١) انظر التبيان تحقيق د .عبدالستار ص ٢٥ ، ٣٦ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٦١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٣١٨

(٢) " " " " ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣) انظر قسم الدراسة لكتاب التبيان للدكتور عبدالستار من ص ١ الى ص ١٥٥ .

(٤) انظر التبيان تحقيق د .الهلالي ص ١١ - ٢٥ .

موضوعات التبيان

بنى الطيبي كتابه على مقدمة وفنين وخاتمة تحدث في المقدمة عن أهمية البلاغة في ادراك أسرار النظم القرآني كما ذكر ماتميز به كتابه ، والجهد الذى بذله فيه ، ونص على بعض المصادر التي اعتمد عليها في كتابه ، أما الفن الأول فخصصه للحديث عن البلاغة ، فعرفها وذكر أعلى مراتبها وأدناها ، ثم فصل القول فيما يتعلق بعلومها الثلاثة : المعاني، والبيان، والبديع ،ففيما يتعلق بعلم المعاني عرّفه ، وبيّن محترزات التعريف ،ثم في باب الإسناد تحدث عن أضربه الثلاثة المتعلقة بالمخاطب ، وهى الابتدائي والطلبي والانكاري ، ثم درس باب المسند إليه ، وجعله في خمسة أبحاث : البحث الأول : في كونه متروكا ، والبحث الثاني : في اثباته ، البحث الثالث : في تعريفه بالاضمار ، أو العلمية ، أو الموصولية ، أو الإشارة ، أو التعريف باللام ، أو الاضافة ، أو تخصيصه بالوصف ، أو التأكيد، أو البيان، أو البدل، أو العطف ، أما البحث الرابع فتحدث فيه عن تنكير المسند إليه ، والبحث الخامس : عن تقديمه ، وبعد أن انتهى من أبحاث المسند إليه شرع يتحدث عن أحوال المسند فعرضه في اثنى عشر مبحثا تكلم في المبحث الأول عن كونه متروكاً ، وفي المبحث الثاني عن كونه مذكورا ، وفي المبحث الثالث في كونه فعليّا ، وفي المبحث الرابع عن كونه معرّفاً ، وفي المبحث الخامس عن كونه منكراً ، وفي المبحث السادس عن كونه مقدماً ، وفي المبحث السابع عن كونه مفرداً ، وفي المبحث الثامن في كونه جملة ، وفي المبحث التاسع في كونه مقيداً بما يتصل به ، وفي المبحث العاشر تحدث عن ترك الفعل ، وفي المبحث الحادى عشر عن ترك مفعوله ، والمبحث الثاني عشر عن اضمار فاعله ، ثم انتقل الطيبي إلى باب التقديم والتأخير وجعله في مقدمة وفصول ، تحدّث في المقدمة عن كيفية افادة التقديم للتخصيص غالباً من خلال الأمثلة ، ثم عرف قصر الافراد وقصر القلب، وفي الفصل الأول تحدث عن تقديم الفاعل المعنوى أو المسند اليه وناقش الخلاف في هذه المسألة بين الخطيب والسكاكي ، وانتصر للثاني ، وفي الفصل الثاني تكلم عن تقديم المفعول ، وفي الفصل الثالث عن تقديم المجرور ، وجعل الفصل الرابع للتقديم الواقع بين المعمولات ، وفي الفصل الذى يليه تحدث عن اعتراض جملة بين جملة ، وبعد أن انتهى من الكلام في هذا الفصل وبدون أن يفصل بعنوان يدل على استقلالية المبحث التالى دون أن يفصل شرع يتحدث عن القصر فتكلم عن وجه افادة النفى والاستثناء القصر ، ثم تحدث عن بقية طرق القصر ، والفرق بينها وشرع القول في باب الفصل والوصل بعنوان أساسى ، فذكر أن العطف يعتمد على معرفة أصول أربعة : الأول تقدم متبوع واف بما قصد بالقياس إلى التابع مغاير له ، الثاني مشاركتها في المعنى الذى دل عليه الاعراب ، الثالث أن يكون بينهما جهة جامعة ، الرابع الاتفاق بينهما في الطلبية والخبرية ، وذكر شواهد شذت على هذه الأصول ، ثم تعمق في أربعة مباحث من مجموع بحوث الفصل والوصل المبحث الأول في الفصل لفقدان التشريك في الحكم الاعرابى ، المبحث الثاني

في الفصل لفقدان التغاير بين طرفي الجملتين ، المبحث الثالث الفصل لفقدان الجامع بين الجملتين المتعاطفتين ، المبحث الرابع في الفصل لفقدان الاتفاق في الخبرية أو في الانشائية ، ثم شرع في باب الايجاز والاطناب فعرّف كلاً منهما، وبين محترزات تعريفهما ، ووضح معظم ماقاله بالشواهد

وقد قسم الطيبي الايجاز الى قسمين :-

القسم الأول : الايجاز بالحذف وهذا الحذف إما حذف جملة أو حذف غير جملة ، وحذف الجملة إما أن تكون الجملة مستقلة أو لا تكون كذلك ، وحذف غير الجملة منه حذف المضاف ، أو المضاف اليه أو الموصوف ، أو الجار والمجرور ، أو صلة الموصول ، أو الموصول ، أو المتعلق .

القسم الثاني : الايجاز بغير الحذف ، وجعله الطيبي على ثلاثة أضرب هي :- إيجاز قصر ، وإيجاز تقدير ، وإيجاز جامع .

وقد مثل لكلا القسمين مع تفريعاتهما بشواهد مختلفة ، ثم تحدث عن الاطناب فذكر أنه يكون تارة بغير جمل ، وأخرى بالجمل ، وقد عرض الشواهد لكلا الضربين ، أما عن الانشاء الطلبي ، فقد تحدث فيه عن وجه تفريع أبحاثه إلى تمن ، واستفهام ، وأمر ، ونهي ، ونداء ، ثم تكلم عن مبحث التمني ، وأدواته الأصلية ، والفرعية ، كما تحدث عن الاستفهام ، وأدواته ، وتفريعاتها من جهة التصور ، والتصديق كما ذكر بعض المعاني الفرعية التي تخرج إليها بعض الأدوات ، أما مايتعلق بمبحث الأمر فذكر معناه ، وأشار إلى بعض الأغراض الجانبية التي يخرج اليها ، وذكر أن النهي محذو به حذو الأمر في مثل تلك الأغراض ، كما ذكر أن المباحث الأربعة السابقة وهي : التمني ، والاستفهام ، والأمر ، والنهي ، تشترك في جواز تقدير الشرط ، ثم تكلم عن النداء ، وأدواته ، وعن بعض المعاني التي يخرج إليها النداء ، وقد ختم الطيبي باب الطلب بتتميم تكلم فيه عن مجيء الخبر في معنى الطلب ، وبالعكس مطبقاً قوله على الشواهد ، وعنده ينتهي كلام الطيبي في علم المعاني أما حديثه عن علم البيان فقد اشتمل على استيعاب بين ، فقد عرف هذا العلم ، وشرح هذا التعريف ، وبناه على ثلاثة أصول تحدث في الأصل الأول عن التشبيه ، وقسمه إلى خمسة فصول ، وبين وجه هذا التقسيم ، فخص الفصل الأول بتقسيم الطرفين المشبه والمشبه به من جهة الحسي ، أو العقلي ، أو الخيالي أو الوهمي موردا الشواهد الشعرية التي تخص كل قسم ، أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن وجه الشبه ، وتقسيمه من جهة كونه واحدا ، أو مافي حكمه ، أو متعدداً ومن جهة كونه حسّياً ، أو عقلياً أو وهمياً ، وأورد الشواهد التي تخص كل قسم وختم هذا الفصل بتتميم تكلم فيه عن أن من حق وجه الشبه أن يكون متحققا في الطرفين كما هو الشأن دائماً في التشبيه ، وأورد بعض الشواهد التي اتبعت بوصف خاص بالمشبه به ، وليس هذا هو الوجه لأن الوجه لابد من تحققه في الطرفين حتى يعد الأسلوب تشبيها كما أورد شواهد أخرى تحتاج إلى دقة نظر لتحقيق الوجه بين الطرفين ، وفي الفصل الثالث تكلم عن الغرض من التشبيه

فذكر أنّ منه مايعود إلى المشبه ، وهو الغالب كبيان حال المشبه ، وبيان مقداره ، وامكان وجوده ، وتقرير حاله ، وتزيينه ، وتشويهه ، وقصد استطرافه ، وقد يعود الغرض إلى المشبه به إذا قصد المبالغة في التشبيه ، وقد مثّل لكلّ من تلك الأغراض بشواهد قرآنية أو شعرية ، أما الفصل الرابع فخصّه للحديث عن أحوال التشبيه من جهة حسنه ، وقبحه ، وقبوله ، ورده فذكر أنّ أحوال الحسن على وجوه منها أن يكون التشبيه في أمور تفصيلية ، فإنّ النفس تستشرف الشيء بعد طلبه ، وبذل الجهد في تحصيله ، وهذا متحقق في الأمور التفصيلية بخلاف الأمور المجملة فإنّها تسبق إلى النفس أو يكون المشبّه به معقولاً ، أو موهوماً ، أو يكون نادر الحضور في الذهن أو يكون التشبيه بعيد المتناول لا يدرك في بدء الفكرة وهو ماعرف بمصطلح التشبيه البعيد الغريب ، أو يكون سليماً من الابتذال أو يتصرف في خلاف الحسن بما يخرجه إليه ، وقد استشهد الطيبي لكل تلك الأحوال بشواهد شعرية ، أمّا الفصل الخامس فتحدث فيه عن أدوات التشبيه ، وقد ختم الطيبي هذا الأصل أي التشبيه بخاتمة بيّن فيها مراتب التشبيه في الحسن ونحوها ، هذا وبعد أن انتهى من الأصل الأول الذي هو التشبيه تحدّث عن الأصل الثاني ، وهو المجاز وقبل الحديث عنه تكلّم عن الحقيقة فعرّفها ، وشرح التعريف وذكر أقسامها من لغويّة ، وشرعيّة ، واصطلاحيّة ، وعرفيّة ، وقد قسم المجاز إلى لغوي وعقلي فعرّف اللغوي وشرح التعريف ، وجعله على ضربين مجاز مرسل ومجاز بالاستعارة ، أمّا المجاز المرسل فعلى نوعين ، النوع الأول الخالي عن الفائدة ، النوع الثاني المتضمّن للفائدة ، وهذا النوع حمله على وجوه هي اطلاق اسم السبب على المسبب ، واسم المسبب على السبب ، وتسمية اللفظ باسم ما يؤول إليه وباعتبار ماكان ، والحال باسم محله والمحلّ باسم حالّه ، والشيء باسم آلته ، وتسميته بداعيه ، وباسم جهته ، وباسم حامله ، وباسم محموله ، وتسميته باسم مجاوره وباسم جزئه ، وباسم كله ، وتسميته باسم مايجمع بين معنيين مختلفين حقيقة ومجازاً مع وجود قرينة تعيّن أحدهما ، وقد ضرب الطيبي لكل من هذه الوجوه أمثلة من القرآن الكريم ، ثمّ انتقل إلى الضرب الثاني وهو المجاز وهو المجاز بالاستعارة فعرّفها وذكر وجه تسميتها ، ووجه امتناعها في الاعلام إلّا إذا تضمنت نوعاً وصفيّة كما بيّن أن الاستعارة مجاز لغوي لأن اللفظ المستعار فيها قد نقل عن أصل ماوضع له في اللغة ، وردّ على من زعم أنّها مجاز عقلي ، وتحدّث عن التشبيه البليغ الذي اكتفى فيه بذكر الطرفين فقط ، وانتهى إلى أنّه تشبيه وليس باستعارة ، هذا وقد قسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى قسمين : الأول أن يكون الجامع أمراً واحداً ، وهو مايطلق عليه الاستعارة في المفرد ، الثاني : أن يكون الجامع في حكم الواحد ، وهي الاستعارة التمثيلية ، وتتفرع الاستعارة في القسم الأول إلى أصليّة وتبعيّة ، والأصليّة إلى مصرّح بها ، ومكنى عنها ، والمصرّح بها إما تحقيقية ، أو تخييلية ، أمّا التبعيّة فلا تكون إلّا مصرحاً بها ، وبيّن وجه تسميتها بالتبعيّة ، ووجه جريانها في متعلقات معاني الحروف ، وقد تحدّث الطيبي عن كل

تلك التقسيمات ، والتفريعات من خلال الشواهد والأمثلة ثم انتقل إلى القسم الثانى وهى الاستعارة التمثيلية ، فعرّفها ،وذكر أن المستعار فيها إمّا أن يكون على سبيل المثل ، أو التمثيل وجعل كلاً منهما على ضربين : الضرب الأول : أن يكون تحقيقاً ، الضرب الثانى : أن يكون تقديراً ، ومثّل لكلا الضربين بنصوص قرآنية ، وشواهد شعرية .

ثمّ بعد ذلك أورد تقسيماً آخر للاستعارة باعتبار الطرفين والجامع فقسمه إلى ستة أنواع : الأول : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، الثانى : استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى ، الثالث : استعارة معقول لمعقول بوجه عقلى ،الرابع : استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى ، الخامس: استعارة معقول لمحسوس بوجه عقلى ،السادس : استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسىّ وبعضه عقلى ، وقد مثل الطيبى لتلك الأنواع بشواهد قرآنية .

ثمّ تحدث عن شرائط حسن الاستعارة ، وذكر أنّها على وجوه : أحدها أن لا تكون ملغمة ، وثانيها أن لا يشمّ فيها من جانب اللفظ رائحة التشبيه ، وثالثها أن يكون التخييلية مؤكدة لمعنى المشاكلة ، ورابعها أن تكون بعيدة الغور لا تدرك في بدء الفكرة ، وخامسها أن تكون تفصيلية ، وسادسها أن يجتمع فى الكلام عدة استعارات ، وقد استشهد الطيبى لتلك الوجوه بشواهد شعرية ، ثم انتقل الطيبى إلى النوع الثانى وهو المجاز العقلى فعرّفه ، وشرح التعريف ثم تحدث عن ملابسات الفعل نقلاً عن الزمخشرى ، ثمّ قسّم الطيبى هذا المجاز إلى أربعة أقسام : باعتبار طرفيه أن يكونا حقيقتين وضعيّتين ، الثانى أن يكونا مجازيّين وضعيّين ، الثالث أن يكون المحكوم فيه حقيقة وضعيّة ، والمحكوم عليه مجازاً وضعيّاً ، الرابع أن يكون بالعكس ، وفى تذييل ملحق بهذا النوع من المجاز أيّد رأى السكاكي فى الحاق المجاز العقلى بالاستعارة بالكناية ، وبعد أن انتهى الطيبى من الأصل الثانى وهو المجاز انتقل إلى الأصل الثالث وهو الكناية التي يقوم عليها، وعلى التشبيه والمجاز علم البيان فعرفها وقسّمها الى مطلقة وغير مطلقة ، وذكر أنّ غير المطلقة تتنوع إلى رمز ،وتلويح ، وإيماء ،وتعريض ، واشارة ،وعرّف كل نوع واستشهد لها بشواهد قرآنية وشعرية .

وفى تنبيه ملحق بالكناية تحدّث الطيبى عن نوع من الكناية استنبطها الزمخشرى ، وأورد اعتراض الفخر الرازى عليه ، وقد ختم الطيبى على البيان بالموازنة بين الأصول الثلاثة ،وهى التشبيه والمجاز والكناية من الناحية البلاغية ، فبعد أن انتهى من علم البيان انتقل إلى علم البديع فعرفه وجعله فى ثلاثة أبواب : الباب الأول خصه بالتحسين الراجع إلى المعنى وجعله على أنواع وهى :-

الالتفات عرفه ، وجعله على ستة أقسام :- أولها الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، ثانيها من الخطاب إلى الغيبة ، وثالثها من الحكاية إلى الغيبة ، ورابعها من الغيبة إلى الحكاية ، وخامسها

من الخطاب إلى الحكاية ، وعادسها من الحكاية إلى الخطاب ، وقد بيّن هذه الأقسام بالأمثلة والشواهد، والتجريد بيّن معناه، والصور، والوجوه التي يأتي لها من خلال الشواهد والخطاب العام ، والتغليب ، والتجاهل ، والأسلوب الحكيم ، والإيهام ، والتوجيه ، واللغز، والإبداع والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل ، والمراجعة ، والإغراق ، والكلام الجامع ، وايراد المثل ، وقد عرّف الطيبي هذه الأنواع، واستشهد لها بشواهد شعرية لكنّه بعد الابداع تحدّث في فصل مستقل عن بدائع النحويين ، هذا وبعد أن انتهى الطيبي من الباب الأول المختصّ بالمحسّنات الراجعة إلى المعنى انتقل إلى الباب الثاني للكلام عن المحسّنات الراجعة إلى اللفظ والمعنى ، وجعله على أنواع أيضاً وهي :- المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة، والمزاوجة ، ومراعاة النظير ، والتكرير ، والطرد والعكس ، والتشبيب والتذييل ، والتكميل ، والإيغال ، والتتميم ، والترقي ، والإعتراض ، والإستطراد ، والإستتباع ، والإدماج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والرجوع ، والتفويف ، والتطريز ، والإرصاد ، والتفسير الخفي ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والجمع مع التقسيم مع الجمع ، والتضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل، والتلميح .

وقد استشهد الطيبي لهذه الأنواع من المحسنات بشواهد قرآنية، أو شعرية، أو نثرية ، وقد توقف عند مراعاة النظير فذكر أنّه يأتي على أصناف : الأول : ائتلاف اللفظ والمعنى ، الثاني ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، الثالث ائتلاف المعنى مع المعنى كما توقف عند التكرير فقسّمه إلى قسمين : الأول أن يعاد اللفظ بعينه ، وجعله على وجوه : أ - أن يكرر ليناط به حكم آخر . ب - أن يعاد ليقرر المعنى ، ج - أن يعاد ليقارن به تمام الفصل كيلا يجيء الكلام مبتوراً لطوله . د - أن ينوه بشأن المذكور . هـ - أن يلذ بذكره .

الثاني : أن يكرّر المعنى دون اللفظ ، وجعله نوعين ، النوع الأول أن يقع في غير جملة ، النوع الثاني أن يقع في الجمل وهذا النوع يأتي على وجوه : أ - أن يؤتى بالخاص بعد العام . ب - أن يؤتى بالعام بعد الخاص . جـ - أن يؤتى بالمساوي في المعنى . د - أن يكرّر رعاية للفواصل الشعرية .

وقد اتبع الطيبي التكرير بملحق أو تتميم لما سبق ذكر فيه أن التكرير قد يجيء للإستيعاب .

كما قسم الطيبي الاستطراد إلى نوعين : الأول : مايكون التعلق بعيداً ، الثاني : مايكون التعلق قريبا .

وقسّم الإرصاد أيضاً على ضربين : الأول : ما دلالته لفظيّة ، الثاني : ما دلالته معنوية .

كما ذكر أنّ اللف والنشر يأتي على أقسام : أ - مايجيء على الترتيب . ب - مايجيء من غير ترتيب جـ - مايجيء اللف تقديراً .

وقد ألحق بالجمع والتقسيم تذييلاً ذكر أنّه قد يطلق التقسيم على أمرين آخرين أحدهما أن يذكر

أحوال الشيء مضافا إلى كل حال مايليق بها ، ثانيهما استيفاء أقسام الشيء بالذكر وقد استشهد الطيبي لتلك التقسيمات ، والتفريعات بشواهد قرآنية وشعرية .

هذا وبعد أن انتهى الطيبي من كلامه عن المحسنات التي ترجع إلى اللفظ والمعنى أورد فصلاً مستقلاً ألحقه بها خصه للحديث عن اتفاق الكلامين قصداً أوغير قصد، وجعله في خمسة أقسام وهي النسخ ، والسلخ ،والمسخ ، والاحتذاء ، والمواردة .

ففيما يتعلق بالنسخ عرّفه ، وجعله على ضربين : الأول : أن يتّفقا في تمام الكلام ،ويسمّى المطالعة ، الثاني : أن يختلفا في يسير من اللفظ ، ويسمى الانتحال .

أمّا مايتعلّق بالسلخ فعرفه ، وذكر أنّه يكون في المعنى ،ويكون في اللفظ فالمقبول من الذي يتعلق بالمعنى يأتي على وجوه :- أ - مايزاد فيه معنى . ب - مايكون الفرع أبلغ . جـ - أن يراعى فيه من معنى البديع ، د - أن يكون أبين معنى وأجود سبكاً . هـ - أن ينقل المعنى المأخوذ إلى غير محله . و - أن ينقل إلى نقيضه .

ثمّ عرّف كلاً من المسخ ، والاحتذاء ، والمواردة ، وجعل الأخير على نوعين أحدهما مايجتمع فيه اللفظ والمعنى برمّته ، وثانيهما ماينفرد فيه المعنى .

وقد ختم الطيبي هذا الفصل بتذييل ذكر فيه قصة أبيات عرضها يعلى الأريسي على تلميذه ابن رشيق القيرواني وقد نقده ابن رشيق فيها .

وقد مثل الطيبي لهذه المباحث الخمسة مع التذييل المتعلق بهذا الفصل بشواهد شعرية

ثم جعل خاتمة لعلم البديع تحدّث فيها عن حسن ملاءمة الكلام ، فذكر أنّه ينبغي للمتكلم أن يتأنّق في أربعة مواضع حتى يكون جيّد السبك ، عذب اللفظ ، بديع المعنى :-

أولها : المطلع ، وحسنه أن يضمن معنى ماسيق الكلام لأجله وأن يتجنب في المديح مايتطير منه .

ثانيها : المخلص وحسنه أن يخرج من معنى إلى معنى برابطة مناسبة .

ثالثها : المطلب وحسنه أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة .

رابعها : المقطع وحسنه أن يختم الكلام بما يعي السامع نيقاً والنفس تشويقا .

وقد استشهد لهذه المواضع الأربعة بشواهد قرآنية وشعرية .

بهذا يكون الطيبي انتهى من الفن الأول ، وهو البلاغة وقد أدرج الكلام حول المحسنات اللفظية في الفن الثاني وهو الفصاحة .

هذا وقد تحدث الطيبي في مقدمة كلامه عن الفصاحة أنّه أخذ خلاصة ماقاله ضياء الدين ابن الأثير حولها في كتابه المثل السائر ، وأن له زيادات مفيدة، وحسن تأليف ثم بيّن معنى الفصاحة والبلاغة

في اللغة ، وفي الصناعة ومدى الترابط بينهما ، وجعل فن الفصاحة في بابين :-

الباب الأول : في أوصاف اللفظة المفردة وذكر لها ستة أوصاف يحقق فصاحتها :-

الأولى : أن يكون تركيبها من الحروف العذبة .

الثانية : أن يتجنب في التركيب عن الزائد عن الحركتين المتواليتين وعن الحركة الثقيلة على بعض الحروف .

الثالثة : أن تكون متوسطة بين قلة الحروف وكثرتها .

الرابعة : أن لا تكون وحشيّة غير مألوفة .

الخامسة : أن لا تكون مبتذلة سواء كان الابتذال بما غيرته العامة من أصل الوضع ، أو كانت اللفظة سخيفة في أصل الوضع .

السادسة : أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما مكروه وجيء بها مالقة عن الدلالة على أحدهما .

وقد شمل الطيبي هذه الصفات بالشرح والبيان مع الأمثلة ، وختم هذا الباب بتتميم تحدّث فيه عن أن بعض الألفاظ اذا نقلت من موضع إلى موضع آخر انتقلت من القبح إلى الحسن ، وامتعان في توضيحها بشواهد نبوية وشعرية .

أمّا الباب الثاني : فخصه للكلام عن أوصاف التراكيب وجعلها خمسة أوصاف :-

الصفة الأولى : ماتكون مبنوية في قالب الصنعة البديعية مما يختص بحسن اللفظ ، وجعله على أنواع :-

النوع الأول : الجناس ، فقد عرفه ، وجعله على أقسام :-

أحدها التجنيس التام ، ثانيها الناقص ، ثالثها الزائد ، رابعها المضارع ، خامسها اللاحق ، سادسها المركب ، سابعها المزدوج أو المردّد ، ثامنها الخطي ، تاسعها المشوش ، عاشرها التجنيس بالاشارة ، حادي عاشرها الاشتقاقي وهو اما أن يجمعهما بترتيب أو يجمعهما من غير ترتيب ، ثاني عشرها القلبي وهو إما قلب الكل ، أو قلب البعض ، أو قلب المجنح أو قلب المستوى ، وقد ألحق بالقلب مبحث تكميلي تحدّث فيه عن نوع من القلب وهو أن يكون في التركيب كقولهم عرضت الناقة على الحوض أو في المعاني كقولهم قاتله الله ماأشجعه ،

وقد تنوعت شواهده على الأقسام السابقة

النوع الثاني : العكس والتبديل بعد أن عرفه ذكر أنّه يأتي على وجوه هي :-

أ - مايقع بين طرفي جملة واحدة .

ب - مايقع بين متعلقي جملتين .

حـ - مايقع بين جملتين ومتعلقيهما .

النوع الثالث : رد العجز على الصدر ، ذكر أنه في النثر يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما أحدهما في الفقرة الأولى والآخر في آخرها ، وفي الشعر أن يكون أحد اللفظين في عجز البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو في حشوه ، أو في عجزه ، أو في صدر الثاني وهما إما أن يتفقا صورة ومعنى أو صورة أو معنى .

النوع الرابع : التصريع بعد أن عرفه ذكر أنه يأتي على ثمانية مراتب :-

أ - الكامل وهو أن يكون المصراع مستقلا في فهم المعنى .

ب - أن يكون مستقلاً ولكن له رابطة بالثاني .

جـ - أن يكون غير مستقل وهو الناقص .

د - أن يكون معلقاً على صفة في أول الثاني .

هـ - أن يكون لكل منهما في التقديم معنى وهو في المرتبة الثانية في الحسن .

و - أن يكون لفظ العجز حقيقة وهو مذموم .

ز - أن يكون مجازاً .

ح - أن يتخالف لفظا العجز لكن يتوافقان بالموازنة وهي أقبح تلك الصور .

النوع الخامس : الترصيع عرفه ، وذكر متى يكون حسناً ومتى يكون أحسن .

النوع السادس : السجع عرفه وذكر أقسامه الثلاثة وهي

أ - المطرف . ب - المتوازي . جـ - المتوازن .

وفي تذييل ملحق بالسجع ذكر أن شرائط حسن السجع وجوه وهي :-

أ - أن تكون كل واحدة من الفقرتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وهو أشرف السجع للإعتدال .

ب - أن تختلف قرينتاه في المعنى .

حـ - أن يكون ساكن الأعجاز ، ثم شرح قول بعضهم إن السجع يجري في الكلام مجرى الخال في الوجه ، وبين وجه الانكار الذي ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم للسجع في قوله أسجعاً كسجع الكهان .

النوع السابع : لزوم مالا يلزم أو الاعنات ، فقد بين معناه ، وقد دعم الطيبي هذه الأنواع السبعة وتفريعاتها بشواهد قرآنية ، وشعرية ، ونصوص نثرية .

أما الصفة الثانية : من الأوصاف الخمسة التي للتراكيب هي عدم المعاظلة والمعاظلة إما لفظية ، أو معنوية واللفظية على خمسة أقسام :-

أ - أن ترد حروف متراكبة .
ب - أن ترد ألفاظ متكررة الحروف .
جـ - أن ترد أفعال شتى متتابعة .
د - أن ترد مضافات متوالية .
هـ - أن ترد صفات مترادفة .

أما المعاظلة المعنوية فذكر أنه يقدم في الكلام ما حقه التأخير لفظاً ومعنى .

الصفة الثالثة : عدم المنافرة وهي ذكر لفظ في التركيب ويكون غيره مما هو بمعناه أولى بالذكر ، وقد ذيل كلامه في هذه الصفة ببيان أن من الألفاظ المتنافرة مالو نقل من مكانه إلى آخر قرت ، وحسنت .

الصفة الرابعة : السهل الممتنع ، وهو أن يكون الكلام مسبوكاً سبكاً سهلاً ، وعراً ، قريباً ، بعيداً .

الصفة الخامسة : المطابقة وهي أن يراعى مقصد الكلام ، فمن مقام يقتضي ألفاظاً جزلة متينة ، وأخرى رقيقة رشيقة ، وقد أورد الطيبي لهذه الصفات شواهد متنوعة .

بهذا انتهى كلامه في فن الفصاحة وانتقل إلى خاتمة الكتاب ، وفي هذه الخاتمة تحدث عما يتركه الكلام الذي وقع موقعه في فني الفصاحة والبلاغة في النفس والسمع والذهن ، وذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا ، وأورد بعض النصوص الشعرية على ما ذكره ، ثم أورد حديث معاذ ابن جبل عندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار أورده كالتمرين لما سبق من المسائل النظرية ، فقد شرح الحديث شرحاً بلاغيا قل أن يوجد مثله فقد استخرج اللفتات البلاغية المتعلقة بعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع حسب تفريعات وتقسيمات هذه العلوم ، كما نظر إلى الحديث من جهة فصاحته ، فقد تميز بعذوبة ألفاظه وسلامتها من التعاظل والتنافر .

وذكر أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كله على هذا النهج في قمة البلاغة والفصاحة ، لكن لا يصل إلى أسرار كلامه ودقائق نظمه إلا المتمكن من ناحية البيان الدقيق الفهم للأسرار البلاغية .

هذا توضيح عام وموجز لما جاء بكتاب التبيان ظهر من خلاله شمول الكتاب ، واحتواؤه على جميع مباحث علوم البلاغة الثلاثة المعاني ، والبيان ، والبديع ، ومباحث الفصاحة .

٥

التبيان المنهج والخصائص

لقد سلك الطيبي في منهجه في دراسته لعلمي المعاني والبيان من جهة التعريف والتقسيم والشواهد نهج منهج السكاكي في الغالب ،وقد نقل الطيبي عنه من كتابه المفتاح في عدّة مواضع نقلاً حرفياً ، وقد أشرت إلى ذلك في التحقيق كما أيّده في كثير من آرائه البلاغية التي اعترض عليه فيها الخطيب في بعض المسائل والتي منها تقديم المسند إليه متى يفيد التخصيص ، ومفهوم الإستعارة المكنية ، والإستعارة التخييليّة عند السكاكي ، وادراجه المجاز العقلي في الاستعارة بالكناية ، وقد فصلت القول في هذه المسائل وغيرها في قسم الدراسة لكن هذا لايعني أن الطيبي في دراسته لعلمي المعاني والبيان لم يخرج عن الدائرة التي رسمها السكاكي لنفسه في المفتاح بل خرج الطيبي إلى مجال أرحب ،وأوسع أبرزت شخصيّته ، وذلك من خلال ترتيب بعض الموضوعات ،ودراستها وإيراده لكثير من الشواهد الشعرية التي لم يذكرها السكاكي مما يعدّ تجديداً في الشواهد بالإضافة إلى تحليله لبعض النصوص ، هذا مايتعلّق بدراسته لعلمي المعاني والبيان ، أمّا دراسته لعلم البديع فإنه وان لم يتفق مع الخطيب وضياء الدين ابن الأثير في المنهج لكنه يتلاقى معهما في تعريف بعض المصطلحات البلاغية ، وذكر بعض الشواهد أمّا مايتعلق بالفصاحة فقد بين الطيبي تأثره بابن الأثير في المنهج ، والموضوع حين قال :- ((اعلم أن للناس في الفصاحة أقوالاً ، ولم أجد من ذلك مايعول عليه سوى ما أودعه الإمام الفاضل صاحب المثل السائر في كتابه ، وقد بسط فيه إلى أن بلغ شطار الكتاب ،وأنا أورد خلاصة ذلك مع زيادات مفيدة وحسن تأليف)) .(١)

هذا ولعل منهج الطيبي في كتابه وإن لم يكن جديداً لكنه منهج متميز عن غيره يستحق الدراسة والتأمل .

القيمة البلاغية للتبيان :

إنّ خير شاهد على أهمّية هذا الكتاب ماذكرتلميذ الطيبي الذي عاش مع الكتاب فترة طويلة قراءة خلالها قراءة متأنية ، استخرج منها كثيراً من المعاني ،والدقائق ، يقول الشيخ علي بن عيسى تلميذ العلامة الطيبي في مقدمة كتابه الحدائق :-

((... إلى أن ظفرت بكتاب التبيان .....

فوجدته بين كتب هذا الفن كالروح من الأبدان، وكالإنسان من العين، أو كالعين من الانسان محتويا على

---

(١) الحدائق ص ١٥٤٦

جميع مقاصد هذه الصناعة مشتملاً على كل مايحتاج إليه المتعلم المبتدئ، ويفتقر إليه البارع المنتهي معجزاً في العبارة كأنّ حلى المعاني أفرغت في قالب ألفاظه أو خلل اللفظ فصّلت على قامة معانيه)) .(١)

فالشارح ميز واختار كتاب أستاذه الذي عثر عليه بعد جهد المطالعة في الكتب المصنفة في هذا الفن ، واختاره على غيره لتميزه عنه من الناحية الموضوعية حيث اتّسم بالشمول ، والاستقصاء في موضوعاته ، ومن ناحية أسلوبه فيتّسم بالمتانة والإيجاز .

ولنستمع إلى الطيبي وهو يشيد بكتابه في المقدمة فيقول :-

((هذا وان كتابي إذا تركت المراء واتبعت الهدى قلت هو بديع في اغرابه ، واذا رمقت بعين الرضى ، وجانبت الهوى خلته مفرداً في بابه ...)) .(٢)

والذي يظهر لي أنه على الرغم من كل ماقيل في محاسن الكتاب لايخلو من بعض المآخذ والهنات ، فعلى سبيل المثال من ناحية خطة الكتاب ، ومنهجه نجده لم يفرد موضوع القصر بباب مستقل ومن ناحية الأسلوب نجد أسلوبه في بعض المواضع يغلب عليه الغموض إذ لا يستطيع القارئ الوصول الى المعنى الذي يريده المؤلف إلا بصعوبة وعسر وهو في هذا متأثر بأسلوب السكاكي ، ولعل مثل هذه الهنات لاتنقّص من قيمة الكتاب أو ينقص من شأنه ، فجزى الله الطيبي خير الجزاء لما قدم من خدمة في سبيل هذا العلم ولتصنيفه لهذا الكتاب القيم والذي حظي من قبل الدارسين بالشرح والدراسة .

من جهود الطيبي في كتابه :

إنّ الدارس لكتاب التبيان يظهر له مدى الجهد الذي بذله الطيبي فيه كما يتبيّن له ذلك من كلام تلميذه في اشادته بالكتاب والذي ذكرته سابقاً لكن هذا لايمنع من ذكر كلام الطيبي في الجهد المتميز الذي بذله في الكتاب إذ يقول :-

((هذا وان كتابي اذا تركت المراء واتبعت الهدى قلت هو بديع في اغرابه ، واذا رمقت بعين الرضى وجانبت الهوى خلته مفرداً في بابه لما ضمّنته من مباحث المفتاح ماكان أصولها ، ومن مناقث الكشاف ما آتى محصولها ورشّحته بما في المصباح ، والايضاح من النوادر ، ووشحته بزبدة النهاية ، والمثل

---

(١) الحدائق ص ٣

(٢) الحدائق ص ٣٨

السائر ، وعقلت ماشذ على بعضهم من الأوابد، فانقيد للأزمة تلك القواعد الشوارد ، ونظمت فيه من عيون فوائد النثر ، ودرره ، ومختار قلائد النظم . ومجيّده ، ولم آل جهداً في الترصيف، والتنقيح والتوفير من المباحث مع التوضيح، وأدرجت في تضاعيف ذلك مما هداني الله إليه من لطائف مالم تكن مبتدعة ومنحني منها مالم تجد فيها مودعة)) .(١)

فهذا نص صريح على لسان المؤلف يبيّن فيه مدى الجهد الذي بذله في الكتاب ، ويحدد الدارس للكتاب أثر هذا الجهد في تضاعيفه .

°

من مصادره فيه :

لقد نصّ الطيبي في مقدمة كتابه على بعض المصادر التي اعتمد عليها حين قال :- ((...لما ضمّنته من مباحث المفتاح ماكان أصولها ومن مناقث الكشاف ما آنس محصولها ، ورشحته بما في المصباح والإيضاح من النوادر ، ووشحته بزبدة النهاية ، والمثل السائر ....))(٢) لكن الدارس لكتابه يجد أنه رجع إلى مصادر أخرى في التفسير والنحو والبلاغة والأدب وغيرها، وقد ذكر الدكتور عبد الستار مجموعة من هذه المصادر خلال دراسته للكتاب فبعد أن نقل كلام الطيبي السابق قال :-

((.....اذ من مصادر الكتاب أيضاً :- تحرير التحبير لابن أبي الاصبع - الوشي المرقوم لابن الأثير، تفسير الرازي - اعراب القرآن للزجاج - أمالي ابن الحاجب - كتب الراغب الأصفهاني - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، الكتاب لسيبويه - مجمع الأمثال للميداني - يتيمة الدهر للثعالبي)) .(٣)

ولعل كثرة، وتنوع مصادره تبيّن سعة اطلاعه وغزارة علمه مع تمكّنه، ورسوخ قدمه في مختلف العلوم والفنون، وتشهد أيضاً على أمانته العلمية ومنهجيّته في التأليف ، وهذا هو شأن علمائنا الأجلاء ، ومنهم الطيبي رحمهم الله تعالى ..

ثالثا : الشارح الشيخ علي بن عيسى تلميذ الطيبي :-

من الشيخ علي بن عيسى ؟ :

°

لقد سكتت كتب التراجم التي تيسّر لي الحصول عليها سكتت عن الترجمة للشيخ علي بن عيسى ، أو التعريف به سواء منها تلك التي ترجمت لأستاذه الطيبي ، والتي ذكرتها فيما سبق ، أو غيرها من كتب

---

(١) الحدائق : ص ٣٨ - ٤٦

(٢) الحدائق : ص ٤٠ ، ٤٢

(٣) انظر قسم الدراسة من التبيان : ص ٣١

التراجم مثل كتاب طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، وكتاب طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ ، وكتاب فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، وكتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، وكتاب النجوم الزاهرة وكلاهما لأبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ، وقد أوردتها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لكن حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ عندما ذكر كتاب التبيان للطيبي ذكر أن تلميذه الشيخ على بن عيسى شرح التبيان في كتاب سماه حدائق البيان وأنه شرح بالقبول ، ونقل حاجي خليفة بعض ما قاله على بن عيسى في مقدمة الحدائق ، وذكر أنه فرغ منه في أواخر شوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة للهجرة [1] ، كما ذكر الشيخ إسماعيل باشا البغدادي اسم الشيخ على بن عيسى في كتابه إيضاح المكنون عند سرده للكتب المصنفة المبدوءة بحرف الحاء ذكر الحدائق وقال :- ((حدائق البيان في شرح التبيان لعلي بن عيسى تلميذ صاحب المتن الطيبي)) [2]

يتبين من هذا أن الشيخ على بن عيسى من العلماء المغمورين الذين لم ينالوا حظهم من الإشادة بهم ، وذلك بالترجمة لهم وتتبع سيرهم كغيرهم من العلماء لكن هذا السكوت من قبل المترجمين لا يمنع من محاولة التعريف به ، وتسليط الضوء عليه في جوانب من حياته وذلك من خلال ما قاله في مقدمة الحدائق

مكانته عند أستاذه الطيبي :

لقد بلغ الشارح رحمه الله تعالى مرتبة رفيعة عند أستاذه رحمه الله تعالى بين تلامذته وحظي عنده بعناية ، وتوجيه خاصين .

وقد حكى الشارح هذه العناية في مقدمة الحدائق فقال :-

((.....فلما حضرت بين يديه ، وشاهدت أحواله ، وسمعت مقاله .....

.....

فأزمعت على الإناخة بفنائه ، وحط الرحل بساحته ، والإنخراط في سلك تلامذته ، والمشاركة في مباحثاتهم ، ومناظراتهم ، ووظائف استفادتهم .....

وهو أدام الله أيامه كثير الاهتمام بحالي ، عظيم الامتنان كامل الرعاية ، وافر العناية ، منعم علي بمزيد الارشاد والاسعاد وافاضة الخيرات والمبرات .....)) [3] .

---

(١) انظر كشف الظنون ص ٣٤١

(٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل بن باشا البغدادي : ٣/ ٣٩٥ ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

(٣) حدائق البيان ص ٣ ، ٥

وهذا إنما يمثل علاقة وثيقة بين تلميذ أخلص في طلب العلوم الاسلامية ، وبالخصوص علوم البلاغة ، وفارق الأهل والاخوان، وتحمل المشاق في سبيل تحصيلها كما سأبينه فيما بعد ، وبين أستاذ وهب نفسه للعلم، وطلابه ، وبالخصوص العلوم الاسلامية ومنها علم البلاغة ، وذلك بوضع المصنفات فيها وتوجيه طلابها، ومما يؤكد ويوثق كلام الشارح من عناية أستاذه به ، وتوجيهه له ماذكره ابن حجر عند ترجمته للطيبي من أنه يعين طلبته ، ويجزيهم بدون مقابل يقول ابن حجر في هذا :-

((ملازما لاشغاله الطلبة في العلوم الاسلامية بغير طمع بل يجزيهم ، ويعينهم ، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده، وغيرهم من أهل البلدان من يعرف ، ومن لا يعرف محباً لمن عرف منه تعظيم الشريعة مقبلاً على نشر العلم)) . (١)

فهذا الذي يؤكد لنا حديث الشارح السابق من عناية أستاذه به، وتكريمه له ، ويدل ضمناً على أن الشيخ علي بن عيسى باعتباره لقي تلك العناية أنه في فترة طلب العلم عند أستاذه كان من الطلاب الذين عرف عنهم تعظيم علوم الشريعة ، لذا نال حب وتقدير أستاذه ، فرحمهما الله تعالى ..

وفاء الشارح لشيخه :

إن النتيجة الطبيعية لتلك العلاقة المتميزة بين الطيبي وتلميذه ستكون وفاءً ، وعرفاناً بالجميل ، ودعاء من التلميذ لأستاذه ، وهذا ماكان من الشارح رحمه الله تعالى ، فقد قال في المقدمة :-

((ولو أن لي في كل منبت شعرة لساناً يبث الشكر كنت مقصرا

نعم إذا عجز الانسان عن شكر نعمة، وقال جزاه الله خيرا ، فقد كفى ، أسأل الله أن يجزيه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة ....)) (٢) ، وقال أيضاً :-

((..... وسارعت إلى جناب مصنفه أسبغ ظلاله ، ولا أعدمنا أفضاله ....)) . (٣)

هكذا كانت العلاقة بين علمائنا الأجلاء وبين تلامذتهم رحمهم الله تعالى علاقة مثلى تقوم على أساس الاخلاص في طلب العلم والمحبة ، والوفاء ، والتواضع ، والعرفان بالجميل .

اشادته به وبيان قدره العلمي :

إن إشادة التلميذ بأستاذه غير مستغرب وخاصة من الشيخ علي بن عيسى الذي عرفنا ماعرفنا من مدة وفائه وحبه لأستاذه يقول في أستاذه :-

---

(١) الدرر الكامنة : ٢/١٥٦

(٢) الحدائق : ص ٥

(٣) الحدائق : ص ٣

((إلى أن ظفرت بكتاب التبيان للإمام المحقق ، والحبر المدقق مالك أزمة الفضل قدوة أئمة الأدب ، برهان المفسرين ، تاج المحدثين ذي النفس القدسية ، والملكات الملكية شرف الملة والدين حسين بن عبدالله بن محمد الطيبي زاد الله توفيقه وسهل إلى نيل السعادة طريقه ...)) .(١)

كما قال في موضع آخر في نهاية شرحه لحديث سعد بن عبادة شرحا بلاغيا :- ((ولعمري إن من وقف على هذه الوجوه المستنبطة في الحديث شهد لجلالة رقة فهم مصنفه العلامة وذكاء قريحته الوقادة أنه مسنون بتوفيق الله ومنه ، ولا غرو أنه نسيج وحده في فنه فكم مثلها سحر البيان من عنده .....)) .(٢)

تواضع الشيخ علي بن عيسى رحمه الله تعالى :

ان أبرز صفة يتحلى بها العالم فضلا عن طالب العلم هي التواضع والبعد كل البعد عن الخيلاء الذي يكون سببا في حرمان العالم من محبة الناس ، وبعدهم عنه ، وقد يؤدي إلى حرمانه من فوائد علمية كثيرة توصل إليها من هو أعلم منه لكنه بغروره يستنكف عن الأخذ عنه أو يحرم هو من التوفيق لاعتقاده أن ماوصل إليه هو الصحيح وليس غير ذلك فيبعده ذلك من التفكير في المسألة مرة أخرى ، أما بالنسبة لطالب العلم فإن الخيلاء يعد أكبر عقبة في طريق تحصيله العلمي ، فإنه بسلوكه هذا المسلك يحرم نفسه من خير كثير يرد على لسان أساتذته ، وهذا السلوك قد يوقعه في أخطاء علمية كان في غنى عنها لو تواضع قليلا ، وسأل شيوخه ، هذا والمأثور عن علمائنا الأجلاء وتلامذتهم هو صورة مثلى للعالم منهم ، وطالب العلم من التواضع الجم مع العلم الغزير ، وأبرز شاهد على ذلك ماذكره الشارح رحمه الله تعالى في مقدمة الحدائق فإنه على الرغم من شرحه وتوضيحه وتفصيله للمسائل البلاغية التي أجملها أستاذه وإيراده لفوائد لم يعرض لها أستاذه ، وشرحه للشواهد شرحاً وافياً من جهة مفرداته ، ومعناه ، وموضع الشاهد فيه فعلى الرغم من كل ذلك نجده يقول :- ((..... معترفاً بقصور الباعة ، وقلة البضاعة في الصناعة مقراً بأن شربي منها كان رشحاً دون النهل ومكاني منها سفحاً دون الظل .....)) .(٣)

---

(١) الحدائق : ص ٣

(٢) الحدائق : ص ١٧٣٦

(٣) الحدائق : ص ٧

هذا التواضع الجم من الشارح رحمه الله تعالى يقتدى فيه بأستاذه الطيبي فعلى الرغم من القيمة البلاغية التي نالها كتابه التبيان وقد بينت بعضها فيما سبق على الرغم من ذلك قال :- ((.....ومع هذا لا آمن فيما أوردته من سلق، وسبقه، وطغيان اليراع، وخرقه وأن الفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته مع أني بالقصور في الصناعة معترف ومن مزجاة البضاعة متترف ...)) (١).

هذه سورة مثلى ونموذجية في التواضع من عالم جليل وطالب علم حريص لم تنقص من قدرهما شيئا بقدر ما رفعت من شأنهما ، فرحم الله الجميع ..

أمانته العلمية :

إن أبرز صفة تميز العالم هي أمانته العلمية ، وإشارته الى المصادر التي أخذ عنها ، ونسبة الجهود إلى أصحابها ، وعدم نسبتها إلى نفسه إلا إذا كان صاحبها ، وهذا ماكان من علمائنا الأجلاء ومنهم الشارح الذي ذكر بعض المصادر التي اعتمد عليها في المقدمة حيث قال : ((.....ما استفدت من خدمته في أثناء القراءة ، وما أملى علي خالة الكتابة وفي غير تلك الحالة وما كتبه على حواشي الكتاب بعد المراجعة ، والمراودة ، والمطالعة للكتب المعتبرة في هذا الفن كشرحي المفتاح وغيرهما .....)) (٢)

هذا النص يدل على مدى دقة الشارح ، وحرصه الشديد على نسبة الجهود إلى أصحابها فإنه لم يكتف بذكر المصادر المحررة بل ذكر المصادر الشفهية التي استفاد منها ، فهذه قمة الأمانة العلمية، وسأبين فيما بعد تنوع مصادره .

عقيدته رحمه الله تعالى :-

إن المتتبع لكتاب الحدائق يتبين له أن مذهب صاحبه الشيخ علي بن عيسى من الناحية العقدية هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ذكر ذلك صراحة لا مواربة فيها من خلال رده على الزمخشري والسكاكي اللذين هما من المعتزلة .

فقد مثل الطيبي لحذف المسند إليه لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة بقوله خالق لما يشاء (٣) ، أما الشارح فإنه وجه المثال بمقتضى مذهب المعتزلة الذين منهم السكاكي وبمقتضى مذهب أهل السنة وهو مذهب الشارح فقال :- ((قوله خالق لما يشاء استشهد به صاحب المفتاح وفيه اعتزال خفي لأن العبد

---

(١) الحدائق : ص ٤٧ ، ٤٩

(٢) الحدائق : ص ٧

(٣) انظر الحدائق : ص ١٥١

أيضاً خالق عندهم فلابدّ من قيد مايشاء ليخرج العبد ، وأمّا عند أهل السنة فالعبد إن لم يكن خالقا حقيقة فقد يكون على المجاز ، قال الشاعر:-

خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسمر القنا والبيض عيناً وحاجبا

فاذن عم الاستشهاد به بقيد مايشاء حتى يخرج العبد عنده حقيقةوعندنا مجازا .[1]

كما ذكر الطيبي عند كلامه عن وجه الشبه في قوله تعالى ((وأشرقت الأرض بنور ربها))[2] أنه تعالى نعت العدل بالنور[3] .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فبيّن توجيه الآية إذا حمل النور على المجاز أي العدل ، كما ذهب إليه الزمخشري وتوجيهها إذا حمل على الحقيقة كما ذهب إليه الطيبي ، وهو مارجحه الشارح ، يقول الشارح في كل ذلك :- ((قوله ((نعت العدل بالنور)) أي شبه باقامة الله الحق والعدل في أرض القيامة للانتفاع بها ، وتزيين الأرض بسببهما باشراق النيرين وجه الأرض ، وبيّن مافيها ثمّ حذف المشبه ، وأقيم المشبه به مقامه وجعلت اضافة النور إلى الرب ثم اضافة الرب إلى الأرض قرينة هذا إذا أريد بالنور العدل كما ذكر في الكشاف وأمّا إذا أجرى على حقيقته كما ذكر في فتوح الغيب وهو الأظهر فيخرج عن الاستشهاد به))[4]

هذا الأظهر هو الأسلم إن شاء الله تعالى .

كما يشهد على أن الشارح علي بن عيسى سني المذهب ، وليس شيعيا اشادته بالشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في كثير من المواضع في كتابه .

ردّه على المتفلسفة وأتباع الفرق الضالة :

إنّ عداء الشارح رحمه الله تعالى للمتفلسفة ، وأصحاب الآراء الزائغة ينبع من مذهبه العقدي ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون في أخذهم على الرواية الصحيحة ويقفون عند لفظ النصوص في المتشابهات ، وصفات الله تعالى فلا يدخلون في هذه المسائل بعقولهم المجردة كما فعل غيرهم من المتفلسفة وأصحاب الفرق الضالة ممن وصلت بعض آرائهم إلى الكفر أعاذنا الله من ذلك ، لهذا لا نستغرب بغض الشارح لهم فقد استشهد الطيبي[5] لذكر المسند اليه بغرض الاستهزاء

---

(١) الحدائق : ص ١٥١

(٢) من الآية ٦٩ من سورة الزمر .

(٣) انظر الحدائق ص ٧٩٥

(٤) الحدائق ص ٧٩٥ ، ٧٩٦

(٥) انظر الحدائق ص ١٦٧

بساطاً للكلام لأنّ المقام يقتضيه استشهد بقوله تعالى :- ((هي عصاي)) [1] أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه بعد أن ذكر وجه اقتضاء المقام لذكر المسند إليه في الآية نقلاً عن السكاكي وحلّل كلامه ، وبعد أن نقل كلام الزمخشري عن المآرب الأخرى التي كان موسى عليه السلام يستعمل لها العصا ، قال بعد هذا :-

((..... ونحن إنّما أرخينا عنان القلم في هذا الباب لأنّه مقام البسط والإطناب لنريك أن الله تعالى حمى مشارع كلامه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من أن يكون موارد أهل البدع ، والأهواء ومشارب أصحاب الزيغ والأراء كالمتفلسفة ومن شارعهم)) . [2]

ويشهد أيضاً لما قلت من ذم الشارح للمتفلسفة وطعنهم ما ذكره عند شرحه لبيتي الصاحب بن عباد وهما :-

وطور بن سينا زمانا قد فرقت بسه ... ومادروا أنني ذو طور سيناء

فاضت علىّ لدنّيا زواخره ... من كوثر المصطفى طوبى لآلاء [3]

فقد قال الشارح :- ((..... ونعم ما قال من قال عليك أن تسدّ سمعك من أباطيل الفلاسفة لأنّه لو مزجت قطرة منها بالبحر لمزجته وأنّها لم تزل علوم مشئومة تورث في الدنيا الخزي والهوان وفي الآخرة الخيبة والخسران .....)) . [4]

من خلال هذا يظهر لنا أنّ الشارح إنّما يبغض المتفلسفة وأصحاب الآراء الزائغة لآرائهم الفاسدة البعيدة عن الكتاب والسنة .

وقفات مع الشارح :

من خلال دراسة أسلوب الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى يمكن الاستنتاج بأنه متأثر بالمتصوفة يتجلى ذلك من خلال أسلوبه في بعض المواضع التي غلبت عليها الروح الصوفية ، كما أنّه استعان ببعض عباراتهم التي تدور على ألسنتهم في العادة ، ومن الشواهد على ما قلت من خلال كلامه ما ذكره في تفسير سورة الكوثر تفسيرا صوفيا فقال :- ((ويمكن أن ينزّل المعنى على لسان أهل العرفان فإنّ

---

(١) من الآية ١٨ من سورة طه

(٢) الحدائق ص ١٧٣

(٣) انظر الحدائق ص ١٥٨٧

(٤) الحدائق ص ١٥٨٩

قوله ((إنا أعطيناك الكوثر))[١] كما دلّ على ذلك المعنى بعبارة النص يدلّ باشارته على سبيل الإدماج على العناية الأزليّة ، والجذبة الأوليّة ، ويدلّ قوله تعالى ((فصلّ لربّك))[٢] على السلوك بعد الجذبة والعروج إلى مدارج القدس ، ومخدع الأنس ، وكما دلّ ((وانحر))[٣] بالعبارة على ماشرحناه دل بافادته على نحر النفس الأمارة بالمجاهدة ، وقمع شهواتها بالرياضة وكذا قوله ((إنّ شانئك هو الأبتر))[٤] يدل باشارته على قطع نصيب الشيطان ، وتسويله من النفس الزكية الطاهرة النبوية كما قال ولكن الله أعانني عليه فأسلم))[٥] .

ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :-

وان قلت مالي الذنب قلت مجيبة حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

الذى استشهد به الطيبي[٦] مع بيتين آخرين معه على المراجعة وهي السؤال والجواب، أو المحاورة التي تجرى بين اثنين ويحكيه شخص ثالث ،فقد قال :- ((وقوله حياتك ذنب اشارة الى مقامات العارفين وفناء المحب فى بقاء المحبوب، واضمحلال الرسوم للتهيء للوصول، والتخلية للتحلية))[٧] .

ومن الأمثلة أيضا ماذكره الشارح عند قول الطيبي[٨] :- ((من عرف الله طال لسانه)) والذى أورده عند شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، فقال الشارح رحمه الله تعالى :-

((قوله طال لسانه هذا اشارة إلى كون العارف مكمّلاً لغيره يدعوه إلى طريق السلوك وقوله كلّ لسانه اشارة إلى كمال حاله وفنائه عن أوصافه تلخيصه الأول يدل على الدعوة والثاني على الخلوة))[٩] .

والذى يظهر لدارس التاريخ الاسلامى أنّه عندما تنزل بالمسلمين الكوارث والمصائب كالحروب

---

(١) الآية ١ من سورة الكوثر .
(٢) (٣) من الآية ٢ من سورة الكوثر .
(٤) الآية ٣ من سورة الكوثر .
(٥) الحدائق ق ١٣
(٦) انظر الحدائق ص ١٢١٥
(٧) الحدائق ص ١٢١٥
(٨) انظر الحدائق ص ١٧٢١
(٩) الحدائق ص ١٧٢١

المدمرة مثلا وغيرها يعود الناس إلى حياض الدين عودا قوياً ، فبعضهم يسلك في عودته الطريق القويم الصحيح وهو الأخذ من المصدرين الأساسيين ، وهما الكتاب والسنة الصحيحة ، وهما ماعليه سلف هذه الأمة ، وبعضهم يتخبط في طريق عودته بسلوك طرق بعيدة عن المصدرين السابقين كبعض طرق الصوفية الذين يغرقون في الخرافات والمبالغات ، والغلو البعيدة كل البعد عن منهج الكتاب والسنة وفي عصر الشارح رحمه الله تعالى نجد أنه بعد أن ابتلى الناس بنكبة التتار ، وما جرى على أيدي هؤلاء من الفظائع ، والويلات عاد الناس إلى دينهم واختلفوا في سلوك طريق العودة فعلى رأس العلماء الذين ساروا على الطريق الصحيح في العودة إلى الدين بالاعتماد على الكتاب والسنة الامام ابن تيمية ومن تبعه رحمهم الله تعالى على أنّ هناك علماء آخرون سلكوا طرقاً أخرى من تصوف ، وغيره لهذا لا نستغرب انتشار التصوف في أنحاء العالم الاسلامي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ومن الأمور التي تؤخذ على الشارح رحمه الله تعالى اعتماده على روايات ضعيفة جدا نقدها كثير من العلماء في مسألة طلاق زيد بن حارثة رضي الله عنه لزينب بنت جحش رضي الله عنهما وزواج الرسول صلى الله عليه وسلم منها فيما بعد ذكر ذلك عند حديثه عن التلميح إلى قصة وقد ناقشت هذه المسألة في موضعها في التحقيق [1] ، ورددت عليها وبينت الصواب فيها من خلال أقوال العلماء فيها رحمهم الله تعالى .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٦٣ - ١٤٦٥

أبرز الملامح السياسية في عصره

ذكرت فيما سبق أن كتب التراجم سكتت عن ترجمة الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى حتى يتسنى لنا معرفة موطنه الأصلي ومحاولة ربطه بأحداث عصره لكن الأمر الثابت أنّه جاء إلى أستاذه الطبيبي من بلاد بعيدة وتحمّل مشاق السفر ، ذكر ذلك في مقدمة الحدائق حيث قال :-

((.....بحيث دعاني ذلك الطلب إلى تطواف البلاد ، ومهاجرة الأوطان ، ومباعدة الاخوان ، وتحمّل أخطار الأسفار ، وقطع المهامة والقفار .....

فلما حضرت بين يديه ، وشاهدت أحواله ، وسمعت مقاله أنشدت :-

وتستعظم الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

.....فأزمعت على الاناخة بفنائه ، وحطّ الرحل بساحته ، والانخراط في سلك تلامذته .....

ولما جرى الأمر على ماذكرت فكثيراً ماخطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب اعانة للطلاب ، وتقريرا لمرامهم مايتعلق بحل مشكلاته .....

لكن عاقني عوائق الزمان ، وطوارق الحدثان عن امضاء تلك العزيمة إلى أن أمرني الأستاذ المصنف أدام الله أفضاله ، وأشار وكان إشارته لي غنماً ، وطاعته على حتماً بمثل ماوقع في خاطري مراراً من تأليف تلك الفوائد ، ونظم تلك الفرائد ، ولمّا انضم أمره العالي إلى ذلك الخاطر فلا يمكنني التوقف ، والاسهال ، والتعلّل والاهمال فصمم العزم على امتثال أمره ، وشمرت عن ساق الجد شرعت فيه مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه .....)) (1).

والمعروف أن الشيخ علي بن عيسى انتهى من الحدائق في حياة أستاذه أواخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة للهجرة كما نصّ عليه في آخر الكتاب ، فمن خلال هذا الكلام الذي ذكره الشارح في المقدمة من أنه نزل عند أستاذه ، وتتلمذ عليه ، وقرأ عليه التبيان إلى أن خطر له شرح الكتاب لكنه لم يمض عزمه إلى أن أشار عليه أستاذه بذلك ، فامتثل أمره ، ومن خلال ذكره لتاريخ انتهائه من الكتاب يمكن الاستنتاج أنّه بقي عند أستاذه عدة سنوات ، وإن لم يتبيّن عددها هذا ، وقد ذكر الدكتور عبدالستار محقق التبيان في قسم الدراسة أن الطبيبي سواء كانت نسبته إلى مدينة طيب أشهر بلدة في اقليم أذربيجان بايران على اعتبار أنّها موطن

---

(1) الحدائق ص ٣ ، ٥ ، ٧ .

أسرته ، أو أنه عاش بمدينة تبريز بايران فعلى أى الاعتبارين فالطبيبى من ايران التى كانت مركز ملكة المغول الايلخانيين حينذاك .(١)

هذا وقد ذكر الشارح كلمة موجزة للوضع العام فى مدينة تبريز سنة ست وثلاثين وسبعمائة اذ وافق شرحه لبيتى ابن عثين :-

وكنا نرجّى بعد عيسى محمداً ... ليكشف عنّا شدة الضرّ والبلوى

فأوقعنا فى التيه موسى فكلّنا ... حيارى ولا منّ هناك ولا سلوى (٢)

فقد قال الشارح :- ((ومن الاتفاقات العجيبة أنّ وافق شرح هذين البيتين شهور سنة ست وثلاثين وسبعمائة وفى ربيع الآخر منها توفى السلطان أبو سعيد خان وملك بعده أرياخان وكان يتّهم بالتعصب للملّة العيسوية ، ثمّ فى أواسط رمضان منها ملك موسى خان ، وكان الناس يتوقّعون منه ، ومن اجتمع عليه صلاح دينهم ودنياهم فى عهدهم بما عهدوا قبل ذلك من تدينهم وحسن سيرتهم فشغلهم فى ذلك أمور حسبوها مصالح ، وكانت مفاسد وهى ميلهم الى الأغراض العاجلة ، وركونهم الى الخطام الدنيوى فوقع النهب فى بيوت الوزير ، وأصحابه فى مدينة تبريز وعمّ الخطب وتكدّرت القلوب بتشتيت الأحوال ، وانسدّت الطرق على التجّار من كل أوب ، وانقطعت السبل حتى بيع منّ السكر بخمسة دنانير ، وورقة من الكاغد بدرهم ، ثمّ فى أواسط ذى الحجة ملك محمد خان ، ثم انتهى ملكه فى آخر ذى الحجة لسنة ثمان وثلاثين منها))(٣) فمن خلال ما استنتجناه سابقاً من أن الشارح على بن عيسى رحمه الله تعالى بقى عند أستاذه الطيبى رحمه الله تعالى عدّة سنوات ، وأنّ الطيبى عاش فى مدينة تبريز ، ومن خلال ماذكره الشارح عن أحوال النّاس فى مدينة تبريز التى تعدّ أشهر بلدة فى اقليم أذربيجان التابعة لدولة ايران فى ذلك الوقت فمن خلالها يمكن التعريف بالأوضاع السياسية فى ايران بصورة موجزة خلال الفترة التى صنّف فيها على بن عيسى شرحه ، فقد ذكر الدكتور عبد الستار أنّه فى أوائل القرن السابع الهجرى توحّدت القبائل المغوليّة عبر آسيا تحت قيادة جنكيز خان ، فاكتسح البلاد جنوباً وشرقاً ،وسيطر على الصين المتحضّرة فى ذلك الوقت ، ثمّ اتجه إلى الغرب فاكتسح الدولة الخوارزميّة ، واستمرّ الجيش المغولى فى تقدمه فاستولى على بخارى وسمرقند وبلخ وغيرها من المدن والحواضر الاسلامية ،

---

(١) انظر قسم الدراسة من التبيان ص ٣ ، ٤

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٤٤

(٣) الحدائق ص ١٤٤٤

وقد قتل فى هذا الغزو ملايين الناس من أهل إيران وغيرها من البلاد ، ثم رجع جنكيز خان إلى الشرق بعد أن تمّت له السيطرة على أغلب ايران ، وتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، فتوالت الأحداث إلى أن أرسل ملك التتار منكوقا آن حفيد جنكيز خان أخاه هولاكو سنة ٦٥١ هـ فأخضع أمراء إيران ، والقوقاز ، وفتح حصون الاسماعيلية ، وأسقط الخلافة فى بغداد فى صورة همجية وحشية ، وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس فى المحرم سنة ٦٥٦ هـ ، ثمّ توجه جنوب غرب يقصد الشام ومصر ، ولم يوقف زحفه الاجرامى المخرب إلّا فى موقعة عين جالوت فى فلسطين سنة ٦٥٨هـ ، فارتدّ خطر التتار عن مصر والعالم كله ، ومالبث أن انحسر شرّهم عن الشام سريعاً لكن نفوذهم وسيطرتهم استمرا فى العراق ، واتصل ملكهم من بادية الشام إلى التركستان الشرقية فحكم هولاكو الأقطار التى استولى عليها فى هذا الغزو الذى أرسله أخوه ، وتمتدّ هذه الأقطار من نهر جيحون إلى البحر الأبيض المتوسط ، ومن جبال القوقاز إلى المحيط الهندى ، وأنشأ لنفسه فى هذه المناطق دولة جعل مركزها ايران ، واتخذ لنفسه لقب ايل خان[1] الذى انتقل إلى خلفائه من بعده ، وأكسب دولتهم هذا الاسم فصارت تسمى ((دولة الايلخانيّين فى ايران)) وتتابع على ملك هذه الدولة بعد هولاكو ذريته من بعده وكان آخر ملوكهم أبا سعيد الذى توفى سنة ٧٣٦ هـ ، ثمّ تنازع الملك بعده بضع سنوات بعض المطالبين بالعرش من الفروع البعيدة عن الشجرة المغوليّة ، واستمرت هذه الدولة من أواسط القرن السابع الهجرى إلى منتصف القرن الثامن الهجرى ، وبالتحديد سنة ٧٤٤ هـ ، وقد اتسعت أرجاء هذه الدولة حتى شملت مساحات شاسعة امتدت من نهر السند شرقا إلى حدود سورية ، وأملاك الدولة البيزنطية غرباً ، ومن بحر قزوين والقوقاز شمالا إلى بحر الهند جنوبا ، وشملت ولايات كثيرة ، ومدناً وحواضر هامّة من تلك الولايات خراسان ، وقوهستان ، وكرمان ، والعراق العجمى ، وفارس ، وخوزستان ، وأذربيجان ، والعراق العربى .

هذا وعلى الرغم من أن هجوم المغول واجتياحهم المدن والقرى أورثها الخراب والدمار وأهلكوا الحرث والنسل ، ونشروا القتل والرعب بين الناس لكن سرعان ما استجاب منهم الايلخانيون للحضارة المحيطة بهم ودخلوا فى الاسلام ، وشاركوا فى بناء الحضارة الاسلامية ، وعوّضوا العالم عن بعض ما أصابه على أيديهم من التدمير والتخريب ، لكنّ هؤلاء الايلخانيين اتسمت دولتهم بالثورات المتعددة ، والفتن ، والقلاقل ، والاضطرابات المتلاحقة اذ لم يخل عهد من عهود ملوكهم من قيام

---

(١) ومعناها أمير القبيلة أو الأمة ، أو الأمير العظيم ، أو الأمير القوى ، انظر قسم الدراسة للتبيان ص ١٤ .

فتن وثورات حتى فى عهد أقواهم وهو غازان ، ويعلّل المؤرخون قيام هذه الثورات وتدبير الفتن والمؤامرات فى عهد هذه الدولة الايلخانيّة أنّهم يعيشون فى مجتمع لا يحترم مبدأ الوراثة فى تولّى الملك بل كان القواد العسكريون لهم شأن عظيم ، وتأثير كبير، وسيطرة واسعة فى مجريات الأحداث وخاصة بعد أيام هولاكو ، وأباقاخين اعتلى عرش الدولة ايلخانات ضعاف ، وقل اهتمام القواد بالحروب والغزو فصاروا يتدخلون فى شئون الدولة ، وشئون العرش ، ومن أسباب تلك الفتن أنّ من نظام الدولة تولية أكثر من وزير لمهمّة واحدة ، وقد أدى ذلك إلى التنافس الذى أدى إلى الحقد والضغينة وتدبير المؤامرات[1] ، ولعلّ هذه المآسى من أسباب ضعف هذه الدولة فيما بعد ، وسقوطها سريعاً ، إذ لم يصل عمرها إلى مائة عام .

هذه أبرز ملامح العصر من الناحية السياسية .

الحالة العلمية فى عصره :-

على الرغم من الأحداث التى دهمت إيران على أيدى المغول كما ذكرنا سابقاً ، وعلى الرغم مما أصاب الأقاليم من التخريب والتدمير وما اكتنف ذلك العصر من فتن ، وقلاقل ، وثورات ، على الرغم من هذا كله نجد العلوم والمعارف ظلّت مزدهرة فى هذا العصر بل كانت تلك الفترة من التاريخ غنيّة غنى هائلاً بالانتاج الأدبى وماذلك الا بتقدير بعض ملوكهم للعلم والعلماء وتشجيعهم على البحث فى شتى فروع المعرفة حتى أولئك الملوك الذين عرفوا بقسوتهم وغلظتهم فى حروبهم ، فقد حكى عن جنكيز خان فى غزواته أنّ من الذين أسقط عنهم المؤنة والكلفة الفقهاء ، والأطباء ، وأرباب العلوم على اختلافهم وماقيل عن بعض ملوكهم ، فعلى الرغم من قسوته وغلظته فإنّه كان يحب تشييد الأبنية ، وتشجيع العلماء ، والحكماء على مواصلة البحث والدرس إذ كان يخصص لهم الرواتب ، ويغدق عليهم الهبات ، ويزين مجلسه بحضورهم ، كما كان يميل إلى علوم الحكمة ، والنجوم ، والكيمياء ، ويصرف بسخاء فى سبيل تقدم هذه العلوم ، وقد عهد إلى نصير الدين الطوسى العالم الرياضى الفلكى ببناء مرصد عظيم فى مدينة مراغة ، وقيل إنّه فى عهده وجد الألوف من العلماء ، ومن جملتهم القاضى البيضاوى ونصير الدين الطوسى ، ومن العلماء الذين وجدوا فى عهد الدولة الايلخانية العلّامة قطب الدين الشيرازى ، والعلّامة قطب الرازى ، والقاضى عضد الدين الأيجى ، والشيخ ولى الدين التبريزى ، صاحب مشكاة المصابيح

---

(١) انظر قسم الدراسة لكتاب التبيان بتحقيق د . عبد الستار ص ١٢ - ١٦ .

وشرف الدين الطيبى الذى شرح المشكاة ، وقد أكبّ الناس على دراسة مصنفات هؤلاء ، وغيرهم فى سائر الفنون ، كالمنطق ، والكلام ، والأصول ، والتفسير ، والصرف ، والنحو ، والبيان ، والفقه ، وغيرها من الفنون ، أما ما يتعلّق بعلم البلاغة فى ظل تلك الدولة فى ايران فنجدها تدور فى فلك مدرسة السكاكى مابين شرح للمفتاح ، أو تلخيص له ، ومن المؤلفات التى سلكت هذا النهج شرح المفتاح للشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، والفوائد الغياثية لعضد الدين الأيجى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ .(١)

هذه نظرة عامة للعصر من الناحية العلمية . .

---

(١) انظر قسم الدراسة للتبيان للدكتور عبد الستار ص ١٧ - ٢٧ .

((القسم الأول : الدراســـــة))

((حدائق البيان الغرض والخصائـــــص))

أهمية علم البلاغة في نظر الشارح :-

علم البلاغة يعدّ من أشرف العلوم ، وأعلاها درجة لأنها الطريق إلى تذوق بعض أسرار نظـــم القرآن الكريم ، والوقوف على وجه اعجازه في نظمه وبلاغته وهو الوجه الذي وقع به التحدي، هذا ما ذكره الشارح رحمه الله تعالى ، فهذا العلم يستمد شرفه ، ويستحق درجته الرفيعة من خلال غرضـــه ، وهدفه ، وهو الوقوف على أسرار كلام الله من جهة نظمه وبلاغته ، فشرف الوسيلة مستمدّ من شرف الغاية واستشهد لهذا بما ذكره الزمخشري في مقدمة تفسيره الكشاف نقلاً عن الحاحظ الذي ذكر أن كـــلاً من الفقيه والمتكلم وحافظ القصص والأخبار ، والواعظ ، والنحوي ، واللغوي كل واحد من هؤلاء مهمـــا برع في صناعته فإنه لا يستطيع الوقوف على أسرار كلام الله ومعرفة حقائـــق ودقائق قرآنه الحكيـــم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلا بالبراعة والتعمق في علمي المعاني والبيـــان ، كما استشهد الشارح بقول السكاكي أن الويل كل الويل لمن يتعاطى تفسير كتاب الله وهو لم يتمكن ، ولم يتعمق ، ولم ترسخ قدمه في علمي المعاني والبيان .(1)

والذي ظهر لي أن كلام الشارح في بيان أهمية دراسة علم البلاغة وقبل دخوله في كلام الحاحـــظ والسكاكي تأثر فيه بالامام عبد القاهر من ناحية الأسلوب ، يقول الشارح في هذا :- ((إن أشـــرف العلوم .....

وذلك علم المعاني والبيان وصناعة البديع التي لولاها لم تر لسانا يحرك الوشي، ويسوغ الحلي، وينشـــر الدر، وينفث السحر .....)) .(2)

ويقول الامام عبد القاهر في مقدمة دلائل الاعجاز :-

((.....ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأبسق فرعاً ، وأحلى جنى وأعذب ورداً ، وأكـــرم نتاجاً ، وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحرك الوشي ، ويسوغ الحلي ، ويلفـــظ الدر ، وينفث السحر، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفيـــه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولاستمـــر السرار بأهلتها ، واستولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الاحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء))(3)

---

(1) انظر الحدائق ص ٣
(2) الحدائق ص ١
(3) دلائل الاعجاز ص ٥ ، ٦

فأسلوب الالمام واسهاماته فى وضع هذا العلم لايكفى الحديث عنها والاشادة بها فى هـــذه الكلمات ، ولكنى أقول إنه بكتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة يكون قد رسم للبلاغيين منهجـــا جديداً فى الدراسة البلاغية التى ميزها ، وصبغها بالروح الأدبية ، والاحتكام إلى الذوق عند الوقوف على أسرار نظم النصوص فتأثر الشارح رحمه الله تعالى به يدلّ على حسن اختياره فى أخذه عـــن العلماء السابقين رحمهم الله تعالى .

جهده فى تحصيل علم البلاغة :

تتجلى عنايته واهتمامه بتحصيل هذا العلم من خلال ماذكره عن أهمية هذا العلم فى معرفـــة وجه اعجاز القرآن الكريم الذى وقع به التحدى، وفى تفسيره إذ لا يستغنى عنه مفسر ، لهذا لانستغرب إذا فرغ الشارح رحمه الله تعالى جهده، ووقته، وتحمّل المشاق فى سبيل تحصيل هذا العلم من خـــلال دراسة الكتب المصنفة فيه، وبالجلوس على مشايخ هذا الفن للإستفادة منهم ، ومناقشة طلاب هذا الفـــن لترسيخ قواعده ، وتشقيق مسائله ، وقد ذكر الشارح هذا الجهد الذى بذله فى مقدمة شرحـــــه فقال :-

((..... وإذا كان الأمر كذلك فالاشتغال بهذه الصناعة ، وصرف الهمة بتحصيلها من أهـــمّ المهمّات ، وقبيل الواجبات فلهذا كنت من المهد إلى العهد مهتما بهذا العلم ، شغوفاً بمحبة أهلـــه وطلب من هو منسوب إليه ، ومشهور به من الأئمة المتقنين، والمهرة المفلقين بحيث دعانى ذلـــك الطلب إلى تطواف البلاد، ومهاجرة الأوطان ، ومباعدة الاخوان ، وتحمل أخطار الأسفار، وقلع المراســه والقفار :-

وحيداً من الخلان فى كلّ بلـــدة إذا علم المطلـــوب قلّ المساعـــد

متصفحاً للكتب المصنفة فيه ، وفى مقدماته ، ومتصاته مقتبساً من مشكاة أنوار مشايخ هذه الطريقـــة ، وعلماء هذا الفن مستفيداً من مؤلفاتهم ، ومطارحاتهم ، وكتبهم .....)) .(1)

فهذا الذى يدلّ على أن عنايته الكبيرة بهذا العلم جعله يبذل فى سبيل تحصيله هذا الجهد ، والوقت ، فبرزت نتائج هذا فى شرحه الحدائق حيث اشتمل على خصائص وميزات فى دراسة القواعد ، وشرح الشواهد قلّ أن توجد فى غيره كما سيتضح ذلك فى دراسة الكتاب .

---

(1) حدائق البيان ص ٣

غرضه من وضع هذا الشرح :-

إن الباحث لا يحتاج إلى كبير عناء للوصول إلى غرض الشارح على بن عيسى من وضعه لهذا الكتاب ، فقد لخص ذلك في نقاطين في مقدمة الكتاب حيث قال :-

((..... فكثيراً ما خطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب إعانةً للطلاب، وتقريراً لمرامهم ما يتعلّق بحلّ مشكلاته ، وكشف معضلاته ، وتفصيل مجمله ، وتقييد مرسله ، ..... ومقصودي الذكر بعد رحلتي والمأمول من حسن شيم المولى المشار إليه خاف الله جلاله أن يلاحظه بعين الرضا ، والقبول، وينبه على مواقع الزلّ ، والفضول ، وأن يصلح ما يعثر عليه من الخلل والفساد ويرشدني إلى نهج الصلاح والسداد فإنّه المعين لأنواع الحقائق والمتعيّن لحلّ الرقائق)) (١)

فجعل غرضه في جزئه عاما لفائدة الطلاب وفي جزئه الآخر خاصاً وهو أن يلقى القبول عند أستاذه فجزاه ما الله خير الجزاء .

ملابسات وضعه لهذا الشرح :-

يحكي الشارح رحمه الله تعالى قصة وضعه لهذا الكتاب ، فيذكر أنّه بعد أن استقرّ به المقام عند أستاذه من بعد السفر والترحال ، ولقي عنده العناية ، والاكرام توجه للأخذ عنه ، والتتلمذ عليه ، فقرأ عليه كتاب التبيان ، ودرسه ، وتعمق فيه ، كما قام بقراءة ودراسة كتاب فتوح الغيب وهو أيضاً من مصنفات أستاذه إلى أن تبين له أنّ كتاب التبيان بمثابة المفتاح لكتاب الفتوح ، فخطر له أن يضع شرحاً للتبيان اعانة للطلاب على فهمه ، لكن عاقه عن تحقيق ذلك عوائق الزمان ، وا وارق الحدثان إلى أن أشار عليه أستاذه بوضع شرح لكتابه التبيان فانضم هذا الأمر من أستاذه إلى ما كان في خاطره سابقاً من رغبة ملحة في هذا العمل فشمّر عن ساعد الجد مستعينا بالله ومتوكلاً عليه في وضع هذا الكتاب رحمه الله تعالى مع تواضعه البين الذي يلمح من هذه العبارة يقول ((..... معترفا بقصور الباعة وقلة البضاعة في الصناعة مقراً بأن شربي منها كان رشحا دون النهل ، ومكاني سفحاً دون القلل .....)) ، ورغبة في كمال هذا الشرح طالب أن يلاحظه أستاذه بعين الرضا ، والقبول وينبهه على مواضع الخلل فيه ويرشده إلى النهج الصحيح فتم له ذلك فجاء كتابه كما يقول بحمد الله شرحاً مستقصى كالتمرين للمبيان ، فسماه بحدائق البيان في شرح كتاب التبيان . (٢)

---

(١) الحدائق ص ٥ ، ٧

(٢) انظر الحدائق ص ٣ ، ٥ ، ٧

وهذا يدلّ على أن أستاذه اطلع على شرح تلميذه ، وأقره كما يدل على أن تسمية الشارح لكتابه جاء بعد انتهائه منه ، ويدلّ أيضاً على مدى عناية أستاذه به لصفات تميز بها على زملائه مما جعل أستاذه يثق في قدرته العلمية فيشير عليه بشرح كتابه ، والدارس لكتاب الحدائق يلمس صفات صاحبه في تحقيق المسائل ، وتوضيح الشواهد ، واستقلالية شخصيته في بعض المواضع .

دراسته للتبيان :

بعد أن تبين للشارح رحمه الله تعالى أهمية كتاب التبيان من الناحية البلاغية بين الكتب المصنفة ، وبعد لقائه بأستاذه ، وخلال تتلمذه عليه أكبّ على قراءة كتابه عليه ، وعكف على التعليق عليه ، واستخراج دقائقه ، وقد أمضى في هذا مدة من الزمان تبين له بعدها أن التبيان بمثابة المفتاح ، والوسيلة إلى فهم كتاب فتوح الغيب في شرح الكشاف وهو للطيبي أيضاً لأنه يكشف دقائقه ، ويحكم قواعده ، وقد اعتبر الشارح كتاب الفتوح كتاباً شاملاً لا يترك صغيرة ولا كبيرة فيما يتعلق بشرح الكشاف بالاضافة إلى أنه اشتمل على خلاصة آراء العلماء السابقين وعصارة أفكارهم ، فأهمية كتاب التبيان بالاضافة الى ماسبق يستمد أهميته من أهمية كتاب الفتوح ، وقد قال الشارح في هذا :-

((..... ابتدأت بقراءة ذلك الكتاب [يقصد التبيان] عليه وكتابته ، وإمعان النظر في ظواهر ألفاظه ، ومكنونات فحاويه ، والتزمت هذه الطريقة ، واكتحلت بالسهاد ، وحرّمت على عيني الرقاد ، وبذلت المجهود في تحصيل المراد منه ، ومن غيره من مصنفاته الشريفة ككتاب فتوح الغيب في شرح الكشاف ، ولعمري إنه كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا جليلة ، ولا حقيرة إلا عدّلها وسوّاها فهو مختزن أسرار المتقدمين ، وحاصل أفكار المتأخرين ولله درّ القائل كتاب معانيه خلال سطوره جواهر في درج كواكب في برج وبقيت في قراءته ، وسماعه ، وتنقيره ، وتنقيحه ، وتشذيبه ، واستخراج لطائفه ، واتقان معانيه برهة من الدهر ، وأونة من الزمان فعثرت من ذلك على أن كتاب التبيان كالمفتاح للفتوح لأنه يكشف عن دقائقه ويبين دقائقه ، ويحكم قواعده ، ويحلّ معاقده ، فلابد للطالب من أن يقدّم بين يدي الفتوح كتاب التبيان وشرحه)) .(1)

فهذا إنما يدلّ على أنه أقدر شخص على شرح كتاب أستاذه بعد أن قرأه عليه ، ودرسه دراسة فاحصة ، فهذه المؤهلات وغيرها جعلت أستاذه يثق في مقدرته العلمية ، ويشير عليه بشرح كتابه التبيان .

---

(1) الحدائق ص ٥

مصادره في شرحه :

لقد ذكر الشارح رحمه الله تعالى بعض المصادر التي اعتمد عليها في تصنيف هذا الشرح ، وهذه المصادر بعضها شفهي كالفوائد التي أخذها عن أستاذه مشافهة وكإملاءاته عليه عند كتابته للتبيان وبعضها مصنفات نقل عنها مثل الحواشي التي كتبها أستاذه على التبيان ، كما ذكر أنه طالع الكتب المعتبرة في علم البلاغة منها شرح ناصر الدين الترمذي على المفتاح ، وشرح قطب الدين على المفتاح يقول الشيخ علي بن عيسى حول مصادره في مقدمة شرحه :- ((.....فكثيراً ما خاطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب ..... مما استفدت من خدمته في أثناء القراءة ، ومما أملي على حالة الكتابة ، وفي غير تلك الحالة ، ومما كتبه على حواشي الكتاب بعد المراجعة ، والمراودة ، والمطالعة للكتب المعتبرة في هذا الفن كشرحي المفتاح وغيرهما)) .[1]

لكن من خلال دراستي لهذا الكتاب تبين لي أن الشارح رحمه الله تعالى لم يكتف في وضع شرحه بتلك المصادر التي ذكرها في مقدمة كتابه بل اعتمد على مصادر أخرى متنوعة بين كتب في التفسير وكتب في الحديث وكتب في اللغة وكتب في الأدب وكتب في البلاغة ، وإنما ذكر بعض مصادره في المقدمة كما يظهر إما لكثرة استفادته منها ، وإما لقيمتها البلاغية عنده ، وقد ظهر لي من خلال تتبعي لمصادر الشارح رحمه الله تعالى في شرحه بعض الأمور والتي منها :-

أ - لم يميز الشارح أو يبين خلال شرحه على المواضع التي أخذها عن أستاذه مشافهة ، أو كتابه ، أو أملاها عليه أستاذه مفصله لكن ظهر لي بعض تلك المواضع وذلك مثلاً عندما يذكر ضمير المتكلمين ثم يحيل الى كتاب فتوح الغيب ، وهذا الكتاب من مصنفات الطيبي أن كلامه في ذلك الموضع من كلام أستاذه لكن لا يظهر لي بداية الكلام في ذلك الموضع ، ومن أمثلته ماذكره الشارح في مبحث تكميل لكون المسند إليه مضمرا ذكر قوله تعالى :- ((كلوا واشربوا من رزق الله))[2] فقد وضع الرزق موضع الماء ووضع الماء موضع الضمير حتى لا تجتمع ارادة الحقيقة والمجاز على لفظ الماء فإنه حقيقة في الشرب مجاز في الأكل والرزق قدر مشترك بين الأكل والشرب كما ذكر أنه يمكن حمل الآية على الجمع بعد التقسيم فان قوله ((من رزق الله)) جمع للآيتين السابقتين عليها الأولى قوله ((وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى))[3] الثانية قوله ((واذ استسقى موسى لقومه))[4] الآية

---

(١) الحدائق : ص ٥ ، ٧

(٢) من الآية ٦٠ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٥٧ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٦٠ من سورة البقرة .

وذكر أن الوجه الأول ضعيف ونص ما قاله هكذا :- ((والوجه الأول ضعيف ذكرنا ضعفه في فتوح الغيب))[1] وفتوح الغيب من كتب الطيبي كما سبق ذكره ، كما ذكر الطيبي قوله تعالى ((إنّ الله هو يقبل التوبة))[2] شاهداً على اقتضاء المسند اليه ضمير فصل ذكر الشارح أن الخبر فيه فعل مضارع لا يقبل دخول اللام وهو دالّ على الاستمرار ، لهذا جاز وقوع اسم الفاعل بهذا المعنى صفة للمعرفة في قوله تعالى ((مالك يوم الدين))[3] ، وقال الشارح ما نصّه :- ((وقد أسبغنا القول فيه في فتوح الغيب في الفاتحة والأنعام))[4] .

وقد ذكرت هذين الموضعين على سبيل التمثيل من عدة مواضع علقت عليها في موضعها من الكتاب .

وهذا لا يشكل في نسبة الكتاب إلى الشارح على بن عيسى وهو أمر غير مستغرب بعد أن عرفنا أن الشارح قد نصّ صراحة من أنه اعتمد ضمن ما اعتمد على املاءات أستاذه عليه عند شرحه للكتاب ، وقد ذكرت هذا الكلام عند الحديث عن توثيق نسبة الكتاب الى الشارح بل إنه - أي الشارح - جعل أستاذه يملي عليه خاتمة كتابه حيث قال :-

((وانا قد وفقنا الله تعالى من ألطافه الشاملة ، وأعطافه الكاملة اتمام الاملاء الموسوم بحدائق البيان في شرح التبيان فلنختمها بايراد حديث لما التزمنا من اتمام كل مصنف به كما اتفق في خاتمة المتن وفتوح الغيب))[5] .

فهذا يدلّ على أن الكتاب ضمنه صاحبه كثيرا من املاءات أستاذه بالاضافة إلى الخاتمة لكن لم يميز جهده عن جهد أستاذه سوى المواضع التي يحيل فيها الى فتوح الغيب مما يدل على أن هذا الموضع من املاءات أستاذه لأن فتوح الغيب من كتب الطيبي أو يحيل إلى متن التبيان نفسه مستعينا في كلا الموضعين بضمير المتكلمين ، وكما ذكرت فهذا غير مستغرب ولا يشكل في نسبة الكتاب إلى الشيخ على بن عيسى بعد أن نص صاحبه على أنّه ضمنه كثيراً من املاءات أستاذه من ناحية أخرى مامعنى ضمائر الغائب في ((قوله)) التي امتلأ بها الكتاب فاذا كان الكتاب للطيبي كان يقول قولي مثلا ، وأيضاً مخالفة على بن عيسى لأستاذه في بعض المواضع كما سأبينه فيما بعد ، فمن غير الممكن أن يخالف الطيبي نفسه اذا كان كتابه .

---

(١) الحدائق ص ١٩٤

(٢) من الآية ١٠٤ من سورة التوبة .

(٣) الآية ٣ من سورة الفاتحة .

(٤) الحدائق ص ٣٢١

(٥) الحدائق ص ١٧٣٩

ب - ظهر لى من خلال تتبع مصادر الشارح رحمه الله تعالى فى كتابه أنّه عندما ينقل من كتاب يذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه،وذلك فى بعض المواضع منها مانقله عن ابن جنى فى كتابه المحتسب أنّ نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ذكره الشارح عند كلامه عن تعريف المسند إليه باللام حيث قال :- ((قال ابن جنى فى كتاب المحتسب .....)) [1] كما نقل عنه الشارح عند كلامه عن الايجاز بحذف غير الجملة وذكر من أمثلته قولهم تروّحى أجدر أن تقيلى نقلاً عن ابن جنى حيث قال :- ((قال ابن جنى فـــــى المحتسب فى قوله تروحى أجدر .....)) [2]

ومن المواضع التى نص فيها الشارح على مصدره بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه ماذكره من أسبـــاب كون التشبيه بعيدا غريباً كونه بعيد المتناول لايدرك فى أول الخاطر ، وهذا لا يتأتى إلّا إذا تضمـــن تركيبا ثانيا على أول ثم قال :- ((قال الأستاذ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأردستانـى فى كتابه المسمى باللمع فى صناعة الشعر .....)) [3]

ومن المواضع أيضاً قصة تحكيم النابغة الذبيانى بين الأعشى والخنساء وحسان ، وتفضيله الأعشـــى على الشعراء ثم تفضيله الخنساء ، ذكر الشارح هذه القصة بمناسبة ذكر بيت الخنساء :-

وإنّ صخرا لتأتم الهـــــداة به كأنّه علم فى رأســـــه نار

شاهداً على الايغال فقد نقل الشارح هذه القصة عن ابن الأفلح الكاتب فى كتابه مقدمة صناعـــة الشعر ، حيث قال :- ((قال ابن الأفلح الكاتب في مقدمة صناعة الشعر .....)) [4]

جـ - فى كثير من المواضع ينص الشارح على اسم الكتاب الذى نقل عنه وخاصة اذا أكثر النقل عنـــه فى مواضع كثيرة لشهرة الكتاب فيستغنى عن ذكر صاحبه وذلك ككتاب المفتاح للسكاكى وكتابى الكشاف ، والأساس للزمخشرى ، وكتاب النهاية فى غريب الحديث لمجد الدين ابن الأثير مثلاً .

وللتدليل على ماقلت على سبيل التمثيل لا الحصر ماذكره الشارح عند حديثه عن اعجاز سورة الاخلاص والكوثر أن الاعجاز لايدرك بالتحديد بل بالذوق ، وتبع السكاكى فى هذا حيث قال :-

((.....فاعلم أن الأصح أن الاعجاز لايدرك بالتحديد والتعريف .....
.....بل يحال الى الذوق كما ذهب اليه صاحب المفتاح وتبعناه)) [5]

---

(١) الحدائق ص ٢٥٨
(٢) الحدائق ص ٦٥١
(٣) الحدائق ص ٨٥٩
(٤) الحدائق ص ١٣٣٥
(٥) الحدائق ص ٨٠

وقد قال السكاكى :- ((ومدرك الاعجاز عندى هو الذوق وليس الا وطريق اكتساب الذوق طـــول خدمة هذين العلمين)) [١] يقصد علمىْ المعانى والبيان .

ومن أمثلة نقله عن الزمخشرى فى الكشاف ، واكتفائه بذكر اسم الكتاب مانقله الشارح عن الزمخشـــرى فى قوله تعالى ((فبدل الذين ظلموا قولا)) [٢] ولفظه :- ((قال صاحب الكشاف .....)) [٣] .

ومن أمثلة مانقله عن الزمخشرى فى الأساس فى معنى نيقه حيث قال :- ((قال فـــــــــى الأساس .....)) [٤] .

ومن أمثلة مانقله عن مجد الدين ابن الأثير فى معنى المعروف فقال :- ((..... والمنكر ضد ذلك جميعة فى النهاية)) [٥] .

هذه بعض الأمثلة على مانقله الشارح عن هذه المصادر التى أكثر النقل عنها لكنه لم يقتصر عليها .

د - يكتفى الشارح أحياناً بذكر اسم العالم الذى نقل عنه دون أن يذكر من أى كتبه أخذ ذلك الكلام ، من ذلك مثلا مانقله عن الفخر الرازى فى الفرق بين الكبرياء والعظمة اللذين وردا فى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ولكنه لم يشر من أى كتب الرازى أخذ ذلك . [٦]

كما نقل الشارح عن ابن جنى فى أن مفاد معرفة الجنس مفاد نكرتها لكنه لم يذكر من أى كتب ابن جنى كان نقله [٧] ، وقد ذكرت هذين الموضعين على سبيل التمثيل .

هـ - فى مواضع كثيرة لا ينص الشارح على المصدر الذى نقل عنه من ذلك مثلاً ماينقله عن الجوهـــــرى فى شرح بعض المفردات من ذلك مثلا معنى رشح نقله عنه نصاً فى الصحاح . [٨]

ونقله عن الراغب معنى الهجير بالنص دون أن يشير إلى مصدره [٩] ، ونقله معنى القصب عن مجـــد الدين ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث بالنص . [١٠] كما نقل معنى البلاغة اصطلاحاً عن الراغـــب

---

(١) المفتاح ص ١٧٦
(٢) من الآية ٥٩ من سورة البقرة
(٣) الحدائق ص ١٩١
(٤) الحدائق ص ١٥٤
(٥) الحدائق ص ١٨٢
(٦) انظر الحدائق ص ٢٤
(٧) انظر الحدائق ص ٥٧
(٨) انظر الحدائق ص ٤٢
(٩) انظر الحدائق ص ٢٦ ، ٢٧
(١٠) انظر الحدائق ص ٣٠

الأصفهاني بتصرف في المفردات دون أن يشير إلى مصدره [١] ، هذه بعض الأمثلة ، وقد ظهر لي من خلال دراستي للكتاب طريقة الشارح رحمه الله تعالى في ذكره لمصادره .

و - أحياناً ينصّ على مصدره ولكن الكلام الذي يورده ليس بالنّص بل ينقله بتصرف من ذلك مانقله عن ضياء الدين ابن الأثير في المثل السائر [٢] من أن النحو يؤخذ من الواضع بالتقليد لا من قضية العقل بخلاف البلاغة فإنّها تؤخذ بالنظر وقضية العقل، وليس على التوقيف نقله الشارح بتصرف لكن عبارته في الشرح :-

((ويؤيد ماذكرناه قول صاحب المثل السائر .....)) [٣]

ومن أمثلة هذا أيضاً مانقله الشارح عن السكاكي حول قصّة أبي اسحاق الكندي مع المبرد في الاختلاف بين قولهم عبد الله قائم، وقولهم إنّ عبد الله قائم ، وقولهم والله ان عبد الله قائم نقله عنه بتصرف [٤].

ومن أمثلته مانقله الشارح عن الزمخشري في الكشاف [٥] في وجه نداء الأرض والسماء في قوله تعالى :-

((وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي)) [٦] حيث قال :- ((قال صاحب الكشاف .....)) [٧]

لكن الكلام الذي نقله عن هذه الكتب ليس نصّاً بل تصرف في النقل عنها

منهجه في هذا الشرح :

لم يبين الشيخ علي بن عيسى في مقدمة كتابه المنهج الذي سيسلكه في شرح التبيان لكن الدارس للكتاب يظهر له أنه شرح بالقول بمعنى أنّه يجتزئ بعض العبارات من التبيان ويقوم بشرحه ، أمّا إذا كان المنقول جزءا من بيت فإنه يقوم بشرح البيت كاملاً فهو لم يتوقف عند كلّ ماقاله أستاذه في التبيان بالشرح والبيان ، وإنّما اختار من كلامه، وقام بشرحه ، وهذا لاينقص من قيمة هذا الشرح شيئاً فإنه على الرغم من وقفاته عند المسائل البلاغية بالتفصيل والبيان إلا أنّ جل اهتمامه ، ومعظم

---

(١) انظر الحدائق ص ٥٣

(٢) انظر المثل السائر ص ١٤٧ ، ١٤٨

(٣) الحدائق ص ٦٠

(٤) انظر الحدائق ص ١١٧ ، ١١٩

(٥) انظر الكشاف : ٢٧١/٢

(٦) من الآية ٤٤ من سورة هود .

(٧) الحدائق ص ٢٤٠

تركيزه قد توجّه إلى شرح الشواهد ، وتحليلها تحليلاً بلاغياً ، وذلك في غالب الشواهد ، والدليل على ذلك احصاؤه للشواهد التي أوردها أستاذه في التبيان ، وبيان العلّة في ذلك فقال :-

((ولعمري إنّه جمع في هذا الكتاب زهاء ألف ومائة ونيّف وسبعين بيتا من المختارات قلّما يوجد في الدواوين ، والمجموعات مثلها ، فلا يختلج في بعض الخواطر أنا أكثرنا من إيراد الأبيات فأطالنا الكتاب فأورث الاملال لأن من مقدمات هذه الصناعة الإكثار من معرفة الدواوين ، والخطب ، والرسائل ليكون ذريعة إلى الشروع فيها وهاهو صاحب المثل السائر كم أتى بالرسائل والمكاتبات الطويلة في كتابه ، وصاحب المفتاح من الفصول والأسجاع كلّ ذلك للتمرن ، ولهذه أوثر لفظ التتبع في حدّ المعاني على المعرفة على أنا ما أردنا من إيراد تلك الأبيات إلّا دفع الملال ، ولا يملّ منها إلّا جامد عديم الحس)) (١)

فهذا يدل على مدى عناية الشارح بالشواهد ، واعتداده بالذوق والحس إذ اعتبر من يرغب عن تذوق الشواهد الجيدة جامداً عديم الحس .

مناقشته للمسائل البلاغية :

إنّ الدارس لهذا الكتاب يجد أن صاحبه قد توقف عند كثير من المسائل البلاغية التي تتعدد فيها الآراء فيجده لا يتعداها إلّا بتفصيل المسألة ومناقشة الخلاف حولها ، وأحياناً يرجّح ما يراه راجحا ، ومن أمثلة ذلك أنّ الطيبي ذكر لأحوال حسن التشبيه كونه نادر الحضور واستشهد له بقول أبي نواس :-

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه من ضمن ما أورده على الشاهد اعتراض ضياء الدين ابن الأثير من أنّ استعمال صغرى على وزن فعلى لا يجوز نزع اللام منها إلّا إذا كانت لا أفعل لها نحو حبلى ، ثم أورد ردّ ابن أبي الحديد في الفلك الدائر على ابن الأثير من أنه قد وردت عدة شواهد شعرية ذكرت فيها دنيا وجلّى وطوبى مجردة من اللام والإضافة ، وأجيب بأنّ لفظ الدنيا صارت كالعلم لهذه الدار وأن الجلّى يعبر به عن الأمر العظيم وطوبى بمعنى أصبت خيراً . (٢)

وقال الشارح في آخر كلامه :- ((والحاصل أن هذه الألفاظ لكثرة استعمالها خرجت عن كونها صفات ، فصحّ استعمالها عارية عنهما)) (٣).

---

(١) الحدائق ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) انظر الحدائق ص ٨٥٦ ، ٨٥٩

(٣) الحدائق ص ٨٥٦

ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبي ذكر من شروط فصاحة التراكيب خلوّها من المنافرة ، وهو ذكر لفظ في التراكيب، ويكون غيره مما هو بمعناه أولى بالذكر لكن هناك من الألفاظ المتنافرة مالو نقل من مكانه إلى آخر قرت، وحسنت، وذكر له عدّة شواهد .

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فأورد حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ((إنّ العبد اذا وضع في قبره، وتولّى عنه أصحابه حتى إنّه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث)) .

وذكر كلام التوربشتي أنّ لفظ البراء بن عازب في حديث آخر ((فيجلسانه)) أولى من لفظ ((فيقعدانه)) في حديث أنس لأن الفصحاء يستعملون في مقابلة القيام القعود فيقولون القيام والقعود ، ولم يسمع عنهم مقابلة القيام بالجلوس فيقال قعد الرجل عن قيام ، وجلس عن ضجعة ، واستلقاء وأيضا ماحكي عن النضر بن شميل عند دخوله على المأمون قادماً من مرو ، فقال له اجلس ، فقال : يا أمير المؤمنين لست بمضطجع فأجلس ، قال : كيف أقول ، قال : قل أقعد ، فعلى هذا كان الأحق والأجدر ببلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يختار فيجلسانه ، لما فيها من دقيق المعنى وفصيح الكلام ، ولعلّ الراوي ظنّ أن اللفظين ينزلان في المعنى منزلة واحدة ، لهذا أنكر بعض السلف رواية الحديث بالمعنى خشية أن يزلّ في الألفاظ المشتركة فيذهب عن المعنى المراد جانباً [1].

هذا ملخص ما أورده الشارح من اعتراض التوربشتي على لفظ حديث أنس رضي الله عنه .

هذا وبعد أن عرض الشارح رأي التوربشتي ، رأى التوربشتي حول لفظ حديث أنس مع لفظ حديث أنس رضي الله عنهما ردّ عليه بما نصه :- ((وقلت لا ارتياب أن الجلوس والقعود مترادفان فإنّ استعمال القعود مع القيام ، والجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية ونحن نقول بموجبه إذا كانا مذكورين معاً كقوله تعالى : ((الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)) [2] وكقوله ((دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً)) [3] ، لكن لم قلت أذا كان أحدهما مذكورا كان كذلك ؟ ، ألا ترى إلى حديث جبريل عليه السلام حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله إذ طلع علينا)) ولا خفاء أنّه عليه السلام لم يكن مضطجعاً ، وكذلك لم يرد في هذا الحديث الاضطجاع ليوجب أن يذكر معه الجلوس وأما الترجيح بما رواه التوربشتي عن النضر ، وهو من رواة العربية على رواية الشيخين العلمين الثقتين ، فبعيد عن مثله ، وهو من مشاهير المحدثين)) [4].

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٨٥ ، ١٦٨٧

(٢) من الآية ١٩١ من سورة آل عمران

(٣) من الآية ١٢ من سورة يونس

(٤) الحدائق ص ١٦٨٧

يتبيّن لنا من خلال هذين المثالين كيف يعرض الشارح الرأي ومايخالفه ، وكيف يناقش مناقشة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعال ، والتجريح ، ويقول لمن يخالفه في الرأي رحمه الله تعالى ، وهذه السمات بارزة في كل مناقشاته ، ولكني أكتفي بهذين المثالين خشية التطويل .

مناقشته للسكاكي :

لقد اعتاد الشارح رحمه الله تعالى في كثير من المسائل البلاغية التي ذكرها أتباع رأي السكاكي لكنّه في مسائل قليلة ينقده إمّا لعدم ذكره أو تنبيهه لذلك الموضع من ذلك مثلا أنّ الطيبي ذكر بعض الأغراض الفرعية لتعريف المسند إليه بالاشارة منها الاشعار بأنّ ماقبله جدير بما بعده لما عددت من خصائل ، فقد قال الشارح :-

((. . . . . منبّهاً على أنّ هذا التفريع عظيم الجدوى وأن صاحب المفتاح لم ينبّه عليه . . . .)) (١)

وأحياناً يرجح رأي غيره عليه فقد ذكر الطيبي من باب الجمع قوله تعالى ((جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه)) (٢) ، وبيّن الشارح وجه الجمع أن يذروكم حكم واحد ولهعلتان الأولى : جعل الناس أزواجاً ، والثانية : جعل الأنعام أزواجاً ، وقد أعاد الضمير في قوله ((فيه)) على تغليب العقلاء من المخاطبين على غيرهم ، وقد قال الشارح :- ((. . . . فاذن ليس في يذروكم إلّا تغليب واحد نعم هو مقيد بقيد ، وهو تغليب العقلاء المخاطبين على الأنعام الغيب هذا هو الذي يقتضيه المقام ، وعليه كلام صاحب الكشاف لا أن فيه تغليبين كما يفهم من ظاهر كلام صاحب المفتاح على مامر في باب التغليب)) . (٣)

فالشارح رجح رأي الزمخشري في المسألة على رأي السكاكي ، كما نقد الشارح أسلوب السكاكي الذي اتّسم في بعض المواضع بالغموض ، فقد ذكر الطيبي أنّه يقبح هل رجل عرف ، وهل زيداً عرفت ، لدلالة التقديم على وقوع الفعل ، وقد اعتمد فيه على السكاكي ، أمّا الشارح فإنّه نقل اعتراض الخطيب على السكاكي في التزام عدم القبح في قوله هل رجل عرف ، لأنّ السكاكي صرح بجواز هل زيد منطلق ، وقد ردّ الشارح على اعتراض الخطيب بقوله :((واعلم أنّ هذا من حيات المفتاح وعقاربه ، فان لفظ قبح بعد ذكر امتنع يقتضي جواز هذين التركيبين مع الاقرار بكونهما مرجوحين وكونهما من أمثلة تقديم المعمول على الفعل يقتضي عدم الجواز لما سبق من أن التقديم يقتضي حصول النسبة)) (٤)

---

(١) الحدائق ص ٢٤٨

(٢) من الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) الحدائق ص ١٣٩٤

(٤) الحدائق ص :

فالشارح عبّر عن غموض عبارة السكاكي بالحيّات والعقارب ، ولكن تلك الوقفات من الشارح مع السكاكي تعدُّ قليلة جدّاً إذا ماقيست باتباعه له في معظم مسائل علمي المعاني والبيان .

موازنته بين شيخه والسكاكي :

على الرغم من كون الطيبي تبع السكاكي في كثير من مسائل علمي المعاني والبيان ، وقد أشرت إلى ذلك عند كلامي عن التبيان لكن هذا لا يعني اختفاء شخصيّة الطيبي ، بل كانت له جهود كثيرة وجيّدة كما بيّنت سابقاً وفي اختياراته المتميّزة مما قاله السكاكي واستقلاليّة رأيه عن رأي السكاكي في بعض المواضع ، ولعلّ خير من أبرز شخصية الطيبي تلميذه ، فمن ذلك موازنته بين عبارة شيخه وبين عبارة السكاكي وتفضيله لما ذكره شيخه ، ومن أمثلة تلك الموازنات أنّ الطيبي ذكر من أغراض تقديم المسند قوله :- ((أو المراد تخصيص المسند إليه به نحو تميمي أنا ، قال تعالى ((لكم دينكم ولي دين)) [1]

وقد اعتبر الشارح رحمه الله تعالى أنّ هذا أولى مما ذكره السكاكي حيث قال :-

((قوله ((والمراد تخصيص المسند إليه به)) وهذا أولى مما ذهب إليه صاحب المفتاح حيث قال وأن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه فإنّ الأمثلة الآتية لا تساعد عليه لأن المراد من قوله تعالى ((لكم دينكم ولي دين)) [2] أنّ دينكم مختص بكم لا يتجاوز إلى الغير ، كما أنّ ديني مختص بي لا يتجاوز إليكم لأنّ الجملتين مقررتان لقوله ((لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد)) [3] ، ومن قوله تميمي أنا ، فإنّه نص عليه في موضعه أنه من قصر الموصوف على الصفة . . . . .)) [4].

مثال آخر ، ذكر الطيبي في مقدمة كلامه عن التقديم والتأخير أنّ التقديم مفيد للتخصيص غالباً ، أمّا الشارح فذكر أنّ السكاكي أهمل هذا القيد وهو الغالبية فقال قوله ((التقديم مفيد للتخصيص غالبا)) ، وإنّما قيّد الشيخ بقوله غالباً احترازاً عن افادته مجرد الاهتمام أحياناً ، وبينهما عموم وخصوص ، فإنّ في كل اختصاص اهتماماً ولا ينعكس)) . [5]

---

(١) الآية ٦ من سورة الكافرون ، الحدائق ص ٣٨٣

(٢) الآية ٦ من سورة الكافرون .

(٣) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الكافرون .

(٤) الحدائق ص ٣٨٣

(٥) الحدائق ص ٤٨٢

ومن الأمثلة أيضاً ماذكره الطيبي من اعتباره التشبيه أصلاً قائماً برأسه فقال :- ((.....فظهر من هذا البيان أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في اثبات المعنى للشيء ، وذلك إمّا على طريقة الإلحاق أو الإطلاق ، والثاني إمّا اطلاق الملزوم على اللازم ،أوعكسه ، ومايبحث فيه عن الأول التشبيه ، وعن الثاني المجاز ،وعن الثالث الكناية ،فرتبنا الكلام على ثلاثة أصول)) .(١)

أما الشارح رحمه الله فذكر أن هذا التقسيم أحسن مما في المفتاح فقال :- ((وهذا التقسيم أحسن مما في المفتاح لأنّ التشبيه على هذا أصل مستبدٌ برأسه كالمجاز ، والكناية وأنّه مشترك الدلالة مع المجاز والكناية في المعنى الذي يعتبر في هذا العلم من المبالغة بخلافه في تقسيمه ، فإنّ ذكر التشبيه توطئه ، وتمهيداً لذكر المجاز لا كلّه بل بعضه وهو الاستعارة)) .(٢)

وقد ذكرت هذه الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر ويتبين من خلالهما دقّة ، واستيعاب الشارح رحمه الله تعالى في فهمه لكتاب السكاكي ، وكتاب شيخه مما مكّنه من اجراء مثل هذه الموازنات الجيّدة .

مناقشاته للخطيب :

ان الدارس لكتاب الحدائق يجد أن الشارح يؤيد أستاذه في ردوده على الخطيب فقد تكون تلك الردود على اعتراضات أوردها الخطيب على السكاكي ، وقال فيه نظر ، وقد عبر الشارح عن قوة تلك الردود على لسان أستاذه في مقدمة الكتاب فقال :- ((يقول اشتمل كلام صاحب المفتاح على معان عويصة ، وألفاظ غامضة شذّ على بعض الأدباء مغزاها ، ومقصدها ومراده ببعض الأدباء الخطيب صاحب الايضاح فلذلك أورد عليها أسولة متكاثرة ، فلما كشف عن أستارها المحتجبة قناعها ، وحلّ عقدها ، وعرّاها ، ظهر أنّ تلك الأسولة مجراة من غير تبصّر ومرساة من غير تدبر .....)) .(٣)

ومن أمثلة هذه الردود ما اعترض به الخطيب على السكاكي في اعتبار مثل قوله تعالى ((وما أنت علينا بعزيز))(٤) من باب التخصيص مع أن الخبر ليس فعلاً أي أنه لا يشترط في تقديم المسند إليه كون الخبر فعلاً ، وقد ردّ الطيبي عليه باجابات قويّة وأيّده فيها تلميذه علي بن عيسى ، وقد فصّلت القول فيها في موضعها في قسم الدراسة ، ولكن لا بأس بذكر بعض ماقاله الشارح في تأييده لردود أستاذه على

---

(١) الحدائق ص ٢٥٨

(٢) الحدائق ص ٢٥٨

(٣) الحدائق ص ٤٢

(٤) من الآية ٩١ من سورة هود .

الخطيب في هذه المسألة ((قوله ((على أنّ الذوق شاهد صدق)) تنزّل في الجواب أي ولئن سلّمنا أنّا لم نذكر أن مثل أنا عارف يفيد الاختصاص فما نحن بصدده من تقديم الفاعل المعنوي الذوق شاهد للتخصيص فيه كما صرح به صاحب المفتاح في فصل القصر لاسيما وقد أولى الضمير حرف النفي ، والحال أن جار الله قد نصّ عليه في هذه الآية))[1]

مقال آخر على تأييد الشارح لأستاذه في اعتراضه على الخطيب أنّ الطيبي ذكر أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث :- ((..... وهم يد على من سواهم)) أن الوجه فيه اعتباره مجازاً مرسلاً وعلاقته اطلاق اسم السبب على المسبب إذا ستعملت اليد هنا بمعنى القدرة ، ويجوز حملها على التشبيه ثم قال :- ((..... والحمل على الاستعارة كما ذهب إليه خطأ))[2]

فالطيبي لم يورد اسم الخطيب لكن خطأ رأية في حملها على الاستعارة ، أمّا الشارح فإنّه قال :- ((قوله ((كما ذهب إليه)) يعني صاحب التلخيص حيث قال يد استعارة) ولا يجوز ذلك لأنّ المشبه المتروك إمّا الأشخاص وهو لفظة هم المذكورة في الحديث ، فهو تشبيه كما مرّ ، أو القوة والشدة وهما ليسا بمشبه بهما بل هما مسبّبان عن اليد وقد ذكرنا أن الاستعارة علاقتها التشبيه))[3].

أحياناً ينفرد الشارح بالاعتراض على الخطيب في بعض المسائل البلاغية دون أستاذه من ذلك ماذكره في اثبات القصر الحقيقي وقصر التعيين في رده على الخطيب الذي اعترض على السكاكي من أنه أهمل القصر الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين في قصر الافراد فيقول الشارح رحمه الله تعالى :- ((وقد علم في غير موضع من كتاب المفتاح وكتابنا التبيان ، أن لابدّ في باب القصر من كون الحكم عند المخاطب مشوباً بالخطأ والصواب فيتلقاه المتكلم بما يحقق صوابه ويردّ خطأه ، وهذا يقلع مابناه صاحب الإيضاح من اثبات القصر الحقيقي .....

ومن اثبات قصر التعيين .....

ويدفع ماشنع على صاحب المفتاح من أنّه أهمل القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر الافراد .....

ومن لم يقف على هذا التحقيق ليس له أن يشنّع على من هو علم من أعلام المحققين والله أعلم))[4].

---

(١) الحدائق ص ٤٩٠

(٢) الحدائق ص ٩٠٧

(٣) الحدائق ص ٩٠٧

(٤) الحدائق ص ٥٢٥ - ٥٢٨

وقد اكتفيت ببعض عبارات الشارح في مناقشته للخطيب لأني قد فصلت الخلاف حول المسألة في موضعه في باب القصر .

ومثال آخر في انفراد الشارح في ردّه على الخطيب فقد ذكر الشارح رحمه الله تعالى رد ناصر الدين الترمذي على الخطيب الذي اعترض على السكاكي رحم الله الجميع في اعتباره المقياس في باب الايجاز والاطناب كلام الأوساط ثم ردّ الشارح من جهته على الخطيب في اعتباره قوله تعالى ((ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله))[1] من باب المساواة ، وذكر أنّها من باب الايجاز فقد قال :- ((.....وقلت وأما تنظير صاحب الإيضاح المساواة بقوله ((ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله)) ففي غاية من البعد لأنّه حاوٍ لمعنى الإيجاز من أنحاء مختلفة .....)) .[2]

ومثال آخر أيضاً على اعتراض الشارح على الخطيب ماذكر من أنّ الخطيب وضع مبحث المجاز العقلي في باب الإسناد الخبري من أبواب علم المعاني على اعتبار التركيب ، بينما وضع أستاذه هذا المبحث ضمن مباحث علم البيان فيلزمه أي الخطيب على ذلك الاعتبار أن يلحق المفردات المجازيّة كالاستعارات وغيرها في باب المسند إليه ، وفي باب المسند فيقول الشارح حول هذا الاعتراض ((اعلم أنّ صاحب التلخيص أورد مباحث الإسناد المجازي في هذا الباب بناء على أنّها تتعلق بمطلق الإسناد فيلزمه أن يورد أحوال المفردات المجازية كالاستعارات ، وغيرها في باب المسند إليه والمسند لأنهما يتعلّق بهما لكونهما مفردين فان اعتذر عن ذلك بلزوم الخلط لأحد العلمين بالآخر ليلزمن عليه ذلك في ايراد الاسناد المجازي في باب الاسناد))[3]

وقد سرت مع الخطيب في دراسة المجاز العقلي في باب الاسناد في قسم الدراسة وبيّنت أن رأيه أقوى من رأي الطيبي والشارح . هذه بعض الأمثلة على اعتراضات الشارح رحمه الله تعالى على الخطيب ، لكن على الرغم من اعتراضات الطيبي وتلميذه على الخطيب إلّا أنهما لم يغفلا استفادتهما منه ، فقد ذكر الطيبي استفادته من الخطيب صراحة في مقدمة التبيان حيث قال :- ((.....ورشحته بما في المصباح والإيضاح من النوادر .....)) .[4]

أما ما يتعلق بالشارح رحمه الله تعالى فان استفادته من كتابي الايضاح والتلخيص يدخل ضمن الكتب المعتبرة في هذا الفن التي ذكر أنه اعتمد عليها في وضع شرحه .

---

(١) من الآية ٤٣ من سورة فاطر .

(٢) الحدائق ص ٦٣١

(٣) الحدائق ص ١١٥

(٤) الحدائق ص ٤٢

هذا وقد بينت فى كثير من المواضع عند التحقيق مدى ما استفاده الطيبي وتلميذه من الخطيب فى كتابه الإيضاح ، وهذا أمر غير مستغرب فى مصنفات العلماء فان العادة جرت أن اللاحق يأخذ عن السابق والخلف يأخذ عن السلف ، كل ذلك فى سبيل اثراء الفن الذى يكتبون فيه نور مهم الله تعالى جزاء ماقدموا .

وجهته البلاغية هى وجهة شيخه غالباً :-

إنّ الشارح رحمه الله تعالى على الرغم من أنّه سار مع أستاذه فى الخطّة العامة للكتاب ، وكثير من مسائله الجزئية على اعتبار أنّ الشرح شرح بالقول إلّا أنه فى بعض المواضع يدلل على هذه الموافقة بتعليل مايقوم به أستاذه ، من ذلك على سبيل المثال أن الطيبى أورد مثالين فى باب تقديم الفاعل المعنوى حيث قال :- ((أنا سعيت فى حاجتك فى قصر الافراد إذا توهم الشركة فى السعى والقلب إذا أسنده إلى الغير ويؤكد الأول بوحدى ، والثانى بلا غيرى)) (١)

أما فى تقديم المفعول فذكر مثالاً واحداً فقال :- ((تقول زيدا عرفت افراداً وقلباً ويؤكد بلا غيره)) (٢) ، وقد علّل الشارح هذا العمل من أستاذه فقال :- ((فان قلت اكتفى فى التأكيد هنا ((أى فى تقديم المفعول)) بمثال واحد وهو لا غيره ، وفى باب تقديم الفاعل المعنوى جىء بمثالين أعنى وحدى ولا غير .

قلت : إنّما ذكرهما أولا للبيان ، والتوضيح ، وأكتفى هنا بمثال واحد تنبيها على جواز اقامته مقامهما تفنناً فى الكلام ، والأولى أن يقال إنّما لم يذكر أحد المثالين تعويلاً على ماتقدم لأن قوله وحده نصٌّ فى قطع الشركة مخصص بالوجه والافرادى ولا غيره قد يشترك فيه القسمان أعنى الافراد والقلب فاكتفى به لأن الكلام هنا ليس فى أحد القصرين المعينين بل فى القصر مطلقاً)) . (٣)

ومن الأمثلة أيضاً مابيّنه الشارح من وجه ارتباط مباحث النسخ والسلخ والمسخ والاحتذاء والموازرة بالمحسنات التى ترجع إلى اللفظ والمعنى ، مع أن أستاذه أفردها بفصل مستقل فقال :-

((إنما فصل بالفصل هذه الأنواع الخمسة لأنها مناسبة للخمسة الأول من التضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل ، والتلميح ، وهذه الخمسة مبنيّة أيضاً على كلام الغير)) . (٤)

---

(١) الحدائق ص ٤٨٦

(٢) الحدائق ص ٥٠٢

(٣) الحدائق ص ٥٠٢

(٤) الحدائق ص ١٤٧٣

ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبي أورد مبحثاً تكميلياً في نهاية كلامه عن الجناس تحدث فيه عن القلب فقال :-

((تكميل - وههنا قلب لا بأس أن نذكره مستطرداً وهو إمّا في التركيب كقولهم عرضت الناقة على الحوض .....)) (١).

وقد بين الشارح رحمه الله تعالى إيراد شيخه هذا المبحث هنا لا في فن البلاغة فقال :- ((قوله ((لا بأس أن نذكره مستطرداً)) يعني كأنه استشعر من نفسه حزازة في ذكره هنا لأنّ هذا القلب من وظيفة البلاغة لا الفصاحة ، لأنّ البحث فيها عن الألفاظ فحسب ، ومن ثم ذكره صاحب المفتاح في المعاني، ولو ذكر في البيان لجاز إذ المنقول منه اما تشبيه ، أو استعارة أو كناية كما سنبين ، فلذلك قال مستطرداً لذكر أبحاث القلب)) (٢)

ومثال آخر أيضاً أن الطيبي ذكر من أوصاف التراكيب المطابقة وهو أن يراعى مقصد الكلام في مقام يقتضي ألفاظاً جزلة متينة ، وأخرى رقيقة رشيقة (٣) ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر أنّ هذا ليس بتكرير للقسم الأول من مراعاة النظير وهو ائتلاف اللفظ والمعنى فقال :-

((فان قلت أليس هذا بتكرير لما سبق في بحث مراعاة النظير في القسم الأول منه ، وهو قوله الأول ائتلاف اللفظ والمعنى قلتلا لأنّ النظر هناك في الاستعمال ،والشهرة بحسب المتعارف عند الحضرى والبدوى كما سبق في بيت زهير ــ يقصد قوله :-

أشاقي سفعاً في معرّس مرجّل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلّم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا أنعم صباحا أيها الربع وأسلم ــ

والنظر هنا من حيث اللفظ بحسب الشدّة ، والصلابة في مقام الحرب وبحسب الدلالة ، والرشاقة في مقام الرقّة ، والمقة ، ولا يتأتّى ذلك إلّا بواسطة مخارج الحروف فهذا المقام ينبو عن استعمال الألفاظ الوحشيّة المتنافرة بخلافه هناك .

وتلخيص الفرق بحسب المعنى هناك وبحسب اللفظ هنا)) (٤)

---

(١) الحدائق ص ١٦١٣

(٢) الحدائق ص ١٦١٣

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٩٣

(٤) الحدائق ص ١٦٩٣

هذه بعض المواضع أوردتها على سبيل التمثيل فى تأييد الشارح لأستاذه رحمهما الله تعالى يتبيّن من خلالها دقّة فهم الشارح لكلام أستاذه وسبر أغوار كتابه مما مكّنه من الوصول إلى كثير من دقائق التبيان مما لا يتيسر لغيره فى الغالب إذا ماقام بشرح الكتاب .

شخصيته العلمية :

إنّ حبّ الشارح لشيخه رحمهما الله تعالى، واشادته به ، وتأييده له فى كثير من المسائل البلاغية لم يمنعه من مخالفته له ، ونقده له فى بعض المواضع ليس ذلك منه لمجرد المخالفة ، والنقد ، ولكن لما تبين من نظره فى المسألة فمن ذلك مثلاً أنّ الطيبى ذكر قوله تعالى ((أولئك لهم عذاب من رجز أليم)) [1] شاهداً على التكرير الواقع فى غير الجملة ، وذكر أنّ الرجز هو العذاب، وجىء به لافادة المضاعفة [2] ، أمّا الشارح رحمه الله فرأى أن الأظهر اعتبار مجىء الرجز للبيان فقال :-

((قوله ((أى عذاب مضاعف)) هذا ماذكره ابن الأثير فى المثل السائر، والأظهر خلافه، لأن أصل الكلام بناء على الظاهر رجز من عذاب لأنّ من بيانيّه ومن حق البيان أن يكون أوضح من المبيّن ، فعكس ههنا لأنّ المراد بالعذاب نوع مبهم لا يعرفه كل أحد ، فبيّن بالرجز الموصوف بالألم على الاسناد المجازى مبالغة فظهر منه أن التكرير ليس لارادة المضاعفة بل للبيان)) [3]

ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبى استشهد للاعتراض القبيح بقول الشاعر :-

نظرتُ وشخصى مَطْلَعَ الشمس ظلّه إلى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل [4]

لكن تلميذه لم يوافقه فى استشهاده بهذا البيت فى هذا الموضع وقال فى نقده له :- ((اعلم أن فى هذا البيت تعقيداً قبيحا وحشى بما زاد قبحه واستشهاده فى هذا المكان أقبح لا يناسب هذا الكتاب ..)) [5]

مثال آخر على مخالفة الشارح لأستاذه أن الطيبى وضع التفويف، والتظريز ضمن المحسنات التى تعود إلى اللفظ والمعنى لكن تلميذه ذكر أن الأحسن ادخالها فى فن الفصاحة عند الكلام

---

(١) من الآية ٥ من سورة سبأ .
(٢) انظر الحدائق ص ١٣١٠
(٣) الحدائق ص ١٣١٠
(٤) انظر الحدائق ص ١٣٦٠
(٥) الحدائق ص ١٣٦٠

عن الصفة الأولى من صفات التراكيب وهو مايكون مصبوباً فى قالب الصنعة البديعية فقال الشارح فى هذا :- ((وأعلم أن التفويف، والتطريز ليسا بقارّين فى مكانهما فإنّ مقرهما عند الترصيع ، والترديد فى الباب الثانى من بابى الفصاحة أحسن ، ويمكن أن يقال إن التفويف من حيث كون الجمل مستوية المقدار معتدلة النظام يقتضى كل كلمة ما يشاكلها ، وكل معنى ماينا سبه هو كالإرصاد فناسب أن يقترن بالإرصاد، ويطرّز بالتطريز)) .(١)

ومن الأمثلة أيضاً مما خطّأ فيه الشارح أستاذه أنّ الطيبى ذكر الصفة الرابعة من صفات فصاحة الكلمة أن لا تكون وحشيّة غير مألوفة واستشهد له بما روى عن عيسى النحوى من قوله عندما سقط عن دابته فاجتمع عليه الناس فقال لهم مالكم تكاكأتم علىّ تكاكئكم على ذى جنّة افرنقعوا عنى)) .(٢)

لكن الشارح لم يوافق أستاذه فى نسبة هذا القول إلى عيسى النحوى، وذكر أنّه منسوب إلى أبى علقمة النحوى فقال :-

((قوله ((وروى عن عيسى النحوى)) والصحيح من كتاب المحتسب لابن جنى والكشاف أنه أبو علقمة النحوى)) (٣)

يتبين لنا من خلال هذه المواضع التى أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر النظرة الموضوعية التى يتحلّى بها الشارح فى نقده لأستاذه ، والبعد عن التعصب الأعمى إذ لم يتعصب لأستاذه على الرغم من حبه الشديد وتقديره الكبير له بل نقده نقداً علمياً صحيحاً كما يبدو لى .

نظراته فى النظم القرآنى :-

إنّ الدارس والمتتبع لنظرات الشارح رحمه الله تعالى فى كتابه حول الآيات القرآنية الكريمة يجد أن له نظرات فيها من عدة وجوه منها نظراته حول قراءاتها وتوجيهها، وأيضاً استشهاده لبعض المعانى ببعض الآيات، ومن تلك الوجوه تأملاته حول أسرار النظم القرآنى، وفى كل ذلك وغيره كان له جهد جيّد كما ظهر لى .

أ - عنايته بتوجيه القراءات القرآنية :-

ان اهتمام الشارح رحمه الله تعالى بالقراءات ، وتوجيهها يظهر جلياً فى هذا الموضع فقد استشهد الطيبى لإيجاز القصر بقوله تعالى ((إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين)) (٤) ،وقد بيّن الشارح رحمه الله تعالى وجه قراءة الكسر فى قوله ((إنّه)) فقال :-

---

(١) الحدائق ص ١٣٧٧
(٢) الحدائق ص ١٥٦٩
(٣) الحدائق ص ١٥٦٩
(٤) الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة النمل .

((فقوله ((إنّه من سليمان)) مبتدأ خبره محذوف أمّا على قراءة الفتح فظاهر، وعلى الكسر فعلى تأويل فيه هذا اللفظ كقوله تعالى ((كتب عليه أنّه من تولّاه)) [1] على قراءة الفتح والكسر فعلى هذا أنّ في قوله ((أن لا تعلوا)) مصدريّة أي فيه أن لا تعلوا، وإنّما ترك فيه العاطف للدلالة على أن الجملتين السّابقتين كالتمهيد للثالثة لأنّها المقصودة بالذات ولذلك عطف الأمر على النهي تأكيداً وتقريراً فظهر من هذا أنّ ما في كلام الله مختص بما في كتاب نبي الله وذكر ما هو أهمّ وأعنى)) [2].

هذا موضع أوردته على سبيل التمثيل فإنّ الشارح رحمه الله تعالى كانت له نظرات، وتوجيهات لقراءة بعض الآيات القرآنية، وهذا ليس بالأمر اليسير فإن معرفة القراءة ليس فيه كبير عناء غير الاطلاع على الروايات ومعرفة مدى صحّتها بخلاف توجيهها فإنّها تحتاج إلى تضلع في علمي التصريف والنحو وخوض الشارح فيهما يدلّ على تمكنه منهما ورسوخ قدمه فيهما .

ب - استشهاده بالآيات الكريمة لبعض المعاني :-

لقد استعان الشارح رحمه الله تعالى في تأكيد بعض المعاني التي تتضمنها النصوص الشعرية بآيات قرآنية من ذلك بيان منزلة الصبر، وأنّها من الصفات المحمودة في قول الشاعر :-

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهب ... فكيف اذا مالم عنه مذهب

هو المهرب المنجي لمن أحدقت به ... مكاره دهر ليس عنهن مهرب [3]

وقد أكّد الشارح هذا المعنى فقال :- ((ولعمري إنّ الصبر محمود كله وعليه بنيت أركان الاسلام ، وأسست قواعد مكارم الأخلاق لأنه لما مدح عباده المخلصين بقوله ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا)) [4] إلى قوله ((واجعلنا للمتقين اماما)) [5] عقبه بقوله ((أولئك يجزون الغرفة بما صبروا)) [6] فوضع الصبر موضع تلك الأعمال الفاضلة ، والأخلاق المرضية لأنّه ملاكها ، وعليه يدور قطبها)) [7] ، فالشارح أكد معنى البيتين بتلك النصوص القرآنية التي بيّنت منزلة الصبر

---

(١) من الآية ٤ من سورة الحج .

(٢) الحدائق ص ٦٦٢ ، ٦٦٤

(٣) انظر الحدائق ص ١٨٤

(٤) من الآية ٦٣ من سورة الفرقان .

(٥) من الآية ٧٤ من سورة الفرقان

(٦) من الآية ٧٥ من سورة الفرقان

(٧) الحدائق ص ١٨٤

جـ - عنايته بأسرار النظم القرآني :-

إنّ الدارس لكتاب الحدائق يجد أن لصاحبه نظرات وتأملات في استجلاء بعض الأسرار البلاغية للنظم القرآني المعجز من خلال الأيات التي بيّنها، ومن أبرز الشواهد على ذلك استخراجه لبعض الصور ، والأساليب البلاغية في سورتي الاخلاص والكوثر باعتبارهما من أقصر السور ، وقد أوردهما شاهداً على أنّ أعلى مراتب البلاغة ماوصل إلى حدّ الإعجاز ، ومعلوم أنّ القرآن كلّه معجز إلّا أن أقل ماوقع به التحدي هو سورة واحدة وسورتا الاخلاص والكوثر تعدان من أقصر السور .

يقول الشارح رحمه الله تعالى في سورة الاخلاص من جهة إعجازها البياني :- ((في تصدير السورة الكريمة بقل تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أنّ الموحى مما ينبغي أن يقال ، ويلقى إليه البال ، وتصدير المقول بضمير الشأن تنبيه لكل سامع على أنّ مايتلوه معنيٌّ به جدّاً ، وفي تقديم الاسم الجامع على الجملة المبينة للضمير تنبيه للعارف على أنّ مايرد بعده من الوصف عظيم الخطر ينبغي أن يتلقاه بشراشره ، ويتوجه إليه بكلّيته ، ويضحل فيه وسمه ، ورسمه ، ثم في إعادة اسم الله في الجملة الآتية ، وبناء الخبر عليه إنذار باستقلالها في التنبيه ، ولا تظنن أنّ تكرير اسم الذات الجامع لصفات الجلال والجمال لشيء من التطويل أو التطريز كلّا بل الأول وارد لتأسيس قاعدة الفردانية ، وتشييدها، والثاني لترصيص معنى الصمدانية ، وترصيفها ، ثم اعلم أن صفات الله تعالى إمّا ذاتيّة ، أو اضافية ، وكل منهما اما تنزيهيّة ، أو تمجيدية ، فالأحد وصف لله تعالى بأنه قائم بذاته ، والصمد وصف له بأنّه مقوم لغيره لأنّ الصمد هو السيد الذي يقصد إليه بالحوائج ، فالأحد ينفي الاثنينيّة لأن لاثنين واحد بعد واحد ، فالواحد الأول مفتتح الثاني ،والثاني مختتم به ، فجيء بقوله ((لم يلد ولم يولد)) بياناً لهذا المعنى فقوله ((لم يلد)) إشارة إلى المعنى الأول ((ولم يولد)) إلى الثاني وقوله ((ولم يكن له كفواً أحد)) تنزيه مبني على قوله ((الله الصمد)) لما عرفت أنّ الخبر إذا كان معرّفاً باللام يفيد الحصر ، فيفيد أن الله وحده هو الذي يصمد إليه بالأمور، وهو غير مفتقر إلى قرين ومعين ، فإن قلت هب أنّ تعريف الخبر في الجملة الثانية دلّ على الحصر فكيف تصنع بالتنكير في الجملة الأولى ؟ .

قلت : لا خفاء أن التنكير فيه للتفخيم والتهويل، ومستقرّ أن الموصوف إذا كان على السلطان ، والوصف عظيم الشأن يفيد التخصيص كقوله تعالى ((الله نزّل أحسن الحديث)) [1] ثم اخراج التركيب على نهج التوالد ردّ على المشركين وقولهم إنّ الملائكة بنات الله ، وأن الأصنام تماثيل لها وهياكل

---

(١) من الآية ٢٣ من سورة الزمر .

وانضمام الكفو إلى ذلك ردّ على النصارى والقول بالأقانيم الثلاثة الأب ، والابن ، وروح القدس كما قال تعالى ((ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد))[1] وفي إعادة أحد منكر تنكير تذليل في سياق النفي ، والنفي مسلّط على الكون المقيّد به الكفو ، وقد علمت أنّ نفي كون الكفو أبلغ من نفي الكفو مطلقا على ماتقرر في قوله تعالى ((فلم يك ينفعهم))[2] وفي ذلك ادماج للرد على من يثبت القادرين المستقلين كالمجوس ومن يضاهيهم ، وزجر على المرائين الذين يشركون بعبادة ربهم غيره ، ثم انظر كم التفاوت بين التنكيرين في أحد ، وأحد لتقف على سرّ عجيب في معنى التوحيد ، فإنّ الأول دل على أنه تعالى واحد في ذاته على الإطلاق ، والثاني على أنه واحد لا ضدّ له ، ولا ندّ ، ولا نظير له ، ولا شبيه ، ثم تأمّل كيف وسم تقديم الظرف اللغو المفيد للإختصاص على صفحات كلّ موجود سواه بسمة الحدوث ، والإفتقار إلى الكفو كما قال تعالى ((ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون ففروا إلى الله))[3] أي ففروا من التفرقة إلى الجمع أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، لتغوصوا على بحر لا ساحل له ثم حظّ العارف من قوله ((الله أحد)) أن لا يعبد سواه ومن قوله ((الله الصمد)) أن لا يستعين إلّا به كما ينبيء عنه التقديم في قوله إياك نعبد وإياك نستعين ولأهل العرفان فيه مجال واسع يعجز عن بيانه لسان الطوى))[4].

فالشارح رحمه الله تعالى ذكر بعض الأسرار البلاغية لهذه السورة من جهة الذكر، والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف، والتنكير، وهي مباحث تتعلق بعلم المعاني .

أما مايتعلق بنظراته البلاغية حول سورة الكوثر فإنّه ذكر أنّ الفخر الرازي ألّف رسالة ذكر فيها واحداً وعشرين وجهاً نقلاً عن الزمخشري في الكشاف ولكنه سيذكر نبذا من خصائص نظم هذه السورة المعجز من غير ماذكره الرازي[5] فقال :-

((وحين وقفت على بيان سورة الاخلاص فلنثن عنان القلم إلى بيان اعجاز سورة الكوثر لأنهما توأمان في كونهما أقصر سور التنزيل ، ولأنهما تضمنتا معنى كلمتي الشهادة فنقول إنّها اشتملت على فنون البلاغة، والفصاحة، وحسن النظم المونق ، والأسلوب الغريب ، والتأليف العجيب ، والإخبار عن

---

(١) من الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة غافر .

(٣) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الذاريات .

(٤) الحدائق ص ٦٨ ، ٧٠

(٥) انظر الحدائق ص ٧٢

الغيوب وقد ذكر صاحب الكشاف فيه من الفوائد واحداً وعشرين وجهاً في رسالة نظمها الامام في نهاية الإيجاز، ونحن نذكر بعون الله وتأييده، مافتح الله علينا نبذاً من غير ماذكره في تأليف النظم المعجز ، وهو أنّ السورة الكريمة مثلثة من وجه من حيث اللفظ والمعنى ، ومنصّفة من وجه آخر ، أمّا التثليث من حيث اللفظ فهي ثلاث آيات ، ومن حيث المعنى فإنّه بين الآية الأولى والأخيرة مطابقة معنوية ، والوسطى مشتركة بينهما وبيان ذلك أنّ الكوثر كما دل على الفلاح ،والفوز ، والنجاح بالمطالب في الدارين ، وحسن عاقبة حال حبيب الله على مافسره حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما بالخير الكثير دل الأبتر على الخيبة والخسار ، وسوء خاتمة عدو الله الشاني، وقطع دابره في الدارين لأنّ الكوثر هو الفضل والكمال، والبتر هو الشين والنقصان .....

نسب اعطاء الخير الى الله .....

ولم يضف قطع الدابر إليه تعالى .....

تأديبا ،وتعليماً ، ولمّا أكد الجملة الأولى بإن وبنى الخبر على اسمها وأتى بالفعل الماضي المحقق ليقوّي الحكم، ويصدّق الوعد قوبلت الثانية بإنّ، وتعميم الشاني، ، وتوسيط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرّف ليفيد الاختصاص ، والدوام فيكون تعريضاً بالشاني، وبقوله إنّ محمداً لا عقب له وسيموت، وينقطع أثره يعني من يكون موطأ العقب للأمة إلى انقراض العالم كيف يكون أبتر ؟ ، بل الأبتر هو الشاني، الذي لا أثر بعده ، وكما دلّ الشاني، أي المبغض أنّ الله مبغضهم دلّ ((إنّا أعطيناك)) على محبة الله لحبيبه كما سنبيّنه ، وأما قوله ((فصلّ لربّك)) فاشارة إلى تلقّي تلك النعمة السنيّة بالشكر الموجب لمزيد النعمة ، وقوله ((وانحر)) موجب لمزيد النعمة من الشكر لقوله ((إن شانئك هو الأبتر)) لأنّ كلا منهما تلميح إلى آية وقصة ، أمّا الأول فان تخصيص ذكر الصلاة دون سائر العبادات ترمز إلى قوله تعالى ((ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا))[1] .....

، وأمّا الثاني فإنّ تخصيص ذكر النحر فتلميح إلى قصّة حجة الوداع روينا عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج .....

الحديث .....

وما أحسن ذكر الأبتر بعد ذكر النحر فإن كليهما من حديث الابل فسبيل قوله تعالى ((إنّ شانئك هو الأبتر)) مع قوله ((وانحر)) سبيل الاستئناف فكأنّه قيل لم أنحر ، قيل إن شانئك هو

---

(١) من الآية ٧٩ من سورة الاسراء .

الأبتر .....

وأما بيان التنصيف فإنّ كلمة (لربك) متوسطة متعلّقة بفصّل، وقرينة لتقدير مثلها لـ ((وانحر)) وأمّا اشتمال السورة الكريمة على المغيبات فإنّه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم باعلاء كلمة الله والفتح ، والنصر على أعداء الله، فكان كما وعد، وأمره بالنحر حمدا لذلك فصدق وعده بتمكينه منه في حجة الوداع .....

وقد ذكرنا أنّ الآية الثالثة دلّت على الدوام ، والثبات لكونها جملة اسمية مؤكدة مؤذنة بسوء عاقبة شانئه .....

.....

هذا ما أردنا ايراده في هذا المقام مع قصور الباع وقلة البضاعة فكيف بالعلماء النحارير .....

فانظر أيّها المتأمل في هذه الرموز الخفية، والأسرار الغامضة التي تضمنت هذه السورة الكريمة ليظهر لك أنّها لاتشبه كلام البشر بل هو كلام خالق القوى والقدر فإذا تقرر هذا فاعلم أنّ الأصح أن الاعجاز لا يدرك بالتحديد ، والتعريف كما قيل الاعجاز هو اتيان التركيب البليغ الفصيح الذي يفيد معنى يمتنع أن يوجد ماهو أبلغ منه ، وأفصح ، أو مثله من غيره في افادة المعنى بل يحال إلى الذوق كما ذهب إليه صاحب المفتاح وتبعناه ألا ترى إلى أفصحهم نطقا ، وأدهاهم نكرا الوليد حيث قال لقومه والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً .....

فما زاد على ماأدركه من الذوق، فالذوق حالة وجدانيّة يدرك بها الشيء ، ولا يمكن التعبير عنه))[1].

لقد ذكرت هذين الموضعين مع طولهما على سبيل التمثيل لا الحصر لأنّ تأملات الشارح رحمه الله تعالى في استجلاء بعض الأسرار البلاغية للنظم القرآني المعجز سواء كانت الأسرار متعلقة بأساليبه وميدانها علم المعاني أو متعلقة بصوره ومدارها وقطب رحاها علم البيان أو تعلقت تلك الأسرار بوجوه التحسين وحلبتها علم البديع أو تعلقت بالفصاحة ومدارها فن الفصاحة، وقد تبين من خلال ماقاله في السورتين السابقتين أسلوبه في استخراجه لتلك الأسرار والنظرات البلاغية منهما فقد تميز بالحسن والجودة كما يتبين اهتمامه بالذوق وعنايته به في ادراك أسرار النظم القرآني المعجز .

---

(١) الحدائق ص ٧٢ - ٨٠

دراسته للأحاديث النبوية :-

لقد سار الشارح رحمه الله تعالى في شرحه للأحاديث النبوية وفق طريقة معيّنة ، ومنهج واضح إذ يقوم بتخريج الحديث، وشرح مفرداته ، وبيان معناه ، وموضع الاستشهاد فيه واستخراج بعض اللفتات البلاغية التي اشتمل عليها الحديث ، لقد سلك هذا المنهج في كثير من الأحاديث التي توقّف عندها ومن أبرز الأمثلة شرحه لحديث أم زرع كاملاً بتلك الطريقة ، فقد ذكر الطيبي جزءا من هذا الحديث شاهداً على التلويح ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر الحديث كاملاً وشرح مفرداته وبيّن معناه وما اشتمل عليه من صور الكناية فقال ضمن ماقال :- ((قوله ((في حديث أم زرع)) الحديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن ، وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً قالت الأولى زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا يسهل فيرتقى ، ولا سمين ، فينتقل ، وفي رواية البخاري فينتقى غث أي مهزول الوعر ضدّ السهل أراد الهزال هذا اللحم لا ينقله الناس إلى منازلهم بل يتركونه رغبة عنه وقد جاء فينتقى أي ليس له نقى ، وهو المخ ، وقلّته دليل على الهزال تصف زوجها بقلّة خيره ، وبعده عن الخير كالشيء الرديء في قنّة الجبل لا ينال إلّا بالمشقّة قالت الثانية .....)) .(١)

هكذا ذكر قول كلّ واحد وبيّنه إلى أن انتهى من الحديث وقال :- ((..... وإنّما أرخينا عنان القلم، وأطنبنا الكلام لأنّ الحديث جامع لأنواع الكنايات بأسرها ، وحاوٍ للأقسام كلّها مريداً للإرشاد ، والتمرّن)) .(٢)

ومن الأمثلة أيضا أنّ الطيبي رحمه الله تعالى ذكر أن من شرائط حسن الاستعارة أن لا يشمّ فيها من جانب اللفظ رائحة التشبيه لذا يوصى في الاستعارة التصريحيّة أن يكون الجامع فيه جليّاً واضحاً وإلّا خرج إلى التعمية والإلغاز كما في قولك رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة وأريد الناس (٣) ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر الحديث الذي اقتبس منه المثال المذكور، وخرّجه ، وشرح بعض مفرداته ، وبيّن الصورة البيانية التي اشتملت عليه فقال :-

((قوله ((رأيت إبلاً مائة)) مائة صفة إبلاً كقولك مررت بنسوة أربع ، وهو مقتبس مما روينا عن البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ، قال الأزهري الراحلة هي البعير القوي على الأسفار والأحمال التامّ الخلق تقع على الذكر والأنثى فالهاء فيه للمبالغة ، قال صاحب النهاية أي المرضي المنتجب من الناس كالنجيب من

---

(١) الحدائق ص ١٠٥٩

(٢) الحدائق ص ١٠٦٨

(٣) انظر الحدائق ص ١٠١٤

الإبل القوى على الأحمال الذى يوجد في كثير من الابل وقلت التشبيه مركب تمثيلى لأنّ المشبه به ، وهو الإبل موصوف بصفتين مبينتين لكمّية وكيفيّة لينتزع للمشبه الذى هو الناس مثل ذلك شبّه الجماعة من الناس الذين لا منتجب منهم بمائة من الابل لم يوجد فيها نجيب ، ووجه التشبيه حصول متعدد لا مختار فيه فهذا المعنى غير معروف من اطلاق لفظ الإبل، وتخصيصه بالعدد فإذا حذف المشبه، وأريد بالمشبه به المشبه دخل فى حدّ الإلغاز)) .[1]

ومن الأمثلة التى تدل على عناية الشارح رحمه الله تعالى بتخريج الحديث وذكر رواياته إذا كان فيه عدة روايات ماذكره فى حديث المؤمنون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم))[2] الذى استشهد به الطيبى على المجاز المرسل الذى علاقته السببية يقول الشارح حول تخريج هذا الحديث ((أخرجه النسائى من رواية أبى جحيفة وأبو داود عن عمرو بن شعيب مع زيادات))[3]

ومن الأمثلة أيضاً تخريجه لحديث إنّك لعريض القفا الذى استشهد به الطيبى[4] على الرمز فقد قال الشارح في تخريجه لهذا الحديث ورواياته :- ((الحديث من رواية البخارى، ومسلم وأبى داود، والترمذى، وعن عدى بن حاتم، وفى رواية البخارى قال إنّ وسادتك اذن لعريض وفى رواية أخرى أنه قال إنك اذن لعريض القفا))[5] يظهر لنا من خلال تلك الأمثلة وغيرها دقّة الشارح وقدرته على تحليل الأحاديث النبوية، واستجلاء الصور والأساليب البلاغية التي تضمنتها ، وهذا مايهمنا فى دراستنا البلاغية كما تدلّ تلك الأمثلة، وغيرها على سعة علم الشارح رحمه الله تعالى وتمكّنه من علم الحديث، وروايته، وهذا يؤكد الارتباط الشديد، والعلاقة الوثيقة بين العلوم العربيّة، وبين العلوم الاسلامية لأن العلوم العربية هى الوسيلة لفهم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لهذا لا نجد فصلاً بينهما عند علمائنا الأجلاء فنجد الواحد منهم يجيد عدة فنون فتجده مثلاً راسخ القدم فى النحو ، والحديث والبلاغة ، والفقه ، وغيرها حتى إذا سمعته قلت لا يجيد غيره وهكذا كان الشارح رحمه الله تعالى كما يبدو .

---

(١) الحدائق ص ١٠١٤

(٢) انظر الحدائق ص ٩٠٢

(٣) الحدائق ص ٩٠٢

(٤) انظر الحدائق ص ١٠٥٢

(٥) الحدائق ص ١٠٥٢

إشادته بالذوق :-

لقد كان للذوق عناية كبيرة عند الشارح رحمه الله تعالى تجلّى ذلك من خلال ماذكره على لسان شيخه والذى عَلّل اكثاره من الشواهد الشعرية بقوله ((فلا يختلج فى بعض الخواطر أنا أكثرنا من ايراد الأبيات فأطلنا الكتاب ، فأورث الإملال لأنّ من مقدمات هذه الصناعة الإكثار من معرفة الدواوين والخطب والرسائل .....
على أنا ما أردنا من ايراد تلك الأبيات إلّا دفع الملال ، ولا يمل منها إلا جامد عديم الحس)) . (١)

ويظهر أيضاً من اختياراته الشعريه وتحليله لها بوضع يده على مواطن الجمال فيها كذلك من خلال موازناته أيضاً كما يتجلى ذلك أيضاً من تعريفه للذوق ، وبيان أهميته عند شرحه لكلام ضياء الدين ابن الأثير الذى ذكره شيخه فى أول كلامه فى فنّ الفصاحة حيث قال :- ((والذى استفدته من معرفة الذوق أكثر مما استفدته من ذوق المعرفة)) علّق الشارح رحمه الله على هذا بقوله :- ((والذوق حالة وجدانية يدرك بها الشىء ، ولا يمكن التعبير عنها .....
يريد أنّ مبنى هذا الفن على الطبع المستقيم ، والذوق السليم ، وأن المعرفة تابعة للذوق ، وهو حاكم عليها لا العكس ، وإليه أشار صاحب المفتاح بقوله فلا على الدخيل فى صناعة علم المعانى أن يقلّد صاحبها فى بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك إلى أن يتكامل له على سهل موجبات ذلك الذوق . .)) . (٢)

من خلال كل هذا يتأكد لنا مدى اعتماد الشارح رحمه الله تعالى على الذوق وعنايته به وهو فى هذا لم يسلك طريقاً جديداً لم يطرقه العلماء السابقون ، أو استدرك عليهم ، وإنما اقتدى فى هذا بأستاذه السكاكى وابن الأثير وله فضل التركيز وزيادة الاهتمام به .

اختياراته الشعرية والرأى فيها :-

ذكرت فيما سبق عند الكلام عن منهج الشارح فى الكتاب أن من منهجه الذى قام عليه فى هذا الكتاب الاكثار من الأبيات الشعرية لأنّ من مقدمات هذه الصناعة الاكثار من معرفة الدواوين والخطب للارتقاء بذوق القارىء ودفع الملل عنه . (٣)

والمتتبع للأبيات التى أوردها الشارح رحمه الله تعالى يجدها فى الغالب من عيون الشعر معنى ،

---

(١) الحدائق ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) الحدائق ص ١٥٤٦

(٣) انظر الحدائق ص ٤٥ ، ٤٦

ونظماً من ذلك مثلا أن الطيبى ذكر من شواهد حسن التعليل قول كثيّر عزّة :-

وحقك إن الجزع أضحى ترابه ... عبيراً وكافوراً وعيدانه رندا

وما ذاك إلا أن مشت بجنابه ... أميمة فى سرب وجوت به برد ا

أما الشارح فذكر أبياتا فى معنى قول كثير فقال :-

((وهذا طريق سلكه الأوائل وسبيل احتذاه الأواخر ولله درّ الشيخ شهاب الدين النوربشتى رحمه الله حيث قال :-

ألا من لصبّ رنحته رويحة ... حجازية تستجلب العبرات

أقارة مسك أم شمامة عنبر ... تراوح بين الطلّح والسمرات

أم استبضعت من بطن مكة نفحة ... تفوح من الجدران والسترات

تهبّ من قلب الصفا طرب الهوى ... وتنفخ روح القدس فى الصخرات

أنفاس عيسى استودعت بل أمدها ... زمانا خليل الله بالزفرات

ففيها لأرباب القلوب معاهد ... تذوب عليها النفس بالحسرات

ظللت بها أبغى فؤداً ضللته ... وأنشرت بين الخيف والجمرات

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينب فى نسوة عطرات

وهذه كلّها تخييلات، وتصورات اعتقدها قائلها وأنّ حقيقتها من خواص سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه على ماروينا عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا فيتبعه أحد إلا عرف أنّه صلى الله عليه وسلم قد سلكه من طيب عرفه ، أو قال من ريح عرقه رواه الدارمى فى سننه ، ومحى السنة فى المصابيح نعم سبيل الشيخ سبيل وجدانى، ولعمرى إن من القوم من يتعرف من آثار مروره على ديار عرف رجال الله تعالى)) [1] فعلى الرغم من أن الأبيات جاءت فى التغزل برائحة المحبوبة وأنّه يعرف مرورها بالمكان من أثر رائحتها الطيبة لكن الشارح وجه هذا إلى أن هذا من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يلبث أن وجهها توجيهاً صوفيّاً حين ذكر أن من الصالحين من يعرف مروره بالمكان من أثر رائحته الزكية التى تبقى بعده، والذى يظهر لى أنّ الأبيات على الرغم من جودتها نظما ومعنى وما اشتملت عليها من رقة وجمال فهذا من خيالات الشعراء ومبالغاتهم عند تطرقهم لمختلف المعانى، وهذه أمور اعتادوها، وغير مستغربة منهم ، وأما أنّ معناها متحقق فى الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا ثابت حقاً بالحديث الذى أورده الشارح ، أما ادعاء الشارح

---

(١) الحدائق ص ١٢٠٨

تحققها فى الصالحين من عباد الله تعالى فهذه دعوى تحتاج منه إلى أدلة وأمثلة لاثباتها ثم أليس الصحابة أعرف بالله ، وأفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم فلم يعرف عنهم أنّ المكان الذى يمرون عليه يعرف مرورهم به من طيب ريحهم الذى يخلفونه فيبدو لى أن هذا مبالغة من الشارح رحمه الله تعالى لكن يبقى الجانب الفنى فى الأبيات ، وتذوقها تذوقا جماليا فى غاية الروعة ، ويشهد لذوق الشارح الرفيع فى الإختيار ، أنه أحيانا يورد بعض الأبيات ويبيّن السمات الجمالية التي تميزت بها فى النظم والمعنى وذلك من خلال أقوال بعض العلماء فعند حديث الطيبى (١) عن التصريع وأنّ قليله يحسن دون كثيره لما فيه من أمارات الكلفة ذكر الشارح قول بعض العلماء فى الصنعة البديعية ، وأن شرط قبول النفس لها تلاؤمها مع الكلام لفظاً ومعنى وذكر عدة أبيات لبعض الشعراء جاءت متلائمة مع قلة الصنعة البديعية فيها كما ذكر قول بعض العلماء فى أبيات لجرير جاءت فى أحسن صور التلاؤم ، ولم تشتمل على محسن بديعى يقول الشارح فى كل ذلك :-

((قال أبو الحسن الهروى صاحب دلائل النبوة واعلم أن التلاؤم يكون بتلاؤم الحروف ، وتلاؤم الحركات ، والسكنات ، وتلاؤم المعنى ، فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية فى العذوبة ، وفى حصول بعض دون بعض انحطاط درجة العذوبة عن الغاية ، وسائر أقسام الفصاحة مع عدم التلاؤم يعدّ تكلفاً ، وكلّما ظهرت الصنعة أكثر كان الكلام أقرب إلى التعسف ، وإذا حصل التلاؤم عظم معه يسر الصنعة ، وشرف تأليف الكلام ، ووضعه ألا ترى إلى قول الشاعر :-

تمتّع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشيّة من عرار

ألا ياحبذا نفحات نجد ... وريّا روضة بعد القطار

شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار

كما حصل له التلاؤم حصل فى النفس القبول التام مع قلة الصنعة فيه ، وقال صاحب اللمع ضع يدك على أبيات جرير التى منها :-

- طرقتك صائدة القلوب -

فتأمل قوله :-

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

هل ترى فى هذا البيت لفظاً غريباً ، أو شيئاً من ضروب الصنعة التى يسمونها بديعاً ، وإنّما تسمع كلاماً مرسلاً شرّفه حسن النظم ، وجذب بضبعه خلوص السبك ، فلطفت مجاريه ، وتناصفت ألفاظه

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦٣٢

معانيه ، وحلاه الصوغ أحسن حلاه ، وأعطاه من القبول كيف شاء مناه ، وجعلت حلاوته تملك مجامع القلب ، وتأخذ مذاهب اللب ، وتملأ منافذ السمع فرحة ، وتوسع معاطف النفس بهجة ، فإذا طرق سمعك ماينبو عنه سمعك تخيّل إليك وقت أنيق سلبته ، وزمان بهيج حرمته ، وقدّرت أنك المعنى به، والمرمى بسهمه ، ووجدت في نفسك حزناً يثور ، ووجداً يجيش، وبفور ، لا تعلم لهما سببا غير خاصية لهذا القول ، ومزية في وضع هذا النظم ، ولهذا شبه الكلام الجيد بالسحر لأنه يصنع ضيعه ويدبّ دبيبه ، فقيل قول ينزل العصم سهل الأباطح ، ويخرج الحية من مقرّها ، وأنت ترى في الشعر ذكر اللوى كثيرا فما بال موقعه في هذا البيت أشرف ، وأرقع في السمع، وألطف، وقلما يقع أولئك موقعا أعلى من هذا وأحلى ، وأمّا قوله :-

طرقتك صائدة القلوب فليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

فان الأصمعي ذكر أنّ خيالها طرقه في أسفاره، وفي غير حال استقراره وانما أثر أن يلمّ به حال التفرغ للهوى، والتشاغل للصبى ، وانما يقرب فإنّه متى رد طروقها من غير هذه العلة كان ستهينا بحبّها ، والأولى أن يقال إنّه أشفق عليها من معاناة أهوال السفر، وتحمل الأذى فيه ، والخطر وان كان مخالفاً لعادات الشعراء في استزارة الطيف، والخيال، والتلطف لاستجلائه ، والاحتيال ، ولكنه جاء إلى الخاتمة العجيبة فطبع بها بيته ، وقطع عليها ماقبله، وهي فارجعي بسلام وكأن هذه الكلمة على أنها متداولة مألوفة لم تخلق إلا لهذا الموضع، ولم تلق إلا بقافية هذا البيت)) .[1]

يظهر لنا من خلال هذا الكلام دقة اختياره للأبيات الشعرية، وماقيل في الاشادة بها، وهذا مما يشهد له بالذوق الرفيع، ورهافة الحس ، وقد قيل قديماً إختيار الرجل قطعة من عقله ، ولا أدل على قريحته الصافية ، وذهنه المتّقد من ذكره لمثل تلك الإختيارات فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

منهجه في شرح الشواهد الشعرية :-

لقد سلك الشارح رحمه الله تعالى طريقة منهجيّة في كثير من الأبيات التي شرحها فإنّه يبدأ بشرح المفردات الغريبة ، أو تلك التي يرى أنّها تحتاج إلى شرح ثمّ يذكر إعراب بعض التراكيب في البيت ، وروايات ان كان البيت ورد بأكثر من رواية ، وبعد ذلك يبيّن المعنى العام للأبيات ، وموضع الشاهد فيها ، كما يذكر بعض الصور والأساليب البلاغية التي تضمّنها من غير موضع الشاهد وفي بعض المواضع ينقد الأبيات من خلال الموازنات بينها وبين غيرها ونادراً ما ينسب

---

(١) الحدائق ص ١٦٣٢ - ١٦٣٥

الأبيات ، أو يذكر مناسبتها ، وقد اتبع الشارح هذه الطريقة فى كثير من الشواهد الشعرية لكنه يكتفى ببعض تلك الأمور فقد يستغنى عن شرح المفردات الغريبة للبيت على اعتبار أنها واضحة جلية وقد لا يذكر موضع الشاهد فى البيت ، أو يبين معناه لكونهما ظاهرين لا يحتاجان إلى ذكر كما أنه أحياناً لا يشير إلى بعض الصور والأساليب البلاغية التى تضمنها الشاهد ، وأحياناً لا يذكر الروايات الأخرى للبيت إما لأنه لا يوجد ، أو لم يطلع على تلك الروايات ، فبناءً على كل ماسبق فصلت جهده فى شرحه للشواهد والأمثلة على النحو التالي :-

أ - شرحه للمفردات الغريبة :-

لقد اعتمد الشارح رحمه الله تعالى فى شرحه لكثير من المفردات التى اشتملت عليها الأبيات اعتمد على الصحاح للجوهرى ، أو النهاية فى غريب الحديث لمجد الدين ابن الأثير ، وأساس البلاغة للزمخشرى أو المفردات للراغب ، فمن ذلك مثلاً بيانه لمعنى الألفاظ التالية وهى أضاءت ، أحسابهم ووجوههم ، دجى ، الجزع ، انقض فى قول الشاعر :-

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكب (١)

فقد أوردهما الطيبى شاهداً على غرض تطهير المسند إليه عن اللسان من أغراض ترك المسند إليه يقول الشارح فى شرح تلك الألفاظ :-

((يقال ضاءت النار تضوء ضوءا ، وأضاءت ، وأضاءها ، غيرها يتعدى ، ولا يتعدى ، الأحساب جمع حسب بمعنى محسوب ، وهو مايعده الإنسان من مفاخره ، الدجى جمع دجية ، وهى الظلمة ، قال الأصمعى يقال دجى الإسلام إنما هو ألبس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، الجزع بالفتح الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض انقض الحائط سقط ، وانقض الطائر هوى فى طيرانه ، ومنه انقضاض الكواكب)) (٢) وقد اعتمد الشارح فى بيانه لكلمة الحسب ، والدجى ، والجزع على الجوهرى فى كتابه الصحاح ، وإن لم ينص على ذلك ، مثال آخر أن الطيبى ذكر عدة أبيات لكثير عزة شاهداً على التشبيه الذى طرفاه حسيان ، وقد جمع فى هذا الحس مايشم ، ومايذاق والأبيات هى :-

وماروضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٨

(٢) الحدائق ص ١٤٨

كأنّ على أنيابها بعد هجعة إذا ما نجوم الليل حان انحدارها
مجاجة نحل صفّقت بمدامة معطّرة صهباء طال اعتصارها (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه ذكر فى شرحه للمفردات الغريبة التى اشتملت عليها الأبيات فقال :-

((الحزن ماغلظ من الأرض ضدّ السهل ، الثرى التراب، الندى البلل، الجثجاث نبت ، وهو أمرار الشجر ، والعرار نبت طيب الرائحة، ويقال لها بهار البر الواحدة عرارة قال :-

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

الوهن نحو من نصف الليل والموهن مثله ، قال الأصمعى، وهو حين يدبر الليل، والأردان جمع ردن بالضم وهو أصل الكم والمندل عطر ينسب إلى المندل، وهو من بلاد الهند ، صفقت أى خلطت أصله من صفقه البيع ، والبيعة إذا ضرب يده على يده ، أديف أى بلّ يقال دفت الدواء أى بللته بماء أو بغيره فهو مدوف، ومسك مدوف أى مبلول اللطيمة العير التي تحمل الطيب ، وربّما قيل لسوق العطّارين الدّارى العطّار منسوب إلى دارين فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل إليها مسك من ناحية الصين)) (٢) ، وقد نقل الشارح هذه المعانى عن الجوهرى فى الصحاح ، ومن الأمثلة أيضاً على عناية الشارح بشرح المفردات الغريبة فى الشواهد الشعرية شرحه للفظتى أتغزل وأمنحك فى قول الأحوص :-

يابيت عاتكة الذى أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكّل
إنى لأمنحك الصدود وإننى قسماً إليك مع الصدود لأميل

فقد ذكر الطيبي (٣) البيت الأول ضمن شواهده على التلميح يقول الشارح فى شرحه للمفردين السابقين :-

((..... يقال غزله ،واغتزله ، وتغزّله بمعنى والاسم الغزلة أمنحك ، وأعطيك ، والمنحة العطيّة ، والأصل فيه أن يعطيه ناقة ، أو شاة ،ينتفع بلبنها ، ويعيدها ، وكذلك ينتفع بوبرها ، وصوفها زماناً ثم يردّها .....)) (٤) .

---

(١) انظر الحدائق ص ٧٧٠
(٢) الحدائق ص ٧٧٠ ، ٧٧١
(٣) انظر الحدائق ص ١٤٦٧
(٤) الحدائق ص ١٤٦٧

هذه بعض المواضع أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر تبرز جهد الشارح رحمه الله تعالى فى بيان وتوضيح المفردات التى تحتاج إلى شرح فى النصوص الشعرية .

ب- توقفه عند روايات البيت :-

لقد توقف الشارح رحمه الله تعالى عند بعض الأبيات بذكر الرواية الثانية للبيت أو الروايات إن كان فيه عدّة روايات، وتخريجها، وأحياناً يرجح مايراه راجحاً منها من ذلك مثلا قول الشاعر :-

كأنّ قتود رحلى حين ضمّت ... حوالب غرّزاً ومعاً جياعا

على وحشيّة خذلت خلوج ... وكان لها طفل فضاعا (١)

فذكر أن رواية حوالب بالنصب أظهر من رواية الرفع فقال :-

((.....حوالب خبر كأن .....

والأظهر أن حوالب مفعول ضمّت بفتح الضاد .....

وهذه الرواية أصح معنى وإعراباً ، أمّا من حيث المعنى فلأن غرض الشاعر تشبيه ناقته بالوحشية فى نفورها ، وضمورها لا تشبيه القتود بالحوالب وأمّا من حيث الاعراب فلأن حوالب ومعاً نكرتان فلا يصح وقوع الحال منهما موخراً)) (٢).

فالشارح رحمه الله تعالى لم يكتف بذكر الرواية الأخرى ، بل رجّح ماتبين له أنه هو الأظهر ، والصحيح وهذا جهد جيد من الشارح فى هذا المجال ،ومثال آخر أنّ الشارح ذكر أنّ رواية تقطّعت أظهر من رواية قطعت وأنّه يروى وافى الذوائب بدل مرخى الذوائب وذلك فى قول أبى تمام :-

إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد ... تقطع مابينى وبين النوائب

هنالك تلقى الجود فى حيث قطعت ... تمائمه والمجد مرخى الذوائب (٣)

فقد قال الشارح :- ((..... قطّعت هذه رواية المثل السائر ، وفى ديوان أبى تمام حيث تقطعت ، وهذه الرواية أظهر ، قال المرزوقى :-

((ويروى وافى الذوائب بدل مرخى الذوائب أى وتلقى المجد كثيراً وهذا مثل يقول تلقى الجود قد أحبّ هذا الموضع ، وتربّى فيه فما يحبّ أن يفارقه والمجد ، والشرف مع هذا الجود جليل كثير

---

(١) انظر الحدائق ص ٢٠٠

(٢) الحدائق ص ٢٠٠

(٣) انظر الحدائق ص ١٠٧٥

ومن روى مرخى الذوائب أراد أن المجد كالأمن فيهم من أن يتحوّل إلى غيرهم، ويكون أيضاً أنه قد أحاط به الشرف من كل جانب ويفهم أن وافى الذوائب، ومرخى الذوائب على الروايتين منصوبان على الحال من المفعول وهو المجد والسكون للوزن)) .(١)

ومن الأمثلة أيضاً على عناية الشارح برواية الأبيات ماذكره من أن ترصد أصح فى قول الأعشى :-

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد لما كان أرصدا(٢)

قال الشارح رحمه الله تعالى :- ((والرواية الصحيحة لم تُرصِد بضم التاء وكسر الصاد للتطابق يقال أرصدت له أى أعددت له ، وفى حديث حسن بن على رضى الله عنهما، وذكر أباه، وقال ما خلّف من دنياكم إلّا ثلثمائة درهم أرصدها لشراء خادم) .(٣)

هذه بعض الأمثلة يتبين من خلالها جهد الشارح ليس فى ذكر الرواية، أو الروايات الأخرى للبيت فقط بل الترجيح بينها مع بيان وجه الترجيح، وهو جهد جيد من الشارح فى هذا المجال رحمه الله تعالى .

حـ - إعرابه لبعض تراكيبه :-

ان كثيرا من الشواهد الشعرية التى توقف عندها الشارح ذكر اعراب بعض التراكيب فيها فعلى سبيل المثال أعرب الشارح رحمه الله تعالى بعض التراكيب فى قول الشاعر :-

أضاءت لهم .....البيتين وقد سبقا ، فقد قال الشارح :-

((وقوله نجوم سماء خبر مبتدأ محذوف، وهو تشبيه بليغ لأنّ المقدر كالملفوظ ، وعند بعضهم استعارة ، وكلّما نصب على الظرف ، والعامل فيه الجزاء وهو بدا، وما مصدرية، والوقت مقدر أى كلّ وقت انقضاضه، والضمير فى كواكبه راجع إلى كوكب، ويجوز أن يكون راجعاً إلى السماء وعلى تأويل تذكير اسمه وهو الرفيع، أو باعتبار المذكور، والجملة الشرطية استئنافية، أو صفة سماء على أن يقدر انقضّ كوكب منها هذا إذا كان الضمير فى كواكبه راجعاً إلى كوكب أمّا إذا كان راجعاً إلى السماء فلا يحتاج إلى تقدير الضمير)) .(٤)

---

(١) الحدائق ص ١٠٧٥

(٢) انظر الحدائق ص ١١٤٢

(٣) الحدائق ص ١١٤٢

(٤) الحدائق ص ١٤٦

مثال آخر اعراب الشارح رحمه الله تعالى لقول المتنبى :-

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر [1]

فقد قال :- ((فالذى خبر من، ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والفقر المعرّف تعريف الجنس خبر الذى ، وصلته فعل ، والضمير المستتر المرفوع فيه راجع إلى الموصول الأول المنصوب المحذوف إلى الثانى)) [2]

أحياناً يرجع الشارح بين الوجوه الإعرابية ليبين أيّها أقضى لحق البلاغة من ذلك ماذكره فى إعراب كلمة العيمان فى قول الزبرقان :-

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلّص عن برد الشراب مشافره

قال :- ((العيمة بالعين المهملة شهوة اللبن ..... والعيمان يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لقروا يعنى لمّا جفوت ضيفك فقدم أعوانك اللبن إليه، وعرضوا عليه ثم منعوه عنه حتى شرب الماء البارد صرفاً فتقلّص شفتاه ..... وأن يكون وصفا لجارك ، والمفعول الثانى محذوف أى قروا ضيفك المشتهى للبن الماء حتّى أورثه التقلص، والأول أبلغ في الذم، وأقضى لحقّ البلاغة لأنّ فى قوله قروا جارك العيمان تتميما لمعنى الذم أى ما اكتفى بالضياع ، بل لوّحوا إليه اللبن حتى أورثوه اشتهاء ، ثمّ منعوه عنه والضمير فى مشافره راجع إلى جارك وهو مفرد وجمع المشافر مبالغة فى التقلص فكأن كل جزء حصل فيه التقلّص كقوله معاً جياعا وقلص على الوجهين معطوف على محذوف هو مسبب عن الأول أى قروا جارك اشتهاء اللبن فشرب ماء وقلص عن الثانى التقدير فشربه وقلص، ويجوز على الأول أن يكون حالا من المفعول الأول، وقد مقدرة أو من الضمير المنصوب فى جفوته)) . [3]

هذه بعض الشواهد أوردتها على سبيل التمثيل يظهر من خلالها تمكن الشارح رحمه الله تعالى من علم النحو ، وقدرته على توجيه معانى الأبيات حسبما يصح فى تراكيبها من وجوه اعرابية، والترجيح بينها .

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٥٣

(٢) الحدائق ص ١٤٥٣

(٣) الحدائق ص ٨٩٨

د - عنايته بمعاني الأبيات :-

منهج الشارح رحمه الله تعالى أنه يقوم ببيان معنى البيت أو الأبيات التي يقوم بشرحها وهذا مافعله في كثير من الشواهد فمثلا قال في معنى البيتين السابقين :

أضاءت لهم ..... البيتين .

((.....يصف قوماً شرفاء كرماء ذوى أحساب وأنساب حيث شبههم بنجوم السماء في الرفعة ، والاهتداء ، والاقتداء حتى لو مات منهم واحد لقام واحد في موضعه يأوى إليه جميعهم ما يعيين منقادين أى لكل منهم صلاحية أن يكون مقتدى به .....)) . (١)

ومن الأمثلة أيضاً ماقاله في معنى بيتي الأرجاني :-

أخلاقه نكت في المجد أيسرها ... لطف يؤلف بين الماء والنار

لو زرته رأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والأرض في دار (٢)

قال الشارح رحمه الله تعالى في معناهما :-

((نظر في الفقرات إلى الغايات لأن غاية الناس الانسانية واكتساب مكارم الأخلاق ، والاحتساب عن رذائلها ، وغاية الدهر الرفاهية فيه ، وحصول العيش الهنى ، والحياة المرى ، وغاية الأرض حصول جمع الشمل في المأمن ، والثبات ، والاستقرار على الأمن ، فلما كان حاوياً لجميع الخصال الحميدة وجامعاً لتلك المناقب المرضية كان من زاره نال كل الأمانى ، والمآرب ، ووصل إلى كل المقاصد والمطالب)) (٣)

ومن الأمثلة أيضاً ماذكره في معنى قول المتنبي

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذى فعل الفقر

قال الشارح في معناه :- ((يقول من جمع عمره الذى هو رأس كل فوز وسعادة في طلب أخس الأشياء الذى هو حطام الدنيا مخافة الفقر فإنى أنبهك على أنه خسر خسرانا لا خسار فوقه ، وأن مافعله هو نفس الفقر وحقيقته لا غير) . (٤)

هذه بعض الأمثلة تبين مدى حرص الشارح رحمه الله تعالى على اتباع المنهج الصحيح في الشرح والتحليل كما تدل على تمكنه من فهم النصوص .

---

(١) الحدائق ص ١٤٨

(٢) انظر الحدائق ص ٧٩٠

(٣) الحدائق ص ٧٩٢

(٤) الحدائق ص ١٤٥٣

هـ - اهتمامه بموضع الشاهد فيها :-

إنّ موضع الشاهد في النص هو الغرض الذى اقتضى إيراد الشاهد من أجله ، وقد لقى هذا الجانب العناية الخاصة عند الشارح رحمه الله تعالى خلال شرحه للأبيات الشعرية من ذلك مثلاً أنّ الطيبى ذكر بيتى أبى العلاء :-

أردنا أن نصيد بها مهـــــــاة ... فقطّعت الحبائل والحبـــــــالا

ونمّ بطيفها السارى جـــــــواد ... فجنّبنا الزيارة والوصـــــــالا

شاهداً على ترشيح الاستعارة ، وقال في تعليقه على البيتين :- ((الحبائل والحبالا ترشيـــح لاستعارة المهاة للحبيبة ثمّ قوله ونمّ بطيفها تجريد لها)) . (١)

أمّا الشارح رحمه الله تعالى فإنّه بين موضع الشاهد أحسن بيان فقال :- ((شبّه الشاعر تناوســـه لطيف المحبوبة بشبكة الصياد والحبيبة بالمهاة ، وحصول طيفها بوقوع المهاة فى الشبكة ، وصهيـــل الجواد بالواشى الفرق بين الأحباب هذا إذا كانت الاستعارة مغرقة ، أو تمثيلية ، وأمّا إذا جعلـــت الاستعارة فى المهاة فحسب تكون الحبائل ترشيحاً لها لأنّها صفة ملائمة للمهاة الواقعة فى الشبكـــة ويكون نمّ بطيفها جواد تجريداً لكون النمّام والطيف يستعملان فى حال الحبيبة)) . (٢)

ومن الأمثلة على عناية الشارح بموضع الشاهد فى البيت ماذكره فى بيتى الاربلى شاهداً علـــى الجمع مع التفريق والبيتان هما :-

تشابه دمعانا غداة فراقنـــــا ... مشابهة فى قصة دون قصـــــة

فوجنتها تكسو المدامع حمـــــرة ... ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتـــى (٣)

قال الشارح حول موضع الشاهد فى البيتين

((أدخل الدمعين فى معنى التشابه ثمّ فرق بين جهتي الإدخال بقوله مشابهة في قصـــة دون قصة مجملاً وفصّله بالبيت الثاني بأنّ بيّن بأن حمرة وجهه من انصباغة بالدم الجارى من العين ، وقـــد أبدع فيه كل الابداع)) . (٤)

هذه بعض الأمثلة التي تدل على تمكن الشارح من توضيح موضع الإستشهاد فى الأبيات الشعرية .

---

(١) (٢) الحدائق ص ١٠٠٦

(٣) انظر الحدائق ص ١٣٩٩

(٤) الحدائق ص ١٣٩٩

و - استخراجه لبعض الأساليب والصور البلاغية منها :-

ان أبرز مايميز الشارح في تحليله للنصوص الشعرية توقفه عند كثير من تلك النصوص ببيان بعض اللفتات البلاغية من غير موضع الشاهد ، وهذا إنما يدل على مدى تمكنه من ناصية البيان ، وقدرته على التطبيق مع دقة الفهم ،والذوق الرفيع، ومن أبرز الأمثلة على ماذكرت أن الطيبي ذكر ضمن شواهده على التضمين قول بهاء الدين الجويني إلى ابنه عطاملك وفي أربعةأبيات منها :-

عطا ملك فديتك إن شوقي ... إليك يسومني الأشجان سوما

مطايا طاقتي قد صرت عجفى ... وأضحت ناقة البرحاء كوما (١)

وقد بين الشارح رحمه الله تعالى الاستعارة التي تضمنها البيتالثاني فقال :- ((...ناقة كوماء عظيمة السنام ، وهي ترشيح والاستعارة ناقة البرحاء كما أن عجفى ترشيح لاستعارة مطايا طاقتي، وفي القرينتين طباق معنوي لأنهما كنايتان عن شدة ضعفه ، ونفاذ طاقته وعن قوة كربه وغاية غرامه .....)) . (٢)

ومن الأمثلة أيضاً توقفه عندالاستعارتين في بيتي المعرى اللذين أوردهما الطيبي شاهداً على العقد وهما :-

وجند سليمان رأى السيف حولها ... فحاذر نمل دب فيه من الحطم

يرى السيف دون القرن من حلقاتها ... على دقها مادون يأجوج من ردم (٣)

وقد بين الشارح رحمه الله تعالى الصورة البيانية التي تضمنها البيت الثاني فقال :- ((شبه الدرع المزرودة ، وحلقاتها المتراكبة المتراكمة بجند سليمان من الجن والانس فيكثرتها وازدحامها وشبه مافي السيف من فرنده ، وجوهره بالنمل في صغره ، وتوجهه،ثم أخرج التشبيهين مخرج الاستعارتين)) (٤)

ومن الأمثلة ما استشهد به الطيبي على حسن المخلص من قول ابن بابك :-

لقد نشر النيروز وشياً على الربى ... من النور لم يظفر به كف راقم

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٢٥

(٢) الحدائق ص ١٤٢٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٤١

(٤) الحدائق ص ١٤٤١

كأن ابن عباد سقى المزن بشـــره فجاء برشاش من الوبل ساجـــم (١)

وقد بيّن الشارح التشبيه الذى اشتمل عليه البيتان فقال :-

((شبه اخضرار النبات مع اختلاف ألوان الأزهار من الإصفرار والإحمرار والإبيضاض المنبسطـــة على الربى والهضاب بثوب منشور مرقوم موشّى منقّش بألوان النقوش في حسن المنظر ونزاهة البهجـــة ثم أخرجه مخرج الاستعارة التمثيلية .....)) (٢)

هذه بعض المواضع أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر يتبين من خلالها دقّة وعمق الشارح رحمه الله تعالى فى فهمه للنصوص الشعريّة لأنّ استخراج مثل هذه الصور البلاغية التي تلقى ظلالاً علـــى مواطن الجمال فى النصّ الأدبى لاتتأتّى إلّا بعد مرحلة فهم النص ومعرفة موضع الشاهد فيه ، كمـــا تدلّ على رهافة الحس ، وارتقاء الذوق ممن يقوم بهذا العمل ، وهذا ماثبت للشارح رحمه اللـــه تعالى من خلال تلك الأمثلة وغيرها .

ز- دقّة نقده للشواهد الشعرية :-

إن الدارس لكتاب الحدائق يجد صاحبه الشيخ على بن عيسى له نظرات نقدية وإن لم تكن رأيـــا مستقلاً له بل تبع فيه علماء آخرين وإنّما كان له فضل حسن الأخذ عنهم والتطبيق على بعض الأبيـات الشعرية بالإضافة إلى حسن اختياره وانتقائه مما قالوه فقد ذكر الطيبى (٣) المحاورة التي جرت بيـــن أبى الطيب وبين سيف الدولة فى قول الأول :-

وقفت ومافى الموت شكّ لواقـــف كأنك فى جفن الرّدى وهو نائـــم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمـــة ووجهك وضاح وثغرك باســـم

قال له سيف الدولة انتقدنا عليك البيتين. توقف الشارح عند هذه العبارة فبين معنى النقـــد وما يشتقّ منها لغة نقلاً عن الزمخشرى في الأساس كما بيّن معنى النقد وأهميته والشروط التى يجـــب توافرها في الناقد عند الأدباء ، وذلك نقلاً عن صاحـــب اللمع فى صناعة الشعر كما ذكر ماقالـــه ابن الأفلح الكاتب فى كتابه المقدّمة فى صنعة الشعر فى تشبيهه صناعة النقد بصناعة الثوب، والناقـــد بالحائك ، ثم ذكر محاورة أوردها السكاكى فى المفتاح جرت بين سكينة بنت الحسين، وبين عـــدد من رواة الشعر يتمثل فيها ماقاله العلماء السابقون يقول الشارح فى كل ذلك :-

((يقال نقدت الدراهم لزيد وعلى زيد كما يقال شهد له ، وعليه قال فى أساس البلاغة نقد النقّاد

---

(١) انظر الحدائق ص ١٥٣٠ .

(٢) الحدائق ص ١٥٣٢

(٣) انظر الحدائق ص ١٢٨٦ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠

الدراهم ميّز جيّدها من رديئها ، ومن المجاز هو من نقدة الشعر ، ونقّادة وانتقد الشعر على قائله ، وهو ينقد بعينه الى الشيء أى يديم النظر إليه باختلاس حتى لا يفطن له كأنّما شبّه بنظر الناقد الى ماينقده ، قال صاحب اللمع : واعلم أن النقد والعيار غامضان ، وهما صناعتان برأسهما غير العلم بغريب الشعر ،ولغاته ، ومعانيه ، واعرابه ، وقوافيه ، وأوزانه ، وهى ممتنعة إلّا على أهلها الذين صحّت طباعهم ، وصفت قرائحهم ، واتّقدت أذهانهم ،وأفنوا أعمارهم فى خدمتها ، وفرّغوا أنفسهم لتحصيلها ، فحصلت لهم الرواية ، وراضوا الكلام ، ومارسوا أقوال البلغاء ، وخدموا غايته ولزموا أهله ، ودفعوا إلى مضايقه ، وكشفوا عن حقايقه ، ولا قوافيه فرسانه وقال أيضاً خبرني هل تميز بين الكلام المطبوع ، والمصنوع ، وهل تفرّق بين المبتدئ وبين من استحكم قوله ، واستمرّ نظمه ، وهل تقف على مايختص به كل فصيح من أفانين القول فيجود فيه ويتسنم أعلى مراقيه ، ويقصر فيما عداه وتخلّى فيما سواه ، وهل تعرف الكلمة تقلق في البيت ، والبيت يقلق فى القصيدة وهل تفطن لما هو بعيد الغور ، رفيع السمك ، وهل تفصل بين ما يكتسب الرشاقة بألفاظه ، وبين ما يكتسبها بمعانيه ، وأغراضه هيهات إنّ العلم منيع الحمى ، أبيّ المطلع ، والمرتقى لا ينال بالمنى ، ولا يدرك بالهوينا ، وهذا الصنف لمّا غمضت مسالكه ، وشعابه قلّ المتحققون به ،وعدم طلّابه فاقتصر مدّعوه منه على لمع أخذوها من بطون الكتب ، وحصلوا عليها من متون الصحف ، ولم يتدرّجوا إليه بطول صحبته ، ولا بتقديم رياضته .

وذكر ابن الأفلح الكاتب في المقدمة أنّ مروان بن أبى حفصة قال : قرض الشعر أشدّ من قضم الحجارة ، ونقده أصعب من قرضه وقيل إنّ ناظم الشعر كحائك الثوب يعلم مقدار مادخل الثوب من غزل فى سداه ، ولحمته ، ومايلزمه عليه من غرامة ويعرف طوله ، وعرضه ، ومدّة عمله ، وناقد الشعر كالبزاز الذى يبيع الثوب ويستعمله فهو لكثرة ملابسته الثياب ، ومقايسة بعضها إلى بعض يعرف منها الرفيع من الدون ، والرقيق من الغليظ ، وكم من فارس للشعر حاذق فى نظمه يأتى فيه بالدرّة والبعرة لا يستطيع التمييز بينهما لقلة معرفته بالنقد ، وصعوبته عليه ، ومازال الفحول من الشعراء من المخضرمين أى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، والاسلاميين ينتقد الفضلاء أشعارهم البديعة التى تروق ألفاظها ، وتبتدع معانيها فيظهرون فيها تصور اللفظ عن المعنى ، ونقصان المعنى من الكمال مالو سمعه الشاعر كشف فى النفوس بعد الايفاء ، وخجل لما جاء به بعد الخيلاء فأوّل من انتقد عليه الشعراء أمرؤ القيس ، وهو فيه الأمير الذى إليه ينتهى ،وبه يقتدى ، وروى صاحب المفتاح أنه قد اجتمع راوية جرير ، راوية كثير ، ورواية جميل راوية نصيب ، راوية الأحوص ، فأخذ يتعصب كلّ واحد لصاحبه ،ويجمع له فى البلاغة قصب الرهان ، فحكّموا سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما لما يعرفون من علمها ،وبصيرتها بالشعر فذكروا لها ماكان من أمرهم ،فقالت لراوية جرير أليس

صاحبك القائل :-

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام ؟

وأيّ ساعة أحلى من الزيارة في الطروق ؟ قبّح الله صاحبك ، وقبّح شعره ، ألا قال ادخلي بسلام ؟ ، ثمّ قالت لراوية كثير : أليس صاحبك الذي يقول :-

يقر بعيني مايقر بعينها وأحسن شيء مابه العين قرت ؟

وليس شيء أقرّ لعيونهن من النكاح ، فتحب صاحبك أن ينكح ؟ ، قبّح الله صاحبك ، وقبّح شعره ، ثمّ قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول :-

فلو تركت عقلي معي ماطلبتها وان طلا بها لما فات من عقلي ؟

فما أرى لصاحبك من هوى إنّما طلب عقله قبّح الله صاحبك ، وقبّح شعره ، ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذي يقول :-

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فياويح نفسي من يهيم بها بعدي ؟

فماله همّ إلا من يتعشّقها بعده ، قبّح الله صاحبه ، وقبّح شعره ألا قال :-

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذي يقول :-

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلاً إذا نجم الثريا حلّقا

باتا بأنعم ليلة والذّها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم ، قالت : قبّح الله صاحبه ، وقبّح شعره ، ألا قال : تعانقا ، وفي الحكايات كثرة والمقصود مجرّد التنبيه)) .(1)

وفي المحاورة التي جرت بين إسحاق الموصلي وبين الأصمعي عند انشاد الأول بيتين له على أنهما لشاعر قديم وهما :-

هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشفى العليل

إنّما قل منك يكثر عندي وكثير من الخليل قليل

فقال له الأصمعي : هذا والله الديباج الخسرواني ، فقال له إسحاق :- هو ابن ليلته ، فقال الأصمعي : لا جرم أثر التوليد فيه ، فقال الموصلي : لا جرم أثر الحسد فيك ، أورد الطيبي(2) هذين البيتين شاهداً على لزوم مالا يلزم ، وقد توقف الشارح عند قوله : أثر التوليد فيه ، فتحدث عن بعض مراحل الصناعة البديعية التي مرت بها نقلاً عن صاحب اللمع ، فقال الشارح في ذلك :- ((قال

---

(1) الحدائق ص ١٢٨٦ - ١٢٨٩

(2) انظر الحدائق ص ١٦٦٠

صاحب اللمع : اعلم أنّ العرب كانت تتعمد تنقيح الشعر ، وتتعمّل لتحسين ألفاظه ، وتشذيبها ، وترصيف معانيه ، وتهذيبها ، ويدلّ على ذلك افتخارهم في أسفارهم بالتجريد ، ووصفهم لمصابرة القول ، ومكابدة السهر ، والتحبير منه ، والصبر على عرضه ، وعمله حولاً حتى قالوا خير الشعر الحولّي المنقّح ، يروى ذلك عن الحطيئة ، وقالوا حوليّات زهير ، وقد ذكرت الشعراء في مفاخرتهم فقال سويد بن كراع يذكر تقويمه شعره ، وطول مصاداته له :-

أتيت بأبواب القوافي كأنّما ... أصادي بها سرباً من الوحش نزّعا

أكالئها حتّى أعرس بعدما ... يكون سحير أو بعيد فأهجعا

إذا خفت أن تروى عليّ رددتها ... وطأ التراقي خشية أن تطلّعا

وقال عدي بن الرقاع :-

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها ... حتى أقوّم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها

فلمّا أفضى الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة ، واللطف تكلّفوا الاحتذاء عليها وسمّوها البديع فمن محسن ومسيء ، ومفرط ومقتصد))(1)

يتبين لنا من خلال ما أورده الشارح من أقوال العلماء في نظراتهم النقدّية عنايته الشديدة بالذوق فهو المرتكز الأساسي عنده إلى جانب القاعدة عند ممارسة الناقد لعمله كذلك الأديب عند إيراده لبعض المحسّنات البديعيّة ، فإنّه يجعل من ذوقه هادياً يرشده إلى المواطن التي تتألّق فيها تلك المحسنات مع حسن نظم الكلام، فيتتبعها ، ويميزها عن المواطن التي تكون فيها متكلفة ممجوجة فيتجنبها ، والذوق الرفيع لا يتأتى الا بالمداومة على القراءة في النصوص الجيدة ، وهذا لا يعني اهمال القواعد في النقد ، وإنّما القاعدة تسير مع الذوق جنباً إلى جنب ، هذا ولقد سلك الشارح رحمه الله تعالى في نقده للنصوص الشعرية هذا المنهج حيث اعتمد فيه على الموضوعية والذوق أي أنه يعلل الأحكام التي يصدرها على النص من جهة الجودة والرداءة ويبتعد عن التعميم في الحكم مع اعتماده على حسّه المرهف في بعض المواضع لتلمس مواطن الجمال فيه، وتذوق عذوبته في نظمه، وسيتبين ذلك جليّاً من خلال بعض الشواهد ،فقد ذكر الطيبي بيتي البحتري شاهداً على قرائن الاستعارة المتضمّنة لعدة معان مرتبط بعضها ببعض وهما :-

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أروس الأقران خمس سحائب

يكاد الندى منها يفيض على العدى ... مع السيف في ثنى قناً وقواضب(2)

---

(1) الحدائق ص ١٦٦٠

(2) انظر الحدائق ص ٩٤٠

قال الشارح رحمه الله تعالى في نقده للبيت :-

((..... والانكفاء الرجوع من كفأت القوم كفاء إذا صرفتهم عن مقصدهم إلى غيره ... وقيل لو أخذ من قولهم كفأت الاناء كببته وقلبته ..... لكان أحسن في التشبيه وأبلغ لأنه من قلب الحقائق كأنه انقلب اليائس إلى النائل والتفويت إلى الحياة ، القرن بكسر القاف كفؤك في الشجاعة على المحاربة، وفاعل تنكفي خمس سحائب أي أنامل ، فوضع السحائب موضع الأصابع تنبيهاً على التكميل ، وانضمام الجود مع الشجاعة ، اذ لو أتى بدل السحائب بالأصابع لاقتصر على الشجاعة لأنه حينئذ لم يتجاوز عن حديث الشجاعة إلى حديث السخاوة إذ السحائب إنما تستعار للجود والسخاوة والبيت الثاني بيان للبيت الأول)) (١).

فالشارح رحمه الله تعالى حمل معنى بعض الألفاظ على الوجه الأبلغ، والذي يتناسب مع غرض الكلام وهو التشبيه كما بين ماتميز به الشاهد من المبالغة في المدح وذلك في ايراده لفظ السحائب ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبي استشهد للجمع بقول أبي العتاهية :-

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسدة (٢)

وقد نقده الشارح رحمه الله تعالى من ناحية المعنى فقال :-

((هذا كلام ليس بجامع لأن من جمع الثلاثة ، وفقد الصحة كيف يكون طاغياً ، وكم رأينا شيوخاً وكهولاً أطغى من الشبان ، وكم من شباب زاده البسطة في المال تواضعاً على تواضع بل الكلام الجامع قوله تعالى ((إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى)) (٣) أطلق استغنى ولم يقيد أنه بم استغنى؟ ، وعما استغنى؟ ، وقيده بالرؤية ليفيد أن طغيانه إنما وجد لأنه رأى استغناءه، وعدم افتقاره، والحكم بالعكس إذا لم يره)) (٤).

نعم ماقال الشارح رحمه الله تعالى فإنه ما اكتفى بنقد أبي العتاهية في بيته ،وتعليل هذا النقد حتى اتبعه بآية تعد قمة الاعجاز في الايجاز حيث حوت المعاني الكثيرة تحت ألفاظ قليلة ، وقد أشار إلى ذلك .

---

(١) الحدائق ص ٩٤٠ - ٩٤٢

(٢) انظر الحدائق ص ١٣٩٢

(٣) من الآية ٦ والآية ٧ من سورة العلق .

(٤) الحدائق ص ١٣٩٢

ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبي ذكر أن من القلب المردود وهو الذى لم يتضمّن لطيفة قول القائمي :

فلمّا أن جرى سمن عليها كما طيّنت بالفدن السياعا [1]

وقد بين الشارح بعض مفرداته ومعناه وذكر أنّه من التشبيهات المبتذلة فقال :- ((التطيين جعل الطين على الشيء والفدن القصر العالي ، والسياع الطين مع التبن يضاف جفنة فيها ثريد كثير يعلوه سمن مفرط شبههما بالقصر الذى قد طيّن بالسياع ، وهذا التشبيه من أرذل التشبيهات لا يذهب إليه إلّا الأجلاف ، كما أن قلبه من أفحش القلوب)) . [2]

هذه بعض الصور يتبين فيها تنوّع نقد الشارح رحمه الله تعالى بين نقد في المعنى وبين نقد في الألفاظ ، وهو في كل ذلك ينقد بذوق رفيع إلى جانب التعليل والتوجيه ، وهذا إنّما يدلّ على تضلعه ودقة فهمه للنصوص لأنّ النقد مرحلة تأتي بعد فهم النص ، وتذوقه .

حـ - موازناته بين الأبيات :-

إنّ الموازنات الشعرية بين شاعرين أو عدة شعراء في معنى من المعاني أو في أبيات معينة تدور حول معنى واحد لمعرفة المتميز منهما ، أو منهم حتى يحكم له بالجودة والحسن ، وتعرف مرتبته بين غيره الذين جرت الموازنة بينهم ، إنّ القيام بمثل هذا الأمر ليس بالسهل اليسير لأنّه يحتاج من صاحبه أن ينظر بعين الناقد البصير ، والمتذوق المتأمل في وقت واحد مع الاستيعاب والشمول فلا ينظر إلى أحد الشاعرين أو الشعراء ، ويهمل الآخر أو يتغاضى عنه والإستيعاب والشمول يشملان محاولة رصد وتتبع حسنات وسيئات كل طرف وهذا يحتاج إلى دقة نظر لاستجلاء الملامح الجمالية بين النصّين ، وذلك إذا كانت الموازنة بين شاعرين في نصين معيّنين في معنى واحد والكشف عن ثغرات الضعف التي يمكن أن يوجه إليها النقد ، إن تلك الصفات نجدها متوافرة عند الشارح رحمه الله تعالى في موازناته الشعرية بالإضافة إلى تمتعه بالذوق الرفيع ، والحس المرهف اللذين تميز بهما ، وسيظهر ذلك جليّاً من خلال تتبع بعض الشواهد والأمثلة ، ذكر الطيبي أنّه قد يكون الايجاز والاطناب بتقليل الحروف ، وتكثيرها كما في الشطر الأول من بيت أبي تمام :-

يصدّ عن الدنيا إذا عنّ سوءد ولو برزت في زيّ عذراء ناهد

وتمام البيت في قول الآخر :-

ولست بنظّار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر [3]

---

(١) انظر الحدائق ص ١٦١٦

(٢) الحدائق ص ١٦١٦

(٣) انظر الحدائق ص ٦٨٩

أما الشارح رحمه الله تعالى فبعد أن بيّن التتميم والتكميل اللذين تضمنهما البيت الأول ذكر أنه يمكن اعتبار البيت الثاني أبلغ وبيّن وجه ذلك فقال :- ((وقوله ولو برزت في زي عذراء ناهد تتميم للمعنى لأنّ الدنيا وصفت بعجوزة شوهاء، وناهد تكميل للعذراء لأنّ الناهد هي التي استعدّت للاستمتاع بها ، والاستلذاذ بمعاشرتها ، ويمكن أن يقال إن البيت الثاني أبلغ من الأول فإن تقييده بالغنى مشعر بالتتميم والتكميل اللذين أفادهما البيت الأول لأنّ معنى الغنى في الدنيا إنّما يتمّ إذا ضم معه مايتصل به من الحسن ، والبهاء ، والتزيين ، إذ مجرد ذكرها يشعر بنقصانها كما قال أبو العلاء :- وقد غرضت من الدنيا البيت ، ونحوه وأيضاً ليس فيه معنى المقابلة الذي يعطيه الفقر من التجنب والصدّ ، ثم قوله ولست بنظّار أبلغ من يصدّ لافادته عدم الالتفات كأنه اقتبس المعنى من قوله تعالى ((لا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم)) [1] فإن قلت لو قيل لست بناظر كان أبلغ من قوله بنظّار ، قلت هذا البناء يجيء تارة للمبالغة في شيء واحد وأخرى في التكثير كما في قوله تعالى ((وما ربّك بظلّام للعبيد)) [2]

يقال فلاناً ظلّام لعبده إذا بالغ في تعذيبه ، وظلّام لعبيده وما نحن بصدده من الثاني فيجعل التعريف في الغنى لاستغراق الجنس أي لست بنظّار إلى فرد فرد من أفراد الغنى وفي إقحام لفظ جانب تتميم لمعنى عدم الالتفات المعنى إنّي ما التفت إلى الدنيا وفواتها فاختار العلى عليها ، وإن لزم منها الفقر)) . [3]

فالشارح رحمه الله تعالى لم يطلق الحكم وهو اعتبار البيت الثاني أبلغ هكذا على عواهنه بل علّله ، ووجهه ، وبيّن ماتميز به في الوقت الذي ذكر ماتميز به بيت أبي تمام من التتميم والتكميل .

وقد ذكر ضياء الدين ابن الأثير والخطيب هذين البيتين شاهداً على أنّ بيت أبي تمام أوجز حيث أدّى المعنى بنصف بيت، وأنّ صاحب البيت الآخر أطنب فأدّى المعنى في بيت كامل لكن لا نجد عندهما مثل هذه الموازنة، أو مايشير إليها فلهذا قد وفق الشارح في هذا الجهد الذي بذله في هذه الموازنة بين البيتين .

ومن الأمثلة أيضاً أن الطيبي استشهد للانتحال وهو الضرب الثاني من النسخ بقول المتنبي :-

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا

---

(١) من الآية ٨٨ من سورة الحجر .

(٢) من الآية ٤٦ من سورة فصلت .

(٣) الحدائق ص ٦٨٩ ، ٦٩١

وقول الصاحب بن عبّاد :-

لبسن برود الوشى لا لتجمّـــل ولكن لصون الحسن بين بـــرود

وقول الحماسى :-

ولمّا تنازعن الحديث وأسفـــرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعـــا

وقول الرستمى :-

بدور زهتهن الملاحة أن تـــرى لهن نقاب والوجوه سوافـــر (١)

لكنّ الطيبى لم يعلق على الأبيات بشىء ،أما الشارح فإنّه ذكر ماتميّز به بيت الرستمى ، وبيت الحماسى ، وبيت المتنبى ،فقال :-

((وقال المرزوقى أى أشرقت وجوه تلوّلوء ونورا استخفّ أربابها الحسن الحائل فى جوانبها ، ومنعها من أن يسترها بقناع عجباً بها والتذاذاً بخواص عيون الناس فى محاسنها .

وأمّا المعنى الذى ذهب إليه الرستمى فهو أن الحسن منعها تكبراً من أن يسترها بقناع تقنّعاً به ، واكتفاءً بستره كما تمنع الشمس بأشعتها عيون الناظرين أن يتّصل بها تضمن الزهو معنى المنع فعدّى بمن ، ثمّ حذفت اختصاراً أى منعها الحسن من التستر زهواً منه ، واعجاباً بنفسه فيكون من باب الإسناد المجازى، والفرق بين قول الرستمى وأبى الطيب أنّ أبا الطيب جعل القناع الصائن حسّياً ، والحماسى والرستمى معنويّاً .

والفرق بين قول الحماسى والرستمى أنّ الرستمى جمع بين الضدين وأغرب ، وقوله لهن نقاب استئناف على سبيل البيان)) . (٢)

فالشارح رحمه الله تعالى أبرز ماتميز به كل بيت فى هذه الموازنة ،ومن الأمثلة أيضاً أنّ الطيبى استشهد لضرب من أضرب السلخ وهو مازيد على أحد الكلامين شيء من البديع استشهد بقول أبى تمام:

وكذاك لم تفرط كآبة عاطـــل حتى يجاورها الزمان بحالـــى

وقول البحترى :-

وقد زادها افراط حسن جوارهـــا لأخلاق أصفار من المجد خيّـــب

وحسن دراري الكواكب أن تـــرى طوالع فى داج من الليل غيهـــب (٣)

إلّا أنّ الطيبى لم يبين وجه تفضيله لبيتى البحترى على بيت أبى تمام ، أما الشيخ على بن عيسى فإنّه بعد أن شرح المفردات الغريبة لكلا الشاهدين وبيّن معناهما وازن بينهما ووجه تفضيلـــه

---

(١) انظر الحدائق ص ١٤٧٥

(٢) الحدائق ص ١٤٧٥

(٣) انظر الحدائق ص ١٤٩٣

قول البحتري على قول أبي تمام فقال :- ((وإنما كان بيت البحتري أربى من بيت أبي تمام لعذوبة اللفظ ، وفصاحته ، وجودة السبك ، وسهولته ولأن أبا تمام ماذهب إلى بيان معنى الحسن ، والجمال ، وزيادتها بواسطة انضمام أمر آخر بل إلى حصول الكآبة ومزيدها بحسن كونهن عاطلات أو محليات[1]))

هذه نماذج من موازنات الشارح رحمه الله تعالى توضح مكانته الرفيعة ، ورسوخ قدمه ليس في تحليل النصوص فحسب بل الموازنة بينها وابرازه لمواطن الجمال ، وكشفه عن مواطن النقد والضعف فيها .

ط - توثيقه للأشعار :-

ذكرت عند الكلام عن طريقة الشيخ علي بن عيسى رحمه الله تعالى في شرحه للشواهد الشعرية أنه نادراً ماينسب الأبيات التي يقوم بشرحها ويظهر أنه اعتبر أن نسبة الأبيات أمر ليس ذا شأن كبير في الشرح والتحليل .

ومن تلك المواضع القليلة ، والنادرة التي نسب فيها الأبيات غير المنسوبة أنه عزى هذين البيتين

أضاءت لهم أحسابهم ... البيتين

وقد سبقا نسبهما لأبي الطمحان القيني [2] وهو في ذلك تبع أبا تمام ، أما ابن قتيبة فنسبهما للقيط بن زرارة ، واعتبرهما من جيد شعره .

ومن الأمثلة أيضاً نسبته قول الشاعر :-

الله أنجح ماطلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل

نسب هذا البيت لامرئ القيس . [3]

فالشارح رحمه الله تعالى لم يتوقف عند مسألة نسبة الأبيات طويلاً ولم تحظ هذه المسألة بعناية واهتمام كبيرين كما حظي الشرح والتحليل للنصوص بذلك الاهتمام الذي رأيناه .

---

(١) الحدائق ص ١٤٩٥

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٨

(٣) انظر الحدائق ص ١٦٥

ى - ذكره لمناسباتها :-

إن المواضع التي ذكر فيها الشارح رحمه الله تعالى مناسبات الأبيات قليلة جداً لا تكاد تذكر فإنّ تركيزه على تحليل النصوص جعله لا يلتفت كثيرا إلى مسألة ذكر مناسبات الأبيات فمن تلك المواضع النادرة التي ذكر فيها المناسبة ماذكره في قول الفرزدق :-

أتحبسني بين المدينة والتي ... إليها رقاب الناس يهوى منيبها

ذكر مناسبة القصيدة التي منها البيت أن هشام بن عبد الملك تجاهل معرفته بعلي بن حسين الذي أفسح له الناس عند طوافه بالبيت العتيق ولم يفعل الناس ذلك مع هشام فتجاهله لئلا يرغب فيه أهل الشام فأجاب الفرزدق بأنه يعرفه وقال قصيدته التي مطلعها :-

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

فغضب هشام وأمر بحبسه بعسفان موضع بين مكة والمدينة ، فقال فيه الفرزدق القصيدة التي منها بيت الشاهد وبعده :-

تقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعينين حولاوين باد عيوبها [1]

فهذا من المواضع القليلة والنادرة التي ذكر فيها الشارح مناسبة القصيدة ، وهذا لا يعني أنّه لا يلتفت إليها ، بل هي مهمّة في القاء بعض الظلال لفهم النص ، وتلمّس بعض المعاني الخفية التي لم يصرّح بها النّص ، ويبدو أن الشارح رحمه الله تعالى على اعتبار أنّ كتابه في البلاغة كان نظره في الشاهد من جهة شرح مفرداته وبيان معناه ، وتوضيح موضع الاستشهاد فيه فتركيزه على هذه الجوانب كان بقدر مايعين على فهم النص ويساعد على توضيحه ، أمّا ذكره لمناسبات الأبيات أو القصيدة وإن اشتمل عليها كتابه كالمثال السابق فإنّ هذا الجانب لم ينل الاهتمام والعناية الذي نالته الجوانب الأخرى لكونها ليست ذا أهمية كبيرة في فهم النص ، كما يظهر ، ولكن الذي يبدو لي أنها من العوامل المساعدة على فهم النص كما ذكرت سابقاً والله أعلم . .

شرحه للأمثال :-

معظم الأمثال التي عرض لها الشارح يبيّن معناها ومضربها ومواردها ، فقد قال الشارح في قولهم رمية من غير رام الذي ذكره أستاذه شاهداً على حذف المسند إليه لأن الإستعمال وارد عليه ، قال الشارح في تعليقه على المثل :- ((أي ربّ رمية من رام منحط المثل قول الحكم بن عبد يغوث يضرب لكلّ من أصاب في شيء ولم يكن أهلاً له)) [2] ، وأحياناً يذكر الشارح قصة المثل نقلاً عن

---

(١) انظر الحدائق ص ٢١١ ، ٢١٢

(٢) الحدائق ص ١٥٧

الميداني كما فعل في قولهم (الصيف ضيّعت اللبن)) ذكر أنّه قول عمر بن عمرو بن عدس كان شيخاً كبيراً ففركته زوجته دختنوشن بنت لقيط فتزوجها فتى جميل فأجدبت فأرسلت إليه تطلب حلوبه فردّ عليها بقوله الصيف ضيّعت اللبن فأرسلت مع الرسول قولها هذا وذقه خير فذهبت كلتاهما مثلاً ، يضرب الأول لمن طلب شيئاً وقد فوته على نفسه ، ويضرب الثاني لمن قنع باليسير إذا لم يجد الخطير [1] ، فهذا يدل على مدى عنايته واهتمامه بالأمثال في شرحه وتوضيحه لها .

دراسته للنصوص النثرية :-

إنّ النصوص النثرية سواء منها تلك التي استشهد بها الطيبي ، أو ذكرها الشارح رحمهما الله تعالى قليلة جدّاً إذا ماقيست بالشواهد الشعرية التي أوردها ، فعلى الرغم من قلة تلك النصوص إلّا أن الشارح رحمه الله تعالى قام بشرح مفرداتها وبيان معناها ، ووجه الشاهد فيها غالباً ، فمن ذلك مثلاً شرحه لقول بعض المغاربة ((لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذي يعتاده)) الذي ذكره الطيبي ضمن شواهده على الحلّ ، قال الشيخ علي بن عيسى في شرحه لهذا الكلام :-

((أي لما ساءت أفعاله ، وصارت نخلاته حنظلا أي زالت دولته لم يزل يقوده ، ويجرّه سوء الظن وهو ينقاد له ، ويطيعه ويصدّق التوهم الذي صار عادة له ، وتحريره أن من زالت دولته لم يزل يصوّب أخطاره الفاسدة ، ويصدق آراءه الزائغة)) [2] .

ومن الأمثلة أيضاً ذكر الطيبي من شواهد الطباق أن رجلاً شهد عند شريح فقال له : إنك لسبط الشهادة فقال : إنها لم تجعد عني . [3]

أمّا الشارح فقد بين الاستعارة التي تضمنها قوله لسبط ، وقوله تجعد فقال :-((قوله لسبط الشهادة))استعارة لخلو الكلام من التعقيد وسهولة تأتيه كما أنّ الجعد مستعار للتعقيد فيه ، وصعوبة مسلكه ، وضمّن تجعد معنى تقيّض فعدّى تعديته أي ماتقيض عني ، ولا اشمأز ، ولا انزوى ، قال الجوهري تقيض عنه اشمأز ، وتقيضت الجلدة في النار : انزوت)) [4] ، فلعله من خلال هذين المثالين يبرز جهد الشارح في شرح النصوص النثرية على قلتها في الكتاب .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٣٠
(٢) الحدائق ص ١٤٥٥
(٣) انظر الحدائق ص ١٢٥٠
(٤) الحدائق ص ١٢٥٠

مناقشته للمسائل النحوية :-

لقد توقف الشارح عند بعض المسائل النحوية ذاكراً الخلاف حولها ، وإن كان ذكره لمثل تلك المسائل قليلاً ، فقد استشهد الطيبي للإستعارة التبعيّة الواقعة في الحروف بقوله تعالى ((ربما يودّ الذين كفروا))[1] ، حيث استعار ربّما للتكثير بعد تشبيه التكثير بالتقليل تهكماً وتلميحاً ، أمّا إذا اعتبرت اسماً على رأي الأخفش فتكون الاستعارة فيها أصليّة ، هذا ما ذكره الطيبي[2] ، أمّا الشارح رحمه الله تعالى ، فإنّه ذكر الخلاف حول افادة رب التقليل أو التكثير نقلاً عن المالكي في شواهد التوضيح الذي ذكر أن الصحيح والغالب فيها للتكثير معتمداً على ما ذكره سيبويه في كتابه من أنّها مثل كم الخبرية في المعنى إلّا أن هذه اسم وتلك ليست باسم ، واستشهد أيضاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم يارب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ، إذ ليس المقصود بأن ذلك قليل بل المراد أنّ الصنف المتّصف بهذه الصفة من النساء كثير .

كما ذكر المالكي أن من القليل الذي جاء على معنى التقليل قول الشاعر :-

ألا ربّ مولود وليس له أب وذي ولد لم يلده أبوان

والمقصود بهما عيسى وآدم عليهما السلام ، ثمّ ذكر الشارح إلى أنّ بعضهم ذهب إلى أنها مشتركة بين التقليل والتكثير ، لكن المختار عند الأصوليّين إذا تعارض الاشتراك والمجاز فالمجاز ولا يمنع عليه الاستعمال حمله على المجاز لأنّهم كثيراً ما يحملون النقيض على النقيض .

ثمّ تحدّث الشارح عن مدخول ربّ فذكر نقلاً عن الدار الحديثي من أنّ الفعل المتعلّق به رب ماضي ليفيد التحقق وتعدّ هذه الجملة الفعلية صفة لمدخول ربّ .

كما ذكر أن المالكي يرى أنّه يصح أن يكون هذا الفعل مستقبلاً أو حالا وأنّ ابن الحاجب يرى أنّ هذا الفعل يعدّ من متعلقات مدْخول ربّ ، وليس صفة له .

كما ذكر الشارح أن اليمني يوجب كون الفعل بعدها ماضياً لفظاً ومعنى ، وقيل ان المستقبل في قوله ((ربّما يود)) لمّا كان خبراً من الله تعالى فهو مقطوع بوقوعه ، وقيل أيضاً أنّ ما في ربما اسم وجملة يودّ صفته في محل جرّ ، وقد أغنت هذه الصفة عن ذكر فعل ربّ وسدّت مسدّه ودلّت عليه .[3]

---

(١) من الآية ٢ من سورة الحجر .

(٢) انظر الحدائق ص ٩٦٩ ، ٩٧١ .

(٣) انظر الحدائق ص ٩٦٩

ثمّ ذكر الشارح الخلاف الذى أشار إليه أستاذه دون أن يخوض فيه بين الكوفيّين والبصريّين حول رب هل هى اسم حرف فإنّ البصريّين يرون أنّها حرف لأنّها لا تدلّ على معنى فى نفسها بل على العدد الواقع بعدها ، ولأنّها لا يدخل عليها حرف الجر كما يدخل على كم الخبريّة ، ولأنّها تدخل على ما فتكفّها عن العمل ، أما الكوفيّون ومنهم الأخفش فيرون أنها اسم وعليه الاستعارة فيه تكون أصلية ، واستشهدوا بقول الشاعر :-

- وربّ قتل عار -

فعار خبر ربّ ، ولا يخبر إلّا عن الأسماء ، وأيضاً تتصرّف فيقال ربّ وربّت والتصرّف ليس إلّا فى الأسماء ، وأنّها تدلّ على معنى فى نفسها ، وهو التقليل كدلالة كم الخبرية على التكثير ، وأنّ لها صدر الكلام ، وحرف الجر ليس كذلك .

وقد أجاب البصريون عن قول الشاعر بأنه شاذ وأنّ عار خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير وربّ قتل هو عار وجملة هو عار صفة لقتل . (١)

والذى ظهر لى أنّ الشارح وإن لم تبرز شخصيته بالترجيح بين الأقوال فى مسألة ربّ لكنّه استطاع تفصيل الخلاف حولها من جهة معناها ، ومدخولها ، ونوعها .

مثال آخر : ماذكره فى طالما وقلّما نقلاً عن المطرّزى من أن مافيهما كافّة فتوصل بهما كما فى ربما وإنّما وأخواتهما بدليل عدم اقتضائهما فاعلاً بعدهما ، وأنّهما يهيئان لوقوع الفعل بعدهما .

أما ابن درستويه فيرى أنّه لا يجوز وصل شىء من الأفعال بهما سوى نعم وبئس ، والقول من أنّه يوصل بهما جميع أنواع الأفعال إذا كانت كافّة ، أمّا إذا كانت مافيهما مصدريّة فليس إلّا فصلهما عنهما . (٢)

فنلاحظ فى هذه المسألة أنّ الشارح لم يكتف بذكر الآراء فيها ، بل رجح الرأى الأول على الرأى الثانى ، مما يبرز شخصيته جليّاً واضحاً .

وقد اكتفيت بهذين الموضعين على سبيل التمثيل ليظهر من خلالهما مدى تمكن الشارح من مناقشة المسائل النحوية ، ودقة فهمه لها .

---

(١) انظر الحدائق ص ٩٦٩ ، ٩٧١

(٢) انظر الحدائق ص ١٤٦٦ .

تعريفه بالأعـــــلام :-

نادراً مايترجم ، أو يعرف الشارح رحمه الله تعالى بالأعلام الذين يذكرهم فى كتابه وهو فى تراجمه النادرة أحياناً يحيل إلى المصادر التي أخذ عنها ، من ذلك على سبيل المثال ترجمته لليزيـــدى ، فقد نقل ترجمته عن نزهة الألباء لابن الأنبارى يقول الشارح فيه :- ((قال ابن الأنبارى فـــى النزهة هو أبو محمد يحى بن المغيرة المقرى صاحب أبى عمرو بن العلاء البصرى ، وإنّما قيل لـــه اليزيدى لأنّه صحب يزيد بن منصور خال المهدى مؤدب ولده فنسب إليه ، ثمّ اتصل بالرشيـــد فجعله مؤدب المأمون ، وكان الكسائي مؤدب أخيه الأمين ، ويحكى أنّه تكلم اليزيدى مع الكسائـــى بين يدى الرشيد ، فظهر كلامه على الكسائي فرمى بقلنسوته فرحاً بالغلبة ، فقال الرشيد لأدب الكسائى مع انقطاعه أحبّ إلينا من غلبتك مع سوء أدبك)) .[1]

ومن الأمثلة أيضا تعريفه بشريح الحضرمى رضى الله عنه نقلاً عن جامع الأصول ، فقد قال الشارح ((..... أى شريح الحضرمي ، قال صاحب الجامع كان من أفاضل الصحابة عداده فى أهل الحجاز))[2]

كما نقل عن جامع الأصول ترجمة عبد الله بن سعد بن أبى السرح رضى الله عنه ، وهى ترجمة مفصّلـــة فقد قال :- ((قال صاحب الجامع هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح بفتح السين والراء المهملتيـــن القرشى أخو عثمان بن عفان رضى الله عنه من الرضاعة أسلم قبل الفتح ، وهاجر ، وكان يكتب الوحـــى ثمّ ارتدّ مشركاً ، وعاد إلى قريش بمكة ، فلمّا كان يوم الفتح أهدر النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمن لـــه عثمان بن عفان رضى الله عنه فأمّنه بعد أن صمت ليقوم اليه من يقتله ، وأسلم يومئذ وحسن اسلامه ، وولاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين من الهجرة ، وعلى يده كان فتح افريقية وهى من بلاد المغرب))[3] .

أحياناً يعرف الشارح بالعلم دون أن يشير إلى مصدره ، كما عرف بالصاحب بن عباد فقد قـــال :- ((الصاحب مطلقا هو ابن عباد الوزير بالرى وكان فاضلاً متأدباً عدلياً))[4] ، كما ترجم الشـــــارح لجعفر بن يحى البرمكى فقال فيه :- ((هو جعفر بن يحى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيـــــد بلغ في مراتب الوزارة مالم يبلغها أحد من الوزراء سلفاً ولا خلفاً))[5] ، كما عرف بابن الأفلح فقال :-

---

(١) الحدائق ص ٦٧٦ ، ٦٧٨

(٢) الحدائق ص

(٣) الحدائق ص ١٣٨١

(٤) الحدائق ص ١٢١٥

(٥) الحدائق ص ١٢٢٩

((كان أديباً فاضلاً عالماً مصنف المقدمة في معرفة الشعر ، والكتابة ،وغيرها)) .[1]

هذه بعض الأمثلة التي تدل على أنّ الشارح رحمه الله تعالى لم يغفل في كتابه جانبا وإن لم يكن ذا أهمية كبيرة ،وهو التعريف بالأعلام ،وهو جانب قليل في ثنايا كتابه ، لكنّه نال قسطاً من العناية وهذه من الفوائد التي اشتمل عليها الحدائق ، فرحم الله الشارح رحمة واسعة لكلّ جهوده التي بذلها في خدمة هذا الكتاب والفوائد التي أوردها فيه .

---

(١) الحدائق ص ١٣٨٣

خاتمـــــــــــة

الحمد لله على آلائه التى لا تحصى ، ونعمه التى لا توصف أحمده حمد الشاكرين الذين قال عنهم ((وقليل من عبادى الشكور)) ، أحمده على عونه ، وتوفيقه ، أولاً وآخراً ، على اتمام هذا البحث على الوجه الذى أرجو أن يكون قريباً من الوفاء والكمال وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . . وبعد . .

فخلال هذه الدراسة للكتاب ومؤلفه ظهرت بعض النتائج والتى منها يعتبر الامام شرف الدين الطيبى من علماء البلاغة والبارزين وإن لم يكن صاحب منهج جديد ومبتكر فى الدراسة البلاغية لكن له جهود متميزة فى الدراسة التطبيقية ، وله ذوق رفيع فى اختيار الشواهد ، واستخراج الصور ، والأساليب البلاغية منها ، ولعل خير شاهد على هذا كتابه التبيان الذى غطت دراسته علوم البلاغة الثلاثة المعانى والبيان والبديع وفن الفصاحة مع اكثاره من الشواهد القرآنية ، والشعرية ، والنثرية وتحليل ودراسة الكثير منها ، أما الشارح الشيخ على بن عيسى فكان من أهل العلم والفضل يشهد لفضله وفاؤه لشيخه الامام الطيبى ، واشادته به مع حسن السيرة ، وصحة العقيدة ، ويشهد لعلمه كتابه الحدائق الذى أحسن فيه شرح كتاب شيخه الطيبى وهو التبيان ، وقد برز جهد الشارح فى دراسته لكثير من المسائل البلاغية التى هى محل خلاف بين البلاغيين ومناقشة لها مثل تقديم المسند إليه متى يفيد التخصيص ، ومتى يفيد التقوى ، والاستعارة بالكناية ، والمجاز العقلى ، وهو فى الغالب لا يختلف رأيه عن رأى شيخه الذى يتفق فى كثير من المسائل مع السكاكى ويؤيده ، وينتصر له ضد غيره كالخطيب مثلاً ، ولعل أبرز مايميز جهد الشارح بالاضافة إلى هذا دراسته المتميزة للشواهد التى تعد لب الدراسة البلاغية ، ففيما يتعلق بالشواهد القرآنية كانت للشارح فى كتابه نظرات وتأملات فى استجلاء دقائق النظم القرآنى والكشف عن أسراره البلاغية ، وأما ما يختص بالشواهد الشعرية فإنه قام بشرح كثير من الأبيات ، وتحليلها تحليلاً بلاغياً يبرز بوضوح دقة فهمه ، وذوقه الرفيع ، هذا بالاضافة إلى اختياراته الشعرية المتميزة ، ولعل هذه بعض النتائج التى ظهرت من خلال هذه الدراسة .

وفى الختام أسأل الله العلم النافع والعمل الصالح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد امام أهل البلاغة والبيان وعلى آله وصحبه وسلم . . .

فهرس موضوعات الدراســـــــــــــة

العنـــــــوان	رقم الصفحة
= مقدمـــــة	١
= تمهيد - التبيان مؤلفه وشارحه -	٧
أولا : الامام شرف الدين الطيبيْ في نظر العلماء	٧
اسمه ونسبه	٧
شيوخـــــه	٩
تلامذته	٩
مع الطيبي في سيرته	٩
مكانته العلمية	١٠
مصنفاته	١١
وفاتـــه	١٣
ثانيا : كتاب التبيان التحقيق والدراسة .	١٤
الكتاب بين أيدى الدارسين	١٤
موضوعات التبيان	١٨
التبيان المنهج والخصائص	٢٧
قيمتـــه البلاغية	٢٧
من جهود الطيبي في كتابه	٢٨
مصادره	٢٩
ثالثا : الشيخ على بن عيسى تلميذ الطيبي :	٢٩
من الشيخ على بن عيسى ؟	٢٩
مكانته عند شيخه الطيبي	٣٠
وفاء الشارح لشيخه	٣١
اشادته به وبيان قدره العلمي	٣١
تواضع الشيخ على بن عيسى رحمه الله تعالى	٣٢
أمانته العلمية	٣٣
عقيدته رحمه الله تعالى	٣٣

العنـــــوان	رقم الصفحة
ردّه على المتفلسفة وأتباع الفرق الضالة	٣٤
وقفات مع الشارح	٣٥
أبرز الملامح السياسية في عصره	٣٨
الحالة العلمية في عصره	٤١
= القسم الأول : الدراسة :	٤٣
حدائق البيان الغرض والخصائص	٤٣
أهمية علم البلاغة في نظر الشارح	٤٣
جهده في تحصيل علم البلاغة	٤٤
غرضه من وضع هذا الشرح	٤٥
ملابسات وضعه لهذا الشرح	٤٥
دراسته للتبيان	٤٦
مصادره في شرحه	٤٧
منهجه في هذا الشـــرح	٥١
مناقشته للمسائل البلاغيـــة	٥٢
مناقشاته للسكاكي	٥٤
موازنته بين شيخه والسكاكي	٥٥
مناقشاته للخطيب	٥٦
وجهته البلاغية هي وجهة شيخه غالباً	٥٩
شخصيته العلمية	٦١
نظراته في النظم القرآني	٦٢
أ ـ عنايته بتوجيه القراءات القرآنية	٦٢
ب ـ استشهاده بالآيـــات الكريمة لبعض المعـــاني	٦٣
حـ ـ عنايته بأسرار النظم القرآني	٦٤

العنـــــــوان	رقم الصفحة
دراسته للأحاديث النبوية الشريفة	٦٨
اشادته بالذوق	٧٠
اختياراته الشعرية والرأى فيها	٧٠
منهجه فى شرح الشواهد الشعريه	٧٢
أ ـ شرحه للمفردات الغريبة	٧٤
ب ـ توقفه عند روايات البيت	٧٦
حـ ـ اعرابه لبعض تراكيبه	٧٧
د ـ عنايته بمعانى الأبيات	٧٩
هـ ـ اهتمامه بموضع الشاهد فيها	٨٠
و ـ استخراجه لبعض الأساليب والصور البلاغية منها	٨١
ز ـ دقة نقده للشواهد الشعرية	٨٢
ح ـ موازناته بين الأبيات	٨٧
ط ـ توثيقه للأشعار	٩٠
ى ـ ذكره لمناسباتها	٩١
شرحه للأمثال	٩١
دراسته للنصوص النثرية	٩٢
مناقشته للمسائل النحوية	٩٣
تعريفه بالأعلام	٩٥
الخاتمـــــة	**٩٧**
فهرس موضوعات الدراسة	**٩٨**
القسم الثاني : التحقيق	**١٠١**
توثيق نسبة الكتاب الى الشارح	١٠١
وصف نسخ الكتاب	١٠٢
المنهج المتبع في التحقيق	١٠٥
صور من نسخ المخطوط	١٠٦

القسم الثاني : التحقيق

طريقتي في التحقيق تمثلت في وضع متن التبيان في أعلى الصحيفة ويليه شرحه الحدائق ثم الشارح وذلك تحقيقي للحدائق وتعليقي على التبيان .

توثيق نسبة الكتاب إلى الشارح :-

لقد نصّ الشارح علي بن عيسى رحمه الله تعالى على وجه صريح لا يحتمل التردد بنسبة الكتاب إلى نفسه ، وذلك في المقدمة عندما بيّن العلاقة الوثيقة التي تربطه بأستاذه الذي أشار عليه بتصنيف هذا الشرح ، قال الشارح :- ((يقول أحوج خلق الله اليه ، وأفقرهم علي بن عيسى ختم الله له بالحسنى .....

.....

فلمّا جاء بحمد الله المنان شرحاً مستقصى كالتمرين للتبيان سمّيته بحدائق البيان في شرح كتاب التبيان .....))[1].

وقد أكّد هذه النسبة الشيخ مصطفى بن عبدالله أفندي المعروف بحاج خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ،في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون الذي يعدّ من المصنفات المهمّة في مجال توثيق الكتب يقول حاج خليفة :- ((التبيان في المعاني والبيان للعلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيبي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وهو مختصر مشهور .....

.....

ثمّ شرحه تلميذه علي بن عيسى ، وسمّاه حدائق البيان وهو شرح بالقول أوّله الحمد لله الذي وفقنا لاقامة البرهان .....الخ . ، ذكر فيه أنّه لما رآه سارع إلى مصنفه ، وابتدأ بقراءة ذلك الكتاب عليه ، وبذل مجهوده في تحصيل المراد منه ، ومن مصنفاته برهة من الدهر ثمّ خطر بباله أن يكتب مايتعلق بحل مشكلاته مما استفاد من المصنف ، وماكتبه على حواشي الكتاب فعاقه الزمان إلى أن أمره أستاذه بمثل ماوقع في خاطره ، فامتثل ، وفرغ في أواخر شوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة))[2].

يتبين من خلال هذا الكلام أنّ حاجي خليفة اطلع على الحدائق ، وهذا مما يزيد ، ويؤكد في توثيق نسبة الكتاب إلى الشيخ المصنف علي بن عيسى رحمه الله تعالى .

كما ذكر الشيخ اسماعيل باشا البغدادي الحدائق منسوباً للشيخ علي بن عيسى ، وذلك عند سرده

---

(١) الحدائق ص ١ ، ٧

(٢) كشف الظنون ص ٣٤١

للكتب المصنّفة المبدوءة بحرف الحاء في كتابه ايضاح المكنون حيث قال :-

حدائق البيان في شرح التبيان لعلي بن عيسى تلميذ صاحب المتن الطيبي))[1] ، وهذا يؤكد نسبة الكتاب إلى الشارح رحمه الله تعالى .

والجدير بالملاحظة أنّ المتتبع للحدائق يجد الشارح علي بن عيسى يعبّر بضمير التكلم فيقول مثلاً ((كما قلنا .....)) ويحيل إلى بعض كتب الطيبي مثل كتابه فتوح الغيب ، أو المتن نفسه أي التبيان ، وغيرهما من كتب الطيبي والمتتبع يجد مثل هذا في عدة مواضع فهذا قد يجعله في حالة من الاستغراب والتردد ، ولكن لا يلبث أن يزول استغرابه ، وتردده إذا ما أعاد النظر في قراءة مقدمة الشرح فيجد أنّ الشيخ علي بن عيسى قد ذكر من ضمن مصادر في شرحه املاءات شيخه الطيبي عليه فقد قال :-

((..... فكثيراً ما خطر ببالي أن أجمع لهذا الكتاب [يقصد التبيان] اعانة للطلاب ، وتقريراً لمرامهم مايتعلّق بحلّ مشكلاته ..... مما استفدته من خدمته في أثناء القراءة ، ومما أملى عليّ حالة الكتابة) وفي غير تلك الحالة ، وما كتبه على حواشي الكتاب بعد المراجعة والمراودة والمطالعة للكتب المعتبرة في هذا الفن .. ..))[2] فيزول ذلك التردد والاستغراب تماماً من المتتبع لقراءة هذا الشرح ، ويطمئن تماما إلى نسبة هذا الشرح للعلامة المصنف الشيخ علي بن عيسى رحمه الله تعالى .

وصف نسخ الكتاب :-

لقد عثرت على خمس نسخ لكتاب الحدائق ، وهي على النحو التالي :-

النسخة الأولى :- مصورة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ((١٥ بلاغة)) عن مكتبة الاسكوريال بأسبانيا برقم ((٢٢٤)) وعدد أوراق هذه النسخة ٢٢٢ ورقة وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٧ سطرا ، ونوع الخط نسخ معتاد ، ويظهر أنّ تاريخ الانتهاء من النسخ في أواخر رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة للهجرة ، لكن تاريخ الانتهاء من تصنيف الكتاب كان في أواخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة للهجرة ، هذا وقد اعتمدت هذه النسخة أصلاً وأمّا لبقيّة النسخ ، لكونها أقدم نسخة عثر عليها إلى الآن من جهة تأليفها يدلّ على ذلك أن أقدم نسخة للمتن وهو التبيان للطيبي عثر عليها ، واعتمدها د. هادي عطية مطر الهلالي[3]

---

(١) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : ٣/ ٣٩٥

(٢) الحدائق ص ٥ ، ٧

(٣) انظر التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي تحقيق د. هادي عطيه مطر الهلالي ص ٢٣ ، ٢٤ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

فى تحقيق التبيان كان الانتهاء من قراءة هذه النسخة على الطيبى عاشر جمادى الأولى سنة ٧٣٨ هـ ، ونسخة الحدائق التى اعتمدتها أصلاً انتهى الشارح من تصنيفها فى أواخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة للهجرة ، فيبدو والله أعلم أن الطيبى ألف التبيان قبل سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بفترة قد تكون عدة سنوات ، يدل على ذلك أن الشارح الشيخ على بن عيسى اطلع على كتاب التبيان وقرأه قبل اتصاله بأستاذه ، فبعد أن اتصل به ، وتتلمذ عليه قرأ عليه كتاب التبيان وتفرغ للاستفادة من أستاذه فى تحصيل هذا الكتاب ، وغيره من كتب أستاذه ، ثم خطر له أن يضع شرحاً للتبيان لكن عاقه عوائق الزمان إلى أن أمره أستاذه وهذه أمور قد تستغرق عدة سنوات والله أعلم ...

وأيضاً اعتمدت هذه النسخة أصلاً لكونها تامة ، ولوضوح خطها ليس كما فى النسخ الأخرى .

النسخة الثانية :- هذه النسخة مصورة بمعهد احياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم :- ف ٧١٤ من ١٠٥ مصورة سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م - عن النسخة الأصلية بمكتبة ولى الدين جارالله باستانبول بتركيا تحت رقم ١٨٣٩ ، وهى نسخة كاملة ، وعدد أوراقها ١٧٤ ورقة ونوع الخط فيها نسخ وتم نسخها سنة ٧٤٣ هـ بخط ابراهيم بن يونس ولكن على الرغم من روعة التصوير فى هذه النسخة مما تسبب فى محو بعض الأسطر ، وعدم وضوح خط بعض العبارات على الرغم من هذا فإنى قابلتها على النسخة الأصل التى اعتمدتها فاستكملت منها مانقص من عبارات فى الأصل ، أو وجد من سقط فيه ، كما صححت منها ماوجد من خطأ فى الأصل وهذه الأشياء قليلة جداً فى الأصل ، أو النسخة الأم وقد رمزت لهذه النسخة الثانية بالحرف (ع) .

النسخة الثالثة :- هذه النسخة ناقصة ، وخطها خط نسخ جيد ، وقد عثرت عليها مع نسختين أخريين ناقصتين أيضاً فى مجلد واحد فى المكتبة المحمودية التابعة لمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة تحت رقم [٢٣١٩ ٤١٧] وعدد أوراق هذه النسخة ٧٣ ورقة من القطع الكبير فى كل صفحة ٣١ سطراً .

وهذه النسخة أحسن النسخ خطاً بعد الأصل مع كونها ناقصة ، فالجزء الذى عثر عليه من هذه النسخة الناقصة جيدة الخط من بداية قوله :- ((.....عن قوله وقد ذكر أن هذا أى أنت عارف لا يفيد التخصيص .....)) ، وهذا الكلام فى فصل تقديم الفاعل المعنوى من باب التقديم والتأخير ، ويقابله فى الأصل المحقق ص ٤٩٥ وتنتهى هذه النسخة الناقصة عند قوله :- ((قوله إلى مصرح بها ، وإنما كان مصرحاً بها لكون المشبه به صرح بذكره

ومكنياً عنها لأنّ المشبّه به لم يصرح بل كنى عنه ، ودلّ عليه بذكر لازمه الاستعارة التحقيقية .....
.....))

وهذا الكلام فى تقسيم الاستعارة التصريحية إلى تحقيقيّة وتخييليّة ويقابلها فى الأصل المحقق ص ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ح).

النسخة الرابعة :- هذه النسخة ناقصة أيضاً جاءت فى مجلد واحد مع النسخة السابقة ، والنسخة التالية بالمكتبة المحمودية تحت رقم [٢٣١٩ / ٤١٦] ، وعدد أوراق هذه النسخة ١٠٥ ورقة من القطع الكبير بكل صفحة ٣١ سطرا تقريباً وهى نسخة ردئية الخط بها آثار رطوبة مما تسبب فى محو بعض العبارات ويبدو أنّ الشارح على بن عيسى رحمه الله تعالى أعاد كتابة أو املاء شرحه مرة أخرى بعد وفاة شيخه الطيبى أى بعد سنة ٧٤٣ هـ ، وهو تاريخ وفاته على الأرجح بدليل أنه أى الشارح عندما يورد جزءا من متن التبيان ليشرحه يقول مثلا [قال رحمه الله تعالى] وهذه النسخة بها أخطاء كثيرة ونقص فى بعض العبارات ، والشارح فى نقله لبعض عبارات التبيان ليشرحها ينقل أجزاء مطولة منه ، وعندما يشرح يكتفى بالجزء الذى أجده مشروحاً فى النسخ السابقة ، وتبدأ هذه النسخة من قوله :- ((.....وان أفرد استقلالاً لكنّه شعبة من البديع .....)) وهذا الكلام فى شرح خطبة التبيان وتتوقف هذه النسخة عند قوله :- ((.....والضابط فى الباب أنّ ما وإلّا وإنّما يستدعيان كون المقصور عليه هو الجزء الأخير ، والتقديم عكسه .....)) ويقابل هذا فى الأصل المحقق من ص ١٥ إلى ص ٥٦٥ وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (م) .

النسخة الخامسة :- هذه النسخة وقعت فى مجلد بين النسختين السابقتين بالمكتبة المحمودية تحت الرقم السابق وهذه النسخة ناقصة وعدد أوراقها ٨٩ ورقة تبدأ من أول علم البيان وتقف عند قوله :- ((.....

إن النبى وأصحاب النبى نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا))

وهذا الكلام فى آخر المذهب الكلامى وهو من المحسنات المعنوية ويقابله فى الأصل المحقق من ص ٧٤٩ إلى ص ١١٩٧ .

وهذه النسخة لا تختلف كثيراً عن النسخة السابقة ، فخطها نسخ ردئ ، وإن لم يكن بها آثار رطوبة لكنها كما يبدو كالنسخة السابقة كتبت بعد وفاة الطيبى والشارح ينقل أجزاء مطولة من متن التبيان ولكن العبارات التى يكتفى بشرحها أحدها تتفق مع الأصل غالبا .

المنهج المتبع فى التحقيق :-

لقد حاولت فى تحقيق هذا الكتاب السير وفق المنهج الذى رسمه علماء هذا الفن وذلك بقدر الجهد والطاقة بعد عون الله وتوفيقه فقمت بعد جمع نسخ الكتاب ، واعتماد أحدها أصلاً قمت بالمقابلة بين الأصل ، وبقية النسخ لتصحيح ماقد يرد من خطأ فى الأصل ، أو سقط فى العبارة ، وإن كان ذلك قليلاً جداً ، ثم عزوت الآيات القرآنية الى أماكنها فى السور وخرّجت الأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، كما قمت بتوثيق الأقوال والنصوص وعزوها إلى مصادرها ، كما ناقشت بعض المسائل البلاغية التى اختلف فيها العلماء وبيّنت الرأى الراجح كما ظهر لى ، وعرفت بالأعلام الذين ورد ذكرهم فى الكتاب ، ثمّ وضعت فهرساً للفهارس وفهارس تفصيلية للآيات القرآنية حسب ترتيبها فى سور القرآن الكريم ، وفهرساً للأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، والأمثال والحكم والأقوال المأثورة ، وفهرساً للأعلام ، وفهرساً للمصادر والمراجع مراعياً فى ذلك الترتيب الهجائى ، كما وضعت فى آخر الكتاب فهرساً تفصيلياً لموضوعات الكتاب . .

Foto:
José de Prado Herranz
C/. Santa Elena, 23
San Lorenzo de El Escorial
(Madrid)
España.

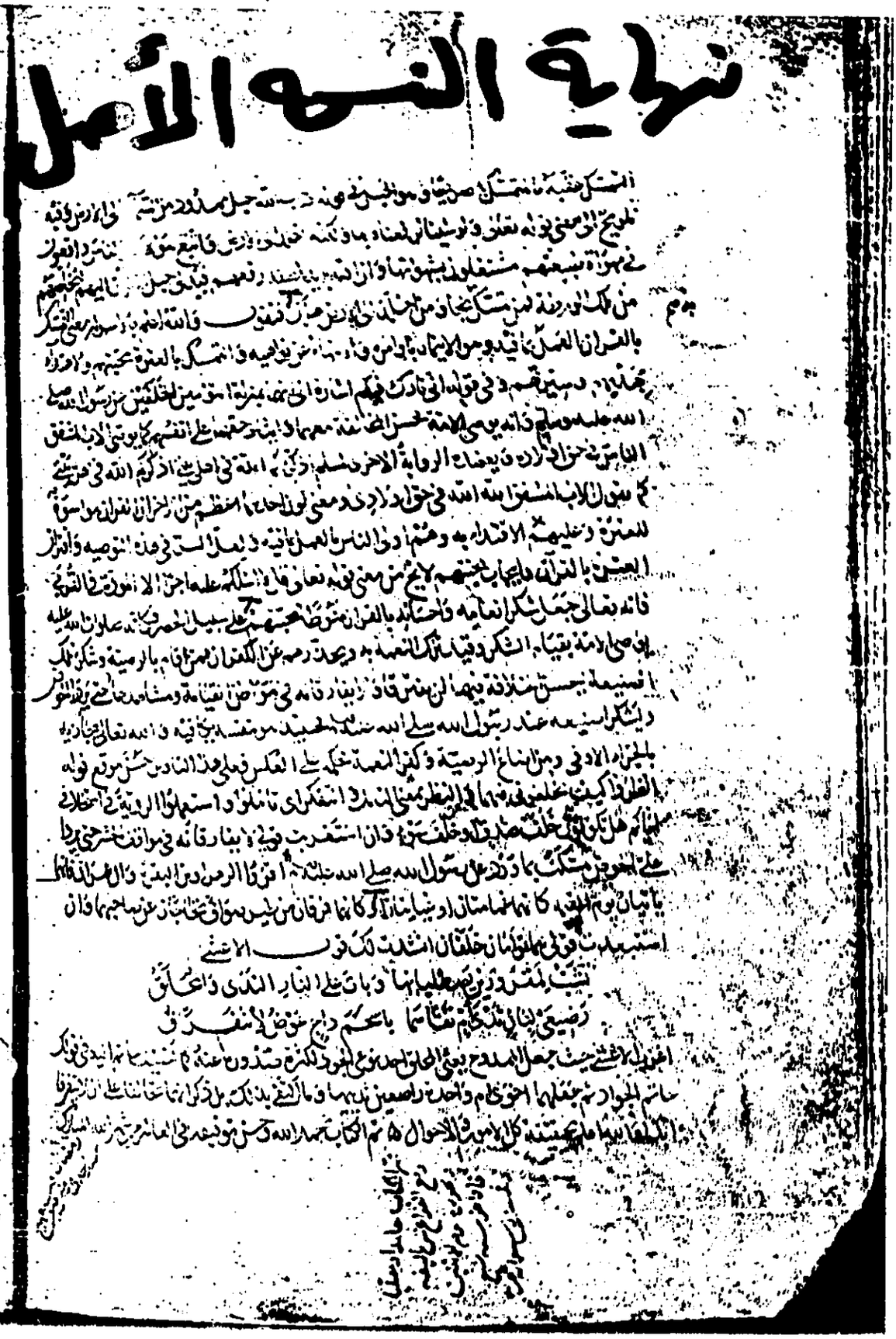
ولهذا خصت باحكام اى ولكون الالف اصل ادوات الاستفهام انفردت من بين ادوات
باحكام لا توجد تلك الاحكام فى غيرها من ادواته فالباء داخلة على المقصور فان قلت اذى
الى الفهم من تخصيص شئ باخر هو قصره على الاخر لان معناه جعل بحيث يختص الاخر ولا يعم
قلت نعم ولكن غالب استعماله فى الاصطلاح على ان المقصور هو المذكور بعد الباء على
قولهم خصصت زيدا بالذكر اذا ذكرته دون غيره كذا فى المطول قال السيد فى حاشيته وحاصل
يرجع الى ملاحظة معنى التمييز والانفراد لان تخصيص شئ باخر فى قوة تميز الاخر فاما ان
التخصيص مجازا عن التميز مشهورا حتى صار حقيقة واما ان يحمل من باب المضمن بشهادة كل
فيلاحظ المعنيان معا وتكون الباء المذكورة صلة للمضمن وتعدد للمضمن فى اخرى فقال
تخصك بالعبادة مثلا نحوك بالخصوصا اياها بك وفى الشرح يعنى اى المصنف ان هذه الاد
لاتثبت لغيرها من ادوات الاستفهام وكان الصواب الاولى ان يقول ولهذا خصت بالاد
كما شراد فربما انتهى واقول يريد بالصواب ما نقل عن بهاء الدين السبكى ان الصواب فى
فى المقصور ويريد بالاولى ما نقل عن حاشية سعد الدين ان الشائع الغرابى وهو فى المقصور
نظر فانه اذا كان المعنى ان هذه الاحكام ثابتة للهمزة منفية عن غيرها من ادوات الاستفهام كما
تكون الاحكام مقصورة لان المقصور هو الثابت للمذكور المنفى عن غيره فيكون دخول الباء على الاخ
هو الصواب او الاولى

تمنى

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسهل وتمم بخير

الحمد لله الذي وفقنا لاقامة البرهان على مطالب علمي المعاني و
البيان وجعلنا ممن يتنافس على غاية صناعة البديع وعلى تحليها بالعقد الرفيع وعلمنا بما لم نكن
نحاسن الكلام وسلوك مسالك الافهام بما سودبه الى الذين في محكمات كلامه المجيد وفاتحة
كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهو سبيلة الى كشف القناع عن وجه
الحقائق ومدلولات حقيقته ومجازه والاطلاع على مواقع الصريح والكناية ومحال التعريض والاستعارة ووفقنا
على ان نلتقط الى تلك الدرايتين وشعب الجاحدين ثم الصلوة على من انزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين محمد
سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الغر الميامين والصحابة الاكرمين وبعد يقول افقر خلق الله اليه
والراجي عفو ربه الغني يحيى حشم الله الطيبي انه لما كان من اهم العلوم واعلاها درجة واكمل الصنايع واسناها
مرتبة معرفة الوجوه التي يعرف بها خصائص نظم كلام الله تعالى ودرك حقائق تفسير كتابه الذي جعل
الله انسا ومن الدليل الحكيم وهو الصراط المستقيم وكان علم المعاني والبيان وصناعة البديع التي تلوح
لمن بنا ما يحول الوشي والوشوح الحلي ومن الدر هي التي ما اصدق قول الواصف فيها فضل عليه بما
تجود حين تجود وفاق بها فاقته وزان به على الاقران في علم التفاوت والاحكام والمتكلم فان بلغة اهل الزمان
في صناعة الكلام في حقائق المعنى والاخبار فان كان من الفنون احفظ واولى عطف فان كان من الحسن
بمعنى الحظ فهو لعلم المعاني والبيان وان كان باقي من يديه والله العوي وان كان للتعاب بمعنى الحاجة لا شك
لعلم المعاني والبيان وان كان من يعوض على شيء من كمال الحقائق الا وجل تتبع في المعلمين المحققين القرآن
فهما علم المعاني وعلم البيان وكما قال الشيخ سراج الدين فالدليل كل الدليل متعاطي التفسير وهو بهما
اجدر منه بغيرهما لانه يحتاج الى الكلام واذا كان الامر كذلك فالاشتغال بهذه الصناعة وصرف الهمة بحصولها
على احسن الوجوه من اهم المهمات وافضل الواجبات فلهذا لفت من الله الى التصدي لتعليم هذا العلم بسعي واضح
سهل من يسوبه اليه فيستفيد به من ارباب المتقين والهمة المشتغلين بحصد على ذلك الطالبين في طول البلاد
وعرضها بين الاقطار ومباعدة الاخوان وتحمل اخطار الاسفار وقطع المهامه والقفار
لعلمه ان الخلان في كل بلدة اذا عقله المطلوب قل المساعد مع فيما تلك لصنفه فيه وفي مقدمته
فيما له مهتما من شان ان مشايخ هذه الصنعة وقلما اقل مستفيد لامين مولاهم ومطارحاتهم
فلهم الى من علمت كتاب تبيان للامام المحقق والحبر المدقق مالك ازمة الفضل قدوة ائمة الادب بن نحال
المفسر بن تاج المحدثين ذي النفس القدسية والملكات المكية شرف الملة والدين حسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
اعاد الله من بركته ونفعنا الى السبيل اسعد طريقة فوجدته بين كتب هذا الفن كالروح من الابدان وكالانسان
من العين لعكا لعين من الانسان تحتوي على جميع مقاصد هذه الصناعة مشتملا على كل ما يحتاج اليه المتعلم المبتدئ

نواية النهاية الأمل



١١

بداية السمع شرح لنبيه ع

ولي الدين عبد الله

المكتبة ـــــ ضريرية الأشباه بباريس رقم التصوير ـــــ

رقم مجموعة ١٨٤٩ ـــ ١٠٢/١٩٧

اسم الكتاب حاشية البناني على شرح السلم للأخضري

والبناني المغربي

اسم المؤلف حسن بن محمد بن محمود العطار

تاريخ النسخ ١٢٤٤ هـ بخط نسخي عادي

عدد الأوراق ٩٠ القياس ٢٠×١٥ سم

الملاحظات

لوجود عيب تصويري في الكادرات ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و

١٠

١٨٢٩ سنة ١٠٧/١٠٧

اسم الكتاب

اسم المؤلف

تاريخ النسخ

عدد أوراق ٩٠

الملاحظات

شرطية النسخ

مركب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان

بعد والد وما ذكره علم البيان والد والقصد علق خرم هذه النسخة والله الموفق

صدره وقدم

بداية النحوي



ورق ٥٥ سطر ٣١

عن قوله وقد ذكر ان هذا اي انت عارف لايفيد التخصيص انكلام صاحب المفتاح لايشعر به فلم انه ذكر وتقرب من قبيل انا عرفت وانت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوي الحكم زيد عارف وهذا الكلام من اين يدل على انه لايفيد الاختصاص لان تخصيص الشيء بالذكر لايدل على نفي الحكم عما عداه واما قوله وما انت علينا بعزيز ليس من هذا الباب لان هذا الفصل لمتعلقات الفعل فمنتظر فيه لانه وان لم يكن فعلا صريحا فانه شبيه بالفعل الا ترى الى قول صاحب الكتاب كيف صرح بذلك الفعل في قوله ان ايلاء الضمير حرف النفي يدل على ان الكلام في الفاعل لا في الفعل وقول المصنف احترازا من اعتراض قول الشيخين لانه لما اعترف ان لنفي الفعل عن الذات باد فال حرف النفي على الذات اشار الى تخصيصه بالنفي اعترف ان في الكلام عدولا عن الاصل وهو انهم اتفقوا على ان ما النفي الحال لا الذات فيجب ان يكون موضوعها الفعل اذ هو ملخوف على انه سؤال عن مقدر ذكر وهو معنى التقديم المفيد للاختصاص بقدان الاموال لله انما قوله واما فقد جوابا واستقلالا الضمير راجع الى لفظ الا التي المنطوق والمفهوم كقولك ما ضربت الا زيدا اي ما ضربت احدا والمعنى واستقلالا لكل من الدلالتين بحيث اللفظيتين اي في قوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله وما انت علينا بعزيز قوله واما فقد جوابا عن سؤال مقدر وهو تقدير الجواب بتشبيب عليه السلام اعز من الله بقولك من نبي الله لاطابق قولهم وما انت علينا بعزيز لانهم نفوا عنه العزة نفيا صريحا مؤكدا على الطرد والعكس كما سبق فلا يجوز ان يقال في جوابهم اعز لان اصل التفضيل يدل على وجود عزة فيه واجاب واما فقد اعز من نبي الله ليبنيه على ان نفي العزة عنه مستلزم لنفي العزة عن الله لان من حق الظاهر ان يجيب عليه السلام منهم على سبيل الانكار ارهطي عزيز وفي لكن اراد انكم واعيتم نسبة قرابتي الى الرهط وضيعتم نسبتي الى الله بالنبوة فكانكم زعمتم ان القوم اعز من الله فكان القوم بالقوا في المكاشحة حيث كروا نفي العزة عنه واثباتها له بالغ نبي الله في الرد عليهم واظهر مدح نفسه ومكانته من الله عز وجل وان عزته عزة الله ونظيره قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اي يؤذون رسول الله وانما كان صلوات الله عليه من الله تعالى بمنزلة ومكانة جعل ايذاءه ايذاء الله فان قلت هل يحتمل ان قوله انما فقد اعز من نبي الله ليس المراد منه تقدير مضاف ليتجه المعنى بل المراد منه لازم معناه فان نفي العزة عن نبي الله مستلزم لنفيها عنه تعالى والارتياب في انه تعالى كان عزيزا عند هؤلاء لا اعز من كل شيء مما سواه لقولهم ولولا رهطك فحينئذ يكون قوله

سطر ١٩

نزاية النسخ

مرتبطة عطف على قوله معنى واحدا اي معنى واحدا وفي حكم واحد قوله وصاعقة السين الصاعقة هي نار تسقط من السما في رعد شديد من نصله اي من نصل سين الممدوح ينكفين بها اي يرجع بتلك الصاعقة قالبا للتعدية والانكفا الرجوع من كفات القوم كفا اذا صرفتهم عن مقصدهم الى غيره فانكفوا رجعوا وقيل اصله اخذ من قولهم كفات الاناء لبنته وقلبته فانكفا انقلب لكان احسن في التشبيه وابلغ لانه من قلب الحقايق كانه انقلب الباس الى النائل والتقويت الى الحيوت التقرب تكبر القاف كقولك في الشجاعة على المحاربة وفاعل تتكفي حسن سحايب اي انامل فوضع السحايب موضع الاصابع نظيرها على التكميل وانضمام الجود مع الشجاعة اذ لو اتى بدل السحايب بالاصابع لاقتصر على الشجاعة لانه حينئذ لم يتجاوز عن حديث الشهامة الى حديث السخاوة اذ السحايب انما تستعار للجود والسخاوة والبيت الثاني بيان للبيت الاول تغني قنا الثني واحد اثنا الشيء اي تضاعيفه القواضب القواطع وعكس المعنى ابو الطيب حيث قال فوضع الندي في موضع السيف بالعلي بصر كوضع السيف في موضع الندي قوله او في حكمه اي يكون الجامع متعددا لكنه في حكم واحد كما عد الزبدة والخلاصة من الجزم في العقلي او يكون منتزعا من عدة امور متوهمة في التمثيلي وحق التقسيم ان يقال الجامع اما امر واحد او في حكم واحد او متعدد كما سبق في التشبيه عند قوله لها بدر كاس وهي شمس يديرها البيت ونحوه من الابيات لكن ترك الثالث لاستقاطه في الاعتبار مع انه ذكر في اخر الاقسام في السادس مناسبا لامثلته نحو رايت شمسا قوله الى اصليه وتبعيه وانما سميت تبعية لان المستعار لم يصلح ان يوصف فيجعل تابعا لمصدره ان كان صفة او فعلا او يجعل تابعا لمتعلق معناه ان كان حرفا والاصلية بخلافه الاستعارة الاصلية قوله والتشبيه وصف لان قولك زيد اسد اثبات لزيد وصف الاسدية اي الشجاعة وفي الاستعارة المشبه سببه مثلا ينوب مناب المشبه فيصير موصفا حينئذ به او الموصوف لا يكون الا حقايق كرجل وجسم وقيام وقعود وبياض وسواد فانها تقع موصوفات وما لم يكن حقايق كالاوصاف والافعال والحروف انما يقع فيها الاستعارة بالتاول كما سيجي قوله الى بصرح بها وانما كان مصرحا بها لكون المشبه به صرح بذكره ومكنيا عنها لان المشبه به لم يصرح بل كني عنه ودل عليه بذكر لازمه الاستعارة التحقيقية

قوله

هذه النسخة الجيدة الخط لم يتم فيها الكلام مما جميع ابواب علم البيان بل توقفت عنه تقسيم الاستعارة التحقيقية الى التخييلية وتخيلية

وتابعتها النسخة الرديئة الخط من ورق ٧٢ الى ١٠٧

هذا شرح ملزمة البيان

بداية النجوم

ن افرد استقلالا لانكته شعبة من البديع من
حيث انه يزيد الكلام مبالغة وتتميما شعبة
جي بعد والنكتة في هذا الفقرة ان القمر على زعم الفلا
ب النور من الشمس كذلك يكتب علم المعاني الرونق
م البيان وايضا في جعل لبسنا لحامده علة للسبب مع
، الشاعر ده ما ان مدحت محمدا بقالتي ولكن مدحتي قالت بمحمد
هب ان القمر يكتسي النور من الشمس فما بال النجوم
ما احدهما ان ظهور اشراف النجوم انما يكون في غيبوبة
ت غيبوبتها سببا لاشراقها فصح التعليل بقوله من خوس
ن جهتها وثانيهما على طريق التغليب على البدور على
تتبع قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات
، وسلطانه في سما الدنيا وقوله اشرقت استعارة تبعية
ه والبيان الذي في نكات المعاني ولطايفها باشراق الكواكب
ين والمجرورين من كل من قوله بسنا ومن شموس والظرف
ما المعاني والمرفوع في انجم وبدور تزاين لها ويجوز ان
متعارة في محامده على سبيل المكنية شبه محامد الله تعالى بماله
هرين تشبيها بليغا ثم ادخلها في جنسها ثم جعلها متخيلة
ثم توهم لها ما يلازمها من السنا واضاف اليها لتكون قرينة
، اذا روي السنا مقصورا واذا روي ممدودا بمعنى الرفعة
شبه به ماله ارتفاع كالسما والجبال ويجوز ان يكون الممدود
من الضيا كما قال ابن جني وعلى هذا النمط قوله سما المعالي بشمت
، الرايقه بصابيح تزين السما ثم قيل للمشبه ما يلازم المشبه به من
واضيف اليها ويكون قرينة وكذا شموس البيان شبه البيان في رفعة
ثم اضيف اليه ما يلازمها من الشموس على سبيل التخييل ف
انه اجتمع في هذه الفقرة جميع انواع الاستعارات
يا تها فالتخييلية والمكنية ما قررناه والمصرحة المحققة
بدور لان المشبه المتروك معقول والقرينة سما المعالي
التبعية هي اشرقت كما مر والتمثيلية هي اذا اعتبرت الجموع وانتزع
منها امور متوهمة واما التفريع فلان كل من الاستعارات المذكورات
النزشيح للمحامد والتجريد اذا قيل ان انجم وبدورا استعيرتا للنكت
واللطايف فان ذلك المحامد والبيان ملايمان لهما وكذا الحاكم في كل من

نور والتبعية هي شرقت ثم اذا حمل انجم و
قبيل الاستعارة التصريحية بان شبهت
والطايف بالانجم والبدور ايضا كان في اشرق
ل هو على معناه الحقيقي ترشيح للاستعارة
ثم ان جعلت الاستعارة في اشرقت كانت شبه الاستعارة
مكنية والاشراق تخييلا ترشيح الاستعارة التصريحية بهذا الانجم والبدور حينئذ فهو حقيقة

١٠

نهاية النسخة ص

فيه لم خرج عليه بدان في الاية وجهين احدهما ان يكون علم الساعة فاعلا للظرف
لاعتماده على اسم ان ويعطف وينزل الغيث وما بعده من الجمل على الظرف والثاني
على تاويل الجملة منفيتين بالمثبتين اي يعلم ماذا تكسب كل نفس غدا ويعلم ان
كل نفس باي ارض تموت ينزل على هذا الاسلوب ليطابق تفسير سيد البشر
بقوله مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم احد ما يكون في غد الا الله
ولا يعلم احد ما يكون في الارحام وما تعلم نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت وما تدري متى يجيء المطر اخرجه البخاري عن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما وما في الحديث المشهور في خمس لا يعلمهن الا الله
اذ ليس في الاية اداة الحصر كما في الحديث فان قلت اذا عطفت
ينزل على الجملة كيف دل على العلم قلت اذ المراد انزال الغيث كما كانوا
يتسمون اليه من طلوع الانوا اختص بالله تعالى فيلزم منه اختصاصه بعلم انه
من فعله تعالى وبابه في ذلك ... وقال صاحب الكشف جاء بالظرف وما
به ثم قال وينزل الغيث فعطف الجملة على الجملة ومثله قوله تعالى سبحانه ما
في بطونها ... فعطفه عليه بالظرف ...
ارتفع به ... ان يذهب الى ان الظرف خبر مقدم على المبتدأ لافادة الحصر ...
وينزل على المضاف اليه ... عنده علم الساعة وعلم انزال الغيث على تقدير انه ينزل
... فارتفع الفعل نحو قوله احضر الوغى ويعطف ويعلم ما في الارحام وما بعده
على ... والمضاف اليه ... انه ما عنده علم ما في الارحام وعلم ماذا تكسب ...
على التقدير المذكور فان قلت فاي نكتة دعت الى العدول عن ... المنفي ...
وما تدري وما فائدة تكرير نفس وتنكيرها واتيان الدراية بدل العلم فانها لا دراية الا
بالحيلة قلت اذا نفيت الدراية لما فيها من معنى الحيلة في اكتساب العلم من قبل ...
سبيل الاستغراق لوقوع النكرة في سياق النفي افاد ان كل نفس ... من الانسان ...
اذا اعملت حيلها في معرفة ما يختص بها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه
وعاقبة امره ثم ... على شيء من ذلك ... يقف على ما هو ابعد ... من معرفة وقت
الساعة وابان انزال الغيث ومعرفة ما في الارحام قوله لا يجوز ان ... ايختص
به ولفظة كذا وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه
واستشهاد على حسنه وتاكيد لاسناده الى الله تعالى وانه من عنده وانه مثله لا يجوز
ان يصدر الا عنه تعالى ... قوله تعالى الله يبسط الرزق في الرعد الله وحده هو
يبسط الرزق ويقدره دون غيره وقال في قوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانه لم يغنوا فيها وفي
هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا
واستؤصلوا كان لم يقيموا في دارهم ... ان ايقاع صلة الموصول لتكذيبهم شعيبا ...
من اجلة الانبياء ووضع موضع الضمير وتنكيره فيه دلالة
على انهم ارتكبوا امرا عظيما لم يرتكب في زمنهم
احد مثله فاستحقوا ان يخصوا بجزاء
لم يعهد مثله ومن ثم بنى عليه
عليه ذلك الخبر ...
فقيه علة .

... عاء ... الا ...

... النسخة المرسلة الخلا ناقصة
... المعاني ... والوصل
... الاطناب الاستشهاد
موجودة ... نسخة ...
... ١٢ ... ل
... ٤٤

٢٦٧

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قسم تصوير المخطوطات

النهاية

بداية النحو

هذا علم البيان من كتاب التبيان

لعلامة الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة الدلالة باختفاء بعضها عن بعض فالمراد بالمعنى الواحد ما يقصده المتكلم بتمام المراد سواء كان مفهوما فقط او مع شيء آخر وبالطرق التراكيب المختلفة بالهيئات التركيبية والمفردات المتغايرة وبالدلالة كون التركيب بحيث ينتقل الذهن منه الى المعنى المقصود بسبب العلم بالوضع او بالقرائن الحالية او المقالية وبالاختفاء كون الدلالة بحيث يحتاج الانتقال الى المعنى المقصود الى تأمل ما فخرج بقيد الدلالة ما لا دلالة فيه اصلا كالالفاظ المهملة وما دلالته ليست بالوضع كالاشارة والخط وبقيد الاختفاء ما دلالته واضحة كالتصريح والتقريب الى الذهن من اللطف والصرف والاستكفاء عن الاشارة الالفاظ المترادفة المختلفة بالخفاء لان خفاءها ليس باعتبار مفهوم التراكيب بل باعتبار منطوقها لقلة دورها على الالسنة وذلك غير مجد في البلاغة وانما قيد الدلالة بقوله على معنى واحد احترازا عن

شرح حالته

الخليفة بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم واوصى الخليفة من
الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل ان يهاجر اليهم ان يقبل
من محسنهم ويعفو عن مسيئهم ... لو كانت الامارة فيهم
بعض ان الامير يوصي بتعهد المأمور بان يحسن اليه ويتجاوز
لا عكسه اي لا يوصي المأمور بالاحسان الى الامير ويتجاوز
قال رحمه الله تعالى وقال الامير لابن الاقرع انشدني لبعض شعرك
كميت اذا شجت فلي الكاس وردها كهام عظام الشاربين
تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه اخيها
فقال الوليد بئر بنفسا وورب الكعبة فقال لئن كان وصفي لها
وابي معرفتك بها لقد كمت شبه الخمر بالكميت في الحمرة والشدة
الجريان في المفاصل ثم حذف المشبه الذي هو الخمر واقيم المشبه
فصار استعارة والقرينة شجت اي كدرت بالماء والكاس بحذف
والورد ترشيح لها وقوله كهام عظام الشاربين ترشيح ايضا
متفرعة على الاولى حيث استعار الجريان في المفاصل بالدبيب
هو وصف للحيوان وقوله تريك القذى اي الكاس تريك ما
من الكفاة قذاتها والحال ان الكاس قدام القذى لصفائها وكهامة
وقوله لوجه اخيها اي لوجه شاربها عبوس جملة استئنافية وموضع
قوله لقد رابني معرفتك بها الزمه في الجواب يعني ما الزمه من الشر
يعني كانك نسبت اني شرب بسبب وصفي اياها بما فيها كذلك
البلد الشرب بسبب معرفتي اياها كما هي عليه ثم ان البيت القطامي
قيل ان الاهتدا يقول قبيلة بني تميم في طرق المكارم اهدى
من القطا فانه ... وقد شاعر اباد لف فقال من اين
قال من تميم فقال

تميم تطرق اللوم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت

قال نعم بتلك الهداية جبتك فجهل واستكمه واجازه القطا يضرب
في المثل في الاهتداء يقول قبيلة بني تميم في طرق الخساسة واللوم ادل
من القطا فقوله نعم تقرير ... عن القول بوجوب بعض سدقة فيما
ذكرته اني اهديه الى اللوم من القطا ولكن اللئيم انت فلذلك جبتك
واهتديت اليك فالزمه كما ترى فما ... وقال الاخر

دع النجوم لطرق يعيش به وبالعزايم فاهض ايها الملك
ان النبي واصحاب النبي نهضوا عن النجوم وقد بصرت ما ملكوا